بسم الله الرحمن الرحيم

تتمة الكشاف

حاشية الجاربردي على الكشاف

مركز البحوث الإسلامية
إستانبول
سِلْسِلَةُ عيُونِ التُّرَاثِ الإسْلَامِيِّ

تتمة الكشاف

(حَاشِيَةُ الجَارْبَرْدِي عَلَى الكَشَّاف)

فخر الدين أبو المكارم أحمد بن الحسن بن يوسف الجاربردي
(ت. ٧٤٦هـ/ ١٣٤٦م)

تحقيق
أ.م. ضياء الدين القالش
محمد عماد النابلسي

إشراف
أ.م. محمد طه بويالق

المجلد الخامس

نشريات وقف الديانة التركي

نشريات وقف الديانة التركي
رقم النشر ١٤٣٤
نشريات إسام ٢٦٧
سلسلة عيون التراث الإسلامي ٦٢

تتمة الكشاف (حاشية الجازَرْدي على الكشاف)
فخر الدين أبو المكارم أحمد بن الحسن بن يوسف الجازَرْدي

المجلد الخامس

تحقيق أ.م. ضياء الدين القالش، مجد عماد النابلسي

تم إعداد تتمة الكشاف (حاشية الجازَرْدي على الكشاف)
بإشراف اللجنة العلمية للتحقيق
بمركز البحوث الإسلامية (İSAM) التابع لوقف الديانة التركي.
İcadiye - Bağlarbaşı Cad. 38 Üsküdar/İstanbul
الهاتف: 50 08 474 216 90+ www.isam.org.tr yayin@isam.org.tr

التحرير أوقان قدير يلماز
المراجعة العلمية محمد طه بوبالق، عبد الرحمن رضوان حَرَش
التدقيق النهائي لقسم الدراسة سعيد قاياجي (العربي)، مصطفى دَميرآي (التركي)
التصحيح (العربي) عبد الناصر حكيمي (الإملاء والفهارس والمصادر)، نور الحبلة (الإملاء)، علي حيدر أولوصُويْ (الإملاء والفهارس)، آزاد شارْسانْبابُوفْ (الإملاء)، (التركي) عيسى قايا ألْبْ (الإملاء)، إسماعيل أُزْبِلْكِين (المصادر)
التصميم علي حيدر أولوصُويْ، إبراهيم درويش مؤذن (تطبيق)، حسن حسين جان (غلاف)، رمزي حاج مصطفى (خط الغلاف)

تم إعداد هذا الكتاب
من قبل مركز البحوث الإسلامية (إسام/İSAM)
في إطار مشروع العصور المتأخرة من الحضارة الإسلامية.

تم طبع هذا الكتاب بقرار مجلس إدارة إسام
بتاريخ ٢٠٢٤/١٢/٢٧ ورقم ٢٠٢٤/١١.

الطبعة الأولى: إستانبول، ديسمبر ٢٠٢٤م / ١٤٤٦هـ
(مجموعة) ISBN 978-625-428-633-9
(المجلد الخامس) 978-625-428-638-4

الطباعة والنشر والتوزيع
TDV Yayın Matbaacılık ve Tic. İşl.
Ostim OSB Mahallesi, 1256 Cadde, No: 11 Yeni Mahalle / Ankara
الهاتف: 9131 354 312 90+ الفاكس: 9132 354 312 90+ bilgi@tdv.com.tr

فخر الدين أبو المكارم أحمد بن الحسن بن يوسف الجازَرْدي
تتمة الكشاف (حاشية الجازَرْدي على الكشاف) / فخر الدين أبو المكارم أحمد بن الحسن بن يوسف الجازَرْدي؛ تحقيق: ضياء الدين القالش، مجد عماد النابلسي. إستانبول؛ أنقرة: مركز البحوث الإسلامية (إسام)؛ وقف الديانة التركي، ٢٠٢٤.
المجلد الخامس (٧٠٤ صفحة)؛ ٢٤ سم. – (نشريات وقف الديانة التركي؛ ١٤٣٤. نشريات إسام؛ ٢٦٧. سلسلة عيون التراث الإسلامي؛ ٦٢)
يحتوي على الفهارس والمصادر
(المجلد الخامس) 978-625-428-638-4 (مجموعة) ISBN 978-625-428-633-9

فهرس المحتويات

سورة التوبة

مدنية، وهي مئةٌ وثلاثون -وقيل: تسعٌ وعشرون- آيةً.

لها عِدَّةُ أسماء: براءة، التوبة، المقَشْقِشَة، المُبَعثِرَة المُشَرِّدَة، المُخْزِيَة، الفاضِحَة، المُثِيرَة، الحافرة، المُنَكِّلة، المدَمْدِمَة، سورةُ العذاب.

لأن فيها التوبةَ على المؤمنين، وهي تُقَشْقِشُ من النفاق؛ أي: تُبرِّئُ منه، وتُبَعْثِرُ عن أسرار المنافقين تَبحثُ عنها، وتُثيرها، وتَحفِرُ عنها، وتَفضَحُهم،

سورة التوبة

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله: (وهي تُقشقِش) تقشقش المريض: برأ. قال الأصمعي: كان يقال لـ[1]﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَـٰفِرُونَ﴾ [الكافرون ١/١٠٩] و﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص ١/١١٢]: المقشقشتان،[2] أي: إنّهما تبرئان مِن النفاق. وقال أبو عبيدة: كما يقشقش الهِناءُ الجرب[3] فيبرئه. وقال ابن السكِّيت: يقال للقَرْح والجُدَريّ إذا يبس وتقرَّف:[4] قد تقشقش جلده.[5]

قوله: (وتُبعثِر) بعثرتُ الشيء: استخرجته وكشفته.

قوله: (وتحفر عنها) يقال: حفرتُ النهر وحفرتُ الأرض. وقول المصنِّف: "تحفر عنها"، أي: عن أسرار[6] المنافقين، وإنّما عدّاه بـ"عن"؛ لأنّه ضمّنه معنى

---

[1] ن ر: لقائل.

[2] ر: المقشقشان.

[3] ن: بالجرب؛ ر: والحرب.

[4] ن ر: وتفرّق.

[5] من قوله: "تقشقش المريض" إلى هنا بلفظ قريب الصحاح للجوهري، «قشش».

[6] ر: أشرار.

وتنكِّلهم، وتُشرِّد بهم، وتُخْزِيهم، وتُدمْدِمَ عليهم.

وعن حُذيفة رضي الله عنه: إنكم تُسمُّونها سورةَ التوبة، وإنما هي سورةُ العذاب، والله ما تركتْ أحدًا إلَّا نالت منه.

فإن قلتَ: هلا صُدِّرَتْ بآيةِ التسمية كما في سائرِ السور؟

قلتُ: سأل عن ذلك ابنُ عباس عثمانَ رضي الله عنهما، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزلت عليه السورةُ أو الآيةُ قال: «اجعلوها في الموضع الذي يُذكر فيه كذا وكذا» وتُوفِّيَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ولم يُبيِّنْ لنا أين نضعُها، وكانت قصَّتُها شبيهةً بقصَّتها فلذلك قرنتُ بينهما، وكانتا تُدعيان: القرينتين.

وعن أبيّ بن كعب: إنما توهَّموا ذلك؛ لأن في الأنفال ذِكْرَ العُهود وفي التوبة نبذَ العهود.

الإبعاد والإزالة،[١] فكأنّه[٢] قال: أزالت الغطاء والستر عن أسرار المنافقين؛ لأنّ حفر الموضع: هو إزالة التراب عن الموضع وإبعاده عنه.

قوله: (وتنكِّلهم) أي:تجعلهم نكالًا لغيرهم؛ لأنّها[٣] إذا أظهرت[٤] نفاقهم جعلتهم عبرةً لغيرهم، أي: يعتبرون بهم. يقال: نكّل به تنكيلًا إذا جَعَله نكالًا وعِبرة لغيره. والمَنْكَل:[٥] الذي ينكِّل بالإنسان[٦] ويقال: رماه الله بنُكْلَة.[٧]

قوله: (وتُدمدِم[٨] عليهم) / دمدم الله عليهم: أهلكهم. [٣٧٤و]

قوله: (وكانت قصّتها[٩] شبيهة بقصتها) المراد بقصّة "براءة" قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾ [التوبة ٩/٥]، وبقصة "الأنفال" قوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ﴾ [الأنفال ٨/٦١].

---

[١] ر: والأزلاء.
[٢] ر: مكاه نه.
[٣] ر: لا أنها.
[٤] ر: ظهرت.
[٥] ن: والمنكلة.
[٦] ر: الإنسان.
[٧] من قوله: "يقال: نكّل" إلى هنا بلفظ قريب الصحاح للجوهري، «نكل».
[٨] ر: ويدمدم.
[٩] ن: قصّتهم.

وسئل ابن عيينة رضي الله عنه، فقال: اسمُ الله سلامٌ وأَمانٌ فلا يكتَبُ في النبذ والمحاربة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء ٤/٩٤] قيل: فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد كتب إلى أهل الحرب: بسم الله الرحمن الرحيم، قال: إنّما ذلك ابتداءٌ يدعوهم ولم ينبِذْ إليهم، ألا تراه يقول: «سلامٌ على مَن اتَّبَع الهدى»، فمَن دُعي إلى الله عزَّ وجلَّ فأجابَ، ودُعي إلى الجِزْيةِ فأجاب، فقد اتَّبع الهدى، وأما النَّبذُ فإنما هو البراءةُ واللعنةُ، وأهلُ الحرب لا يُسَلَّم عليهم، ولا يقال: لا تَفرَقْ، و: لا تَخَفْ، و: مترس، و: لا بأسَ، هذا أمانٌ كلُّه.

وقيل: سورة الأنفال والتوبةِ سورةٌ واحدةٌ كلتاهما نزلت في القتال تُعدَّان السابعةَ من الطِّوَل، وهي سبعٌ، وما بعدها المثون، وهذا قولٌ ظاهرٌ؛ لأنهما معًا مئتان وستٌّ، فهما بمنزلة إحدى الطِّوَل.

وقيل: اختلف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال بعضُهم: الأنفال وبَراءةُ سورةٌ واحدة، وقال بعضُهم: هما سورتان، فتُركتْ بينهما فُرجَةٌ لقولِ مَن قال: هما سورتان، وتُركت "بسم الله" لقولِ مَن قال: هما سورةٌ واحدةٌ.

﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١ فَسِيحُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢﴾

﴿بَرَآءَةٌ﴾ خبرُ مبتدأ محذوفٍ؛ أي: هذه براءةٌ.

و﴿مِنَ﴾ لابتداء الغاية متعلِّق بمحذوفٍ، وليس بصلةٍ كما في قولك: بَرئتُ من الدَّيْن، والمعنى: هذه براءةٌ واصلةٌ من الله ورسوله ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم﴾ كما تقول: كتابٌ من فلان إلى فلان.

قوله: (قيل: فإنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم) أي: قيل مع ابن عُيينة بطريق الاعتراض على ما ذُكر.

قوله: (قال: إنّما ذلك ابتداء) أي:قال ابن عيينة في الجواب.

ويجوز أن يكون ﴿بَرَآءَةٌ﴾ مبتدأً لتخصُّصها بصفتها، والخبرُ ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم﴾؛ كما تقول: رجلٌ من بني تميمٍ في الدار.

وقرئ: "براءةً" بالنَّصب على: اسمعوا براءةً.

وقرأ أهل نَجرانَ: "مِنِ اللهِ" بكسر النون، والوجهُ الفتحُ مع لام التعريف لكثرته.

والمعنى: أن الله ورسولَه قد برئا من العهد الذي عاهدتُم به المشركين وأنه منبوذٌ إليهم.

فإن قلتَ: لمَ عُلِّقت البراءةُ بالله ورسوله والمعاهَدةُ بالمسلمين؟

قلتُ: قد أذِنَ الله في معاهدة المشركين أوَّلًا، فاتَّفقَ المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاهَدوهم، فلمَّا نَقَضوا العهدَ أوجبَ اللهُ النبذَ إليهم، فخُوطِبَ المسلمون بما تجدَّد من ذلك فقيل لهم: اعلموا أن الله ورسولَه قد بَرِئا مما عاهدتُم به المشركين.

روي أنهم عاهدوا المشركين من أهل مكَّةَ وغيرهم من العرب، فنكثوا إلَّا ناسًا منهم وهم بنو ضَمْرةَ وبنو كِنانة، فنُبذ العهد إلى الناكثين وأُمروا أن يسيحوا في الأرض أربعةَ أشهر آمنين أيْنَ شاؤوا لا يُتعرَّضُ لهم، وهي الأشهر الحُرُم في قوله: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾ [التوبة ٥/٩]، وذلك لصيانة الأشهر الحرُم من القتل والقتال فيها، وكان نزولُها سنةَ تِسعٍ من الهجرة وفتحُ مكَّة سنةَ ثمانٍ،

قوله: (بكسر النون) كسروا نون[١] "مِن"[٢] عند ملاقاتها كلّ ساكن سوى لام التعريف، فهي عندها مفتوحة.

قوله: (والمعاهدة بالمسلمين)، يعني: في قوله تعالى: ﴿عَٰهَدتُّم﴾.

قوله: (وفتحُ مكّة سنة ثمانٍ) عام الحديبية سنة ستٍ، وعام القضاء سنة سبع، وفيه أسلم أبو هريرة رضي الله تعالى[٣] عنه، وعام الفتح[٤] سنة ثمانٍ،

---

[١] ر: نونًا.

[٢] قراءة شاذّة، مرويّة عن هارون عن أبي عمرو أنّ أهل نجران يقولونها كذلك. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٩٠٢.

[٣] ر – تعالى.

[٤] ر + منه.

وكان الأمير فيها عَتَّابَ بن أَسِيدٍ، فأمَّرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه على موسم سنةِ تسعٍ، ثم أَتبَعه عليًا رضي الله عنه راكبًا العضباءَ ليقرأها على أهل الموسم، فقيل له: لو بعثتَ بها إلى أبي بكر رضي الله عنه، فقال: «لا يؤدِّي عنِّي إلَّا رجلٌ منِّي» فلمَّا دنا عليٌّ سمع أبو بكر الرُّغاءَ، فوقَفَ وقال: هذا رُغاءُ ناقةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم! فلما لحِقَه قال: أميرٌ أو مأمورٌ، قال: مأمورٌ.

وروي: أن أبا بكر لمّا كان ببعض الطريق هَبَط جبريل عليه السلام فقال: يا محمد لا يُبلِّغنَّ رسالتك إلَّا رجلٌ منك، فأرسل عليًا، فرجع أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رَسول الله، أشيءٌ نزلَ من السماء؟ قال: «نَعم، فسِرْ وأنت على الموسم وعليٌّ ينادي بالآي»، ....

وفيه أمّر عتّاب بن أَسيد بالحجّ، وأمّر أبا بكر رضي الله عنه سنة تسع، وحجّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم سنة عشر، وهي حجّة الوداع.

قوله: (موسم سنة تسع) أي:حجّ سنة تسع، وموسم الحاجّ سوقهم ومجمعهم[١] مِن الوَسم[٢] وهو العلامة.

قوله: (فأمّر) أي:جَعَله أمرًا وأميرًا.

قوله: (العضباء) العضباء: علم ناقة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. والعَضْب:[٣] القطع. وناقة عضباء:[٤] مشقوقة الأذن. وأمّا العضباء لناقة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فذلك لقب لها لا لشقّ في أذنها، فإنّها لم تكن مشقوقة الأذن.[٥] وقوله: (فأمّر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أبا بكر رضي الله تعالى[٦] عنه) مكَث[٧] رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالمدينة تسع سنين لم يحجّ، ثمّ أذّن في الناس بالحجّ في العاشرة.

---

١ ر: ومجتمعهم.
٢ ر: الموسم.
٣ ر: والغضب.
٤ ر: عصباء.
٥ انظر: الصحاح للجوهري، «عضب».
٦ ر – تعالى.
٧ ر – مكث.

....

أمّا تركُه قبل الفتح فظاهر؛ لأنّه لم يُفرَض وكان مشغولًا بحرب أعداء الله وإظهار الدين، أمّا العمرة فإنّ[١] خطبها أيسر، إذا لم يكن لها موسم يتألّب[٢] الأعداء ويصدونه[٣] عن البيت، وكان ممكنًا في بعض يوم، مع أنّه عليه السلام يترقّب الأمر بها دونه. وأمّا بعد الفتح وكان سنة ثمانٍ فإنّ هَوازن وثقيف وكثيرًا مِن العرب كانوا حربًا[٤] لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم متأهِّبين لقتاله. والظاهر أنّ الحجّ فُرض بعدها؛ لأنّه عليه السلام أمَر الناس بالحجّ في السنة التاسعة، وفيها أمّر أبا بكر رضي الله تعالى[٥] عنه، ولم يأمر فيه قبل ذلك بشيء، وإنّما خرج عتّاب بن أَسِيد رضي الله عنه بالمسلمين، وهو أمير مكّة، فوقف بهم الموقف، والمشركون وقوف في ناحية، وذهب قوم إلى أن تأخّر الحجّ بعد الفتح، إنّما كان للنسيء المذكور في كتاب الله، وهو تأخير الأشهر عن مواضعها حتّى عاد الحساب في الأشهر إلى أصله الموضوع الذي بدأ الله تعالى[٦] به في أمر الزمان يوم خلق الله السماوات والأرض. وهذا التأويل في سنة عتّاب بن أَسِيد محتمل، وفي العام الذي بعث أبا بكر رضي الله تعالى[٧] عنه أميرًا على أهل موسم غيرُ محتمل؛ لأنّه عليه السلام لم يكن ليأمر بالحجّ في غير وقته.

وذكر بعض أهل العلم بالسِّير أنّ الحجّ عام الفتح وقع في ذي القعدة على الحساب الذي ابتدعوه، وكانوا ينسأون في كلّ عامين مِن شهر إلى شهر، وكان الحجّ عام حجّة أبي[٨] بكر رضي الله تعالى[٩] عنه في ذي الحجّة على الحساب القويم. ووجهُ تأخيره الحجّ إلى السنة العاشرة -والله أعلم- هو أنّه لم يرَ أن يحضر الموسم وأهلُ الشرك حضورٌ هناك؛ لأنّه لو تركهم على ما يتدينون به

---

[١] ن ر: لا عثمان لا.
[٢] ن: ينال.
[٣] ن ر: والصدة.
[٤] ر: حزبًا.
[٥] ر - تعالى.
[٦] ر - تعالى.
[٧] ر - تعالى.
[٨] ن ر: أبا.
[٩] ر - تعالى.

فلمّا كان قبل التَّرْوِيةِ خَطبَ أبو بكرٍ وحَدَّثهم عن مناسكهم وقام عليٌّ رضي الله عنه يوم النحر عند جَمْرة العَقبَةِ فقال: يا أيها الناس، إني رسولُ رسولِ الله إليكم، فقالوا: بماذا؟ فَقَرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آيةً.

وعن مجاهد رضي الله عنه: ثلاثَ عشرة آيةً.

ثمّ قال: أُمرتُ بأربعٍ: أن لا يقرب البيتَ بعد هذا العام مشرِكٌ، ولا يطوف بالبيت عريانٌ، ولا يدخلَ الجنَّةَ إلا كلُّ نفس مؤمنة، وأنْ يُتَمَّ إلى كلِّ ذي عهدٍ عهدَه.

مِن هديهم المخالف / لدين الحقّ لكان ذلك وهنًا في الدين، ولو منعهم لأفضى ذلك إلى التشاغل عمّا أرادوه مِن النُّسك بالقتال، ثمّ إلى استحلال حُرمة الحَرَم، وكان قد أخبر يوم الفتح أنّ[1] حرمتها عادت إلى ما كانت عليه، وأنّها[2] لم تحلّ له إلّا ساعة مِن النهار، فرأى أن يبعث الناس إلى الحجّ وينادي في أهل الموسم ألّا يحجّ بهذا العام مُشرِك، ليكون حجّه خاليًا عن العوارض التي ذكرناها. [٣٧٤ظ]

قوله: (التروية) سُمّي يوم التروية؛ لأنّ إبل الحاجّ رُوّيت في هذا اليوم بعد عطشها في الطريق. وقيل: لأنّ إبراهيم عليه السلام رأى في المنام ثامِن ذي[3] الحجّة أنّه ذبح إسماعيل وجعل[4] اليوم الثامِن يُروّي، أي: يفكر في رؤياه أنّه كيف يصنع، حتّى جزم يوم العاشر بذبحه. وقد قيل: عَرَف ذلك في اليوم التاسع،[5] واشتغل بالذبح في العاشر.

قوله: (ثمّ قال: أُمِرت)، معنى قول عليّ رضي الله تعالى[6] عنه: "أُمِرت بأربع":[7] أُمِرت بتبليغ أربع خصال؛ لأنّه لا يصحّ أن يكون رضي الله عنه مأمورًا بأن يقرَب البيت مُشرِك ولا بغيره مِن الخصال المذكورة بعده.

---

[1] ن: إذ.
[2] ن: وأنّه.
[3] ر – ذي.
[4] ن: ويجعل.
[5] ر – بذبحه وقد قيل: عرف ذلك في اليوم التاسع.
[6] ر – تعالى.
[7] بلفظ قريب في مسند أحمد، ٣٢/٢ (٥٩٤).

فقالوا عند ذلك: يا عليُّ، أبلِغْ ابنَ عمِّك أنَّا قَدْ نبذنا العهدَ وراء ظهورنا، وأنه ليس بيننا وبينه عهدٌ إلّا طَعْنٌ بالرِّماح وضربٌ بالسيوف.

وقيل: إنما أُمر أنْ لا يبلغَ عنه إلّا رجلٌ منه؛ لأن العرب عادتُها في نقض عهودِها أن يتَولّى ذلك عن القبيلة رجلٌ منها، فلو تولّاه أبو بكر رضي الله عنه لجاز أن يقولوا: هذا خلافُ ما يُعرف فينا في نقض العهود، فأُزيحَتْ علَّتُهم بتَوْليةِ ذلك عليًا.

فإن قلتَ: الأشهرُ الأربعةُ ما هي؟

قلتُ: عن الزُّهريِّ رضي الله عنه: أنَّ براءة نزلت في شوالٍ، فهي أربعة أشهر: شوالٌ وذو القعدة وذو الحجة والمحرَّم.

قوله: (إلّا طعنٌ بالرماح) مثل قول القائل: «عتابه السيف»،[١] وقول آخر:

تحيةُ بينِهم ضربٌ وجيعُ[٢]

قوله: (فإن قلتَ: الأشهر الأربعة[٣] ما هي؟) معنى السؤال أنّه ما المراد بالأشهر الأربعة المذكورة في قوله تعالى: ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾؟ أهي[٤] الأشهر الحرم المشهورة، أعني هو ذو[٥] القعدة[٦] وذو الحجّة والمحرّم ورجب أو غيرها، وفي بعض النُّسخ: "الأشهر الحرم ما هي؟" لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾، والمعنى واحد في السؤال، فأجاب بوجوه ثلاثة: الأوّل أنّ "براءة" نزلت في شوال، لكن قراءة ذلك على الكفّار[٧] وتبليغهم إليهم كان مِن وقت الحج، فتكون هذا الأشهر الأربعة مِن عشر ذي الحجة، والثالث[٨] أنّها نزلت في شوال، لكنّ الحجّ في تلك السنة كان في ذي القعدة للنسيء الذي كان فيهم، فمبدأ الأشهر الأربعة كان مِن ذي القعدة.

---

١ النوادر لأبي زيد، ص ٤٢٨.

٢ عجز بيت لعمرو بن مَعْدي كَرِب الزُّبيديّ. مضى بتمامه وشرحه وتخريجه في تفسير البقرة، ١٠/٢.

٣ ن ر: الحرم. | وصحّحتها إلى ما يناسب السياق، ويوافق مطبوع الكشّاف.

٤ ر: هي.

٥ ر: ذا.

٦ ر: العقل.

٧ ن: الكفّارة.

٨ ما ذُكر الوجه الثاني في النُّسخ المعوَّل عليها ههنا.

وقيل: هي عشرون من ذي الحجة والمحرَّمُ وصَفَرٌ وشهرُ ربيع الأول وعشرٌ من شهر ربيع الآخر. وكانت حُرمًا؛ لأنّهم أُومِنوا فيها وحُرِّم قتلُهم وقتالهم، أو على التغليبِ؛ لأنَّ ذا الحجَّة والمحرَّمَ منها.

وقيل: لعشرٍ من ذي القعدة إلى عشر من ربيعِ الأول؛ لأن الحج في تلك السَّنة كان في ذلك الوقت للنَّسيء الذي كان فيهم، ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة.

قوله: (وكانت حُرمًا)، يريد أنّ هذه الأشهر تسمّى[1] حُرمًا في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾، إمّا على التغليب؛ أو لأنّهم أُومنوا فيها.

قوله: (أو على التغليب) لأنّ المتعارف المشهور أنّ الأشهر الحُرم هي رجب وذو[2] القعدة وذو الحجة والمحرم،[3] ثلاثة سرد وواحد فرد، فقيل: "أو على التغليب"؛ لأنّ ذا[4] الحجة والمحرّم منها بالاتّفاق.

قوله: (للنسيء الذي كان فيهم) اعلم أنّهم كانوا ينسأون الحجّ في كل عامين مِن شهر إلى شهر آخر ويجعلون الشهر الذي أنسئوا فيه ملغًى، فتكون تلك السنة ثلاثة عشر شهرًا، ويتركون العام الثاني على ما كان عليه الأوّل سوى أنّ الشهر الملغى في الأوّل لا يكون في العام الثاني، ثمّ يصنعون في العام الثالث وعلى هذا تمام الدور، فيستدرجهم في كلّ خمسة وعشرين سنة إلى الشهر الذي بدا منه، ولهذا يخبط[5] عليهم حساب السنة، وكانت السنة التي حجّ فيها رسول الله[6] صلّى الله عليه وسلّم[7] حجّة الوداع، وهي السنة التي وصل ذو الحجة إلى موضعه، فقال عليه السلام في خطبته: «إنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، السنة اثنا[8] عشر شهرًا»،[9] يعني أنّ الله تعالى أدحض أمر النسيء، وأنّ حساب السنة

---

[1] ر: سمى الله.
[2] ر – ذو.
[3] ر + منها بالاتفاق.
[4] ر: ذي.
[5] ر: الحبط.
[6] ر: الرسول.
[7] ر: عليه السلام.
[8] ن ر: اثني.
[9] صحيح البخاري، ١٠٧/٤ (٣١٩٧)؛ صحيح مسلم، ١٣٠٥/٣ (١٦٧٩).

فإن قلتَ: ما وجهُ إطباقِ أكثرِ العلماء على جوازِ مقاتلةِ المشركين في الأشهُرِ الحُرم وقد صانها الله عن ذلك؟

قلتُ: قالوا: قد نُسخ وجوب الصيانة وأُبيح قتال المشركين فيها.

﴿غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾: لا تفوتونَه وإن أمهلكم، وهو مخزيكم؛ أي: مُذِلُّكم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالعذاب.

﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾﴾

﴿وَأَذَٰنٌ﴾ ارتفاعُه كارتفاعِ ﴿بَرَآءَةٌ﴾ على الوجهين، ثمّ الجملةُ معطوفةٌ على مثلها، ولا وجهَ لقولِ مَن قال: إنه معطوفٌ على ﴿بَرَآءَةٌ﴾ كما لا يقال: عمرو معطوفٌ على زيد في قولك: "زيدٌ قائمٌ وعمرو قاعدٌ".

والأذان: بمعنى الإيذان، وهو الإعلام؛ كما أنَّ الأمانَ والعطاء بمعنى الإيمان والإعطاء.

قد استقام ورجع إلى الأصل الموضوع يوم خلق الله السماوات والأرض. وقوله:
[٣٧٥و] / "السنة اثنا[١] عشر شهرًا" تأكيد في إبطال أمر النسيء، فإنّهم كانوا يجعلون السنة الأولى[٢] مِن كلّ سنتين ثلاثةَ عشرَ يومًا كما مرّ، يريد مِن النسيء تأخير المحرّم إلى صفر في عدم القتال. يقال: أنسأنا[٣] شهرًا،[٤] أي:[٥] أخِر[٦] عنّا حرمة المحرّم وحلِّله لنا واجعل الحرمة في[٧] صفر؛ لأنّهم كانوا يكرهون أن يتوالى عليهم ثلاثة أشهر ولا يُغيرون فيها؛[٨] لأنّ معاشهم كان مِن الغارة فيحلّ لهم المحرّم.

قوله: (ثمّ الجملة معطوفة على مثلها) أي:هي عطف جملة على جملة.

---

[١] ن ر: اثني.
[٢] ر: الأول.
[٣] ر: إنسان.
[٤] ر: أشهر.
[٥] ر: التي.
[٦] ر: أخرنا.
[٧] ر + شهر.
[٨] ر + كان.

فإن قلتَ: أيُّ فرقٍ بين معنى الجملة الأولى والثانية؟

قلتُ: تلك إخبارٌ بثبوت البَراءة، وهذه إخبارٌ بوجوب الإعلام بما ثبت.

فإن قلتَ: لمَ علِّقت البراءةُ بالذين عُوهدوا من المشركين، وعُلِّق الأذانُ بالناس؟

قلتُ: لأن البراءةَ مختصَّةٌ بالمعاهَدين والناكِثين منهم، وأما الأذانُ فعامٌّ لجميع الناس مَن عاهد ومَن لم يُعاهِدْ، ومَن نكَثَ مِن المعاهَدين ومَن لم ينكُث.

﴿يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ﴾: يومَ عَرفة.

وقيل: يومَ النحر؛ لأن فيه تمامَ الحج ومُعظمَ أفعاله: من الطواف والنحر والحلق والرمي.

وعن عليٍّ رضي الله عنه: أنَّ رجلًا أخذ بلجامِ دابَّته فقال: ما الحجُّ الأكبر؟ قال: يومُك هذا، خلِّ عن دابَّتي.

وعن ابن عمر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفَ يومَ النحر عند الجمَرات في حجَّة الوَداع فقال: «هذا يومُ الحجِّ الأكبر».

قوله: (والناكثين منهم) أي:ممّن عهدوا ونكثوا، أي: جمعوا بين العهد والنكث.

قوله: (قال: يومك هذا)[١] أراد يوم النحر.

قوله: (في حجّة الوداع) سُمّيت حجّة الوداع؛ لأنّ[٢] النبيّ[٣] عليه الصلاة[٤] والسلام[٥] حجّ تلك الحجّة ولم يعد إلى مكّة بعدها، وقد قال في موعظته ما قال مِن الموعظة البليغة حتّى وَجِلت منها القلوب وذرفت منها العيون، حتّى قالوا: كأنّها موعظة مودِّع فأوصِنا،[٦] فلذا سُمّيت حجّة الوداع.

---

[١] انظر: جامع البيان للطبري، ٣٢٦/١١ (التوبة، ٣/٩).
[٢] ر: لأنه.
[٣] ر – النبي.
[٤] ر – الصلاة.
[٥] ر: السلام.
[٦] ر: فأوصينا. | انظر الحديث بمعناه في سنن ابن ماجه، ٢٨/١ (٤٢)؛ والمستدرك للحاكم، ١٧٤/١ (٣٢٩).

ووُصف الحجُّ بالأكبر؛ لأن العمرة تُسمَّى: الحج الأصغر، أو جُعل الوقوفُ بعرفةَ هو الحجَّ الأكبر؛ لأنه مُعظم واجباته؛ لأنه إذا فاتَ فات الحج، وكذلك إن أريد به يومُ النحر؛ لأن ما يُفعل فيه مُعظمُ أفعال الحج فهو الحجُّ الأكبر.

وعن الحسن رضي الله عنه: سُمِّي يومَ الحجِّ الأكبرِ لاجتماع المسلمين والمشركين فيه، وموافقته لأعياد أهل الكتاب، ولم يَتَّفق ذلك قبله ولا بعده، فعُظِّم في قلب كلِّ مؤمن وكافرٍ.

حُذفت الباء التي هي صلةُ الأذان تخفيفًا.

وقرئ: "إن الله" بالكسر؛ لأنَّ الأذان في معنى القول.

﴿وَرَسُولُهُۥ﴾ عطفٌ على المنويِّ في ﴿بَرِيٓءٌ﴾؛ أي: بريءٌ هو، أو على محلِّ "إنَّ" المكسورة واسمها.

قوله: (وكذلك إن أُريدَ به يوم النحر) عطف مِن حيث المعنى على قوله:[1] (أو جُعل).

قوله: (حُذفت الباء التي هي صلة) تقديره بـ"أن الله".

قوله: (أو على محلّ "إنّ" المكسورة واسمها) هذا على ما قرئ في الشاذِّ بكسر "إنّ" ظاهر،[2] وأمّا على قراءة[3] السبعة بفتح "إنّ"؛ فلأنها في تأويل المكسورة؛ لأنّ "إنّ"[4] ههنا وما عملت[5] فيه بتأويل الجملة، فصحّ أن يُعطف على محلّها كالمكسورة صريحًا، ولذلك أورد سيبويهِ في هذا الباب:

وإلّا فاعلموا أنّا وأنتم بغاة[6] ما بقينا في شِقاقِ[7]

مستشهدًا به على العطف على محلّ المكسورة بتقدير حذف الخبر مِن الأوّل،[8]

---

[1] ن + قوله.

[2] قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن وحميد، وهارون وخالد كلاهما عن أبي عمرو. المغني في القراءات للنُّوزاوازي، ص ٩٠٣.

[3] ر: القراءة.

[4] ر – إن.

[5] ر: علمت.

[6] ر: بغاية.

[7] البيت لبشر بن أبي خازم في ديوانه، ص ١٦٥؛ وهو له في كتاب سيبويه، ١٥٦/٢. وانظر تفصيل الكلام عليه في خزانة الأدب للبغدادي، ٢٩٣/١٠-٣٠٢.

[8] انظر: كتاب سيبويه، ١٥٦/٢.

وقرئ بالنصب عطفًا على اسم ﴿أَنَّ﴾؛ أو لأن الواو بمعنى «مع»؛ أي: بريءٌ معه منهم.

وبالجرِّ على الجوار، وقيل: على القسَم؛ كقوله: لعمرُك، ويُحكى أن أعرابيًا سَمِع رجلًا يقرؤُها فقال: إنْ كان اللهُ بريئًا من رسوله فأنا منه بريءٌ، فلبَّبَه الرجل إلى عمرَ، فحَكى الأعرابيُّ قراءتَه، فعندها أَمَر عمر رضي الله عنه بتعلُّم العربيَّة.

وذلك حُكم المكسورة صريحًا، فلولا أنّها في حكم المكسورة صريحًا لَما صحّ ذلك. وقوله: "على محلّ "إنّ" المكسورة واسمها"، يريد على اسمها على تقدير عدمها؛ وذلك لأنّ المكسورة لمّا لم تغيّر المعنى جاز أنْ تُقدَّر كالعدم فيُعطف على تقدير عدمها، وهو معنى قولهم: يُعطَف على محلّها مع[1] اسمها.

قوله: (وبالجرّ على الجوار)،[2] يعني: هو منصوب معطوف على اسم "إنّ" لكن مجرور بجوار[3] قوله: ﴿ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾، نحو قولهم: «حجرُ ضبٍّ خَرِبٍ»،[4] قال أبو البقاء: لا يجوز عطفه على ﴿ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾؛ لأنّه يؤدي إلى الكفر.[5]

قوله: (كقوله لعمرك) أي:كقوله تعالى: ﴿لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [الحجر ١٥/٧٢]، فإنّه قسمٌ بالنبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

قوله: (فلبّبه) الجوهري: «لبّبتُ الرجل تلبيبًا إذا جمعتَ ثيابه عن[6] صدره ونحره، ثمّ جررته[7] عند الخصومة».[8]

قوله: (فعندها أمر عمرُ بتعلُّم العربيّة) يجوز أن يكون أمره رضي الله تعالى[9] عنه بتعلُّم العربية إشارةً إلى أنّ الأعرابيّ[10] لو كان يُحسن العربية لَما اعترض ذلك الاعتراض؛ لأنّ الجرّ بالجوار جائز.

---

[1] ن – مع.
[2] ر: الجواز.
[3] ر: بجواره.
[4] النوادر لأبي زيد، ص ٥٧٤؛ كتاب سيبويه، ٦٧/١، ٤٣٦.
[5] انظر: التبيان للعكبري، ٦٣٥/٢.
[6] ر: عند.
[7] ر: بحررته.
[8] الصحاح للجوهري، «عضب».
[9] ر – تعالى.
[10] ر + لما اعترض ذلك الاعتراض.

﴿فَإِن تُبْتُمْ﴾ من الكفر والغدر ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن التوبة، أو ثبتُّم على التولّي والإعراضِ عن الإسلام والوفاءِ ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ﴾ سابقين الله تعالى ولا فائتين أخذَه وعِقابَه.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَـٰهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾﴾

فإن قلتَ:ممَّ استُثني قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم﴾؟

قلتُ: وجهُه أن يكون مستثنًى من قوله: ﴿فَسِيحُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ لأنّ الكلام خطابٌ للمسلمين، ومعناه: براءةٌ من الله ورسوله إلى الذين عاهدتُّم من المشركين، فقولوا لهم: سيحوا، إلّا الذين عاهدتُّم منهم ثم لم يَنقُضوا فأتمُّوا إليهم عهدَهم، والاستثناءُ بمعنى الاستدراكِ؛ كأنه قيل بعد أن أُمروا في الناكثين: ولكنَّ الذين لم ينكثوا فأتِمُّوا إليهم عهدَهم ولا تُجْرُوهم مُجراهم، ولا تجعلوا الوفيَّ كالغادر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ يعني: أن قَضيَّةَ التَّقوى أنْ لا يُسوَّى بين القبيلين فاتَّقوا الله في ذلك.

﴿لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا﴾: لم يقتلوا منكم أحدًا ولم يضرُّوكم قط ﴿وَلَمْ يُظَـٰهِرُواْ﴾: ولم يعاوِنوا ﴿عَلَيْكُمْ﴾ عدوًّا؛ ....

قوله: (أو ثبتُّم)[١] يريد أنّ الكافرين كانوا متولّين معرِضين عن الإسلام، فمعنى قوله: ﴿إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ يجوز أن يكون "إن ثبتُّم على[٢] التولّي"، ويجوز أن يكون[٣] "إن تولّيتم عن التوبة".

قوله: (لأنّ الكلام خطاب للمسلمين)، يعني قوله تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ﴾... إلخ، فإنّه تعالى يخاطب المسلمين بهذا الكلام ويُعلمهم البراءة.

قوله: (بمعنى الاستدراك)، يريد أنّ الاستثناء منقطع، و﴿إِلَّا﴾ بمعنى "لكن"، و﴿ٱلَّذِينَ﴾[٤] اسمه، وخبره ﴿فَأَتِمُّوٓاْ﴾.

---

[١] ن: تبتم.
[٢] ر: عن.
[٣] ن – أن يكون.
[٤] ن: الذين.

كما عدَتْ بنو بكرٍ على خُزاعَةَ عيبَةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وظاهرَتْهم قريشٌ بالسِّلاح حتى وفَدَ عمرُو بنُ سالمٍ الخُزاعيُّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنشد:

لاهُـــمَّ إنـــي نـــاشـــدٌ مـحـمـدًا ....

قوله: (كما عَدَت) إشارة إلى جواب سؤال، وهو أنّ الناكثين[1] لم يُظاهِروا على النبي صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه، فأجاب بأنّهم ظاهروا على عَيبته[2] فكأنّهم ظاهَروا عليه. «والعَداء بالفتح: تجاوز الحدّ والظلم. يقال: عدا عليه عَدوًا».[3] وقوله: (عَيبةِ[4] رسول الله صلّى الله عليه وسلّم) أي:موضع سرّه، قال عليه السلام: / «الأنصار كَرِشي وعَيبتي».[5] [٣٧٥ظ]

قوله:

(لاهُـــمَّ إنّـــي نـاشـد محمّدًا)[6] الأبيـات

"لاهمّ" أصله "اللّهمّ" فالميمان عوضان عن حرف النداء عند البصريين.[7] وجوّز سيبويهِ أن يكون "لاه" اسم الله تبارك وتعالى. قال الشاعر:

كـحـلـفـة[8] مِـــن أبـــي ريـــاحٍ يـسـمـعـه لاهـــهُ الـكُـبـــارُ[9]

أي: "إلهه". وأُدخلت عليه اللام فجرى مجرى العَلَم كـ"العبّاس"، وأصل[10] "لاهمّ": "يا لاه"،[11] أبدل[12] الميم مِن حرف النداء فصار "لاهمّ". وقوله: "ناشدٌ":

---

[1] ر: الناكس.

[2] ر: غيبته.

[3] الصحاح للجوهري، «عدا».

[4] ر: غيبته.

[5] صحيح البخاري، ٣٥/٥ (٣٨٠١)؛ صحيح مسلم، ١٩٤٩/٤ (١٥١٠).

[6] الأبيات لعمرو بن سالم الخُزاعي في السيرة النبوية لابن هشام، ٣٩٤/٢؛ ومرآة الزمان لسبط ابن الجوزي، ٦٦/٤؛ ومعجم البلدان للحمويّ، ٣٦٠/٥؛ والروض الأنف للسهيلي، ٥٤/٧.

[7] ر: البصر.

[8] ن: لحلفة؛ ر: بخلفة.

[9] ر: اللكبار. | البيت للأعشى في ديوانه، ص ٥٣؛ وهو له في البارع للقالي، ص ١٠٨؛ وسرّ صناعة الإعراب لابن جنّي، ٤٣٠/١؛ وهو بلا عزو في جمهرة اللغة لابن دريد، ٣٢٧/١، «كبر». قال ابن سِيده في المُحكَم، ١٢/٧، «كبر»: «كبُر كِبَرًا وكُبْرًا، فهو كبير وكُبار وكبّار».

[10] ر + وأصل.

[11] ن: إله.

[12] ن – أبدل.

حِـلـفَ أبيـنا وأبـيـكَ الأَتـلَـدَا ....

نَشَد الضالة: طلبها، نِشدانًا، مِن باب "طلب". ومنه قولهم في الاستعطاف: "نَشَدتُك بالله" و"اللهَ"، و"ناشَدتك[١] اللهَ" و"باللهِ"، أي: سألتك بالله وطلبتُ إليك بحقّه، وأمّا "أنشدك" مِن باب "أكرم" فخطأ. وقوله عليه السلام: 'إنّي أنشُدك عهدَك ووعدَك'،[٢] أي: أذكِّرك ما عاهدتني به وأطلبه منك. وقال عمرو بن سالم الخُزاعي:

لاهـمَّ إنّـي نـاشـدٌ محـمّـدًا حـلـفَ[٣] أبيـنا وأبـيـه الأتـلـدا
إنّ قـريـشًا أخـلـفـوك الـموعـدا هـم بيَّـتونا[٤] بـالـوتـير[٥] هُـجَّـدا

يعني اذكر له الحلفَ والعهد. و"الأتلد" أفعل التفضيل مِن التالد، بمعنى: القديم. وإنّما قال ذلك؛ لأنّه كان بين عبد المطّلب وبين خُزاعة حِلف قديم. ويقال: أخلفني موعده، أي: نقضه. والوتير بالراء، أي: ماء بأسفل مكّة، عن الغوري.[٦] وفي المغازي بالنون.[٧] ويقال: بيّتهم[٨] العدو إذا أتاهم ليلًا.[٩] مُغرِب.

وقوله: "الحِلف" «بالكسر: العهد بين القوم. وقد حالفه، أي: عاهده. وتحالفوا تعاهدوا.[١٠] وفي الحديث أنّه حالف بين قريش والأنصار، يعني: آخى بينهم؛ لأنّه لا حِلفَ في الإسلام».[١١] فقوله: (حِلفَ) متعلِّق بـ"ناشدٌ" أي: طالب مِن[١٢] محمّد إنجازَ عهد أبينا وأبيه.

وقوله: (أبيكَ) بطريق الالتفات. وقوله: "لاهمَّ" قال أبو عليّ في الحجّة:

---

[١] ن: ناشدتك.
[٢] مسند أحمد، ١٦٥/٥ (٣٠٤٢)؛ صحيح البخاري، ٤١/٤ (٢٩١٥).
[٣] ر + حلف.
[٤] ر: بينونا.
[٥] ر: بالوتين.
[٦] ن: العورى. | انظر: معجم البلدان للحمويّ، ٣٦٠/٥.
[٧] جاءت بالراء في مطبوع المغازي للواقدي، ١١٩/١، ٧٨٣/٢. وقال ياقوت الحموي في معجم البلدان، ٣٦٠/٥-٣٦١: «وربّما قاله بعض المحدِّثين بالنون في قول عمرو بن سالم الخُزاعي» وأنشد الأبيات.
[٨] ن: بيتم.
[٩] المغرب للمُطرّزي، «نشد».
[١٠] ر: وتعاهدوا.
[١١] الصحاح للجوهري، «حلف».
[١٢] ر – من.

إن قـريـشًـا أخـلـفـوكَ الـموعِـدا ونـقـضُـوا ذِمـامَـك الـمـؤكَّـدا
هـم بـيَّـتـونـا بـالـحـطـيـم هُـجَّـدا وقـتَّـلـونـا ركـعًـا وسُـجَّـدًا

فقال عليه الصلاة والسلام: «لا نُصِرتُ إن لم أنصُرْكم».

وقرئ: "لم ينقضوكم" بالضاد معجمةً؛ أي: لم ينقضوا عهدَكم.

ومعنى: ﴿فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ﴾: فأدُّوه إليهم تامًّا كاملًا، قال ابن عباس رضي الله عنه: بقي لحيٍّ من كنانةَ من عهدهم تسعةُ أشهر فأُتِمَّ إليهم عهدُهم.

﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٥﴾

"انسلخَ الشهر" كقولك: انجردَ الشهرُ، وسنَةٌ جَرداء.

زعم أبو الحسن أن منهم مَن يقول: "سلامُ عليكم" فلا ينوّن، وحمل ذلك على وجهين: أحدهما أنّه حذف الزيادة مِن الكلمة كما حذف الأصل مِن نحو قولك: "لم يكُ" و"لا أدرِ"[١] و﴿يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ﴾ [هود ١٠٥/١١]، والآخر أنّه لمّا كثر استعمال هذه الكلمة وفيه الألف حذف لكثرة[٢] الاستعمال،[٣] كما حذف مِن "اللّٰهمّ" وقيل: "لاهمّ".[٤]

قوله: (انجرد الشهر) الجَرَد: فضاء لا نباتَ[٥] فيه. وفرس أجردُ بين الجرد، وذلك إذا رقّت[٦] شعرته.[٧] والجريد: الذي يُجرد عنه الخوص، ولا يُسمّى جريدًا ما دام عليه الخوص، وإنّما يُسمّى سَعَفًا. وكلُّ شيء قشرته عن شيء فقد جردتَه عنه. وعام جريد: تامّ. ويقال: ما رأيته منذ أجردان ومذ[٨] جريدان، يعني يومين أو شهرين.[٩]

---

١ ن: أرد؛ ر: أدرى.
٢ ن: بكثرة.
٣ ن ر – الاستعمال.
٤ انظر: الحجّة للفارسي، ٣٦٣/٤.
٥ ر: الإنبات.
٦ ر: رفت.
٧ ن ر: شعره.
٨ ن ر: وجد.
٩ من قوله: "الجَرَد: فضاء" إلى هنا بلفظ قريب في الصحاح للجوهري، «جرد».

و﴿ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ﴾: التي أُبيح فيها للناكثين أن يَسيحوا.

﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ يعني: الذين نقضوكم وظاهروا عليكم ﴿حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ من حلّ أو حَرَمٍ ﴿وَخُذُوهُمۡ﴾ وَأْسِروهم، والأَخِيذ: الأسيرُ.

﴿وَٱحۡصُرُوهُمۡ﴾: وقيّدوهم وامنعوهم من التصرُّف في البلاد.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: حَصْرُهم: أن يُحالَ بينهم وبين المسجد الحرام.

﴿كُلَّ مَرۡصَدٖ﴾: كلَّ مَمَرٍّ ومُجتازٍ تَرْصدونَهم به، وانتصابُه على الظرف كقوله: ﴿لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الأعراف ١٦/٧].

﴿فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡ﴾: فأطلِقوا عنهم بعد الأَسْرِ والحصر، أَوْ فكفُّوا عنهم ولا تتعرَّضوا لهم؛ كقوله:

خلِّ السبيل لمَن يَبْني المنارَ به

قوله: (ترصدونهم به) أي: بكلّ ممرّ أو مجتاز.[1]

قوله: (فأطلِقوا عنهم بعد الأسر) هذا على[2] أن يكون ﴿وَٱحۡصُرُوهُمۡ﴾ مفسَّرًا[3] بالقيد والمنع مِن التصرُّف.

قوله: (أو فكفُّوا عنهم ولا تتعرَّضوا لهم) هذا على أن يكون معنى ﴿وَٱحۡصُرُوهُمۡ﴾ أن يحال بينهم وبين المسجد الحرام، وعلى التقديرين فمعنى ﴿خَلُّواْ سَبِيلَهُمۡ﴾ كناية عن الإطلاق أو عدم التعرُّض.

قوله:

(خلِّ السبيلَ لمَن يبني[4] المنارَ به)

تمامه:

وابرز ببَرْزة حيث اضطرك القدرُ[5]

---

[1] ر: مختار.

[2] ن ر – على.

[3] ن ر: مفسّر.

[4] ر: يثنى.

[5] البيت لجرير في ديوانه، ٢١١/١؛ وهو له في كتاب سيبويه، ٢٥٤/١؛ والصحاح للجوهري، «برز».

وعن ابن عباس رضي الله عنه: دعُوهم وإتيانَ المسجد الحرام.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يغفرُ لهم ما سلَف من الكفر والغدر.

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ⑥﴾

﴿أَحَدٌ﴾ مرتفعٌ بفعلِ الشرط مضمَرًا يفسِّرُه الظاهرُ، تقديره: وإن استجاركَ أحدٌ استجارك، ولا يرتفع بالابتداء؛ لأن "إنْ" من عوامل الفعل لا تدخل على غيره، والمعنى: وإن جاءك أحدٌ من المشركين بعد انقضاء الأشهر لا عهدَ بينك وبينه ولا ميثاقَ فاستأمَنَك ليسمعَ ما تدعو إليه من التوحيد والقرآن وتبيينِ ما بُعِثتَ له فآمِنْه ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ ويتدبَّرَه ويَطَّلِعَ على حقيقة الأمر.

﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ﴾ بعد ذلك دارَه التي يأمَنُ فيها إنْ لم يُسْلِمْ، ثم قاتِلْه إن شئتَ من غير غَدْرٍ ولا خيانةٍ، وهذا الحكمُ ثابتٌ في كلِّ وقت.

وعن الحسن رضي الله عنه: هي محكَمةٌ إلى يوم القيامة.

بَرْزة هي اسم أمّ[1] عمرو[2] بن لجأ التيمي، والبيت لجرير يهجو به لجأ. قاله في **الصحاح**،[3] أي: لا تتعرَّض لمَن يبني[4] المنار بالسبيل وكفَّ عنه. ويدلّ على أنّ المعنى هذا استشهادُ المصنّف وكلام صاحب **الصحاح**. وقيل: معناه: اترك سبيل الرشاد لمَن يطلبه ويعمره فهو أحقّ به. وأبرز ببرزة، أي: طريق الغيّ والضلال الذي اضطرك قضاء الله تعالى[5] / وقدره إليه.[6] [٣٧٦و]

قوله: (**بعد انقضاء الأشهر**)؛ لأنّ المشركين لا يجوز تعرُّضهم قبل انقضاء الأشهر.

قوله: (**وعن الحسن: هي مُحكَمة**)،[7] أي: لم تُنسَخ، وليس المراد بالمُحكَم أنّه نقيض المتشابه.

---

[1] ن ر – أمّ.

[2] في مطبوع الصحاح: عمر.

[3] انظر: الصحاح للجوهري، «برز».

[4] ر: يثنى.

[5] ر – تعالى.

[6] هذا التفسير للبيت مذكور بلفظ قريب في فتوح الغيب للطِّيبي، ٧/١٨٠.

[7] انظر: معالم التنزيل للبغوي، ٤/١٤ (التوبة، ٩/٦).

وعن سعيد بن جبير: جاء رجلٌ من المشركين إلى عليٍّ رضي الله عنه فقال: إن أراد الرجلُ منّا أن يأتي محمدًا بعد انقضاء هذا الأجل ليَسمع كلامَ الله أو يأتيه لحاجة قُتِل؟ قال: لا؛ لأن الله يقول: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ﴾ الآية.

وعن السدِّي والضحَّاك: هي منسوخةٌ بقوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: ذلك الأمرُ، يعني: الأمرَ بالإجارة في قوله: ﴿فَأَجِرْهُ﴾.

﴿بِ﴾سبب ﴿أنهم﴾ قومٌ جهَلةٌ ﴿لَّا يَعْلَمُونَ﴾ ما الإسلامُ، وما حقيقةُ ما تدعو إليه، فلا بدَّ من إعطائهم الأمانَ حتى يسمعوا ويفهموا الحقَّ.

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٧﴾

﴿كَيْفَ﴾ استفهامٌ في معنى الاستنكار والاستبعادِ لأنْ يكون للمشركين عهدٌ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أضدادٌ وَغِرَةٌ صدورُهم، يعني: محالٌ أن يَثبت لهؤلاء عهدٌ، فلا تطمَعوا في ذلك، ولا تُحدِّثوا به نفوسَكم، ولا تُفْكِروا في قتلهم.

ثم استدرك ذلك بقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ﴾؛ أي: ولكن الذين عاهدتُم منهم ﴿عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ ولم يَظهر منهم نكثٌ؛ كبني كنانة وبني ضَمْرةَ، فتربَّصوا أمرهم ولا تقاتلوهم.

قوله: (وَغِرَة صدورهم) الوَغْرة: شدة توقد الحر، ومنه في صدره[١] عليّ وَغْر، أي: ضِغن وعداوة وتوقُّد مِن الغيظ. وقد وَغِر صدرُه عليّ يَوغَر[٢] ويغِر[٣] بالكسر، فهو واغِر الصدر عليَّ وَغْرة.[٤]

قوله:[٥] (ولا تُفكِروا) الرِّواية بتخفيف الكاف المكسورة. الجوهري: «أفكَر في الشيء وفكَّر فيه وتفكَّر بمعنًى».[٦]

---

[١] ن ر: صدوره.
[٢] ن ر - يوغَر.
[٣] ر - ويغر.
[٤] من قوله: "الوغرة" إلى هنا في الصحاح للجوهري، «وغر».
[٥] ن - قوله.
[٦] الصحاح للجوهري، «فكر».

﴿فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ﴾ على العهد ﴿فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡ﴾ على مثله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ يعني: أن التربُّص بهم من أعمال المتقين.

﴿كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ وَأَكۡثَرُهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨﴾

﴿كَيۡفَ﴾ تكرارٌ لاستبعادِ ثبات المشركين على العهد، وحُذف الفعل لكونه معلومًا؛ كما قال:

وخَبَّرْتُماني أنَّما الموتُ بالقُرى   فكيف وهاتا هَضْبَةٌ وقَلِيبُ

يريد: فكيف مات؟!

قوله:

(وخبَّرتماني)[1] البيت

أوّله:

لعمركما إنّ البعيد الذي مضى   وإنّ الذي يأتي غدًا لقريبُ[2]

البيت لكعب الغَنَوي يرثي أخاه ويقول لصاحبيه: خبّرتماني أنّما الموت يكون بالقرى فكيف مات أخي؟ وهاتا هضبة وبئر، بمعنى: قلتم: إنّ مَن يسكن الأمصار والقرى يمرض بالوباء[3] الذي يكون في[4] الأمصار،[5] فكيف مات أخي في هذا الموضع وهو برّيّة. يقول: خبّرتماني أنّ الموت مختصّ بالقُرى، فكيف مات هذا ببدو، يعني أنّ الموت لا يختصّ بالحضر. «والهضبة: الجبل المنبسط على وجه الأرض، والجمع هَضْب[6] وهِضَب وهِضاب».[7]

---

[1] البيت لكعب بن سعد الغَنَوي في كتاب سيبويه، ٤٨٧/٣؛ والأصمعيّات للأصمعي، ص ٩٧؛ وأمالي القالي، ١٥١/٢؛ ومنتهى الطلب لابن ميمون، ٣٩٣/٦؛ والدرّ الفريد لابن أيدمر، ١٠٩/٦.

[2] البيت لكعب بن سعد الغَنَوي في منتهى الطلب لابن ميمون، ٣٩٣/٦.

[3] ن ر: الوباء.

[4] ر – في.

[5] ر: بالأمصار.

[6] ن ر – هضب.

[7] الصحاح للجوهري، «هضب».

أي: ﴿كَيْفَ﴾ يكون لهم عهدٌ ﴿و﴾حالُهم أنهم ﴿إن يظهروا عليكم﴾ بعدما سبق لهم من تأكيد الأيمان والمواثيق لم ينظروا في حلفٍ ولا عهدٍ ولم يُبقوا عليكم؟

﴿لَا يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلًّا﴾: لا يُراعوا حِلْفًا، وقيل: قرابةً، وأُنشد لحسَّانَ رضي الله عنه:

لَعَمْرُكَ إنَّ إلَّكَ من قريشٍ كإلِّ السَّقْبِ من رَألِ النَّعامِ

وقيل: ﴿إِلًّا﴾: إلهًا، وقرئ: "إيلًا" بمعناه، وقيل: "جبرئيلُ وجبرئلُّ" من ذلك، وقيل: منه اشتقَّ الآلُ بمعنى القرابة كما اشتُقَّت الرَّحِمُ من الرحمن. والوجهُ: ....

قوله: (لم يُبقوا عليكم) أي:لم يرحموكم.

قوله:

(لَعمرُك إنَّ إلَّك)[1] البيت

(السَّقْب): «الذَّكر مِن ولد الناقة. ولا يقال: للأنثى[2] سَقْبة، ولكن حائل».[3] و"الرأل": ولد النعام. يخاطب أحدًا ينكر قرابته مِن قريش يقول: قرابتك مِن قريش كقرابة[4] ولد الناقة وولد النعام، وليس بينهما مناسبة.

قوله: (والوجهُ)... إلخ، عطف على جملة قوله: (وقيل: منه اشتقّ[5] الآل) وأشار المصنّف بهذا الكلام إلى أنّ المناسب أن يقال: "الإلّ" بمعنى الحَلِف مشتقّ[6] مِن الآل بالفتح بمعنى الجؤار،[7] للمناسبة المذكورة والمغايرة في اللفظ، ثمّ قيل للقرابة: "إلّ" للمناسبة بينها وبين العهد والميثاق؛ وذلك لأنّ العقد الذي يحصل للرجلين[8] بسبب القرابة أقوى وأوثق مِن الذي يحصل

---

[1] البيت لحسّان بن ثابت رضي الله عنه، في ديوانه، ٣٩٤/١؛ وهو له في الصحاح للجوهري، «ألل»؛ وأمالي القالي، ٤١/١؛ والفائق للزمخشري، ١٨/٤.
[2] ر: الأنثى.
[3] الصحاح للجوهري، «سقب».
[4] ر: كفرانه.
[5] ر: استواء.
[6] ر: مستو.
[7] ر: الجواز.
[8] ن ر: الرجلين.

أنّ اشتقاق الإلّ بمعنى الحَلِف؛ لأنّهم إذا تماسحوا وتحالفوا رفعوا به أصواتَهم وشَهَّرُوه، من الألِّ وهو الجُؤارُ، وله أَلِيلٌ؛ أي: أنينٌ يرفع به صوتَه، ودَعَتْ أَلَلَيها: إذا وَلْوَلَتْ، ثمّ قيل لكلّ عَهْدٍ وميثاقٍ: إلٌّ، وسُمِّيت به القرابةُ؛ لأنّ القرابةَ عَقَدَتْ بين الرجلين ما لا يعقِده الميثاقُ.

بسبب الميثاق والعهد. فكأنّ المصنّف قال: الوجهُ أن يبيّن الاشتقاق بهذا الوجه لا بالوجه المذكور أوّلًا.

قوله: (مِن الألّ[1] وهو الجؤار)[2] خبر (أنّ اشتقاق)، يريد أنّ "الإلّ" بكسر الهمزة بمعنى الحَلِف مشتقّ مِن "الألّ" بالفتح، ثمّ أشار إلى وجه الاشتقاق بقوله: (لأنّهم إذا تماسحوا)... إلخ، فقدّم العلّة على الحُكم.

قوله: "مِن الألّ وهو الجؤار"...[3] إلخ، خبر "إنّ".[4] وقوله: (بمعنى الحَلِف) حال مِن "الإلّ"،[5] والتعليل معترض بين الاسم والخبر، يعني: الوجه الصحيح أن يقال: إنّ "الألّ" في اللغة الجؤار[6] مع رفع الصوت، واشتُقّ[7] منه الحَلِف لِما فيه مِن رفع الصوت، ثمّ كثُر استعماله في الحَلِف حتّى اشتهر في كلّ حَلِف وإن لم يكن فيه رفع الصوت، ثمّ استُعمل في كلّ عقد موثّق سواءٌ كان فيه الحَلِف أم لم يكن، ولمّا وُجد هذا المعنى في القرابة أكثر كانت تسميتها به أَولى، وإليه الإشارة بقوله: (لأنّ[8] القرابة عَقَدت بين الرجلين ما لا يعقِده الميثاق). وإنّما كان هذا الوجه أوجَه مِن كونه مشتقًّا مِن "الإلّ" الذي هو بمعنى "الإلّة"؛ لأنّ المأخوذ منه إذا كان عربيًّا[9] كان أولى مِن كونه سريانيًّا. قال الزجّاج: وقيل: الإلّ: اسم مِن أسماء الله تعالى. وهذا[10] ليس بالوجه؛ لأنّ أسماء الله تعالى[11] معروفة معلومة في الكتاب والسنّة، ولم يُسمَع يا إلّ.[12]

---

[1] ر: الألى.
[2] ر: الجواز.
[3] ر: الجواز.
[4] هذه الحاشية تكرير للتي قبلها، كما هو ظاهر.
[5] ن: الأول.
[6] ر: الجواز.
[7] ر: فاشتق.
[8] ر: إلّا أن.
[9] ر: غريبًا.
[10] ر: فهذا.
[11] ر – تعالى.
[12] انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجّاج، ٢/٤٣٣-٤٣٤.

﴿يُرْضُونَكُم﴾ كلامٌ مبتدأٌ في وصف حالهم من مخالفةِ الظاهرِ الباطنَ، مُقرِّرٌ لاستبعاد الثبات منهم على العهد.

وإباءُ القلوب: مخالفةُ ما فيها من الأَضغان؛ لِمَا يُجْرونَه على ألسنتهم من الكلام الجميل.

[٣٧٦ظ] قوله: / (وله أليلٌ)[١] تقديره: "ويقال: له أليلٌ"، وهذا لبيان[٢] معنى الجؤار[٣] والصوت في الألّ.

قوله: (ودَعَت أَلَلَيها)[٤] عطف على قوله: "وله أليل"، أي: يقال كذا ويقال كذا. الجوهري: «ويجوز أن يريد الألل،[٥] ثمّ ثنّى، كأنّه يريد صوتًا بعد صوت. وذكر أبو عبيدة[٦] أنّه يجوز أن يريد حكاية أصوات النساء بالنبطيّة إذا صرخْنَ».[٧]

قوله: (ثمّ قيل لكلّ عهد) وإن لم يكن هناك رفعُ صوت.

قوله: (وإباءُ القلوب: مخالفةُ ما فيها مِن الأضغان[٨] لِما يجرونه) "إباء القلوب" مبتدأ و"مخالفة" ما فيه الخبر، و"ما يُجرونه"[٩] على ألسنتهم متعلِّق بالمخالفة، والجملة تفسير لقوله: ﴿تَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾، يعني: معناه:[١٠] تأبى قلوبهم مخالفةَ الباطن الظاهرَ، أمّا الباطن فما في القلوب مِن الحقد، وأمّا الظاهر فهو إجراء كلمة الرضى على ألسنتهم.

قوله: (تَزَعُهم) أي:تمنعهم وتكفّهم.

قوله: (كما يوجد ذلك) أي:كالشمائل التي توجد في بعض الكفَرة، ثمّ بيّن الشمائل، أي: الشمائل المرضيّة بقوله: (مِن التفادي)... إلخ، فإنّ بعض الكفَرة

---

١ ن: الليل.
٢ ن ر: البيان.
٣ ر: الجواز.
٤ ن: أليلها.
٥ ن: الألك.
٦ في مطبوع الصحاح: عبيد.
٧ الصحاح للجوهري، «ألل».
٨ ر: الأضعاف.
٩ ر - "إباء القلوب" مبتدأ و"مخالفة ما فيه" الخبر، و"ما يُجرونه".
١٠ ن ر: معنى.

﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ﴾: مُتمرِّدون خُلَعاءُ لا مُرَوءةَ تَزَعُهم ولا شمائلَ مرضيَّةَ تَرْدَعُهم؛ كما يُوجد ذلك في بعض الكَفَرة من التَّفادي عن الكَذِب والنَّكْث، والتعفُّفِ عما يَثلِمُ العِرضَ ويَجُرُّ أُحدُوثَةَ السُّوء.

﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾
لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿ٱشْتَرَوْا۟﴾: استبدَلوا ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: بالقرآن والإسلام ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ وهو اتِّباع الأهواء والشهوات ﴿فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ﴾: فعدَلوا عنه، أو صَرفوا غيرَهم.

وقيل: هم الأعراب الذين جمعهم أبو سفيان وأطعمهم.

قد يتفادى عن الكذب بخلاف هؤلاء، يقال: تفادى الرجل مِن كذا إذا تحاماه. و"مِن" متعلِّق بـ(تردعهم).

قوله: (﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ متمرِّدون خلعاء)[1] الكافر إذا وُصف بالفسق[2] دلَّ على نهاية ما هو فيه مِن الكفر ودلَّ بمفهومه أنَّ بعضهم ليسوا كذلك، وهو المراد مِن قوله: (كما يوجد ذلك في بعض الكفرة[3] مِن التفادي عن الكذب).

قوله: (أُحدوثة السّوء) قال الفرّاء: نرى أنّ واحد الأحاديث أُحدوثة، ثمّ جعلوه جمعًا للحديث.

قوله: (أو صرفوا غيرهم)، يعني قوله تعالى: ﴿فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ﴾ إمّا لازم مِن الصدود، أي: العدول أو متعدّ مِن صدّه إذا صَرَفه.

قوله: (وقيل: هم الأعراب) عطف على محذوف يدلّ عليه قوله: (وهو اتّباع الأهواء والشهوات)؛ لأنّ الثمن القليل على الأوّل مجاز عن استبدال الإيمان بمتابعة الشهوات والمشتري جميع الكفّار أو المنافقون، وعلى الثاني الثمن القليل

---

١ ر: خلفاء.
٢ ر: بالعشق.
٣ ن: الكفر.

﴿هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ﴾: المجاوِزُون الغايةَ في الظلم والشرارة.

﴿فَإِن تَابُوا۟﴾ عن الكفر ونقضِ العهد.

﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾: فهم إخوانكم، على حذف المبتدأ؛ كقوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ [الأحزاب ٥/٣٣].

﴿وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾: ونُبيِّنُها، وهذا اعتراضٌ كأنه قيل: وإنَّ مَن تأمَّل تفصيلَها فهو العالِمُ؛ بعثًا وتحريضًا على تأمُّل ما فصَّل من أحكام المشركين المعاهَدين، وعلى المحافظة عليها.

ما أطعمهم أبو سفيان والمشتري الأعراب. ثمّ المناسب على الأوّل أن يكون ﴿صَدُّوا۟﴾ بمعنى عدلوا، وعلى الثاني بمعنى صرفوا. والتفسير الأوّل أقرب إلى النظم؛ لأنّ قوله: ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ جملة مستأنفة كالتعليل لقوله: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾، وفيه أن مَن فسق وتمرّد كان سببه مجرّد اتّباع الشهوات والركون إلى الدنيا ولذاتها.

قوله: (كقوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾) قال الله تعالى: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِـَٔابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾[1] [الأحزاب ٥/٣٣].

قوله: (وهذا اعتراضٌ) أي:قوله تعالى:[2] ﴿وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾ جملة معترضة.

قوله: (﴿وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾: ونُبيّنها، وهذا اعتراض) أي:تأكيد لمضمون ما سبق[3] مِن أوّل السورة وتمام[4] الإيراد، ومِن ثمّة[5] قال: (وإنّ مَن تأمّل تفصيلها). وقوله: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ مطلق، نحو "فلان يعطي ويمنع"، ولهذا قال: (فهو العالم). وفي كلامه وهو (إنّ مَن تأمّل تفصيلها فهو العالم) إشعار أنّ ﴿يَعْلَمُونَ﴾ وُضع موضع "يتفكّرون" و"يتأمّلون" وضعًا للمسبّبة[6] موضعَ السبب بعثًا وتحريضًا؛ لأنّ العلم مطلوب لذاته، فالسامع إذا سمع ذلك اجتهد في التأمُّل والتدبير لينخرط[7] في سِلك العالمين.

---

[1] ر – قال الله تعالى: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِـَٔابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾.

[2] ر – تعالى.

[3] ر: سيق.

[4] ر: وعام.

[5] ر: ثم.

[6] ر: للمسبب.

[7] ن: ليخرط.

﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ١٢﴾

﴿وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمْ﴾: وثلَبُوه وعابُوه ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ﴾: فقاتِلوهم، فوُضع ﴿أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ﴾ موضع ضميرهم إشعارًا بأنهم إذا نكثوا في حال الشرك تمرُّدًا وطُغيانًا وطرحًا لعادة الكِرام الأَوْفياء من العرب، ثم آمنوا وأقاموا الصلاةَ وآتوا الزكاة وصاروا إخوانًا للمسلمين في الدِّين، ثم رجعوا فارتدُّوا عن الإسلام ونكَثوا ما بايعوا عليه من الأَيمان والوفاء بالعهود وقعدوا يَطْعنون في دين الله ويقولون: ليس دينُ محمد بشيء، فهم أئمةُ الكفر وذوو الرياسة والتقدُّم فيه لا يَشُقُّ كافرٌ غبارَهم.

وقالوا: إذا طعن الذِّمِّيُّ في دين الإسلام طعنًا ظاهرًا جاز قتله؛ لأن العهد معقودٌ معه على أن لا يَطعن، فإذا طَعَن فقد نكثَ عهدَه وخرج من الذمَّة.

﴿إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ﴾: جمعُ يمينٍ، وقرئ: ﴿لا إيمان لهم﴾؛ أي: لا إسلام لهم، أو: لا يُعطَوْن الأمانَ بعد الرِّدَّة والنَّكثِ ولا سبيل إليه.

فإن قلتَ: كيف أثبتَ لهم الأَيمان في قوله: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم﴾ ثم نفاها عنهم؟

قلتُ: أراد أيمانَهم التي أظهروها، ثم قال: لا أيمانَ لهم على الحقيقة وأيمانُهم ليست بأيمانٍ، وبه استَشهد أبو حنيفة رحمه الله على أن يمين الكافر لا تكون يمينًا، ....

قوله: (وقالوا: إذا طعن الذِّمّي)... إلخ، إشارةٌ إلى وجه آخرَ، وهو أنّ المراد بالطعن والنكث ههنا طعنُ الكافر / الأصليّ لا[1] المرتدّ، فتأمّل فيه. [٣٧٧و]

قوله: (وبه استشهد أبو حنيفة رحمه الله تعالى[2] على أنّ يمين الكافر لا تكون يمينًا) حتّى لو أسلم بعد انعقاد اليمين وحنث فيه لا كفارةَ فيه عنده،[3] وعند الشافعي رحمه الله تعالى[4] عليه الكفارة.[5]

---

١ ن ر: إلى.
٢ ر – تعالى.
٣ انظر تفصيله في بدائع الصنائع للكاساني، ٣/١١.
٤ ر – تعالى.
٥ انظر: المجموع للنووي، ١٨/٢٩.

وعند الشافعي رحمه الله: يمينُهم يمينٌ، وقال: معناه: أنهم لا يُوفون بها، بدليلِ أنه وصَفَها بالنَّكْث.

﴿لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ متعلِّق بقوله: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ﴾؛ أي: ليكنْ غرضُكم في مقاتَلَتِهم بعدما وُجد منهم ما وُجد من العظائم أن تكون المقاتَلةُ سببًا في انتهائِهم عمَّا هم عليه، وهذا من غاية كَرَمه وفَضْله وعَوْدِه على المسيء بالرحمة كلما عاد.

فإن قلتَ: كيف لفظُ ﴿أَئِمَّةَ﴾؟

قلتُ: همزةٌ بعدها همزةٌ بينَ بينَ؛ أي: بين مخرجِ الهمزة والياء، وتحقيقُ الهمزتين قراءةٌ مشهورةٌ وإن لم تكن بمقبولةٍ عند البصريين، وأما التصريحُ بالياء فليس بقراءةٍ، ولا يجوز أن تكون، ومَن صرَّح بها فهو لاحِنٌ مُحرِّفٌ.

قوله: (وعند الشافعي) قال الإمام: وعند الشافعي أنّ يمينهم يمين، ومعنى الآية أنّهم لمّا[1] لم يفوا بها صارت[2] أيمانهم كأنّها ليست بأيمان. والدليل على أنّ[3] أيمانهم أيمان أنّه تعالى وصفها بالنكث.[4] قلتُ: ومثله[5] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة ١٠٢/٢]. قال صاحب المفتاح: وصف أهل الكتاب في صدره بالعلم على سبيل التوكيد القسميّ، وآخره نفاه عنهم حيث لم يعملوا بعلمهم.[6]

قوله: (فليس بقراءة) خطأ؛ لأنّ أكثر القرّاء يقرءون بهمزة بعدها ياء مكسورة، وبعضُهم بياء مكسورة كسرة خفيفة.

قوله: (ولا يجوز أن تكون) خطأ ثانٍ؛ لأنّ الزجّاج قال: في "أئمّة" عند النحويين لغة واحدة بهمزة وياء. قال: والقرّاء يقرءون ﴿أيمّة﴾[7] و﴿أَئِمَّةَ﴾[8] بهمزة

---

[1] ن ر - لمّا.

[2] ر: صات.

[3] ر - أن.

[4] انظر: تفسير الرازي، ٢٤٣/١٥.

[5] ر: مثله.

[6] انظر: مفتاح العلوم للسكّاكي، ص ٢٦٠.

[7] قرأ بها نافع وأبو عمرو وابن كثير وأبو جعفر ورُويس. النشر لابن الجزري، ٣٧٨/١.

[8] قرأ بها ابن عامر وعاصم والكسائي وحمزة وخلف ورَوح. النشر لابن الجزري، ٣٧٨/١.

﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣﴾

﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ﴾ دخلت الهمزة على "لا تقاتلون" تقريرًا بانتفاءِ المقاتَلة، ومعناه: الحضُّ عليها على سبيل المبالغة.

﴿نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ﴾ التي حلَفوها في المعاهَدة ﴿وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ﴾ من مكةَ حين تشاوَروا في أمره بدارِ الندوة حتى أَذِنَ اللهُ له في الهجرة فخرج بنفسه.

﴿وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾؛ أي: وهم الذين كانت منهم البَداءةُ بالمقاتَلة؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءهم أوَّلًا بالكتاب المنير وتحدَّاهم به، فعدَلوا عن المعارَضة -لعَجْزهم عنها- إلى القتال، فهم البادئون بالقتال والبادئُ أظلمُ، فما يمنَعُكم من أن تُقاتلوهم بمثله وأن تَصدِموهم بالشرِّ كما صَدَموكم؟

وياء وبهمزتين.[١] قال الشيخ في الكواشي: «زعم بعضهم أنّ التصريح بالياء ليس بقراءة، ولا يجوز أن يكون، ومَن[٢] صرح بها فهو لاحنٌ[٣] محرِّف. وفي زعمه نظر؛ لأنّ أكثر القرّاء يقرءون بهمزة بعدها ياء مكسورة وبعضهم بياء مكسورة كسرة[٤] خفيفة».[٥]

قوله: (تقريرًا بانتفاء المقاتلة)[٦] "تقريرًا" مِن الإقرار لا[٧] مِن القرار، أي: أقرّهم، يعني: يُجعلهم مقرّين به،[٨] ثمّ يوبّخهم على ذلك فيحصل التخصيص. ويجوز أن يكون مِن القرار فيقرّر ويحقّق أنّهم[٩] لا يقاتلون، ثمّ يوبخهم على ذلك.

قوله: (والبادئ أظلم) مثال مشهور بين الناس أورده المصنّف لبيان ظلم هؤلاء؛ لأنّ الظلم مشترك وهم أظلم. ويجوز أن يكون "أظلم" هنا بمعنى الظالم، ويكون اللام في "البادئ" في هذا الموضع للعهد، فكأنّه قال: هؤلاء البادئون ظالمون.

---

١ انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجّاج، ٢/٤٣٤.
٢ ن ر: مَن.
٣ ر: لاحين.
٤ ر – كسرة.
٥ تفسير الكواشي، ٢١٩ظ.
٦ ن ر: المقابلة.
٧ ن ر – لا.
٨ ر – به.
٩ ن ر: أنّه.

وبَّخهم بترك المقاتَلة وحضَّهم عليها، ثم وصفهم بما يُوجب الحضَّ عليها، ويقرِّرُ أن مَن كان في مثلِ صفاتهم مِن نَكْث العهد وإخراجِ الرسولِ والبدءِ بالقتال من غير موجِبٍ حقيقٌ بأن لا تُترَك مصادَمَتُه وأن يوبَّخ مَن فَرَّط فيها.

﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾ تقريرٌ بالخشية منهم وتوبيخٌ عليها.

﴿فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾ فتُقاتلوا أعداءَه ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ يعني: أن قضيَّة الإيمان الصحيح أن لا يَخشى المؤمنُ إلَّا ربَّه ولا يُباليَ بمن سواه؛ كقوله: ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب ٣٣/٣٩].

﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾

لمّا وبَّخهم الله على ترك القتال جَرَّدَ لهم الأمرَ به فقال: ﴿قَٰتِلُوهُمْ﴾ ووعَدَهم -ليُثبِّتَ قلوبَهم ويُصحِّحَ نيَّاتهم- أنه يعذِّبهم بأيديهم قتلًا ويُخزيهم أسرًا، ويُوليهم النصرَ والغَلَبَةَ عليهم.

﴿وَيَشْفِ صُدُورَ﴾ طائفةٍ من المؤمنين وهم خُزاعةُ، قال ابن عباس رضي الله عنه: هم بطونٌ من اليَمَنِ ....

قوله: (وبّخهم) جملة مستأنفة لبيان ما تقدَّم. فقوله: وبَّخهم، أي: بقوله: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ﴾. وقوله: (وصفهم) أي:بقوله: ﴿نَّكَثُوٓاْ﴾... إلخ.

قوله: (مَن فرّط فيها) "مَن" مفعول (يوبَّخ) قائم مقام فاعله.

قوله: (تقريرٌ بالخشية)[1] الباء في "بالخشية"[2] كالباء في "بانتفاء"، يدلّ على أنّ التقدير هنا: فتقول مِن الإقرار، أي: يجعلهم مقرّين.

قوله: (جرّد لهم الأمر به)، يعني: لمّا أمرهم بالقتال في ضمن الاستفهام التوبيخي في قوله: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ﴾ صرّح الأمر به في قوله: ﴿قَٰتِلُوهُمْ﴾ تقريرًا وتأكيدًا.

قوله: (وهم خزاعة) كما مرّ عن قريب.

---

[1] ن: بالحسبة.

[2] ن: بالحسبة.

وسَبأٍ قَدِموا مكّة فأسلموا، فلَقُوا من أهلها أذًى شديدًا، فبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يَشْكُون إليه فقال: «أبشِرُوا فإن الفرَجَ قريبٌ».

﴿وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡ﴾ لِمَا لقيتُم منهم من المكروه.

وقد حَصَّل الله لهم هذه المواعيدَ كلَّها، فكان ذلك دليلًا على صدقِ رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحَّةِ نبوَّته.

﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ ابتداءُ كلامٍ وإخبارٌ بأن بعضَ أهل مكّة يتوبُ عن كفره، وكان ذلك أيضًا فقد أسلم ناسٌ منهم وحسُنَ إسلامُهم.

وقرئ: ﴿ويتوبَ﴾ بالنصب بإضمار "أنْ" ودخولِ التوبة في جملةِ ما أُجيب به الأمرُ من طريق المعنى.

قوله: (وسبأ) سبأ: اسم رجل وَلَد عامّة قبائل اليمن، وهو[1] سبأ بن يشحب بن يعرب بن قحطان، يُصرَف ولا يُصرَف.

قوله: (وقرئ: "وَيَتُوبَ"[2] بالنصب بإضمار "أن") هذا النصب يؤدّي مؤدّى الجزم، أي: يفيد المعنى الذي يفيده الجزم. وقوله: (ودخولِ التوبة في جملة ما أجيبَ به الأمر مِن طريق المعنى) يكون حينئذٍ قوله: "وَيَتُوبَ" مِن جملة أجوبة الأمر مِن حيث المعنى، وهو على طريقة قوله تعالى: ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن﴾ [المنافقون ٦٣/١٠]؛ لكن هذا عكس ذلك، وكلاهما ممّا حُمل على المعنى، فكأنّه قيل ههنا: "فأن يعذِّبَ ويتوبَ". ففي الأوّل جُعل ما فيه الفاء كأن ليست فيه فجُزم،[3] وههنا جُعل ما ليست فيه كأنّها فيه فنُصب.[4] قال ابن جنّي:

> هي قراءة الأعرج وابن أبي إسحاق وعيسى[5] وعمرو بن أبي عبيد، ورُويت عن أبي عمرو، فالتوبة داخلة في جملة الشرط معنًى؛ لأنّ التقدير:

---

[1] ن – هو.

[2] قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن وزيد بن عليّ، وفهد بن الصقر ورَوح بن قرّة كلاهما عن يعقوب، ويونس عن أبي عمرو. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٩٠٧؛ النشر لابن الجزري، ٢/٢٧٨.

[3] ر: بحزم.

[4] ر: فنصبت.

[5] ن ر: عيسى.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ يعلمُ ما سيكونُ كما يعلمُ ما قد كان ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يَفعل إلّا ما اقتضَتْه الحكمةُ.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿أَمْ﴾ منقطعةٌ، ومعنى الهمزةِ فيها التوبيخُ على وجود الحسبان، والمعنى: إنكم لا تُتركون على ما أنتم عليه حتّى يَتبيَّنَ الخُلَّصُ منكم -وهم الذين جاهدوا في سبيل الله لوجه الله ولم يتَّخذوا ﴿وَلِيجَةً﴾؛ أي: بطانة- من الذين يضادُّون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين.

﴿وَلَمَّا﴾ معناها التوقُّعُ، وقد دلَّتْ على أنَّ تبيُّنَ ذلك واتِّضاحَهُ متوقَّعٌ كائنٌ، وأن الذين لم يُخلِصوا دينَهم اللهُ يَميزُ بينهم وبين المخلِصين.

وقوله: ﴿لم يتَّخذوا﴾ معطوفٌ على ﴿جَٰهَدُواْ﴾ داخلٌ في حيّز الصلة؛ كأنه قيل:

[٣٧٧ظ] إن تقاتلوهم / تكن هذه الأشياء مِن قوله تعالى: ﴿يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ إلى ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾. وفيه ضرب مِن التعسُّف؛ لأنّ هذه الحال موجودة مِن الله قاتَلوهم أو لم يُقاتِلوهم، فلا وجة لتعليقها بقتالهم إلّا أن يقال: هو كقولك: "إن تزرني أُحسِنُ إليك وأعطيَ زيدًا درهمًا"، فتنصبه على إضمار "أن، أي: إن تزرني أجمع بين الإحسان إليك والإعطاء لزيد. والوجه قراءة الجماعة على الاستئناف.[١]

تمّ كلامه.

قوله: (ومعنى الهمزة فيها التوبيخُ) خبر المبتدأ.

قوله: (حتّى يتبيّن) متعلِّق بـ(تتركون).[٢]

قوله: (منكم) بيان (الخلَّص) أو ببعض. وقوله: (مِن الذين) متعلِّق بقوله: (يتّخذوا)، إذ هو تفسير قوله تعالى: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾. وقوله: (﴿وَلِيجَةً﴾) وَليجة الرجل: خاصّته وبِطانته.

---

[١] انظر: المحتسب لابن جنّي، ١/٢٨٤-٢٨٥.
[٢] ن ر - بـ(تتركون).

ولمَّا يعلم الله المجاهدين منكم والمخلِصين غيرَ المتَّخِذين وليجَةً من دون الله.

والوليجةُ: فعيلةٌ من وَلَج، كالدَّخيلة مِن دَخَل، والمراد بنفي العلم نفيُ المعلوم؛ كقول القائل: ما عَلِم اللهُ منِّي ما قيل فيَّ، يريد: ما وُجد ذلك منِّي.

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ﴾: ما صحَّ لهم وما استقام ﴿أَن يَعْمُرُوا مَسْجِدَ ٱللَّهِ﴾ يعني: المسجدَ الحرام؛ لقوله: ﴿وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [التوبة ١٩/٩]، وأمّا القراءة بالجمع ففيها وجهان:

أحدهما: أن يراد المسجدَ الحرام، وإنما قيل: ﴿مَسَٰجِدَ﴾؛ لأنه قِبلةُ المساجد كلِّها وإمامُها، فعامِرُه كعامرِ جميع المساجد؛ ولأن كلَّ بُقعةٍ منه مسجدٌ.

والثاني: أن يراد جنسُ المساجد، وإذا لم يَصْلُحوا لأنْ يَعمرُوا جنسَها دخلَ تحت ذلك أنْ لا يَعْمروا المسجد الحرام الذي هو صدرُ الجنس ومقدِّمتُه،

قوله: (والمراد بنفي العلم نفيُ المعلوم)، فيصير المعنى: ولم يتحقَّق ولم يثبت المجاهدون والمخلِصون.

قوله: (لقوله: ﴿وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾) دلّ على أنّ المراد بمسجد الله ههنا المسجد الحرام، ووجهُ[1] القراءة على لفظ الواحد ظاهر.

قوله: (كلّ بقعة منه مسجد) إن أراد المصنّف أنّه موضع يسجد فيه فالصواب في قوله: "مَسْجَد" فتح الجيم؛ لأنّ "المَسْجَد" بمعنى موضع السجود، وإنّما جاء بفتح الجيم على القياس. كذا قال سيبويه.[2] وأمّا بكسر الجيم فهو البيت المبنيّ للعبادة، وإن أراد المصنّف أنّ كلّ بقعة مسجد بمعنى إطلاق اسم الكلّ على الجزء فهو بكسر الجيم في لفظه على ما هو المشهور. قال في المُغرِب: «البقعة في الأصل: القطعة مِن الأرض».[3]

---

١ ر: فوجه.

٢ انظر: كتاب سيبويه، ٩٠/٤.

٣ المغرب للمُطرِّزي، «بقع».

وهو آكَدُ؛ لأن طريقتَه طريقةُ الكناية؛ كما لو قلتَ: "فلانٌ لا يقرأ كُتُبَ الله" كُنتَ أنفَى لقراءته القرآنَ من تصريحك بذلك.

و﴿شَٰهِدِينَ﴾ حالٌ من الواو في ﴿يَعْمُرُواْ﴾ والمعنى: ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متنافيَيْن: عمارةِ متعبَّداتِ الله مع الكفر بالله وبعبادته، ومعنى شهادتهم على أنفسهم بالكفر: ظهورُ كفرهم، وأنَّهم نصبوا أصنامَهم حول البيت وكانوا يطوفون عُراةً ويقولون: لا نطوفُ عليها بثيابٍ قد أصبنا فيها المعاصيَ، وكلَّما طافوا شوطًا سجدوا لها.

وقيل: هو قولهم: "لبيك لا شريكَ لك إلَّا شريكٌ هو لك تملكُه وما مَلك".

قوله: "كلّ بقعة"، أي: كلّ قطعة مِن المسجد الحرام مسجد؛ لأنّه موضع يُسجَد فيه، فعلى هذا ينبغي أن يقال: إنّ قوله تعالى: ﴿مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ هو جمع "مَسجَد" بفتح الجيم لِما نُقل عن سيبويهِ أنّه قال: المَسجَد بمعنى موضع السجود إنّما هو بفتح الجيم على القياس.

قوله: (وأمّا القراءة بالجمع) أي: ﴿مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ كلّهم إلّا ابن كثير وأبا عمرو.[1]

قوله: (لأنّ طريقتَه طريقةُ) وإنّما لم يقل: "هو كناية"؛ لأنّ عدم الصلاحية لعمارة المسجد، فكان حقّه أن يكون مجازًا، لكن جُعل اللزوم مساويًا بطريق الادّعاء وجُعل كناية؛ لأنّ الكناية لا تنافي إرادة الحقيقة والمجاز ينافيها، وههنا الحقيقة أيضًا مرادة فحمل هذا على[2] الكناية لذلك.

قوله: (أن يجمعوا)؛ وذلك لأنّ الحال قيد الفعل فيلزم الجمع بينهما.

قوله: (لك)[3] صفة (شريك) يعنون شركته[4] ملكك، فأنت تملكه وهو لا يملك شيئًا، وإنّما نعبده ليقربنا[5] إليك.

---

[1] قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب على التوحيد، وقرأ الباقون بالجمع. النشر لابن الجزري، ٢٧٨/٢.

[2] ن ر – على.

[3] ن ر: ذلك.

[4] ر – شركته.

[5] ن: ليقربونا.

وقيل: قد أقبل المهاجرون والأنصارُ على أسَارى بدرٍ فعَيَّرُوهم بالشرك، وطَفِق عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه يوبّخ العباسَ بقتالِ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعةِ الرَّحِم، وأغلظَ له بالقول، فقال العباسُ: تذكُرون مساوِينا وتكتُمون محاسننا، فقال: أوَلكم محاسِنُ؟ قالوا: نَعم، ونحن أفضلُ منكم أجرًا، إنا لنَعْمُرُ المسجد الحرام، ونَحجُبُ الكعبةَ، ونسقي الحجيجَ، ونفكُّ العَانِيَ. فنزلت: ﴿حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ التي هي العمارةُ والحجابةُ والسِّقايَةُ وفَكُّ العُناةِ، وإذا هَدَم الكفرُ أو الكبيرةُ الأعمالَ الثابتةَ الصحيحةَ إذا تعقَّبَها فمَا ظنُّك بالمقارن؟ وإلى ذلك أشار في قوله: ﴿شَٰهِدِينَ﴾ حيث جعله حالًا عنهم، ودلَّ على أنَّهم قارِنون بين العِمارة والشهادة بالكفر على أنفسهم في حالٍ واحدةٍ وذلك محالٌ غيرُ مستقيم.

قوله: (أو الكبيرة) هدم[1] الكبيرة مذهب المعتزلة دون أهل السنّة والجماعة.[2] وقوله: (الثابتة) يريد الأعمال التي صدرت عنهم في حال الإسلام، فهي ثابتة في نفس الأمر وكانت صحيحة أيضًا، فلذلك قال: (الثابتة[3] الصحيحة).

قوله: (ودلّ على أنّهم قارِنون) ليس كما ينبغي؛ لأنّ ما دل على أنّهم قارنون؛ بل دلّ على أنّهم لم يمكنهم أن يقارنوا، حيث قال: ﴿مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾، وكما فسره المصنّف بقوله: (ما استقام لهم) فكيف ساغ له أن يقول: "دلّ على أنّهم قارنون"؟ أو كيف ساغ له أن يقول: (وذلك مُحال)، فإنّه إن كان محالًا فكيف قارنوا وجه أن نقول: أراد المصنّف ههنا أنّه دل على أنّهم قارنون بزعمهم، أو المعنى أرادوا أن يقارنوا زعمهم باطل وإرادتهم هدر؛ لأن ذلك لا ييسر لهم، إذ عمارتهم ليست معتدًّا بها؛ بل تخريب.

قوله: (أو الكبيرةُ / الأعمالَ الصحيحة) مذهبه، والآيةُ لا دلالةَ لها عليه. [٣٧٨و]
قال في الانتصاف: أصاب في حديث الكفر وأخطأ في الكبيرة فهو على قاعدته،

---

[1] ر: هذه.
[2] انظر تفصيل مذاهبهم في الإرشاد للجويني، ص ٣٨٩-٣٩٠.
[3] ر: الثانية.

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ وقرئ بالتوحيد؛ أي: إنَّما تستقيم عمارةُ هؤلاء وتكون معتدًّا بها، والعمارةُ تتناول رَمَّ ما استرَمَّ منها، وقمَّها وتنظِيفَها، وتنويرَها بالمصابيح، وتعظيمَها، واعتيادَها للعبادة والذِّكر، ومِن الذِّكر دَرْسُ العلم، بل هو أجلُّه وأعظمُه، وصيانتَها ممَّا لم تُبنَ له المساجدُ من أحاديث الدنيا فضلًا عن فضول الحديث، وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «يأتي في آخرِ الزمان ناسٌ من أمتي يأتون المساجد فيَقعدُون فيها حَلَقًا، ذكرُهم الدنيا وحبُّ الدنيا، لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجةٌ».

أي:[1] معتقده.[2] قلتُ: وكذلك ما أصاب في الكفر الطارئ؛ لأنّه سبق في "البقرة" عند قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة ٢/٢٥].

قوله: (عمارة) فاعل (تستقيم) أي:لا تستقيم إلّا عمارة هؤلاء، ولا يكون معتدًّا بها إلّا عمارة هؤلاء. ولا يجوز أن يكون عمارة خبر (إنّما) لأنّه يبقى الفعل بلا[3] فاعل، وهو ظاهر.[4]

قوله: (رمّ ما[5] استرمّ)[6] الرمّ: الإصلاح. «واسترمّ الحائط: حان له أن يرمّ، وذلك إذا بعُد عهده بالتطيين».[7] والقمّ: الكنس. ومنه المِقمّة[8] وهي المِكنسة. وقممتُ البيت: كنسته. والقُمامة: الكناسة، والجمع قُمام.[9] والاعتياد مِن العَود والعادة.

قوله: (فليس لله بهم حاجة)،[10] أي: لا يقبل منهم إتيان المساجد ولا طاعتهم فيها وفيه مبالغة عظيمة كأنّه قيل: أعمالهم بحيث لا يمكن أن يقبلها إلّا مَن يكون

---

[1] ر: أني.
[2] انظر: الانتصاف لابن المنيّر، ١٩٠/٢ (التوبة، ١٧/٩).
[3] ن ر: إلّا.
[4] ن ر + وعملوا الصالحات بيانه.
[5] ن ر – ما.
[6] ن ر: واسترمّ.
[7] الصحاح للجوهري، «رمم».
[8] ر: لقمه.
[9] انظر: الصحاح للجوهري، «قمم».
[10] بلفظ قريب في المعجم الكبير للطبراني، ١٩٨/١٠ (١٠٤٥٢). وانظر تفصيل الكلام عليه في تخريج أحاديث الكشّاف للزيلعي، ٥٦/٢-٥٧.

وفي الحديث: «الحديثُ في المسجدِ يأكلُ الحسنات كما تأكل البهيمةُ الحشيشَ».

وقال عليه الصلاة السلام: «قال الله تعالى: إنَّ بيوتي في أرضي المساجدُ، وإنَّ زُوَّارِي فيها عُمَّارُها، فطُوبَى لعبدٍ تَطَهَّر في بيته ثم زارَني في بيتي فحقٌّ على المزُور أن يُكرمَ زائرَه».

وعنه عليه الصلاة والسلام: «مَن أَلِفَ المسجدَ أَلِفَه الله».

وقال عليه الصلاة والسلام: «إذا رأيتم الرجل يعتادُ المسجدَ فاشهدوا له بالإيمان».

وعن أنس رضي الله عنه: مَن أَسرجَ في مسجدٍ سراجًا لم تزل الملائكةُ وحملةُ العرش تستغفرُ له ما دام في ذلك المسجد ضوؤه.

فإن قلتَ: هلَّا ذُكر الإيمانُ برسول الله؟

محتاجًا إلى تلك الأعمال مضطرًا إلى قبولها والله تعالى غني عن جميع الأشياء فكيف يقبل مثل[1] تلك الأعمال الردية.

قوله: (وفي الحديث: الحديث في المسجد)... إلخ،[2] اعلم أنّ ما رواه المصنّف مِن قوله: (يأتي في آخر الزمان)، وقوله: "الحديث في المسجد" إلى آخرهما غير ثابتين عند أئمّة الحديث؛ بل هما مخالفان للأحاديث المعتبرة، وقد ثبت أنّ الصحابة كانوا يجلسون في المسجد ويتكلّمون ويأخذون في حديث[3] الجاهليّة ويضحكون ويتبسّم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم؛[4] وذلك لأنّ الجلوس في المسجد عبادة لا يقدح فيه الكلام إلّا أن يكون كلمة كفر[5] أو قذف أو إيذاء أو ما أشبهه ذلك.[6]

---

[1] ر + ذلك.

[2] قال العراقيّ في تخريج أحاديث الإحياء، ٣٤٥/١: «لم أقف له على أصل».

[3] ر: الحديث.

[4] ن - ويتبسّم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

[5] ن - كفر.

[6] ن - ذلك.

قلتُ: لمَّا عُلم وشُهر أن الإيمان بالله قرينتُه الإيمانُ بالرسول -لاشتمالِ كلمة الشهادة والأذان والإقامةِ وغيرها عليهما مقترِنَيْن مُزْدوجَيْن كأنهما شيءٌ واحدٌ غيرَ منفكٍّ أحدُهما عن صاحبه- انْطوى تحت ذكرِ الإيمان بالله الإيمانُ بالرسول عليه الصلاة والسلام.

وقيل: دُلَّ عليه بذكر إقامةِ الصلاة وإيتاء الزكاة.

فإن قلتَ: كيف قيل: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ والمؤمن يخشى المحاذِيرَ ولا يتمالكُ أن لا يخشاها؟

قلتُ: هي الخشيةُ والتقوى في أبواب الدِّين، وأن لا يختارَ على رضا اللهِ رضا غيرِه لتوقُّعِ مخوفٍ، وإذا اعترضَه أمران: أحدهما: حقُّ الله والآخرُ حقُّ نفسه، أن يخافَ الله فيُؤْثِرَ حقَّ الله على حق نفسه.

وقيل: كانوا يخشون الأصنامَ ويَرجونها فأريدَ نفيُ تلك الخشية عنهم.

﴿فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ ....

قوله: (لا يتمالك ألّا يخشاها) أي:لم يستطع ألّا يخشاها. قال المطرّزي في المُغرِب:[1] «فلان ما تمالك أن قال ذلك وما تماسك، أي: لم يستطع أن يحبس نفسه. ومنه هذا الحائط لا يتمالك ولا يتماسك».[2]

قوله: (وغيرها) أي:غير الشهادة والأذان والإقامة.

قوله: (قلتُ: هي الخشية) أي:الخشية المرادة بقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ الخشية... إلخ. وقوله: (وأن يخاف الله) أي:هي أن يخاف الله تعالى[3] فيُؤثر حقّ الله تعالى[4] على حقّ نفسه إذا اعترضه أمران. والجملة معطوفة على قوله: (وألّا يختار) على تقدير: وهي ألّا يختار على رضى الله تعالى[5] عنه غيرَه، لأنّه تفسير التقوى في أبواب الدين.

---

[1] ر + يقال.

[2] الصحاح للجوهري، «ملك».

[3] ر – تعالى.

[4] ر – تعالى.

[5] ر – تعالى.

تبعيدٌ للمشركين عن مواقف الاهتداء وحَسْمٌ لأطْماعهم في الانتفاع بأعمالهم التي استعظَموها وافتخروا بها وأَمَّلوا عاقبتها، بأنّ الذين آمنوا وضمُّوا إلى إيمانهم العملَ بالشرائع مع استشعار الخشية والتقوى اهتداؤهم دائرٌ بين "عسى" و"لعلَّ"، فما بالُ المشركين يَقْطَعون أنهم مهتدون ونائلون عند الله الحسنى، وفي هذا الكلام ونحوِه لطفٌ للمؤمنين في ترجيح الخشية على الرجاء ورفضِ الاغترار بالله.

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾

"السِّقايةُ والعمارةُ": مصدران مِن سَقَى وعَمَر كالصيانة والوقاية، ولا بدَّ من مضافٍ محذوفٍ تقديرُه: ﴿أَجَعَلْتُمْ﴾ أهلَ ﴿سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ وتُصدِّقه قراءةُ ابن الزُّبير وأبي وَجْزَة السَّعْديِّ وكان من القرأةِ: ﴿سُقاةَ الحاجِّ وعمَرةَ المسجدِ الحرام﴾.

والمعنى: إنكارُ أن يُشبَّه المشركون بالمؤمنين، وأعمالُهم المُحْبَطةُ بأعمالهم المُثبَتةِ، وأن يُسوَّى بينهم، وجَعَل تسويتَهم ظلمًا بعد ظلمهم بالكفر.

قوله: (وأمّلوا) أَمَل[1] خيره[2] أملًا،[3] وأمّله تأميلًا،[4] بمعنًى.

قوله: (بأنّ الذين آمنوا) الباء متعلِّق بقوله: (تبعيد). و(اهتداؤهم) خبر "أنّ".

قوله: (وكان مِن القرأة).

قوله: (وأن يُسوَّى بينهم) أي:بين المشركين والمؤمنين.

قوله: (وجَعَل تسويتهم ظلمًا) عطف مِن حيث المعنى على قوله: (إنكار[5] أن يُشبَّه) أي:إنكار أن يشبِّه وجَعَل تسويتهم ظلمًا، حيث وضع المُظهَر موضع المضمر في قوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

---

[1] ر: املومل.
[2] ر: خبره.
[3] ن ر: أمل.
[4] ن ر: مثلًا.
[5] ن ر: وإنكار.

وروي أن المشركين قالوا لليهود: نحن سُقاةُ الحجيج وعمَّارُ المسجد الحرام، أفنحن أفضلُ أم محمدٌ وأصحابُه؟ فقالت لهم اليهود: أنتم أفضل.

وقيل: إنَّ عليًا رضي الله عنه قال للعباس: يا عمِّ! أَلَا تُهاجرون، ألا تَلْحقون برسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: ألستُ في أفضلَ من الهجرة: أَسْقِي حاجَّ البيت وأَعْمُر المسجدَ الحرام.

فلمَّا نزلت قال العباسُ: ما أُراني إلا تاركٌ سقايتَنا، فقال عليه الصلاة والسلام: «أَقِيموا على سقايتكم فإنَّ لكم فيها خيرًا».

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ٢٠﴾

هم ﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ﴾ من أهل السقاية والعمارةِ عندكم.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ لا أنتم، والمختصُّون بالفوز دونكم.

﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ٢١﴾

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ٢٢﴾

قرئ: ﴿يَبْشُرهم﴾ بالتخفيف والتثقيل. وتنكيرُ المبشَّر به لوقوعِهِ وراءَ صفةِ الواصف وتعريفِ المعرِّف.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾

وعن ابن عباس رضي الله عنه: هي في المهاجرين خاصَّةً، كان قبل فتح مكة مَن آمن لم يَتِمَّ إيمانُه إلَّا بأن يهاجِرَ ويُصارِمَ أقاربَه الكفرةَ ويَقطعَ مُوالاتَهم، فقالوا: يا رسول الله، إن نحن اعتزلْنا مَن خالفَنا في الدِّين قطعْنا آباءنا وأبناءَنا وعشائِرَنا، وذهبت تجاراتُنا، وهلكَتْ أموالُنا، وخرِبَتْ ديارُنا، وبقينا ضائعين. فنزلت.

فهاجروا، فجَعَل الرجلُ يأتيه ابنُه أو أبوه أو أخوه أو بعضُ أقاربه فلا يلتفتُ إليه ولا يُنزله ولا يُنفق عليه، ثم رُخِّص لهم بعد ذلك.

وقيل: نزلت في التسعة الذين ارتدُّوا ولحقوا بمكَّة فنهى اللهُ تعالى عن موالاتهم.

وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «لا يَطعَمُ أحدُكم طَعْمَ الإيمان حتى يحبَّ في الله ويُبغض في الله: حتى يحبَّ في الله أبعدَ الناس ويُبغض في الله أقربَ الناس إليه».

﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾

وقرئ: ﴿وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ ﴿وعشيراتُكم﴾، وقرأ الحسن: "وعشائرُكم".

﴿فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ وعيدٌ، عن ابن عباس: هو فتحُ مكة.

وعن الحسن: عقوبةٌ عاجلةٌ أو آجلةٌ.

وهذه آيةٌ شديدةٌ لا ترى أشدَّ منها، كأنها تَنْعَى على الناس ما هم عليه من رَخاوة عَقْدِ الدِّين واضطرابِ حبل اليقين، فليُنْصِفْ أورعُ الناس وأتقاهم من نفسه: هل يجدُ عنده من التصلُّب في ذات الله والثباتِ على دِين الله ما يَستحِبُّ له دينَه على الآباء والأبناء والإخوان والعشائر والمال والمساكن وجميعِ حظوظ الدنيا ويتجرَّدُ منها لأجله، أم يَزْوِي اللهُ عنه أَحْقرَ شيءٍ منها لمصلحته

قوله: (ما يستحِبّ له دينَه) "ما" في "ما يستحِبّ" مفعول (يجِد). وفاعل "يستحِبّ" ضمير (أورَع)[١] مستتر فيه. و"له"، أي: لأجله. و"دينه" مفعوله. و(يتجرَّد) عطف على (يستحِبّ) أي:هل تجِد عنده ما يتجرَّد مِن هذه الأمور لأجله، وروي عنه صرفه.

---

[١] ر: أوزع.

فلا يدري أيُّ طرفَيْه أطولُ، ويُغْويه الشيطانُ عن أجَلِّ حظٍّ من حظوظ الدِّين فلا يبالي كأنّما وقع على أنفه ذُبابٌ فطيَّره.

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾

"مواطنُ الحرب": مقاماتُها ومواقفُها؛ قال:

وكم موطنٍ لولايَ طِحتَ كما هَوَى بأجرامه من قُلَّةِ النِّيق مُنْهَوِي

قوله: (أيّ طرفَيه[١] أطولُ) أي:أيّ نَسَبيه[٢] مِن قبيل أبيه أو أمّه أطولُ، أي: أفضل، مِن الطُّول وهو الفضل، أي: لا يدري ذلك الشخص أنّ أجداده مِن قِبَل الأب أفضل أم أجداده مِن قِبَل الأمّ. وهذا مَثَل يضرب عند التحيُّر. قال في المجمَل: «كريمُ الطرفين: يراد به نسب الأب والأمّ. وقولهم: / 'لا يدري أيّ طرفيه أطول'[٣] مِن هذا».[٤] ثمّ[٥] قال: «وقيل: طرفاه ذَكَره ولسانه».[٦] [٣٧٨ظ]

قوله: (كأنّما وقع الذِّبان على أنفه) كناية عن قلّة الالتفات وعدم المبالاة.

قوله: (وكم موطنٍ) البيت،[٧] قال في الصحاح: الوطن: مكان الإنسان ومحلّه. والموطن: المشهد مِن مشاهد الحرب. واستشهد بالآية، وبقول طرفة:[٨]

على موطن يخشى الفتى عنده الردى[٩]

وقال في المُغرِب: «الموطن: كلّ مكان قام به الإنسان لأمر. ومنه: إذا أتيتَ مكّة ووقفتَ في تلك المواطن فادعُ لي ولإخواني. وكذا قوله: ارفع[١٠] الأيدي

---

[١] ر: طرقية.

[٢] ر: تشبيه.

[٣] مجمع الأمثال للميداني، ٢/٢١٤.

[٤] مجمل اللغة لابن فارس، ١/٥٩٤، «طرف».

[٥] ن - ثمّ.

[٦] مجمل اللغة لابن فارس، ١/٥٩٤، «طرف».

[٧] البيت ليزيد بن الحكم الثقفي في كتاب سيبويه، ٢/٣٧٤؛ وأمالي القالي، ١/٦٨؛ والمسائل البصريات للفارسي، ١/٢٨٩؛ وسرّ صناعة الإعراب لابن جنّي، ١/٣٩٥.

[٨] انظر: الصحاح للجوهري، «وطن».

[٩] صدر بيت من معلقة طرفة بن العبد البكري، وتمامه:

متى تعترك فيه الفرائص تُرعَدِ

وهو في ديوانه، ص ٥٨؛ وشرح القصائد السبع لابن الأنباري، ص ٢٢٩؛ وهو له في الصحاح للجوهري، «وطن».

[١٠] في مطبوع المغرب: تُرفَع.

وامتناعُه من الصرف؛ لأنه جمعٌ وعلى صيغةٍ لم يأتِ عليها واحدٌ.

والمواطنُ الكثيرةُ: وقعاتُ بَدْرٍ وقريظةَ والنَّضيرِ والحُديبيةِ وخَيبرَ وفتحِ مكَّة.

فإن قلتَ: كيف عُطف الزمان على المكان، وهو ﴿يَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ على المواطن؟

قلت: معناه: ومَوْطِنَ يومِ حنين، أَوْ: في أيَّامِ مواطنَ كثيرةٍ ويومَ حنين.

ويجوز أن يراد بالموطن الوقتُ كـ"مقتل الحسين" على أنّ الواجب أن يكون ﴿يَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ منصوبًا بفعلٍ مضمرٍ لا بهذا الظاهر، ....

في سبعة مواطن».[١] و(طِحْتَ) أي:هلكتَ. و(هوى) أي:سقط. (بأجرامه): بثقله. و(النِّيق): أرفَع موضع في الجبل، والموضع في الجبل، والجمع نِياق.[٢]

قوله: (فإن قلتَ: كيف عُطف الزمان على المكان؟) ظرف المكان[٣] يقتضي ظرف الزمان، ولا[٤] يجوز أن يُجعل أحدهما تابعًا للآخر ويُعطَف عليه، كما لا يُعطَف المفعول فيه على المفعول به، ولا المصدر على شيء مِن ذلك، ولا بالعكوس. وقوله: (وهو) أي:عطف الزمان على المكان ﴿يَوْمَ حُنَيْنٍ﴾، أي: عطف ﴿يَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ على الموطن.

قوله: (معناه: ومَوطِن يومِ حُنين) صوابه كسر نون موطن، وإن كان ﴿يَوْمَ﴾ في[٥] القرآن بالفتح، فإن "يوم" يُنصب بتقدير "في" دون "موطن".

قوله: (على أنّ الواجب) اعلم أنّ المصنّف أجاب عن هذا السؤال مِن وجهين: الأوّل أنّه يمتنع عطف الزمان على المكان كما أشير إليه في السؤال، فلا بدّ مِن تقدير المضاف إمّا في الأوّل أو في[٦] الثاني، أو مَن جعل "الموطن" اسم الزمان الثاني أنّه وإن لم يمتنع عطف الزمان على المكان لكن ههنا[٧] مانع آخر يمنع مِن عطف ﴿يَوْمَ﴾ على ﴿مَوَاطِنَ﴾،[٨] وتقريره[٩] أن نقول: لا يمتنع عطف الزمان

---

١ انظر: المغرب للمطرّزي، «وطن».
٢ ر: نباق.
٣ ن ر – ظرف المكان.
٤ ر: فلا.
٥ ن ر – في.
٦ ن – في.
٧ ن – ههنا.
٨ ن: موطن.
٩ ر: وتقديره.

ومُوجِبُ ذلك أن قوله: ﴿إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ﴾ بدلٌ من ﴿يومَ حنين﴾، فلو جعلتَ ناصبَه هذا

على المكان؛ لأنّهما اشتركا في الظرفيّة وإن اختلفا في كون أحدهما مكانًا والآخر زمانًا، كما قالوا في "إيّاك والأسد": إنّ "الأسد" عُطف على "إيّاك" مع أنّ الأوّل محذور والثاني محذور منه، فإنّهما لمّا اشتركا في أنّهما مفعولان في باب التحذير جاز عطف أحدهما على[1] الآخر، ولا يمنع مِن ذلك اختلافهما في أنّ أحدهما محذور والآخر محذور منه. ذكره ابن الحاجب في شرح الكافية.[2]

فلذلك نقول ههنا: لمّا اشترك المعطوف والمعطوف[3] عليه في الظرفيّة لا يمنع مِن جواز العطف اختلافهما في خصوصيّة الظرف، إذا[4] ثبت هذا فنقول ههنا: وإن لم يمنع مِن العطف أنّ[5] أحدهما ظرف زمان والآخر ظرف مكان لكن[6] ههنا مانع آخرُ، وهو أنّه لو عُطف أحدهما على الآخر لكان الأول ظرف مكان والآخر ظرف زمان للفعل المذكور، أو لا يكون العطف ههنا كما في قولهم: "إيّاك والأسد" في أنّ دخول حرف العطف وخروجه لا يغيّر المعنى المراد، ويكون[7] ﴿يَوۡمَ حُنَيۡنٍ﴾ ظرف زمان لقوله: ﴿نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾، ويكون في حكم قولك: "نصركم الله في مواطن كثيرة يومَ حُنين"، ويفسد المعنى؛ لأنّ ﴿إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ﴾ بدل مِن ﴿يَوۡمَ حُنَيۡنٍ﴾، فيلزم أن يكون ﴿إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ﴾[8] ظرفَ النصر[9] في مواطن كثيرة، ويلزم[10] أن يكون إعجابهم لكثرتهم في جميع المواطن، ويفسد المعنى؛ لأنّه لم يكن ذلك الإعجاب إلّا يوم حُنين.

والحاصل أنّ ههنا مانعًا آخر يمنع مِن عطف ﴿يَوۡمَ﴾ على ﴿مَوَاطِنَ﴾ غير المانع مِن عطف الزمان على المكان، فوجب أن يكون ﴿يَوۡمَ حُنَيۡنٍ﴾ منصوبًا / بفعل مضمر لا [٣٧٩و]
بهذا الظاهر، فيكون التقدير: "نصركم الله في مواطنَ كثيرة ونَصَركم يوم حنين" عطف الجملة. ثمّ استثنى المصنّف مِن قوله: (مُوجب[11] ذلك أنّ قوله: ﴿إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ﴾ بدل).

---

[1] ر: في.
[2] الكلام بمعناه في شرح الكافية لابن الحاجب، ٤٧٩/٢.
[3] ر – والمعطوف.
[4] ر: إن.
[5] ن ر – أنّ.
[6] ر – لكن.
[7] ر: فيكون.
[8] ر – بدل مِن ﴿يَوۡمَ حُنَيۡنٍ﴾ فيلزم أن يكون ﴿إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ﴾.
[9] ر: والنصر.
[10] ر: يستلزم.
[11] ن: يوجب.

الظاهرَ لم يصحَّ؛ لأن كثرتَهم لم تُغْجبْهم في جميع تلك المواطن ولم يكونوا كثيرًا في جميعها، فبقي أن يكون ناصبُه فعلًا خاصًّا به إلَّا إذا نصبتَ ﴿إِذْ﴾ بإضمار «اذكر».

قوله: (**إلّا إذا نصبت[١] بإضمار "اذكر"**) فإنّ الموجب لِما ذكرنا لا يكون ذلك؛ بل يكون الموجب حينئذٍ شيئًا آخرَ. وهذا المعنى يُفهَم مِن كلامه؛ لأنّه بتّ[٢] القول بأنّ الواجب[٣] أن يكون ﴿يَوْمَ﴾ منصوبًا بمضمر، وقال: "موجبه أنّ ﴿إِذْ﴾ بدل، إلّا إذا نصبت ﴿إِذْ﴾ بإضمار اذكر"، فيعلم أنّه لا يكون الموجب ذلك، ولا بدّ لوجوب كون ﴿يَوْمَ﴾ منصوبًا بالمضمر كما بتّ القول به مِن موجب، ولم يصرح المصنّف بذلك الموجب لوضوحه إذا تأمّلت ذلك أنّك لو نصبت ﴿يَوْمَ﴾ الظاهر لم يصحّ المعنى؛ لأنّ نصرتهم ﴿يَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ لم تكن في جميع تلك المواطن. وهذا في غاية الظهور. وإنّما لم يجعل المصنّف هذا المعنى موجبًا على تقدير كون ﴿إِذْ﴾ بدلًا مِن ﴿يَوْمَ﴾؛ لأنّه إذا جعل بدلًا كان هو المقصود، ويكون بناء الكلام عليه وبين أنّه يجب أن يكون ﴿يَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ منصوبًا بفعل مضمر حينئذٍ. وأشار بعد ذلك إلى أنّك لو نصبت ﴿إِذْ﴾ بـ"اذكر" مضمر لا يكون موجب كون ﴿يَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ منصوبًا بالمضمر هذا المعنى؛ بل شيئًا[٤] آخر، وهو أنّه لا يستقيم أن يقال: "نصركم في مواطن كثيرة ويوم حنين". ولم يصرح بذلك لوضوحه على مَن ينظر في مثل كتابه.

وهذا الموضع مِن مشكلات[٥] هذا الكتاب، تأمّل فيه ليتّضح فيه ما ذكرنا، ولا تلتفت إلى الحواشي المكتوبة فيه مِن غير تأمّل وإتقان، ولا إلى الاعتراض الصادر عن المتعنّت،[٦] فإنّ الاعتراض إنّما هو على المعترِض،[٧] واحمد الله تعالى على التوفيق وادعُ بالخير مَن هو سبيل لك إلى التدقيق، واشكر سعيه[٨] وانسب كلامه إليه، وسِمْه[٩] بأحسن وجه وألطف طريق.[١٠]

---

١ ن: ثبت؛ ر: نسبت.
٢ ر: بت.
٣ ر: الموجب.
٤ ر: سيًا.
٥ ر: مثلات.
٦ ن: [illegible]؛ ر: [illegible].
٧ ما وقفت على مَن قصده الجاربردي بهذا التعريض.
٨ ر: سعفه.
٩ ن: وسهر.
١٠ ر: طريقة.

وحنينٌ: وادٍ بين مكة والطائفِ كانت فيه الوقعةُ بين المسلمين وهم

قوله: (فلو جعلتَ ناصبَه)... إلخ، لي في هذا المقام نظر؛ لأنّه إذا جعل ﴿إِذۡ﴾ بدلًا مِن ﴿يَوۡمَ﴾ ويقدَّر المضاف كان التقدير: "نَصَركم الله في أيّام كثيرة وفي وقت أعجبتكم كثرتكم" فلا[1] يلزم أن يكون أعجبتهم كثرتهم في جميع تلك الأيّام سواءً كان وقت أعجبتهم كثرتهم بعضًا مِن تلك الأيام ليكون مثل قوله: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ﴾ [البقرة ٩٨/٢]، فكأنّه قيل: نصركم الله في تلك الأوقات خصوصًا مِن بينها الوقت المعيّن وهو وقت أعجبتكم لكثرتكم، أو كان وقتَ أعجبتهم كثرتهم مغايرًا لتلك الأوقات ليكون المعنى: نصركم الله في أوقات كثيرة هي أوقات وقعة بدر وقريظة والنضير[2] والحُديبية[3] وخيبر وفتح مكّة وفي وقت آخر غير هذه الأوقات وهو وقت أعجبتكم كثرتكم، فإنّه لا يلزم أن يكون أعجبتهم كثرتهم في جميع تلك الأوقات. فيه نظر.

قوله: (فعلًا خاصًا به)،[4] أي: نصركم يومَ حنين، أو واذكر يوم حنين،[5] فيكون عطف جملة على جملة.

قوله: (إلّا إذا نصبت ﴿إِذۡ﴾ بإضمار "اذكر") استثناء مِن قوله: (أنّ الواجب أن يكون)... إلخ، أي: الواجب[6] أن يكون ﴿يَوۡمَ حُنَيۡنٍ﴾ كذا؛ لأنّ قوله: ﴿إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ﴾ بدل منه، إلّا إذا نُصب ﴿إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ﴾ بإضمار "اذكر" فإنّه لا[7] يجب أن يكون ﴿يَوۡمَ حُنَيۡنٍ﴾ منصوبًا بفعل مضمر ولا يكون ﴿إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ﴾ بدلًا[8] منه. فيه نظر؛ بل هو فاسد. فالصواب ما كتبنا قبيل[9] ذلك. وقوله: "إذا نصبت ﴿إِذۡ﴾"، أي: في ﴿إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ﴾. قال في الكواشي: الأوجَه أن ينتصب ﴿يَوۡمَ﴾ بمضمر؛ / لأنّ ﴿إِذۡ﴾ [٣٧٩ظ] بدل مِن ﴿يَوۡمَ﴾، فلو نصبت ﴿يَوۡمَ حُنَيۡنٍ﴾ بهذا الظاهر كان المعنى: إنّ كثرتكم أعجبتكم في مواطنَ كثيرة. وكثرتهم إنّما كانت يوم حنين وقد أعجبتهم.[10]

---

١ ر: ولا.
٢ ر: والنضر.
٣ ر: وحديبية.
٤ ن – به.
٥ ر – أو واذكر يوم حنين.
٦ ن – أي: الواجب.
٧ ر – لا.
٨ ر: بدل.
٩ ر: قبل.
١٠ انظر: تفسير الكواشي، ٢٢٠ظ-٢٢١و.

اثنا عشر ألفًا: الذين حَضَروا فتحَ مكة منضمًّا إليهم ألفان من الطُّلقاء، وبين هوازِنَ وثقِيفٍ وهم أربعةُ آلافٍ فيمَن ضَامَّهم من إمداد سائر العرب وكانوا الجمَّ الغفيرَ، فلمَّا التقَوْا قال رجلٌ من المسلمين: "لن نُغلَبَ اليومَ من قلَّة" فساءتْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، وقيل: قائلُها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقيل: أبو بكر، وذلك قوله: ﴿أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ﴾ فاقتتلوا قتالًا شديدًا، وأدركتِ المسلمين كلمةُ الإعجاب بالكثرة، وزَلَّ عنهم أن الله هو الناصرُ

قوله: (منضمًّا إليهم ألفان) حال مِن (الذين حُضروا). قال المصنّف في سورة النصر: كان في فتح مكّة مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عشرة آلاف مِن المهاجرين والأنصار وطوائف العرب.[١] وقوله: (مِن الطلقاء) وإنّما سمّوا طلقاء؛[٢] لأنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم مَلَكهم يوم فتح مكّة وأطلقهم. «والطليق: الأسير الذي أطلِق عنه[٣] إساره[٤] وخُلي سبيله».[٥]

قوله: (فساءت) أي:فساءت تلك الكلمة، وهي: (لن[٦] نُغلب)... إلخ، رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وإنّما ساءه تلك الكلمة؛ لأنّ فيها اعتبارًا للكثرة[٧] واعتمادًا عليها، ولا يليق بهم الاعتماد إلّا على الله تعالى ونصرته. أو نقول: ساءه تلك الكلمة إذ[٨] في ضمن تلك الكلمة أنّهم يغلبون لا مِن جهة القلّة؛ بل مِن جهة أخرى. وقوله تعالى: ﴿أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ﴾ يدلّ على المعنى الأوّل، لكن يمكن أن يقال: أعجبتهم كثرتهم فجرى هذه الكلمة على لسانهم وكان في ضمنه التفاؤل.

قوله: (لا يتحلّحل)،[٩] أي: لا يزول. يقال: تحلحل[١٠] عن مكانه إذا زال.

قوله: (وأدركَتِ)، يعني: لحقهم شؤم الكلمة التي قالوها تعجُّبًا.[١١]

---

[١] انظر: الكشّاف للزمخشري، (النصر، ١١٠/١).
[٢] ر: الطلقاء.
[٣] ن + أي.
[٤] ن: ساره.
[٥] الصحاح للجوهري، «طلق».
[٦] ر: أن.
[٧] ن: لكثرة.
[٨] ن ر – إذ.
[٩] ن ر: يتخلخل.
[١٠] ن: مخلخل.
[١١] ر: معجبًا.

لا كثرةُ الجنود، فانهزموا حتّى بلغ فلُّهم مكّةَ وبقي النبيُّ صلى الله عليه وسلم وحده وهو ثابتٌ في مركزه لا يتحَلْحَلُ، ليس معه إلّا عمُّه العباسُ رضي الله تعالى عنه آخذًا بلجام دابّته، وأبو سفيان بن الحارث ابنُ عمِّهِ، وناهيك بهذه الواحدة شهادةَ صدقٍ على تناهي شجاعته ورَباطةِ جأشه صلى الله عليه وسلم، وما هي إلّا من آيات النبوّة، وقال: «يا ربِّ، ائتني بما وعدتَني».

وقال صلى الله عليه وسلم للعباس وكان صيّتًا: «صِحْ بالناس» فنادى الأنصارَ فخذًا فخذًا، ثم نادى: يا أصحاب الشجرة، يا أصحاب البقرة، فكرُّوا عُنقًا واحدًا

قوله: (حتى بلغ فلُّهم) الفلّ[1] بالفتح: اسم للمنهزم. يقال: جاء فلّ القوم، أي: منهزموهم، يستوي فيه الواحد والجمع، يقال: رجل فَلّ وقوم فَلّ، وربما يقال: فُلول وفِلال.[2]

قوله: (ابن الحارث) حارث بن عبد المطّلب،[3] عمّ النبي صلّى الله تعالى[4] عليه وسلّم.

قوله: (فخذًا فخذًا) الفخذ في العشائر أقلّ مِن البطن. أوّلها الشَّعب ثمّ القبيلة ثمّ الفصيلة ثمّ العِمارة ثمّ البطن ثمّ الفَخِذ.[5]

قوله: (يا أصحاب الشجرة) وهي الشجرة التي في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح ١٨/٤٨].

قوله: (يا أصحاب البقرة) أي:المذكورين في سورة البقرة، أراد الذين ذكرهم في ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ﴾ الآية [البقرة ٢٨٥/٢].

قوله: (فكرُّوا عنقًا)[6] قال رضي الله عنه: «عنقًا»، أي: جماعة مِن قوله تعالى: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ [الشعراء ٤/٢٦]، على أحد الأقوال الثلاثة، أراد الرؤساء والجماعات. أو ظلّت[7] رقابهم.[8]

---

[1] ر: القل.

[2] انظر: الصحاح للجوهري، «فلل».

[3] ن ر: الله.

[4] ر – تعالى.

[5] انظر: الصحاح للجوهري، «شعب».

[6] بمعناه في صحيح مسلم، ١٣٩٨/٣ (١٧٧٥).

[7] ر: طلب.

[8] ر: إرقابهم.

وهم يقولون: لبَّيك لبَّيك، ونزلت الملائكةُ عليهم البياضُ على خُيولٍ بُلق، فنظرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى قتال المسلمين فقال: «هذا حين حَمِيَ الوَطِيسُ» ثم أخذ كفًّا من تُرابٍ فرماهم به ثم قال: «انهزَموا وربِّ الكعبة»، فانهزموا، قال العباسُ: لكأنِّي أَنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض خلفَهم على بَغْلَته.

﴿بِمَا رَحُبَتْ﴾ "ما" مصدريةٌ، والباء بمعنى «مع»؛ أي: مع رُحْبها، وحقيقتُه: مُلتبِسةً برُحبها، على أن الجارَّ والمجرور في موضع الحال؛ كقولك: دخلتُ عليه بثيابِ السفر؛ أي: مُلتبِسًا بها لم أَحُلَّها، تعني: مع ثياب السفر، والمعنى: لا تجدون موضعًا تستصلِحونه لهَرَبكم إليه ونجاتِكم لفَرْط الرُّعْب، فكأنها ضَاقت عليكم.

﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾: ثم انهزمتم.

﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿سَكِينَتَهُۥ﴾: رحمتَه التي سكَنوا بها وأَمِنوا.

﴿وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين انهزموا.

وقيل: هم الذين ثَبَتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وقع الهَرَبُ.

﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا﴾ يعني: الملائكةَ، وكانوا ثمانيةَ آلافٍ، وقيل: خمسةَ آلاف، وقيل: ستَّةَ عَشَر ألفًا.

قوله: (حين حميَ الوطيس) الوطيس: التنور، يقال: حمي الوطيس، أي: اشتدّ الحرب.

قوله: (والباء بمعنى "مع") قيل: لا يجوز أن تكون الباء بمعنى "مع"؛ لأنّ الباء حرف و"مع" اسم للزوم الإضافة إيّاه، يعني: "معه ومعك". اعلم أنّ الكلام ليس بشيء.

﴿وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالقتل والأَسْرِ وسَبْيِ النساء والذراريّ.

﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٧﴾

﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: يُسلِمُ بعد ذلك ناسٌ منهم، وروي: أن ناسًا منهم جاؤوا فبايعوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام، وقالوا: يا رسول الله، أنت خيرُ الناس وأبرُّ الناس، وقد سُبِيَ أهلونا وأولادُنا وأُخذت أموالنا -قيل: سُبي يومئذ ستَّةُ آلافِ نفسٍ، وأُخذ من الإبل والغنم ما لا يُحصَى- فقال: «إنَّ عندي ما تَروْن، إنَّ خيرَ القول أَصْدَقُه، اختاروا إما ذراريَّكم ونساءَكم وإمَّا أموالَكم»، فقالوا: ما كنَّا نعدِلُ بالأَحْساب شيئًا، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «إن هؤلاء جاؤوا مسلمين، وإنا خيَّرناهم بين الذراريِّ والأموال فلم يَعدلوا بالأَحْساب شيئًا، ....

قوله: (ما كنّا نعدِل بالأحساب شيئًا) أي:ما كنّا نسوّي بالمكارم، يعنون أنّهم يختارون الذراري والنساء دون الأموال، فإنّ في اختيارهم الشرف والفضيلة. والحَسَب: الفعال الحسن للشخص ولآبائه،[١] ومنه "مَن فاته حَسَب نفسه لم ينتفع بحسب أبيه". وقيل: حسب[٢] الرجل مآثر آبائه؛ لأنّه يحسبه مِن المناقب والفضائل لا[٣] مِن حسب المال عدّه حَسْبًا وحُسبانًا.[٤]

قوله: (فلم يعدلوا بالأحساب شيئًا) عن مروان والمِسوَر بن مَخْرَمة أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين جاءه وفد هَوَازن المسلمين فسألوه أن[٥] يردّ إليهم أموالهم وسبيهم. قال: فاختاروا إحدى الطائفتين إمّا السبي وإمّا المال. قالوا: فإنّا نختار سبينا، فقام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم / فأثنى على الله بما هو أهله ثمّ قال: أمّا بعد فإنّ إخوانكم قد صاروا تائبين... إلخ. والوفد: الجماعة التي جاءوا مِن عند قوم لرسالة. وقصّة هذا أنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم [٣٨٠و]

---

١ ر: والإبانة.
٢ ر – حسب.
٣ ر – لا.
٤ من قوله: "الحسب الفعال" إلى هنا بلفظ قريب في المغرب للمطرّزي، «حسب».
٥ ر + لا.

فمَن كان بيده سبيٌ فطابت نفسُه أن يردَّه فشأنَه، ومَن لا فليُعطِنا ولْيَكنْ قرضًا علينا حتى نُصيبَ شيئًا فنُعطيَه مكانه» قالوا: رَضِينا وسَلَّمنا، فقال: «إني لا أدري لعلَّ فيكم مَن لا يَرضى، فمُرُوا عُرَفاءكم فليرفعوا ذلك إلينا» فرَفعتْ إليه العُرَفاء أن قد رَضوا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَاۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾

"النَّجَسُ": مصدرٌ؛ يقال: نَجِسَ نجَسًا وقَذِرَ قَذَرًا، ومعناه: ذو نَجَسٍ؛ لأن معهم الشركَ الذي هو بمنزلة النَّجَس؛ ولأنهم لا يتطهَّرون ولا يغتسلون ولا يجتنِبون النجاسات، فهي ملابِسةٌ لهم، أو جُعلوا كأنهم النجاسةُ بعينها مبالغةً في وصفهم بها.

لمّا أغار على قبيلة هوازن وأخذ أموالهم وسبى ذراريهم، فأسلم مَن بقي منهم، وبعثوا جماعة إلى النبي صلّى الله تعالى[١] عليه وسلّم، فطلبوا أموالهم وأولادهم، فقال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: ليس لكم أن تطلبوا الأموال والسبي؛ بل اختاروا واحدًا منهما.

قوله صلّى الله عليه وسلّم: (فمَن كان)... إلخ، تخيير[٢] للصحابة[٣] رضي الله عنهم[٤] واستئذان منهم، وإنّما استأذنهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في ردّ سبيهم؛ لأنّ أموالهم وسبيهم صارت ملكًا للمجاهدين، ولا يجوز ملكهم إلّا بإذنهم، واستأذن المجاهدين في الردّ.

قوله: (فشأنَه) أي:فيلزم[٥] شأنَه.

قوله:[٦] (ومَن لا فليعطنا)،[٧] أي: ومَن لا يطيب.

---

[١] ر – تعالى.
[٢] ر: يخبر.
[٣] ر: الصحابة.
[٤] ر – صلّى الله عليه وسلّم.
[٥] ر: فندم.
[٦] ر: وقوله.
[٧] الحديث بلفظ قريب في صحيح البخاري، ١٥٣/٥ (٤٣١٨).

وعن ابن عباس رضي الله عنه: أعيانُهم نجسةٌ كالكلاب والخنازير.

وعن الحسن: مَن صافَحَ مشركًا توضّأ.

وأهلُ المذاهب على خلافِ هذين القولين.

وقرئ: "نِجْس" بكسر النون وسكون الجيم على تقدير حذفِ الموصوف؛ كأنه قيل: إنما المشركون جنسٌ نِجْسٌ، أو: ضربٌ نِجْس، وأكثرُ ما جاء تابعًا لـ"رِجْسٍ".

وهو تخفيف "نَجِسٍ" نحو: كِبْدٍ في كَبِدٍ.

﴿فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾: فلا يَحجُّوا ولا يَعتمِروا كما كانوا يفعلون في الجاهليَّة.

﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾: بعد حجِّ عامهم، وهو عامُ تسعٍ من الهجرة حين أُمِّرَ أبو بكر على الموسم، وهو مذهبُ أبي حنيفة وأصحابِه رحمهم الله، ويدلُّ عليه قولُ عليٍّ رضي الله عنه حين نادى بِبَرَاءةَ: «ألَا لا يَحُجَّ بعد عامنا هذا مشركٌ»، ولا يُمنَعون من دخول الحَرَم والمسجد الحرام وسائر المساجد عندهم.

قوله: (وعن ابن عبّاس: أعيانهم نجسة)،[١] أي: وذوات المشركين.

قوله: (وأكثرُ ما جاء[٢] تابعًا لـ"رِجْس") أي:أكثر ما جاء[٣] "نِجْس" بكسر النون. الجوهري: «قال الفرّاء: إذا قالوه مع الرِّجس أتبعوه إيّاه وقالوا: رِجْس نِجْس بالكسر».[٤]

قوله: (بعد حجِّ عامهم) ليُوافق قوله: (فلا يحجُّوا).

قوله: (نادى ببراءة)،[٥] أي: قرأ عليهم سورة براءة.

قوله: (ولا يُمنعون)... إلخ، أي: إذا دخلوه لغير حجّ أو عمرة.

قوله: (عندهم)،[٦] أي: عند أبي[٧] حنيفةَ وأصحابه.[٨]

---

[١] انظر: جامع البيان للطبري، ١١/٣٩٨ (التوبة، ٩/٢٨).
[٢] ر: جانا.
[٣] ر: جانا.
[٤] الصحاح للجوهري، «نجس».
[٥] ن ر – نادى ببراءة.
[٦] ن ر: وعندهم.
[٧] ن: ابني.
[٨] انظر تفصيله في بدائع الصنائع للكاساني، ١٢٨/٥.

وعند الشافعي رحمه الله: يُمنعون من المسجد الحرام خاصَّةً.

وعند مالك رحمه الله: يُمنعون منه ومن غيره من المساجد.

وعن عطاء: أن المراد بالمسجد الحرام: الحَرَم، وأَنَّ على المسلمين أن لا يُمكِّنوهم من دخوله.

ونهيُ المشركين أن يقربوه راجعٌ إلى نهي المسلمين عن تمكينهم منه.

وقيل: إن المراد أن يُمنعوا من تولِّي المسجدِ الحرام والقيامِ بمصالحه، ويُعْزَلوا عن ذلك.

قوله: (وعند الشافعي يُمنعون مِن المسجد الحرام) سواء أرادوا الحجّ أو العمرة أو لا.[1]

قوله: (خاصّة) احتراز عن سائر المساجد. واعلم أنّ المشهور مِن مذهب الشافعي[2] هو الذي نقله عن عطاء. قال الإمام الرافعي في الشرح الكبير: تقرير[3] مذهب[4] الشافعي أنّه ليس للكافر دخول الحرم لا للإقامة ولا مجتازًا، لقوله تعالى: ﴿فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾، والمراد حرم مكّة، كما في قوله تعالى: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الإسراء ١/١٧].[5] واحتجّ بقوله تعالى عقيبه: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾، أي: إن خفتم انقطاع التجارة والمِيرة عنكم فاعتصموا بحبل الله، ومعلوم أنّ ما يُجلَب يُجلَب إلى البلد لا إلى المسجد نفسه.

قوله: (ونهيُ المشركين أن يقربوه راجعٌ إلى نهي المسلمين عن تمكينهم) وهو[6] على منوال[7] "لا أُرينّك ههنا"، وأجراه[8] القاضي على ظاهره وقال: «فيه دليل أنّ الكفار مخاطبون بالفروع».[9]

---

[1] انظر تفصيل ذلك في المجموع للنووي، ٤٣٣/١٩.

[2] ر + رضي الله عنه.

[3] ن: تقدير.

[4] ن: المذهب.

[5] انظر: الشرح الكبير للرافعي، ١٣٦/٤.

[6] ن – وهو.

[7] ر: سؤال.

[8] ن ر: وأجرى.

[9] تفسير البيضاوي، ٤٧/٢ (التوبة، ٢٨/٩).

﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةً﴾؛ أي: فَقْرًا بسبب منعِ المشركين من الحج، وما كان لكم في قدومهم عليكم من الأَرْفاق والمكاسب.

﴿فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ﴾: من عطائه، أو: من تفضُّله بوجهٍ آخر، فأرْسل السماء عليهم مِدْرارًا أَغْزَرَ بها خيرَهم وأكثرَ مَيْرَهم، وأَسْلَم أهلُ تَبالةَ وجُرَش فحملوا إلى مكّة الطعامَ وما يعاشُ به، فكان ذلك أَعْوَدَ عليهم مما خافوا العَيْلةَ لفواتهِ.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: ألقى الشيطانُ في قلوبهم الخوفَ، وقال: من أين تأكلون؟ فأمَرَهم الله بقتال أهلِ الكتاب وأغناهم بالجزية، وقيل: بفتح البلاد والغنائم.

وقرئ: "عائلةً" بمعنى المصدر كالعافية، أو: حالًا عائلةً.

ومعنى قوله: ﴿إِن شَآءَ﴾: إنْ أوجبتِ الحكمةُ إغْناءكم، وكان مَصلحةً لكم في دينكم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بأحوالكم ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يُعطِي ولا يمنعُ إلَّا عن حكمةٍ وصوابٍ.

﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩﴾

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ بيانٌ لـ﴿ٱلَّذِينَ﴾ مع ما في حيّزه، ....

قوله: (مِن الأرفاق) جمع رفق. هذا التفسير مبنيّ على المعنى الأوّل.

قوله: (أهل تَبالة) تَبالة:[١] بلد باليمن هضبة.[٢] وفي المَثَل «أهوَن مِن تَبالة على الحجّاج».[٣] و«جُرَش: موضع باليمن، ومنه أديم جُرشيّ وناقة جرشيّة».[٤]

قوله: (أو حالًا عائلةً) أي:يكون صفةَ موصوفٍ محذوف، أي: خفتم حالًا عائلةً، فهو منصوب حينئذٍ؛ لأنّه مفعول به.

---

١ ر - تبالة.

٢ ر: خصبة. | انظر: معجم البلدان للحمويّ، ٢/٩.

٣ مجمع الأمثال للميداني، ٢/٤٠٨.

٤ الصحاح للجوهري، «جرش».

نَفَى عنهم الإيمانَ بالله؛ لأن اليهود مُثنِّيَةٌ والنّصارى مُثَلِّثةٌ، وإيمانَهم باليوم الآخر؛ لأنهم فيه على خلافِ ما يجب، وتحريمَ ما حرَّمَ الله ورسولُه؛ لأنهم لا يحرِّمون ما حُرِّم في الكتاب والسُّنَّة، وعن أبي رَوْقٍ: لا يعملون بما في التوراة والإنجيل. وأنْ يَدِينوا دينَ الحقِ وأَنْ يعتقدوا دينَ الإسلام الذي هو الحقُّ وما سواه الباطلُ، وقيل: دينَ الله تعالى؛ يقال: "فلانٌ يَدِينُ بكذا" إذا اتَّخذه دِينَه ومُعْتَقَدَه.

سمِّيت جزيةً؛ لأنَّها طائفةٌ مما على أهل الذِّمة أَنْ يَجْزُوهُ؛ أي: يَقْضوه، أو لأنَّهم يَجْزُون بها مَن مَنَّ عليهم بالإعفاء عن القتل.

قوله: (والنصارى مثلِّثة) وإنّما قال: "النصارى مثلِّثة"؛[١] لأنّهم يقولون بأنّ عيسى ابن الله -تعالى عمّا يقولون-[٢] مِن مريم وهي صاحبته، وقد يقول بعضهم بإلهيّة الثلاثة، كما مرّ بيانه. وأمّا اليهود فقالوا: عُزير ابن الله، ولم يثبتوا الصاحبيّة[٣] في البنوّة.

قوله: (وإيمانَهم) نصب عطفًا على (الإيمانَ بالله)، وكذا (تحريمَ ما حرّم الله)، وكذا[٤] (أن يَدينوا).

قوله: (وأن يعتقدوا دين الإسلام) عطف تفسيريّ لقوله: "أن يَدينوا". وقوله: (فيه) أي:في الإيمان باليوم الآخر.

قوله: "وأن يَدينوا"، أي: ونفى أن يَدينوا، ثمّ بيّن قوله: "وأن يَدينوا" بقوله: "وأن يعتقدوا"... إلخ.

قوله: (وقيل: دينَ الله)، يعني: يجوز أن يكون الحقّ هنا اسمًا مِن أسماء الله تعالى.

قوله: (أو لأنّهم يَجْزُون) مِن جَزيتُه بما صنع / جزاءً، بمعنى: جازيته. [٣٨٠ظ]

قوله: (بالإعفاء عن القتل) «الإعفاء: الترك. ومنه إعفاء اللحية: وهو ترك قطعها وتوفيرُها. وقولهم: أعفني مِن[٥] الخروج معك، أي: دعني عنه».[٦]

---

[١] ن - وإنّما قال: النصارى مثلثة.
[٢] ر - تعالى عمّا يقولون.
[٣] ر: الصاحبة.
[٤] ر - تحريم ما حرم الله وكذا.
[٥] ر: عن.
[٦] المغرب للمطرّزي، «عفو».

﴿عَن يَدٍ﴾ إمَّا أن يراد يدُ المُعطي أو الآخذ:

فمعناه على إرادة يد المُعْطِي: حتى يُعطُوها عن يدٍ؛ أي: عن يدٍ مُؤاتيَةٍ غيرِ ممتنعةٍ؛ لأنَّ مَن أَبَى وامتنَعَ لم يُعطِ يدَه بخلافِ المطيع المنقاد، ولذلك قالوا: "أَعْطى بيده" إذا انقاد وأصحبَ، ألا ترى إلى قولهم: "نَزَع يدَه عن الطاعة" كما يقال: "خَلعَ رِبقةَ الطاعة عن عُنقه".

أو: حتى يُعطوها عن يدٍ إلى يدٍ نقدًا غيرَ نسيئة، لا مبعوثًا على يد أحدٍ، ولكنْ عن يدِ المُعطِي إلى يدِ الآخذ.

وأما على إرادة يدِ الآخذ فمعناه: حتى يُعطَوها عن يدٍ قاهرةٍ مستوليةٍ، أو عن إنعامٍ عليهم؛ لأن قبول الجزية منهم وتركَ أرواحهم لهم نِعمةٌ عظيمةٌ عليهم.

﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾؛ أي: تُؤخذ منهم على الصَّغار والذُّل، وهو أن يأتي بها بنفسه ماشيًا غيرَ راكبٍ، ويُسلِّمَها وهو قائمٌ والمتَسلِّمُ جالسٌ، وأن يُتلتَل تَلتَلةً ويُؤخذَ ....

قوله: (عن يد مؤاتية)،[1] أي: موافقة مطاوعة.

قوله: (وأصحبَ)[2] يقال: «أصحب البعير والدابّة إذا انقادا[3] بعد صعوبة».[4] قال:

ولكن أصحبَتْ عنهم قُروني[5]

قوله: (عن يد قاهرة) أي:بسبب يدٍ قاهرة. كقوله:

يَنهَون عن أكل وعن شُربِ[6]

أي: يتناهون في السِّمن بسبب الأكل والشرب.

قوله: (تلتلةً) تلتله: زعزعه وأقلقه.

---

[1] ر: مواتبة.

[2] ر: أصحب.

[3] ن: انقاد.

[4] ن: الصعوبة. | الصحاح للجوهري، «صحب».

[5] عجز بيت لرجل من كليب، صدره:

فإنّي مثل ما تجدين وجدي

انظر: شرح الحماسة للمرزوقي، ١/٢٩٥؛ والمآخذ على شرّاح المتنبي للأزدي، ٥/٥٨.

[6] عجز بيت مضى بتمامه وتخريجه في تفسير البقرة، ٢/٣٦.

بتَلْبيبهِ ويقال له: "أَدِّ الجِزيةَ" وإن كان يُؤدِّيها، ويُزَخُّ في قفاه.

وتسقطُ بالإسلام عند أبي حنيفة رحمه الله، ولا يَسقطُ به خَرَاجُ الأرض.

واختُلف فيمَن تُضرب عليه:

فعند أبي حنيفة رحمه الله: تُضْربُ على كلِّ كافرٍ من ذِمِّيٍّ ومجوسيٍّ وصابئٍ وحربيٍّ، إلَّا على مشركي العرب وحدهم.

رَوى الزهريُّ: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح عبَدةَ الأوثان على الجزية إلَّا مَن كان من العرب.

وقال لأهل مكة: «هل لكم في كلمةٍ إذا قلتُمُوها دانت لكم بها العربُ وأدَّتْ إليكم الجزيةَ العجمُ؟».

وعند الشافعي رحمه الله: لا تؤخَذُ من مشركي العجم.

والمأخوذ عند أبي حنيفة رحمه الله في أوّل كلِّ سنةٍ من الفقير الذي له كسبٌ: اثنا عشر درهمًا، ومن المتوسِّط في الغِنَى: ضِعفُها، ومن المُكثِرِ: ضِعفُ الضعف ثمانيةٌ وأربعون. ولا تُؤخذ من فقيرٍ لا كسبَ له.

وعند الشافعي رحمه الله: يؤخَذ في آخر السنةِ من كلِّ واحدٍ دينارٌ فقيرًا كان أو غنيًّا، كان له كسبٌ أو لم يكن.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾

قوله: (بتَلْبيبه) «لبَبتُ الرجل إذا جمعتَ ثيابه عن صدره ونحره ثمّ جررته[1] عند الخصومة».[2]

قوله: (ويُزخّ) «زخّه: دفعه في وهدة».[3]

قوله: (في كلمةٍ) أي:لا إله إلّا الله. وقوله: (وأدّت)،[4] أي: خضعت.

---

[1] ر: زجرته.

[2] الصحاح للجوهري، «لبب».

[3] الصحاح للجوهري، «زخخ».

[4] لم أجده في مظانّه. وانظر: تخريج أحاديث الكشّاف للزيلعي، ٢/٦٥.

﴿عزيرٌ ابن ٱللَّه﴾ مبتدأٌ وخبرٌ؛ كقوله: ﴿ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ﴾.

وعزير: اسمٌ أَعْجميٌّ كعازَرَ وعَيْزارَ وعِزْرائيلَ، ولعُجمته وتعريفه امتنع صرفُه، ومَن نوَّن فقد جَعله عربيًا، وأما قولُ مَن قال: سقوطُ التنوين لالتقاء الساكنين كقراءةِ مَن قرأ: "أَحَدُ اللهُ"؛ أو لأنّ الابن وقع وصفًا والخبرَ محذوفٌ وهو: معبودُنا- فتَمَحُّلٌ عنه مندوحةٌ.

وهو قولُ ناسٍ من اليهود ممَّن كان بالمدينة وما هو بقولِ كلِّهم؛ عن ابن عباس رضي الله عنه: جاء رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سلامُ بن مِشْكَمٍ ونُعمانُ بن أوفى وشَاسُ بن قيسٍ ومالك بن الصَّيف فقالوا ذلك.

وقيل: قاله فِنْحاصُ.

وسببُ هذا القول: أن اليهودَ قتلوا الأنبياء بعد موسى عليه السلام، فرَفع الله عنهم التوراة ومحاها من قلوبهم، فخرَجَ عزيرٌ وهو غلامٌ يسيح في الأرض،

قوله:[1] (ومَن نوَّن فقد جعله عربيًا) وهو عاصم والكسائي.[2] قال الشيخ في الكواشي: «القرّاء:[3] ﴿عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ﴾ مصروفًا وغير منصرف».[4]

قوله: (أو لأنّ الابن وقع وصفًا) "الابن" إذا وقع صفة بين علمين تسقط ألفه في الخطّ، وإذا[5] وقع خبرًا للمبتدأ فلا، تقول: جاءني زيد بن عمرو، وزيدٌ ابن عمرو.

قوله: (عنه مندوحةٌ) المندوح: المكان الواسع. والتمحُّل: الطلب بحيلة وتكلُّف.

قوله: "عنه مندوحةٌ" مبتدأ، وخبر صفة (تمحُّل).

قوله: (وهو قول ناسٍ) أي:قولهم: عُزير ابن الله.

---

[1] ن – (في كلمة) أي:لا إله إلا الله. وقوله: (دانت) أي:خضعت.

[2] قرأ بالتنوين عاصم والكسائي ويعقوب. السبعة لابن مجاهد، ص ٣١٣؛ النشر لابن الجزري، ٢/٢٧٩.

[3] ر: القرأة.

[4] ر: مصروف. | تفسير الكواشي، ٢٢١ظ.

[5] ر: إذا.

فأتاه جبريل عليه السلام فقال له: إلى أين تذهب؟ قال: أطلب العلم، فحَفَّظه التوراةَ، فأمْلاها عليهم عن ظهرِ لسانه لا يَخْرِمُ حرفًا، فقالوا: ما جمَع الله التوراة في صدره وهو غلامٌ؛ إلَّا لأنه ابنُه.

والدليل على أن هذا القول كان فيهم: أنَّ الآية تُليَتْ عليهم فما أنكروا ولا كذَّبوا مع تهالُكهم على التكذيب.

فإن قلتَ: كلُّ قولٍ يقال بالفم، فما معنى قوله: ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ﴾؟

قلتُ: فيه وجهان:

أحدهما: أن يراد أنه قولٌ لا يعضُده برهانٌ، فما هو إلَّا لفظٌ يَفُوهون به فارغٌ من معنًى تحتَه؛ كالألفاظ المهملة التي هي أجراسٌ ونغَمٌ لا تدلُّ على معانٍ، وذلك أن القول الدالَّ على معنًى لفظُه مقولٌ بالفم ومعناه مؤثِّرٌ في القلب، وما لا معنًى له مقولٌ بالفمِ لا غيرُ.

والثاني: أن يراد بالقول: المذهبُ؛ كقولهم: "قولُ أبي حنيفة رحمه الله" يريدون: مذهبَه وما يقول به؛ كأنه قيل: ذلك مذهبُهم ودينُهُم بأفواههم لا بقلوبهم؛ لأنه لا حجةَ معه ولا شبهةَ حتى يؤثِّرَ في القلوب، وذلك أنهم إذا اعترفوا أنَّه لا صاحبَةَ له لم تبقَ شُبهةٌ في انتفاءِ الولد.

﴿يضاهون﴾ لا بدَّ فيه من حذفِ مضافٍ، تقديره: يُضاهي قولُهم قولَهم، ثم حُذف المضاف وأقيم الضَّميرُ المضافُ إليه مُقامه فانقلب مرفوعًا، والمعنى: أن الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يُضاهي قولُهم قولَ قُدمائهم، يعني: أنه كفرٌ قديمٌ فيهم غيرُ مستَحدَثٍ، أو يُضاهي قولَ المشركين: الملائكةُ بناتُ الله.

قوله: (قولهم: والتحقيق أنّه)[1] عطف على قوله: (والمعنى)... إلخ، إذ المعنى الثاني أنّه يضاهي قول[2] اليهود القائلين: "عزير ابن الله" قولَ المشركين.

---

[1] ما وقفت على هذه العبارة فيما بين يدي من مطبوع الكشّاف وما راجعته من أصوله.

[2] ر: قوله.

وقيل: الضمير للنَّصارى؛ أي: يضاهي قولُهم: ﴿ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ قولَ اليهود: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾؛ لأنهم أقدمُ منهم.

وقرئ: ﴿يُضَاهِئُونَ﴾ بالهمز، من قولهم: "امرأةٌ ضَهْيأٌ" على فَعْيَلٍ، وهي التي ضاهأت الرجال في أنها لا تحيضُ، أو همزتُها مزيدة كما في غِرْقِئٍ.

﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: هم أحقَّاءُ بأنْ يقال لهم هذا تعجُّبًا من شناعة قولهم؛ كما يقال لقوم ركبوا شنْعاءَ: قاتَلهم اللهُ ما أعجبَ فعلَهم!

﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾: كيف يُصْرَفون عن الحق؟

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾

اتخاذُهم أربابًا: أنهم أطاعوهم في الأمر بالمعاصي وتحليلِ ما حرَّم الله وتحريمِ ما حلَّله اللهُ كما تطاعُ الأربابُ في أوامرهم، ونحوُه تسميةُ اتِّباعِ الشيطان فيما يوسوِسُ به عبادةً ﴿بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾ [سبأ ٤١/٣٤] ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ [مريم ٤٤/١٩].

قوله: (وهمزتُها مزيدة) الصواب "أو همزتها مزيدة"، وإلّا ففي كلامه تناقض. ويمكن أن يكون مراد المصنّف بقوله: (فعيل) بيانَ أن ليس بين الهمزة والياء ألف،[١] لا بيانَ أصله، ومثله كثير، فيسقط الاعتراض. وفيه تعسُّف. وأيضًا قوله: (ضاهأت الرجال)[٢] يدلّ على أنّه جعل الهمزة أصليّة.

قوله: (كما في غِرقئ) وهو قشر البيضة الأسفل، وهو الذي تحت القيض[٣] قال الشاعر:

كغرقئ[٤] بيض كنّه القيض مِن علُ[٥]

---

١ ر: الألف.

٢ ن: الرجل.

٣ ن: القبض.

٤ ر: لغرقى.

٥ ن ر: علي. | عجز بيت لأوس بن حجر، أوّله:

فملّك باللِّيط الذي تحت قشرها

وهو في ديوانه، ص ٩٧؛ وهو له في الصحاح للجوهري، «ملك»، «علا»؛ وخزانة الأدب للبغدادي، ٣٩٦/٢.

وعن عَديِّ بن حاتمٍ رضي الله عنه: انتهيتُ إلى رسول الله وفي عُنقي صَليبٌ من ذهب، فقال: «أليسوا يحرِّمون ما أحلَّ الله فتُحرِّمونه ويُحلُّون ما حرَّمه فتُحلُّونه» قلتُ: بلى، قال: «فتلك عبادتُهم».

وعن الفُضيل: ما أُبالي أطعتُ مخلوقًا في معصية الخالق، أو صلَّيتُ لغير القبلة.

وأما المسيح فحين جعلوه ابنًا لله فقد أهَّلوه للعبادة، ألا ترى إلى قوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ [الزخرف ٨١/٤٣].

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ أَمَرَتْهم بذلك أدلَّةُ العقل، والنصوصُ في الإنجيل، والمسيحُ عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾ [المائدة ٧٢/٥].

﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ تنزيهٌ له عن الإشراك به واستبعادٌ له.

ويجوز أن يكون الضمير في ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ﴾ للمتَّخَذين أربابًا؛ أي: وما أُمر هؤلاء الذين هم عندهم أربابٌ إلَّا ليعبدوا الله ويُوحِّدوه، فكيف يصح أن يكونوا أربابًا وهم مأمورون مستعبَدون مثلُهم.

قوله: (وعن عَديِّ بن[1] حاتم)... إلخ، تمام الحديث: لمَّا أتاه عليه السلام تلا عليه الآية، أي: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ﴾. قال: قلتُ: يا رسول الله إنّهم لم يكونوا يعبدونهم. قال عليه السلام: «أليس[2] كانوا يحرِّمون»...[3] إلخ.

قوله: (﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ [المائدة ٧٢/٥])... إلخ، استشهاد بما حكى الله تعالى عن قول عيسى عليه السلام.

قوله: (ويجوز أن يكون الضمير) عطف على قوله: (أَمَرَتْهم بذلك)؛ لأنّه كان إشارة إلى أنّ الضمير للمتّخِذين بكسر الخاء، فأشار هنا إلى أنه يجوز أن يكون الضمير للمتخَذين بفتح الخاء.

---

[1] ر – بن.

[2] ر: أليسوا.

[3] ر: محرمون. | الحديث بلفظ قريب في سنن الترمذي، ٢٧٨/٥ (٣٠٩٥)؛ وجامع البيان للطبري، ٤١٧/١١ (التوبة، ٣١/٩).

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾

مثَّلَ حالَهم في طلبهم أن يُبطلوا نبوَّةَ محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب بحالِ مَن يريد أن ينفخَ في نورٍ عظيم مُنبثٍّ في الآفاق يريد الله أن يزيدَه ويبلِّغَه الغايةَ القصوى من الإشراق والإضاءة، ليُطفئَه بنفخه ويَطمِسَه.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾: ليُظهر الرسولَ ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾: على أهل الأديان كُلِّهم، أو: ليُظْهِرَ دِينَ الحقِّ على كلِّ دِينٍ.

فإن قلتَ: كيف جاز «أَبَى الله إلا كذا» ولا يقال: كرهتُ أو أبغَضْتُ إلَّا زيدًا؟

قلتُ: قد أُجرِيَ "أَبَى" مُجرى: لمْ يُرِدْ، ألا ترى كيف قُوبل ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟﴾ بقوله: ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ﴾، وكيف أُوقِعَ موقعَ: ولا يريدُ اللهُ إلَّا أن يتِمَّ نُورَه؟

قوله: (مثّل حالهم في طلبهم) وهو استعارة مصرّحة تمثيليّة، والمستعار جملة الكلام؛ لأنّ حالهم في محاولة إبطال نبوّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم[١] بالتكذيب هو المشبّه وهو مطوي، والمشبّه[٢] به حال مَن يريد أن ينفخ[٣] في نور عظيم منبث[٤] في الآفاق. وقوله: ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ ترشيح الاستعارة؛ لأنّ إتمام النور زيادة في استنارته وفشوّ[٥] ضوئه، فهو تفريع على الأصل، أي: المشبه به. وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ تجريد[٦] الاستعارة وتفريع على الفرع، وتمّم الأمر الترشيح والتجريد بقوله: ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾.

قوله: (فإن قلتَ: كيف جاز "أبى الله") أي:كيف جاز أن يكون الاستثناء المفرّغ مِن الموجَب.

---

١ ر: عليه الصلاة والسلام.
٢ ر – والمشبه.
٣ ر: يفتح.
٤ ر: مثبت.
٥ ر: وفشوه.
٦ ن ر: تحرير.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾

معنى أكلِ الأموال على وجهين: إمَّا أن يُستعار الأكلُ للأخذ، ألا ترى إلى قولهم: أَخَذ الطعامَ وتناوله، وإمَّا على أن الأموال يؤكلُ بها فهي سببٌ للأكل، ومنه قوله:

/ قوله: (ألا[1] ترى) اعلم أنّ الأخذ والتناول بمعنى واحد، فكما استُعير الأخذ والتناول للأكل في قولهم: "أخذ الطعام وتناوله" استُعير الأكل للأخذ والتناول في الآية. [٣٨١و]

قوله: (فهي سبب الأكل) أي:في الأموال سبب الأكل، أي: لأكل المأكولات، فأُطلق المال وأريدَ تلك[2] المأكولات التي الأموال سبب لأكلها، فكأنّه قيل: ليأكلون المأكولات بالباطل، أي: يأكلون المأكولات اللذيذة والأطعمة الشهية بالأموال التي يأخذونها مِن الناس ظلمًا وباطلًا. فعلى الوجه الأوّل تكون الاستعارة تبعيّة في ﴿يَأۡكُلُونَ﴾، وقرينتها نسبتها إلى الأموال، وعلى الوجه الثاني الاستعارة في الأموال.

قوله: (أن يستعار الأكل للأخذ) وذلك بأن تشبّه حالة أخذهم أموالَ الناس مِن غير تمييز بين الحقّ والباطل وتفرقةٍ بين الحلال والحرام للتهالك على الدنيا والحرص على جمع حطامها، بحالة منهمِك[3] جائع لا يميّز بين طعام وطعام في التناول. ولا طائلَ تحت هذه الاستعارة، واستشهاده بقولهم: (أَخَذ الطعام وتناوَله) أسمج.[4] والوجه هو الثاني، وما قال القاضي: «سُمّي أخذ المال أكلًا؛ لأنّه الغرض الأعظم منه».[5]

---

[1] ر: وألا.

[2] ر – تلك.

[3] ر: مهمك.

[4] ر: أسمح.

[5] تفسير البيضاوي، ٢/٥٠ (التوبة، ٩/٣٤).

يـــأكـــلـــنَ كـــلَّ لـــيـــلـــةٍ إكـــافـــا

يريد: علفًا يُشترى بثَمَنِ إكافٍ.

ومعنى أكلِهم بالباطل: أنهم كانوا يأخذون الرُّشا في الأحكام والتخفيفِ والمسامحةِ في الشرائع.

﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ﴾ يجوز أن تكون الإشارةُ إلى الكثير من الأَحْبار والرُّهبان؛ للدلالة على اجتماعِ خصلتين مذمومتين فيهم: أخذِ البَراطيل، وكنزِ الأموال والضِنّ بها عن الإنفاق في سُبُل الخير.

ويجوز أن يراد المسلمون الكانزون غيرُ المنفقين، ويُقرَنُ بينهم وبين المُرتَشين من اليهود والنصارى تغليظًا ودلالةً على أنَّ مَن يأخذ منهم السُحتَ ومَن لا يُعطي منكم طيِّبَ ماله سواءٌ في استحقاقِ البشارة بالعذاب الأليم.

وقيل: نَسخت الزكاةُ آية الكنز.

وقيل: هي ثابتةٌ، وإنما عُني بترك الإنفاق في سبيل الله منعُ الزكاة، وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «ما أُدِّي زكاتهُ فليس بكنزٍ وإن كان باطنًا، وما بلغ أن يُزكَّى فلم يُزكَّ فهو كنزٌ وإن كان ظاهرًا».

قوله: (البراطيل) البراطيل جمع بِرطيل، وهو: حجر طويل شبّه الرشوة[1] به فسُمِّيت به؛ لأنّ الراشي يُلقمه فيسكت، مِن قولهم: ألقمه الحجر إذا أسكته، وكأنّه جعل مستطيلًا ليسدّ فاه إلى أقصى حلقه. وفي نوابغ الكلم:[2] البراطيل تنصر الأباطيل.[3]

قوله: (مَن يأخذ منهم) أي:مِن اليهود والنصارى، وهو حال مِن الضمير في "يأخذ"، و"مِن" بيان أو تبعيض، وليس صلة "يأخذ".

قوله: (ويجوز أن يراد المسلمون الكانزون) يريد أنّ التعريف في ﴿ٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ﴾ للعهد، والمعهود إمّا الأحبار والرُّهبان وإمّا المسلمون لجري ذِكر الفريقين، والأولى حَمْله على العموم.

---

[1] ر: السوة.

[2] ر: الكلمة.

[3] الكلم النوابغ للزمخشري (ضمن النَّعم السوابغ)، ص ٢٣٣.

وعن عمر رضي الله عنه: أن رجلًا سألَه عن أرضٍ له باعها، فقال: أحْرِزْ مالك الذي أخذتَ واحْفِرْ له تحت فراشِ امرأتك، قال: أليس بكنزٍ؟ قال: ما أُدِّي زكاته فليس بكنز.

وعن ابن عمر: أن كلَّ ما أُدِّيَتْ زكاتُه فليس بكنز وإن كان تحت سَبْع أرضين، وما لم تؤدَّ زكاتُه فهو الذي ذَكر الله وإن كان على ظهر الأرض.

فإن قلتَ: فما تصنعُ بما رَوى سالمُ بن [أبي] الجَعْدِ أنها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تبًا للذهب تبًا للفِضَّة» قالها ثلاثًا، فقالوا له: أيَّ مالٍ نتخذه؟ [فقال عمر: أنا أعلمُ لكم ذلك، فقال: يا رسول الله، إن أصحابك قد شقَّ عليهم وقالوا: فأيَّ المال نتخذ؟] قال: «لسانًا ذاكرًا، وقلبًا خاشعًا، وزوْجةً تُعين أحدَكم على دينه».

وبقوله عليه الصلاة والسلام: «مَن ترك صَفْراءَ أو بيضاءَ كُوِيَ بها».

وتُوفِّي رجلٌ فوُجد في مئزره دينارٌ فقال عليه الصلاة والسلام: «كيَّةٌ» وتُوفِّي آخرُ فوُجد في مِئْزره ديناران فقال: «كيّتان»؟

قلتُ: كان هذا قبلَ أن تُفرض الزكاةُ، فأمَّا بعد فرضِ الزكاة ....

قوله: (احفر له تحت فراش امرأتك) كناية عن المبالغة في الحفظ.

قوله: (قال: «لسانًا ذاكرًا»)[1] اعلم أنّ جواب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم عن قول القائل: «أيّ شيء نتخذ؟» بقوله عليه السلام: «لسانًا»...[2] إلخ، مبالغة في الزجر عن اتّخاذ المال، فكأنه صلّى الله عليه وسلّم قال: لا يجوز اتّخاذ شيء مِن المال وكنزه أصلًا؛ بل تلزم لسانك ذاكرًا وقلبك خاشعًا وزوجتك معين الدين، ومحافظة هذه الأشياء لازم عليك، فإن كان هذه المحافظة اتّخاذ المال فاتّخاذ المال كان سائغًا لك، وهذا غاية المبالغة في الزجر عن الكنز.

قوله: (فأمّا بعد فَرْض الزكاة) جوابه محذوف، أي: فأمّا بعد فرض الزكاة

---

[1] الحديث بلفظ قريب في مسند أحمد، ١١٠/٣٧ (٢٢٤٣٧)؛ وسنن ابن ماجه، ٦١/٣ (١٨٥٦).

[2] ر – لسانًا.

فالله أعدلُ وأكرمُ من أن يجمع عبدَه مالًا من حيث أذِنَ له فيه ويؤدِّيَ عنه ما أَوْجَبَ عليه فيه ثم يُعاقبَه، ولقد كان كثيرٌ من الصحابة كعبد الرحمن بنِ عوفٍ وطلحةَ بنِ عُبيد الله يَقْتنون الأموالَ ويتصرَّفون فيها وما عابَهم أحدٌ ممن أعرضَ عن القِنْيَةِ؛ لأن الإعْراضَ اختيارُ الأفضلِ الأدخلِ في الورعِ والزُّهد في الدنيا، والاقتناءُ مباحٌ موسَّعٌ لا يُذَمُّ صاحبُه، ولكلِّ شيءٍ حدٌّ، وما روي عن عليٍّ: أربعةُ آلافٍ فما دونها نَفقةٌ، فما زاد فهو كنزٌ، كلامٌ في الأفضل.

فإن قلتَ: لم قيل: ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾ وقد ذُكر شيئان؟

فلم يبقَ هذا الحكم، وعلّل ذلك بقوله: (فالله أعدل)... إلخ، وقوله: (ولقد كان)... إلخ، عطف مِن حيث المعنى على قوله: "فالله أعدل"... إلخ؛ لأنّ الأوّل دليل عقليّ وهذا دليل نقليّ.

قوله: (فالله أعدل وأكرم)... إلخ، لا بد فيه مِن محذوف، والتقدير: ففعلُ الله أعدل مِن هذا الفعل، وهو أن يجمع العبد المال ويزكي ثمّ يعاقبه الله، أي: مِن أن يعاقبه على هذا التقدير، وهو أداء الزكاة مِن المال الذي[١] جمعه، فإسناد[٢] العدل والكرم إلى فعل الله تعالى يكون مجازًا. ثمّ اعلم أنّ هذا الوجه والذي بعده في هذه الحاشية آتيان في بيت المتنبي،[٣] وهو قوله:

الناسُ أكيَسُ[٤] مِن أن يمدحوا رجلًا حتّى[٥] يروا عنده[٦] آثار إحسانِ[٧]

كأنّه قال: فعل الناس أكيس،[٨] أي: أقرب إلى الكياسة مِن المدح المذكور، أو كأنّه قال: الناس أكيس،[٩] ثمّ قال: يبعدون / مِن أن يَمدحوا. ويجوز أن يقال: [٣٨١ظ]
تمّ الكلام عند قوله: "أكرم"، أي: أعدل وأكرم مِن جميع الخلائق، ثمّ قال: يبعد ويتنزّه مِن أنّ قوله: "فالله أعدل"... إلخ، مثل قول المتنبي:

---

١ ر - الذي.
٢ ر: بإسناد.
٣ ر: المتن.
٤ ن: الكيس.
٥ ر - حتى.
٦ ر: فيهم.
٧ ما وجدت البيت للمتنبي. وهو للطبرخزمي في الدرّ الفريد لابن أيدمر، ٤/١٨٥. ومضى تمثيل الجاربردي به ونسبته البيت للمتنبي في تفسير النساء، ٤/١٦٢.
٨ ن: الكيس.
٩ ن: الكيس.

قلتُ: ذهابًا بالضمير إلى المعنى دون اللفظ؛ لأنّ كلَّ واحدٍ منهما جملةٌ وافيةٌ وعِدَّةٌ كثيرةٌ ودنانيرُ ودراهمُ، فهو كقوله: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ﴾ [الحجرات ٩/٤٩].

وقيل: ذُهب به إلى الكنوز، وقيل: إلى الأموال.

وقيل: معناه: ولا ينفقونها والذهَبَ كما أن معنى قوله:

فإنّي وقَيّارٌ بها لغريبُ

وقيّارٌ كذلك.

فإن قلتَ: لم خُصَّا بالذكر من بين سائر الأموال؟

الناس أكيسُ مِن أن يمدحوا رجلًا حتّى يروا عنده[1] آثار إحسانِ[2]

والتقدير: الناس أكيس مِن جميع المخلوقات، ثمّ قال: "مِن"، أي: يبعدون مِن أن يمدحوا، أو يجتنبون، فحذف صلة "أكيس" وتمّ الكلام عنده، ثمّ ابتدأ قوله: "مِن أن يمدحوا"، أي: يبعدون أو يجتنبون.[3]

قوله: (لأنّ كلّ واحد منهما جملة) فكأنّه قيل: ولا ينفقون الجملة أو العِدّة أو الدنانير والدراهم.

قوله: (وقيل: ذُهب به إلى الكنوز) لدلالة ﴿يَكْنِزُونَ﴾ عليه.

قوله:[4] (الأموال)؛ لأنّ الكنوز أموال.

قوله:

(فإنّي وقيّار بها لغريبُ)[5]

أوّله:

فمن يكُ أمسى بالمدينة رحلهُ

---

[1] ر: فيهم.

[2] مضى الكلام عليه آنفًا.

[3] ر - فحذف صلة أكيس، وتمّ الكلام عنده، ثمّ ابتدأ قوله: "مِن أن يمدحوا"، أي: يبعدون أو يجتنبون.

[4] ر: وقوله.

[5] البيت لضابئ بن الحارث البُرجُميّ، ومضى بتخريجه في سورة المائدة، ٣٦/٥.

قلتُ: لأنّهما قانونُ التموُّل وأثمانُ الأشياء، ولا يَكنزُهما إلّا مَن فَضَلا عن حاجته، ومَن كثُرا عنده حتى يكنزهما لم يعدَمْ سائرَ أجناس المال، فكان ذكرُ كَنْزِهما دليلًا على ما سواهما.

فإن قلتَ: ما معنى قوله: ﴿يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا﴾ وهلا قيل: تُحمَى، من قولك: «حَمِيَ المِيسَمُ وأحميْتُه» ولا تقول: «أحميتُ على الحديد»؟

قلتُ: معناه: أن النار تُحمَى عليها؛ أي: توقَد ذاتَ حَمْيٍ وحَرٍّ شديدٍ، من قوله: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ [القارعة ١١/١٠١]، ولو قيل: «يوم تُحمَى» لم يُعطِ هذا المعنى.

قوله: (قلتُ: لأنّهما قانون التموُّل) الجوهري: «القوانين: الأصول، الواحد قانون، وليس بعربيّ».[1]

قوله: (على ما سواهما) أي:وجود ما سواهما.

قوله:[2] (وهلا قيل: تُحمى) أي:ليكون المعنى: يحمي الفضة، فيكون الحمي مسندًا إلى الفضة، فأجاب بأنّ المقصود إسناده إلى النار.

قوله: (مِن قولك: حمي المِيسَم) المِيسَم: الحديد الذي يُوسَم به.

قوله: (قلتُ: معناه أنّ النار تُحمى) تقديره ومعناه: اذكر يوم تُحمى النار على الأموال، فلمّا حُذفت النار وأقيمَ[3] الجارّ والمجرور مُقامها[4] ذُكّر الفعل. قال الواحدي: «يقال: أحميتُ الحديدة في النار إحماءً حتّى حميَت حميًا إذا أوقدتَ عليها النار»،[5] ونحوه قوله تعالى: ﴿أَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ﴾ [القصص ٣٨/٢٨].

قوله: (ولو قيل: "يومَ تُحمى" لم يُعطَ هذا المعنى)؛ لأنّك إذا قلت: "يومَ تُحمى الكنوز في نار جهنّم" أفاد أنّها حميت وهي كائنة في النار كما يُحمى المِيسَم فيها فلا يُعلم شدّة[6] وقود النار، وأمّا لو قيل: "يُحمى عليها" وأسندَ "يُحمى" إلى النار أفاد أنّ النار بنفسها تُحمى، فيكون[7] كما قال: (تُوقَد ذات حَمْي وحرّ شديد)، ثمّ إذا قيل:

---

[1] الصحاح للجوهري، «قنن».
[2] ن – قوله.
[3] ن: أقيم.
[4] ر: مقامهما.
[5] الوسيط للواحدي، ٤٩٢/٢ (التوبة، ٣٦/٩).
[6] ن: شد.
[7] ر: فتكوى.

فإن قلتَ: فإذا كان الإحْماءُ للنار فلمَ ذُكِّر الفعلُ؟

قلتُ: لأنه مسندٌ إلى الجارِّ والمجرور، أصله: "يوم تُحمى النارُ عليها"، فلمَّا حُذفت "النار" قيل: ﴿يُحْمَىٰ عَلَيْهَا﴾ لانتقال الإسناد عن النار إلى ﴿عَلَيْهَا﴾؛ كما تقول: "رُفعت القصَّةُ إلى الأمير" فإن لم تَذكر "القصَّةَ" قلتَ: "رُفع إلى الأمير".

وعن ابن عامر أنه قرأ: "تُحمى" بالتاء.

وقرأ أبو حيوةَ: "فيُكوى" بالياء.

فإن قلتَ: لم خُصَّت هذه الأعضاء؟

قلتُ: لأنهم لم يطلبوا بأموالهم -حيث لم ينفقوها في سبيل الله- إلّا الأَغْراضَ الدنياويةَ: من وَجَاهةٍ عند الناس وتقدُّم، وأن يكون ماءُ وُجوههم مَصُونًا عندهم يُتَلقَّوْن بالجميل ويُحيَّوْنَ بالإكرام ويُحتَشَمُونَ، ومِن أكْلِ طيِّباتٍ يتضلَّعون منها وينفخون جنوبَهم، ومن لُبْس ناعمةٍ من الثياب يَطْرحونها على ظهورهم؛ كما ترى أغنياءَ زمانك هذه أغراضُهم وطلَبَاتُهم من أموالهم، لا يُخطِرُون ببالهم قولَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ....

"على الكنوز" دلّ على الاستعلاء فكان أبلغ، ولهذا أكّد الواحديّ في قوله: «أحميتُ الحديدة في النار إحماءً حتّى حميَت حميًا إذا أوقدتَ عليها النار».[1]

قوله: (وعن ابن عامر أنّه قرأ بالتاء)[2] فيكون مسندًا إلى ضمير النار.

قوله: (مِن وَجاهة) فلذلك قال: ﴿جِبَاهُهُمْ﴾.

قوله: (ومِن أكل طيّبات) فلذلك قال: ﴿جُنُوبُهُمْ﴾ وهو عطف على قوله: "مِن وجاهة عند الناس". وقوله: (يتضلّعون) أي:يأكلون حتّى يملئوا[3] أضلاعهم منها، يقال: أكل حتّى تضلّع، أي: ملأ أضلاعه.

قوله: (يطرحونها على ظهورهم) فلذا قال: ﴿ظُهُورُهُمْ﴾.

---

[1] الوسيط للواحدي، ٤٩٢/٢ (التوبة، ٣٦/٩).

[2] قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن، وعبد الحميد بن بكّار عن ابن عامر. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٩١٢.

[3] ر: يملأ.

ذهب أهل الدُّثور بالأجُور.

وقيل: لأنهم كانوا إذا أبصروا الفقيرَ عبَسوا، وإذا ضمَّهم وإيَّاه مجلسٌ ازْوَرُّوا عنه وتولَّوْا بأركانهم وولَّوْا ظهورَهم.

وقيل: معناه: يُكوَوْن على الجهات الأربع: مَقَاديمِهم ومَآخِيرِهم وجنوبِهم.

﴿هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ﴾ على إرادة القول، وقوله: ﴿لِأَنفُسِكُمْ﴾؛ أي: كنزتُموه لتنتفِعَ به نفوسُكم وتَلتَذَّ وتحصُلَ لها الأغراضُ التي حامَتْ حولها، وما علمتُم أنكم كنَزْتُموه لتستضِرَّ به أنفسُكم وتتعذَّبَ، وهو توبيخٌ لهم.

﴿فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكۡنِزُونَ﴾ وقرئ: "تكنُزون" بضمِّ النون.

أي: وبالَ المالِ الذي كنتُم تكنزونه، أو: وبالَ كونِكم كانزِين.

قوله: («ذهب أهل الدثور بالأجور»)[١] «الدثر: المال الكثير»،[٢] فإنّ هذا الحديث فيه تحريض عظيم على البذل،[٣] فإنّه صلّى الله عليه وسلّم أخبر عن أهل الأموال أنّهم يذهبون بالأجر كلِّه وبالثواب عن آخره؛ لأنّهم صرفوا أموالهم في سبيل الله تعالى، فكأنّهم قد فعلوا والرسول صلّى الله عليه وسلّم يخبر عمّا فعلوا. وهذا مِن فوائد وَضْع الخبر موضع الطلب.

قوله: (عبسوا) فلذا قال: ﴿جِبَاهُهُمْ﴾.

قوله: (ازورُّوا[٤] عنه) الجوهري: «الازورار عن الشيء: العدول عنه».[٥]

قوله: (وتولوا بأركانهم) أي:بالجِباه والجُنوب؛ لأنّها أركان مَن يستقبل الشيء. وقوله: ﴿وَجُنُوبُهُمْ﴾ والجنوب جهتان.

قوله: (أي: وبال المال)، يعني: المضاف محذوف. و﴿مَا﴾ إمّا بمعنى "الذي" أو مصدريّة.

---

[١] بلفظه في مسند أحمد، ٣٧٦/٣٥ (٢١٤٧٣)؛ وصحيح مسلم، ٦٩٧/٢ (١٠٠٦)؛ وبلفظ «ذهب أهل الدثور من الأموال بالدرجات العلا والنعيم المقيم» في صحيح البخاري، ١٦٨/١ (٨٤٣).

[٢] الصحاح للجوهري، «دثر».

[٣] ر: النذر.

[٤] ر: ازوروا.

[٥] الصحاح للجوهري، «زور».

﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٣٦﴾

﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾: فيما أثبتَه وأوجبَه مِن حُكمه ورَآهُ حِكمةً وصوابًا، وقيل: في اللوح.

﴿أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞ﴾ ثلاثةٌ سَرْدٌ: ذو القعدة وذو الحجة والمحرَّمُ، وواحدٌ فردٌ: وهو رَجَبٌ، ومنه قوله عليه السلام في خُطبتهِ في حجة الوَداع: «ألَا إنَّ الزمان قد استدارَ كهيئته يومَ خَلَقَ اللهُ السماوات والأرضَ، السَّنةُ اثنا عشر شهرًا، منها أربعةٌ حُرُم ثلاثةٌ متوالياتٌ: ذو القعدة وذو الحجة والمُحرَّم، ورجبُ مُضَرَ الذي بين جُمادَى وشعبانَ».

والمعنى: رجعت الأشهر إلى ما كانت عليه، وعاد الحج في ذي الحجة،

قوله: (﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ فيما أثبته وأوجبه) فعلى هذا يكون الكتاب بمعنى المكتوب؛ لأنّه فسّر قوله: / ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ بقوله: "فيما أثبته وأوجبه"، وبيَّن ما أثبته وأوجبه بقوله: (مِن حُكمه). وقوله: (رآه) عطف على قوله: (أثبته). وقوله تعالى: ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ بدل مِن قوله: ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ لأنّ معنى قولك: ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ و﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ واحد كما مرّ. [٣٨٢و]

قوله:[١] (والمعنى) أي:معنى الحديث.

قوله:[٢] («ورجبُ مُضَرَ») كانوا يعظِّمونه فأضيفَ إليهم. وقوله: («بين جمادى وشعبان»)[٣] ليُبين أنّ الواجب في الشرع هو الشهر الذي بين جمادى وشعبان لا ما تؤخِّره[٤] العرب، مثل أن يسمُّوا[٥] رمضان برجب وشوالًا برمضان ويؤخِّرون بعض الشهور مِن موضعه إلى موضع شهر آخر.

---

١ ن – قوله.

٢ ن – قوله.

٣ صحيح البخاري، ١٠٧/٤ (٣١٩٧)؛ صحيح مسلم، ١٣٠٥/٣ (١٦٧٩).

٤ ر: تؤخروه.

٥ ر: سموا.

وبطَل النَّسيءُ الذي كان في الجاهليَّة، وقد وافقتْ حجةُ الوَداع ذا الحجَّة، وكان حجةُ أبي بكر رضي الله عنه قبلها في ذي القعدة.

﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ يعني: أن تحريم الأشهر الأربعةِ هو الدِّين المستقيمُ دينُ إبراهيم وإسماعيل، وكانت العرب قد تمسَّكت به وِراثةً منهما، وكانوا يُعظِّمون الأشهرَ الحرم ويُحرِّمون القتال فيها حتى لو لَقي الرجل قاتلَ أبيْه أو أخيهِ لم يَهِجْهُ، وسَمَّوا رجبًا: "الأصمَّ" و: "مُنْصِلَ الأسِنَّة"، حتى أحدثتِ النَّسِيءَ فغَيَّروا.

﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ﴾ في الحرُم ﴿أَنفُسَكُمْ﴾؛ أي: لا تجعلوا حرامَها حلالًا.

وعن عطاء: بالله ما يَحِلُّ للناس أن يَغزُوا في الحرَم ولا في الأشهر الحرُم إلّا أن يُقاتَلوا، وما نُسخت.

وعن عطاء الخراساني: أحلَّت القتال في الأشهر الحرُم ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾.

وقيل: معناه: لا تأثَموا فيهنَّ؛ بيانًا لعِظم حُرمتهنَّ؛ كما عظَّم أشهر الحج بقوله:

قوله:[1] (وكانت حجّة أبي بكر قبلها في ذي القعدة) على أحد القولين، والأصح أنّه كان في ذي الحجّة كما ثبت قبل.

قوله:[2] (لم يَهِجه) أي:لم يحرِّكه ولم يُزعجه ولم يتعرَّض له بالقتل. هاج الشيء يَهيج هَيْجًا وهيجانًا:[3] اهتاج وثار. وهاجه غيره. يتعدّى ولا يتعدّى.[4]

قوله:[5] (وسمَّوا رجبًا الأصمّ)؛ لأنّه لا يُسمَع فيه صوت مستغيث ولا حركةُ قتال ولا قعقعة سلاح.

قوله:[6] (ومُنصِل الأسنّة) أنصلتُ[7] الرمح: نزعت نصله، أي: سِنانه. ونصّلت السهم: جعلت له النصل.[8] فالهمزة في "أنصلت" للسلب والإزالة، ومنه مُنصِل الأسنّة.[9]

---

[1] ن - قوله.
[2] ن - قوله.
[3] ن: هياجًا.
[4] انظر: الصحاح للجوهري، «هيج».
[5] ن - قوله.
[6] ن - قوله.
[7] ن: أنصل.
[8] ن: المنصل.
[9] انظر: الصحاح للجوهري، «نصل».

﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ﴾ الآية [البقرة ٢/١٩٧]، وإن كان ذلك محرَّمًا في سائر الشهور.

﴿كَآفَّةً﴾ حالٌ من الفاعل أو المفعول به.

﴿مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾: ناصرٌ لهم، حثَّهم على التَّقوى بضمان النَّصر لأهلها.

﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٧﴾

﴿ٱلنَّسِيٓءُ﴾: تأخيرُ حُرمة الشَّهر إلى شهرٍ آخر، وذلك أنهم كانوا أصحابَ حروب وغارات، فإذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شَقَّ عليهم تركُ المحارَبة فيُحلُّونه ويُحرِّمون مكانَه شهرًا آخر، حتى رفَضوا تخصيصَ الأشهر الحرُم بالتحريم، فكانوا يحرِّمون من شِقِّ شهور العام أربعةَ أشهر، وذلك قولُه: ﴿لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: ليوافِقوا العِدَّة التي هي الأربعةُ ولا يخالفوها، ....

قوله:[١] (وإن كان ذلك محرَّمًا في سائر الشهور) يريد أنّه تعالى منع عن الرفث والفسوق فيه وإن كان محرَّمًا في جميع الأوقات إظهارًا لحرمة وقت الحجّ، فكذا منع بقوله: ﴿لَا تَظۡلِمُواْ﴾ مِن[٢] الإثم في الأشهر الحُرم وإن كان حرامًا في جميع الأوقات تعظيمًا لحرمتهنّ.

قوله:[٣] (﴿كَآفَّةً﴾ حال) "كافّة" في كلا الموضعين يحتمل أن يكون حالًا مِن الفاعل أو مِن المفعول.

قوله:[٤] (مِن شِقّ) الأساس: «قعد في شقّ الدار،[٥] أي: ناحية منها».[٦]

---

[١] ن – قوله.
[٢] ر: عن.
[٣] ن – قوله.
[٤] ن – قوله.
[٥] ر: الدر.
[٦] الصحاح للجوهري، «شقق».

وقد خالفوا التخصيصَ الذي هو أحد الواجبَين، وربَّما زادوا في عددِ الشهور فيجعلونها ثلاثة عشَرَ أو أربعةَ عشرَ ليتَّسعَ لهم الوقتُ، ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ يعني: من غير زيادةٍ زادوها.

والضمير في: ﴿يُحِلُّونَهُۥ... وَيُحَرِّمُونَهُۥ﴾ لـ﴿ٱلنَّسِيٓءُ﴾؛ أي: إذا أحلُّوا شهرًا من الأشهُر الحرُم عامًا رجعوا فحرَّموه في العام القابل.

يروى: أنه حدث ذلك في كنانةَ؛ لأنهم كانوا فقراءَ محاويجَ إلى الغارة، وكان جُنادةُ بن عوْف الكنانيُّ مطاعًا في الجاهلية، فكان يقوم على جَمَلٍ في الموسم فيقول بأعْلى صوته: إنَّ آلهتكم قد أحلَّت لكم المحرَّمَ فأحِلُّوه، ثم يقوم في القابِل: قد حرَّمت عليكم المحرَّم فحرِّموه.

جعَل النسيءَ زيادةً في الكفر؛ لأن الكافر كلَّما أحدثَ معصيةً ازداد كفرًا: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة ٩/١٢٥] كما أن المؤمن إذا أحدث طاعةً ازداد إيمانًا: ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة ٩/١٢٤].

وقرئ: ﴿يُضَلُّ﴾ على البناء للمفعول، و: "يَضَلُّ" بفتح الياء والضادِ، و: ﴿يُضِلُّ﴾ على أن الفعل لله تعالى.

قوله:[١] (أحد الواجبين) قيل: الواجبان تخصيصُ الأشهر وحرمةُ القتال. وقيل: أحدهما العدد، أي: أربعة أشهر، والآخر تخصيصها بالأشهر المذكورة. وهذا هو الوجهُ، والأوّل[٢] ليس بشيء.

قوله:[٣] (أربعةَ عشرَ) هذا ممّا لم أطّلع عليه في شيء مِن كتب الحديث، والمشهور أنّهم كانوا يجعلونها ثلاثة أشهر.[٤]

قوله:[٥] (وقرئ: ﴿يُضَلُّ﴾)[٦] قال في الكواشي: «القراءة "يضل به"، أي: بالنسيء بفتح الياء وكسر الضاد[٧] والفاعل ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، وبضمّ الياء وفتح الضاد

---

[١] ن – قوله.
[٢] ن: الأوّل.
[٣] ن – قوله.
[٤] ر: عشر.
[٥] ن – قوله.
[٦] قرأ بها حمزة والكسائي وحفص وخلف. السبعة لابن مجاهد، ص ٣١٤؛ النشر لابن الجزري، ٢/٢٧٩.
[٧] قرأ بها نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر وأبو جعفر. السبعة لابن مجاهد، ص ٣١٤؛ النشر لابن الجزري، ٢/٢٧٩.

وقرأ الزهري: "لِيُوطِّئوا" بالتشديد.

و"النسيء" مصدرُ نَسَأَه: إذا أخَّرَه، يقال: نَسَأه نَسْأً ونَسَاءً ونسيئًا، كقولك: مسَّه مسًّا ومَساسًا ومَسيسًا، وقرئ بهن جميعًا.

وقرئ: "النَّسِيُّ" بوزن النديِّ، و: "النَّسْيُ" بوزن النَّهْي، وهما تخفيف النَّسِيء والنَّسْءِ.

فإن قلتَ: ما معنى قوله: ﴿فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾؟

قلتُ: معناه: فيُحِلُّوا بمواطأة العِدَّة وحدها من غيرِ تخصيصِ ما حرَّم الله من القتال، أو من ترك الاختصاص للأشهر بعينها.

مجهولًا،[1] وقرئ بضمِّ الياء وكسر الضاد،[2] أي: يُضِلّ الكافرون أتباعهم، وبفتحها[3] مِن "ضلِلت"[4] بكسر اللام».[5] وقال الفرّاء: "النسيّ" مشدّدًا[6] بلا همز، فقيل: مِن أنساته: أخرت، قُلبت[7] الهمزة ياء وأُدغمت فيها الياء، وبالمدّ والهمز وإسكان الياء على الأصل.[8] وقرئ: "النَّسْيُ"[9] بوزن "النهي" مخفَّف "النسيء".

قوله:[10] (قلتُ: معناه: فيُحلُّوا بمواطأة العدّة[11] وحدها مِن غير[12] تخصيص) الله تعالى حرَّم أربعة أشهر وعيَّن تلك[13] الأربعة، وهم يوافقون في العدد دون التعيين، أي: التخصيص.

قوله:[14] (أو مِن ترك الاختصاص الأشهرَ) "الأشهر" منصوب بنزع الخافض، ويُروى "للأشهر".[15] والاختصاصُ مفعول "تَرْك"، و"مَن ترك" عطف على (مِن القتال). وهما الواجبان المذكوران في قوله:[16] (وقد خالفوا التخصيص الذي هو أحد الواجبين).

---

[1] قرأ بها حمزة والكسائي وحفص وخلف. السبعة لابن مجاهد، ص ٣١٤؛ النشر لابن الجزري، ٢/٢٧٩.

[2] قرأ بها يعقوب. النشر لابن الجزري، ٢/٢٧٩.

[3] قراءة شاذّة، مرويّة عن أبي رجاء. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٩١٤.

[4] ر: ظللت.

[5] تفسير الكواشي، ٢٢٣و.

[6] ر: مشردًا.

[7] ن: قلت.

[8] انظر: معاني القرآن للفرّاء، ١/٤٣٧، وفيه بعض الكلام بمعناه.

[9] قراءة شاذّة، مرويّة عن القُطعي والأشهب، وابن سعدان عن ابن كثير. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٩١٤.

[10] ن – قوله.

[11] ن: المعدة.

[12] ن – غير.

[13] ن: ثلاثة.

[14] ن – قوله.

[15] ن ر: الأشهر.

[16] ن – في قوله.

﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ﴾: خذلهم الله فحسِبوا أعمالَهم القبيحةَ حسنةً ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى﴾؛ أي: لا يلطفُ بهم بل يخذلُهم.

وقرئ: "زَيَّن لهم سوءَ أعمالهم" على البناء للفاعل، وهو اللهُ تعالى.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾

﴿ٱثَّاقَلْتُمْ﴾: تثاقَلْتُم، وبه قرأ الأعمشُ؛ أي: تباطَأْتُم وتقاعَسْتُم، وضُمِّنَ معنى الميلِ والإخلاد فعُدِّي بـ﴿إِلَى﴾، والمعنى: مِلْتُم إلى الدنيا وشهواتها، وكرِهْتم مشاقَّ السفر ومَتاعِبَه، ونحوُه: ﴿أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [الأعراف ١٧٦/٧]. وقيل: ملتُم إلى الإقامة بأرضكم ودياركم.

وقُرئ: "آثّاقَلْتُم" على الاستفهام الذي معناه الإنكارُ والتوبيخ.

فإن قلتَ: فما العاملُ في ﴿إِذَا﴾ وحرفُ الاستفهام مانعةٌ أن يعمل فيه؟

قوله:[١] (﴿ٱثَّاقَلْتُمْ﴾ تثاقلتم) قال الزجّاج: «إنّ التاء أُدغمت في الثاء فصارت ثاء ساكنة، فابتدأت بألف الوصل».[٢]

قوله:[٣] (وتقاعستُم) تقاعس عن الأمر: تأخّر عنه ولم يُقدِم عليه. وأخلد إلى الأرض: مال إليها.

قوله:[٤] (ونحوه ﴿أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾)، يعني: في أنّ المراد بالأرض الدنيا: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف ١٧٦/٧].

قوله:[٥] (وقيل: مِلتُم إلى الإقامة بأرضكم) هذا تصريح، والوجه الأوّل كناية.

قوله:[٦] (فإن قلتَ: فما العامل؟) هذا السؤال مختصّ بالقراءة[٧] على الاستفهام. وقوله: (وحرفُ الاستفهام مانعة أن يعمل) "مانعة"، أي: مانعة ﴿ٱثَّاقَلْتُمْ﴾.

---

١ ن – قوله.
٢ معاني القرآن وإعرابه للزجّاج، ٤٤٧/٢.
٣ ن – قوله.
٤ ن – قوله.
٥ ن – قوله.
٦ ن – قوله.
٧ ر: بالقدرة.

قلت: ما دلَّ عليه قوله: ﴿أَثَّاقَلْتُمْ﴾، كما في قوله تعالى: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [الرعد ٥/١٣]، أو ما في ﴿مَا لَكُمْ﴾ من معنى الفعل؛ كأنه قيل: ما تصنعون إذا قيل لكم؛ كما تُعمِله في الحال إذا قلتَ: مَا لَكَ قَائِمًا؟

وكان ذلك في غزوة تبوكَ في سنةِ عشرٍ بعد رجوعهم من الطائف، ....

والضمير المستتر في "أن[١] يعمل" عائد إلى أن ﴿أَثَّاقَلْتُمْ﴾.

/ قوله:[٢] (قلتُ: ما دلّ) أي:العامل فيه ما دلّ عليه ﴿أَثَّاقَلْتُمْ﴾، وهو معنى "مِلتم وأخلدتم"، ومثاله (﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [الرعد ٥/١٣]) أي: "أنُعاد"[٣] هذا مدلول على هذا القول، أي: لم يعمل لفظ ﴿أَثَّاقَلْتُمْ﴾، ولكن معناه وهو "مِلتُم". وقوله: (أو ﴿مَا﴾ في ﴿مَا لَكُمْ﴾) وعلى هذا الوجه يكون ﴿أَثَّاقَلْتُمْ﴾ بالاستفهام استئنافًا لاستبعاد تثاقلتم. [٣٨٢ظ]

قوله:[٤] (وكان ذلك في غزوة تبوك) قال المطرّزي في **المُغرِب**: «غزوة تبوك بأرض الشام غزاها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سنة تسع مِن الهجرة، وأقام بها عدّة أيام فصالح أهلها على الجزية، سُمّيت بذلك؛ لأنّهم كانوا يَبوكون حِسْيَها بقدح، أي: يُدخلون فيه السهم ويحرِّكون ليخرج منه الماء، ومنه باك الحمار الأتان إذا جامَعها».[٥] وقال الجوهري في **الصحاح**:

> سُمي غزوة تبوك؛ لأنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم رأى قومًا مِن أصحابه يَبوكون حِسْيَ[٦] تبوك، أي: يدخلون فيه القدح ويحرّكونه ليخرج الماء، فقال صلّى الله عليه وسلّم: ما زلتم تبوكونها، فسُمّيت بذلك[٧] الغزوة غزوة تبوك، وهي "تفعل" مِن البَوْك.[٨] والحِسيُ بالكسر:[٩] ما[١٠] تنشّفه الأرض مِن الرمل، فإذا صار إلى صلابة أمسكته فتحفر عنه الرمل[١١] فتستخرجه، وهو الاحتساء.[١٢]

---

[١] ر – أن.
[٢] ن – قوله.
[٣] ن: أمفاد.
[٤] ن – قوله.
[٥] ن: جاء معها. | المغرب للمطرّزي، «بوك».
[٦] ن: حتّى.
[٧] ن: ذلك.
[٨] الصحاح للجوهري، «بوك».
[٩] ر – بالكسر.
[١٠] ن: ماء.
[١١] ر – فإذا صار إلى صلابة أمسكته فتحفر عنه الرمل.
[١٢] الصحاح للجوهري، «حسا».

استُنفِرُوا في وقتِ عُسرةٍ وقحطٍ وقَيْظٍ مع بُعد الشُّقَّة وكثرةِ العدوّ فشَقَّ عليهم.

وقيل: ما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة إلّا وَرَّى عنها بغيرها، إلَّا في غزوة تبوكَ ليستعدّ الناسُ تمام العُدَّة.

﴿مِنَ ٱلْآخِرَةِ﴾: بَدَلَ الآخرة؛ كقوله: ﴿لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً﴾ [الزخرف ٦٠/٤٣].

﴿فِى ٱلْآخِرَةِ﴾: في جنب الآخرة.

قوله:[١] (الشُّقّة) «الشُّقّة: السفر البعيد، يقال: شُقّةٌ شاقّة».[٢]

قوله:[٣] (إلّا ورّى عنها) ورّيتُ الخبر تورية إذا سترتَه وأظهرتَ غيرَه.

قوله:[٤] (ليستعدّوا) اللام في "ليستعدّوا"[٥] متعلِّق بما دلّ عليه النفي والإثبات في قوله: "ما خرج إلّا ورّى[٦] إلّا في غزوة تبوك"، أي:[٧] صرّح في غزوة تبوك ليستعدّ الناس والتحقيق في قوله: ليستعد الناس متعلق بما يدلّ عليه الإثبات والنفي في قوله:[٨] (ورّى عنها بغيرها إلّا في غزوة تبوك)، فكأنّه قال:[٩] انتفى التورية[١٠] عنه صلّى الله عليه وسلّم في غزوة تبوك، أي: صرّح في غزوة تبوك. «والاستعداد للأمر: التهيُّؤ له».[١١] «والعُدَّة بالضمّ: ما أعددتَه لحوادث الدهر مِن المال والسلاح، يقال: أخذ للأمر[١٢] عُدّته وعتاده بمعنًى».[١٣] والعدّة أيضًا: الاستعداد، يقال: كونوا على عُدّة.

قوله:[١٤] (بدلَ الآخرة) تحقيقه[١٥] أنّه في موضع الحال مِن ﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، أي: مستدلة[١٦] مِن الآخرة وكذلك منكم حال مِن ملائكة، أي: مستبدلة منكم

---

١ ن – قوله.

٢ الصحاح للجوهري، «شقق».

٣ ن – قوله.

٤ ن – قوله.

٥ ر – اللام في ليستعدوا.

٦ ر: روي.

٧ ن: إلى.

٨ ر – الناس متعلّق بما يدلّ عليه الإثبات والنفي في قوله.

٩ ن + التفى.

١٠ ر: التورية.

١١ الصحاح للجوهري، «عدد».

١٢ ن ر: الأمر.

١٣ الصحاح للجوهري، «عدد».

١٤ ن – قوله.

١٥ ن: تحقيق.

١٦ ر: مستبدلة.

﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٣٩﴾

﴿إِلَّا تَنفِرُواْ﴾ سخطٌ عظيمٌ على المتثاقلِينَ حيث أوعَدَهم بعذابٍ أليم مطلَقٍ يتناول عذابَ الدارين، وأنّه يُهلكهم ويستبدلُ بهم قومًا آخرِين خيرًا منهم وأطوعَ، وأنَّه غنيٌّ عنهم في نُصرة دينه لا يَقدحُ تثاقُلُهم فيها شيئًا.

وقيل: الضميرُ للرسول؛ أي: ولا تضرُّوه؛ لأن الله وعَدَه أن يعصمَه من الناس وأن ينصره، ووَعْدُه كائنٌ لا محالةَ.

وكذلك قوله تعالى: ﴿فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ حال، أي: ما متاع الحياة الدنيا موضوعًا في جنب الآخرة، يعني: لو وضع في جنب الآخرة ويعتبر بالنسبة إليها لا يرى إلّا قليلًا، كما يوضع المَخْشَلب[1] في جنب الدرة الثمينة وتعتبر حالها بالنسبة إليها.

قوله:[2] (سَخَط) أي:إظهار سخط.

قوله:[3] (حيث أوعَدَهم)[4] "حيث" ظرف فيه معنى التعليل.

قوله:[5] (وأنّه يهلكهم)[6] عطف على ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ على سبيل التفسير، فيصحّ عطف (ويستبدل)[7] عليه.

قوله:[8] (وأنّه غنيّ) عطف أيضًا على ﴿عَذَابٌ﴾، لكنه مِن قبيل:

علفتُها[9] تبنًا وماءً باردا[10]

قوله:[11] (وقيل: الضمير للرسول)،[12] أي: في ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ﴾، وعلى الأوّل كان لله[13] تعالى.

---

[1] ر: المشخل. | المَخْشَلب: خرز يتّخذ منه حلي، واحدته مَخْشَلبة. أعجمي. المخصّص لابن سِيده، ٣٧٥/١.

[2] ن – قوله.

[3] ن – قوله.

[4] ن + على سبيل التفسير فيصح عطف.

[5] ن – قوله.

[6] ر: يهلكتم.

[7] ر: ويتبدل.

[8] ن – قوله.

[9] ر: علفته.

[10] لا يعلم قائله. ومضى تخريجه والكلام عليه في تفسير البقرة، ٧/٢.

[11] ن – قوله.

[12] ر: لرسول.

[13] ن: الله.

وقيل: يريد بقوله: ﴿قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أهلَ اليَمن، وقيل: أبناءَ فارسَ، والظاهرُ مستغنٍ عن التخصيص.

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

فإن قلتَ: كيف يكون قوله: ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ جوابًا للشرط؟

قلتُ: فيه وجهان:

أحدهما: إلَّا تَنصُروه فسيَنْصُره مَن نصرَه حين لم يكن معه إلَّا رجلٌ واحدٌ ولا أقلَّ من الواحد، فدلَّ بقوله: ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ على أنه ينصرُه في المستقبل كما نَصره في ذلك الوقت.

والثاني: أنه أوجَبَ له النصرةَ وجَعله منصورًا في ذلك الوقت، فلن يُخذَل من بعدِه.

وأسندَ الإخراج إلى الكفار كما أَسنده إليهم في قوله: ﴿مِن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ﴾ [محمد ١٣/٤٧]؛ لأنهم حين هَمُّوا بإخراجه أذِن الله له في الخروج فكأنهم أخرجُوه.

قوله:[١] (والظاهر مستغنٍ) رد لقوله: "وقيل" وهو يدلّ على الماضي والشرط مستقبل.

قوله:[٢] (قلتُ: فيه وجهان) بيان الوجه الأوّل أن نصرته[٣] في الزمان الماضي سبب نصرته في المستقبل، فوضع السبب موضع المسبَّب، وتقرير الوجه الثاني أنّ المعنى لا تنصروه يكن[٤] ذلك سببًا للإخبار بأنّه تعالى أوجَب له النصرة، وقد تقدَّم تحقيق ذلك.

---

١ ن – قوله.
٢ ن – قوله.
٣ ن: مصرته.
٤ ر: يكن.

﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾: أحَدَ اثنين؛ كقوله: ﴿ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ﴾ [المائدة ٥/٧٣]، وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه، يُروى: أن جبريل عليه السلام لمَّا أمره بالخروج قال: مَن يخرجُ معي؟ قال: أبو بكر. وانتصابه على الحال، وقرئ: "ثانيْ اثنين" بالسكون.

و﴿إِذۡ هُمَا﴾ بدلٌ من ﴿إِذۡ أَخۡرَجَهُ﴾، والغارُ: ثَقْبٌ في أَعْلى ثوْرٍ، وهو جَبلٌ في يَمَنيّ مكة على مسيرةِ ساعةٍ مكثًا فيه ثلاثًا.

﴿إِذۡ يَقُولُ﴾ بدلٌ ثانٍ، قيل: طَلَعَ المشركون فوق الغار فأشْفقَ أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن تُصَبِ اليومَ ذهَبَ دينُ الله، فقال عليه الصلاة والسلام: «ما ظنُّك باثنين اللهُ ثالثُهما».

وقيل: لمَا دخلا الغارَ بَعثَ اللهُ حمامتَيْن فباضَتا في أسفله، والعنكبوتَ فنسجَتْ عليه.

وقال عليه السلام: «اللَّهمَّ أَعْمِ أبصارَهم» فجعلوا يتردَّدون حولَ الغار ولا يَفْطنُون، قد أخذ الله بأبصارهم عنه.

وقالوا: مَن أنكر صحبةَ أبِي بكر رضي الله عنه فقد كفر؛ لإنكاره كلام الله وليس ذلك لسائر الصحابة.

﴿سَكِينَتَهُۥ﴾: ما أُلقي في قلبه من الأَمَنَةِ التي سَكنَ عندها وعلِم أنهم لا يَصِلون إليه.

قوله:[1] (وقرئ: "ثانيْ اثنين" بالسكون)،[2] والتقدير: هو ثاني اثنين.

/ قوله:[3] (﴿إِذۡ يَقُولُ﴾ بدل ثانٍ) وذلك بأنّ المراد بالزمان في الصورتين الزمانُ الممتدّ[4] الذي وقع فيه الإخراج في الحصول في الغار. [٣٨٣و]

قوله:[5] (طلع) يقال: طلع الجبل، أي: علاه.

---

١ ن – قوله.
٢ قراءة شاذّة، مرويّة عن عبّاس عن أبي عمرو. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٩١٦.
٣ ن – قوله.
٤ ر: المهتد.
٥ ن – قوله.

والجنود: الملائكةُ يومَ بدرٍ والأحزابِ وحنينٍ.

و﴿كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: دعوتُهم إلى الكفر ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾: دعوته إلى الإسلام.

وقرئ: ﴿وكلمةَ ٱللَّه﴾ بالنصب، والرفعُ أوجهُ.

و﴿هِيَ﴾ فصلٌ أو مبتدأٌ، وفيها تأكيدُ فضلِ كلمةِ الله في العلوّ، وأنها المختصَّةُ به دون سائر الكَلِم.

﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٤١﴾

﴿خِفَافًا وَثِقَالًا﴾: ﴿خِفَافًا﴾ في النُّفور لِنشاطكم له ﴿وَثِقَالًا﴾ عنه لمشقّته عليكم.

أو: ﴿خِفَافًا﴾ لقلّة عيالكم وأذيالكم ﴿وَثِقَالًا﴾ لكثرتها.

قوله:[1] (وقرئ: ﴿وَكَلِمَةَ اللهِ﴾ بالنصب)[2] قال القاضي: قرأها يعقوب عطفًا[3] على ﴿كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ﴾.[4]

قوله:[5] (والرفع أوجَه) وإنّما كان الرفع أوجَه ليدلّ على الثبات والدوام.

قوله:[6] (وفيها تأكيد الفضل)؛ ذلك لأنّ قوله:[7] "كلمة الله العليا" يدل على فضل كلمة الله في العلوّ، فإذا زِيدَ "هي" فقد أكّد ذلك.

قوله:[8] (﴿خِفَافًا﴾ في النفور)...[9] إلخ، أو عزّابًا[10] ومتأهِّلين.[11] وقوله:[12] (وأذيالكم)[13] يريد بقلّة[14] الأذيال قلّةَ المتعلّقات والتوابع ممّا يستقلّ[15] الشخص، فكأنّها[16] ذيل طويل متعلّق بالرجل، ويمنع الشخص مِن التردُّد في مطالبه ومقاصده.

---

[1] ن – قوله.
[2] قرأ بها يعقوب. النشر لابن الجزري، ٢/٢٧٩.
[3] ر: عطف.
[4] انظر: تفسير البيضاوي، ٢/٥٤ (التوبة، ٩/٤٠).
[5] ن – قوله.
[6] ن – قوله.
[7] ر: قولك.
[8] ن – قوله.
[9] ن: التفور.
[10] ن: عرابًا.
[11] ن ر: متأهلون.
[12] ن – وقوله.
[13] ن: وإذا بالكم.
[14] ر: نقلة.
[15] ن: يتشغل.
[16] ر: فكأنها.

أو: ﴿خِفَافًا﴾ من السلاح ﴿وَثِقَالًا﴾ منه.

أو: رُكبانًا ومُشاةً، أو: شُبانًا وشيوخًا، أو: مهازِيل وسِمانًا، أو: صحاحًا ومِراضًا.

وعن ابن أمِّ مكتوم أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أَعَلَيَّ أن أنفرَ؟ قال: «نعم» حتى نزل قوله: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ [النور ٦١/٢٤].

وعن ابن عباس: نُسخت بقوله: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ﴾ [التوبة ٩١/٩].

وعن صفوان بن عمرٍو: كنتُ واليًا على حِمْصَ فلقيتُ شيخًا كبيرًا قد سقط حاجباه من أهل دمشقَ على راحلته يريد الغزوَ، فقلتُ: يا عمِّ! لقد أعذَر اللهُ إليك، فرَفَع حاجبيه وقال: يا ابن أخي استَنْفَرَنا اللهُ خفافًا وثقالًا، ألا إنَّه مَن يُحبَّه اللهُ يَبتَلِه.

وعن الزهريِّ: خرج سعيدُ بن المسيِّب إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه، فقيل له: إنك عليلٌ صاحبُ ضَررٍ، فقال: استَنْفَرَ الله الخفيفَ والثقيلَ، فإنْ لم تُمْكِنِّي الحربُ كثَّرتُ السوادَ وحفِظتُ المتاعَ.

قوله:[١] (بقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ) وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ﴾ [التوبة ٩١/٩].

قوله:[٢] (قد سقط حاجباه) أي:سقط على عينيه، يدلّ على هذا المعنى قوله:[٣] (فرفع حاجبيه).

قوله:[٤] (أعذَر الله إليك) أي:ألقى إليك عذرك، بمعنى: جعلك صاحب عُذر حيث أسقط حاجبيك.

قوله:[٥] (فإن لم تُمكِّني الحرب) مِن قولهم: «فلان لا يُمكِنه النهوض، أي:[٦] يقدر عليه».[٧]

---

[١] ن - قوله.
[٢] ن - قوله.
[٣] ن - قوله.
[٤] ن - قوله.
[٥] ن - قوله.
[٦] ر + لا.
[٧] الصحاح للجوهري، «مكن».

﴿وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ إيجابٌ للجهاد بهما إنْ أمْكَنَ أو بأحدهما، على حَسَب الحال والحاجة.

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾

"العَرَض": ما عَرَض لك من منافع الدنيا، يقال: الدُّنيا عرضٌ حاضرٌ يأكلُ منه البَرُّ والفاجرُ؛ أي: لو كان ما دُعُوا إليه غُنْمًا قريبًا سَهْلَ المنال ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾: وَسَطًا مقاربًا.

﴿ٱلشُّقَّةُ﴾: المسافةُ الشَّاطَّةُ الشَّاقةُ، وقرأ عيسى بن عُمَر: "بَعِدتْ عليهم الشِّقَّةُ" بكسر العين والشين، ومنه قولُه:

يقولون لا تَبْعَدْ وهم يَدْفِنونَه ولا بُعدَ إلَّا ما تُوارِي الصفائِحُ

قوله:[١] (﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾) أي:سهلًا ولينًا، وأصل القصد: ما بين الإسراف والتقصير، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾ [لقمان ١٩/٣١].

قوله:[٢]

(يقولون لا تَبعَد) البيت[٣]

استشهد المصنّف بهذا البيت على أنّ "بعِد" بكسر العين قد جاء بمعنى "بعُد" بضمّ العين، والدليل على أنّ ماضيه "بعِد" بالكسر فتحُ[٤] العين في مضارعه.[٥] فإن قيل: كيف قيل: "لا تَبعَد" وقد عقّبه بقوله: (وهم يدفنونه)، وهل[٦] الهلاك إلا هكذا؟ قلنا: هذه اللفظة جرت العادة في استعمالها عند المصائب، وليس فيه طلب ولا سؤال، وإنّما هو تنبيه على شدّة الحاجة في المفقود

---

[١] ن – قوله.
[٢] ن – قوله.
[٣] ما عرفت قائله. وهو بلا عزو في الكتاب الفريد للمنتجب الهمداني، ٢٧٠/٣ (التوبة، ٤٢/٩)؛ والدرّ المصون للسمين الحلبي، ٣٣٤/٦ (هود، ٤٤/١١)؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي، ١٤/٥.
[٤] ن: وفتح.
[٥] ر: المضارعة.
[٦] ر: وعلى.

﴿بِٱللَّهِ﴾ متعلِّق بـ"سيحلفون"، أو هو من جملةِ كلامهم، والقولُ مرادٌ في الوجهين؛ أي: سيحلفون -يعني: المتخلِّفين- عند رجوعك من غزوة تبوكَ معتذِرين يقولون: ﴿بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾. أو: سيحلفون بالله يقولون: لو استطعنا. وقوله: ﴿لَخَرَجْنَا﴾ سدَّ مسدَّ جوابي القسم و﴿لَوِ﴾ جميعًا.

وتناهي الجزع في التفجع، كقول الآخر:

لا يُبعِد الله إخوانًا لنا ذهبوا   أفناهم حَدَثان الدهر والبَعَدُ[1]

و"بعد" لغتان إلا أنّ "بعِد" بالكسر اختصّ ببُعد الموت وهلاكه.

قوله:[2] (﴿بِٱللَّهِ﴾ متعلِّق)... إلخ، فيه لفّ ونشر لا على الترتيب؛ لأنّ قوله: (أي: سيحلفون يقولون ﴿بِٱللَّهِ﴾) مبنيّ[3] على الوجه الثاني، وهو أن يكون ﴿بِٱللَّهِ﴾ مِن جملة كلامهم. وقوله: (أو:[4] سيحلفون بالله يقولون) مبنيّ[5] على الوجه الأوّل، وهو أنّ ﴿بِٱللَّهِ﴾ متعلِّق بـ﴿سَيَحْلِفُونَ﴾. ثمّ اعلم أنّ في كلام المصنّف ﴿بِٱللَّهِ﴾... إلخ، حذفًا وتقديره: "بالله مِن جملة كلام الله متعلِّق بـ﴿سَيَحْلِفُونَ﴾"، وهو مِن جملة كلامهم غير متعلِّق بـ﴿سَيَحْلِفُونَ﴾، فحذف قوله: "مِن جملة كلام الله" مِن الأوّل لدلالة قوله: (مِن[6] جملة كلامهم) عليه، وحذف قوله: "غير متعلِّق بـ﴿سَيَحْلِفُونَ﴾" مِن الثاني لدلالة قوله:[7] (متعلِّق بـ﴿سَيَحْلِفُونَ﴾)[8] عليه. ثمّ اعلم أنّ قوله: (﴿لَخَرَجْنَا﴾ سدّ[9] مسدّ جوابي القسم و"لو") سواء قلنا: ﴿بِٱللَّهِ﴾ متعلِّق بـ﴿سَيَحْلِفُونَ﴾ أو هو مِن كلامهم، أمّا على الثاني فظاهر، وأمّا على الأول؛ فلأنّه تعالى لمّا قال: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ﴾ عُلم أنّ تقدير كلامهم "بالله لو استطعنا".

---

[1] ر: وإلا بعد. | البيت ما عرفتُ قائله. وهو من حماسيّة غير معزوّة. انظر: شرح الحماسة للمرزوقي، ٨٩٢/٢.

[2] ن – قوله.

[3] ر: مثنى.

[4] ن: أي.

[5] ر: مثنى.

[6] ر: بعد.

[7] ن + قيل.

[8] ر – فحذف قوله مِن جملة كلام الله مِن الأول لدلالة قوله بعد جملة كلامهم عليه وحذف قوله: غير متعلق بـ﴿سَيَحْلِفُونَ﴾ مِن الثاني لدلالة قوله: قيل متعلق بـ﴿سَيَحْلِفُونَ﴾.

[9] ن: مسد.

والإخبار بما سوفَ يكون بعد القُفول من حَلِفِهم واعتذارهم، وقد كان من جملة المعجزات، ومعنى الاستطاعة: استطاعةُ العُدَّة، أو استطاعةُ الأبدان كأنهم تمارضوا.

وقرئ: "لوُ استطعنا" بضم الواو تشبيهًا لها بواو الجمع في قوله: ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ﴾ [البقرة ٢/٩٤].

﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ إمَّا أن يكون بدلًا من "سيحلفون"، أو حالًا بمعنى: مُهْلِكِين، والمعنى: أنهم يوقِعونها في الهلاك بحلِفهم الكاذب وما يحلفون عليه من التخلُّف.

ويحتمل أن يكون حالًا من قوله: ﴿لَخَرَجْنَا﴾؛ أي: لخرجنا معكم وإنْ أهلكْنا أنفسَنا وألقيناها في التهلُكة بما نُحمِّلُها من المسير في تلك الشُّقَّة، وجاء به على لفظ الغائب؛ لأنه مخبرٌ عنهم، ألا ترى أنّه لو قيل: "سيحلفون بالله لو استطاعوا لخرجوا" لكان سَدِيدًا؛ يقال: "حلفَ بالله ليفعلنَّ" و: "لأفعلنَّ" فالغيبةُ على حكم الإخبار والتكلُّمُ على الحكاية.

قوله:[١] (والإخبار بما سوف يكون)... إلخ، "الإخبار" مبتدأ خبره قوله: (مِن المعجزات). وقوله: (وقد كان) جملة معترِضة، ولا يحسُن جعلها حالًا، فتأمّل.

قوله: (وما يحلفون عليه) عطف على (حَلِفهم) أي:يهلكون أنفسهم بالحَلِف الكاذب والتخلُّف.

قوله: (فالغَيبة على حكم الإخبار)،[٢] أي: فالغَيبةُ بناءً على أنّه يُخبر عنهم وهم غائبون، والتكلُّمُ بناءً على أنّه يحكي قولهم كما قالوا.

---

١ ن – قوله.

٢ ن – مبتدأ خبره قوله: (مِن المعجزات). وقوله: (وقد كان) جملة معترضة، ولا يحسن جعلها حالًا، فتأمّل. قوله: (وما يحلفون عليه) عطف على (حلفهم) أي:يهلِكون أنفسهم بالحلف الكاذب والتخلُّف. قوله: (فالغيبة على حكم الإخبار).

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ كنايةٌ عن الجناية، لأن العَفْوَ رادِفٌ لها، ومعناه: أخطأتَ وبئس ما فعلتَ.

و﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ بيانٌ لِمَا كنَى عنه بالعَفْو، ومعناه: ما لك أذِنْتَ لهم في القعود عن الغزو حين استأذنوك واعتلُّوا لك بعلَلِهم، وهلَّا استَأْنَيتَ بالإذن ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ﴾ مَن صدَقَ في عُذره ممن كذَب فيه.

وقيل: شيئان فعلهما رسول الله ولم يؤمر بهما: إذنُه للمنافقين، وأخذه من الأُسارى، فعاتبه الله.

﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ﴾: ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهِدوا، وكان الخُلَّصُ من المهاجرين والأنصار يقولون: لا نستأذنُ النبيَّ أبدًا، ولنُجاهدنَّ معه بأموالنا وأنفسنا.

ومعنى ﴿أَن يُجَٰهِدُوا۟﴾: في أن يجاهدوا، أو: كراهةَ أن يجاهدوا.

قوله:[1] (وهلَّا استأنيتَ) يقال: «استأنيتُ به، أي: انتظرتُه. ومنه ويُستأنى بالجراحات،[2] أي: يُنتظر مآل أمرها. وأمّا حديث أسود: 'ويُستأنى الصغار حتّى يدركوا' فالصواب: بالصغار».[3]

قوله:[4] (أو كراهةَ أن يجاهدوا) إشارة على أنّه مفعول له مِن قوله: ﴿يَسْتَـْٔذِنُكَ﴾، فأقول: جُعلت الكراهة علّةَ الاستئذان، ثمّ دخل النفي على الجملة، / وتعلّق بهذه العلّة، بمعنى أنّهم لا يكرهون الجهاد حتّى تكون تلك [٣٨٣ظ] الكراهة علّة وسببًا لاستئذانهم، والمعنى: لم يكرهوا الجهاد فلم يستأذنوا في

[1] ن - قوله.
[2] ن: الجراحات.
[3] المغرب للمطرّزي، «أني».
[4] ن - قوله.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ﴾ شهادةٌ لهم بالانتظام في زمرة المتّقين، وعِدَةٌ لهم بأجزل الثواب.

﴿إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ ۝٤٥﴾

﴿إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ﴾ يعني: المنافقين، وكانوا تسعةً وثلاثين رجلًا.

﴿يَتَرَدَّدُونَ﴾ عبارةٌ عن التحيُّر؛ لأن التردُّدَ ديدَنُ المتحيِّر كما أن الثباتَ والاستقرارَ ديدنُ المستبصِر.

﴿وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ۝٤٦﴾

قرئ: "عُدَّه" بمعنى: عُدَّتَه، فُعِل بالعُدَّة ما فَعَل بالعِدَة مَن قال:

وأَخْـلَـفـوك عِـدَ الأمـر الـذي وَعَـدوا

ترك الجهاد. وهذا عكس ما مرّ في الخبر[١] المتقدِّم مِن الكتاب في قوله صلّى الله عليه وسلّم: «ما رُئي إبليس يومًا أصغرَ ولا أدحرَ ولا أغيظَ مِن يوم عرفة؛ لِما يرى مِن نزول الرحمة إلّا ما رئي يوم بدر».[٢]

قوله:[٣] (وعِدَة لهم) كأنّه قيل: أعلم تقواكم فأجازيكم جزاءً يناسب تقواكم وامتثالَكم[٤] أمري وحذرَكم سخطي وطلبَكم رضاي.[٥]

قوله:[٦] "الديدن" الدأب[٧] والعادة.

قوله:[٨] (وأخلفوك)[٩] البيت،[١٠] أوّله:

---

١ ر: الجزء.

٢ موطّأ مالك، ص ٤٢٢ (٢٤٥)؛ شعب الإيمان للبيهقي، ٤٩٨/٥ (٣٧٧٥).

٣ ن – قوله.

٤ ن: وانشالكم.

٥ ر: رضاه.

٦ ن – قوله.

٧ ن: الدواب.

٨ ن – قوله.

٩ مختلف في نسبته، ومضى بتخريجه في تفسير سورة البقرة، ٢٨١/٢.

١٠ ن: البيه.

مِن حذفِ تاء التأنيث وتعويضِ المضاف إليه منها.

وقرئ: "عِدَّةً" بكسر العين بغيرِ إضافةٍ، و: "عِدَّهُ" بإضافة.

فإن قلتَ: كيف موقعُ حرف الاستدراك؟

قلتُ: لمَّا كان قوله: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ﴾ معطيًا معنى نفيِ خروجِهم واستعدادِهم للغزو، قيل: ﴿وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ كأنَّه قيل: ما خرجوا ولكنْ تثبَّطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم؛ كما تقول: ما أحسن إليَّ زيد ولكنْ أَسَاء إليَّ.

﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾: فكسَّلهم وخَذَّلهم وضعَّف رغبَتَهم في الانبعاث.

﴿وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟﴾ جُعل إلقاءُ الله في قلوبهم كراهةَ الخروج أمرًا بالقعود.

وقيل: هو قول الشيطان بالوسوسة.

وقيل: هو قولهم لأنفسهم.

وقيل: هو إذْنُ رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم في القعود.

فإن قلتَ: كيف جاز أن يوقِعَ اللهُ في قلوبهم كراهةَ الخروج إلى الغزو وهي قبيحةٌ، وتعالى الله عن إلهام القبيح؟

إنَّ الخليط أجـدوا البين فانجردوا[١]

الخليط: المخالِط،[٢] كالنديم[٣] والجليس، وهو واحد وجمع. الانجراد: المضيّ في الأمر.

قوله:[٤] (واستعدادهم) عطف على قوله: (خروجهم) أي:معطيًا نفيَ خروجهم ونفيَ استعدادهم[٥] عن الخروج، فإنّ كراهة الله تعالى انبعاثهم علّة لتثبيطهم،[٦] فأقيمَ السبب مقام المسبَّب.

---

١ ن: فانجددوا.

٢ ن: الخالط.

٣ ن: كالهذيم.

٤ ن – قوله.

٥ ر + عطف على قوله: نفى خروجهم، أي: مغبطًا مع استبعادهم، قوله: ولكن ثبطوا.

٦ ر: تثبُّطهم.

قلتُ: خروجُهم كان مَفْسَدةً؛ لقوله: ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ فكان إيقاعُ كراهةِ ذلك الخروجِ في نفوسهم حسَنًا ومصلحةً.

فإن قلتَ: فلم خَطَّأَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في الإِذْن لهم فيما هو مصلحةٌ؟

قلتُ: لأن إذنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم لم يكن للنَّظر في هذه المصلحة، ولا عَلِمها إلا بعدَ القُفول بإعلام الله؛ ولكنْ لأنّهم استأذنوه واعتذَروا إليه فكان عليه أن يتفحَّص عن كُنْه معاذِيرهم ولا يتجوَّزَ في قبولها، فمِن ثَمَّ أتاه العِتابُ.

ويجوز أن يكون في ترك رسول الله الإِذْنَ لهم مع تثبيطِ الله إياهم مصلحةٌ أخرى، فبإذنه لهم فُقِدت تلك المصلحة، وذلك أنه إذا ثَبَّطهم الله فلم يَنبعثوا وكان قعودُهم بغير إذنٍ من رسول الله صلى الله عليه وسلم قامت عليهم الحجةُ ولم تبقَ لهم معذرةٌ، وقد تدارك اللهُ ذلك حيث هَتك أستارَهم وكشَفَ أسرارهم وشهد عليهم بالنفاق، وأنّهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر.

فإن قلتَ: ما معنى قوله: ﴿مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾؟

قلتُ: هو ذمٌّ لهم وتعجيزٌ وإلحاقٌ بالنساء والصبيان والزَّمْنَى الذين شأنُهم القعودُ والجثومُ في البيوت، وهم القاعدون والخالفون والخوالفُ ....

قوله:[1] (ولا يتجوَّز) أي:ولا يتساهل. يقال: «تجوّز في الصلاة: ترخَّص فيها وتساهَل. ومنه تجوَّز في أخذ الدراهم إذا روَّجها[2] ولم يردّها».[3]

قوله:[4] (ولقد تدارك الله ذلك) أي:أذِن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

قوله:[5] (وتعجيزٌ) أي:نسبة لهم[6] إلى العجز.

قوله:[7] (وهم القاعدون والخالفون)...[8] إلخ، أي: النساء والصبيان والزَّمنى.[9] مراده بـ﴿ٱلْقَٰعِدِينَ﴾[10] في قوله تعالى: ﴿مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾، وبـ﴿ٱلْخَٰلِفِينَ﴾ في قوله تعالى:

---

[1] ن – قوله.

[2] ن: روحها.

[3] المغرب للمطرّزي، «جوز».

[4] ن – قوله.

[5] ن – قوله.

[6] ر: إليهم.

[7] ن – قوله.

[8] ن: الخالفون؛ ر: المخالفون.

[9] ر: الزمناء.

[10] ن + و﴿ٱلْخَٰلِفِينَ﴾.

ويُبَيِّنُه قولُه تعالى: ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ [التوبة ٨٧/٩].

﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿إِلَّا خَبَالًا﴾ ليس من الاستثناء المنقطِع في شيء كما يقولون؛ لأن الاستثناء المنقطعَ هو أن يكون المستثنى من غير جنسِ المستثنَى منه؛ كقولك: ما زادوكم خيرًا إلّا خبالًا، والمستثنى منه في هذا الكلام غيرُ مذكورٍ، وإذا لم يُذكر وقع الاستثناء من أعمِّ العامِّ الذي هو الشيءُ، فكان استثناءً متَّصلًا؛ لأن الخبالَ بعضُ أعمِّ العام، كأنه قيل: ما زادوكم شيئًا إلّا خبالًا، والخَبالُ: الفساد والشرُّ.

﴿وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ﴾: ولسعَوْا بينكم بالتضريب والنَّمائم وإفسادِ ذاتِ البَيْنِ، يقال: وضَع البعيرُ وضعًا: إذا أسرع، وأوضعتُه أنا، والمعنى: ولأوضعوا ركائبَهم بينكم، والمرادُ: الإسراعُ بالنَّمائم؛ لأن الراكب أسرعُ من الماشي.

وقرأ ابن الزبير: "ولأرقصوا"، من رقَصَتِ الناقةُ رقصًا: إذا أسرعَتْ، وأَرْقصتُها؛ قال:

﴿فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ﴾، وبـ﴿ٱلْخَوَالِفِ﴾ في قوله تعالى بعده:[١] ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ [التوبة ٨٧/٩]. وقوله: (ويبيّنه) أي:يُبيِّن أنّه ذمٌّ قوله تعالى.

قوله:[٢] (ليس مِن الاستثناء المنقطع)، يعني أنّ الاستثناء هنا استثناء مفرَّغ، والاستثناء المفرغ لا يكون إلّا متصلًا.

قوله:[٣] (التضريب) التضريب بين القوم: الإغراء.

قوله:[٤] (مِن رَقَصت[٥] الناقة رقصًا)[٦] دعا أعرابيّ على غيره: جعل الله سبحانه وتعالى نومك نغصًا،[٧] وطعامك غُصَصًا، ومشيك رقصًا، وفي عينيك غمصًا، وقطعك حصصًا.[٨]

---

١ ن – بعده.
٢ ن – قوله.
٣ ن – قوله.
٤ ن – قوله.
٥ ر: رفضت.
٦ ر: رفضًا.
٧ ن: نفصًا.
٨ انظر: ربيع الأبرار للزمخشري، ٣٢٨/٤؛ والتذكرة الحمدونية لابن حمدون، ٨٦/٣.

والـرَّاقـصـاتِ إلـى مِـنًـى فـالـغَـبْـغَـبِ

وقرئ: "ولأَوْفضوا".

فإن قلتَ: كيف خُطَّ في المصحف: "ولا أوضعوا" بزيادة ألف؟

قلتُ: كانت الفتحةُ تُكتب ألفًا قبل الخط العربيّ، والخطُّ العربيُّ اختُرِعَ قريبًا من نزول القرآن، وقد بقي من ذلك الألف أثرٌ في الطِّباع فكتبوا صورةَ الهمزة ألفًا وفتحتَها ألفًا أُخرى، ونحوُه: "أو لا أَذْبحَنَّهُ".

﴿يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ﴾: يُحاولون أن يَفتنوكم بأن يُوقِعُوا الخلافَ فيما بينكم، ويُفسدوا نيّاتِكم في مَغْزاكم.

﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾؛ أي: نمّامون يسمعون حديثكم فيَنقلونَه إليهم، أو: فيكم قومٌ يسمعون للمنافقين ويُطيعونهم.

قوله:[١]

(والراقصـاتِ[٢] إلـى منًـى فالغبغـبِ)[٣]

قيل: أوّله:

ألا والـعـاديـاتِ غـداةَ جـمـعٍ

وأنا أقول: غير مستقيم، لأنّ[٤] المصراع الأوّل يكون مِن الوافر والثاني مِن الكامل لو كان كما ذكروه. «والغبغب: المنحر بمنًى، وهو جبيل».[٥]

قوله:[٦] (وقرئ: "وَلَأَوْفَضُوا")[٧] الوفض: العجلة، واستوفض: استعجل.

---

١ ن - قوله.

٢ ن: فالراقصات.

٣ عجز بيت لنهيكة الفزاري يخاطب فيه عامر بن الطفيل، في معجم البلدان للحمويّ، ١٨٦/٤؛ وهو لرجل من أشجع في الدلائل في غريب الحديث للسرقسطي، ١١١٨/١؛ وبلا عزو في الصحاح للجوهري، «غبب»؛ ومجمل اللغة لابن فارس، ٢٣٤/١، «حسب». وصدره:

يا عام لو قدرت عليك رماحنا

والغبغب موضع.

٤ ن: لا.

٥ الصحاح للجوهري، «غبب».

٦ ن: وقوله.

٧ قراءة شاذّة، غير منسوبة. المغني في القراءات للنُّوزوازي، ص ٩١٨.

﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ﴾؛ أي: العَنَتَ ونَصْبَ الغوائلِ والسَّعْيَ في تَشْتيت شَمْلِكَ وتفريق أصحابك عنك؛ كما فعَل عبد الله بنُ أبيٍّ يومَ أحدٍ حين انصرف بمن معه.

وعن ابن جُريجٍ رضي الله عنه: وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الثَّنيَّةِ ليلةَ العقبة وهم اثنا عشر رجلًا ليَفتكُوا به.

﴿مِن قَبْلُ﴾ غزوةِ تبوكَ.

﴿وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾: ودَبَّروا لك الحِيَلَ والمكايدَ، ودوَّرُوا الآراء في إبطال أمرك، وقرئ: "وقَلَبوا" بالتخفيف.

﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ وهو تأييدُك ونصرُك ﴿وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾: وغلب دينُه وعلا شرعُه.

قوله:[1] (ونصب الغوائل)[2] النهاية: الغائلة:[3] صفة لخصلة[4] مُهلِكة، وجمعها غوائل.[5]

قوله:[6] (ليفتكوا به) الفتك: أن يأتي الرجل صاحبه وهو غارٌّ غافل ينشده[7] فيقتله. وفي الحديث: قيّد[8] الإيمان الفتك، لا يفتك مؤمن.[9] فالفتنة على قول ابن جريج بمعنى القتل، وعلى القول الأوّل بمعنى العنت. «والعنت: الوقوع في أمر شاقّ. وقد عنِتَ وأعنته غيرُه».[10]

---

[1] ن – قوله.
[2] ن: الغوائل.
[3] ن: الغائلة.
[4] ر: مضلة.
[5] ن: غوائل. | انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، ٣٩٧/٣.
[6] ن – قوله.
[7] ر: بشدة. | وفي مطبوع الصحاح: يشدّ عليه.
[8] ن: قيل.
[9] الصحاح للجوهري، «فتك». والحديث في مصنّف عبد الرزاق، ٢٩٨/٥ (٩٦٧٦).
[10] الصحاح للجوهري، «عنت».

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿ٱئْذَن لِّي﴾ في القعود ﴿وَلَا تَفْتِنِّي﴾: ولا توقِعْني في الفتنة -وهي الإثم- بأن لا تأذنَ لي، فإنِّي إن تخلَّفْتُ بغيرِ إذنك أَثِمتُ.

وقيل: ولا تُلقِني في الهلَكةِ، فإنِّي إذا خرجتُ معك هلَك مالي وعِيَالي.

وقيل: قال الجَدُّ بن قيس: قد علمتِ الأنصارُ أنّي مستَهْتَرٌ بالنساء، فلا تفتِنِّي ببنات الأصفر -يعني: نساء الروم- ولكنِّي أُعِينُكَ بمالٍ فاتركني.

وقرئ: "ولا تُفتِنِّي" مِن أفتَنَه.

﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾؛ أي: إنَّ الفتنةَ هي التي سقطوا فيها، وهي فتنةُ التخلُّف.

وفي مصحف أبيّ رضي الله عنه: "سَقَط"؛ لأن "مَن" موحَّدُ اللفظِ مجموعُ المعنى.

قوله:[1] (قال الجدّ بن قيس) قال الواحدي في التفسير الوسيط: «نزلت الآية في جدّ بن قيس المنافق. قال له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: هل لك في جهاد بني الأصفر؟ يعني الروم، تتّخذ منه سراري ووُصفاء. فقال ائذن لي في القعود عنك ولا تفتنّي بذِكر النساء، فقد علم قومي[2] أنّي[3] مغرم[4] بهن، وإنّي أخشى ألّا أصبر عنهنّ».[5]
وقوله: (مُستهتَر) فلان مستهتر بالشراب مولع به، لا يبالي ما قيل فيه.

قوله:[6] (أي: إنّ الفتنة هي التي سقطوا فيها) التخصيص[7] يفيده[8] معنى تقديم الظرف على عامله، والتحقيق[9] مِن تصدير الجملة بأداة التنبيه، فإنّها تدل على تحقيق ما بعدها.

---

١ ن – قوله.
٢ ن: قوم.
٣ ر: أن.
٤ ن: بعزم.
٥ الوسيط للواحدي، ٥٠٢/٢ (التوبة، ٤٩/٩). والحديث في جامع البيان للطبري، ٤٩٢/١١ (التوبة، ٤٩/٩)؛ وأسباب النزول للواحدي، ص ٢٥٢؛ ومعالم التنزيل للبغوي، ٥٧/٤ (التوبة، ٤٩/٩).
٦ ن – قوله.
٧ ن: التحضيض.
٨ ر: بعبده.
٩ ر + هي.

"محيطةٌ بالكافرين" يعني: أنّها تحيطُ بهم يومَ القيامة، أو: هي محيطةٌ بهم الآن؛ لأنَّ أسباب الإحاطة معهم فكأنَّهم في وسطها.

﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿إِن تُصِبْكَ﴾ في بعض الغزوات ﴿حَسَنَةٌ﴾: ظَفَرٌ وغنيمةٌ ﴿تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾: نكْبَةٌ وشدَّةٌ في بعضها نحوُ ما في يوم أحدٍ ﴿يَفْرَحُواْ﴾ بحالهم في الانْحراف عنك.

و﴿يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا﴾؛ أي: أمْرنا الذي نحن متَّسِمُون به من الحَذَر والتيقُّظ والعمل بالحزم ﴿مِن قَبْلُ﴾: من قبلِ ما وقع.

﴿وَيَتَوَلَّواْ﴾ عن مقامِ التحدُّث بذلك والاجتماعِ له إلى أهاليهم ﴿وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾: مسرورون.

وقيل: "تولَّوا": أعرضوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾

قرأ ابن مسعود رضي الله عنه: "قل هل يُصيبُنا".

قوله:[1] (يعني أنّها تحيط بهم) فتكون[2] "محيطة" بمعنى الاستقبال.

قوله:[3] (لأنّ أسباب الإحاطة) أسباب الإحاطة / نفاقهم وسائر معاصيهم. [٣٨٤و]

قوله:[4] (أي: أمرنا الذي نحن متّسمون[5] به)، يعني: المراد بالأمر الشأن، أي: شأننا وعادتنا الحزم والتيقُّظ في الأمور، وقد أخذنا شأننا، نحوه قوله تعالى: ﴿خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ [النساء ٧١/٤].

---

[1] ن – قوله.
[2] ن + إلّا.
[3] ن – قوله.
[4] ن – قوله.
[5] ر: مستمعون.

وقرأ طلحة: "هل يُصيِّبنا" بتشديد الياء، ووجهه: أن يكون "يُفَيْعِلُ" لا "يُفَعِّلُ" لأنه من بناتِ الواو؛ كقولهم: "الصوابُ"، و: "صابَ السهمُ يَصُوبُ" و: "مَصَاوِبُ" في جمع "مُصيبةٍ"، فحقُّ "يُفَعِّلُ" منه: يُصوِّبُ، ألا ترى إلى قولهم: "صوَّبَ رأيَه"، إلَّا أنْ يكون مِن لغةِ مَن يقولُ: صابَ السهم يَصِيبُ، ومِن قوله:

أَسْـهُـمِـيَ الـصـائـبـاتُ والـصُّـيَّـبُ

واللامُ في قوله: ﴿إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ مفيدةٌ معنى الاختصاص؛ كأنَّه قيل: لن يُصيبنا إلَّا ما اختصَّنا اللهُ بإثباته وإيجابه من النُّصرة عليكم أو الشَّهادة، ألا ترى إلى قوله: ﴿هُوَ مَوْلَىٰنَا﴾؛ أي: الذي يتولَّانا ونتولَّاه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد ١١/٤٧].

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: وحقُّ المؤمنين أن لا يتوكَّلوا على غير الله، فليفعلوا ما هو حقُّهم.

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾: إلا إحدى العاقبتَيْنِ اللَّتَيْنِ كلُّ واحدةٍ منهما هي حُسنَى العواقبِ وهما: النُّصرةُ والشهادة.

﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ﴾ ....

قوله:[١] (أي: الذي يتولّانا ونتولّاه) قال في سورة البقرة: «﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾ سيِّدنا ونحن عبيدك، أو ناصرنا، أو متولّي أمورنا».[٢] فأقول معنى قول المصنّف ههنا: "يتولانا"، أي: ينصرنا، و"نتولّاه"، أي: نأخذه ناصرًا. ومعنى[٣] "يتولّانا": ينصرنا، ومعنى[٤] "نتولّاه": ننصر دينه. وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾... إلخ، [محمد ١١/٤٧]، استشهاد.

---

[١] ن – قوله.

[٢] الكشّاف للزمخشري، (البقرة، ٢/٢٨٦).

[٣] ن: أو معنى.

[٤] ر – يتولانا ينصرنا ومعنى.

إحدى السوأتين من العواقب: إمَّا ﴿أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ﴾ وهو قارعةٌ من السَّماء كما نزلت على عاد وثمود ﴿أَوْ﴾ بعذاب ﴿بِأَيْدِينَا﴾ وهو القتلُ على الكفر.

﴿فَتَرَبَّصُوٓاْ﴾ بنا ما ذكرنا من عواقبنا ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ ما هو عاقبتُكم، فلا بدَّ من أن يَلْقَى كلُّنا ما يتربَّصُه لا يتجاوزُه.

﴿قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ٥٣﴾

﴿أَنفِقُواْ﴾ يعني: في سبيل الله ووجوهِ البر ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ نصبٌ على الحال؛ أي: طائعين أو مكرَهين.

فإن قلتَ: كيف أَمَرهم بالإنفاق ثم قال: ﴿لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾؟

قلتُ: هو أمرٌ في معنى الخبر؛ كقوله: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ﴾ [مريم ٧٥/١٩] ومعناه: لن يُتقبَّل منكم أنفقتُم طوعًا أو كرهًا، ونحوُه قوله تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [التوبة ٨٠/٩]، وقولُه:

أَسِيئِي بنا أو أَحْسِنِي لا مَلُومَةٌ

أي: لن يغفر الله لهم استغفرتَ لهم أم لم تستغفِرْ لهم، و: لا نلومُكِ أسأتِ إلينا أم أحسنتِ.

فإن قلتَ: متى يجوز نحوُ هذا؟

قلتُ: إذا دلَّ الكلام عليه؛ ....

قوله:[١] (إحدى السوءتين) صوابه السُّوءيين؛[٢] فإنَّ السُّوءى نقيض الحسنى، فالمناسب في مقابلة "الحسنيين" هو "السوءيين".[٣]

قوله:[٤]

(أسـيئي بنـا أو أحسـني لا مَلومـةً)

---

١ ن - قوله.
٢ ن: سويين.
٣ ر: السوءتين.
٤ ن - قوله.

كما جاز عكسُه في قولك: رَحِم اللهُ زيدًا وغَفَر له.

فإن قلتَ: لمَ فُعل ذلك؟

قلتُ: لنكتةٍ فيه، وهي: أن كُثيّرًا كأنّه يقول لعَزَّةَ: إمتَحِني لُطفَ مَحلِّكِ عندي وقوَّةَ مَحبَّتي لك، وعامليني بالإساءة والإحسان، وانظري: هل يتفاوتُ حالي معك مُسيئةً كنتِ أو مُحسنةً، وفي معناه قولُ القائل:

أخوكَ الذي إن قُمْتَ بالسيفِ عامدًا لتَضربَه لم يَستَغِشَّكَ في الوُدِّ

وكذلك المعنى: أنفقوا وانظروا: هل يتقبَّلُ منكم؟ واستغفِرْ لهم أو لا تستغفرْ وانظرْ: هل ترَى اختلافًا بين حال الاستغفار وتركِه؟

تمامه:

لدينا ولا مَقليةً إن تقلَّتِ[١]

وقبله:

هنيئًا مريئًا غيرَ داءٍ مُخامرٍ لعزةَ مِن أعراضنا ما استحلَّتِ[٢]

قوله:[٣] (كما جاز عكسه) أي:الخبر هنا في[٤] معنى[٥] الطلب، أي:[٦] ليرحم الله زيدًا وليغفر الله له.

قوله: (أخوك)[٧] البيت. «غشّه يغِشّه بالكسر، وشيء مغشوش،[٨] واستغشّه: خلاف استنصحه».[٩]

---

١ ر: يقلب. | والبيت لكُثيّر عزّة في ديوانه، ص ١٠٠؛ وهو له في معاني القرآن وإعرابه للزجّاج، ٤٥٣/٢؛ وعيار الشعر لابن طباطبا، ص ١٤٤؛ وأمالي القالي، ١٠٩/٢؛ وأمالي ابن الشجري، ٧٤/١؛ ومفتاح العلوم للسكّاكي، ص ٤٣٤؛ وبلا عزو في معاني القرآن للفرّاء، ٤٤١/١؛ ومعاني القرآن للأخفش، ١٣٧/١، ٣٧١.

٢ البيت لكُثيّر عزّة في ديوانه، ص ١٠١.

٣ ن – قوله.

٤ ر – في.

٥ ر: بمعنى.

٦ ر – أي.

٧ ما عرفت قائله. وهو بلا عزو في الصداقة والصديق للتوحيدي، ص ١٩٠؛ والدرّ الفريد لابن أيدمر، ٢٤٥/٢.

٨ ن – وليغفر الله له. قوله: (أخوك) البيت، غشه يغشه بالكسر، وشيء مغشوش؛ ن + والنقيض.

٩ الصحاح للجوهري، «غشش».

فإن قلتَ: ما الغرضُ في نفي التقبُّل: أهو تركُ رسول الله صلى الله عليه وسلم تقبُّلَه منهم وردُّه عليهم ما يبذلون منه، أم هو كونُه غيرَ مقبولٍ عند الله تعالى ذاهبًا هَبَاءً لا ثوابَ له؟

قلتُ: يَحتمِلُ الأمرين جميعًا، وقوله: ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ معناه: طائعين من غيرِ إلزامٍ من الله ورسوله أو ملزَمين، وسُمِّي الإلزامُ إكراهًا؛ لأنهم منافقون، فكان إلزامُهم الإنفاقَ شاقًّا عليهم كالإكراه، أو: طائعين من غيرِ إكراهٍ من رؤسائكم -لأن رؤساءَ أهل النفاق كانوا يَحمِلون على الإنفاق لِمَا يَرون من المصلحة فيه- أو مكرَهين من جهتهم.

ورُوي: أنها نزلت في الجَدِّ بن قيس حين تخلَّف عن غزوة تبوكَ، وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: هذا مالي أُعينك به فاترُكْني.

﴿إِنَّكُمْ﴾ تعليلٌ لردِّ إنفاقهم، والمرادُ بالفسق: التمرُّدُ والعتوُّ.

قوله:[١] (يحتمل الأمرين[٢] جميعًا) قال القاضي: «نفي التقبُّل يحتمل أمرين: ألّا يؤخَذ منهم، وألّا يُثابوا عليه»،[٣] يعني: يؤخذ منهم ولكن يصير هباء منثورًا.

قوله:[٤] (معناه: طائعين مِن غير إلزام) يريد أنّ قوله تعالى: ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ يحتمل أن يكونا مِن جهة الرسول ومِن جهة الرؤساء، فعلى الأوّل معنى ﴿طَوْعًا﴾ طائعين مِن غير إلزام مِن الله، ومعنى ﴿كَرْهًا﴾ ملزَمين. وإنّما سمّي الإلزام كرهًا؛ لأنّهم ليسوا كالمؤمنين في أن ينفقوا عن[٥] طوع ورغبة ونشاط. قلتُ: بل هم كالمُكرَهين[٦] فيه. وعلى الثاني معنى ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ على حقيقتهما، ولهذا قال: (طائعين مِن غير إكراه)، وقال:[٧] (أو مكرَهين مِن جهتهم).

قوله:[٨] (مِن رؤسائكم) على الإنفاق.

---

[١] ن – قوله.
[٢] ن: الأيرى.
[٣] تفسير البيضاوي، ٢/٥٨ (التوبة، ٩/٥٣).
[٤] ن – قوله.
[٥] ر: على.
[٦] ر: كالمكروهين.
[٧] ن – وقال.
[٨] ن – قوله.

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ۝٥٤﴾

﴿أَنَّهُمْ﴾ فاعلُ "مَنَع"، و"هم" و﴿أَن تُقْبَلَ﴾ مفعولاه.

وقرئ ﴿أَن تُقْبَلَ﴾ بالتاء والياء على البناء للمفعول، و﴿نَفَقَٰتُهُمْ﴾ و"نفقتُهم" على الجمع والتوحيد، وقرأ السُّلَميّ: "أن يَقْبَل منهم نفقاتِهِم" على أن الفعل لله تعالى.

"كسالى" بالضم والفتح: جمع كسْلانَ، نحو سكَارى وغيَارى في جمع سَكْرانَ وغَيْرانَ.

وكسَلُهم؛ لأنهم لا يرجون بصلاتهم ثوابًا ولا يخشَون بتركها عقابًا، فهي ثقيلةٌ عليهم كقوله: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة ٢/٤٥].

وقرأتُ في بعض الأخبار: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كره للمؤمن أن يقول: كسِلْتُ، كأنه ذهَبَ إلى هذه الآية، وإن الكسل من صفات المنافقين فما ينبغي أن يُسنِده المؤمنُ إلى نفسه.

فإن قلتَ: الكراهيةُ خلافُ الطواعيةِ، وقد جعَلهم الله طائعين في قوله: ﴿طَوْعًا﴾ ثم وصفهم بأنهم لا يُنفقون إلّا وهم كارهون؟

قوله:[١] (﴿أَنَّهُمْ﴾ فاعل "منع"، و"هم" و﴿أَن تُقْبَلَ﴾ مفعولاه) الأساس: منعه الشيءَ[٢] ومنعه عن كذا.[٣] والزجّاج أخذ بالثاني، حيث قال: موضع "أن" الأولى نصب والثانية رفع، أي: ما منعهم مِن قبول نفقاتهم إلّا كفرهم.[٤]

قوله:[٥] (وكسلُهم لأنهم) مبتدأ وخبر.

قوله:[٦] (كره للمؤمِن أن يقول: كسِلتُ) قال عليه السلام: «لا يقولنّ أحدكم: كسِلتُ، ولكن ثقلت».[٧]

---

[١] ن – قوله.
[٢] ر – منعه الشيء.
[٣] ن: لكن. | انظر: أساس البلاغة للزمخشري، «منع».
[٤] انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجّاج، ٢/٤٥٣.
[٥] ن – قوله.
[٦] ن – قوله.
[٧] ما وقفتُ عليه فيما بين يديّ من المظانّ.

قلتُ: المراد بطَوعهم أنهم يَبذلونه من غير إلزامٍ من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من رُؤسائهم، وما طوعُهم ذاك إلّا عن كراهةٍ واضطرارٍ لا عن رغبةٍ واختيارٍ.

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾

"الإعجابُ بالشيء": أن تُسَرَّ به سرورَ راضٍ به متعجِّبٍ من حسنِه.

والمعنى: فلا تستحسِنْ ولا تَفتَتِنْ بما أُوتوا من زينة الدنيا؛ كقوله: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ [طه ٢٠/١٣١]، فإن الله إنما أعطاهم ما أعطاهم للعذاب بأنْ عرَّضَه للتغنُّمِ والسَّبْي، وبَلَاهم فيه بالآفات والمصائب، وكلَّفهم الإنفاقَ منه في أبواب الخير وهم كارهون له على رَغم أُنوفهم، وأذاقَهم أنواعَ الكُلَفِ والمجاشم في جمعه واكتسابِه وفي تربية أولادهم.

فإن قلتَ: إنْ صحَّ تعليق التعذيب بإرادة الله فما بالُ زُهوقِ أنفسِهم ﴿وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾؟

قوله:[١] (قلتُ: المراد بطَوعهم)... إلخ، الجوابُ الصحيح أن يقال: ذَكَر أوّلًا أنّه لا يُقبل منهم سواء أنفقوا طوعًا أو كَرْهًا، ثمّ ذكر أنّهم لا ينفقون إلّا كرهًا ولا منافاة ولا مناقضة.

قوله:[٢] (بأن عرَّضه) التعرُّض[٣] للشيء: النصب له.

قوله:[٤] (والمجاشم) أي:المشقّات يقال: جشِمتُ الأمر بالكسر جَشْمًا وتجشّمته إذا تكلفتَه على مشقّة.

قوله:[٥] (فإن قلتَ: إن صحّ تعليق)... إلخ، هذه[٦] السؤال مبنيّ على أنّ كفر الكافر

---

[١] ن - قوله.
[٢] ن - قوله.
[٣] ن: التعريض.
[٤] ن - قوله.
[٥] ن - قوله.
[٦] ر: هذا.

قلتُ: المراد: الاستدراجُ بالنِّعم؛ كقوله: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا﴾ [آل عمران ١٧٨/٣]؛ كأنه قيل: ويريد أن يُدِيمَ عليهم نِعمَهُ إلى أن يموتوا ﴿وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ مُلْتَهون بالتمتُّع عن النظر للعاقبة.

﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ٥٦﴾

﴿لَمِنكُمْ﴾: لَمِن جملةِ المسلمين.

﴿يَفْرَقُونَ﴾: يخافون القتلَ وما يُفعل بالمشركين، فيتظاهرون بالإسلام تَقِيَّةً.

﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ٥٧﴾

﴿مَلْجَـًٔا﴾: مكانًا يلجَؤون إليه متحصِّنين به: ....

لا يجوز أن يكون بإرادة الله[١] تعالى، فإنّه تعالى لا[٢] يجوز أن يريد الكفر على مذهب المعتزلة.

قوله: "إن صحّ" أي:إن صحّ تعليق التعذيب بإرادة الله فكيف تصحّ إرادة موتهم[٣] على الكفر. السؤال مبنيّ على مذهبه أنّ كفر الكافر لا يجوز أن يكون مسبَّبًا عن إرادة الله تعالى. وحاصل الجواب أنّ المراد بتعليق الكافر بإرادة الله[٤] إبلاء الله إيّاهم ما به يشتغلون عن النظر[٥] في العاقبة استدراجًا، فيؤدّيهم ذلك إلى الكفر، وهذا لا يجديه شيئًا؛ لأنّ[٦] سبب السبب[٧] سبب.

قوله:[٨] (فيتظاهرون[٩] بالإسلام) أي:يلبَسون لباس الإسلام، يعني: يُظهرون مِن أنفسهم الإسلام، فكأنّهم يجعلونه[١٠] لباسهم. يقال: ظاهَر بين ثوبين ودرعين، أي: لبس أحدهما على الآخر.

---

١ ر – الله.
٢ ر – لا.
٣ ن – قوله: (إن صحّ) أي:إن صحّ تعليق التعذيب بإرادة الله، فكيف تصحّ إرادة موتهم.
٤ ر – تعالى. وحاصل الجواب أنّ المراد بتعليق الكافر بإرادة الله.
٥ ر: المنتظر.
٦ ر + لأن.
٧ ن: المسبب.
٨ ن – قوله.
٩ ن: فتظاهرون.
١٠ ن: يجعلون.

من رأسِ جبلٍ، أو قَلعَةٍ، أو جَزيرةٍ.

﴿أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ﴾: أو غِيرانًا، وقرئ بضم الميم من أَغار الرجلُ وغار: إذا دخل في الغَورَ، وقيل: هو تعديةُ غارَ الشيءُ وأَغَرْتُه أنا، يعني: أمكنةً يُغِيرُون فيها أشخاصَهم.

ويجوز أن يكون من أغار الثَّعلبُ: إذا أسرع، بمعنى: مهارِبَ ومَفَارًّا.

﴿أَوْ مُدَّخَلًا﴾: أو نفقًا يَندسُّون فيه ويَنجَحِرُون، وهو مُفتَعَلٌ من الدخول.

وقرئ: ﴿مَدخلًا﴾ من دَخَلَ، و: "مُدْخلًا" من أَدْخَلَ: مكانًا يُدْخِلون فيه أنفسَهم.

وقرأ أُبيٌّ بن كعبٍ رضي الله عنه: "مُتَدَخَّلًا".

وقرئ: "لَوألوا إليه": لالْتَجؤوا إليه.

قوله:[١] (أو قلعة)[٢] القلعة: السحابة المرتفعة، شبّه بها الحصن في رأس الجبل.[٣]

قوله:[٤] (إذا[٥] دخل الغَور) غَور كلّ شيء: قعره. يقال: فلان بعيد الغَور. والغَور: المطمئن مِن الأرض. والغار كالكهف في الجبل والجمع[٦] الغِيران. والمَغار مثل الغار.[٧]

قوله:[٨] (يعني: أمكنة يُغِيرون[٩] فيها)،[١٠] أي: يُدخِلون / أنفسهم في الغار. [٣٨٤ظ]

قوله:[١١] (يندسُّون[١٢] فيه) مِن «دسستُ الشيء في التراب أخفيته فيه».[١٣]

قوله:[١٤] (وقرئ: "لَوَأَلُوا")[١٥] «وَأَل إليه[١٦] يئل[١٧] وَأْلًا ووءولًا على فعول: لجأ.[١٨] والموئل:[١٩] الملجأ».[٢٠]

---

[١] ن – قوله.

[٢] ن: وقلعة.

[٣] انظر: الصحاح للجوهري، «قلع».

[٤] ن – قوله.

[٥] ن ر: وإذا.

[٦] ن: وجمع.

[٧] انظر: الصحاح للجوهري، «غور».

[٨] ن – قوله.

[٩] ر: يعبرون.

[١٠] ر: منها.

[١١] ن – قوله.

[١٢] ن ر: ويندسُّون.

[١٣] الصحاح للجوهري، «دسس».

[١٤] ن – قوله.

[١٥] قراءة شاذّة، غير منسوبة. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٩٢٣.

[١٦] ن ر – إليه.

[١٧] ن: سئل؛ ر: يئد

[١٨] ن: لجأوا.

[١٩] ن: الموئل.

[٢٠] الصحاح للجوهري، «جوظ».

﴿يَجۡمَحُونَ﴾: يُسرعون إسراعًا لا يردُّهم شيءٌ، من الفرس الجَمُوح: وهو الذي إذا حمل لم يَردَّه اللِّجامُ.

وقرأ أنسٌ رضي الله عنه: "يَجمِزُون"، فسُئل فقال: يجمَحُون ويجمِزُون ويشتدُّون واحدٌ.

﴿وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ ۝٥٨﴾

﴿يَلۡمِزُكَ﴾: يَعيبُك في قِسمةِ الصدقات ويَطعَنُ عليك، قيل: هم المؤلَّفَةُ قلوُبهم.

وقيل: هو ابن ذي الخُوَيْصِرَةِ رأسُ الخوارج، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَقسِمُ غنائمَ حُنين، فقال: اعدِلْ يا رسول الله! فقال: «ويلَك إنْ لم أَعْدِلْ فمَن يَعدِل؟»،

وقيل: هو أبو الجوَّاظِ من المنافقين قال: ألا ترَوْن إلى صاحبكم ....

قوله: (وقرأ أنس: "يَجْمِزُونَ")...[١] إلخ، قول أنس رضي الله عنه: (يجمحون، ويجمِزون ويشتدُّون)، ويشير بذلك إلى أنّه لم يُرد بقوله: "يجمِزون" إلّا تفسير ﴿يَجۡمَحُونَ﴾ وبيان معناه، فكأنّه قال: ما أردتُ بقوله: يَجمِزون إلّا تفسير ﴿يَجۡمَحُونَ﴾،[٢] وليس مِن آي القراءة. وكان السلف رضي الله عنهم[٣] يفعلون ذلك لبيان[٤] المعنى، حيث لا يلتبس على السامع أنّه ليس مِن القرآن.

قوله:[٥] (وقيل: هو ابن ذي الخُويصرة) هو حرقوص بن الخُويصرة.

قوله:[٦] (وقيل: هو أبو الجوّاظ) كنية منافق.[٧] «والجوّاظ لغة: الضخم المختال في مِشيته»،[٨] وفي الحديث: «أهل النار كلّ جَعْظريٍّ[٩] جوّاظ».[١٠]

---

[١] قراءة شاذّة، مرويّة عن أنس بن مالك. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٩٢٣.

[٢] ن – وبيان معناه، فكأنّه قال: ما أردت بقوله: يجمزون إلّا تفسير ﴿يَجۡمَحُونَ﴾.

[٣] ر – رضي الله عنهم.

[٤] ن: البيان.

[٥] ن – قوله.

[٦] ن – قوله.

[٧] ن: موافق.

[٨] الصحاح للجوهري، «دسس».

[٩] ر: جفظريّ.

[١٠] ر: خواظ. | والحديث بلفظ «كلّ عتلّ جوّاظ ›

إنما يقسِم صدقاتكم في رُعاة الغنم وهو يزعم أنه يَعدلُ؟! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا أبا لك! أَمَا كان موسى راعيًا أما كان داود راعيًا؟» فلمَّا ذهب قال عليه الصلاة والسلام: «احذروا هذا وأصحابَه فإنهم منافقون».

وقرئ: ﴿يَلمُزك﴾ بالضم، و: "يُلمِّزك" و: "يُلامِزُك"، التثقيلُ والبناء على المفاعلة مبالغةٌ في اللَّمز.

ثمّ وصفهم بأنّ رضاهم وسَخَطَهم لأنفسهم لا للدِّين وما فيه صلاحُ أهله؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعطَف قلوبَ أهل مكة يومئذٍ بتوفير الغنائم عليهم فضَجِر المنافقون منه.

و﴿إِذَا﴾ للمفاجأة؛ أي: ﴿وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَا﴾ فاجَؤوا السَّخَطَ.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾

والجعظريُّ:[١] الفظّ الغليظ.

قوله:[٢] (ثمّ وصفم بأنّ رضاهم) يريد أنّه تعالى لمّا ذكر أنّ بعضًا مِن المنافقين عاب[٣] رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في قِسمة الصدقات بيّن بعد ذلك بقوله: ﴿فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يقسِمها للدين[٤] وصلاح أهله لا[٥] للأغراض النفسانيّة، وهؤلاء لمّا كانت أغراضهم نفسانيّة ورضاهم وسخطهم بمجرَّد الإعطاء

= مستكبر» في صحيح البخاري، ١٥٩/٦ (٤٩١٨)؛ وصحيح مسلم، ٢١٩٠/٤ (٢٨٥٣)؛ وهو بلفظه ههنا في مسند أحمد، ٥٨٥/١١ (٧٠١٠)؛ ومثل به الجوهريّ في الصحاح، «جوظ».

١ ر: الحفظري.
٢ ن – قوله.
٣ ر: غاب.
٤ ن: للذين.
٥ ن ر – لا.

جواب "لو" محذوفٌ تقديره: ولو أنهم رضُوا لكان خيرًا لهم، والمعنى: ولو أنهم رضُوا ما أصابهم به الرسولُ من الغَنيمة وطابت به نفوسُهم وإن قلَّ نصيبُهم وقالوا: كفانا فَضْلُ الله وصُنعه، وحَسْبُنا ما قَسَم لنا، سيَرْزقُنا غنيمةً أخرى فيؤتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثرَ ما أتانا اليومَ.

﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ في أن يُغنِّمنا ويُخوِّلَنا فضلَه ﴿رَٰغِبُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ﴾ قصرٌ لجنسِ الصدقات على الأصناف المعدودة، وأنّها مختصَّةٌ بها لا تتجاوزُها إلى غيرها؛ كأنَّه قيل: إنما هي لهم لا لغيرهم، ونحوُه قولُك: «إنما الخلافةُ لِقريشٍ» تريد: لا تتعدَّاهم ولا تكون لغيرهم، فيحتمِل أن تُصرَفَ إلى الأصناف كلِّها، وأن تُصرفَ إلى بعضها، وعليه مذهبُ أبي حنيفة رضي الله عنه.

وعن حُذيفة وابن عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين أنهم قالوا: في أيّ صنفٍ منها وضَعْتَها أجزأَكَ. وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه: لو نظرتَ إلى أهل بيتٍ من المسلمين فقراءَ متعفِّفين فجبَرْتَهم بها كان أحبَّ إليَّ.

وعند الشافعي رضي الله عنه: لا بدَّ من صَرْفها إلى الأصناف، وعن عكرمة

والمنع منعهم[1] إيّاها، وطعنوا فيه وعابوه. وينطبق على هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ﴾... إلخ.

قوله:[2] (وأنّها مختصّة) مِن قبيل:

علفتُها تبنًا وماءً باردا[3]

كأنّه قيل: وبيان أنّها.

قوله:[4] (فيحتمل أن تُصرف إلى الأصناف) وفي بعض النُّسخ: "إلى الأوصاف"، أي: ذوات الأوصاف، وهو الفقير والمسكين وغيرهما.

---

[1] ن: منهم.
[2] ن – قوله.
[3] لا يعلم قائله. ومضى تخريجه والكلام عليه في تفسير البقرة، ٢/٧.
[4] ن – قوله.

رضي الله عنه: أنها تُفرَّق في الأصناف الثمانية، وعن الزهري: أنه كتَبَ لعُمر بن عبد العزيز تفريقَ الصدقات على الأصناف الثمانية.

﴿وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا﴾: السُّعاةُ الذين يقبضونها.

﴿وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ﴾: أشرافٌ من العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستألِفُهم على أن يُسْلِموا فيَرضَخُ لهم شيئًا منها حين كان في المسلمين قلَّةٌ.

و﴿ٱلرِّقَابِ﴾: المكاتَبون يُعانون منها، وقيل: الأسارى، وقيل: تُبتاع الرِّقاب فتُعتَق.

﴿وَٱلۡغَٰرِمِينَ﴾: الذين رَكِبَتْهم الديونُ ولا يَملكون بعدها ما يبلغ النصابَ، وقيل: الذين تحمَّلوا الحَمالات فتديَّنوا فيها وغَرِموا.

﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: فقراء الغُزاة والحجيج المُنْقَطَعُ بهم.

قوله:[1] (فيرضخ لهم) الرضخ: العطاء القليل.

قوله:[2] (المكاتَبون يُعانون) «المعاناة:[3] المقاساة.[4] يقال: عاناه وتعنّاه».[5] ويحتمل أن يكون مِن[6] "أعان" والضمير للصدقات.

قوله:[7] (الحَمالات) الحَمالات بالفتح: جمع حَمَالة بالفتح، وهي: ما يتحمّله الإنسان مِن غيره مِن الدية والغرامة.[8]

قوله:[9] (المُنقطَع بهم) انقُطع بالمسافر مبنيًّا للمفعول إذا عطبت دابته أو نفِد زاده فانقطع به السفر دون وطنه،[10] وهو مُنقطَع به،[11] ففاعله الذي حُذف وأقيمَ المفعول مُقامه وهو السفر.

---

١ ن – قوله.
٢ ن – قوله.
٣ ن: المعانات.
٤ ن: المقاسات.
٥ الصحاح للجوهري، «عنا».
٦ ر: مر.
٧ ن – قوله.
٨ انظر: الصحاح للجوهري، «حمل».
٩ ن – قوله.
١٠ ر: طيبه.
١١ انظر: الصحاح للجوهري، «قطع».

﴿وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: المسافر المنقطِعُ عن ماله، فهو فقيرٌ حيث هو غنيٌّ حيث ماله.

﴿فَرِيضَةً﴾ في معنى المصدر المؤكِّد؛ لأن قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ﴾ معناه: فرَضَ اللهُ الصدقات لهم، وقرئ: ﴿فريضةٌ﴾ بالرفع على: تلك فريضةٌ.

فإن قلتَ: لمَ عُدل عن اللام إلى "في" في الأربعة الأخيرة؟

قلتُ: للإيذان بأنهم أرسخُ في استحقاق التصدُّق عليهم ممن سبقَ ذكرُه؛ لأنَّ "في" للوِعَاء، فَنُبِّهَ على أنهم أَحِقَّاءُ بأن توضَعَ فيهم الصدقاتُ ويُجعلوا مَظِنَّةً لها ومصَبًّا، وذلك لِمَا في فكِّ الرقاب من الكتابة أو الرق أو الأَسْر، وفي فكِّ الغارمين من الغُرْم، من التخليص والإنقاذ، ولجمع الغازي الفقير أو المنقَطِعِ في الحجِّ بين الفقْر والعِبادةِ، وكذلك ابنُ السبيل جامعٌ بين الفَقْر والغُربة عن الأهل والمال، وتكريرُ "في" في قوله: ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ فيه فَضْلُ ترجيحٍ لهذين على الرقاب والغارمين.

فإن قلتَ: فكيف وقعَتْ هذه الآية في تضاعيف ذكر المنافقين ومكائدهم؟

قلتُ: دُلَّ بكون هذه الأصنافِ مصارِفَ الصَّدقاتِ خاصَّةً دون غيرهم على أنهم ليسوا منهم؛ حَسْمًا لأطماعهم وإِشعارًا باستيجابهم الحرمانَ، ....

قوله:[1] (فهو فقير حيث هو غنيّ) "فهو" مبتدأ "فقير" خبره و"حيث" ظرف "فقير" مضاف إلى ما بعده، والتقدير: حيث هو حاصل أو مستقرّ أو شبهه.

قوله:[2] (لِما في فكّ الرقاب مِن الكتابة)... إلخ، "مِن" في قوله: "مِن الكتابة" صلة "فكّ"، وفي (مِن التخليص) بيان "ما" في "لِما". و(في فكّ الغارمين) عطف على "في فكّ الرقاب". وقوله: (ولجمع الغازي) عطف على "لِما" و"في[3] فكّ الرقاب".

قوله:[4] (فضلُ ترجيح)؛ لأنّه عُلم الترجيح مِن ذِكر "في" أوّلًا، فلمّا كرّر "في" فيهما عُلم منه فضل الترجيح.

---

١ ن – قوله.
٢ ن – قوله.
٣ ر: في.
٤ ن – قوله.

وأنهم بُعَداءُ عنها وعن مصارفها فما لهم وما لها؟ وما سَلَّطهم على التكلُّم فيها ولَمْزِ قاسمها.

﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾﴾

"الأذُنُ": الرجل الذي يصدِّق كلَّ ما سَمِع ويَقبلُ قولَ كلِّ أحدٍ، سمِّي بالجارحة التي هي آلةُ السَّماع كأنَّ جُمْلَتَه أُذُنٌ سامعةٌ، ونظيرُه قولُهم للرَّبيئة: عينٌ.

وإيذاؤُهم له هو قولُهم فيه: ﴿هُوَ أُذُنٌ﴾، و﴿أُذُنُ خَيْرٍ﴾ كقولك: «رجلُ صِدْقٍ» تريد الجَوْدةَ والصلاحَ؛ كأنَّه قيل: نَعَمْ هو أُذنٌ ولكنْ نِعْمَ الأذُنُ.

ويجوز أن يريدَ: هو أُذنٌ في الخير والحقِّ وفيما يجب سماعُه وقبولُه، وليس بأُذُن في غير ذلك، ودلَّ عليه قراءةُ حمزةَ: ﴿ورحمةٍ﴾ بالجرِّ عطفًا عليه؛ أي: هو أذُنُ خيرٍ ورحمةٍ لا يسمعُ غيرَهما ولا يقبلُه.

قوله:[١] (فما لهم وما لها؟) هاتان جملتان، والتقدير: فما لهم ولها وما لها ولهم؟ ثمّ اختُصّ في كلمتي[٢] الجملتين بالحذف للقرينة الدالّة على المحذوف.

قوله:[٣] (للربيئة)[٤] الربيئة:[٥] الطليعة، وقيل: الجاسوس. (هو قولهم) فيه إشارة أنّ العطف في ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ للبيان. وقوله: (فيه) أي:في حقّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

قوله:[٦] (ويجوز أن يريد: هو أُذن في الخير)[٧] عطف على قوله: (كقولك: رجلُ صِدق).

---

[١] ن – قوله.

[٢] ن: كلمتين.

[٣] ن – قوله.

[٤] ر: للربيئة.

[٥] ر: الربيئة.

[٦] ن – قوله.

[٧] ن: الخبر.

ثم فسّر كونَه أذنَ خير بأنَّه يصدِّق بالله لِمَا قامَ عنده من الأدلَّة، ويَقبل من المؤمنين الخُلَّص من المهاجرين والأنصار، وهو رحمةٌ لمن آمن منكم -أي: أظهرَ الإيمان- أيُّها المنافقون حيث يَسمع منكم ويَقْبلُ إيمانكم الظاهرَ، ولا يكشفُ أسرارَكم ولا يفضَحُكم ولا يفعل بكم ما يَفعل بالمشركين؛ مراعاةً لِمَا رأى الله من المصلحة في الإبقاء عليكم، ....

قوله:[١] (بأنّه[٢] يصدِّق بالله) أي:بأنّ الرسول صلّى الله عليه وسلّم.

قوله:[٣] (لِما قام) اللام فيه للتعليل، أي: يصدِّق لذلك. وقوله: (مِن الأدلّة)[٤] بيان "ما". وقوله: (ويقبل مِن المؤمنين) أي:يقبل إيمان المؤمنين الخُلَّص فقط، أي: يصدِّقهم أنّهم مؤمنون.

قوله:[٥] (وهو رحمة لمَن آمِن منكم) اعلم أنّ قوله تعالى: ﴿رَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ﴾ بعد قوله:[٦] ﴿يُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ دقيقة في رعاية[٧] اللفظ، كأنّه قال: يرحمكم بسبب إيمانكم الظاهر ولا يفضحكم، وليس أنّه يصدِّقكم، / حيث [٣٨٥و] يُظهرون الإيمان كما يصدق المؤمنون، ويعلم أنّكم منافقون ليس إيمانكم إلّا باللسان، فليس هو إذنًا بالحقيقة على الوجه الذي ذكرتم وتصورتم، فإنّه لا يقبل مِن كلّ أحد، بل يستعمل الإغماض في كثير مِن المواضع كرمًا ولطفًا،[٨] ولم يزل الإغماض والتجاهل ديدن الكرام.[٩]

ليس[١٠] الغبيُّ[١١] بسيِّد في قومه   لكنّ سيِّد قومه المتغابي[١٢]

قوله:[١٣] (في الإبقاء عليكم) قال الجوهري: أبقيتُ على فلان إذا رحمته.[١٤]

---

[١] ن – قوله.
[٢] ر: أنه.
[٣] ن – قوله.
[٤] ر: الأذلة.
[٥] ن – قوله.
[٦] ر + تعالى.
[٧] ن: غاية.
[٨] ن ر: ولفظا.
[٩] ن: للكرام.
[١٠] ن: أليس.
[١١] ن: المعنى؛ ر: الغني.
[١٢] ر: المتغاني. | والبيت لأبي تمّام في ديوانه، ٨٧/١؛ وهو له في الموازنة للآمدي، ١٠٥/١.
[١٣] ن – قوله.
[١٤] انظر: الصحاح للجوهري، «بقي».

فهو إذًا كما قلتُم إلَّا أنه أُذنُ خيرٍ لكم لا أُذنُ سوءٍ، فسلَّم لهم قولَهم فيه إلَّا أنه فسَّر بما هو مدحٌ له وثناءٌ عليه وإن كانوا قصدوا به المذمَّة والتقصيرَ بفِطْنته وشَهامَته، وأَنه من أهل سلامة القلوب والغِرَّة.

وقيل: إنَّ جماعةً منهم ذَمُّوه وبلغَه ذلك فاشتغلت قلوبُهم، فقال بعضهم: لا عليكم، فإنما هو أذنٌ سامعةٌ قد سمع كلامَ المُبلِّغ فأَذن، ونحن نأتيه فنعتذرُ إليه، فيَسمعُ عُذْرَنا أيضًا فيَرْضَى، فقيل: هو ﴿أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ﴾.

وقرئ: "أذنٌ خيرٌ لكم" على أن "أذنٌ" خبرُ مبتدأ محذوفٍ و"خيرٌ" كذلك؛ أي: هو أذنٌ هو خيرٌ لكم، يعني: إن كان كما تقولون فهو خيرٌ لكم؛ لأنه يَقبَل معاذِيرَكم ولا يكافئكم على سوء دِخْلَتكم.

وقرأ نافعٌ بتخفيف الذال.

قوله:[1] (وشَهامته) «شهُم الرجل شهامة فهو شَهْم، أي: جَلْد ذكيّ الفؤاد».[2]

قوله:[3] (بفطنته) صلة (التقصير). وقوله: (وأنّه مِن أهل سلامة القلوب) عطف على (المذمّة).[4]

قوله:[5] (والغِرّة) رجل غِرّ بالكسر وغرير، أي: غير مجرِّب. وقد غَرّ يَغِرّ بالكسر غرارة والاسم الغِرّة.[6]

قوله:[7] (وقيل: إنّ جماعة منهم ذمُّوه) عطف على قوله: (وإيذاوهم له هو[8] قولهم: فيه ﴿هُوَ أُذُنٞ﴾)، وعلى هذا يكون المراد بإيذائهم مذمّتهم له، فلا يكون العطف في قوله: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞ﴾ للبيان.

قوله:[9] (على سوء دِخلتكم) أي:باطنكم. دُخلة الرجل بالضمّ، وداخلة الإزار: أحد طرفيه الذي يلي الجسد. الدَّخَل: العيب والريبة.[10] مِن كلامهم:

---

١ ن – قوله. ر + قوله.
٢ الصحاح للجوهري، «شهم».
٣ ن – قوله.
٤ ر: المزمة.
٥ ن – قوله.
٦ انظر: الصحاح للجوهري، «غرر».
٧ ن – قوله.
٨ ن – له هو.
٩ ن – قوله.
١٠ ر: الرتبة.

فإن قلتَ: لِمَ عُدِّيَ فعلُ الإيمان بالباء إلى الله وإلى المؤمنين باللام؟

قلتُ: لأنه قُصد التصديقُ بالله الذي هو نقيضُ الكفر به، فعُدِّي بالباء وقُصدَ السماع من المؤمنين، وأن يُسلِّم لهم ما يقولونه ويصدِّقَه لكونهم صادقين عنده فعُدِّي باللام، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ [يوسف ١٧/١٢] ما أنباه عن الباء، ونحوُه: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾ [يونس ٨٣/١٠]، ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء ١١١/٢٦]، ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ [طه ٧١/٢٠].

فإن قلتَ: ما وجهُ قراءة ابن أبي عَبْلة: "ورحمةً" بالنصب؟

قلت: هي علةٌ معلَّلُها محذوفٌ تقديره: ورحمةً لكم يأذن لكم، فحُذف؛ لأن قوله: ﴿أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ يدلُّ عليه.

تـرى الـفـتـيـان كـالـنـخـل[١] ومـا يـدريـك مـا الـدخـلُ[٢]

وكذلك الدَّخَل بالتحريك، يقال: "هذا[٣] الأمر فيه دَخَل ودَغَل" بمعنًى. وقوله:[٤] ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾ [النحل ٩٤/١٦]، أي: مكرًا وخديعة.[٥]

قوله:[٦] (قلتُ: لأنّه قصد التصديق)[٧] إلى آخره، قاس النقيض على النقيض في التعدية بالباء.

قوله:[٨] (وما أنباه عن الباء) أي:ما أشدّ نبوًّا مِن النبوّ، فـ"ما" للتعجُّب.[٩]

قوله:[١٠] (يأذن لكم، فحُذف) أي:يستمع، يقال: أذِن له أذنًا، أي: استمع. قال:

---

١ ن: فالنخل.

٢ ن: لدخل. | الشعر لابنة الخسّ العاديّة في تصحيح الفصيح لابن درستويه، ص ٢٧٤؛ والمقصور والممدود للقالي، ٢٩٦/١؛ وهو لغنْمة بنت مطرود البجليّة في مجمع الأمثال للميداني، ١٣٧/١؛ والمستقصى للزمخشري، ٢٦/٢؛ وبلا عزو في الأمثال لأبي عبيد، ص ١٣٠؛ ورسائل الجاحظ، ٣٦٣/٢؛ والبيان والتبيين للجاحظ، ٢٢٠/١.

٣ ن ر: هو.

٤ ر: قوله تعالى.

٥ ن: وحديقة. | والكلام من قوله: "دُخلة الرجل" إلى هنا بلفظ قريب في الصحاح للجوهري، «دخل».

٦ ن – قوله.

٧ ر: الدقيق.

٨ ن – قوله.

٩ ن: للتعجبية.

١٠ ن – قوله.

﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾

﴿لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ﴾ الخطاب للمسلمين، وكان المنافقون يتكلّمون بالمطاعن أو يتخلفون عن الجهاد ثم يأتونهم فيعتذرون إليهم، ويُؤكِّدون معاذيرَهم بالحَلِف ليَعْذِروهم ويَرْضَوْا عنهم، فقيل لهم: إن كنتُم مؤمنين كما تزعمون فأحقُّ مَن أرضَيْتُم اللهُ ورسولُه بالطاعةِ والوفاق، وإنّما وُحِّد الضميرُ؛ لأنه لا تفاوُتَ بين رضا اللهِ ورضا رسولِه، فكانا في حُكم مُرضًى واحدٍ؛ كقولك: إحسانُ زيدٍ وإجمالُه نَعَشَني وجبَرَ مني.

أو: واللهُ أحقُّ أن يُرْضوه ورسولُه كذلك.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾﴾

"المحادَّةُ": مُفاعَلةٌ من الحدِّ؛ كالمُشاقَّةِ من الشِّق.

صـمّ إذا سـمعوا خيـرًا ذُكـرت بـه   وإن ذُكـرت بـشَـرّ عـنـدهـم أذِنـوا[1]

وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ما[2] أذن الله لشيء[3] كأذنه لعبد يتغنّى[4] بالقرآن.[5]

قوله:[6] (وإنّما وحّد الضمير)[7] في ﴿يُرْضُوهُ﴾.

قوله:[8] (نعشني) أي:قواني ورفعني.[9]

قوله:[10] (المحادّة) مفاعلة، المحادة: المخالفة ومنع ما يجب عليك مِن الحدّ وهو المنع.[11]

---

[1] البيت لقَعْب بن أمّ صاحب في ديوانه، ص ٥٠؛ وهو له في الصحاح للجوهري، «أذن»؛ والدرّ الفريد لابن أيدمر، ٩٢/٧.

[2] ر – ما.

[3] ر: لنبيّ.

[4] ن: يتبعني.

[5] من قوله: "أذن له" إلى هنا بلفظ قريب في الصحاح للجوهري، «أذن». والحديث بلفظ قريب في صحيح البخاري، ١٩١/٦ (٥٠٢٣)؛ وصحيح مسلم، ٥٤٥/١ (٧٩٢).

[6] ن – قوله.

[7] ر + أي.

[8] ن – قوله.

[9] ر: ودفعني.

[10] ن – قوله.

[11] انظر: الصحاح للجوهري، «حدد».

﴿فَأَنَّ لَهُۥ﴾ على حذف الخبر؛ أي: فحقٌّ أنَّ له ﴿نَارَ جَهَنَّمَ﴾.

وقيل: معناه: فله، و"أنَّ" تكريرٌ لـ"أنَّ" في قوله: ﴿أَنَّهُۥ﴾ توكيدًا.

ويجوز أن يكون ﴿فَأَنَّ لَهُۥ﴾ معطوفًا على ﴿أَنَّهُۥ﴾، على أن جواب ﴿مَن﴾ محذوفٌ تقديره: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ يَهْلِكْ ﴿فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾.

وقرئ: "ألم تعلموا" بالتاء.

﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾﴾

كانوا يستهزئون بالإسلام وأهله، وكانوا يَحذَرون أَنْ يفضَحَهم الله بالوحي فيهم، حتى قال بعضهم: والله لا أُرانا إلّا شرَّ خَلْق الله، لوددْتُ أني قُدِّمتُ فجُلِدْت مئةَ جلدةٍ وأن لا ينزلَ فينا شيءٌ يفضحُنا.

قوله:[1] (وقيل: معناه: فله، و"أنّ" تكرير لـ"أنّ") اللام في قوله: "لأنّ" متعلّق بـ"تكرير". وقوله: (توكيدًا) مفعول له، ومنه قول الحماسي:

ولكنّ صعلوكًا صفيحةُ وجههِ كضوء شهاب القابسِ المتنوِّرِ[2]

ثمّ قال بعد أبيات:

فذلك إن يلقَ المنية يلقَها حميدًا وإن يستغنِ يومًا فأجدرِ[3]

قال المرزوقي: "فذلك"[4] تكرير[5] لقوله: "صعلوكًا".[6] وكقوله الحماسي أيضًا:

وإنّ امرأ دامَتْ مواثيق عهده على مِثل هذا إنّه لكريمُ[7]

قوله:[8] (ويجوز أن يكون ﴿فَأَنَّ لَهُۥ﴾)... إلخ، كأنّه قيل: ألم تعلموا أنّ له نار جهنّم.

---

[1] ن - قوله.

[2] ر: المنثور. | والبيت لعروة بن الورد في ديوانه، ص ٤٧؛ وهو له في الأصمعيّات للأصمعي، ص ٤٧؛ والشعر والشعراء لابن قتيبة، ٦٦٥/٢؛ وشرح الحماسة للمرزوقي، ٤٢٣/١.

[3] ر: فاحذر. | والبيت لعروة بن الورد في ديوانه، ص ٤٨.

[4] ر: فلذلك.

[5] ن: تقدير.

[6] انظر: شرح الحماسة للمرزوقي، ٤٢٤/١.

[7] البيت لدُوير بن دؤالة العقيلي في الدرّ الفريد لابن أيدمر، ٣٥٤/٣؛ ولأعرابيّ وهو محبوس، في البيان والتبيين للجاحظ، ٦٢/٤؛ وللفرزدق في الممتع في صنعة الشعر للنهشلي، ص ٢٩٢.

[8] ن - قوله.

والضمير في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ و﴿تُنَبِّئُهُم﴾ للمؤمنين، وفي ﴿قُلُوبِهِمْ﴾ للمنافقين، وصحَّ ذلك؛ لأن المعنى يقُودُ إليه، ويجوز أن تكون الضمائر للمنافقين؛ لأن السورة إذا نزلت فيهم فهي نازلةٌ عليهم، ومعنى ﴿تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ كأنها تقول لهم: في قلوبكم كيتَ وكيتَ، يعني: أنّها تُذِيعُ أسرارَهم عليهم حتى يسمعوها مُذاعةً منتشِرةً فكأنها تُخبرُهم بها.

وقيل: معنى ﴿يَحْذَرُ﴾: الأمرُ بالحذر؛ أي: ليَحْذرِ المنافقون.

فإن قلتَ: الحَذَرُ واقعٌ على إنزال السورة في قوله: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ﴾ فما معنى قوله: ﴿مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾؟

قلتُ: معناه: محصِّلٌ مُبْرِزٌ إنزالَ السورة، أو: إن الله مُظهِرٌ ما كنتُم تحذَرونه؛ أي: تحذرون إظهارَه من نفاقكم.

قوله:[1] (يقود إليه)، يعني: لا التباسَ فيه؛ لأنّ المعنى يدل على مرجع الضمير.

قوله:[2] (كأنّها تقول) أي:كأنّ السورة، وهذا على الوجه الثاني. وقوله: (يعني أنّها تُذيع[3] أسرارهم)[4] وهو[5] في[6] معنى قوله تعالى: ﴿مُخْرِجٌ﴾ ظاهر. وأمّا قوله:[7] (مُظهِر) فبطريق المجاز؛ لأنّ الإخراج يستلزم الإظهار،[8] فيستعمل كلّ منهما في معنى الآخر مجازًا أو كناية، قال المطرّزي في المُغرِب:

> الظهور: خلاف الخفاء، وقد يعبَّر به عن[9] الخروج والبروز؛ لأنّه يردَف ذلك، وعليه حديث عائشة رضي الله عنها: 'أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان[10] يصلي العصر والشمس في حجرتها قبل أن تظهر'.[11] وتصديقه في الرواية الأخرى: 'والشمس لم تخرج من حجرتها'.[12]

---

[1] ن – قوله.
[2] ن – قوله.
[3] ر: تدبغ.
[4] ر + قوله.
[5] ن ر: خبروني.
[6] ن ر – في.
[7] ر + تعالى وأما قوله.
[8] ن: الإصها.
[9] ن ر – عن.
[10] ر – كان.
[11] صحيح البخاري، ١/١١٠ (٥٢١)؛ صحيح مسلم، ١/٤٢٦ (٦١١).
[12] مسند أحمد، ٤٣/٣٩٢ (٢٦٣٧٨)؛ صحيح البخاري، ١/١١٤ (٥٤٤).

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾

بَيْنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يسيرُ في غزوة تبوكَ ورَكْبٌ من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا: انظرُوا إلى هذا الرجل يريد أن يَفتتح قُصورَ الشام وحصونَه، هيهات هيهات! فأَطْلَعَ اللهُ نبيَّه عليه السلام على ذلك، فقال: «احبِسوا عليَّ الركب» فأتاهم فقال: «قلتُم كذا وكذا»، فقالوا: يا نبيَّ الله! لا والله ما كنَّا في شيءٍ من أمرك ولا من أمر أصحابك، ولكن كنَّا في شيءٍ مما يخُوض فيه الرَّكْب ليُقَصِّرَ بعضُنا على بعض السَّفَر.

﴿أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ لم يُعبأْ باعتذارهم؛ لأنهم كانوا كاذبين فيه، فجُعلوا كأنهم معترفون باستهزائهم وبأنه موجودٌ منهم حتى وُبِّخوا بإخطائهم موقعَ الاستهزاء حيث جُعل المستهزَأُ به يلي حرفَ التقرير، وذلك إنما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء وثبوته.

﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟﴾: لا تشتغِلوا باعتذاراتكم الكاذبة فإنَّها لا تنفعكم بعد ظهور سرِّكم.

﴿قَدْ كَفَرْتُم﴾: قد أظهرتُم كفرَكم باستهزائكم ﴿بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾: بعد إظهاركم الإيمان.

وعن الشافعي رضي الله عنه: إنّ هذا أبيَن ما روي في أول وقت العصر؛ لأنّ حجر[١] أزواج النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في موضع منخفض مِن المدينة وليس هي بالواسعة، وذلك أسرع لارتفاع[٢] الشمس عنها.[٣]

قوله:[٤] (قد أظهرتم كفركم)؛ لأنّ المنافق لا يزال كافرًا.

---

[١] ن: حجرا.
[٢] ر: الارتفاع.
[٣] انظر: المغرب للمطرّزي، «ظهر».
[٤] ن – قوله.

﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ﴾ بإحداثهم التوبةَ وإخلاصِهم الإيمانَ بعد النفاق ﴿نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾: مؤذِينَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم مستهزئين مصرّين على النفاق غيرَ تائبين منه.

أو: إنْ نَعْفُ عن طائفةٍ منكم لم يؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يستهزئوا فلم نعذِّبْهم في العاجل نُعذِّبْ في العاجل طائفةً بأنهم كانوا مجرمين مؤذِينَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم مستهزئين.

وقرأ مجاهدٌ: "إنْ تُعفَ عن طائفةٍ" على البناء للمفعول مع التأنيث، والوجهُ التذكيرُ؛ لأن المسنَد إليه الظرفُ؛ كما تقول: سِيرَ بالدابَّة، ولا تقول: سيرَتْ بالدابَّة، ولكنه ذهب إلى المعنى؛ كأنَّه قيل: "إنْ تُرحَمْ طائفةٌ" فأنَّث لذلك، وهو غريبٌ، والجيدُ قراءةُ العامة: ﴿إنْ يُعْفَ عن طائفةٍ﴾ بالتذكير و﴿تُعذَّبْ طائفةٌ﴾ بالتأنيث.

وقرئ: "إنْ يَعْفُ عن طائفةٍ... يُعذِّبْ طائفةً" على البناء للفاعل، وهو الله تعالى.

﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ أُريد به نفيُ أن يكونوا من المؤمنين، وتكذيبُهم في قولهم: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ [التوبة ٩/٥٦]، وتقريرُ قوله: ﴿وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾ [التوبة ٩/٥٦].

ثم وصفهم بما يدل على مضادَّة حالهم لحال المؤمنين: ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ﴾: بالكفر والمعاصي ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾: عن الإيمان والطاعات ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ شحًّا بالمبَارِ والصدقات والإنفاق في سبيل الله.

/ قوله:[١] (نعذِّب في العاجل) وإنَّما قال:[٢] "في العاجل"؛ لأنَّهم منافقون فلا بدّ مِن تعذيبهم في الآخرة. [٣٨٥ظ]

---

١ ن – قوله.
٢ ن + لأنهم.

﴿نَسُواْ ٱللَّهَ﴾: أغفَلوا ذكره ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾: فترَكهم من رحمته وفضْله.

﴿هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾: هم الكاملون في الفسق، الذي هو التمرُّدُ في الكفر، والانسلاخُ عن كلِّ خيرٍ، وكفى المسلمَ زاجرًا أن يُلِمَّ بما يُكْسِبُه هذا الاسمُ الفاحشُ الذي وصَفَ اللهُ به المنافقين حين بالغ في ذمِّهم، وإذا كره رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلم أن يقول: «كسلْتُ»؛ لأن المنافقين وُصِفُوا بالكسل في قوله: ﴿كُسَالَىٰ﴾ فما ظنُّك بالفسق؟

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِىَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: مقدِّرينَ الخلودَ.

قوله:[١] (وكفى المسلم زاجرًا أنّ يلم) "أن يلمّ"[٢] فاعل[٣] "وكفى"، و"زاجرًا" تمييز مقدم على الفاعل. ومثلُه جائز بلا خلاف،[٤] كما ذكره المصنّف في سورة الصف في تفسير قوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف ٣/٦١]،[٥] وكما قال المرزوقي في شرح قول الشاعر:

أرى كلَّ أرض دمّنتها وقد[٦] مضت   لها حِجَج يـزداد طِيبًا ترابُها[٧]

: إنّ "طيبًا" تمييز قُدِّم على الفاعل وهو "ترابُها". ثمّ قال: مثلُ ذلك جائز بلا خلاف بين[٨] النحويين، يعني: ليس فيه الخلاف الذي في تقديم التمييز على العامل.[٩] قال المصنّف: قرئ: "وأنّه تَعالى جَدًّا رَبُّنا".[١٠] فقوله: "جدًّا" تمييز قدِّم على الفاعل وهو "ربّنا".

---

[١] ن – قوله.
[٢] ن ر – أن يلمّ.
[٣] ر: فاعلم.
[٤] ن: خلافه.
[٥] انظر: الكشاف للزمخشري، (الصف، ٣/٦١).
[٦] ر – وقد.
[٧] ر + قوله. | والبيت لمجنون ليلى في ديوانه، ص ١٥٤؛ وهو بلا عزو في شرح الحماسة للمرزوقي، ١٣٢٩/٣؛ والدرّ الفريد لابن أيدمر، ٣٣٤/٣.
[٨] ن: ين.
[٩] انظر: شرح الحماسة للمرزوقي، ١٣٢٩/٣–١٣٣٠.
[١٠] انظر: الكشاف للزمخشري، (الجن، ٣/٧٢). والقراءة المذكورة شاذّة، مرويّة عن عكرمة. المغني في القراءات للنّوزوازي، ص ١٨٤٠.

﴿هِيَ حَسْبُهُمْ﴾ دلالةٌ على عظَم عذابها، وأنه لا شيءَ أبلغُ منه، وأنه بحيث لا يُزاد عليه، نعوذ بالله من سَخطهِ وعذابه.

﴿وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾: وأهانَهم مع التعذيب، وجَعلهم مذمومين مُلحَقِين بالشياطين الملاعين، كما عَظَّم أهلَ الجنة وألحقَهم بالملائكة المكرَمين.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾: ولهم نوعٌ من العذاب سوى الصُّلِيّ بالنار مقيمٌ دائمٌ كعذاب النار.

ويجوز أن يريد: ولهم عذابٌ مقيمٌ معهم في العاجل لا ينفكُّون عنه، وهو: ما يقاسُونه من تعب النفاق والظاهرِ المخالِفِ للباطن خوفًا من المسلمين، وما يَحذرونَه أبدًا من الفضيحة ونزولِ العذاب إن اطُّلِع على أسرارهم.

﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾

الكافُ محلُّهَا رفعٌ على: أنتم مثلُ الذين من قبلكم، أو نصبٌ على: فعلتُم ما فعَل الذين من قبلكم، وهو أنكم استمتعتُم وخُضْتُم كما استمتَعوا وخاضوا، ونحوُه قول النَّمر:

حتى إذا الكلَّابُ قال لها كاليومِ مطلوبًا ولا طَلَبا

قوله:[١]

(كاليوم مطلوبًا ولا طَلَبًا)[٢]

أوّله:

حتّى إذا الكلّابُ قال لها

---

١ ن - قوله.

٢ ن ر: طالبا. | وليس البيت للنمر بن تولب كما عزاه الزمخشري ههنا؛ بل هو لأوس بن حجر في ديوانه، ص ٣؛ وهو له في أمالي ابن الشجري، ١٢٦/٢؛ وضرائر الشعر لابن عصفور، ص ١٥٦. وعزاه الزمخشري إلى أوس بن حجر في المفصّل، ص ٥٩.

بإضمار: لم أرَ.

وقوله: ﴿كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ﴾ تفسيرٌ لتشبيههم بهم، وتمثيلٍ فعلهم بفعلهم.

و"الخَلَاقُ": النصيبُ، وهو ما خُلق للإنسان -أي: قُدِّر- من خيرٍ؛ كما قيل له: قِسْمٌ؛ لأنه قُسِمَ، ونَصيبٌ؛ لأنه نُصِبَ؛ أي: أُثبت.

يصف ثور وحشٍ وكلابًا، أي: قال الكلّاب لأجل الِكلاب، يريد بالمطلوب الثور، وبالطُّلَب الكلاب، وهي جمع طالب، كالخَدَم في جمع خادم، والحَرَس في جمع حارس، أي: الثور يجِدّ في الفرار والكِلاب تجِدّ في الطلب. والكاف في "كاليوم" في موضع الحال، وذو الحال المفعول وهو "مطلوبًا"، والمعنى: أو مثل مطلوب أراه أو رأيته اليوم مطلوبًا، كان الأصل "لم أرَ مطلوبًا مثل مطلوب أراه اليوم"، قُدِّم الصفة "أراه"[١] على الموصوف الذي هو "مطلوبًا"،[٢] فصار[٣] حالًا؛[٤] لأنَّ صفة النكرة متى تقدَّمت عليها نُصبت على الحال، ثمّ حُذفت الصفة التي هي "أراه"، ثمّ حُذف موصوف هذه الصفة وهو "مطلوب" ثمّ وُضع الكاف موضع المثل، فصار الكلام كما ترى.

قوله:[٥] (وقوله: ﴿كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ﴾ تفسيرٌ لتشبيههم[٦] بهم) فيه بحث، إذ ليس هذا بيانًا للنسبة؛ بل الصواب أن نقول لمّا قال: ﴿كَٱلَّذِينَ﴾، أي: أنتم مثل الذين أتى بجملة معترضة لذمّ الأوّلين وتخسيس شأنهم، وهو قوله: ﴿كَانُوٓاْ﴾ إلى قوله: ﴿فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ﴾، وفيه حذف هنا، والتقدير: خاضوا[٧] فيه، ثمّ لمّا فَرَغ مِن ذمهم وتخسيس شأنهم شَرَع في تفسير التشبيه بقوله: ﴿فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ﴾... إلخ، وإنّما حذف مِن الجملة المعترضة قوله: "وخاضوا فيه" لدلالة ﴿وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْ﴾ عليه، وإنّما أتى بالفاء في قوله: ﴿فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم﴾... إلخ؛ لأنّه[٨] كالتفسير لإجمال قوله: ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم﴾. وقوله: (وتمثيل فعلهم)

---

١ ن ر - قُدِّم الصفة "أراه".
٢ ر: مطلق.
٣ ن: وصار.
٤ ن: مالًا.
٥ ن - قوله.
٦ ر: لتشبههم.
٧ ر: وخاضوا.
٨ ن: لا.

و"الخوضُ": الدخولُ في الباطل واللهوِ.

﴿كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ﴾: كالفَوْج الذي خاضوا، أو: كالخوض الذي خاضُوه.

فإن قلتَ: أيُّ فائدةٍ في قوله: ﴿فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ﴾ وقولُه: ﴿ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ﴾ مُغنٍ عنه؛ كما أغنى قولُه: ﴿كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ﴾ عن أن يقال: وخاضوا فخُضْتُم كالذي خاضوا؟

عطف على تشبيههم بطريق البيان؛ لأنّ المراد بهذا[١] التشبيه هو[٢] تشبيه فعلهم بفعلهم لا تشبيه ذاتهم بذاتهم، فإنّ ذلك لا حاجةَ إلى ذكره؛ لأنّ كلّهم إنسان، وإنّما قال: "تمثيل"؛ لأنّ وجهَ الشبه مِن عدّة أمور.

قوله:[٣] "تفسير لتشبيههم"... إلخ، يعني قوله: ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ تشبيه مبهم[٤] لم يعلم أنّهم شبّهوا بمَن قبلهم، فبيّن بقوله: ﴿كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً﴾... إلخ، وجهَ الشبه، وهو القوّة والمال. والتشبيه تمثيل لِما فيه مِن تشبيه حال المخاطبين بحالهم، وكان أصل الكلام: أنتم كالذين مِن قبلكم ذوو[٥] قوّة وشدّة وأصحابُ أموال، أبطرتهم قوّتهم وشدّتهم[٦] وأموالهم حتّى اشتغلوا بما أوتوا مِن حظوظ الدنيا وشهواتها عن طلب الفوز برضوان الله، فبطل ما كانوا فيه وخسِروا خسرانًا مبينًا.

قوله:[٧] (كالفوج[٨] الذين خاضوا) فعلى هذا تكون الكاف في محلّ النصب على الحال، أي: خضتم مشبِهين الفوج الذي خاضوا. والعائد إلى "الذي"[٩] واو ﴿خَاضُوٓاْ﴾، وإنّما أفرد "الذي" نظرًا[١٠] إلى لفظ موصوفه المحذوف وهو الفوج، وقال: ﴿خَاضُوٓاْ﴾ بضمير الجمع نظرًا إلى المعنى. وقوله: (أو كالخوض) فعلى هذا تكون الكاف في محلّ النصب على صفة المصدر، أي: خضتم خوضًا

---

١ ن ر + المراد.
٢ ن: وهو.
٣ ن – قوله.
٤ ن ر: منهم.
٥ ر: ذوي.
٦ ن – وشدتهم.
٧ ن – قوله.
٨ ر: كالفرح.
٩ ر – الذي.
١٠ ن ر: نظر.

قلتُ: فائدتُه أن يَذُمَّ الأوَّلين بالاستمتاع بما أوتوا من حظوظِ الدنيا ورضاهم بها والْتِهائهم بشهواتهم الفانية عن النظر في العاقبة وطلبِ الفلاح في الآخرة، وأن يُخسِّسَ أمرَ الاستمتاع ويُهجِّنَ أمرَ الراضي به، ثم يُشبِّهَ بعد ذلك حال المخاطَبين بحالهم؛ كما تريد أن تُنبِّه بعضَ الظَّلَمة على سماجةِ فعله فتقول: أنت مثلُ فرعون كان يَقتل بغيرِ جُرم ويُعذِّبُ ويَعسُف وأنت تفعلُ مثلَ فعله، وأما ﴿وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ﴾ فمعطوفٌ على ما قبله مستنِدٌ إليه، مستغنٍ باستناده إليه عن تلك التَّقدمة.

﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ نقيضُ قوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [العنكبوت ٢٩/٢٧].

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ﴾: وأهلِ مدينَ، وهم قومُ شعيبٍ.

[٣٨٦و] مثلَ الخوض / الذي خاضوه، والعائد إلى "الذي" محذوف كما بينا، والواو عائد إلى ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾.

قوله:[١] (والتهائهم) أي:عنه. والتهى عنه، أي: سلا عنه وترك ذكره وأضرب عنه.

قوله:[٢] (فمعطوف على ما قبله)... إلخ، المراد تعلّقه[٣] به، ولمّا كان هذا مبنيًا عليه عُلم أنّ مثل هذه المقدِّمة التي ذُكرت هناك مقصودة ههنا فاستغنى عن ذكره.

قوله:[٤] (نقيض[٥] قوله)، يعني أنّ[٦] معنى ﴿حَبِطَتْ﴾ إلى آخره أنّه لم يحصل لهم إلّا ثواب الدنيا وإلّا ثواب الآخرة، فيكون حالهم مناقضَ حال هؤلاء.

---

١ ن – قوله.
٢ ن – قوله.
٣ ن ر: وتعلُّقه.
٤ ن – قوله.
٥ ر: نقيضه.
٦ ر: أي.

﴿وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتِ﴾: مدائن قوم لوط، وقيل: قُرَيَّات قوم لوط وهود وصالح، وائتفاكُهن: انقلابُ أحوالهن عن الخير إلى الشرّ.

﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ﴾: فما صحَّ منه أن يظلمهم وهو حكيمٌ لا يجوز عليه القبيحُ، وأن يُعاقِبَهم بغير جُرم، ولكنْ ظلموا أنفسهم حيث كفروا به فاستَحقُّوا عقابَه.

﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١﴾

﴿بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾ في مقابَلةِ قوله في المنافقين: ﴿بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖ﴾ [التوبة ٩/٦٧].

﴿سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ السينُ مفيدةٌ وجودَ الرحمةِ لا محالةَ، فهي تؤكِّدُ الوعدَ كما تؤكِّدُ الوعيدَ في قولك: "سأنتقم منك يومًا" تعني: أنك لا تفوتُني وإنْ تباطأ ذلك، ونحوُه ﴿سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ [مريم ١٩/٩٦]، ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾ [الضحى ٩٣/٥]، ﴿سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡ﴾ [النساء ٤/١٥٢].

قوله:[١] (وائتفاكهنّ) هذا على التفسير الثاني للمؤتكفات؛ لأنّ تلك القرى لم تقلب إنّما ذلك مختصّ[٢] بقرى قوم لوط، فقال: على هذا[٣] التفسير يكون الائتفاك مفسرًا بانقلاب أحوالها عن الخير إلى الشرّ، وأمّا على التفسير الأول فظاهر وهو الانقلاب الحقيقيّ بأن جعل عاليها سافلها.

قوله[٤] تعالى: (﴿سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ [مريم ١٩/٩٦]) أي:[٥] محبّة، يعني:[٦] يحبّهم[٧] الله ويُحبّبهم إلى عباده.

---

١ ن – قوله.
٢ ر: تختص.
٣ ن – هذا.
٤ ن – قوله.
٥ ر – أي.
٦ ن – يعني.
٧ ن: ويحبهم.

﴿عَزِيزٌ﴾: غالبٌ على كلِّ شيءٍ قادرٌ عليه، فهو يَقْدر على الثواب والعقاب.

﴿حَكِيمٌ﴾: واضعٌ كلًّا موضِعَه على حسب الاستِحقاق.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾

﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً﴾ عن الحسن: قصورًا من اللؤلؤ والياقوت الأحمر والزَّبَرجد.

و﴿عَدْنٍ﴾ عَلَمٌ، بدليل قوله: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ﴾ [مريم ٦١/١٩]، ويدلُّ عليه ما رَوى أبو الدرداء رضي الله عنه عن النبي عليه السلام: «عَدْنٌ دارُ الله التي لم ترها عينٌ ولم تَخْطر على قلب بشرٍ، لا يسكنُها غيرُ ثلاثةٍ: النبيُّون والصدِّيقون والشهداء، يقول الله تعالى: طوبى لمن دخلكِ».

وقيل: هي مدينةٌ في الجنَّة.

وقيل: نهرٌ جنَّاتهُ على حافَاته.

﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾: وشيءٌ من رضوان الله أكبرُ من ذلك كلِّه؛ لأنَّ رضاه هو سببُ كلِّ فوزٍ وسعادة؛ ولأنهم ينالون برضاه عنهم تعظيمَه وكرامتَه، والكرامة أكبرُ أصناف الثواب؛ ولأن العبد إذا عَلم أنَّ مولاه راضٍ عنه فهو أكبرُ في نفسه ممّا وراءه من النِّعَم، ....

قوله:[١] (على حسب الاستحقاق) وعند أهل السنّة على حسب الفضل، لقوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [الروم ٤٥/٣٠].

قوله:[٢] (بدليل قوله: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي﴾)... إلخ، قال تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ۞ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [مريم ٦٠/١٩-٦١]، فهذا دلّ على أنّ عدنًا عَلَم وإلّا لَما وُصف ﴿جَنَّٰتِ﴾ بالمعرفة.

قوله:[٣] (ممّا وراءه) أي:ما هو غير رضاه. ثمّ بينه بقوله: (مِن النِّعم) أي:

[١] ن – قوله.
[٢] ن – قوله.
[٣] ن – قوله.

وإنما تتهنَّأ له برضاه، كما إذا عَلِم بِسَخْطَتِه تنَغَّصَتْ عليه ولم يجد لها لذَّةً وإن عَظُمت، وسَمِعتُ بعْضَ أولي الهمَّة البعيدة والنفس المُرَّةِ من مشايخنا يقول: لا تَطْمَحُ عَيْني ولا تَنازعُ نفسي إلى شيءٍ ممَّا وعد اللهُ في دار الكرامة كما تطمَحُ وتُنازِعُ إلى رضاه عني، وأَنْ أُحْشَرَ في زمرة المهذَّبين المَرضيِّين عنده.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى ما وَعَد الله أو إلى الرِّضوان؛ أي: ﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ وحده دون ما يَعُدُّه الناس فوزًا.

ورُوي: أن الله تعالى يقول لأهل الجنَّة: هل رضيتُم، فيقولون: وما لنا لا نَرضَى وقد أعطيتَنا ما لم تُعطِ أحدًا من خلقك؟ فيقول: أنا أُعطيكم أفضلَ من ذلك، قالوا: وأيُّ شيء أفضلُ من ذلك؟! قال: أُدخِلُ عليكم رضواني فلا أَسْخَطُ عليكم أبدًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾

﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾ بالسيف ﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ بالحُجَّة.

﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ في الجهادَين جميعًا ولا تُحابِهِم، وكلُّ مَن وُقِف منه على فسادٍ في العقيدة فهذا الحكمُ ثابتٌ فيه يُجاهَدُ بالحجة وتُستعمل معه الغِلظةُ ما أَمْكَنَ منها.

هو أكبر في نفسه مِن النِّعم التي هي غير رضاه.

قوله:[١] (تتهنأ) الضمير[٢] الفاعل راجع إلى "النعم" التي هي غير رضاه. والضمير في (له) للعبد.[٣] والباء في (برضاه) للسببيّة.

قوله:[٤] (بعضَ أولي الهمّة) قيل: عنى به عبد السيِّد الخطيبي[٥] أخا صاعد. وقوله: (والنفس المِرّة) الجوهري: «المِرَّة: القوّة وشدّة[٦] العقل أيضًا».[٧]

[١] ن – قوله.
[٢] ر + عن.
[٣] ن: للعبيد.
[٤] ن – قوله.
[٥] وهو والد ناصر الدِّين المطرّزي صاحب المُغرِب.
[٦] ر: وشد.
[٧] الصحاح للجوهري، «مرر».

وعن ابن مسعود: إن لم يستطع بيده فبلسانه، وإن لم يستطع فليكفَهِرَّ في وجهه، فإن لم يستطِعْ فبقلبه. يريد الكراهة والبغضاء والتبرُّؤَ منه.

وقد حَمَل الحسن جهادَ المنافقين على إقامةِ الحدود عليهم إذا تعاطَوْا أسبابَها.

﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْۖ وَإِن يَتَوَلَّوْاْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾﴾

أقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوكَ شهرين يُنزَل عليه القرآنُ ويعيبُ المنافقين والمتخلِّفين فيَسمعُ مَن مَعَه منهم، منهم الجُلاسُ بن سُوَيْدٍ، فقال الجُلاسُ: واللهِ لئن كان ما يقول محمدٌ حقًّا لإخواننا الذين خَلَّفْناهم وهم ساداتُنا وأشرافُنا فنحن شرٌّ من الحَمير! فقال عامر بن قيس الأنصاريُّ للجُلاس: أجَلْ واللهِ إن محمدًا صادقٌ وأنت شرٌّ من الحمار، وبلَّغ ذلك رسولَ الله، فاستُحْضرَ فحَلَفَ بالله ما قال، فرفع عامرٌ يدَه وقال: اللّهم أنزِلْ على عبدك ونبيِّك ....

قوله:[١] (فليكفهرّ في وجهه) اكفهرّ:[٢] عبس. ومنه قول[٣] ابن[٤] مسعود رضي الله عنه: إذا لقيت الكافر فالقه[٥] بوجه مكفهرّ،[٦] أي: لا تلقّه بوجه منبسط.

قوله:[٧] (مَن معه منهم) "مِن" فيه للبيان، أي: يسمعه المنافقون الذين معه، أو للتبعيض.

قوله:[٨] (وبلّغ ذلك رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم) بتشديد اللام، أي: بلغ عامر ذلك رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم.

[١] ن – قوله.
[٢] ر: أكهر.
[٣] ن: قوله.
[٤] ن – ابن.
[٥] ر: فلقه.
[٦] المعجم الكبير للطبراني، ١١٢/٩ (٨٥٨٠).
[٧] ن – قوله.
[٨] ن – قوله.

تصديقَ الصادق وتكذيبَ الكاذب، فنَزَل: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟﴾ فقال الجُلاس: يا رسول الله، لقد عَرَضَ الله عليَّ التوبةَ، والله لقد قلتُه وصدق عامرٌ، فتاب الجُلاس وحسُنتْ توبتهُ.

﴿وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾: وأظهروا كُفرَهم بعد إظهارهم الإسلامَ.

﴿وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟﴾ وهو الفتكُ برسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك عند مرجعِهِ من تبوكَ؛ تَوَاثَقَ خمسةَ عَشَرَ منهم على أن يَدفعوه عن راحلته إلى الوادي ....

قوله:[1] (تصديق الكاذب[2] وتكذيب الصادق)،[3] يعني: لمّا حلف الجُلاس كذّب عامر لحَلِفه،[4] فقال: أنزل تصديقي في حقيقة الأمر وإن كنت كاذبًا عند[5] الناس لحلفه، وأنزل تكذيبه[6] في حقيقة الأمر وإن كان صادقًا عند الناس لحلفه، فسمّى نفسه الكاذبَ بظاهر حاله عند الناس وخصمَه الصادقَ[7] لذلك.

قوله:[8] (لقد عرض الله عليّ التوبة)،[9] يعني قوله تعالى: ﴿فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ﴾.

قوله:[10] (وهو الفتك) «الفتك: أن يأتي الرجل صاحبَه وهو غارٌّ غافل حتّى يشد عليه فيقلته. وفيه ثلاثُ لغات فَتْك وفُتْك وفِتْك مثل وَدّ ووُدّ ووِدّ وزَغْم وزُغْم وزِغْم، وقد فَتَك به يفتُك ويفتِك، وفي الحديث: "قيّد الإيمان الفتك، لا يفتِك مؤمن"».[11]

---

١ ن – قوله.

٢ في مطبوع الكشّاف: الصادق. | وأثبتُّ ما في حاشية الجاربردي وما راجعته من أصول الكشّاف.

٣ في مطبوع الكشّاف: الكاذب. | وأثبتُّ ما في حاشية الجاربردي وما راجعته من أصول الكشّاف.

٤ ر: بحلفه.

٥ ن: عن.

٦ ن: تكذيب.

٧ ر: الرادق.

٨ ن – قوله.

٩ جامع البيان للطبري، ٥٧٦/١١ (التوبة، ٧٤/٩).

١٠ ن – قوله.

١١ الصحاح للجوهري، «فتك». والحديث في مصنّف عبد الرزاق، ٢٩٨/٥ (٩٦٧٦).

إذا تَسَنَّم العَقَبةَ بالليل، فأخذ عمارُ بنُ ياسر بخِطام راحلته يقودها وحُذيفة خَلْفَها يَسوقها، فبينما هما كذلك إذْ سَمِع حذيفةُ بوَقْع أخفافِ الإبل وبقَعْقعَة السلاح، فالتفتَ فإذا قومٌ متَلثِّمون فقال: إليكم إليكم يا أعداء الله، فهَربوا.

وقيل: همَّ المنافقون بقتل عامرٍ لردِّه على الجُلاس.

وقيل: أرادوا أن يُتَوِّجوا عبد الله بن أبيّ وإن لم يَرضَ رسولُ الله.

و﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ﴾: وما أنكروا وما عابوا ﴿إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ وذلك أنهم كانوا حين قدمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ في ضَنْكٍ من العيش لا يركبون الخيلَ ولا يَحُوزون الغنيمةَ، فأَثْرَوْا بالغنائم.

وقُتِل للجلاس مَولًى فأمَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بدِيَته اثني عشر ألفًا فاستغنَى.

﴿فَإِن يَتُوبُواْ﴾ هي الآيةُ التي تاب عندها الجلاسُ.

﴿فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ بالقتل والنار.

﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٧٥﴾

قوله:[١] (إذا تسنّم) يقال: «تسنّمه، أي:[٢] علاه. وقوله تعالى: ﴿مِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ﴾ [المطففين ٢٧/٨٣]، قالوا: هو اسم ماء في الجنّة، سمّي بذلك؛ لأنّه[٣] فوق الغرف، ومنه تسنيم[٤] القبر: خلافه تسطيحه».[٥]

قوله:[٦] (فأثْروا بالغنائم) أي: صاروا أغنياءَ، وأثرى الرجل: كثر أمواله.[٧]

قوله:[٨] (اثني عشر ألفًا) قيل: يجوز أن يكون زيادة الألفين شَنَقًا، أي: تكون تكرُّمًا؛[٩] لأنّهم كانوا يعطون الدية ويتكرَّمون بزيادة عليها يسمُّونها[١٠] شَنَقًا.

---

[١] ن – قوله.
[٢] ر – أي.
[٣] ن: لأنّ.
[٤] ر: التسنيم.
[٥] الصحاح للجوهري، «سنم».
[٦] ن – قوله.
[٧] انظر: الصحاح للجوهري، «ثرا».
[٨] ن – قوله.
[٩] ن: ما.
[١٠] ن: يسمعونها.

روي: أن ثَعْلبةَ بن حاطبٍ قال: يا رسول الله، ادْعُ الله أن يَرزقَني مالًا، فقال صلى الله عليه وسلم: «يا ثعلبَةُ، قليلٌ تُؤدِّي شكرَه خيرٌ من كثير لا تُطيقهُ» فراجعَه وقال: والذي بَعَثك بالحقِّ نبيًّا لئن رَزَقَني مالًا لأُعطينَّ كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، فدعا له فاتَّخذ غنمًا، فنَمَتْ كما يَنمَى الدُّودُ حتى ضاقت بها المدينةُ، فنَزل واديًا وانقطع عن الجماعةِ والجمُعةِ، فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل: كثُر ماله حتى لا يَسعُه وادٍ، فقال: «يا ويحَ ثعلبةَ»، فبعثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم مُصَدِّقَيْن لأخذِ الصدقات، فاستقبلهما الناسُ بصدقاتهم، ومَرَّا بثعلبةَ فسألاه الصدقةَ وأَقْرَأاه كتابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي فيه الفرائضُ، فقال: ما هذه إلا جزيةٌ! ما هذه إلَّا أختُ الجزية! وقال: ارْجعا حتى أَرَى رأيي، فلمَّا رجَعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يكلِّماه: «يا ويحَ ثعلبةَ» مرَّتين، فنزلت، فجاء ثعلبةُ بالصدقة فقال: «إن الله منَعني أن أقبل منك» فجعَل الترابَ على رأسه، فقال: «هذا عملُك، قد أمرتُك فلم تُطِعْني». فقُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء بها إلى أبي بكر رضي الله عنه فلم يَقبلها، فجاء بها إلى عمر رضي الله عنه في خلافته فلم يقبلها عنه، وهلك في زَمن عثمان رضي الله عنه.

وقرئ: ﴿لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ﴾ بالنون الخفيفة فيهما.

قوله:[١] (مُصَدِّقين) بتخفيف الصاد، أي: ساعين. والمُصَّدِّق بتشديد[٢] الصاد والدال: / هو الذي يعطي الصدقة. وكذا المُصدِّق بتخفيف الصاد وفتح الدال المشدَّد: وهو صاحب المال الذي يعطي الصدقة.[٣] [٣٨٦ظ]

قوله:[٤] (هذا عملك)،[٥] أي: جزاء عملك، أراد قوله: "هذه جزية".

---

١ ن – قوله.

٢ ن: تشديد.

٣ ر – وكذا المصدق بتخفيف الصاد وفتح الدال المشدّد، وهو صاحب المال الذي يعطي الصدقة.

٤ ن – قوله.

٥ الحديث بلفظ قريب في جامع البيان للطبري، ٥٧٨/١١ (التوبة، ٧٥/٩)؛ والمعجم الكبير للطبراني، ٢١٨/٨ (٧٨٧٣)؛ وشعب الإيمان للبيهقي، ١٩٨/٦ (٤٠٤٨).

﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه: يريد الحجَّ.

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ۝٧٦ فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ۝٧٧﴾

﴿فَأَعۡقَبَهُمۡ﴾ عن الحسن وقتادةَ: أن الضمير للبخل، يعني: فأورثهم البُخلُ ﴿نِفَاقٗا﴾ متمكِّنًا ﴿فِي قُلُوبِهِمۡ﴾؛ لأنه كان سببًا فيه وداعيًا إليه.

والظاهر: أن الضمير لله تعالى، والمعنى: فخَذَلهم حتى نافقوا وتمكَّن في قلوبهم نفاقُهم فلا ينفكُّ عنها إلى أن يموتوا بسبب إخلافهم ما وعدوا الله من التصدُّق والصلاح وكونِهم كاذبين، ومنه جُعل خلفُ الوَعْد ثلثَ النفاق.

وقرئ: "يكذِّبون" بالتشديد.

و: "أَلَمْ تعلموا" بالتاء، عن عليٍّ رضي الله عنه.

قوله:[١] (يريد الحجّ)، يعني معنى قوله: ﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أنّه يحجّ إذا[٢] رزقه الله تعالى المالَ، وَعَد أنّه كما يتصدّق مِن ماله[٣] يحجّ أيضًا لاستطاعته[٤] حينئذٍ.

قوله:[٥] (ومنه جُعل خُلف الوعد)،[٦] أي: مِن المذكور في هذه الآية، فالمذكور ثلاثة أشياء: خُلف الوعد في التصدُّق، وتركُ الصلاح، وكونهم كاذبين. لمح قوله صلّى الله عليه وسلّم: «آية المنافقين ثلاث: إذا حدّث[٧] كذب، وإذا وَعَد أخلف،[٨] وإذا عاهد غدر».[٩] ويمكن أن تُستنبط الخلال كلها مِن الآية: فالعهد مِن قوله: ﴿مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ﴾، والوعد مِن قوله: ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، والكذب مِن قوله: ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾.

---

١ ن – قوله.
٢ ن: إلى.
٣ ن: مال.
٤ ر: لاستطاعة.
٥ ن – قوله.
٦ ن: الوعيد.
٧ ن: كدث.
٨ ن: خلف.
٩ الحديث بلفظ قريب في صحيح البخاري، ١٦/١ (٣٣)؛ وصحيح مسلم، ٧٨/١ (٥٩).

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ۝٧٨﴾

﴿سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ﴾: ما أَسَرُّوه من النِّفاق والعَزْمِ على إخْلافِ ما وعدوه وما يتناجَوْن به فيما بينهم من المطاعن في الدِّين، وتسميَةِ الصدقةِ جِزيةً وتَدْبيرِ منعِها.

﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٧٩﴾

﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ﴾ محلُّه النصبُ أو الرفعُ على الذمّ، ويجوز أن يكون في محلّ الجرّ بدلًا من الضمير في ﴿سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ﴾، وقرئ: ﴿يَلْمُزون﴾ بالضم.

﴿ٱلْمُطَّوِّعِينَ﴾: المتطوِّعين المتنفِّلين المتبرِّعين.

روي: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حَثَّ على الصدقة، فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعين أُوقيَّةً من ذهب -وقيل: بأربعة آلاف درهم- وقال: كان لي ثمانيةُ آلاف فأقرضْتُ ربي أربعةً وأمسكتُ أربعةً لعيالي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بارك الله لك فيما أعطيتَ وفيما أمسكتَ» فبارك الله له حتى صُولحتْ تُماضِرُ امرأتُه ....

قوله:[1] **(ويجوز أن يكون في محلّ الجرّ**[2] **بدلًا**[3] **مِن الضمير)** قال الشاعر:

على حالة[4] لو أنّ في القوم حاتمًا   على جوده لضنّ بالماء حاتمِ[5]

فقوله: "حاتم"[6] بدل مِن الضمير في "جوده" كما في الآية.

قوله:[7] **(بأربعين أوقيّة)** أربعون مِثقالًا.[8]

قوله: (تماضر) اسم امرأة عبد الرحمن.

---

[1] ن – قوله.
[2] ن: الجو.
[3] ن: يدلا.
[4] ن: حاله.
[5] البيت للفرزدق، ومضى تخريجه في تفسير آل عمران، ٣/١٦٧.
[6] ر: ثم.
[7] ن – قوله.
[8] ن ر: مثالًا.

عن رُبع الثُّمُن على ثمانين ألفًا. وتصدَّق عاصم بن عديّ بمئة وَسْقٍ من تمر، وجاء أبو عقيل الأنصاريُّ رضي الله عنه بصاعٍ من تمر فقال: بتُّ ليلتي أَجرُّ بالجرير على صاعين، فتركتُ صاعًا لعيالي وجئتُ بصاعٍ، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يَنثره على الصدقات، فلمزَهم المنافقون وقالوا: ما أعطى عبدُ الرحمن وعاصم إلّا رياءً، وإن كان الله ورسولُه لَغنيَّين عن صاع أبي عقيلٍ، ولكنه أراد أن يذكِّرَ بنفسه ليُعطَى من الصدقات! فنزلت.

﴿إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾: إلا طاقَتهم، قُرئ بالفتح والضمّ.

﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ كقوله: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة ١٥/٢] في أنه خبرٌ غيرُ دعاءٍ، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾

قوله:[1] (عن رُبع)؛[2] لأنّه كان له أربع زوجات.[3]

قوله:[4] (أجرُّ بالجرير) الجرير: الحبل، ومعناه: استقى للناس على أجره صاعين. وقوله: "أجرُّ" فعل مضارع مِن "جرّ يجرّ"، والباء زائدة في المفعول، أي: أجرُّ الجريرَ.

قوله:[5] (فنزلت)[6] ﴿إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ قال في الوسيط: «قال الليث: الجهد: شيء قليل يعيش به المُقلّ».[7]

قوله:[8] (ألا ترى إلى قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾) أي:عطف على ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ دعاء، لزم عطف الخبريّ على الطلبيّ.

---

١ ن – قوله.
٢ ر: ربع.
٣ ر: درجات.
٤ ن – قوله.
٥ ن – قوله.
٦ انظر: أسباب النزول للواحدي، ص ٢٦٠.
٧ ن: المعتل. | الوسيط للواحدي، ٥١٤/٢ (التوبة، ٧٩/٩).
٨ ن – قوله.

سأل عبدُ الله بنُ عبد الله بنِ أبيّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم -وكان رجلًا صالحًا- أن يستغفر لأبيه في مرضه ففعل، فنزلت، فقال عليه السلام: «إن الله قد رخَّصَ لي فسَأزيد على السبعين»، فنزلتْ: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [المنافقون ٦٣/٦].

وقد ذكرنا أن هذا الأمرَ في معنى الخبر؛ كأنّه قيل: لن يغفرَ الله لهم أَسْتَغْفَرْتَ

قوله:[١] (فقال صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ الله قد رخّص لي»)[٢] المراد بالرخصة[٣] ظاهرًا الإجازة في قوله تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ﴾، فإنّ ظاهره التخيير. وقوله: («فسأزيد»)،[٤] يعني[٥] أنّ الله تعالى قيّد عدم الغفران بالعدد المخصوص، وظاهره أنّ ما فوقه بخلافه، فقال: أستغفر أكثر مِن سبعين مرّة. وإنّما قال صلّى الله عليه وسلّم هذا الكلام تسليةً لقلب عبد الله بن عبد الله وإظهار أنّه يريد حصول ما سأله عبد الله بن عبد الله، وحمل قوله تعالى على ظاهره -وإن كان المراد معلومًا-[٦] حملًا لكلام أكرم الأكرمين على أحسن ما يحتمله[٧] اللفظ وأوفقه لمراد السائل، تطييبًا لقلب عبد الله بن عبد الله وإظهارًا للاعتناء بشأنه، فلمّا نزل قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [المنافقون ٦٣/٦] انقطع طمع عبد الله بن عبد الله، وعُلم أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ما كان يألو جهده في الاستغفار، وأنّ الله تعالى لمّا حرَّم[٨] الأمر بالمنع عن الاستغفار امتنع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم لذلك، فتسلّى عبد الله بن عبد الله بذلك لعلمه باعتناء النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بشأنه.[٩]

قوله:[١٠] (كأنّه قيل)... إلخ، اعلم أنّ (أَستغفرتَ) في قول المصنّف هنا في محلّ الرفع، والتقدير: سواء أستغفرتَ[١١] لهم[١٢] أم لم تستغفر، فيجوز تقدير "سواء"

---

[١] ن – قوله.
[٢] ن – لي.
[٣] ن: بالمرخصة.
[٤] انظر: الكشف والبيان للثعلبي، ٥١٠/١٣ (التوبة، ٨٠/٩).
[٥] ن – يعني.
[٦] ن: معلون.
[٧] ن: يحتمل.
[٨] ن: جزم.
[٩] ن: في شأنه.
[١٠] ن – قوله.
[١١] ن: أستغفر.
[١٢] ر – لهم.

لهم أم لم تَسْتَغْفِر، وأنَّ فيه معنى الشَّرط، وذكرنا النكتة في المجيء به على لفظ الأمر.

والسبعون جارٍ مَجرى المثلِ في كلامهم للتكثير؛ قال عليٌّ:

لأُصْبِحنَّ العاصَ وابن العاص سبعين ألفًا عاقِدِي النواصي

فإن قلتَ: كيف خَفِيَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أفصحُ العرب وأَخبَرُهم بأساليب الكلام وتمثيلاته -والذي يُفهم من ذكر هذا العدد كثرةُ الاستغفار، كيف وقد تلاه بقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟﴾ الآية، فبيَّن الصارفَ عن المغفرة لهم- ....

بالنصب؛ لأنّه حال و"أستغفرتَ" فاعله. أو يقال: "أستغفرتَ" مبتدأ "سواءٌ" خبر مقدَّم، والجملة حال، وهو قريب مِن قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ [البقرة ٦/٢]، إلّا أنّ هذا حال وذاك خبر، أو نقول: التقدير: لن يغفر الله لهم في حال[١] استغفارك وعدمِ استغفارك، فلا حاجةَ إلى تقدير "سواء".

قوله:[٢] (لأُصبِحنّ العاصَ) البيت،[٣] أي: لأعطين الصبوح. ومنه قول الشاعر:

صَبَحنا الخزرجيّةَ مرهفاتٍ[٤]

[٣٨٧و] / "العاقد" بمعنى المعقود.[٥]

قوله:[٦] (فإن قلتَ: كيف خفي؟) أي:معنى هذا الكلام، وأنّ هذا المعنى هو السبعين مثل في[٧] التكثير.

---

[١] ن + في.

[٢] ن – قوله.

[٣] الشعر لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، في تاريخ دمشق لابن عساكر، ٤٣٠/٢٢؛ ومرآة الزمان لسبط ابن الجوزي، ١٩٩/٦.

[٤] ن: من كفاف. | والمذكور صدر بيت لكعب بن زهير، تمامه:

أبـاد ذوي أرومتـها ذووهـا

وهو في ديوانه، ص ٢١٢. انظر: المفصّل للزمخشري، ص ١٤٠؛ والمدخل إلى تقويم اللسان للخمي، ص ٤٣١؛ وأمالي ابن الحاجب، ٢٤٤/١.

[٥] ر: المفعول.

[٦] ن – قوله.

[٧] ن – في.

حتى قال: «قد رخَّصَ لي ربِّي فسأزيدُ على السبعين»؟

قلتُ: لم يَخْفَ عليه ذلك، ولكنه خيَّل بما قال إظهارًا لغايةِ رحمته ورأفته على مَن بُعث إليه؛ كقول إبراهيم: ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ﴾ [إبراهيم ١٤/٣٦]، وفي إظهار النبيِّ صلى الله عليه وسلم الرحمةَ والرأفةَ لطفٌ لأمَّته ودعاءٌ لهم إلى ترَحُّم بعضِهم على بعض.

قوله:[١] (حتّى قال: قد رخَّص لي) إشارة إلى أنّ المراد بالرخصة في قوله صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ الله قد رخَّص» هو التقييد بالسبعين لا الأمر في ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾.

قوله:[٢] (ولكنّه[٣] خيّل[٤] بما قال) أي:صوّر في خياله أو في خيال السامع ظاهر اللفظ، وهو العدد المخصوص دون المعنى الخفيّ المراد وهو التكثير، كما أنّ إبراهيم عليه السلام ما عدّ عصيانه[٥] في قوله: ﴿وَمَنْ عَصَانِي﴾[٦] عصيان الله المراد منه عبادة الأصنام، لدلالة السياق كما سيجيء، فعقّبه بقوله تعالى:[٧] ﴿فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم ١٤/٣٦] لغاية رحمته ورأفته على أمّته،[٨] وهو مِن أسلوب التورية: وهي أن يطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد فيراد البعيد منهما. كقول ابن[٩] القبعثرى في جواب الحجّاج: «لأحملنّك على الأدهم»: «مثلُ الأمير حَمَل على الأدهم والأشهب»،[١٠] أبرز الوعيد في معرض الوعد.[١١]

قوله:[١٢] (إظهارًا) مفعول له... إلخ، أي:[١٣] إذا كان بمعنى المخالفة، ثمّ فيه لفّ ونشر.

---

[١] ن – قوله.

[٢] ن – قوله.

[٣] ن: وكنسه.

[٤] ن: خبل.

[٥] ن: حصيانه.

[٦] ن + إلى.

[٧] ر – تعالى.

[٨] ن: أمّة.

[٩] ن ر – القبعثرى.

[١٠] قصد الحجّاج بالأدهم القيد، وحملها الغضبان بن القبعثرى على الخيل.

[١١] وسمّاه السكاكيُّ الأسلوب الحكيم. انظر: مفتاح العلوم للسكّاكي، ص ٤٣٦.

[١٢] ن – قوله.

[١٣] ر – أي.

﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾

﴿ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾: الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنافقين فأذِنَ لهم وخَلَّفهم في المدينة في غزوة تبوكَ، أو الذين خلَّفهم كسَلُهم ونفاقُهم والشيطانُ.

﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾: بقعودهم عن الغزو.

﴿خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾: خلفَه، يقال: أقامَ خلافَ الحيِّ، بمعنى: بَعدهم، ظَعنوا ولم يَظعَنْ معهم، وتشهدُ له قراءةُ أبي حَيْوة: "خلْفَ رسول الله".

وقيل: هو بمعنى المخالَفة؛ لأنهم خالَفوه حيث قعدوا ونهضَ.

وانتصابُه على أنه مفعولٌ له أو حالٌ؛ أي: قعدوا لمخالفته، أو: مخالِفِينَ له.

﴿أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ تعريضٌ بالمؤمنين وبتحمُّلهم المشاقَّ العظامَ لوجهِ الله تعالى، وبما فعلوا من بَذْل أموالهم وأرواحهم في سبيل الله تعالى، وإيثارهم ذلك على الدَّعَةِ والخَفْضِ، وكره ذلك المنافقون، ....

قوله:[١] (تعريضٌ بالمؤمنين)، يعني في ذِكر المجاهدة الأموال[٢] والأنفس تعريضٌ بالمؤمنين ومدح لهم وذمّ المنافقين.

قوله:[٣] (وبما فعلوا مِن بذل أموالهم)... إلخ، عطف تفسيريّ على قوله: (وبتحملهم المشاقّ العظام لوجه الله)، وهو على هذا تفسير لقوله: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أيضًا.

قوله:[٤] (وكَرِه ذلك) إشارة أنّ ما فعله المؤمنون.

قوله:[٥] "وكَرِه ذلك" المشار[٦] إليه هو المذكور مِن بذل الأموال والإيثار. و"كره" إمّا حال مِن فاعل "فعلوا" و"قد" مقدَّرة، أو مِن الراجع المنصوب إلى "ما".

---

١ ن – قوله.
٢ ر: بالأموال.
٣ ن – قوله.
٤ ن – قوله.
٥ ن – قوله.
٦ ن: مشار.

وكيف لا يكرهونه وما فيهم ما في المؤمنين من باعث الإيمان وداعي الإيقان؟

﴿قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗا﴾ استجهالٌ لهم؛ لأنَّ مَن تَصوَّن من مَشَقَّةِ ساعةٍ فوقع بسبب ذلك التصوُّن في مشقَّةِ الأبد كان أجهلَ مِن كلِّ جاهلٍ، ولبعضهم:

مَسَرَّةُ أَحقابٍ تلقَّيتُ بعدها مساءةَ يومٍ أَرْيُها شَبَهُ الصَّابِ
فكيف بأنْ تَلْقى مَسَرَّةَ ساعةٍ وَرَاءَ تقضِّيها مَسَاءةُ أحقابِ

﴿فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨٢﴾

معناه: فسيضحكون قليلًا ويبكون كثيرًا ﴿جَزَآءَۢ﴾، إلَّا أنه أُخرجَ على لفظِ الأمر للدلالةِ على أنه حَتْمٌ واجبٌ لا يكون غيرُه.

قوله:[١] (مِن باعث الإيمان) "مِن" بيان (ما في المؤمنين). وقوله: "باعث الإيمان"، أي: الباعث الذي هو الإيمان، فهو مثل "شجر أراك".

قوله:[٢]

(مَسَرَّةُ أحقابٍ) البيتين[٣]

الأحقاب: الأزمان الكثيرة. والأريُ: العسل. والصاب: عصارة[٤] شجر مرّ. و"مسرّة[٥] أحقاب" مبتدأ[٦] والخبر "وراء تقضّيها"،[٧] والجملة ثاني مفعولي "تلقى".[٨]

قوله: (حتمٌ واجب)؛ لأنّ الأمر لا يحتمل الصدق والكذب كما يحتمله[٩] الخبر، ولذلك قال: لا يكون غيره أو أنّ أمر الله للأشياء حتمٌ لوجودها وقطعٌ في كونها، لقوله تعالى: ﴿أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس ٣٦/٨٢]، ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ﴾ [البقرة ٢/٢٤٣].

---

١ ن - قوله.
٢ ن - قوله.
٣ البيتان للزمخشري، على طريقته في الكناية عن نفسه في نسبة الشعر إليه بلفظ "ولبعضهم"، ونبّه عليها الجاربردي في تفسير البقرة، ٢/١٨.
٤ ن: مصارة.
٥ ن ر: مساة.
٦ ن: مسبدأ.
٧ ر: يقضها.
٨ ن ر - ثاني مفعولي "تلقى". | وأتممت الكلام من فتوح الغيب للطيبي، ٧/٣١٧.
٩ ر: يحتمله.

يُروَى: أن أهلَ النفاق يَبكون في النار عمُرَ الدنيا لا يَرْقأُ لهم دَمْعٌ ولا يكتحِلون بنَوْمٍ.

﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ ٨٣﴾

وإنما قال ﴿إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ﴾؛ لأنَّ منهم مَن تاب عن النفاق ونَدِمَ على التخلُّف، أو اعتذَر بعُذرٍ صحيحٍ.

وقيل: لم يكن المخلَّفون كلُّهم منافقينَ، فأراد بالطائفة: المنافقين منهم.

﴿فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ﴾ يعني: إلى غزوةٍ بعد غزوةِ تبوكَ.

و﴿أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ هي الخَرْجَةُ إلى غزوة تبوكَ، وكان إسقاطُهم عن دِيوان الغُزاة عقوبةً لهم على تخلُّفهم الذي عَلم الله أنه لم يَدْعُهم إليه إلّا النِّفاقُ، بخلافِ غيرهم من المتخلِّفين.

﴿مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ﴾ قد مرَّ تفسيره، وقرأ مالك بن دينار رحمه الله: "مع الخَلِفين" على قَصْرِ ﴿ٱلۡخَٰلِفِينَ﴾.

قوله:[١] (لا يرقأ) «رقأ الدمع يرقأ رَقًا ورُقوًا: سكن».[٢]

قوله:[٣] (﴿مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ﴾) فقال:[٤] «فلان خالفةُ أهلِ بيته، وخالفُ أهل بيته إذا كان لا خيرَ فيه».[٥]

قوله:[٦] (قد مرّ تفسيره)، يعني: فسّر قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ﴾ فقال:[٧] «معنى قوله تعالى: ﴿مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ﴾ ذمّ لهم وتعجيز وإلحاقٌ بالنساء والصبيان والزَّمْنى الذين[٨] شأنهم القعود والجثوم في البيوت، وهم القاعدون والخالفون والخوالف».[٩]

---

١ ن – قوله.
٢ الصحاح للجوهري، «رقأ».
٣ ن – قوله.
٤ ر: يقال.
٥ الصحاح للجوهري، «خلف».
٦ ن – قوله.
٧ ن – فقال.
٨ ر: ألدمن.
٩ الكشّاف للزمخشري، (التوبة، ٤٦/٩).

فإن قلتَ: ﴿مَرَّةٍ﴾ نكرةٌ وُضعَتْ موضعَ المرَّات للتَّفْضيل، فلِمَ ذُكِّر اسم التفضيل المضافُ إليها وهو دالٌّ على واحدةٍ من المرَّات؟

قلتُ: أكثرُ اللغتين: "هندٌ أكبرُ النساء"، و"هي أكبرُهنّ"، ثم إنَّ قولك: "هي كُبرى امرأةٍ" لا تكاد تَعثُر عليه، ولكن: "هي أكبرُ امرأةٍ" و"أوَّل مرَّة" و"آخر مرَّة".

وعن قتادة: ذُكر لنا أنَّهم كانوا اثني عشر رجلًا قيل فيهم ما قيل.

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾

روي: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم على قبور المنافقين ويدعو لهم، فلمَّا مرِض رأسُ النفاق عبد الله بنُ أبيّ بعث إليه ليأتيَه، فلما دخل عليه قال: «أهلكَكَ حبُّ اليهود»، فقال: يا رسول الله، بَعَثْتُ إليك لتستغفرَ لي لا لِتُؤَنِّبَني، وسأله أن يُكفِّنَه في شعاره الذي يلي جلدَه ويُصلِّيَ عليه.

قوله:[١] (موضع المرّات للتفضيل) صحّ بالصاد المهملة، يعني أنّ أفعل التفضيل إذا أريدَ به بيان زيادته في المعنى يقتضي[٢] أن يكون المفضّل داخلًا فيما أضيفَ إليه، فالأصليّ الجمع فوُضع المفرد موضعَه لإرادة التفضيل المذكور، أي: على الجنس المذكور إذا فضّل الجنس واحدًا بعد واحد، فعلى هذا ﴿أَوَّلَ﴾ بعض ما أضيفَ إليه وهي ﴿مَرَّةٍ﴾، فحقّه التأنيث فلِمَ ذُكِّر؟

قوله:[٣] (عبد الله بن أبيّ) بن الخزرج، لا مِن اليهود، ولكن كان يوالي اليهود.

قوله:[٤] (بعث إليه) هذا[٥] المسألة[٦] منه كانت مِن النفاق أيضًا، أراد به دَفْع شماتة الأعداء، كما صرح بذلك ابنه، ولو كان إيمان خالص لقُبل إسلامه.

قوله:[٧] (لتؤنّبني) أنّبه: لأمه وعنّفه.[٨]

---

١ ن – قوله.
٢ ر: نقيض.
٣ ن – قوله.
٤ ر: وقوله.
٥ ر: هذه.
٦ ن: المسلمة.
٧ ن – قوله.
٨ انظر: الصحاح للجوهري، «أنب».

فلمّا ماتَ دعاه ابنُه حُبابٌ إلى جنازته، فسأله عن اسمه فقال: «أنتَ عبدُ الله بنُ عبد الله، الحبابُ اسمُ الشيطان».

فلمّا همَّ بالصَّلاة عليه قال له عُمر: أتُصلِّي على عدوِّ الله؟ فنزلت.

وقيل: أراد أن يصليَ عليه فجَذَبه جبريل.

فإن قلتَ: كيف جازت له تَكْرِمَةُ المنافق وتكفينُه في قميصه؟

قلتُ: كان ذلك مكافأةً له على صنيعٍ سَبقَ له، وذلك أنَّ العباس رضي الله عنه عمَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لمَّا أُخذ أسيرًا ببدر لم يجدُوا له قميصًا -وكان رجلًا طُوالًا- فكساه عبد الله قميصَه.

وقال له المشركون يوم الحُديبية: إنَّا لا نأذَنُ لمحمّدٍ ولكنَّا نأذَنُ لك، فقال: لا، إنَّ لي في رسول الله أسوةً حسنةً. فشكرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم له ذلك.

[٣٨٧ظ] قوله:[١] (فقال: أنت عبد الله بن عبد الله) هذه فاء الفصيحة،[٢] / أي: قال: اسمي حُباب، فقال عليه السلام.

قوله:[٣] (وكان رجلًا طُوالًا) الطُّوال بالضمّ: الطويل، يقال: طويل وطُوال.

قوله:[٤] (لا نأذن لمحمّد) أي:في دخول مكّة.

قوله:[٥] (أسوةً حسنةً) أي:موافقة واقتداء.

قوله:[٦] (فشكر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم) وإنّما شكر ذلك؛ لأنّ[٧] إحسان[٨] محسِن لا يضيع البتّة إمّا في الدنيا وإمّا في الآخرة، ولمّا علم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّ الأخلاق لعبد الله بن أبيّ في الآخرة جازى إحسانه في الدنيا.[٩]

---

١ ن – قوله.

٢ ن: لفصيحة.

٣ ن – قوله.

٤ ن – قوله.

٥ ن – قوله.

٦ ن – قوله.

٧ ن: لأنّ.

٨ ن: لإحسان.

٩ ر – ولما علم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّ الأخلاق لعبد الله بن أبيّ في الآخرة جازى إحسانه في الدنيا.

وإجابةً له إلى مسألته إيَّاه، فقد كان عليه الصلاة والسلام لا يردُّ سائلًا، وكان يتوفَّر على دواعي المروءة ويعمل بعادات الكرام.

وإكرامًا لابنه الرجل الصالح، فقد رُوي أنه قال له: أسألك أن تكفِّنه في بعض قُمْصانكَ، وأن تقوم على قبره، لا يشمَتْ به الأعداءُ.

وعِلْمًا بأن تكفينَه في قميصه لا ينفعُه مع كُفره، فلا فرق بينه وبين غيره من الأكفان، وليكون إلباسُه إيَّاه لُطفًا لغيره، فقد روي أنه قيل له: لم وَجَّهْتَ إليه بقميصك وهو كافرٌ؟ فقال: «إن قميصي لن يُغنيَ عنه من الله شيئًا، وإنّي أُؤَمِّلُ في الله أن يَدخل في الإسلام كثيرٌ بهذا السبب».

فيُروى أنه أَسْلم ألفٌ من الخَزْرج لمّا رأوه طلبَ الاستشفاء بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكذلك ترحُّمُه واستغفارُه كان للدعاء إلى التراحُم والتعاطُف؛ لأنهم إذا رأَوْه يترحَّمُ على مَن يُظهر الإيمانَ وباطنُه على خلافِ ذلك دَعَا المسلمَ إلى أن يتعطَّفَ على مَن وَاطأ قلبُه لسانَه ورآه حتمًا عليه.

فإن قلتَ: فكيف جازت الصلاةُ عليه؟

قوله:[1] **(وإجابةً له)** صحّ بالنصب عطفًا على **(مكافأة له)**، وكذا **(وإكرامًا)**، **(وعلمًا)**، وكذا قوله: **(وليكون إلباسه[2] إيّاه لطفًا لغيره)** وإنّما أدخل اللام في الأخير؛ لأنّ الكون ليس فعلًا للفاعل المعلَّل.

قوله:[3] **(وإنّي أؤمِل في الله عز وجلّ)**...[4] إلخ فإنّه لم يعطِه ولم يُشتهر مسألته ولم يظهر كرمَ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فلمّا أعطى اشتهر[5] وظهر.

قوله:[6] **(كان للدعاء)** أي:كان يدعو المسلمين إلى تراحم بعضهم بعضًا.

---

١ ن – قوله.
٢ ن ر: الباسط.
٣ ن – قوله.
٤ انظر: جامع البيان للطبري، ٦١٤/١١ (التوبة، ٨٤/٩).
٥ ن – اشتهر.
٦ ن – قوله.

قلتُ: لم يتقدَّم نهيٌ عن الصلاة عليهم، وكانوا يُجرَوْن مُجرى المسلمين لظاهرِ إيمانهم؛ لِمَا في ذلك من المصلحة، وعن ابن عباس رضي الله عنه: ما أدْري ما هذه الصلاة، إلّا أنِّي أَعْلم أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يُخادِع.

﴿مَاتَ﴾ صفةٌ لـ﴿أَحَدٍ﴾، وإنما قيل: ﴿مَاتَ﴾ ﴿وَمَاتُواْ﴾ بلفظ الماضي -والمعنى على الاستقبال- على تقدير الكون والوجود؛ لأنّه كائنٌ موجودٌ لا محالة.

﴿إِنَّهُمْ كَفَرُواْ﴾ تعليلٌ للنهي.

﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

وقد أعيدَ قولُه: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ﴾ ....

قوله:[١] (لا يُخادع) بغيره، ووجهه[٢] ما قيل:

إنّ الكريم إذا خادَعته انخدعا[٣]

وكان ابن عمرَ رضي الله عنهما إذا رأى عبدًا مِن عبيده يصلي يعتقه، فقيل له: «إنّهم[٤] يخدعونك[٥] بذلك»، فقال: «مَن خدعنا بالله ننخدع».[٦]

قوله:[٧] (على[٨] تقدير الكون) أي:يقدَّر أنّه كائن موجود. فقوله: "على" متعلِّق بقوله: "قيل". وقوله: (والمعنى على الاستقبال) جملة معترضة. وقوله: (لأنّه) متعلِّق بقوله: "تقدير"،[٩] أي: لأنّه يوجد ويكون البتّة فقدِّر كأنّه كائن واقع.

---

١ ن – قوله.

٢ ن: وجهه.

٣ ن: اعدعا. | ومضى الشعر بتخريجه والكلام على الخلاف في عزوه في تفسير البقرة، ٢/٩.

٤ ن: أنتم.

٥ ر: يخدعوك.

٦ ما وقفتُ عليه في مظانّه، وانظر الكلام عليه في تخريج أحاديث الكشّاف للزيلعي، ١/٤٥٧.

٧ ن – قوله.

٨ ن ر + الله.

٩ ن: تقديره.

لأنّ تجدُّدَ النزول له شأنٌ في تقرير ما نَزَل له وتأكيدِه، وإرادةَ أن يكون على بالٍ من المخاطَب لا يَنساه ولا يَسْهُو عنه، وأن يَعتقِد أن العمل به مُهِمٌّ يَفتقر إلى فضلِ عنايةٍ به، لا سيَّما إذا تَراخى ما بين النزولَيْن فأشبَهَ الشيءَ الذي أهمَّ صاحبَه فهو يَرجع إليه في أثناء حديثه ويتخلَّصُ إليه، وإنما أُعِيدَ هذا المعنى لقوَّته فيما يجب أن يُحذَر منه.

﴿وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾

يجوز أن يُراد السورةُ بتمامها، وأن يراد بعضُها في قوله: ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ﴾ كما يقع القرآنُ والكتابُ على كلِّه وعلى بعضه.

قوله:[١] (وإرادةَ أن يكون على بالٍ) عطف مِن حيث المعنى على قوله: (أنّ تجدُّد) إلى آخره، أو على قوله: (ما نزل)[٢] وهو أوجَه.

قوله:[٣] (فهو يرجع إليه في أثناء حديثه ويتخلَّص إليه) ويسمى هذا الأسلوب في البديع في الترجيع.

قوله:[٤] (وإنّما أعيدَ هذا) المعنى ذكر فائدة تكرُّر النزول، ثمّ أشار إلى أنّ حاصل معنى هذه الآية ومفهومه ممّا[٥] يناسب للفائدة المذكورة، فإنّ[٦] كثرة الأموال والأولاد قرينة[٧] في تحقُّق[٨] العذاب، وهو ممّا يجب أن يحذر منه، فالمراد بقوله: (هذا المعنى) كثرةُ الأموال والأولاد.

قوله:[٩] (يجوز أن يراد السورة) تنازع "يراد" ويراد[١٠] في قوله: بل الإعجاز.[١١]

---

[١] ن – قوله.
[٢] ن ر: ترك.
[٣] ن – قوله.
[٤] ن – قوله.
[٥] ن: ما.
[٦] ن ر: فإنّه.
[٧] ن ر: قوية.
[٨] ن: تحقيق.
[٩] ن – قوله.
[١٠] ر: ويزاد.
[١١] ن + في قوله. | وليس المذكور من كلام الزمخشري في مطبوع الكشّاف وما راجعته من أصوله، إلّا أن يكون تحريفًا عن كلام آخر.

وقيل: هي "بَراءة"؛ لأن فيها الأمرَ بالإيمان والجهاد.

﴿أَنْ ءَامِنُواْ﴾ هي "أنْ" المفسِّرة.

﴿أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ﴾: ذوو الفضل والسَّعَة، من طال عليه طَوْلًا.

﴿مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾: مع الذين لهم علّةٌ وعذرٌ في التخلُّف.

﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾﴾

﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ما في الجهاد من الفوز والسعادة، وما في التخلُّف من الشقاء والهلاك.

﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾

﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ﴾؛ أي: إن تخلَّف هؤلاء فقد نَهَدَ إلى الغزو مَن هو خيرٌ منهم

قوله:[١] (وقيل: براءة) عطف على قوله: (أن يراد السورة بتمامها)،[٢] أي: في[٣] أيِّ سورة كانت، ولا تخلو كلّ سورة مِن الاشتمال على الأمر بالإيمان والجهاد إمّا حقيقة أو ضمنًا؛[٤] لأنّ المقصود الأولى مِن إنزالها الدعوة إلى الله وإلى طريق الحقّ.

قوله:[٥] (أي:[٦] إنّ تخلُّف هؤلاء) الظاهر أنّه لا يحتاج إلى تقدير هذا الشرط؛ بل قوله تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ﴾ استدراك مِن ﴿ٱسْتَـْٔذَنَكَ﴾ ومِن ﴿رَضُواْ﴾؛ لأنّ معنى ﴿ٱسْتَـْٔذَنَكَ﴾ ومعنى ﴿رَضُواْ﴾ أنّ هؤلاء تخلّفوا، فكأنّه قيل: تخلّف هؤلاء لكنّ الرسول والذين آمنوا لم يتخلّفوا، نهدوا إلى الغزو. وقوله:[٧] (نَهَد إلى الغزو)[٨] ينهَد بالفتح، أي: نهض.[٩]

---

١ ن – قوله.
٢ ر: تمامها.
٣ ر – في.
٤ ن: صمنًا.
٥ ن – قوله؛ ر + أي.
٦ ن – أي.
٧ ر: وقيل.
٨ ن ر: العدوّ.
٩ ن: ينهض.

وأخلص نيّةً ومعتقدًا؛ كقوله: ﴿فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمًا﴾ [الأنعام ٦/٨٩] ﴿فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ [فصلت ٤١/٣٨].

﴿ٱلۡخَيۡرَٰتُ﴾ تتناولُ منافعَ الدارَين لإطلاق اللفظ، وقيل: الحورُ؛ لقوله: ﴿فِيهِنَّ خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ﴾ [الرحمن ٥٥/٧٠].

﴿وَجَآءَ ٱلۡمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ لِيُؤۡذَنَ لَهُمۡ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝٩٠﴾

﴿ٱلۡمُعَذِّرُونَ﴾ من عذَّر في الأمر: إذا قصَّرَ فيه وتوانَى ولم يجدَّ، وحقيقتُه: أن يوهِم أنَّ له عذرًا فيما يَفعل ولا عُذرَ له.

أو: المعتذرون، بإدغام التاء في الذال ونَقْلِ حركتها إلى العين ....

قوله:[١] (﴿ٱلۡمُعَذِّرُونَ﴾ مِن عذَّر) قال في الصحاح:

﴿المُعذرونَ مِن الأَعْرَابِ﴾ قرئ بالتشديد والتخفيف،[٢] فأمّا المعذِّر بالتشديد فقد يكون مُحقًّا وقد يكون غيرَ مُحِقّ، فهو في المعنى المعتذِر؛[٣] لأنَّ له عذرًا، ولكنّ التاء قُلبت دالًا فأُدغمت وجُعلت حركتها على العين، وأمّا الذي ليس بمحقّ فهو المُعذِّر على جهة المفعِّل؛[٤] لأنّه[٥] الممرِّض والمقصِّر يعتذر بغير عذر، وكان ابن عبّاس رضي الله عنهما يقرأ: "وجاء المُعذِرون"[٦] مخفَّفة مِن "أعذر"، ويقول: "والله لهكذا أُنزلت"، وكان يقول: "لعن الله المعذِّرين"، كأنّ الأمر عنده أنّ المعذِّر بالتشديد هو المُظهِر للعذر اعتلالًا مِن غير حقيقة / في العذر، وهذا[٧] لا[٨] عُذرَ له. [٣٨٨و]
والمُعذِر: الذي له[٩] عُذر. وقد بيّنا الوجه الثاني في المشدَّد.[١٠]

وقوله: (أو المعتذِرون) عطف على قوله: (مِن "عذَّر"). وقوله: (يحتشد)

---

١ ن – قوله.
٢ قرأ يعقوب بتخفيف الذال وقرأ الباقون بتشديدها. النشر لابن الجزري، ٢/٢٨٠.
٣ ن ر: المقدَّر.
٤ ن: أفعل.
٥ ر: لأن.
٦ مضى أنّها قراءة يعقوب.
٧ ن: وهؤلاء.
٨ ن – لا.
٩ ن – له.
١٠ انظر: الصحاح للجوهري، «عذر».

-ويجوز في العربيّة كسرُ العين لالتقاء الساكنين وضمُّها لإتْباع الميم؛ ولكنْ لم تثبُتْ بهما قراءةٌ-، وهم الذين يعتذرون بالباطل؛ كقوله: ﴿يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ إِذَا رَجَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ﴾ [التوبة ٩/٩٤].

وقرئ: ﴿المُعْذرون﴾ بالتخفيف: وهو الذي يجتهِدُ في العذر ويحتشِدُ فيه.

قيل: هم أسدٌ وغطَفَانُ، قالوا: إنَّ لنا عيالًا، وإنَّ بنا جَهْدًا، فائذَن لنا في التخلُّف.

وقيل: هم رَهْطُ عامر بن الطُّفَيْلِ قالوا: إنْ غزَوْنا معك أغارَتْ أعرابُ طيِّئ على أهالينا ومواشينا، فقال صلى الله عليه وسلم: «سيُغْنيني الله عنكم».

وعن مجاهد: نفرٌ من غِفارٍ اعتذروا فلم يَعذِرْهم الله تعالى.

وعن قتادة: اعتذروا بالكذب.

وقرئ: "المعَّذِّرون" بتشديد العين والذال من تَعَذَّر بمعنى: اعتذر، وهذا غيرُ صحيح؛ لأن التاء لا تُدغم في العين إدغامَها في الطاء والزاي والصاد في "المطَّوِّعين" و"ازَّكّى" و"اصَّدَّق".

وقيل: أريد: المعتذِرون بالصحة -وبه فُسِّر ﴿ٱلۡمُعَذِّرُونَ﴾، و﴿المُعْذِرون﴾ على قراءةِ ابن عباس رضي الله عنه- الذين لم يفرِّطوا في العذر.

و﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ هم منافقو الأعراب الذين لم يَجيئوا ولم يعتذروا، فظَهر بذلك أنهم كذَبوا اللهَ ورسوله في ادِّعائهم الإيمانَ.

وقرأ أبيٌّ: "كذَّبوا" بالتشديد.

جاء فلان يحتشد،[١] أي: مستعدًّا متأهِبًا. وقوله: (أعراب طيئ)[٢] قبيلة بني طيئ. وقوله: (وقيل: أريدَ المعتذِرون) إمّا محمول على أنّه مِن الفعل، مِن عذر في الأمر إذا قصر فيه، أو على "معتذرًا" بإدغام التاء، وهو أيضًا إمّا أن يُراد[٣] منه الذين يعتذرون بالباطل، كما ذهب إليه ابن عبّاس، أو أريدَ المعتذِرون بالصحّة، أي: بالحق لا بالباطل، كما ذكره الجوهري. ومعنى قراءة ابن عبّاس مِن هذا الأخير.

---

[١] ر: محتشدًا.
[٢] ر + أي.
[٣] ر: يريد.

﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ﴾: من الأعراب ﴿عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار.

﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩١﴾

﴿ٱلضُّعَفَآءِ﴾: الزَّمْنَى والهَرْمَى، و﴿ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ﴾: الفقراءُ، قيل: هم مُزَيْنَةُ وجُهيْنَةُ وبنو عُذرةَ.

والنُّصحُ لله ورسولِه: الإيمانُ بهما، وطاعتُهما في السرِّ والعَلَنِ، وتولِّيهما والحبُّ والبُغض فيهما كما يفعل المُوالي النَّاصحُ بصاحبه.

﴿مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾: على العاملين الناصحين، ومعنى "لا سبيلَ عليهم": لا جُناحَ عليهم، ولا طريقَ للعاتب عليهم.

﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ٩٢ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ وَهُمۡ أَغۡنِيَآءُۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٩٣﴾

﴿قُلۡتَ﴾ حالٌ من الكاف في ﴿أَتَوۡكَ﴾ و«قد» قبله مضمرةٌ؛ كما قيل في قوله: ﴿أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ﴾ [النساء ٤/٩٠]؛ أي: إذا ما أَتوك قائلًا: لا أَجِدُ ﴿تَوَلَّواْ﴾،

قوله:[١] (والنُّصح لله ورسوله:[٢] الإيمان بهما)... إلخ، وهذا بطريق الاستعارة بالتصريح شبّه الإيمان والطاعة[٣] بالنصح، ثمّ ذُكر النصح وأريدَ الإيمان، وقرينته[٤] قوله:[٥] ﴿لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾، وإليه أشار بقوله: (كما يفعل المُوالي).

قوله:[٦] (أي: إذا ما أتوك قائلًا: لا أجِد)[٧] "قائلًا"، أي: قائلًا أنت، فهو حال مِن الكاف.

---

١ ن – قوله.
٢ ن: ولرسوله.
٣ ن: وطاعة.
٤ ن: وقرينة.
٥ ن – قوله.
٦ ن – قوله.
٧ ر + قوله.

ولقد حَصَر اللهُ المعذورين في التخلُّف: الذين ليس لهم في أبدانهم استطاعةٌ، والذين عَدِموا آلةَ الخروج، والذين سألوا المعُونةَ فلم يجدوها.

وقيل: المستحمِلون أبو موسى الأشعريُّ وأصحابُه.

وقيل: البَكّاؤون، وهم ستَّةُ نفرٍ من الأنصار.

﴿تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾ كقولك: تفيضُ دمعًا، وهو أبلغُ من: يَفيضُ دمعُها؛ لأن العين جُعلتْ كأنَّ كلَّها دمعٌ فائضٌ، و﴿مِنَ﴾ للبيان؛ كقولك: "أَفْديك من رجل"، ومحلُّ الجارِّ والمجرور النصبُ على التمييز.

﴿أَلَّا يَجِدُواْ﴾: لئلَّا يجدوا، ومحلُّه نصبٌ على أنه مفعول له، وناصبُه المفعولُ له الذي هو ﴿حَزَنًا﴾.

فإن قلتَ: ﴿رَضُواْ﴾ ما موقعُه؟

قلتُ: هو استئنافٌ؛ كأنّه قيل: ما بالُهم استأذَنوا وهم أغنياء؟ فقيل: رَضُوا بالدَّناءة والضَّعَةِ والانتظامِ في جُملة الخوالف ﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ يعني:

قوله:[١] (ولقد حَصَر الله المعذورين)،[٢] أي: عدّدهم وذَكَرهم. وقوله: (الذين ليس لهم)... إلخ، بل مِن المعذورين.[٣]

قوله:[٤] (و﴿مِنَ﴾ للبيان) ذكر أنّ ﴿مِنَ﴾ في ﴿مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾ للبيان، ثمّ ذَكَر أنّه منصوب على التمييز وهو كلام صحيح، فإنّه لا[٥] يصحّ أن يقال: تفيض أعينهم دمعًا، أي: يفيض الدمع، يصحّ[٦] أن يقال: تفيض أعينهم التي هي الدمع، أي: تفيض الذي هو الدمع.

قوله:[٧] (وناصبه[٨] المفعول له) أي:قوله: ﴿حَزَنًا﴾ وهو مِن التداخل في المفعول له.

---

١ ن – قوله.
٢ ن: المعذرين.
٣ ن: المعذرين.
٤ ن – قوله.
٥ ر: كما.
٦ ر: فصح.
٧ ن – قوله.
٨ ن ر: وناصب.

أن السبب في استئذانهم: رضاهم بالدَّناءة، وخذلانُ الله إيَّاهم.

فإن قلتَ: فهل يجوز أن يكون قوله: ﴿قُلْتَ لَآ أَجِدُ﴾ استئنافًا مثلَه؛ كأنَّه قيل: ﴿إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ... تَوَلَّواْ﴾ فقيل: ما لهم تولَّوا باكين؟ فقيل: ﴿قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾، إلا أنه وُسِّط بين الشرط والجزاء كالاعتراض؟

قلتُ: نعَم ويَحسُنُ.

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾﴾

﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾ علَّةٌ للنهي عن الاعتذار؛ لأن غرض المعتذِر أن يُصَدَّقَ فيما يَعتذِر به، فإذا عَلِم أنه مكذَّبٌ وجَب عليه الإخلالُ به، وقوله: ﴿قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ علَّةٌ لانتفاءِ تصديقهم؛ لأن الله تعالى إذا أوحى إلى رسوله الإعْلامَ بأخبارهم وأحوالهم وما في ضمائرهم من الشرِّ والفساد لم يستقِمْ مع ذلك تصديقُهم في معاذيرهم.

﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ أتُنِيبون أم تُثبتون على كفركم.

﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾ إليه، ....

قوله:[١] (قلتُ: نعم ويحسُن) ليس يحسُن عندي؛ لأنَّ إتيانهم مع هذا القيد[٢] ويُجعل كالاعتراض.[٣] ووجه ما قال المصنِّف أنَّه لما قيل: ﴿تَوَلَّواْ﴾ كان مقام سؤال فأجيب، فعلى أن يكون كلام المصنِّف كلامًا صحيحًا والذي[٤] ذكر أنَّه حسنٌ حسن.

قوله:[٥] (﴿قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ علَّة لانتفاء تصديقهم) فهو علَّة للعلَّة.

---

١ ن – قوله.
٢ ر: الصد.
٣ ن: كالإعراض.
٤ ر + والذي.
٥ ن – قوله.

وهو عَالِمُ كلِّ غيبٍ وشهادةٍ وسرّ وعلانيَة فيجازيكم على حسَب ذلك.

﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾﴾

﴿لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ﴾: فلا توبّخوهم ولا تعاتبوهم ﴿فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ﴾: فأعطُوهم طَلِبَتَهم.

﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ تعليلٌ لتركِ مُعاتَبتهم، يعني: أن المعاتبةَ لا تنفَع فيهم ولا تُصْلحهم، إنّما يُعاتَبُ الأديمُ ذُو البشرة، والمؤمنُ يُوبَّخُ على زلَّةٍ تَفْرُطُ منه ليُطهِّرَه التوبيخُ بالحمل على التوبة والاستغفار، وأمَّا هؤلاء فأرْجاسٌ لا سبيلَ إلى تطهيرهم.

﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ يعني: وكفتْهم النارُ عتابًا وتوبيخًا، فلا تتكلَّفوا عتابَهم.

قوله:[١] (وسِرّ)[٢] تركُ الواو فيه أحسنُ وأذكر، فهو كالعطف للبيان.

قوله:[٣] (فلا توبِّخوهم[٤] ولا تُعاتبوهم) عطفًا على "تُعرضوا"، نصبه أيضًا بتقدير[٥] "أن"، أي: غرضهم أن يُعرَضوا فلا يُوبَّخوا.

قوله:[٦] "فلا تُوبِّخوهم" عطف على قوله: ﴿لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ﴾ على وجه التسبيب، أي: لتُعرضوا فلا تُوبِّخوا. ذَكَر نحو في قوله تعالى: ﴿فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام ٥٢/٦].

قوله:[٧] (إنّما يُعاتب الأديم ذو[٨] البشرة)، يعني: إنّما يُعاتب مَن كان له باطن صحيح قابل للنصيحة مائل[٩] إلى الخير والطاعة، وإن ظهر منه بوادر أحيانًا، وهو مِن قولهم: فلان مُؤدَم مُبشَر، أي: جمع لِين الأَدَمة[١٠] وخُشونة البَشَرة. والأُدمة: باطن الجلد الذي يلي اللحم. والبشرة: ظاهره.[١١]

---

[١] ن – قوله.
[٢] ر: وسرّ.
[٣] ن – قوله.
[٤] ن: تريحوهم.
[٥] ر: بتقدير.
[٦] ن – قوله.
[٧] ن – قوله.
[٨] ن: ذر.
[٩] ن: قائل.
[١٠] ر: الأدمة.
[١١] من قوله: "فلان" إلى هنا بلفظ قريب في الصحاح للجوهري، «أدم».

﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾؛ أي: غرضُهم في الحلِف بالله طلبُ رضاكم لينفعَهم ذلك في دنياهم.

﴿فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾ فإنَّ رضاكم وَخدكم لا ينفعُهم إذا كان الله ساخطًا عليهم، وكانوا عُرضةً لعاجلِ عقوبته وآجلها.

وقيل: إنما قيل ذلك لئلا يَتوهَّم متوهِّمٌ أن رضا المؤمنين يقتضي رضا اللهِ عنهم.

وقيل: هم جَدُّ بن قيس ومُعَتِّبُ بن قشَيْر وأصحابُهما، وكانوا ثمانين رجلًا منافقين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة: «لا تُجَالِسوهم ولا تكلِّموهم».

وقيل: جاء عبد الله بن أبيّ يَحلِف أن لا يتخلَّف عنه أبدًا.

﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾

﴿الْأَعْرَابُ﴾ أهلُ البَدْو ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ من أهلِ الحضر؛ لجفائهم وقَسْوتهم وتوحُّشِهم ونَشْئِهم في بُعدٍ من مشاهدةِ العلماء ومعرفةِ الكتاب والسُّنَّة.

﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا﴾: وأحقُّ بجهلِ حدودِ الدِّين وما أَنزل الله من الشرائع والأحكام، ومنه قولُه صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الجفاء والقَسْوةَ في الفَدَّادِين».

قولـه:[١] (وتوحُّشهم) أي:إقامتهم[٢] وسكونهم في البلد القفر. والوحش: المكان القفر.

قولـه:[٣] (في الفدّادين)[٤] فدّاد: شديد الصوت، ومنه الحديث: «إنّ الجفاء والقسوة في الفدّادين».[٥] وهم الذين تعلوا أصواتهم في حروثهم ومواشيهم.

---

[١] ن – قوله.
[٢] ن: قامتهم.
[٣] ن – قوله.
[٤] ن + رجل، وهم الذين تعلو أصواتهم في حروثهم.
[٥] الحديث بلفظ قريب في صحيح البخاري، ١٢٨/٤ (٣٣٠٢)؛ وصحيح مسلم، ٧١/١ (٥١).

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ يعلمُ حالَ كلِّ أحد من أهل الوَبَر والمَدَر.

﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يُصيب به مُسِيئَهم ومُحسِنَهم من عقابه وثوابه.

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾

﴿مَغْرَمًا﴾: غرامةً وخُسرانًا، والغرامةُ: ما ينفِقُه الرجلُ وليس يلزَمُه؛ لأنّه لا ينفِقُ إلّا تقيّةً من المسلمين ورياءً لا لوَجْه الله وابتغاءِ المثوبة عنده.

﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ﴾ -دوائرُ الزمان: دِوَلَه وعُقَبه- لتَذْهبَ غلبتُكم عليه فيتخلَّص من إعْطاء الصدقة.

﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ دعاءٌ معترِضٌ، دَعا عليهم بنحو ما دعَوْا به؛ كقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [المائدة ٥/٦٤].

وقرئ: ﴿السُّوءِ﴾ بالضَّمّ وهو العذابُ؛ كما قيل له: سَيّئةٌ، و﴿ٱلسَّوْءِ﴾ بالفتح،

"الفدّادين":[١] جمع "فدّاد" فعّال مِن الفديد وهو الصوت، لكثرة أصواتهم في حروثهم.[٢]

قوله:[٣] (لأنّه لا ينفق إلّا تقيّة) تعليل لاتّخاذه[٤] مغرمًا.

قوله:[٥] (لا لوجه الله) ذَكَر "لا" العاطفة بعد الاستثناء بـ"إلّا"، وقد ذكروا[٦] أنّه لا يجوز.

قوله:[٧] (وعُقَبُه) العُقَب جمع عُقبة، وهي: النوبة.

قوله:[٨] (وقرئ: ﴿بِالسُّوءِ﴾ بالضمّ)، ابن[٩] كثير وأبو عمرو هنا وفي[١٠] "الفتح"[١١]

---

١ ر + يعني الحرثة.

٢ من قوله: "فدّاد" إلى هنا بلفظ قريب في الصحاح للجوهري، «فدد».

٣ ن – قوله.

٤ ن ر: لاتّخاذ.

٥ ن – قوله.

٦ ر: ذكرنا.

٧ ن – قوله.

٨ ن – قوله؛ ر – (وعقبه) العقب جمع عقبة وهي النوبة. قوله.

٩ ن: أي.

١٠ ر – وفي.

١١ ر: وبالفتح.

وهو ذمٌّ للدائرة؛ كقولك: "رجل سَوْء" في نقيضِ قولك: "رجلُ صِدْقٍ"؛ لأنّ مَن دارَتْ عليه ذامٌّ لها.

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لِمَا يقولون إذا توجَّهتْ عليهم الصدقةُ ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يُضمِرون.

وقيل: هم أعرابُ أَسَدٍ وغَطفَانَ وتميمٍ.

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾﴾

﴿قُرُبَٰتٍ﴾ مفعولٌ ثان لـ﴿يتَّخذ﴾، والمعنى: أن ما ينفقُه سببٌ لحصول القربات عند الله ﴿وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ﴾؛ لأن النبيَّ عليه السلام كان يدعو للمتصدِّقين بالخير والبَركة ويَستغفر لهم؛ كقوله: «اللّٰهـمَّ صلِّ على آلِ أبي أَوْفى»، وقال تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة ٩/١٠٣] فلمَّا كان ما يُنفَق سببًا لذلك قيل: يتَّخذ ما يُنفِق قربات وصلوات.

والباقون بفتحها.[١] وقوله: (لأنّ مَن دارت عليه ذامٌّ لها) تعليل لتصحيح وصف[٢] الدائرة بالسوء، أي: الذمّ؛ لأنّه مِن إضافة الموصوف إلى الصفة، كـ"رجلُ صدقٍ وسَوءٍ"، للمبالغة والبيان، فإذن الدائرة مطلقة وإنّما تتبيَّن بالإضافة فيصحّ أن يقال / أيضًا: "دائرةُ صدق". وقال في سورة الفتح: «فهي[٣] عندهم دائرة سَوء[٤] وعند المؤمنين دائرة صدق».[٥] [٣٨٨ظ]

قوله:[٦] (مفعول ثانٍ لـ﴿يَتَّخِذُ﴾) صحّ لـ﴿يَتَّخِذُ﴾ بالضمّ على حكاية لفظ القرآن.

قوله:[٧] (كقوله: «اللّٰهمّ صلِّ على آل أبي أوفى»)؛[٨] لأنّهم أتوا بصدقات[٩] أموالهم طيّبة بها أنفسهم.

---

١ النشر لابن الجزري، ٢/٢٨٠.
٢ ن: وصفة.
٣ ر: فهو.
٤ ن: السوء.
٥ الكشّاف للزمخشري، (الفتح، ٤٨/٦).
٦ ن - قوله.
٧ ن - قوله.
٨ ن: أفي. | والحديث في صحيح البخاري، ٢/١٢٩ (١٤٩٧)؛ وصحيح مسلم، ٢/٧٥٦ (١٠٧٨).
٩ ن: يصدقان.

﴿أَلَآ إِنَّهَا﴾ شهادةٌ من الله للمتصدِّق بصحَّةِ ما اعتَقَد من كونِ نفقته قرباتٍ وصلواتٍ، وتصديقٌ لرجائه على طريق الاستئناف مع حرفي التنبيه والتحقيق المؤذِنَيْن بثبات الأمر وتمكُّنه، وكذلك: ﴿سَيُدْخِلُهُمُ﴾ وما في السين من تحقيق الوعد.

وما أدلَّ هذا الكلامَ على رضا اللهِ تعالى عن المتصدِّقين، وأنَّ الصدقة منه بمكان إذا خَلَصت النيَّةُ من صاحبها.

وقرئ ﴿قُرُبَةٌ﴾ بضم الراء.

وقيل: هم عبد الله ذو البِجادَينِ ورَهْطُه.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾: هم الذين صلَّوا إلى القبلتين.

قوله:[١] (مِن كون نفقته قرباتٍ وصلواتٍ) أمّا القربات فبقوله: ﴿أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ﴾، وأمّا الصلاة[٢] فبقوله: ﴿سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ﴾، فإنّ الصلاة[٣] الدعاء بالرحمة.

قوله:[٤] (حرفي التنبيه والتحقيق)، أي:[٥] "أَلَا" و"إنّ".

قوله:[٦] (ذو البِجادين)[٧] هو قائد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. والبِجاد:[٨] الكساء[٩] المخطط.[١٠] أخذت أمّه بجادًا[١١] فشقّته نصفين، فردّته بإحداهما[١٢] وأزرته بالأخرى، وبعثته إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.[١٣]

---

[١] ن – قوله.
[٢] ر: الصلوات.
[٣] ر: الصلوات.
[٤] ن – قوله.
[٥] ر – أي.
[٦] ن – قوله.
[٧] ر: النجادين.
[٨] ر: النجاد.
[٩] ن: النساء.
[١٠] الصحاح للجوهري، «بجد».
[١١] ر: نجادًا.
[١٢] ر: بإحداهما.
[١٣] بلفظ قريب في شعب الإيمان للبيهقي، ٢/١٠٠ (٥٧٦).

وقيل: الذين شَهِدوا بدرًا.

وعن الشعبي: مَن بايَع بالحديبيَة، وهي بيعةُ الرضوان ما بين الهجرتين.

﴿و﴾ من ﴿الأنصار﴾: أهلُ بيعةِ العقبةِ الأولى وكانوا سبعةَ نفرٍ، وأهلُ العقبةِ الثانيةِ وكانوا سبعين، والذين آمنوا حين قدِمَ عليهم أبو زُرارةَ مُصْعَبُ بنُ عُمَيْر فعلَّمهم القرآنَ.

وقرأ عمرُ رضي الله عنه: ﴿والأنصارُ﴾ بالرفع عطفًا على ﴿السابقون﴾ وعنه: أنه كان يرى أن قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ بغيرِ واوٍ صفةٌ لـ﴿الأنصار﴾، حتى قال له زيدٌ: إنَّه بالواو، فقال: ائتوني بأُبيٍّ، فقال: تصديق ذلك في أول الجُمعة: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ [الجمعة ٣/٦٢]، وأوسَطِ الحشرِ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾، وآخرِ الأنفال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ﴾.

وروي: أنه سمع رجلًا يَقرؤه بالواو فقال: مَن أقرأك؟ قال: أبيٌّ، فدَعاه،

قوله:[1] (ما بين الهجرتين) هجرة الحبشة وهجرة[2] المدينة.

قوله:[3] "ما بين الهجرتين"... إلخ، الهجرتان إحداهما مِن مكّة إلى الحبشة والثانية مِن الحبشة إلى المدينة، وبيعة[4] الرضوان وقع بين الهجرتين؛ لأنّها كانت بالحُديبية بعد[5] الهجرة بين الحبشة. وقيل: الهجرة[6] مِن الحبشة إلى المدينة؛ لأنّ جعفرًا هاجر مِن الحبشة إلى المدينة وقت فتح خيبر.

قوله[7] تعالى: (﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ﴾ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ﴾ [الأنفال ٧٥/٨].

قوله[8] تعالى: (﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ [الحشر ١٠/٥٩])، أي:[9] إلى يوم القيامة مِن المسلمين.

١ ن – قوله.
٢ ن: الهجرة.
٣ ن – قوله.
٤ ن: في.
٥ ن: معه.
٦ ر – بين الحبشة وقيل: الهجرة.
٧ ن – قوله.
٨ ن – قوله.
٩ ن – أي.

فقال: أَقرَأَنِيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وإنك لتبيعُ القَرَظَ بالبقيع، قال: صدَقْتَ، وإن شئتَ قلتُ: شهِدْنا وغبتُم، ونَصَرْنا وخَذَلتُم وآوَيْنا وطَرَدْتُم، ومِن ثَمَّ قال عمر رضي الله عنه: لقد كنتُ أُرانا رُفِعْنا رِفعةً لا يَبلُغها أحدٌ بعدنا.

وارتفع ﴿السابقون﴾ بالابتداء وخبرُه: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾، ومعناه: رضي الله عنهم لأعمالهم ﴿وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ لِمَا أفاضَ عليهم من نعمته الدينيَّة والدنيويَّة.

وفي مصاحفِ أهل مكَّة: ﴿تجري من تحتِها﴾ وهي قراءةُ ابن كثير، وفي سائر المصاحف: ﴿تَحۡتَهَا﴾ بغير ﴿مِنَ﴾.

قوله:[١] (أقرَأنيه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم) أي:علّمنيه.[٢]

قوله:[٣] (لتبيع القَرَظ). وقوله: (بالبقيع)، يريد: بقيع[٤] الغرقد، وهو مقبرة[٥] بالمدينة.

قوله:[٦] (وآوينا)[٧] مِن قوله تعالى: ﴿ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ﴾ [الأنفال ٧٢/٨]، وكان أُبيّ مِن الأنصار.

قوله:[٨] («لقد كنتُ أُرانا رُفعنا رِفعة»)[٩] النهاية: أرى فعل ما لم يُسمَّ فاعله، مِن "أرأيت"[١٠] بمعنى ظننت، وهو يتعدّى إلى مفعولين، فإذا[١١] بنيتَه لِما لم يُسمّ فاعله تعدّى إلى مفعول واحد، فقلت: أُرى زيدًا.[١٢] ومعنى كلام عمر بن الخطاب[١٣] رضي الله عنه: إنّي كنتُ أظن أنّ المهاجرين هم السابقون فقط، حيث جعل ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ﴾ صفة ﴿ٱلۡأَنصَارِ﴾، مثلنا في الرفعة ومنخرطون في سِلك السابقين الأوّلين، والآيات التي جاء بها أُبيّ مستشهدًا دالّة على أنّ المراد بالتابعين غير الأنصار.

---

١ ن – قوله.
٢ ن: علمته.
٣ ن – قوله.
٤ ن – يريد بقيع.
٥ ن: مقبر.
٦ ن – قوله.
٧ ن ر: وآويناكم.
٨ ن – قوله.
٩ ما وقفتُ عليه فيما بين يديّ من المظانّ. وانظر: تخريج أحاديث الكشّاف للزيلعي، ٩٦/٢.
١٠ ر: رأيت.
١١ ر: وإذا.
١٢ انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، ١٧٧/٢.
١٣ ن – بن الخطاب.

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم﴾ يعني: حولَ بلدتِكم، وهي المدينة.

﴿مُنَٰفِقُونَ﴾ وهم جُهينةُ وأسلمُ وأشجعُ وغِفارٌ كانوا نازلين حولها.

﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ﴾ عطفٌ على خبر المبتدأ الذي هو ﴿ممَّن حولَكم﴾، ويجوز أن يكون جملةً معطوفةً على المبتدأ والخبرِ إذا قدَّرْتَ: ومن أهل المدينة قومٌ مرَدوا على النفاق، على أن ﴿مَرَدُوا۟﴾ صفةُ موصوفٍ محذوفٍ؛ كقوله:

أنـــــا ابـــــــنُ جَـــــلَا

وعلى الوجه الأوَّل لا يخلو من أن يكونَ كلامًا مبتدأً، أو صفةً لـ﴿مُنَٰفِقُونَ﴾ فُصِلَ بينها وبينه بمعطوفٍ على خبره.

قوله:[1] (أنا ابن جَلا) تمامه:

أنـا ابـن جَـلا وطـلّاع الـثـنـايـا   متى أضـعِ الـعِـمـامـة تـعـرفـونـي[2]

أي: أنا ابن رجل[3] كَشَف الأمور وأوضحها، فحذف[4] الموصوف وأُقيمت الصفة مُقامه. وقيل: إن "جلا" عَلَم على أبيه.[5]

قوله:[6] (وعلى الوجه الأوّل) لا يخلو مِن أن يكون كلامًا مبتدأ، فيكون قوله: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ﴾، أي: مع ما عُطف عليه خبرين لقوله: ﴿مُنَٰفِقُونَ﴾، و﴿مَرَدُوا۟﴾ إمّا استئناف على تقدير: ما حالهم؟ وما ديدنهم؟ وأجيب ﴿مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾، أو صفة.[7]

---

١ ن – قوله.

٢ البيت لسُحيم بن وَثيل الرِّياحيّ في الأصمعيّات للأصمعي، ص ١٧؛ وكتاب سيبويه، ٢٠٧/٣؛ والصحاح للجوهري، «جلا». وأوّله يُضرب مثلًا للمشهور المتعالَم، وتمثَّل به الحجّاج في خطبته المشهورة بالكوفة. انظر لذلك البيان والتبيين للجاحظ، ٣٠٨/٢، ومجمع الأمثال للميداني، ٣١/١.

٣ ن: رجلًا.

٤ ن: فحذفت.

٥ وهو قول عُزي إلى عيسى بن عمر في شرح الرضي على الكافية، ١٦٧/١.

٦ ن – قوله.

٧ ر: صفته.

﴿مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾: تَمهَّروا فيه، من مَرَنَ فلانٌ على عمَله ومَرَدَ عليه: إذا دَرِبَ به وضَرِيَ حتى لَانَ عليه ومَهَر به، ودلَّ على مَرَانتِهم عليه ومَهارتهم فيه بقوله:

﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾؛ أي: يَخْفَون عليك مع فِطنتك وشهامتك وصدقِ فِراستِك لفَرْط تنوُّقِهم في تحامي ما يُشكِّك في أمرهم، ثم قال:

﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾؛ أي: لا يعلمُهم إلا الله، ولا يطَّلع على سرِّهم غيرُه؛ لأنهم يُبطنون الكفرَ في سوَيْداوات قلوبهم إبطانًا، ويُبْرزون لك ظاهرًا كظاهر المخلِصين من المؤمنِين لا تشكُّ معه في إيمانهم، وذلك أنهم مَردوا على النفاق وضَرُوا به فلهم فيه اليدُ الطولى.

﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ قيل: هما القتل وعذاب القبر، وقيل: الفضيحة وعذاب القبر.

. قوله:[1] (إذا دَرِب به وضرِيَ) مِن الضراوة وهي[2] الاعتياد.

قوله:[3] (لفرط تنوُّقهم) «تنوَّق في الأمر، أي:[4] تأنَّق فيه، وبعضهم لا يقول: تنوَّق. والاسم النِّيقة،[5] وفي المثل 'خرقاء ذات نِيقة'،[6] يُضرَب للجاهل بالأمر وهو[7] مع جهله يدّعي المعرفة».[8] وقوله: (في تحامي) أي:في الاحتراز عمّا يُشكِل في أمرهم.

قوله:[9] (وضَروا به) أي:اعتادوا.

قوله:[10] (اليد الطُّولى)، يعني: المهارة في الأمر.

قوله:[11] (وقيل: الفضيحة وعذاب القبر) وإنّما حملوا مرّتين في جميع هذه الوجوه على غير عذاب النار لقوله تعالى بعد ذلك: ﴿عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ وهو عذاب النار.

---

[1] ن – قوله.
[2] ن ر + على.
[3] ن – قوله.
[4] ر – أي.
[5] ر: النفقة.
[6] ر: نيقته. | والمثل في مجمع الأمثال للميداني، ٢٣٧/١؛ والمستقصى للزمخشري، ٧٤/٢.
[7] ن: رخو.
[8] ن: بالمعرفة.
[9] ن – قوله.
[10] ن – قوله.
[11] ن – قوله.

وعن ابن عباسٍ: أنهم اختلفوا في هاتين المرَّتين فقال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبًا يوم الجُمعة فقال: «اخرُجْ يا فلان فإنك منافقٌ، اخرُجْ يا فلان فإنك منافقٌ» فأخرج ناسًا وفضَحَهم، فهذا العذابُ الأول، والثاني عذابُ القبر.

وعن الحسن: أخذُ الزكاة من أموالهم ونهكُ أبدانهم.

﴿إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾: إلى عذاب النار.

﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾

﴿ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ﴾؛ أي: لم يعتذروا من تخلُّفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم؛ ولكن اعترفوا على أنفسهم بأنهم بئسَ ما فعلوا متذمِّمينَ نادمين، وكانوا ثلاثةً: أبو لُبابَةَ مَرْوانُ بن عبد المنذر، وأوسُ بن ثعلبة، ووديعةُ بن حِزَامٍ.

وقيل: كانوا عشرةً، فسبعةٌ منهم أَوْثَقوا أنفسَهم، بلغَهم ما نَزَل في المتخلِّفين فأيقنوا بالهلاك، فأَوْثقوا أنفسهم على سَوارِي المسجد، فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين ....

قوله: (فقال[١] قد قام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم)[٢] الفاء فصيحة،[٣] والتقدير: روى عن ابن[٤] عبّاس رضي الله عنهما[٥] أنه قال: إنّ الصحابة / اختلفوا [٣٨٩و] في هاتين المرّتين على أقوال، وأنكر هذا الاختلاف،[٦] فقال: قام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم... إلخ.

قوله:[٧] (متذمِّمين) أي: يذمُّون أنفسهم، وهو مِن قبيل الاتّخاذ.

---

١ ر: فقام.
٢ انظر: جامع البيان للطبري، ١١/٦٤٤ (التوبة، ٩/١٠١).
٣ ن: فضيحة.
٤ ن: أبي.
٥ ر + رضي الله عنهما.
٦ ن: اختلاف.
٧ ن – قوله.

-وكانت عادتَه كلَّما قَدِم من سفر- فرآهم مُوثَقِين، فسأل عنهم فذُكر له أنهم أقسموا أن لا يَحلُّوا أنفسهم حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يُحلُّهم، فقال: «وأنا أُقْسِم أن لا أَحُلَّهم حتى أؤمَر فيهم»، فنزلت، فأَطلقهم وعذَرهم، فقالوا: يا رسول الله، هذه أموالُنا التي خلَّفَتْنا عنك فتصدَّقْ بها وطهِّرْنا، فقال: «ما أُمرت أن آخُذَ من أموالكم شيئًا» فنزلت: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾.

﴿عَمَلًا صَٰلِحًا﴾: خروجًا إلى الجهاد ﴿وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾: تخلُّفًا عنه، عن الحسن. وعن الكلبي: التوبةُ والإثمُ.

فإن قلتَ: قد جُعل كلُّ واحد منهما مخلوطًا فما المخلوطُ به؟

قلتُ: كلُّ واحدٍ منهما مخلوطٌ ومخلوطٌ به؛ لأن المعنى: خلطُ كلِّ واحد منهما بالآخَر؛ كقولك: خلطتُ الماءَ واللبنَ، تريد: خلَطْتُ كلَّ واحدٍ منهما بصاحبه، وفيه ما ليس في قولك: "خلطتُ الماءَ باللَّبَن"؛ ....

قوله:[١] (وكانت عادته كلَّما[٢] قدم)،[٣] أي: كانت الصلاة عادته، والصواب أن تقول: تقديره: كان دخول المسجد والصلاة فيه والتوقُّف[٤] فيه ساعةً عادته.

قوله:[٥] (وفيه ما ليس في قولك: خلطتُ الماءَ باللبن) قال صاحب الانتصاف:[٦] فإذا ذكرت بالباء صرّحت باختلاط أحد القسمين بالآخر واختلاط الآخر مِن جهة اللزوم، وبالواو صرّحت بأنّ كلّ واحد مخلوط[٧] وكون[٨] كلّ واحد منهما مخلوطًا[٩] به مأخوذ مِن اللزوم.[١٠]

[١] ن – قوله.
[٢] ن: كما.
[٣] انظر: جامع البيان للطبري، ٦٥١/١١ (التوبة، ١٠٢/٩).
[٤] ن: والتوقيف.
[٥] ن – قوله.
[٦] ن: الإسعاف.
[٧] ر: مخطوط.
[٨] ن: ولا يكون.
[٩] ر: مخطوطًا.
[١٠] انظر: الانتصاف لابن المنيّر، ٢٣٠/٢. والعبارة في الأصل أوضح ممّا نقله الجاربردي ههنا، وهي: «والتحقيق في هذا أنك إذا قلتَ: "خلطتُ الماء باللبن" فالمصرَّح به في هذا الكلام أنّ الماء المخلوط واللبن مخلوط به، والمدلول عليه لزومًا لا تصريحًا كون الماء مخلوطًا به واللبن مخلوط؛ وإذا قلتَ: "خلطت الماء واللبن" فالمصرَّح به جَعْل كلّ واحد منهما مخلوطًا، وأمّا ما خُلط به كلّ واحد منهما فغير مصرَّح به؛ بل من اللازم أنّ كلّ واحد منهما مخلوط به».

لأنك جَعلْتَ الماء مخلوطًا واللبنَ مخلوطًا به، وإذا قلتَه بالواو وجعلتَ الماء واللبنَ مخلوطين ومخلوطًا بهما كأنك قلتَ: خلطتُ الماء باللَّبنِ واللَّبنَ بالماء، ويجوز أن يكون من قولهم: «بعتُ الشاءَ شاةً ودرهمًا» بمعنى: شاةً بدرهمٍ.

فإن قلتَ: كيف قيل: ﴿أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ وما ذُكرَتْ توبتُهم؟

قلتُ: إذا ذُكر اعترافُهم بذنوبهم وهو دليلٌ على التوبة فقد ذُكرتْ توبتُهم.

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾

﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ صفةٌ لـ﴿صَدَقَةً﴾، وقرئ: "تُطْهِرُهم" من أَطْهَره بمعنى طهَّره،

قوله:[١] (شاةً[٢] ودرهمًا) عن سيبويه الواو في "درهمًا"[٣] بمعنى الباء، أي: بدرهم؛ لأنّ الواو للجمع والباء للإلصاق، والجمع والإلصاق مِن وادٍ واحد، فسلك به طريق الاستعارة. قاله شارح اللباب.[٤] وقال ابن الحاجب[٥] في شرح المفصّل:[٦] بعتُ[٧] الشاءَ شاةً ودرهمًا، أصله: شاةً بدرهم، أي: شاةً مع درهم، ثمّ كثُر ذلك فنصبوا "شاةً"، ثمّ أبدلوا من باء المصاحبة واوًا،[٨] وإذا أُبدلت[٩] باء المصاحبة واوًا وَجب أن يعرب ما بعدها[١٠] بإعراب ما قبلها، كقولهم: كلُّ رجل وضيعتُه،[١١] وقولهم: امرأً ونفسَه.[١٢]

---

[١] ن – قوله.

[٢] ن: شاتا.

[٣] ر: ودرهمًا.

[٤] ما وقفتُ على مَن قَصَده من شُرّاحه.

[٥] ن: حاجب.

[٦] ن: المصل.

[٧] ن: بعث.

[٨] ن ر – ثمّ أبدلوا من باء المصاحبة واوًا. | واستدركتها من الإيضاح في شرح المفصّل لابن الحاجب.

[٩] ن: أبدل.

[١٠] ن ر – ما بعدها | واستدركتها من الإيضاح في شرح المفصّل لابن الحاجب.

[١١] ر: وصنعته.

[١٢] انظر: الإيضاح في شرح المفصّل لابن الحاجب، ٣٠٦/١. قال سيبويه في الكتاب، ٢٧٤/١: «ومِن ذلك: امرأً ونفسَه، كأنّه قال: دع امرأً مع نفسه، فصارت الواو في معنى مع».

و: "تُطهِّرْهم" بالجزم جوابًا للأمر، ولم يُقرأ ﴿وَتُزَكِّيهِم﴾ إلّا بإثبات الياء.

والتاء في ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ للخطاب، أو لغيبة المؤنث، والتزكيةُ: مبالغةٌ في التطهير وزيادةٌ فيه، أو بمعنى الإنماء والبَركةِ في المال.

﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾: واعطِفْ عليهم بالدعاء لهم وتَرَحَّمْ.

والسُّنَّةُ أن يدعُوَ المصدِّق لصاحب الصدقة إذا أخذها، وعن الشافعي رحمه الله: أُحِبُّ أن يقول الوالي عند أخذِ الصدقة: أَجَرَكَ الله فيما أعطيتَ، وبارك لك فيما أبقيتَ، وجَعَله لك طَهُورًا.

وقرئ: ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ﴾ على التوحيد.

﴿سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ يسكنون إليه وتطمئِنُّ قلوبهم بأنَّ الله قد تابَ عليهم.

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ يَسمعُ اعترافَهم بذنوبهم ودعاءَهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بما في ضمائرهم من الندم والغمِّ لِمَا فَرَط منهم.

قوله:[١] (ولم يقرأ: ﴿وَتُزَكِّيهِم﴾ إلّا بإثبات الياء) وقرأ مَسلمة بن محارب في الشواذّ بدون الياء.[٢] ووجهُ[٣] إثبات الياء أنّه استئناف كما في قوله تعالى: ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ﴾ [الحج ٥/٢٢]، أي: نحن نقرّ، فكذا[٤] ههنا، أي: هي تزكّيهم. قاله السجاوندي.[٥]

قوله:[٦] (و"تُطَهِّرْهُمْ"[٧] بالجزم) وإذا قرئ: "تُطَهِّرْهُمْ" بالجزم لا يكون ﴿تُزَكِّيهِم﴾ عطفًا[٨] عليه؛ بل يكون جملة مستأنفة، كأنّه قيل: "وأنت تزكّيهم"، فإنّ تزكيته[٩] صلّى الله عليه وسلّم غير مختصّة[١٠] بأخذ الزكاة وبحالها، قال تعالى: ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [آل عمران ١٦٤/٣].

---

١ ن – قوله

٢ ما وقفت عليها فيما بين يديّ من كتب الشواذّ.

٣ ر: وجه.

٤ ر: هكذا.

٥ لعلّه محمّد بن طيفور السّجاوندي الغزنوي، وذكر التقدير في آية الحجّ في كتابه علل الوقوف، ٧١٤/١، ولم يذكر فيه التقدير في آية التوبة، ولعلّه ذكره في تفسيره عين المعاني. ولم أقف عليه.

٦ ن – قوله.

٧ قراءة شاذّة مرويّة عن سَورة عن عليّ وعن الحسن. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٩٣٤.

٨ ن: عطا.

٩ ن: تزكية.

١٠ ر: مختصّة.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٠٤ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٠٥﴾

قرئ ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ﴾ بالياء والتاء، وفيه وجهان:

أحدهما: أن يراد المتوبُ عليهم، يعني: ألم يعلموا قبل أن يُتابَ عليهم وتُقْبَلَ صدقاتُهم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ﴾ إذا صحَّتْ ويقبلُ ﴿ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ إذا صدَرت عن خلوصِ النيَّة، و﴿هُوَ﴾ للتخصيص والتأكيد وأن الله من شأنه قبولُ توبة التائبين، وقيل: معنى التخصيص في ﴿هُوَ﴾: أن ذلك ليس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما الله سبحانه هو الذي يَقْبل التوبةَ ويَردُّها فاقْصِدُوه بها ووجِّهوها إليه، ﴿وَقُلِ﴾ لهؤلاء التائبين: ﴿ٱعْمَلُواْ﴾ فإنَّ عملكم لا يخفَى -خيرًا كان أو شرًّا- على الله وعباده كما رأيتم وتَبيَّن لكم.

والثاني: أن يراد غيرُ التائبين ترغيبًا لهم في التوبة، فقد روي أنهم لمّا تِيبَ عليهم قال الذين لم يتوبوا: هؤلاء الذين تابوا كانوا بالأمس معنا لا يُكلَّمون ولا يجالسون فما لهم؟ فنزلت.

فإن قلتَ: فما معنى قوله: ﴿وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾؟

قلتُ: هو مجازٌ عن قبوله لها، وعن ابن مسعود: إن الصدقة تقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل، والمعنى: أنه يتقبَّلُها ويُضاعِفُ عليها.

قوله: (و﴿هُوَ﴾[١] للتخصيص) أي:لفظة ﴿هُوَ﴾ تفيد التخصيص والتأكيد.

قوله:[٢] (ترغيبًا) مفعول له عمل فيه (يُراد)، وهذا[٣] الوجه أوفق مِن الأوّل؛ لأنّ الوعيد بقوله: ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ لا يليق بالتائبين المأمور بقبول صدقاتهم النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم.

قوله:[٤] (قلتُ: هو مجاز عن قبوله)؛ لأنّ الأخذ مستلزِم للقبول.

---

١ ن – قوله: وهو.
٢ ن – قوله.
٣ ن: وهو.
٤ ن – قوله.

وقوله: ﴿فَسَيَرَى﴾ وعيدٌ لهم وتحذير من عاقبة الإصرار والذهولِ عن التوبة.

﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾

قرئ: ﴿مُرْجَوْنَ﴾ و: ﴿مُرْجؤُون﴾ من أرجَيْتهُ وأَرْجأتُه: إذا أخَّرْتَه، ومنه المُرجِئَةُ.

يعني: وآخرون من المتخلِّفين موقوفٌ أمرُهم ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ﴾ إن بقُوا على الإصرار ولم يتوبوا ﴿وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ إن تابوا، وهم ثلاثةٌ: كعبُ بن مالك وهلال بن أُميَّةَ ومُرارَةُ بن الربيع، أمَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابَه أن لا يُسلِّموا عليهم ولا يكلِّموهم، ولم يفعلوا كما فعَل أبو لُبابةَ وأصحابُه من شدِّ أنفُسهم على السَّواري وإظهارِ الجزع والغمِّ، فلمَّا عَلِموا أن أحدًا لا ينظر إليهم فَوَّضوا أَمْرَهم إلى الله وأخلصوا نيَّاتهم وأصلحوا ونصحت توبتُهم فرَحِمَهم الله.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ وفي قراءة عبد الله: "والله غفور رحيم".

و﴿إِمَّا﴾ للعباد؛ أي: خافوا عليهم العذاب وارْجُوا لهم الرحمةَ.

قوله:[١] (المُرجِئة) هم الذين لا يقطعون على أهل[٢] الكبائر بشيء مِن عقوبة أو عفو، يؤخِّرون الحكم في ذلك إلى يوم القيامة.

قوله:[٣] (﴿وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾) أي:تابوا أو يترحَّم عليهم. قال رضي الله عنه: إمّا للشكّ وهو لا يجوز على الله تعالى، فهو إذن للعباد،[٤] كـ"أو" في ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات ١٤٧/٣٧]، و"لعلّ"[٥] في ﴿لَعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ﴾ [طه ٤٤/٢٠].

قوله:[٦] (ولم[٧] يفعلوا) لم يفعل هؤلاء الثلاثة.

قوله:[٨] (و﴿وَإِمَّا﴾ للعباد) أي:لفظة "إمّا" مِن جانب العباد؛ لأنّها للشكّ، فلا يجوز على الله تعالى.

---

١ ن – قوله.
٢ ر – أهل.
٣ ن – قوله.
٤ ر: للعباد.
٥ ر: ولعلّي.
٦ ن – قوله.
٧ ن: وما.
٨ ن – قوله.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٠٧﴾

في مصاحف أهل المدينة والشام: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ﴾ بغيرِ واوٍ؛ لأنها قصَّةٌ على حيالها، وفي سائرها بالواو على عطفِ قصَّةِ مسجد الضِّرار الذي أحدثه المنافقون على سائر قِصَصهم.

روي: أن بني عمرو بن عَوْف لمَّا بنَوْا مسجدَ قُباءٍ بعثوا إلى رسول الله أن يأتيَهم، فأتاهم فصلَّى فيه، فحسدَتْهم إخوتُهم بنو غَنْم بن عَوْفٍ وقالوا: نَبْني مسجدًا ونُرسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيه، ويصلي فيه أبو عامرٍ الراهبُ إذا قدِم من الشام، ليَثْبُتَ لهم الفضلُ والزيادة على إخوتهم، وهو الذي سمَّاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: الفاسقَ، وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد: لا أجِدُ قومًا يقاتلونك إلَّا قاتلتُك معهم، فلم يَزَلْ يقاتلُه إلى يوم حنينٍ، فلمَّا انهزمَتْ هوازِنُ خرج هارِبًا إلى الشام، وأرسل إلى المنافقين أن استعدُّوا بما استطعتُم من قوَّةٍ وسلاحٍ فإني ذاهبٌ إلى قيصَرَ وآتٍ بجنودٍ ومُخرجٌ محمدًا وأصحابَه من المدينة، فبنَوا مسجدًا إلى جنب مسجد قُباءٍ، وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: بنَيْنا مسجدًا لِذي العلَّة والحاجة والليلة المطيرة والشاتيَة، ونحن نحبُّ أن تصلِّي لنا فيه وتدعوَ لنا بالبركة، فقال: «إني على جناحِ سفرٍ وحالِ شُغلٍ، وإذا قدِمْنا إن شاء الله صلَّينا فيه»، فلمَّا قَفَل من غزوة تبوكَ سألوه إتيان المسجد، فنزلت عليه، فدعا بمالك بن الدُّخشُم ومَعْن بن عديٍّ وعامر بن السَّكَنِ ووحشيٍّ قاتلِ حمزةَ فقال لهم: «انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهلُه فاهْدِموه وأحرقوه»، ففُعل، وأَمر أن يُتخذ مكانه كُناسةٌ تُلقَى فيها الجِيَفُ والقُمامَةُ، ومات أبو عامر بالشَّام بقِنَّسرين.

﴿ضِرَارٗا﴾: مُضارَّةً لإخوانهم أصحابِ مسجد قُباءٍ ومُعازَّةً ﴿وَكُفۡرٗا﴾: وتقويةً للنفاق.

﴿وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾؛ لأنهم كانوا يصلُّون مجتمِعين في مسجد قُباءٍ

فيَغتصُّ بهم، فأرادوا أن يتفرَّقوا عنه وتختلفَ كلمتُهم.

﴿وَإِرْصَادًا﴾: وإعْدادًا ﴿لِـ﴾ أجل ﴿مَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ وهو الراهبُ؛ أَعَدُّوه له ليصلِّي فيه ويظهَرَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقيل: كلُّ مسجدٍ بُني مُباهاةً، أو رياءً وسُمْعةً، أو لغرضٍ سوى ابتغاءِ وجه الله، أو بمالٍ غير طيِّبٍ، فهو لاحقٌ بمسجد الضِّرار.

وعن شقيقٍ: أنه لم يُدرك الصلاة في مسجد بني عامرٍ، فقيل له: مسجد بني فلان لم يصلُّوا فيه بعدُ، فقال: لا أحبُّ أن أصلِّي فيه فإنه بني على ضرارٍ، وكلُّ مسجدٍ بُني على ضرارٍ أَوْ رياءٍ أو سُمعةٍ فإن أصله ينتهي إلى المسجد الذي بُني ضرارًا.

وعن عطاء: لمّا فتح الله تعالى الأمصارَ على عمر رضي الله عنه أمَرَ المسلمين أن يبنوا المساجدَ وأن لا يتَّخذوا في مدينة مسجدَيْن يُضارُّ أحدهما صاحبه.

فإن قلتَ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ﴾ ما محلُّه من الإعراب؟

قلت: محلُّه النصبُ على الاختصاص، كقوله: ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء ١٦٢/٤].

قوله:[١] (فيغتصّ[٢] بهم) أي: يمتلئ المسجد بالمؤمنين. وقوله: (ويظهر على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم) أي: يغلب.

قوله:[٣] (وعن شقيق أنّه لم يُدرك الصلاة في مسجد بني عامر)؛ لأنّ الجماعة كانوا قد صلّوا فيه وتفرّقوا. فقيل له: فلنمضِ إلى مسجد بني فلان ونصلي فيه مع جماعتهم فإنّهم ما صلّوا بعد، يعني: مِن عادة شقيق أن يصلّيَ في مسجد بني عامر بالجماعة، وقد اتّفق يومًا أنّه لم يدرك الجماعة فيه، فقيل له في مسجد بني[٤] فلان لم يصلّوا فيه، أي: لم يقيموا فيه بالجماعة[٥] فهل تصلي فيه بالجماعة،[٦] فأجاب بما[٧] أجاب.

---

[١] ن – قوله.
[٢] ر: فيقتص.
[٣] ن – قوله.
[٤] ن: ابن.
[٥] ن: الجماعة.
[٦] ن: الجماعة.
[٧] ن: مما.

وقيل: هو مبتدأ خبره محذوفٌ، معناه: وفيمَن وصَفْنا الذين اتَّخذوا؛ كقوله: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾ [المائدة ٣٨/٥].

فإن قلتَ: بمَ يتَّصل قوله: ﴿مِن قَبۡلُ﴾؟

قلتُ: بـ﴿ٱتَّخَذُواْ﴾؛ أي: اتخذوا مسجدًا من قبلِ أن ينافق هؤلاء بالتخلُّف.

﴿إِنۡ أَرَدۡنَا﴾: ما أرَدْنا ببناء هذا المسجد ﴿إِلَّا﴾ الخصلةَ ﴿ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ أو: الإرادةَ الحسنى، وهي الصلاةُ، وذكرُ الله تعالى، والتوسعةُ على المصلِّين.

﴿لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ١٠٨﴾

﴿لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ﴾ قيل: هو مسجدُ قُباءٍ، أسَّسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلَّى فيه أيامَ مُقامِه بقُباءٍ، وهي: يومُ الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، وخرج يوم الجمعة، وهو أولى؛ لأنَّ الموازنةَ بين مسجدي قُبَاءٍ أوقعُ.

وقيل: هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة.

قوله:[1] (كقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾ [المائدة ٣٨/٥]) أي:فيما أوحينا إليكم حكم السارق والسارقة.

قوله:[2] **(قلتُ: بـ﴿ٱتَّخَذُواْ﴾، أي:[3] ﴿ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا﴾ مِن قبل أن ينافق هؤلاء)** يريد أنّ هذه الآية متّصلة بقوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ﴾... إلخ.

قوله:[4] **(وهو أَولى؛ لأنّ الموازنة)**... / إلخ، أي: هذا القول وهو أنّ المراد [٣٨٩ظ] بـ﴿مَسۡجِدٌ أُسِّسَ﴾ مسجد قباء أَولى؛ لأنّ الموازنة بين المسجدين يكونان في قُباء أوقَع مِن الموازنة بين مسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالمدينة[5] ومسجد[6] بقُباء، وهو مسجد الضرار.

---

١ ن - قوله.
٢ ن - قوله.
٣ ن ر: التي.
٤ ن - قوله.
٥ ر: بالمسجد.
٦ ر: وبين مسجد.

وعن أبي سعيد الخدريِّ: سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذي أسِّس على التقوى، فأخذ حَصْباء فضرب بها الأرض وقال: «هو مسجدُكم هذا» مسجدُ المدينة.

﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾: من أوّل يومٍ من أيّام وجوده ﴿فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾.

قيل: لمّا نزلت مشَى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قُباءٍ، فإذا الأنصارُ جلوسٌ فقال: «أَمؤمنون أنتم؟»»، فسكت القوم، ثم أعادها فقال عمرُ: يا رسول الله! إنّهم لمؤمنون وأنا معهم، فقال صلى الله عليه وسلم: «أتَرضَوْنَ بالقضاء؟» قالوا: نعم، قال: «أتصبرون على البلاء؟» قالوا: نعم، قال: «أتشكرون في الرخاء؟» قالوا: نعم، قال صلى الله عليه وسلم: «مؤمنون وربِّ الكعبة»، فجلس ثم قال: «يا معشر الأنصار، إن الله قد أثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط؟» فقالوا: يا رسول الله، نُتْبِعُ الغائطَ الأحجارَ الثلاثة ثم نتبع الأحجارَ الماءَ، فتلا النبيُّ صلى الله عليه وسلم: ﴿رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾.

وقرئ: "أن يَطَّهَّروا" بالإدغام.

قوله:[١] (وعن أبي سعيد الخُدري) خُدرة بوزن "غُرفة" بطن مِن الأنصار.[٢]

قوله:[٣] (مِن أوّل يوم مِن أيّام وجوده) أي: مِن تأسيس أوّل يوم؛ لأنّ "مِن" لابتداء الغاية في المكان عند أصحابنا البصريين،[٤] وعند الكوفيين في الزمان، والأوّل هو المعوّل. هكذا ذكروا.[٥] وفيه نظر؛ لأنّ "تأسيس" ليس بظرف مكان، فالصواب أن يقول: "عند[٦] البصريين إنّ "مِن" للابتداء في غير الزمان"، ليشتمل[٧] المكان وغيرَه، ويستقيم تقدير ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ بقولهم: مِن تأسيس أوّل اليوم.

---

[١] ن – قوله.

[٢] انظر: الصحاح للجوهري، «خدر».

[٣] ن – قوله.

[٤] ن: الضريين.

[٥] انظر تفصيل الخلاف في هذه المسألة في الإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات الأنباري، ١/٣٧٠-٣٧٦. وهذه الآية هي الشاهد الذي احتجّ به الكوفيون على ما ذهبوا إليه.

[٦] ر – عند.

[٧] ر: ليشمل.

وقيل: هو عامٌّ في التطهُّر من النجاسات كلِّها.

وقيل: كانوا لا ينامون الليلَ على الجنابة، ويُتبعون الماءَ أثرَ البول.

وعن الحسن: هو التطهُّر من الذنوب بالتوبة.

وقيل: يحبُّون أن يتطهَّروا بالحُمَّى المكفِّرة لذنوبهم فحُمُّوا عن آخرهم.

فإن قلتَ: ما معنى المحبَّتين؟

قلتُ: محبَّتُهم التطهُّرَ: أنهم يُؤْثِرونَه ويَحرِصون عليه حِرْصَ المحبِّ للشيء المشتهِي له على إيثاره، ومحبَّةُ الله إيَّاهم: أنه يَرضى عنهم ويُحسِنُ إليهم كما يفعل المحبُّ بمحبوبه.

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾

قرئ: ﴿أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ﴾ و: ﴿أُسِّسَ بنيانُه﴾ على البناء للفاعل والمفعول.

و: "أُسُسُ بنيانِه" جمع أساسٍ على الإضافة، و: "أَسَاسُ بَنيانِه" بالفتح والكسر: جمعُ أُسٍّ، و: "آساسُ بنيانه" على أفعالٍ جمع أسٍّ أيضًا، و: "أُسُّ" بنيانه.

والمعنى: أفمن أسَّس بنيانَ دينه على قاعدةٍ قويَّةٍ محكَمةٍ وهي الحقُّ

قوله:[1] (المُشتهي) إن قرئ بكسر الهاء فالضمير مِن (له) يعود إلى "الشيء"، والضمير المستتر في "المشتهي" يعود إلى (المحبّ)، وإن قرأ بفتح الهاء فالضمير المستتر في "المُشتهي" يعود إلى اللام، والضمير مِن "له" يعود إلى "المُحبّ".

قوله:[2] (جَمْع أسّ) متعلِّق بقوله: (والكسر). وأمّا "الأساس" بالفتح فهو[3] مفرد، قال في الصحاح: «الأسّ: أصل البناء، وكذلك الأساس».[4]

قوله:[5] (والمعنى: أفمَن أسس بنيان دينه)... إلخ، هنا استعارتان[6] تصريحيّة

---

[1] ن – قوله.

[2] ن – قوله.

[3] ن ر: وهو.

[4] الصحاح للجوهري، «أسس».

[5] ن – قوله؛ ن ر + للكاتب.

[6] ر: استعارة.

الذي هو تقوى اللهِ ورِضوانه ﴿خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ﴾ على قاعدةٍ هي أضعَفُ القواعدِ وأرْخاها وأقلُّها بقاءً، وهو الباطل والنفاقُ الذي مَثَلُه مَثَلُ ﴿شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ في قلَّة الثبات والاستمساكِ، وُضع شفا الجُرُفِ في مقابلةِ التقوى؛ لأنه جُعل مجازًا عمَّا يُنافي التقوى.

فإن قلتَ: فما معنى قوله: ﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾؟

قلتُ: لمَّا جُعل الجُرف الهائِر مجازًا عن الباطل قيل: ﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ على معنى: فطاحَ به الباطلُ في نار جهنم، ....

وبالكناية: قوله[1] تعالى: ﴿عَلَىٰ تَقْوَىٰ﴾ مكنيّة، شبّه التقوى بالقاعدة المحكَمة، والجامع[2] الدوام والثبات، وذَكَر المشبّه وأريدَ المشبَّه به، وقرينتها ﴿أَسَّسَ﴾ و﴿بُنْيَـٰنَهُۥ﴾. وقوله تعالى: ﴿شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ تصريحيّة، شبه الباطل بشفا جرف[3] هارٍ، بجامع عدم الثبات والدوام، وذَكَر المشبَّه به[4] وأريدَ المشبَّه، وقرينتها ذِكره في مقابلة التقوى المراد به الحقّ. ويجوز أن تكون الاستعارة تبعيّة في ﴿أَسَّسَ﴾ شبّه استمساكهم[5] بالدِّين بالأساس.[6]

قوله:[7] (﴿شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ في قلّة الثبات) جُرُف فُعُل بمعنى مفعول: وهو ما جرفه الوادي.

قوله:[8] (مجازًا[9] عمّا ينافي التقوى) أي:وضعه موضع الضلال.

قوله:[10] (فطاح[11] به) أي:أسقطه. «طاح يطوح ويطيح: هلك وسقط، وكذلك إذا تاه في الأرض. وطوّحه: توّهه[12] وذهب به ههنا وههنا».[13]

---

١ ن – قوله.
٢ ن: بجوامع.
٣ ن: جر.
٤ ن ر – به.
٥ ر: امتساكهم.
٦ ن: والأساس.
٧ ن – قوله.
٨ ن – في قلة الثبات. جرف فعل بمعنى مفعول: وهو ما جرفه الوادي. قوله.
٩ ن ر: مجاز.
١٠ ن – قوله.
١١ ن: وطاح.
١٢ ن ر: حير.
١٣ الصحاح للجوهري، «طوح».

إلّا أنّه رُشِّح المجازُ فجيء بلفظ الانْهِيار الذي هو للجُرُف، وليصوِّرَ أن المبطِلَ كأنّه أسَّسَ بنيانًا على شفا جَرُفٍ من أوْدية جهنَّم فانهار به ذلك الجُرفُ فهوَى في قَعرها.

والشفا: الحرفُ والشفير، وجُرفُ الوادي: جانبُه الذي يتحفَّر أصلُه بالماء وتَجْرُفُه السيولُ فيبقى واهيًا.

والهارُ: الهائرُ، وهو المُنْصَدِعُ الذي أَشْفَى على التهدُّم والسقوط، ووزنُه "فَعِلٌ" قُصر عن "فاعل" كـ"خَلِفٍ من خالِفٍ"، ونظيره: شاكٌ وصاتٌ في شائكٍ وصائِتٍ، وألِفُه ليست بألِفِ "فاعلٍ" إنما هي عينُه، وأصله: "هَوِرٌ" و"شَوِكٌ" و"صَوِتٌ"، ولا ترى أبلغَ من هذا الكلام، ولا أدلَّ على حقيقة الباطل وكُنْهِ أمره.

وقرئ: ﴿جُرْفٍ﴾ بسكون الراء.

فإن قلتَ: فما وجهُ ما رَوى سيبويه عن عيسى بن عُمر: "على تقوًى من الله" بالتنوين؟

قلتُ: قد جَعل الألفَ للإلحاق لا للتأنيث كـ﴿تَتْرًا﴾ [المؤمنون ٢٣/٤٤] فيمَن نوَّن ألْحقَها بجَعْفرٍ.

قوله:[١] (وليصوِّر) عطف مِن حيث المعنى على قوله: (إلّا أنّه). قيل: ﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ﴾ للترشيح وليصوِّر. وقوله: و(جُرف الوادي: جانبه) «جرفتُ[٢] الطين: كسحته، ومنه سمّي المِجرفة».[٣]

قوله[٤] تعالى: ﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ﴾ الباء يجوز أن تكون متعلِّقًا[٥] ﴿فَٱنْهَارَ﴾ على أن يكون للتعدية، أي: أسقطه في نار جهنّم، ويجوز أن تكون للملابسة متعلِّقة بمحذوف، أي: انهار الجُرف انهار ملتبسًا به. وهذا مناسب لمعنى الانهيار؛ لأنّ الانهيار يستعمل في الأبنية التي تنهدم وتتساقط.

---

[١] ن – قوله.
[٢] ن: حرفة.
[٣] الصحاح للجوهري، «جرف».
[٤] ن – قوله.
[٥] ر: متعلقة بقوله تعالى.

وفي مصحف أبيّ: "فانهارَتْ به قواعدُه".

وقيل: حُفرَتْ بُقعةٌ من مسجدِ الضِّرار فرُؤِيَ الدخانُ يخرج منه.

وروي أن مُجمِّعَ بنَ جاريةَ كان إمامَهم في مسجد الضِّرار فكلَّم بنو عمرو بن عَوْف أصحاب مسجد قُباءِ عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته أن يأذن لمُجمِّعٍ فيؤمَّهم في مسجدهم، فقال: لا، ولا نُعْمةَ عينٍ، أليس بإمام مسجد الضِّرار؟ فقال: يا أمير المؤمنين، لا تعجَلْ عليَّ، فواللهِ لقد صلَّيتُ بهم واللهُ يعلم أني لا أعلم ما أضمَروا فيه، ولو علمتُ ما صلَّيتُ معهم فيه، كنتُ غلامًا قارئًا للقرآن وكانوا شيوخًا لا يقرؤون من القرآن شيئًا، فعذَره وصدَّقه وأمره بالصلاة بقومه.

﴿لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾

﴿رِيبَةً﴾: شكًّا في الدِّين ونفاقًا، وكان القومُ منافقين، وإنما حمَلهم على بناء ذلك المسجد كفرُهم ونفاقُهم؛ كما قال تعالى: ﴿ضِرَارًا وَكُفْرًا﴾ فلمَّا هدَمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ازدادوا -لِمَا غاظَهم من ذلك وعظُم عليهم- تصميمًا

قوله:[١] (ورُوي أن مجمَّع بن جارية)[٢] صحّ مجمَّع هذا بفتح الميم مشدّدًا، وأمّا مجمِّع بالكسر فلقب قُصيّ بن كلاب واسمه زيد. قال:

أبوكم قصيٌّ كان يُدعى مجمِّعًا   به جمَّع الله القبائل مِن[٣] فِهر[٤]

قوله:[٥] (فقال: لا ولا نُعمة عين)[٦] النُّعمة مصدر سماعي بمعنى الإنعام، أي: لا أنعم عينك إنعامًا.

قوله:[٧] (تصميمًا) مفعول (ازدادوا). و(مِن ذلك) بيان "ما"، و"ذلك" إشارة إلى "الهدم".

---

[١] ن - قوله.

[٢] ن ر: حارثة. | وانظر: توضيح المشتبه لابن ناصر الدين، ٣٥٥/٦.

[٣] ر - من.

[٤] ر: بالفهر. | والبيت لمطرود الخزاعي في الفائق للزمخشري، ١٨٤/٣؛ وهو بلا عزو في الزاهر لابن الأنباري، ١٢٣/٢؛ وغريب الحديث للخطابي، ٣٧٤/١.

[٥] ن - قوله.

[٦] معالم التنزيل للبغوي، ٩٥/٤ (التوبة، ١٠٩/٩).

[٧] ن - قوله.

على النفاق ومقتًا للإسلام، فمعنى قوله: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ﴾: لا يزال هَدْمُه سببَ شكٍّ ونفاقٍ زائدٍ على شكِّهم ونفاقهم لا يزول وَسْمُه عن قلوبهم ولا يَضمحلُّ أثره.

﴿إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ قِطَعًا وتُفرَّقَ أجزاءً، فحينئذٍ يَسْلُونَ عنه، وأمَّا ما دامَتْ سالمةً مجتمِعةً فالرِّيبةُ باقيةٌ فيها متمكِّنةٌ، فيجوز أن يكون ذكرُ التقطيع تصويرًا لحال زوالِ الريبة عنها، ويجوز أن يراد حقيقةُ تقطيعها وما هو كائنٌ منه بقتلهم، أو في القبور، أو في النار.

وقرئ: "يُقَطَّعَ" بالياء، و: "تُقْطَعَ" بالتخفيف، و: ﴿تَقَطَّعَ﴾ بفتح التاء بمعنى: تتقطَّع، و: "تُقطِّعَ قلوبَهم" على أن الخطاب لرسول الله؛ أي: إلَّا أن تُقطِّعَ أنتَ قلوبَهم بقتلهم.

وقرأ الحسن: "إلى أنْ".

وفِي قراءةِ عبد الله: "ولو قُطِّعَتْ قلوبُهم".

وعن طلحة: "ولو قطَّعْتَ قلوبَهم" على خطاب الرسول أو كلِّ مخاطَب.

وقيل: معناه: إلا أن يتوبوا توبةً تتقطَّعُ بها قلوبُهم نَدَمًا وأسَفًا على تفريطهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾

مَثَّلَ اللهُ إثابَتَهم بالجنَّة على بَذْلهم أنفسَهم وأموالَهم في سبيله بالشَّرْوَى.

وروي: تاجَرَهم فأغلى لهم الثمنَ.

وعن عمر رضي الله عنه: فجَعَل لهم الصَّفْقَتين جميعًا.

قوله:[١] (وما هو كائن) أو متعلِّق بكائن، و"كائن" مِن "كان" التامّة.

قوله:[٢] (فجعل لهم الصفقتين)[٣] الصفقة:[٤] عبارة عن ضرب اليد عند العقد الثاني

---

١ ن – قوله.
٢ ن – قوله.
٣ ن: المصفَّقتين.
٤ ن: المصفَّقة.

وعن الحسن: أنفُسًا هو خَلقها وأموالًا هو رزَقَها.

وروي: أن الأنصارَ حين بايعوه على العقبة قال عبد الله بن رَواحةَ: اشترِطْ لربِّك ولنفسك ما شئتَ، قال: «أَشترِطُ لربِّي أن تعبدُوه ولا تشركوا به شيئًا، وأَشترِطُ لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم»، قال: فإذا فعَلْنا ذلك فما لنا؟ قال: «لكم الجنَّة»، قالوا: رَبِحَ البيع لا نُقيل ولا نستقيل.

ومَرَّ برسول الله صلى الله عليه وسلم أعرابيٌّ وهو يقرؤها فقال: كلامُ مَن؟ قال: «كلام الله تعالى»، فقال: بَيْعٌ والله مُرْبِحٌ لا نُقيلُه ولا نستقيلُه، فخرجَ إلى الغزو واستُشهد.

﴿يُقَٰتِلُونَ﴾ فيه معنى الأمر؛ كقوله: ﴿وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ [الصف ٦١/١١].

وقرئ ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ على بناء الأول للفاعل والثاني للمفعول وعلى العكس.

﴿وَعْدًا﴾ مصدرٌ مؤكِّدٌ، أخبر بأن هذا الوعدَ الذي وعدَه للمجاهدين في سبيله وعدٌ ثابتٌ قد أثبته ﴿فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ كما أثبته في القرآن، ثم قال:

إلى المعقود[1] عليه، فالمراد بالصفقتين[2] المعقود عليهما، أي: الثمن والثمن،[3] يعني: لا يعود النفع مِن أنفسهم ولا مِن الجنّة إلّا إليهم.

قوله:[4] (بالشَّرْوى) اسم مِن الشِّرى.

قوله:[5] (فيه معنى الأمر) ويحتمل ألّا يكون فيه معنى الأمر؛ بل يكون بيانًا للشِّرى المشار إليه في قوله تعالى: ﴿ٱشْتَرَىٰ﴾.[6]

[٣٩٠و] قوله:[7] (وعد ثابت) قد[8] أثبته في[9] التوراة، يعني / حقًّا بمعنى ثابتًا.

---

١ ن: المفعول.
٢ ر: بالمصفِّقتين.
٣ ن: والمثمن.
٤ ن – قوله.
٥ ن – قوله.
٦ ن – ﴿ٱشْتَرَىٰ﴾.
٧ ن – قوله.
٨ ر: فيه.
٩ ن: من.

﴿وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ﴾؛ لأنّ إخلافَ الميعاد قبيحٌ لا يُقدِمُ عليه الكِرامُ من الخلق مع جوازه عليهم لحاجتهم، فكيف بالغنيّ الذي لا يجوز عليه قبيحٌ قط، ولا ترى ترغيبًا في الجهاد أحسنَ وأبلغَ منه.

﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢﴾

﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ رفعٌ على المدح؛ أي: هم التائبون، يعني: المؤمنين المذكورين، ويدلُّ عليه قراءةُ عبد الله وأبيّ رضي الله عنهما: "التائبين" بالياء إلى: "الحافظين" نصبًا على المدح، ويجوز أن يكون جرًّا صفةً لـ﴿ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

وجوَّز الزجّاج أن يكون مبتدأً خبرُه محذوفٌ؛ أي: التائبون العابدون من أهل الجنّة أيضًا وإن لم يجاهدوا؛ كقوله: ﴿وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [النساء ٤/٩٥].

وقيل: هو رفعٌ على البدل من الضمير في ﴿يُقَٰتِلُونَ﴾.

قوله:[١] (لأنّ[٢] إخلاف[٣] الميعاد قبيح)... إلخ، تعليل لِما يوطِّئه[٤] الاستفهام وبناء "أفعل" في قوله: ﴿وَمَنۡ أَوۡفَىٰ﴾ مِن معنى[٥] المبالغة.

قوله:[٦] (كقوله: ﴿وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [النساء ٤/٩٥])، يعني: هذا الوجه تكون هذه الآية مثل قوله تعالى: ﴿وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾، بعد قوله: و﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ﴾، فإنّه تعالى في تلك الآية بعدما ذَكَر فضل المجاهدين والقاعدين وعد الله الحسنى، أي:[٧] الجنّة، فكذا في هذه الآية بعدما أشار بقوله تعالى: ﴿ٱشۡتَرَىٰ﴾ مِن أنّ للمجاهدين الجنّة بيّن بقوله: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾... إلخ، أنّ لهؤلاء أيضًا الجنّة، وهذا يؤيِّد ما كتبنا أنّ قوله تعالى: ﴿يُقَٰتِلُونَ﴾ في بيان الشِّرى.[٨]

---

١ ن – قوله.
٢ ن: لأنّه.
٣ ن ر: اختلاف.
٤ ر: يعطيه.
٥ ن: يعني.
٦ ن – قوله.
٧ ن: إلى.
٨ ر: للشروى.

ويجوز أن يكون مبتدأً وخبره ﴿ٱلْعَـٰبِدُونَ﴾، وما بعده خبرٌ بعد خبر؛ أي: التائبون من الكفر على الحقيقة: الجامعون لهذه الخصال.

وعن الحسن: هم الذين تابوا من الشرك وتبرَّؤوا من النفاق.

و﴿ٱلْعَـٰبِدُونَ﴾: الذين عَبَدوا الله وحده وأخلصوا له العبادةَ وحَرَصوا عليها.

و﴿ٱلسَّـٰٓئِحُونَ﴾: الصائمون، شُبِّهوا بذوي السِّياحة في الأرض في امتناعهم من شهواتهم.

وقيل: هم طلبةُ العلم يَسيحون في الأرض يطلبونه في مظانِّه.

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾

قيل: قال لعمِّه أبي طالب: «أنت أعظمُ الناس عليَّ حقًّا وأحسنُهم عندي يدًا، فقل كلمةً تجبُ لك بها شفاعتي» فأَبَى، فقال: «لا أزال أستغفرُ لك ما لم أُنْهَ عنه» فنزلت.

وقيل: لمَّا افتتَح مكَّة سَأَل: أيُّ أبويه أحدثُ به عهدًا؟ فقيل: أمُّك آمِنةُ، فزارَ قَبْرها بالأَبْوَاءِ ثم قام مستعبِرًا فقال: «إني استأذنتُ ربِّي في زيارةِ قبر أمِّي فأَذِنَ لي، واستأذنتهُ في الاستغفار لها فلم يأذن لي» فنزلت.

قوله:[١] (سأل: أيّ أبويه أحدث به عهدًا؟) أي: سأل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم آخرهما موتًا؛[٢] لأنّه يكون أقرب إلى الإسلام، فيجوز أن يكون تعظيمًا للإسلام.

قوله:[٣] (بالأبواء)[٤] قال في الصحاح: «الأبواء بالمدّ: موضع».[٥] وقوله: (قام مستعبِرًا)[٦] استعبر بالبكاء: بالغ فيه.

---

١ ن – قوله.
٢ ن: مؤمن.
٣ ن – قوله.
٤ ن: الأبواء.
٥ الصحاح للجوهري، «أبا».
٦ الحديث بلفظ قريب في صحيح مسلم، ٦٧١/٢ (٩٧٦)؛ والمعجم الكبير للطبراني، ٨٢/٥ (٤٦٤٨).

وهذا أصحُّ؛ لأنَّ موت أبي طالبٍ كان قبل الهجرة وهذا آخرُ ما نزل بالمدينة.

وقيل: استغفر لأبيه.

وقيل: قال المسلمون: ما يمنعُنا أن نستغفِر لآبائنا وذوي قَرابتنا وقد استغفرَ إبراهيمُ لأبيه، وهذا محمدٌ يستغفر لعمِّه؟

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾: ما صحَّ له الاستغفارُ في حُكم الله وحِكمته.

﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾؛ لأنهم ماتوا على الشرك.

قرأ طلحة: "وما استغفر إبراهيم لأبيه" وعنه: "وما يستغفر إبراهيم" على حكاية الحال الماضية.

﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ١١٤ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ١١٥ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ١١٦﴾

قوله:[١] (وهذا أصحّ؛ لأنّ موت أبي طالب) إلى آخره قال صاحب التقريب: «وفيه نظر؛ إذ يجوز أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم كان[٢] مستغفرًا لأبي طالب إلى نزولها».[٣] قلتُ: وهذا هو الحقّ، والرواية الأولى وهي أن تكون نازلة في أبي طالب هي الصحيحة. وأمّا قول[٤] المصنّف: "سأل: أيّ أبويه أحدث به عهدًا؟" فلا وجه له[٥] ولا جاءت الرواية به،[٦] للعلم بأنّه صلوات الله عليه[٧] ولد وأبوه[٨] لم يكن حيًّا. النهاية: «الأبواء بفتح الهمزة وسكون الباء والمدّ: جبل[٩] بين مكّة والمدينة».[١٠]

---

[١] ن – قوله.

[٢] ن: كا.

[٣] التقريب في التفسير للقطب الفالي، ٧٢و.

[٤] ن: قوله.

[٥] ن ر – له.

[٦] ن ر – به.

[٧] ن – عليه.

[٨] ن: وأبويه.

[٩] ن: جيل.

[١٠] النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، ١/٢٠.

﴿إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾؛ أي: وعدها إبراهيمُ أباه، وهو قوله: «لأستغفرن لك»، ويدلُّ عليه قراءةُ الحسن وحمَّادٍ الرَّاوية: "وَعَدها أباه".

فإن قلتَ: كيف خَفِي على إبراهيم أن الاستغفار للكافر غيرُ جائز حتى وعَدَه؟

قلتُ: يجوز أن يظنَّ أنه ما دام يُرجى منه الإيمانُ جاز الاستغفار له، على أن امتناع جواز الاستغفار للكافر إنما عُلم بالوحي؛ لأن العقل يجوّز أن يغفرَ الله للكافر، ألا ترى إلى قوله صلى الله عليه وسلم لعمِّه: «لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ».

وعن الحسن: قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إن فلانًا يستغفر لآبائه المشركين؟ فقال: «ونحن نستغفر لهم»، فنزلت.

وعن عليٍّ رضي الله عنه: رأيتُ رجلًا يستغفر لأبويه وهما مشركان، فقلتُ له، فقال: أليس قد استغفرَ إبراهيم لأبيه.

فإن قلتَ: فما معنى قوله: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُ﴾؟

قلتُ: معناه: فلمَّا تبيَّن له من جهة الوحي أنه لن يؤمنَ وأنَّه يموت كافرًا وانقطع رجاؤه عنه قطع استغفارَه، فهو كقوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾.

"أواهٌ": فعَّالٌ من أوَّهَ كلأَّالٍ من اللؤلؤ، وهو الذي يكثر التأوُّه، ومعناه:

قوله:[١] ("أوّاه" فعّال، مِن أوَّه كـ"لآّلٍ"[٢] مِن اللؤلؤ) قال رضي الله عنه:[٣] المراد أنّهما ليسا بمشتقين وإنّما ضمّنا بعض حروفهما، كالحيعلة والبسملة وإنّهما مرتجلان، أي: حرفته هو[٤] أبدًا وطبعه، وهو الذي بلغه وأدّاه إلى الاستغفار لأبيه. لآّل فعّال كـ"ضرّاب"،[٥] ولؤلؤ رباعي كـ"بربر"،[٦] والرباعي لا يبنى[٧] منه فعّال: لأنّه يؤدي إلى الحذف فيصير هادمًا وأنت تقصد البناء؛ ولأنّ[٨] وضع[٩] تركيب "لآّل" لمَن يُلابس اللؤلؤ كـ"السمّان" و"العوّاج".

---

[١] ن – قوله.
[٢] ر: كلال.
[٣] ن – عنه.
[٤] ر: هواء.
[٥] ر: الضراب.
[٦] ر: كبربن.
[٧] ر: يعني.
[٨] ر: فلأن.
[٩] ن ر + من.

أنه لفرطِ ترحُّمه ورقَّته وحِلْمِه كان يتعطَّف على أبيه الكافر ويستغفرُ له مع شكاسته عليه وقولِه: ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ [مريم ٤٦/١٩].

يعني: ما أمر اللهُ باتِّقائه واجتنابه -كالاستغفار للمشركين وغيرِه ممّا نَهى عنه وبيَّن أنه محظورٌ- لا يؤاخِذ به عبادَه الذين هداهم للإسلام ولا يُسمِّيهم ضُلَّالًا ولا يَخذلهم إلّا إذا أقدموا عليه بعد بيان حَظْره عليهم وعِلمهم بأنه واجبُ الاتِّقاء والاجتناب، وأما قبلَ العلم والبيانِ فلا سبيل عليهم كما لا يُؤاخذون بشرب الخمر ولا بِبَيْع الصاع بالصاعين قبل التحريم، وهذا بيانٌ لعذرِ مَن خاف المؤاخَذةَ بالاستغفار للمشركين قبل ورودِ النهي عنه.

وفي هذه الآية شديدةٌ ما ينبغي أن نغْفُلَ عنها؛ وهي: أن المَهْديَّ للإسلام إذا أَقدم على بعض محظوراتِ الله داخلٌ في حُكم الإضلال.

قوله:[١] (وقوله: ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾) إشارةٌ[٢] إلى قوله: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ [مريم ٤٦/١٩].

قوله:[٣] (يعني: ما أَمَر الله باتّقائه) تفسير لقوله: ﴿يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ و"ما" موصولة، وكذا في "ما أَمَر الله" موصولة. و"مِن" في (ممّا نهى عنه) بيان لغيره، والخبر (لا يؤاخِذ به).

قوله:[٤] (ولا يُسمّيهم ضُلّالًا) أي:لا يُسمّيهم بهم ضلّالًا، فالعائد محذوف، وكذا (لا يخذلهم) أي:لا يخذلهم به. فقوله: "ما أمر" مبتدأ و"لا يؤاخِذ" خبره. عند أهل السنّة الإضلال، أي: إضلال[٥] الله خَلْق الضلالة في العبد وعند المعتزلة تسميته ضالًّا والخذلان.[٦]

قوله:[٧] (وفي هذه الآية شديدةٌ) أي:خصلة شديدة. وقيل: بليّة شديدة.

---

[١] ن – قوله.
[٢] ن – إشارة.
[٣] ن – قوله.
[٤] ن – قوله.
[٥] ن: ضلال.
[٦] ن: أو الخذلان.
[٧] ن – قوله.

والمراد بـ﴿مَا﴾: ما يجب اتِّقاؤه للنهي، فأمّا ما يُعلم بالعقل كالصِّدق في الخبر وردِّ الوديعة فغيرُ موقوفٍ على التوقيف.

﴿لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾

﴿تَابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ كقوله: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح ٢/٤٨] ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [غافر ٥٥/٤٠]، وهو بعثٌ للمؤمنين على التوبة، وأنه ما مِن مؤمنٍ إلّا وهو محتاجٌ إلى التوبة والاستغفار حتى النبيُّ والمهاجرون والأنصار، وإبانةٌ لفضلِ التوبة ومِقْدارها عند الله، وأنّ صفة التوَّابين الأوَّابين صفةُ الأنبياء؛ كما وصفهم بالصالحين ليُظهِرَ فضيلةَ الصلاح.

وقيل: معناه: تابَ الله عليه من إذنه للمنافقين في التخلُّف عنه؛ كقوله:

قوله:[١] (فغير[٢] موقوف على التوقيف) هذا على مذهبه، وأمّا عندنا فالجميع موقوف، كما يدلّ عليه ظاهر النصّ ههنا.

قوله: (﴿تَابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾،[٣] كقوله: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ [الفتح ٢/٤٨]) بيان وجهِ تشبيه الآيتين ما قال، وهو بَعْث للمؤمنين على التوبة على سبيل التعريض، وذلك أنّه صلوات الله عليه ممّن يستغني عن التوبة فوُصف بها، ليكون بعثًا للمؤمنين على التوبة وإبانةً لفضل التوبة، على طريقة قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [غافر ٧/٤٠]، وحَمَلة العرش ليسوا ممّا لا يؤمنون، لكن ذُكر الإيمان لشرفه والترغيب فيه، وإليه الإشارة بقوله: (وأنّ صفة الأوّابين[٤] صفة الأنبياء)،[٥] / والذي[٦] يدلّ[٧] على أنّ ﴿تَابَ ٱللَّهُ﴾ لمجرّد[٨] الوصف عطفُ[٩] قوله: (وقيل: معناه تاب الله عليه). [٣٩٠ظ]

---

[١] ن – قوله.
[٢] ن: تفسير.
[٣] ن – قوله: تاب الله على النبي.
[٤] ر: الأوّلين.
[٥] ن: إلا نبيًا.
[٦] ن: والذين؛ ر: والدين. | والتصحيح من فتوح الغيب للطِّيبي، ٣٨٢/٧.
[٧] ن: بدل.
[٨] ر: لمجرد.
[٩] ن ر + على.

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ [التوبة ٩/٤٣].

﴿فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾: في وقتها، والساعةُ مستعملةٌ في معنى الزمان المطلَق كما استُعملت الغداةُ والعشيَّةُ واليومُ:

غـداةَ طَـفَـتْ عَـلْـمـاءِ بَكـر بـن وائـلٍ

عـشـيَّـةَ قـارَعْـنـا جُـذامَ وحِـمْـيَـرَا

قوله:[1]

(غـداةَ طـفَـتْ[2] عَـلْـمـاءِ بكر بـن وائـل)

تمامه:

عـاجَـتْ صـدور الـخـيـل شـطـرَ تميم[3]

طفا[4] العود على الماء: جرى.[5] و"عَلْماءِ"[6] أصله "على الماء" ومنع مِن الإدغام تحرُّك الأوّل وسكون الثاني، فاحتيج الإدغام إلى ثلاثة أشياء: تسكين المتحرِّك وتحريك الساكن والإدغام والحذف على هذه الأشياء، فحذفوا إيثارًا للأهون. وعاج، أي: مال. شطرَ تميم، أي: نحوهم.

قوله:[7]

(عشـــية قارعنـــا جُـــذامَ وحِمْيَـــرا)[8]

أوّله:

وكـنّـا حـسـبـنـا كـلَّ[9] بـيـضـاءَ شـحـمـةً

---

١ ن – قوله.

٢ ن: طفت.

٣ البيت ملفّق من بيتين لقطري بن الفجاءة، هما:

غـداةَ طفتْ علماءِ بكر بن وائل
وعُجنا صدور الخيل نحو تميمِ

ومـال الـحـجازيون نـحـو بلادهـم
وألافـهـا مِـن حِـمْـيَـر وسـلـيـمِ

انظر: شعر الخوارج لإحسان عبّاس، ص ١٠٦. وجاء البيت على ما رواه المصنِّف ههنا بلا عزو في الزاهر لابن الأنباري، ١/١٣٩؛ والمفصّل للزمخشري، ص ٥٥٧؛ وأمالي ابن الشجري، ١/١٤٥.

٤ ن ر – طفا.

٥ ن: اشترين.

٦ ر – جرى وعلمًا.

٧ ن – قوله.

٨ البيت لزفر بن الحارث الكلابي في شرح الحماسة للمرزوقي، ١/١٥٥؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي، ٧/٣٣٠؛ وهو بلا عزو في المستقصى للزمخشري، ٢/٣٢٩.

٩ ر: لكل.

إذا جـاء يـومًـا وَارِثِـــي يبتغي الغِنَى

قوله:[١]

(إذا جـاء يـومًـا وارثــي يبتغي الغنى)

عجزه:[٢]

يجد جُمعَ كـفٍّ غيـرَ مـلأى[٣] ولا صِفرِ

بعده:[٤]

يـجـدْ فـرسًـا مثل العـنـان وصـارمًـا   حسامًا إذا ما هُـزّ لـم يـرضَ بالهَبْرِ
وأســمــرَ خـطّـيًـا كـــأنّ كـعـوبـه   نوى القَسْب قد أربى ذِراعًا على العَشْرِ[٥]

قوله: "يجد جمع"[٦] يقال: أعطيتُ فلان[٧] جُمع الكفّ، أي: مِلء الكف، وضربتُه بجُمع كفّي إذا ضممتَ كفّك ثمّ ضربتَه.[٨] و"ملأى" مؤنّث ملآن. والصِّفر: الخالي. قوله:[٩] مثل العِنان، أي: عربيًّا[١٠] ضامرًا. وقوله: صارمًا، أي: سيفًا قاطعًا. والحسام: السيف القطّاع. والهَبْر: القطعة. والسُّمرة: لون بين البياض والأُدمة. والخطيّة: منسوبة إليه. والقَسْب: نوع مِن التمر. وأربى، أي: زاد. قيل: معناه: يزيد كلّ ذراع مِن هذا الخطيّ على عشر كعوب وأنبوب، أراد وصفه بالصلابة. وأنا أقول: الصواب أنّ معناه: زاد على عشرة أذرع بذراع يزيد طوله وإنّه أزيد من عشرة أذرع. تقول:[١١] إذا جاء وارثي بعدي يبتغي الميراث يجد مِن تركتي ما هو غير كثير ولا قليل، وهو فرس وسيف ورُمح،[١٢] ووصف كلًّا[١٣] بالصفات[١٤] المذكورة.

١ ن – قوله.
٢ ن: مجذه.
٣ ر: ملان.
٤ ر: بعد.
٥ الأبيات الثلاثة لحاتم الطائي في ديوانه، ص ٢٥٣، وفيه «القناة» مكان «العنان»، و«أرمى» مكان «أربى».
٦ ر: يجمع.
٧ ر: فلانًا.
٨ انظر: الصحاح للجوهري، «جمع».
٩ ن – قوله.
١٠ ن: عدبيا.
١١ ن – بذراع يزيد طوله وإنه أزيد من عشرة أذرع تقول.
١٢ ن: ورِيح.
١٣ ر: كلًا.
١٤ ر: الصفات.

والعُسرةُ: حالُهم في غزوة تبوكَ؛ كانوا في عُسْرة من الظَّهْرِ: يعتقبُ العَشرةُ على بعيرٍ واحدٍ، وفي عسْرةٍ من الزاد: تزوَّدوا التمر المُدوِّدَ والشعيرَ المُسوِّسَ والإهالةَ الزَّنِخَةَ، وبلغَتْ بهم الشدَّةُ أن اقتَسم التمرةَ اثنان، وربَّما مصَّها الجماعةُ ليشرَبُوا عليها الماء المتغيِّرَ، وفي عُسرةٍ من الماء حتى نحروا الإبلَ واعتصروا فُرُوثَها، وفي شدَّةِ زمانٍ من حَمارَّةِ القَيْظ ومن الجَدْب والقحط والضِّيقةِ الشديدة.

قوله:[١] (مِن الظَّهْر) «الظَّهْر: الرِّكاب، وبنو فلان مُظهِرون إذا كان لهم[٢] ظهر[٣] ينتقلون عليه، كما يقال: مُنجِبون[٤] إذا كانوا أصحاب نجائب. وقوله: (يعتقب)،[٥] أي: يتناوب، هذا بيان العسرة».[٦]

قوله:[٧] (والتمر المُدوِّد) دَوَّد التمر: وقع فيه الدُّود.[٨] وسَوَّس الشعير: وقع فيه السُّوس.

قوله:[٩] (والإهالة) «الإهالة: الوَدَك، وهو دسم اللحم، يقال: دجاجة وَدِيْكة، أي: سمينة، وديك وَديك».[١٠] وقوله: (الزَّنِخة) «زَنِخ الدهن يزنَخ زنخًا: تغيَّر»،[١١] وفي الحديث: كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يُدعى إلى الإهالة[١٢] الزَّنِخة فيُجيب.[١٣] مقلوب[١٤] الخَنِزة،[١٥] مِن قوله عليه السلام: لولا بنو[١٦] إسرائيل ما خَنِز الطعام ولا أنتن اللحم.[١٧]

قوله:[١٨] (مِن حمارّة)[١٩] «حمّارة[٢٠] القيظ:[٢١] شدّة حرّه.[٢٢] وربّما[٢٣] خفِّف في الشعر

---

[١] ن – قوله.
[٢] ر: لم.
[٣] ر: يظهر.
[٤] ر: مجنون.
[٥] ن: يتعقب.
[٦] الصحاح للجوهري، «ظهر».
[٧] ن – قوله.
[٨] ر: الذود.
[٩] ن – قوله.
[١٠] الصحاح للجوهري، «ودك».
[١١] الصحاح للجوهري، «زنخ».
[١٢] ر: الإهال.
[١٣] ما وقفتُ عليه فيما بين يديّ من المظانّ.
[١٤] ر: مغلوب.
[١٥] يعني: الزَّنِخة مقلوب الخَنِزة.
[١٦] ن: بنوه.
[١٧] ما وقفتُ عليه في مظانّه. وهو في غريب الحديث لأبي عبيد، ١٦٦/٣؛ والفائق للزمخشري، ٣٩٩/١.
[١٨] ن – قوله.
[١٩] ر: حمازة.
[٢٠] ر – حماره.
[٢١] ن: القنيط.
[٢٢] ر: حرره.
[٢٣] ن: دربما.

﴿كادَتَزِيغُ قُلوبُ فَريقٍ منهم﴾ عن الثبات على الإيمان، أو عن اتِّباع الرسول في تلك الغزوة والخروج معه، وفي ﴿كَادَ﴾ ضميرُ الشأن، وشبَّهه سيبويه بقولهم: ليس خَلَقَ اللهُ مثلَه.

وقرئ: ﴿يَزِيغُ﴾ بالياء.

وفي قراءة عبد الله: "من بعد ما زاغتْ قلوبُ فريقٍ منهم" يريد: المتخلِّفين من المؤمنين كأبي لُبابةَ وأمثاله.

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ تكريرٌ للتوكيد، ويجوز أن يكون الضمير للفريق: تاب عليهم لكَيْدُودَتِهم.

للضرورة، والجمع حمارٌ»،[١] وأصل حمارّة:[٢] حمارِرَة،[٣] كجهابِذة وكراهِية وطواعِية.

قوله:[٤] (ليس خَلَقَ اللهُ مثلَه) أي:ليس الأمر والشأن.

قوله:[٥] (﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ تكرير) يريد أنّه يجوز أن يكون قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ كالتكرير التوكيد لقوله: ﴿لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾... إلخ، فيكون الضمير راجعًا، أي: في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ للنبيّ[٦] والمهاجرين والأنصار. ثمّ قال المصنّف: (ويجوز) عطفًا مِن حيث المعنى على قوله: "تكرير" يريد أنّه يجوز ألّا يكون هذا تكريرًا لِما مرّ؛ بل يكون هذا متعلّقًا بقوله: ﴿كَادَ يَزِيغُ﴾ الذي يدلّ عليه[٧] قوله تعالى: ﴿كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾.

قوله:[٨] (لكَيْدودتهم) اللام في "لكيدودتهم" للاختصاص، وهو متعلِّق بقوله: ﴿تَابَ عَلَيْهِمْ﴾، لمّا كان توبتهم عن الكَيدودة كان التوبة مختصّة بالكيدودة لا محالةَ، فيكون تاب عليهم، أي: قبول توبتهم مختصًّا بالكيدودة كذلك.

---

١ الصحاح للجوهري، «حمر».
٢ ر: حمازة.
٣ ر: حمازرة.
٤ ن – قوله.
٥ ن – قوله.
٦ ر: النبي.
٧ ن + يدلّ.
٨ ن – قوله.

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾

﴿ٱلثَّلَٰثَةِ﴾ كعبُ بن مالك ومُرارةُ بن الربيع وهلالُ بن أميَّةَ، ومعنى ﴿خُلِّفُواْ﴾: خُلِّفوا عن الغزو، وقيل: عن أبي لبابةَ وأصحابه حيث تِيبَ عليهم بعدهم؛ أي: تيبَ على أبي لبابةَ وأصحابه ولم يُتَبْ عليهم بل خلِّفوا عن التوبة بعدهم.

وقرئ: "خَلَفُوا"؛ أي: خلَفوا الغازين بالمدينة، أو: فسدوا، من الخالِفة وخلوفِ الفم.

وقرأ جعفرٌ الصادق: "خالفوا".

وقرأ الأعمش: "وعلى الثلاثة المخلَّفين".

﴿بِمَا رَحُبَتْ﴾: برُحبها؛ أي: مع سَعَتها، وهو مَثَلٌ للحَيْرة في أمرهم؛ كأنهم لا يجدون فيها مكانًا يقرُّون فيه قَلَقًا وجزعًا مما هم فيه.

﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾؛ أي: قلوبُهم لا يَسَعُها أُنْسٌ ولا سرورٌ؛ لأنها خرجَتْ من فَرْط الوحشة والغمِّ.

قوله:[١] (أو فَسَدوا، مِن الخالِفة) الخالفة: الفاسد الضعيف مِن الناس، يقال: هو مِن الخوالف. وقيل لأبي بكر رضي الله عنه: أنت خليفة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فقال: لا؛ بل أنا الخالفة بعد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.[٢] وهذا تواضع منه وهَضْم لنفسه. والخالِفة في غير هذا الموضع: / ما يخلف القوم. [٣٩١و]
وقوله: (وخلوفِ الفم) «خَلَف فم الصائم خلوفًا: تغير».[٣]

قوله:[٤] (﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾، أي: قلوبهم) أي: لا يجوز أن تجري الأنفس وهي الذوات على معناها الحقيقيّ؛ لأنّ الضيق والسَّعة لا يستعملان فيها،

---

١ ن – قوله.
٢ ر – فقال: لا؛ بل أنا الخالفة بعد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. | والحديث في كنز العمال للهندي، ٥٣١/١٢ (٣٥٧٠٨).
٣ ن: تغيره. | الصحاح للجوهري، «خلف».
٤ ن – قوله.

﴿وَظَنُّوٓاْ﴾: وعَلِمُوا ﴿أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ﴾ سَخَط ﴿ٱللَّهِ إِلَّآ﴾ إلى استغفاره.

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْ﴾: ثم رَجَع عليهم بالقبول والرحمة كرَّةً بعد أخرى ليستقيموا على توبتهم ويَثبتوا، وليتوبوا أيضًا فيما يُستَقبل إن فرَطَتْ منهم خطيئةٌ، علمًا منهم أن الله توَّابٌ على مَن تاب ولو عاد في اليوم مئة مرَّة.

رُوي: أن ناسًا من المؤمنين تخلَّفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، منهم مَن بَدَا له وكره مكانه فلحق به.

عن الحسن: بلَغني أنه كان لأحدهم حائطٌ كان خيرًا من مئة ألف درهم، فقال: يا حائطاه، ما خلَّفَني إلّا ظلُّك وانتظارُ ثمرِكَ، اذهب فأنت في سبيل الله، ولم يكن لآخَرَ إلا أهلُه فقال: يا أهلاه، ما بَطَّأني ولا خلَّفني إلَّا الضِّنُّ بك، لا جَرَم لَأُكَابِدَنَّ المفاوِزَ حتى ألحَقَ برسول الله صلى الله عليه وسلم، فركِبَ ولحقَ به، ولم يكن لآخر إلَّا نفسُه لا أهلَ ولا مالَ فقال: يا نفسُ ما خلفني إلا حبُّ الحياة لك، والله لأكَابِدنَّ الشدائد حتى ألحق برسول الله، فتأبَّط زاده ولحق به.

فتكون مجازًا عن القلوب؛ لأنّ[١] النفوس بها، كقوله:[٢] «المرء بأصغريه»، كما سبق في البقرة.

قوله:[٣] (ورُوي أنّ أناسًا)... إلخ، سبب النزول.

قوله:[٤] (مَن بدا له) البداء بالفتح والمدّ: الندامة.

قوله:[٥] (الضنّ بك) وإنّما أنّث؛[٦] لأنّ المراد مِن الأهل ههنا المؤنّث[٧] لا المرأة؛ لأنّ الأهل يذكَّر ويؤنَّث.

قوله:[٨] (فتأبّط زادَه) «تأبّط الشيء: جعله تحت إبطه».[٩]

---

[١] ن: لا.

[٢] ر: كقوله.

[٣] ن – قوله.

[٤] ن – قوله.

[٥] ن ر: قول.

[٦] ن: أنت.

[٧] ر: المؤنث.

[٨] ن – قوله.

[٩] الصحاح للجوهري، «أبط».

قال الحسن: كذلك واللهِ المؤمنُ يتوبُ من ذنوبه ولا يُصرُّ عليها.

وعن أبي ذرٍّ الغِفاري: أن بعيرَه أبطأ به فحمل متاعَه على ظهره واتَّبع إثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشيًا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمَّا رأى سواده: «كن أبا ذرٍّ»، فقال الناس: هو ذاك! فقال: «رَحِمَ الله أبا ذرٍّ يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده».

وعن أبي خَيْثَمة: أنه بلغَ بُستانَه وكانت له امرأةٌ حسناءُ فرشتْ له في الظلِّ وبَسَطتْ له الحصير، وقرَّبت إليه الرُّطَبَ والماء البارد، فنظر فقال: ظلٌّ ظليلٌ ورُطَبٌ يانعٌ وماءٌ بارد وامرأة حسناء، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الضِّحِّ والريح ما هذا بخير! فقام فرَحَل ناقتَه وأخذ سيفه ورُمحه ومرَّ كالريح، فمدَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه إلى الطريق فإذا براكب يَزْهاه السرابُ فقال: «كن أبا خَيْثَمة» فكانه، ففَرِحَ به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له.

ومنهم مَن بقي ولم يَلحق به، منهم الثلاثة، قال كعب: لمَّا قَفَلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمتُ عليه فردَّ عليَّ كالمُغضَب بعد ما ذكَرني وقال: «ليت شعري ما خلَّف كعبًا» فقيل له: ما خلَّفه إلّا حسنُ بردَيْه والنظرُ في عِطْفَيْه، فقال معاذ: والله ما أَعْلم إلّا فضلًا وإسلامًا. ....

قوله:[١] (في الضحّ)[٢] الضحّ: الشمس. وفي الحديث: «لا يقعدنّ[٣] أحدكم بين الضحّ والظلّ، فإنّه مقعد[٤] الشيطان».[٥] وفي المَثَل «لا أكلِّمه ما طلع عليه الضحّ، وما هبّت عليه الريح».[٦] وعن بعضهم: "الضيح" بالياء، وليس به.[٧]

قوله:[٨] (يزهاه السراب) «زها السراب[٩] الشيء: يزهاه إذا رفعه، بالألف لا غير».[١٠]

---

[١] ن – قوله.

[٢] ر: الضحى.

[٣] ر: يقعدون.

[٤] ن: يقعد.

[٥] المصنَّف لابن أبي شيبة، ٥/٢٦٧ (٢٥٩٥٧).

[٦] ما وقفتُ عليه في مظانّه.

[٧] من قوله: "الضحّ" أكثره في الصحاح للجوهري، «ضحح».

[٨] ن – قوله.

[٩] ر – زها السراب.

[١٠] الصحاح للجوهري، «زها».

ونهى عن كلامنا أيُّها الثلاثةُ فتنكَّر لنا الناسُ ولم يُكلِّمنا أحدٌ من قريبٍ ولا بعيدٍ، فلمَّا مضت أربعون ليلة أُمرنا أن نعتزل نساءنا ولا نقربَهنَّ، فلمَّا تمت خمسون ليلةً إذا أنا بنداءٍ من ذِرْوة سَلْع: أبشِرْ يا كعب بن مالك، فخرَرْتُ ساجدًا، وكنتُ كما وصفَني ربِّي و﴿ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾

قال محيي السنّة في شرح السنّة:

> في هذا الحديث دليل على أنّ هجران أهل البدع على التأبيد،[١] وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خاف على كعب وأصحابه النفاق حين تخلّفوا عن الخروج معه، فأمر بهجرانهم إلى أن[٢] أنزل الله تعالى توبتهم، فعرف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم براءتهم، وأمّا النهي عن الهجران فوق الثلاث ففيما يقع بين الرجلين مِن التقصير في حقوق الصحبة[٣] والعِشرة دون ما كان ذلك في حقّ الدِّين، فإنّ هجران أهل الأهواء والبِدع دائمة إلى أن يتوبوا.[٤]

وقوله: (أيّها الثلاثة) أي:خصوصًا الثلاثة، كقولهم:[٥] «اللّٰهمّ اغفر لنا أيّتها[٦] العصابة».[٧] ثم اعلم أنّ الناس اختلفوا[٨] في إعراب مثل قولهم: "أيّها" الثلاثة في مثل هذا المقام، فقال أبو سعيد السيرافي: "أيّها الرجل" ههنا مبتدأ والخبر محذوف، أي: الرجل المراد، أو خبر[٩] والمبتدأ محذوف، أي: المراد الرجل.[١٠] وخالفه العلماء في ذلك، وقالوا: بل الواجب أن يقال: "أيّ" منادى و"الثلاثة" صفة له، وإنّما أوجبوا ذلك؛ لأنّه في الأصل كان كذلك فقيل على[١١] الاختصاص، وكلّ ما نقل مِن باب إلى باب فإعرابه بحسب أصله كأفعال التعجب وغيرها.

قوله:[١٢] (سَلْع)[١٣] جبل بالمدينة.

---

١ ن: عن.

٢ ر – أن.

٣ ن: الضحية.

٤ ن ر: يقولوا. | انظر: شرح السنّة للبغوي، ٢/٢٢٦–٢٢٧، ٢٢٤.

٥ ن: لقولهم.

٦ ر: أيتها.

٧ انظر: كتاب سيبويه، ٢/٢٣٢.

٨ ن ر – اختلفوا.

٩ ر: الخبر.

١٠ انظر: شرح كتاب سيبويه للسيرافي، ٢/٤٠٧.

١١ ن ر – على.

١٢ ن – قوله.

١٣ ر: مبلغ.

وتتابعت البِشارةُ فلبستُ ثوبيّ وَانطلقْتُ إلى رسول الله فإذا هو جالسٌ في المسجد وحوله المسلمون فقام إليّ طلحةُ بن عُبيد الله يُهَرْول إليَّ حتى صافحني وقال: لتَهْنِكَ توبةُ الله عليك، فلن أنساها لطلحةَ، وقال رسول الله وهو يستنير استنارةَ القمر: «أَبْشِرْ يا كعبُ بخير يوم مرَّ عليك منذ ولدتْك أمُّك» ثم تَلَا علينا الآية.

وعن أبي بكر الورَّاق: أنه سُئل عن التوبة النَّصوح فقال: أن تضيقَ على التائب الأرضُ بما رحبَتْ، وتضِيقَ عليه نفسُه كتوبة كعب بن مالك وصاحبَيْه.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ١١٩﴾

﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ وقرئ: "من الصادقين". وهم الذين صَدَقُوا في دين الله نيةً وقولًا وعملًا، أو الذين صدَقوا في إيمانهم ومُعَاهدَتِهم اللهَ ورسولَه على الطاعة، من قوله: ﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب ٢٣/٣٣].

وقيل: هم الثلاثة؛ أي: كونوا مثلَ هؤلاء في صِدْقهم وثباتهم.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: الخطابُ لمن آمَنَ من أهل الكتاب؛ أي: كونوا مع المهاجرين والأنصار ووافِقُوهم، وانتظِموا في جملتهم، واصدُقوا مثل صِدْقهم.

قوله:[1] (يهرول) النهاية: الهَرْولة: ضرب مِن السير بين المشي والعَدْو.[2]

قوله:[3] (فلن[4] أنساها لطلحة)،[5] أي: هذه[6] الحميدة التي[7] فعلها طلحة في بشارته[8] إيّاي[9] بالتوبة، أي: لا أزال أذكر إحسانه إليّ بذلك.

---

١ ن - قوله.
٢ انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، ٢٦١/٥.
٣ ن - قوله.
٤ ن: قل.
٥ صحيح البخاري، ٣/٦ (٤٤١٨)؛ صحيح مسلم، ٢١٢٠/٤ (٢٧٦٩).
٦ ن: هذا.
٧ ر: الذي.
٨ ن ر: حقّي.
٩ ر: إياها.

وقيل: لمن تخلَّف من الطُّلقاء عن غزوة تبوكَ.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: لا يَصْلُحُ الكذب في جدٍّ، ولا هزل ولا أن يَعِدَ أحدُكم صبيَّه ثم لا يُنجِزَه، اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فهل فيها من رُخصة.

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾

﴿وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ أُمروا بأن يصحَبوه على البأساء والضرَّاء، ويُكابدوا معه الأَهْوالَ برغبةٍ ونشاطٍ واغتباطٍ، وأن يُلقُّوا أنفسَهم من الشدائد ما تَلْقَاه نفسُه، علمًا بأنها أعزُّ نفسٍ عند الله وأكرمُها عليه، فإذا تعرَّضتْ مع كرامتها

قوله:[١] (الطلقاء) هم سبعة أوثقوا[٢] أنفسهم على سواري المسجد، أطلقهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعد نزول الآية في شأنهم. هكذا في بعض الحواشي، والصواب أنّ المراد بالطلقاء هم أهل مكّة الذين[٣] أطلقهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في فكّ رقابهم مِن أسرهم.

قوله[٤] تعالى: (﴿وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾) يقال: رغبت بنفسي عن هذا الأمر، أي: ترفّعت عنه، فالمعنى: لا يرضوا لأنفسهم بالخفض والدَّعة ورسول[٥] الله صلّى الله عليه وسلّم في الحرّ والمشقّة ولا يختاروا بقاء أنفسهم على بقاء نفسه في الشدائد؛ بل يصحبوه على كلّ حال ويُلقوا أنفسهم بين يديه في كلّ شديدة. والباء في ﴿بِأَنفُسِهِمْ﴾ يكون للتعدية؛ لأنّك تقول: "رغبت عنه"، فإذا قلت: "رغبتُ بنفسي عنه" فكأنّك قلتَ: جعلتُ نفسي راغبة عنه.

---

١ ن – قوله.
٢ ر: اتقوا.
٣ ر: الذي.
٤ ن – قوله.
٥ ن: رسول.

وعزَّتها للخوض في شدَّةٍ وهولٍ وجَبَ على سائر الأنفس أن تتهافَتَ فيما تعرَّضتْ له، ولا يكترثَ لها أصحابُها ولا يقيموا لها وزنًا، وتكونَ أخفَّ شيءٍ عليهم وأهونَه، فضلًا أن يَرْبَؤُوا بأنفسهم عن متابعتها ومصاحبتها، ويَضِنُّوا بها على ما سَمَحَ بنفسه عليه، وهذا نهيٌ بليغٌ مع تقبيحٍ لأمرهم وتوبيخٍ لهم عليه وتهييجٍ لمتابعته بأَنَفَةٍ وحميَّةٍ.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى ما دلَّ عليه قوله: "ما كان لهم أن يتخلفوا" مِن وجوب مشايَعته؛ كأنه قيل: ﴿ذَٰلِكَ﴾ الوجوبُ﴿بِـ﴾ سببِ ﴿أَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ﴾ شيءٌ من عطشٍ ولا تعبٍ ولا مَجاعةٍ في طريقِ الجهاد، ولا يدوسون مكانًا من أمكنة الكفَّار بحوافر خُيولهم وأخفافِ رَواحِلهم وأَرْجلهم، ولا يتصرَّفون في أرضهم تصرُّفًا يُغِيظُهم ويضيِّقُ صدورَهم ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا﴾ ولا يَرْزَؤونَهم شيئًا بقتلٍ أَوْ أَسْرٍ أو غنيمة أو هزيمةٍ أو غير ذلك ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾ واستوجبوا الثوابَ ونَيْلَ الزُّلفى عند الله، وذلك مما يوجبُ المشايعةَ.

ويجوز أن يراد بالوطء: الإيقاعُ والإبادةُ، لا الوطءُ بالأقدام والحوافر؛ كقوله عليه السلام: ....

قوله:[١] (تتهافت)[٢] تتساقط كتهافت الفراش في النار.

قوله:[٣] (يربئوا[٤] بأنفسهم) الأساس: «إنّي لأربا بك عن الأمر: أرفعك عنه، ولا أرضاه لك».[٥]

قوله:[٦] (ولا يَرْزءونهم شيئًا) الرزيّة: المصيبة.

قوله:[٧] (ويجوز[٨] أن يراد بالوطء الإيقاع) عطف مِن حيث المعنى على قوله: (ولا يدوسون)،[٩] يعني: يجوز ألّا يكون المراد / الدَّوْس، أي: الوطء بالأقدام. [٣٩١ظ]

---

[١] ن – قوله.
[٢] ر: تتهافت.
[٣] ن – قوله.
[٤] ر: يرتابوا.
[٥] أساس البلاغة للزمخشري، «ربأ».
[٦] ن – قوله.
[٧] ن – قوله.
[٨] ر: ولا يجوز.
[٩] ن: يدرسون.

«آخرُ وطْأةٍ وَطِئَها الله بوَجّ».

والمَوطِئ: إما مصدرٌ كالمَوْرِد، وإما مكانٌ. فإن كان مكانًا فمعنى ﴿يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ﴾: يغيظُهم وَطْؤه.

والنَّيلُ أيضًا يجوز أن يكون مصدرًا مؤكِّدًا، وأن يكون بمنعى المَنِيل، ويقال: "نال منه" إذا رَزَأه ونَقَصه، وهو عامٌّ في كلِّ ما يَسوؤهم ويَنْكُبُهم ويُلحِقُ بهم ضررًا.

وفيه دليلٌ على أن مَن قَصد خيرًا كان سعيُه فيه مشكورًا؛ من قيامٍ وقعودٍ ومشيٍ وكلامٍ وغيرِ ذلك، وكذلك الشرُّ.

وبهذه الآية استَشهد أصحاب أبي حنيفة رحمه الله أن المدَدَ القادِمَ بعد انقضاء الحرب يُشارك الجيش في الغنيمة؛ لأن وطءَ ديارهم مما يَغيظهم ويُنكي فيهم، ولقد أَسْهمَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم لِابْنَي عامرٍ وقد قدمَا بعد تقضِّي الحَرْب.

قوله:[1] («آخر وطأة وطئها الله بوَجّ») وجّ: بلد بالطائف.[2] وفي الحديث: «آخرُ وطأة وطئها الله بوَجٍّ»، يريد غزاة الطائف، أي: آخرُ غزوة نعى الرسول عليه السلام نفسه عند ذلك، وقال لعليّ:[3] «أوصيك بريحانتي خيرًا قبل أن ينهدّ ركناك».[4] فلمّا توفي النبي صلّى الله عليه وسلّم[5] قال عليٌّ: هذا أحد الركنين. فلمّا توفيت فاطمة رضي الله عنها قال: هذا الركن الآخر. وأوّل الحديث: خرج النبيّ عليه السلام وهو محتضن أحد ابنيه، ويقول: والله إنكم لتُجبّنون وتُبخّلون وإنّ آخر وطأة وطئها.[6] الحديث. "آخرُ وطأة" مبتدأ خبره "بوَجّ".

قوله:[7] (يغيظهم وطؤه) يريد أنّ المضاف محذوف والضمير الذي كان مضافًا إليه استتر في "يغيظ". مذهب الشافعي أنه[8] يشارك في غنيمة السريّة جيش الإمام المترصِّد[9] بالقرب للنصرة.[10]

---

١ ن – قوله.
٢ انظر: معجم البلدان للحمويّ، ٣٦١/٥.
٣ ن: العلى.
٤ حلية الأولياء لأبي نعيم، ٢٠١/٣.
٥ ر: عليه السلام.
٦ مسند أحمد، ٢٩٣/٤٥ (٢٧٣١٤).
٧ ن – قوله.
٨ ن: أن.
٩ ر: المرتصد.
١٠ انظر: المجموع للنووي، ٣٦٤/١٩.

وأمَدَّ أبو بكر الصدِّيقُ رضي الله عنه المهاجرَ بنَ أبي أميّةَ وزيادَ بنَ لبيدٍ بعكرمةَ بن أبي جهل مع خمس مئة نفس، فلَحِقوا بعد ما فتحوا فأسهمَ لهم.

وعند الشافعي: لا يُشارِكُ المددُ الغانمين.

وقرأ عبيد بن عُميرٍ: "ظَمَاءٌ" بالمدِّ؛ يقال: ظَمِئَ ظَمَاءةً وظَمَاءً.

﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾

﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً﴾ ولو تمرةً، ولو عِلاقةَ سَوْطٍ ﴿وَلَا كَبِيرَةً﴾ مثلَ ما أنفقَ عثمانُ رضي الله عنه في جيش العُسْرة.

﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾؛ أي: أرضًا في ذهابهم ومجيئهم، والوادي كلُّ مُنْعَرَج بين جبالٍ وإكامٍ يكون مَنْفَذًا للسيل، وهو في الأصل فاعلٌ من وَدَى: إذا سال، ومنه: الوَدْيُ، وقد شاع في استعمال العرب بمعنى الأرضِ، يقولون: لا تُصَلِّ في وادي غيرك.

﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾: إلَّا كُتب لهم ذلك من الإنفاق وقطعِ الوادي. ....

قوله:[١] (كلّ مُنعرَج)... إلخ، «مُنعرَج الوادي: مُنعطَفه يَمنة ويَسرة».[٢] و"الإكام": جمع أَكَمة: وهو التل. وقوله: (وإكام) عطف على (جبال)،[٣] فإنّه مِن وَدى إذا سال؛ لأنّ الماء يدي فيه، أي: يجري ويسيل. وقوله: (ومنه: الوَدْيُ) «الوَدْي بالتسكين: ما يخرج مِن الإنسان بعد البول، وكذلك الوديّ بالتشديد».[٤] قال في المُغرِب: «هو الماء الرقيق يخرج بعد البول. وقد وَدى الرجل وأودى إذا خرج منه».[٥]

قوله: (مِن الإنفاق)[٦] "مِن" في قوله: "مِن الإنفاق"[٧] للبيان، فكأنّه قال المصنّف: كتب ذلك الإنفاق[٨] والقطع، أي: قَطْع الوادي. وإنّما أتى المصنّف بلفظة (ذلك)

---

١ ن – قوله.
٢ الصحاح للجوهري، «عرج».
٣ ن: حيال.
٤ الصحاح للجوهري، «ودى».
٥ المغرب للمطرّزي، «ودي».
٦ ن – قوله؛ ن: من الأنفال.
٧ ن – من في قوله: من الإنفاق.
٨ ن: الأنفال.

ويجوز أن يرجع الضميرُ فيه إلى ﴿عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾.

وقوله: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ﴾ يتعلّق بـ﴿كُتِبَ﴾؛ أي: أُثبتَ في صحائفهم لأجل الجزاء.

﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

اللام لتأكيد النفي، ومعناه: أن نفيرَ الكافَّةِ عن أوطانهم لطلب العلم غيرُ صحيحٍ ولا ممكنٍ، وفيه: أنه لو صحَّ وأَمْكَنَ ولم يؤدِّ إلى مَفسدةٍ لوَجب؛ لوجوب التفقُّه على الكافَّة؛ ولأن طلب العلم فريضةٌ على كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ.

﴿فَلَوْلَا نَفَرَ﴾: ....

لذِكر المرجع إشارةً إلى أنّ الضمير في ﴿كُتِبَ﴾ راجع إلى المتعدِّد وإن كان لفظه لفظ المفرد المذكَّر،[١] كما أنّ "ذلك" إشارة إلى المتعدِّد وإن كان لفظه لفظ المفرد المذكَّر،[٢] نحو ﴿عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة ٢/٦٨]، وقد تقدَّم مثله، فكذلك لفظ "ذلك"، ثمّ بيَّنه بـ"الإنفاق وقَطْع الوادي"، ولم يقل: كتب لهم بالإنفاق وقَطْع الوادي.

قوله:[٣] (ويجوز أن يرجع الضمير فيه)،[٤] أي: في ﴿كُتِبَ﴾. وقوله: "ويجوز" عطف مِن حيث المعنى على قوله: ثانيًا:[٥] (إلّا كُتب)؛ لأنّ المفهوم منه أنّ الضمير في ﴿كُتِبَ﴾ عائد إلى كلّ واحد مِن الإنفاق وقَطْع الوادي، فقال بعده: "يجوز أن يرجع الضمير إلى ﴿عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾".

قوله:[٦] (معناه أنّ نفير الكافّة) النفير[٧] مصدر، يقال: نفر القوم في الأمر أو إلى الثغر نَفْرًا ونفيرًا.[٨]

---

١ ن: المذكور.
٢ ن: المذكور.
٣ ن – قوله.
٤ ن + فيه.
٥ ن: بأما.
٦ ن – قوله.
٧ ر: التفسير.
٨ انظر: الصحاح للجوهري، «نفر».

فحين لم يمكِنْ نفيرُ الكافَّة ولم يكن مصلحةٌ فهلَّا نفَرَ ﴿مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ﴾؛ أي: من كلِّ جماعةٍ كثيرةٍ جماعةٌ قليلةٌ منهم يَكفونهم النفيرَ.

﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ﴾: ليتكلَّفوا الفَقَاهةَ فيه، وليتجشَّمُوا المشاقَّ في أخذها وتحصيلها.

﴿وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ﴾: وليجعلوا غرَضَهم ومَرْمَى همَّتِهم في التَّفقُّه إنذارَ قومهم وإرْشادَهم والنَّصيحةَ لهم، لا ما ينتحيه الفقهاءُ من الأغراض الخسيسة، ويَؤُمُّونَه من المقاصد الرَّكيكة؛ من التصدُّر والتَّروُّس، والتبسُّطِ في البلاد، والتشبُّهِ بالظَّلَمة في ملابسهم ومراكبهم، ومُنافَسةِ بعضهم بعضًا، وفُشُوِّ دَاءِ الضرائر بينهم، وانقلابِ حماليقِ أحدِهم إذا لَمَح ببصره مَدْرسةً لِآخرَ أو شِرْذِمَةً جَثَوْا بين يدَيْه، وتهالُكِه على أن يكون موطَّأَ العَقِب دون الناس كلِّهم، فما أَبْعدَ هؤلاء من قوله تعالى: ﴿لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗا﴾ [القصص ٨٣/٢٨]!.

﴿لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ﴾: إرادةَ أن يَحذروا الله فيعملوا عملًا صالحًا.

قوله:[١] (فحين لم يمكن) إشارة إلى أنّ قوله: ﴿فَلَوۡلَا نَفَرَ﴾ جواب شرط محذوف، فكأنّه قيل: فإذا لم يمكن خروج الجميع للطلب فلولا خَرَج.

قوله:[٢] (يكفونهم النفير)[٣] هنا أيضًا مصدر.

قوله:[٤] (وفُشوِّ داء الضرائر بينهم) الضرائر جمع ضريرة.[٥] الأساس: مِن المجاز ما أشدّ ضريره[٦] عليها: غيرته، وبينهم داء الضرائر: الحسد. وامرأة ضريرة.[٧] تعيير شديد وتوبيخ عظيم، وذلك أنّ العلماء إذا وقع بينهم التحاسد دخلوا في حُكم النساء.

---

[١] ن – قوله.
[٢] ن – قوله.
[٣] ر + النفير.
[٤] ن – قوله.
[٥] ذكره الفيومي في المصباح المنير، «ضرر».
[٦] ن ر: ضريرته.
[٧] انظر: أساس البلاغة للزمخشري، «ضرر».

ووجهٌ آخرُ: وهو أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا بَعَثَ بَعْثًا بعد غزوة تبوكَ وبعد ما أُنزل في المتخلِّفين من الآيات الشِّداد استبَقَ المؤمنون عن آخرهم إلى النفير، وانقطعوا جميعًا عن استماع الوحي والتَّفقُّه في الدِّين، فأُمروا أن يَنفرَ من كلِّ فرقةٍ منهم طائفةٌ إلى الجهاد، ويبقى أعقابُهم يتفقَّهون حتى لا ينقطعوا عن التفقُّهِ الذي هو الجهادُ الأكبر؛ لأن الجدال بالحجة أعظمُ أثرًا من الجلاد بالسيف، وقوله: ﴿لِيَتَفَقَّهُواْ﴾ الضميرُ فيه للفِرق الباقية بعد الطوائف النافرة من بينهم ﴿وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ﴾: ولينذرَ الفرقُ الباقيةُ قومَهم النافرين ﴿إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾ بما حصَّلوا في أيَّام غيبتهم من العلوم. وعلى الأول: الضميرُ للطائفةِ النافرة إلى المدينة للتفقُّه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ١٢٣﴾

﴿يَلُونَكُم﴾: يَقرُبون منكم، والقتال واجبٌ مع كافَّة الكفرة قريبِهم وبعيدِهم، ولكنَّ الأقربَ فالأقربَ أوجبُ، ونظيرُه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء ٢٦/٢١٤] وقد حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم قومَه ثم غيرَهم من عرب الحجاز ثم غَزَا الشامَ.

وقيل: هم قريظةُ والنضيرُ وفَدَكُ وخَيبرُ.

وقيل: الرُّوم؛ لأنهم كانوا يسكنون الشامَ، والشامُ أقربُ إلى المدينة من العراق وغيره.

قوله:[١] (ووجه آخرُ) أي: وهنا وجه آخرُ، وهو عطف على قوله: (ومعناه) أي: نفير[٢] الكافّة.

قوله:[٣] (إذا بَعَث بعثًا) أي: جيشًا، مِن قولهم: «كنت في بَعث فلان، أي: في جيشه الذي بُعث معه. والبعوث: الجيوش».[٤]

---

[١] ن – قوله.
[٢] ر: تفسير.
[٣] ن – قوله.
[٤] الصحاح للجوهري، «بعث».

وهكذا المفروضُ على أهل كلِّ ناحية أن يُقاتلوا مَن وَلِيَهم ما لم يُضطرَّ إليهم أهلُ ناحية أُخرى، وعن ابن عمر: أنه سُئل عن قتال الدَّيلَم فقال: عليك بالرُّوم.

وقرئ: ﴿غِلْظَةً﴾ بالحركات الثلاث، فالغِلظة كالشِّدَّة، والغُلظة كالضُّغْطة، والغَلظةُ كالسَّخْطة، ونحوُه: ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة ٧٣/٩] ﴿وَلَا تَهِنُواْ﴾ [آل عمران ١٣٩/٣] وهو يَجمع الجُرأةَ والصَّبْرَ على القتال وشدَّةَ العداوة والعُنفَ في القتل والأَسْر، ومنه: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ [النور ٢/٢٤].

قوله:[١] (ما لم يُضطرّ إليهم) "ما لم يُضطرّ" بضمّ الياء مبنيّ للمفعول. يقال: «اضطر إلى[٢] الشيء، أي: أُلجئ إليه».[٣] و(أهل) هو القائم مقامَ فاعل "يُضطرّ". والضمير مِن "إليهم" يعود إلى "أهل ناحية". فكأنّه قال:[٤] ما لم يُضطرّ أهل ناحية أخرى مضطرّ إليهم،[٥] يعني: وجب أن يقاتلوا الأقرب إلّا أن يحتاج إلى مقاتلةالأبعد احتياجًا شديدًا. وقوله: "إليهم"، أي: إلى قتالهم، فكأنّه قيل: ما لم يضطرّ أهل ناحية[٦] إلى[٧] قتالهم.

قوله: (وقرئ: "غلْظَةً") بالحركات الثلاث،[٨] بالكسر السبعة.

قوله:[٩] (كالضُّغطة) يقال: ضَغَطه ضغطًا:[١٠] زحمه إلى حائط ونحوه. والضُّغطة: الشدّة والمشقّة.[١١]

/ قوله: (﴿وَلَا تَهِنُواْ﴾) استشهاد آخر. [٣٩٢و]

قوله: (وهو يجمع)، يعني قوله تعالى: ﴿وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ كلمة جامعة لهذه المعاني.

---

١ ن – قوله.

٢ ن ر – إلى.

٣ الصحاح للجوهري، «ضرر».

٤ ر + لما.

٥ ن: إليه.

٦ ر + أهل ناحية.

٧ ن: أي.

٨ بضمّ الغين قراءة شاذّة، مرويّة عن حُميد وأبي حنيفة والزعفراني، وخليفة عن أبي عمرو. وبفتح الغين قراءة شاذّة، مرويّة عن المفضّل وأبان وكلاهما عن عاصم، وهارون عن أبي عمرو، وأبان بن تغلب. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٩٤٤.

٩ ن – قوله.

١٠ ر: ظغطًا.

١١ الصحاح للجوهري، «ضغط».

﴿مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ ينصُر مَن اتّقاه فلم يترأّف على عدوِّه.

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾

﴿فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ﴾ فمِن المنافقين مَن يقول بعضُهم لبعض: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ﴾ السورة ﴿إِيمَٰنًا﴾؛ إنكارًا واستهزاءً بالمؤمنين واعتقادِهم زيادةَ الإيمان بزيادة العلم الحاصلِ بالوحي والعمل به.

و﴿أَيُّكُمْ﴾ مرفوعٌ بالابتداء، وقرأ عبيد بن عُمَير: ﴿أَيَّكُمْ﴾ بالفتح على إضمار فعلٍ يُفسِّره ﴿زَادَتْهُ﴾ تقديره: أيَّكم زادَتْ زادَتْه هذه إيمانًا.

﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ﴾؛ لأنها أزيَدُ لليقين والثبات، وأَثْلَجُ لِلصَّدْر، أو: فزادتْهم عملًا؛ فإن زيادة العمل زيادةٌ في الإيمان؛ لأنّ الإيمان يقع على الاعتقاد والعمل.

قوله: (تقديره: أيَّكم زادته) وإنّما قدّر ناصبه بعده فقال: (أيَّكم زادَت زادَته) ولم يقل: "زادت أيَّكم زادته"؛ لأنّ لـ"أيّ" صدرَ الكلام.

قوله: (لأنها أزيَدُ لليقين) أي: لأنّ السورة. فقوله: "لأنّها" إشارة إلى أنّ المراد بقوله تعالى: ﴿فَزَادَتْهُمْ﴾ هو زيادة الإيمان على الحقيقة؛ لأنّ السورة بعد السورة[1] إذا نزلت زاد اليقين والثبات، وهو المراد بازدياد الإيمان. ثمّ قال: (أو: فزادتهم عملًا) إشارة إلى أنّ المراد بازدياد الإيمان زيادة العمل.

قوله: (وأثلجُ للصدر) «ثَلَجت نفسي تثلَج ثُلُوجًا: اطمأنت. عن أبي عمرو. وثَلِجت نفسي تَثلَج[2] ثَلَجًا، لغة فيه».[3]

قوله: (لأنّ الإيمان يقع على الاعتقاد والعمل) تعليل للاعتبارين،[4] أي: إذا كان الإيمان يراد به الاعتقاد فزيادته اليقين، وإن كان العمل فزيادته بزيادة العمل.

---

[1] ر - بعد السورة.
[2] ر - تثلج.
[3] الصحاح للجوهري، «ثلج».
[4] ر: الاعتبارين.

﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾: كفرًا مضمومًا إلى كفرهم؛ لأنهم كلَّما جدَّدوا بتجديد الله الوحيَ كفرًا ونِفاقًا ازداد كُفرهم واستَحْكم وتضاعَفَ عقابُهم.

﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾

قرئ ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ﴾ بالياء والتاء.

﴿يُفْتَنُونَ﴾: يُبتلَون بالمرض والقَحْط وغيرهما من بلاء الله ثم لا ينتهون ولا يتوبون من نفاقهم، ولا يذَّكَّرون ولا يعتبرون، ولا ينظرون في أمرهم.

أو: يُبتلَوْن بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويُعايِنون أمرَه وما يُنزِل اللهُ عليه من نُصرته وتأييده.

أو: يَفتِنهُم الشيطانُ فيَكذِبون وينقضون العهود مع رسول الله فيُقتِّلهم ويُنكِّل بهم ثم لا ينْزَجِرون.

﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا ۚ صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾﴾

﴿نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾: تغامَزُوا بالعيون إنكارًا للوحي وسُخريةً به قائلين: ﴿هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ من المسلمين لننصرفَ، فإنَّا لا نَصبرُ على استماعه ويَغلبُنا الضحك فنخافُ الافتضاحَ بينهم.

أو: ترامَقوا يتشاورون في تدبير الخروج والانسلالِ لِواذًا يقولون: ﴿هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾.

وقيل: معناه: وإذا ما أُنزِلَتْ سورةٌ في عيبِ المنافقين.

﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ دعاءٌ عليهم بالخِذلان وبصَرْف قلوبهم عمَّا في قلوب أهل الإيمان من الانشراح.

﴿بِأَنَّهُمْ﴾: بسبب أنهم ﴿قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾: لا يتدبَّرون حتى يفقهوا.

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾

﴿مِنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾: من جنسكم ومن نسبكم، عربيٌّ قرشيٌّ مثلُكم.

ثم ذكر ما يَتبعُ المجانسةَ والمناسبةَ من النتائج بقوله: ﴿عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ﴾؛ أي: شديدٌ عليه شاقٌّ -لكونه بعضًا منكم- عَنَتُكم ولقاؤكم المكروهَ، فهو يخاف عليكُم سوءَ العاقبة والوقوعَ في العذاب.

﴿حَرِيصٌ عَلَيۡكُم﴾ حتى لا يخرجَ أحدٌ منكم عن اتّباعه والاستسعادِ بدِين الحقّ الذي جاء به.

﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ منكم ومن غيركم ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

وقرئ: "من أَنْفَسِكم"؛ أي: من أشرَفِكم وأفضَلِكم.

وقيل: هي قراءةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمةَ وعائشةَ رضي الله عنهما.

وقيل: لم يجمع اللهُ اسمين من أسمائه لأحدٍ غيرِ رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾: فإن أعرَضوا عن الإيمان بكَ وناصَبوكَ فاستعِنْ وفوّضْ إليه فهو كافيك مَعَرَّتَهم ولا يضرُّونك، وهو ناصرُك عليهم.

وقرئ: ﴿ٱلۡعَظِيمِ﴾ بالرفع.

قوله: (في قوله تعالى: ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾) "في قوله" ظرف لفعل مقدَّر، أي: جمع الاسمين في قوله: ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.[١] ولا يجوز أن يكون ظرفًا لقوله: (لم يجمع)؛ لأنّه يفسد المعنى؛ إذ يصير الكلام هكذا: لم يجمع في هذه الآية اسمين في أسمائه لغيره صلّى الله عليه وسلّم.

قوله: (معرَّتهم) المعرّة: المساءة والأذى، مَفْعَلة مِن العرّ وهو الجرب، تقول: عرّت الإبل تعِرّ فهي عارّة. وحكى أبو عبيد: جَمَل أعرُّ وعارّ، أي: جَرِب.[٢]

---

[١] ر - في قوله: ظرف لفعل مقدر، أي: جمع الاسمين في قوله: ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

[٢] الصحاح للجوهري، «عرر».

وعن ابن عباس: العرشُ لا يَقدِرُ أحدٌ قَدْرَه.

وعن أبيِّ بن كعب: آخرُ آيةٍ نزلت: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾.

عن رسول الله: «ما نُزِّل عليَّ القرآنُ إلَّا آيةً آيةً وحرفًا حرفًا، ما خَلا سورةَ براءةَ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فإنهما أُنزلتا عليَّ ومعهما سبعون ألفَ صفٍّ من الملائكة».

قوله: (حرفًا حرفًا)[١] الحرف: الطرف، والمراد ههنا الجملة المفيدة، إمّا أكثر مِن آية أو أقلّ منها، يعني أنّ نزول جميع القرآن مقصور[٢] على هذا التفصيل، وهو أن تكون آية أو أقلّ منها أو أكثر منها، بقدر لم يبلغ تمام السورة غير ما استثناه مِن السورتين، وذلك «لأنّ العرب تكرِّر الشيء مرّتين فتستوعب تفصيل[٣] جميع جنسه باعتبار المعنى الذي دلّ عليه اللفظ المكرَّر، فإذا قلتَ: "جاء القوم ثلاثة ثلاثة" فمعناه جاءوا مفصّلين باعتبار هذا العدد المخصوص»،[٤] فههنا لمّا كرّر آية وعطف عليها حرفًا أفاد أنّ نزوله مقصور[٥] على أحد هذين الوصفين إلّا[٦] ما استثناه. والله أعلم.[٧]

---

١ الكشف والبيان للثعلبي، ١٥٨/١٣ (التوبة، ١٢٩/٩).

٢ ر: مقصود.

٣ ر: تفصيل.

٤ الإيضاح في شرح المفصّل لابن الحاجب، ٣٠٦/١.

٥ ر: مقصود.

٦ ر: إذا.

٧ في هامش ر: تمّ الجزء الأوّل من الكلام على الكشّاف للجاربردي بحمد الله وعونه وحسن توفيقه، ويتلوه الجزء الثاني أوّل سورة يونس عليه السلام، وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا. من كتابة العبد الفقير إلى الله تعالى جمال الدين بن علي الفناري، وكان الفراغ مِن كتابته يوم الخميس المبارك رابع وعشرين شهر رمضان المبارك سنة ٩٧٧.

سورة يونس عليه السلام

مكيةٌ إلا ثلاثَ آياتٍ:

﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ﴾ [يونس ١٠/٩٤]. وهي مئة وتسع آيات.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ١﴾

﴿الٓر﴾ تعديدٌ للحروف على طريق التحدِّي.

و﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ إشارةٌ إلى ما تضمَّنته السورةُ من الآيات، و﴿الكتاب﴾: السورةُ.

﴿ٱلۡحَكِيمِ﴾: ذو الحكمة؛ لاشتماله عليها ونُطقه بها، أو وُصف ....

سورة يونس

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله: (على طريق التحدّي)، يعني أنّ هذا القرآن مركَّب مِن الحروف التي خُطبُكم ورسائلكم وأشعاركم مركَّبة منها، فإنّ قدَرتم على الإتيان بمِثله فأتوا بمثله، وإذا لم تقدروا وظهر لكم عجزكم فاعلموا أنّه[1] كلام الله المعجز،[2] فآمنوا به وصدّقوا. يقال: «تحدّيتُ فلانًا إذا باريتَه في فعل ونازعتَه الغَلَبة. يقال: أنا حُديّاك: ابرز وحدَك».[3]

قوله: (لاشتماله عليها) متعلِّق بمحذوف، أي: وَصْف الكتاب بـ﴿ٱلۡحَكِيمِ﴾ بمعنى ذي الحكمة لاشتماله. وقوله: (أو[4] وُصف) يجوز أن يكون عطفًا على هذا

[1] ر: أن.

[2] ر: معجز.

[3] الصحاح للجوهري، «حدا».

[4] ر: أي.

بصفةٍ مُحدَثةٍ، قال الأعشى:

وغـريـبـةٍ تـأتـي الـمـلـوكَ حكيمةٍ قـد قُـلْـتُـهـا لـيـقـال مَـن ذا قـالَـهـا

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ۝٢﴾

الهمزةُ لإنكار التعجُّبِ والتعجيبِ منه، و﴿أَنْ أَوْحَيْنَآ﴾ اسمُ "كان" و﴿عَجَبًا﴾ خبرُه.

المحذوف، ويجوز أن يكون عطفًا مِن حيث المعنى على قوله: (ذو الحكمة) فيكون قد فسّر ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ أوّلًا بمعنى النسبة، وثانيًا بمعنى اسم الفاعل. وهذا هو الصواب.

قوله: (بصفةٍ مُحدِثه)[1] لمقارنة بين الفعل والفاعل، وهذا عند المعتزلة. وعند أهل السنّة وُصف بصفة مُنزِله.

قوله: (قال الأعشى:

وغـريـبـةٍ تـأتـي الـمـلـوك حكيمةٍ قـد قلتُـهـا لـيـقـال مَـن ذا قالها)[2]

قوله: (والتعجيبِ منه) يجوز أن يكون التعجيب عطفًا على "إنكار"، فكأنّه قال: الهمزة لإنكار تعجُّبهم وللتعجيب مِن تعجبُّهم، فيكون الضمير في "منه" عائدًا إلى "التعجيب"،[3] ويجوز أن يكون "التعجيب" عطفًا على (التعجُّب) والضمير في "منه" عائدًا إلى[4] ﴿أَوْحَيْنَآ﴾؛ لأنّه في معنى الوحي، فكأنّهم تعجّبوا مِن الوحي وعجّبوا غيرَهم منه، فتكون الهمزة في ﴿أَكَانَ﴾ لإنكار تعجُّبهم وتعجيبهم، كما قال صاحب المفتاح في تفسير قوله تعالى حكاية عن فرعون: ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء ٢٦/٢٥]: تعجّب وعجّب،[5] وعلى هذا يكون الفِعلان متنازِعين في "منه".

---

[1] في مطبوع الكشّاف: بصفةٍ مُحدَثةٍ. | وضبطته بما هو الأليق بالسياق، وبما ضُبط به فيما وقفتُ عليه من أصول الكشّاف. | وفي هامش ن: فيكون من باب الإسناد المجازي، أُسنِد ما للفاعل إلى الفعل.

[2] البيت للأعشى في ديوانه، ص ٢٧.

[3] ن ر – التعجيب.

[4] ر – ويجوز أن يكون التعجيب عطفًا على التعجيب والضمير في منه عائدًا إلى.

[5] انظر: مفتاح العلوم للسكّاكي، ص ٤٢١.

وقرأ ابن مسعود: "عجبٌ" فجَعله اسمًا وهو نكرةٌ و﴿أَنْ أَوْحَيْنَا﴾ خبرًا وهو معرفةٌ؛ كقوله:

يـكـون مـزاجَـهـا عـسـلٌ ومـاءُ

والأجودُ أن تكون "كان" تامّةً و﴿أَنْ أَوْحَيْنَا﴾ بدلًا من "عجبٌ".

فإن قلتَ: فما معنى اللام في قوله: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾؟ وما الفرق بينه وبين قولك: "أكان عند الناس عجبًا"؟

قوله: (كقوله:

يـكـون مـزاجَـهـا عـسـلٌ ومـاءُ)[1]

أوّله:

كـأنّ سُـلافـةً مِـن بـيـت رأسٍ

وبعده:

عـلـى أنـيـابـهـا أو طـعـمُ غـضٍّ مِـن / الـتـفـاح هـصَّـره اجـتـنـاءُ[2] [٣٩٢ظ]

قوله: (والأجود) عطف مِن حيث المعنى على قوله: (فجعله) إلى آخره.

(**والأجود أن تكون تامّة**) لئلا يكون الاسم نكرة والخبر معرفة.

فإن قيل: كيف يجوز جَعْلها تامّة و﴿أَنْ أَوْحَيْنَا﴾ بدلًا مِن ﴿عَجَبًا﴾، والمبدلُ منه في حكم المُنحّى والمطروح؛ لأنّ المقصود هو البدل، إذ هو تابع[3] مقصود بما نُسب إلى المتبوع[4] دونه، فيئول المعنى إلى قولك: "أكان للناس وحَصَل لهم أن أوحينا إلى رجل منهم"، فكأنّه أنكر حصول ذلك للناس. وفساد هذا المعنى لا يخفى.

---

١ البيت لحسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، في ديوانه ١٧/١؛ وهو له في كتاب سيبويه ٤٩/١؛ والمحتسَب لابن جنّي، ٢٧٩/١، والصحاح للجوهري، «سبأ»، «رأس»؛ وما يجوز للشاعر في الضرورة للقزّاز القيرواني، ١٦٨، والمفصَّل للزمخشري، ص ٣٥٠، وشرح الرضي على الكافية ١٩٣/٤، والإيضاح للقزويني، ص ١٦٦. وفي الديوان «خبيئة» مكان «سلافة»، وفي سائر المصادر «سبيئة» مكان «سلافة». وقد يقعُ منسوبًا للنابغة الذُّبيانيّ، كما في ملحق ديوانه ٢٢٧؛ وشرح الحماسة للمرزوقيّ، ١٥٧٠/٤.

٢ ديوان حسان بن ثابت، ١٧/١.

٣ ر: نافع.

٤ ر: المبيوع.

قلتُ: معناه: أنهم جعلوه لهم أُعْجوبةً يتعجَّبون منها، ونَصَبوه علَمًا لهم يُوجِّهون نحوَه استهزاءَهم وإنكارَهم، وليس في "عندَ الناس" هذا المعنى الذي تعجَّبوا منه: أن يوحَى إلى بَشر، وأن يكون رجلًا من أَفْناء رِجالهم دون عظيمٍ من عُظمائهم، فقد كانوا يقولون: العجبُ أن الله لم يجد رسولًا يُرسلُه إلى الناس إلَّا يتيمَ أبي طالب! وأنْ يَذكرَ لهم البعثَ ويُنذرَ بالنار ويُبشِّرَ بالجنَّةِ.

وكلُّ واحد من هذه الأمور ليس بعجَبٍ؛ لأن الرسلَ المبعوثين إلى الأمم لم يكونوا إلَّا بشرًا مثلَهم، وقال الله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء ٩٥/١٧]، وإرسالُ الفقير أو اليتيم ليس بعجَبٍ أيضًا؛ لأن الله تعالى إنما يختارُ مَن استَحَقَّ الاختيار؛

قلنا: ليس المبدل منه في حكم المطروح والمُهدَر حتّى يلزم ما ذكرتُم وإن كان المقصود هو الثاني، قال المصنِّف في **المفصّل**: «قولهم: إنّه في حكم تنحية الأوّل إيذانٌ منهم باستقلاله بنفسه ومفارقتِه التأكيد والصفة في كونهما تتمّتين لِما يتبعانه، لا أن يَعنوا إهدارَ الأول واطّراحه، ألا تراك تقول: "زيد رأيتُ[١] غلامه رجلًا صالحًا"، فلو ذهبت تُهدِر الأوّل لم يسدّ كلامك».[٢]

قوله: (**وليس في[٣] "عند الناس" هذا المعنى**) أي: لو قال: "عند الناس" لم يُفد هذا المعنى. وقوله: (**وأن يكون رجلًا**) الضمير في "يكون" للبشر الموحى إليه. وقوله: (**مِن أفناء رجالهم**)[٤] هو مِن أفناء الناس إذا لم يُعلم ممّن هو، جمع "فَنًى" بوزن "فتًى"، أو جمع "فِناء" بوزن "فِداء"، وهو الناحية مِن الناس.

قوله: (**وكلّ واحد مِن هذه الأمور**) الجملة عطف على جملة قوله: (**الذي[٥] تعجّبوا**) إلى آخره.

---

١ ن – رأيت.
٢ المفصَّل للزمخشري، ص ١٥٧.
٣ ر – في.
٤ ر: رخالهم.
٥ ن ر: والذي.

لجَمْعه أسبابَ الاستقلال بما اختيرَ له من النبوَّة والغنى، والتقدُّمُ في الدنيا ليس من تلك الأسباب في شيء: ﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ﴾ [سبأ ٣٤/٣٧]، والبعثُ للجزاء على الخير والشرِّ هو الحكمةُ العُظمى فكيف يكون عجبًا؟ إنما العجَبُ العجيبُ والمُنكَر في العقول تعطيلُ الجزاء.

﴿أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ ﴿أَنۡ﴾ هي المفسِّرة؛ لأن الإيحاء فيه معنى القول، ويجوز أن تكون المخفَّفةُ من الثقيلة، وأصله: أنه أنذر الناس، على معنى: أن الشأنَ قولُنا: ﴿أَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾.

و﴿أَنَّ لَهُمۡ﴾ الباءُ معه محذوفٌ.

﴿قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾؛ أي: سابقةً وفضلًا ومنزلةً رفيعةً.

فإن قلتَ: لمَ سُمِّيت السابقةُ قدَمًا؟

قلتُ: لمَّا كان السعيُ والسَّبقُ بالقَدَم سُمِّيت المَسْعاةُ الجمِيلةُ والسابقةُ قدَمًا؛ كما سُمِّيت النِّعمةُ يدًا؛ لأنها تُعطَى باليد، وباعًا؛ لأن صاحبها يَبُوعُ بها،

قوله: (بما اختير له مِن النبوّة) الباء صلة (الاستقلال) مِن قولهم: استقلّه، أي: حمله. و"مِن النبوّة" بيان "ما"،[1] والضمير المستتر في "اختير" يعود إلى "مَن"، وفي "له" إلى "ما".

قوله: (والغنى) مبتدأ، وقوله: (ليس) إلى آخره، خبره.

قوله: (﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم﴾ [سبأ ٣٤/٣٧]) هذه للاستشهاد.[2]

قوله: (أي: سابقةً) أي: مرتّبة سابقة.[3]

قوله: (قلتُ: لمّا كان السعي) إلى آخره، وجهُ العلاقة في الكلّ الآليّة: أطلق في المجموع اسمَ آلة حصول الشيء على الشيء، فإنّ القدم آلة للسعي الجميل، واليد والباع آلة للنعمة، وأمثال هذا تعود إلى إطلاق اسم السبب على المسبَّب.

---

١ ر: بيان.

٢ ر: الاستشهاد.

٣ ر + باع الفرس في الجري بعد الخطو.

فقيل: لفلانٍ قَدَمٌ في الخير، وإضافتُه إلى ﴿صِدْقٍ﴾ دالَّةٌ على زيادة فضلٍ وأنه من السوابق العظيمة.

وقيل: مُقامَ صدقٍ.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾: إنَّ هذا الكتابَ وما جاء به محمدٌ ﴿لسحر﴾.

ومَن قرأ: ﴿لَسَٰحِرٌ﴾ فـ﴿هَٰذَا﴾ إشارةٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو دليل عجزهم واعترافهم به، وإن كانوا كاذبين في تسميته سحرًا.

وفي قراءة أبيّ: "ما هذا إلا سحر".

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾

﴿يُدَبِّرُ﴾: يقضي ويُقدِّر على حسَب مقتضَى الحكمة، ويَفعلُ ما يَفعلُ المتحرِّي

قوله: (وقيل: مقام صدقٍ) عطف على قوله "أي: سابقةً"، وهو بمعنى منزلة رفيعة، سواء قرئ بفتح الميم أو ضمّها، لأنّ الموضع الذي يقوم فيه الشخص أو يُقام[١] هو منزلته، على أنّ العبارتين مختلفتان.

قوله: (﴿يُدَبِّرُ﴾ يقضي[٢] ويقدِّر)، يعني أنّ معنى يدبّر: يقضي ويقدّر[٣] على حسب مقتضى الحكمة، بطريق الاستعارة، وذلك بأنْ[٤] نقول: شبّه قضاؤه وتقديره على حسب الحكمة بفعل مَن يدبّر، ثمّ أطلِق التدبير وأريدَ القضاء والتقدير على حسب الحكمة، ثمّ قيل: "يدبّر" وأريد يقضي ويقدّر بالحكمة وعلى حسب الحكمة، فيكون استعارة تبعيّة، وإنّما حَمَله على ذلك المعنى؛ لأنّه لا يمكن أن يكون المراد بالتدبير معناه الحقيقيّ؛ لأنّ معنى التدبير تحرّي[٥] الصواب، أي: طلبه بطريق التكلُّف، وذلك بالنظر[٦] في عواقب الأمور وأدبارها حذرًا مِن لُحوق المكروه، وهذا المعنى في حقّه تعالى مُحال: لعلمه أزلًا وأبدًا

---

[١] ن: مقام.
[٢] ر: يقتضي.
[٣] ر - يعني أنّ معنى يدبّر يقضي ويقدّر.
[٤] ر: فإن.
[٥] ر: مجرى.
[٦] ر: النظر.

للصواب، الناظرُ في أَدبار الأمور وعواقبها لئلا يَلقاه ما يكرهُ آخِرًا.

و﴿ٱلْأَمْرَ﴾: أمرُ الخلق كلِّه، وأمرُ ملكوت السماوات والأرض والعرش.

فإن قلتَ: ما موقعُ هذه الجملة؟

قلتُ: قد دلَّ بالجملة قبلها على عظمةِ شأنه ومُلكه بخلقِ السماوات والأرض مع بَسْطتِها واتِّساعها في وقتٍ يَسيرٍ، وبالاستواء على العرش، وأَتْبَعها هذه الجملةَ لِزيادة الدلالة على العظمة، وأنه لا يخرج أمرٌ من الأمور من قضائه وتقديره، وكذلك قولُه: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ دليلٌ على العزة والكبرياء؛ كقوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [النبأ ٧٨/٣٨].

بجميع الكائنات، وامتناعِ لُحوق الضرر به، واستحالةِ لقائه المكروه، عظُم شأنه وعزّ سلطانه.

قوله: (وهو دليل عجزهم)؛ لأنّهم لمّا تُحدُّوا بقوله تعالى: ﴿الٓر﴾ ولم يُمكنهم المعارضة قالوا: "هذا سِحر"، ولذلك لم يمكن لكلّ أحد معارضته،[١] فقد اعترفوا بالعجز عن المعارضة وإن كذبوا في تسميتهم سحرًا، وقد علموا أنّ مثل ذلك لا يكون سحرًا، لكن ديدن العاجز المبهوت أن يعتمد[٢] على الكذب والبهت ودفعِ الواضحات.

قوله: (فإن قلتَ: ما موقع هذه الجملة؟) يريد قوله:[٣] ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾.

قوله: (بخَلْق السماوات والأرض) يجوز أن يكون "بخلق السماوات والأرض" بدلًا مِن (بالجملة قبلها)، فكأنّه قال: دلّ بذِكر خَلْق السماوات والأرض. وحاصل الجواب أنّه بيان للجملة الأولى. هذا بيان كلام المصنِّف رحمه الله. ويقول أضعف عباد الله تعالى أحمد بن الحسن الجاربردي: يحتمل عندي أن يقال: تلك الجملة لبيان القدرة، وهذه الجملة لبيان العِلم، وأنّ أفعاله تعالى مُحكمَة متقَنة، والله أعلم.

---

[١] ر: معارضيه.

[٢] ن: يقدر.

[٣] ر + أن.

و﴿ذَٰلِكُمُ﴾ إشارةٌ إلى المعلوم بتلك العظمة؛ أي: ذلك العظيمُ الموصوف بما وُصف به هو ربُّكم، وهو الذي يستحقُّ منكم العبادةَ.

﴿فَاعْبُدُوهُ﴾ وحده ولا تُشْركوا به بعضَ خلقه مِن مَلَكٍ أو إنسان، فضلًا عن جمادٍ لا يَضُرُّ ولا ينفعُ.

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فإنَّ أدْنى التفكُّرِ والنَّظر يُنَبِّهكم على الخطأ فيما أنتم عليه.

﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ④﴾

﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾؛ أي: لا تُرجعون في العاقبة إلّا إليه فاستعِدُّوا لِلِقائه.

﴿وَعْدَ اللَّهِ﴾ مصدرٌ مؤكِّدٌ لقوله: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾، و﴿حَقًّا﴾ مصدرٌ مؤكِّدٌ لقوله: ﴿وَعْدَ اللَّهِ﴾.

﴿إِنَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ استئنافٌ معناه التعليلُ لوجوب المرجع إليه،

ولمّا ذكر تعالى القدرة على ابتداء الخلق وإنشائه وأتبعه ذِكر علمه

[٣٩٣و] وحكمته ذَكَر الإعادة بقوله: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾. / ثمّ أشار بقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ إلى أنّه لا يصلح للربوبيّة إلّا القادر على البدء والإعادةِ والعالِم بجميع الأشياء. اللّهمّ إنّا نسألك زيادةَ الاطلاع على دقائق فرقانك العظيم وحقائقِ قرآنك الكريم بمنّك وجُودك يا أرحم الراحمين.

قوله: (لا يَضرّ) صفة (جمادٍ).[١]

[٣٦٦و] / قوله: (و﴿حَقًّا﴾ مصدر مؤكِّد) وإنّما كان هذا مؤكِّدًا؛ لأنّ ما وعد الله تعالى واقعٌ لا محالةَ؛ لأنّه لا يخلف الميعاد.

قوله: (استئناف) وجهُ الاستئناف أن نقول: كأنّ سائلًا سأل فقال: لِمَ وجب الرجوع إليه للجزاء؟ فقيل: لأنّه يبدأ الخلق ثمّ يعيده للدلائل الدالّة على ذلك،

---

١ هنا ينتهي السقط من د.

وهو أن الغرضَ ومقتضى الحكمةِ بابتداء الخلق وإعادته هو جزاءُ المكلَّفين على الأعمال.

وقرئ: ﴿أنه يبدَأُ الخلقَ﴾ بمعنى: لأنه، أو هو منصوبٌ بالفعل الذي نَصَبَ ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: وَعَد اللهُ وَعْدًا إبْداءَ الخلق ثم إعادَتَه، والمعنى: إعادةَ الخلقِ بعد بَدْئه.

وقرئ: "وَعَد اللهُ" على لفظ الفعل.

و: "يُبدئ" من أبدأ.

ويجوز أن يكون مرفوعًا بما نَصَب ﴿حَقًّا﴾؛ أي: حقَّ حقًّا بَدْءُ الخلق؛ كقوله:

أحقًّــا عبــادَ الله أنْ لســتُ جائيًــا ولا ذاهبًــا إلّا علــيَّ رقيـــبُ

وقرئ: "حقٌّ أنه يبدأُ الخلقَ"؛ كقولك: حقٌّ أن زيدًا منطلقٌ.

﴿بِٱلْقِسْطِ﴾: بالعدل، وهو متعلِّق بـ"يَجْزِي"، ....

ولا فائدةَ[١] للبدء والإعادة إلّا المجازاة، أي: الرجوع للجزاء، فلولا الرجوع للجزاء لم يكن للبدء والإعادة فائدة. هذا تقرير كلام المصنِّف. ويمكن أن يقال: إنّه تأكيد للرجوع إليه كقوله تعالى: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ [النساء ١٢٢/٤].

قوله: (والمعنى)... إلخ، يدفع سؤال مَن يقول: بدء الخلق قد وقع في الزمان الماضي فكيف يكون موعودًا؟ فأشار إلى جوابه بأنّ المراد منه الإعادة بعد البدء، فكأنّه قيل: وَعَد إعادة الخلق بعد بدئه.[٢]

قوله: (وقرئ: "وَعَدَ اللهُ"[٣] على لفظ الفعل) والقراءة بلفظ الفعل تؤيِّد نصب قوله: (﴿أَنَّهُ يَبْدَأُ﴾)[٤] بالفتح.

قوله: (كقوله: أحقًّا[٥] عبادَ الله) البيت، وبعده:

---

١ ر: قابلة.

٢ ر: مدة.

٣ قراءة شاذّة، مرويّة عن أبي عبد الرحمن السُّلمي. المغني في القراءات للنَّوْزاوازي، ص ٩٤٨.

٤ قرأ بها أبو جعفر. النشر لابن الجزري، ٢٨٢/٢.

٥ ر: أحق.

والمعنى: ليَجزيَهم بقسطه ويُوفِّيَهم أجورَهم.

أو: بقِسْطهم، وبما أقسطوا وعَدَلوا ولم يَظلموا حين آمنوا وعملوا صالحًا؛ لأنّ الشرك ظلمٌ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان ١٣/٣١] والعُصاةُ: ظُلّامُ أنفسِهم.

وهذا أوجهُ؛ لمقابلةِ قوله: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٥﴾

الياء في ﴿ضِيَآءً﴾ مُنقلبةٌ عن واوِ «ضَوْءٍ» لكسرةِ ما قبلها، وقرئ: "ضئاء"

ولا زائـرًا[١] فـردًا ولا فـي جماعـةٍ ... مِـن النـاس إلّا قيـل أنـت مريـبُ[٢]

قوله: (والمعنى: ليجزيَهم بقسطه) أي: الألف واللام عوض مِن المضاف إليه، و"بقسطه"، أي: بعدل الله تعالى، والباء على هذا كما في "ضربتُ بالسَّوط" وعلى الثاني للسببيّة. وقوله: (وبما أقسطوا) بيان (بقسطهم).[٣]

قوله:[٤] (لأنّ الشِّرك ظلم) بيان وجه القسط، أي: العدل بإيمانهم، فإنّه لمّا صحَّ أن يقال للشرك: "ظلم"[٥] صحَّ أن يقال للإيمان: "عدل". ثمّ قرّر ذلك بقوله:[٦] "هذا أوجه"، فإنّه لمّا قال في الآخر: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾ صحَّ وحسُن أن يكون المعنى[٧] هنا[٨] "بما كانوا يؤمنون".

قوله: (وهذا أوجه) أي: تفسير قوله تعالى:[٩] ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ بقولنا: "بقسطهم" أوجَهُ مِن تفسيره بقولنا: بقسطه تعالى.

---

١ ر: رابوا.

٢ البيتان لابن الدمينة في ديوانه، ص ١٠٣، وفيه «ولا ماشيًا وحدي» مكان «ولا زائرًا فردًا»؛ وهما له في التذكرة الحمدونية لابن حمدون، ١٦٨/٦؛ والدرّ الفريد لابن أيدمر، ١٠٢/٥؛ ونُسبا لمجنون ليلى، في ديوانه، ص ٤٥.

٣ ر + أوجَهُ مِن تفسيره بقولنا: بقسطه.

٤ ر + تعالى.

٥ ر – بيان وجه القسط، أي: العدل بإيمانهم، فإنّه لمّا صحَّ أن يقال للشرك: "ظلم".

٦ ر: لقوله.

٧ ر: لمعنى.

٨ ر: ههنا.

٩ ن – تعالى.

بهمزتين بينهما ألفٌ على القلب بتقديم اللام على العين؛ كما قيل في عَاقَ: عَقا.

والضياء أقْوى من النور.

﴿وَقَدَّرَهُۥ﴾: وقَدَّرَ القمرَ، والمعنى: وقدَّر مسيرَه ﴿مَنَازِلَ﴾، أو: قدَّره ذا منازِلَ؛ كقوله: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَـٰهُ مَنَازِلَ﴾ [يس ٣٦/٣٩].

﴿وَٱلْحِسَابَ﴾: وحسابَ الأوقات؛ من الشهور والأيَّام واللَّيالي.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى المذكور؛ أي: ما خَلقَه ﴿إِلَّا﴾ مُلْتبِسًا ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ الذي هو الحكمةُ البالغةُ ولم يَخلُقْه عَبَثًا.

وقرئ: ﴿يُفَصِّلُ﴾ بالياء.

﴿إِنَّ فِى ٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ۝٦﴾

خصَّ المتقين؛ لأنهم يَحْذَرون العاقبةَ فيدعوهم الحذرُ إلى النظرِ والتدبُّر.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَـٰتِنَا غَـٰفِلُونَ ۝٧ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٨﴾

﴿لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾: لا يتوقَّعونه أصلًا ولا يُخْطِرونه ببالهم لغفلتهم المستوليَةِ عليهم، المُذهِلَةِ باللَّذات وحُبِّ العاجل عن التفطُّنِ للحقائق.

قوله:[1] (بتقديم العين[2] على اللام)،[3] يعني: قدّم الهمزة على الواو فصار "ضِئاوًا"، ثمّ قُلبت الواو همزة لوقوعها طرفًا بعد ألف[4] زائدة.

قوله: (في عاق) عاقه يعوقه عوقًا،[5] أي: حبسه وصرفه عنه.[6]

قوله: (لا يتوقَّعونه أصلًا)... إلخ، الفرقُ بين الوجوه أنّ الأوّل عامّ ولذلك قال: "أصلًا"، والثاني والثالث خاصّ.

---

[1] ر – (وهذا أوجه) أي: تفسير قوله تعالى: ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ بقولنا: "بقسطهم" أوجَهُ مِن تفسيره بقولنا: بقسطه تعالى. قوله.

[2] في مطبوع الكشّاف وما راجعته من أصوله: اللام.

[3] في مطبوع الكشّاف وما راجعته من أصوله: العين.

[4] ر: الألف.

[5] ن – عوقًا.

[6] انظر: الصحاح للجوهري، «عوق».

أو: لا يأمُلونَ حُسنَ لقائنا كما يأمُله السُّعداءُ.

أو: لا يخافون سُوءَ لقائنا الذي يجب أن يُخافَ.

﴿وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ من الآخرة، وآثروا القليلَ الفانيَ على الكثير الباقي؛ كقوله: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْآخِرَةِ﴾ [التوبة ٣٨/٩].

﴿وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا﴾: وسكنوا فيها سكونَ مَن لا يُزْعَجُ عنها، فبَنَوْا شديدًا وأمّلوا بعيدًا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٩﴾

﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾: يُسَدِّدُهم بسببِ إيمانهم للاستقامة على سلوك السبيل المؤدِّي إلى الثواب، ولذلك جُعل ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ بيانًا له وتفسيرًا؛ لأن التمسُّك بسبب السَّعادة كالوصول إليها.

قوله: (يُسدِّدهم) «التسديد:[١] التوفيق للسداد، وهو: الصواب والقصد مِن القول والعمل. ورجل مُسدَّد إذا كان يعمل بالسداد والقصد».[٢]

قوله: (ولذلك جُعل[٣] ﴿تَجْرِى﴾)، يعني: ولأجل أنّ معنى ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾: يسدِّدهم، أي: يوفِّقهم بسبب إيمانهم للاستقامة على فعل الطاعات المؤدِّي إلى الجنّة جُعل ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ بيانًا لقوله: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾، فكأنّه قيل: هم في الجنّات بجَعْل أسباب دخول الجنّة كدخول الجنّة. والحاصل أنّ المراد بقوله: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾: في الجنّة لاشتغالهم بالطاعات. ودلَّ على أنّ المعنى هذا قوله تعالى: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾. فهذا معنى كونه بيانًا له. ونظيره في جعل التمسُّك بسبب السعادة كالوصول إلى السعادة / قوله عليه السلام[٤] في حقِّ مَن يعود المريض: [٣٦٦ظ]

---

[١] ر: التشديد.

[٢] الصحاح للجوهري، «سدد».

[٣] ر – جعل.

[٤] ن ر: صلّى الله عليه وسلّم.

ويجوز أن يريد: يهديهم في الآخرة بنور إيمانهم إلى طريق الجنَّة؛ كقوله: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ [الحديد ١٢/٥٧]، ومنه الحديث: «إن المؤمن إذا خرج من قبره صُوِّر له عملُه في صورةٍ حسنةٍ، فيقول له: أنا عملُك، فيكون له نورًا وقائدًا إلى الجنَّة، والكافرُ إذا خرج من قبره صُوِّر له عملُه في صورةٍ سيئةٍ، فيقول له: أنا عملُك، فينطلقُ به حتى يُدخلَه النارَ».

فإن قلتَ: فلقد دلَّت هذه الآية على أن الإيمان الذي يَستحِقُّ به العبدُ الهدايةَ والتوفيقَ والنورَ يوم القيامة هو إيمانٌ مقيَّدٌ، وهو الإيمانُ المَقْرُونُ بالعمل الصالح، والإيمانُ الذي لم يُقرَنْ بالعمل الصالح فصاحبُه لا توفيقَ له ولا نورَ.

قلتُ: الأمرُ كذلك، ألا تَرَى كيف أوقَعَ الصلةَ مجموعًا فيها بين الإيمان والعمل؛ كأنه قال: إن الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، ثم قال: ﴿بِإِيمَٰنِهِمْ﴾؛ أي: بإيمانهم هذا المضمومِ إليه العملُ الصالحُ، وهو بيِّنٌ واضحٌ ولا شُبهةَ فيه.

«لم يَزَل في خُرفة الجنَّة»،[1] أي: في ثمار الجنَّة. وقوله[2] تعالى: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ حال.

قوله: (ويجوز أن يريد: يهديهم) عطف على قوله: "يُسدِّدهم".

قوله:[3] (لا توفيقَ له) مناسب للتفسير الأوّل وهو قوله: "يسدِّدهم"... إلخ.[4] وقوله: (ولا نورَ) مناسب للتفسير الثاني، وهو قوله: "ويجوز أن يريد"... إلخ.[5]

قوله: (أي: بإيمانهم هذا المضموم) يشير المصنِّف بهذا الكلام إلى أنّ الإيمان المجرّد لا يفيد لصاحبه نورًا يوم القيامة ولا توفيقًا في الدنيا، وهو مذهب المعتزلة. وأما عند أهل السنّة والجماعة فالإيمان المجرّد نافع،

[1] مسند أحمد، ٧٢/٣٧ (٢٢٣٨٩)؛ صحيح مسلم، ١٩٨٩/٤ (٢٥٦٨)؛ سنن الترمذي، ٢٩١/٢ (٩٦٧).

[2] ر: قوله.

[3] ر - (ويجوز أن يريد: يهديهم) عطف على قوله: (يُسدِّدهم). قوله.

[4] ن: أه.

[5] ن: أه.

﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٠﴾

﴿دَعْوَىٰهُمْ﴾: دُعاؤُهم؛ لأنَّ ﴿ٱللَّهُمَّ﴾ نداءٌ لله، ومعناه: اللّٰهمَّ إنّا نُسَبِّحُك، كقول القانِتِ في دعاء القُنوت: اللّٰهمَّ إياك نعبدُ، ولك نصلِّي ونسجد.

ويجوز أن يراد بالدعاء: العبادةُ ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [مريم ٤٨/١٩]، على معنى: أنْ لا تكليف في الجنَّة ولا عبادةَ، وما عبادتُهم إلا أن يسبِّحوا الله ويُحَمِّدوه، وذلك ليس بعبادةٍ وإنما يُلهَمونَه فيَنطقون به تلذُّذًا بلا كُلفةٍ؛ كقوله: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال ٣٥/٨].

ويكون لصاحبه توفيق[١] ونور،[٢] وهذه الآية تدل على مذهب أهل السنّة والجماعة؛ لأنّه تعالى لمّا قال: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾ عُلم أنّ المفيد للنور هو الإيمان، وهو الأصل المعتبر، وبسبب العمل يزيد النور ويقوى، كما قال تعالى:[٣] ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر ١٠/٣٥]. وأمّا تفسيره قوله:[٤] ﴿بِإِيمَٰنِهِمْ﴾ بالإيمان المضموم إليه العمل الصالح فممّا لا[٥] دلالة للفظ[٦] عليه.

قوله: (ومعناه: اللّٰهمّ إنّا نُسبِّحك) أي: معنى ﴿سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾.

قوله: (﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ﴾ [مريم ٤٨/١٩]) هذه الآية استشهاد على أنّ الدعاء بمعنى العبادة.

قوله: (وذلك ليس بعبادة)، يعني أنّ هذا ليس عبادة، وإنّما يُسمّى عبادة لقيامه مقامَ العبادة، كما أنّ المُكاء والتصدية ليس صلاةً، لكن سُمّي بها لكونه قائمًا مقامَها. والمُكاء فُعال مِن مَكا يمكو، أي: صَفَر.[٧] والتصدية: التصفيق،[٨] تَفْعِلة[٩] مِن الصدا،

---

١ ر: نور.

٢ ر: وتوفيق. | انظر: الإرشاد للجويني، ص ٣٩٧.

٣ ر – تعالى.

٤ ن ر + تعالى.

٥ د ر – لا.

٦ د ر: اللفظ.

٧ انظر: الصحاح للجوهري، «مكا».

٨ انظر: الصحاح للجوهري، «صدا».

٩ ر: ففعله.

﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ﴾: وخاتمةُ دعائهم الذي هو التسبيحُ ﴿أَنِ﴾ يقولوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

ومعنى: ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾: أن بعضهم يُحيّي بعضًا بالسلام.

وقيل: هي تحيَّةُ الملائكةِ إياهم؛ إضافةٌ للمصدر إلى المفعول.

وقيل: تحيَّةُ الله لهم.

و﴿أَنِ﴾ هي المخفَّفةُ من الثقيلة، وأصله: أنَّه الحمدُ لله، على أن الضمير للشأن؛ كقوله:

أَنْ هـالـكٌ كـلُّ مَـن يَـحْفَـى ويَـنـتَـعِـلُ

وقرئ: "أنَّ الحمدَ لله" بالتشديد ونصبِ "الحمد".

﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾﴾

أصله: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ﴾ تعجيلَه لهم الخيرَ، فوَضع ﴿ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ﴾ موضع "تعجيلَه لهم الخيرَ" ....

أو مِن صدّ يصدُّ. والمعنى أنّهم وضعوا المكاء والتصدية موضع الصلاة، وذلك أنّهم يطوفون عُراة الرجال والنساء وهم مُشبِّكون بين أصابعهم يصفِرون فيها ويصفِّقون، أي: يضربون إحدى اليدين على الأخرى.

قوله: (كقوله: أنْ هالكٌ)[1] البيت، أوّله:

فـي فِـتـيـة كـسـيـوف الـهـنـد قـد عـلـمـوا

ورجـل حـافٍ بيّـن الحِفْيـة والحِفْـوة والحَفـاء بالمـدّ، وقـد حفـيَ[2] يحفـى:[3]

---

[1] البيت من معلّقة الأعشى، وهو في ديوانه، ص ٥٩، ورواية العجز فيه:
أن ليس يدفع عن ذي الحيلة الحِيَلُ
وهو بالرّواية ههنا في كتاب سيبويه، ١٣٧/٢؛ وشرح القصائد العشر للتبريزي، ص ٤٢٩. وانظر تفصيل الكلام على الروايتين في خزانة الأدب للبغدادي، ٣٩٠/٨-٣٩١.

[2] ر: خفى.

[3] ر: يخفي.

إشعارًا بسُرعة إجابته لهم وإسعافه بطَلِبَتهم حتّى كأنَّ استعجالَهم بالخير تعجيلٌ لهم، والمرادُ أهلُ مكة وقولُهم: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال ٣٢/٨]، يعني: ولو عجّلنا لهم الشرَّ الذي دعَوْا به كما نُعجِّل لهم الخيرَ ونُجيبُهم إليه ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾: لأُمِيتوا وأُهلِكوا.

وهو الذي يمشي بلا خُفّ ولا نعل. فأمّا الذي يحفى مِن كثرة المشي، أي: رقّت قدمه أو حافره فإنّه حَفِ[١] بيّن الحفا مقصورًا.[٢]

قوله: (وإسعافهم) «أسعفتُ الرجل بحاجته[٣] إذا قضيتَها له. والإسعاف:[٤] المُواتاة».[٥]

قوله: (حتّى كأنّ استعجالهم)...[٦] إلخ، أي: كما استعجلوا عُجِّلوا بلا تأخير.

قوله: (كما نُعجِّل[٧] لهم الخيرَ) أي: الخير الذي دعوا به، فحذف المصنِّف صفة "الخير" لدلالة قوله: (ونُجيبهم إليه) عليه، وهذا يدلُّ على أنّ التقدير كما كتبنا[٨] في الحاشية.

قوله[٩] تعالى: (﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾) قضى إليه، أي: وصّاه وأعلمه وإنهاء[١٠] الحياة. والقضاء يكون بمعنى الفراغ،[١١] تقول: قضيتُ حاجتي. وضربه فقضى عليه، أي: قتله. وسمٌّ قاضٍ، أي: قاتل.[١٢] وقضى نحبه، أي: مات. وقد يكون بمعنى الأداء تقول: قضيتُه[١٣] دَيني،[١٤] وهو في هذا الموضع بمعنى الأداء والأجل، هو[١٥] الجزء الأخير مِن الوقت المضروب / لعمرهم وحياتهم. ولذلك [٣٦٧و]
قال المصنِّف: (لماتوا).[١٦]

---

١ ر: خفٍ.
٢ من قوله: "ورجل" إلى هنا بلفظ قريب في الصحاح للجوهري، «حفا».
٣ ر: بخاصة.
٤ ر: بالإسعاف.
٥ الصحاح للجوهري، «سعف».
٦ ر: استجعالهم.
٧ ر: تجعل.
٨ ن: كتبها.
٩ ر – (ونُجيبهم إليه) عليه، وهذا يدلُّ على أنّ التقدير كما كتبنا في الحاشية. قوله.
١٠ د ن ر: وأنهاه.
١١ ن: الفراع.
١٢ ر: قاض.
١٣ ر: قضيت.
١٤ من قوله: "والقضاء" إلى هنا بلفظ قريب في الصحاح للجوهري، «قضا».
١٥ ر: وهو.
١٦ في مطبوع الكشّاف وما راجعته من أصوله: لأُميتوا.

وقرئ: ﴿لقَضَى إليهم أجلَهم﴾ على البناء للفاعل، وهو الله تعالى، وتَنصرُه قراءةُ عبد الله: "لقضَيْنا إليهم أجلَهم".

فإن قلتَ: فكيف اتَّصل به قولُه: ﴿فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ وما معناه؟

قلتُ: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ﴾ متضمِّنٌ معنى نفي التعجيل؛ كأنه قيل: ولا نُعجِّلُ لهم الشرَّ ولا نقضي إليهم أجلَهم فنذرُهم ﴿فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾؛ أي: فنُمهِلُهم ونُفيضُ النعمةَ عليهم مع طُغيانهم إلزامًا للحجَّة عليهم.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ١٢﴾

﴿لِجَنۢبِهِۦٓ﴾ في موضع الحال بدليل عطفِ الحالين عليه؛ أي: دعانا مضطجِعًا ﴿أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا﴾.

فإن قلتَ: فما فائدةُ ذكر هذه الأحوال؟

قلتُ: معناه: أن المضرورَ لا يزال داعيًا لا يَفتُر عن الدعاء حتى يزولَ عنه الضُّرُّ، فهو يدعونا في حالاته كلِّها: كان مُنبطِحًا عاجزَ النَّهْضِ ....

قوله: (كأنَّه قيل)؛ وذلك لأنَّ "لو" كما يدلُّ على الربط بين الشيئين[١] يدلُّ على انتفاء الجزء الثاني ويلزم منه انتفاء[٢] الجزء الأوّل، ولذلك لم نذكر المقدِّمة الثانية مع "لو" غالبًا، كقوله تعالى:[٣] ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء ٢١/٢٢]، والتقدير: وما فسدتا فلا يكون فيهما آلهة إلّا الله.

قوله: (بدليل عطف) أي: بدليل قوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران ٣/١٩١]، أي:[٤] مضطجعين.

قوله: (قلتُ: معناه) أجاب عن السؤال بذِكر المعنى فاندفع السؤال.

قوله: (منبطِحًا) «بَطَحه: ألقاه على وجهه،[٥] فانبطح».[٦]

---

١ ر: السببين.
٢ ن: الانتفاء.
٣ ن: يقال.
٤ ر - أي.
٥ ن: همته.
٦ الصحاح للجوهري، «بطح».

متخاذلَ النَّوْءِ، أو كان قاعدًا لا يقدر على القيام، أو كان قائمًا لا يُطيقُ المَمْشَى والمضطرَبَ، إلى أن يَخِفَّ كلُّ الخفَّةِ ويُرزَق الصحةَ بكمالها والمَسْحَةَ بتمامها.

ويجوز أن يراد أنَّ من المضرورين مَن هو أشدُّ حالًا وهو صاحبُ الفِراش، ومنهم مَن هو أخفُّ وهو القادر على القعود، ومنهم المستطيعُ للقيام، وكلُّهم لا يستغْنون عن الدعاء واستدفاعِ البلاء؛ لأنَّ ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ للجنس.

﴿مَرَّ﴾؛ أي: مَضَى على طريقته الأُولى قبل مسِّ الضُّرِّ، ونَسي حالَ الجَهْدِ، أو: مرَّ عن موقف الابتهال والتضرُّع لا يرجعُ إليه كأنَّه لا عهد له به.

﴿كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ﴾: كأنَّه لم يَدْعُنا، فخُفِّف وحُذف ضميرُ الشأن، قال:

كـــــأنْ ثَـــــدْيـــــاه حُـــــقَّـــــانِ

قوله: (متخاذِل النَّوْء) أي: منقطِع النَّوء أو ضعيفه. والنَّوء:[1] النهوض بالثقل، أي: بالجهد والمشقَّة. يقال: تخاذلت رجلاه، أي: ضعُفتا. وتخاذلوا، أي: خَذَل بعضهم بعضًا. وخذله[2] خذلانًا، أي: تَرَك عونه[3] ونصرته.[4] ومعنى متخاذِل النَّوء أنَّه[5] إذا أراد النهوض بالثقل لا يُساعده النَّوء، بل النَّوء يخذل بعضُ أفراده[6] بعضًا.

قوله: (والمَسحة) يقال: «على فلان مَسحة مِن جمال».[7]

قوله: (لأنَّ ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ للجنس) وإذا كان للجنس[8] يصلح؛[9] لأن يشمل جميع المضرورين.[10]

قوله: (كأنْ ثدياه حُقّانِ):

ونـــحـــرٍ مُـــشْـــرِق الـــلـــون "كـــأنْ ثـــديـــاه حُـــقّـــانِ"[11]

---

[1] ن – أي: منقطِع النَّوء أو ضعيفه. والنَّوء. | وهي مستدركة على الهامش من غير تصحيح.

[2] ن: وخذلني.

[3] ن: عوني.

[4] ن: ونصرتي.

[5] ن: أني.

[6] ن: أقران.

[7] الصحاح للجوهري، «مسح».

[8] ر – وإذا كان للجنس.

[9] ر: صلح.

[10] ن: المقرورين.

[11] ر: خفان. | والشعر لا يُعرف قائله. وهو بلا عزو في كتاب سيبويه، ١٣٥/٢؛ ومعاني القرآن للأخفش، ٣٧٠/١؛ والصحاح للجوهري، «أنن». وصدره فيها:

ووجـــهٍ مُـــشْـــرِق الـــنـــحـــرِ

﴿كَذَٰلِكَ﴾: مِثْلَ ذلك التزيينِ ﴿زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ زيَّن الشيطانُ بوسوسته، أو الله تعالى بِخذلانه وتَخْليَته.

﴿مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ من الإعْراض عن الذِّكر واتِّباع الشهوات.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾﴾

﴿لَمَّا﴾ ظرفٌ لـ﴿أَهْلَكْنَا﴾ والواو في ﴿وَجَآءَتْهُمْ﴾ للحال؛ أي: ظلموا بالتكذيب وقد جاءتْهم رسُلُهم بالحُجَج والشواهد على صدقهم وهي المُعجزات.

وقوله: ﴿وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ﴾ يجوز أن يكون عطفًا على ﴿ظَلَمُواْ﴾ وأن يكون اعتراضًا، واللام لتأكيد النفي، يعني: وما كانوا يؤمنون حقًّا؛ تأكيدًا لنفي إيمانهم، وأن الله قد علِم منهم أنهم مُصرُّون على كُفْرهم، وأن الإيمانَ مُسْتبعَدٌ منهم، والمعنى: أن السَّببَ في إهلاكهم تكذيبُهم الرسلَ وعلمُ الله أنه لا فائدةَ في إمهالهم بعدَ أن أُلزموا الحجَّةَ ببعْثَةِ الرسل.

﴿كَذَٰلِكَ﴾: مِثْلَ ذلك الجزاءِ -يعني: الإهلاكَ- ﴿نَجْزِى﴾ كلَّ مُجرمٍ، وهو وعيدٌ لأهل مكَّة على إجرامهم بتكذيب رسول الله، وقرئ: "يجزي" بالياء.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ﴾ الخطابُ للَّذين بُعث إليهم محمدٌ صلى الله عليه وسلم؛ أي: استَخْلَفْناكم في الأرض بعد القرون التي أهلكنا ﴿لِنَنظُرَ﴾ أتعملون خيرًا أم شرًّا، فنُعامِلَكم على حَسَب عملكم.

ويُروى: كأنْ ثدييه.

قوله: (كلِّ مجرم) «جَرَم[1] وأجرَم واجترم بمعنًى».[2]

---

[1] ر – جرم.

[2] الصحاح للجوهري، «جرم».

و﴿كَيْفَ﴾ في محلِّ النَّصب بـ﴿تَعْمَلُونَ﴾ لا بـ"نَنْظُرَ"؛ لأن معنى الاستفهام فيه يحجُبُ أن يتقدَّم عليه عاملُه.

فإن قلتَ: كيف جاز النظرُ على الله تعالى وفيه معنى المقابلة؟

قوله: (و﴿كَيْفَ﴾ في محلّ النصب) ﴿كَيْفَ﴾ في محلّ النصب[١] على الحال مِن فاعل ﴿تَعْمَلُونَ﴾، و﴿نَنظُرَ﴾ بمعنى نعلم، أي: لنعلم جواب كيف تعملون، كما ذكر سيبويهِ في قولك: "علمتُ أزيد عندك أم عمرو"، والمعنى: علمتُ جواب ذلك.[٢] وبيان هذا المعنى أنّ الرسل إذا قالوا للقوم: كيف تعملون؟ أتعملون[٣] الخير أم الشرّ مثلًا؟ أو أتقبلون[٤] كلامنا وتُجيبوننا وتدخلون في الدِّين أم لا؟ فهم يجيبون عن قول الأنبياء: إمّا بالقول بأن يقولوا:[٥] "سمعنا وأطعنا"، وإمّا بالفعل بأن يشتغلوا[٦] بالعمل. هذا إذا دخلوا في الإيمان، وأمّا إذا لم يدخلوا فجوابهم أيضًا إمّا بالقول أو بالفعل. وعلى أيّ وجه كان فلا بدّ مِن[٧] حصول جواب لقولهم: ﴿كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾، فيعلم الله تعالى ذلك الجواب[٨] واقعًا بالفعل حاصلًا بعد ما علم أنّه سيحصل، ويئول حاصل المعنى إلى: إنّا جعلناكم خلائف لنعلمَ ما تجيبون به الأنبياء مِن قولهم: "كيف تعملون؟". ثمّ[٩] لمّا كان ﴿نَنظُرَ﴾ هنا بمعنى "نعلم"[١٠] يكون معلَّقًا عن العمل فيما بعده، أو في الكلام حذف،[١١] أي: لننظر فنعلم كيف تعملون.

قوله: (وفيه معنى المقابلة) إنّما كان فيه معنى المقابلة؛ لأنّ النظر: تقليب الحَدَقة[١٢] نحو المرئيّ التماسًا لرؤيته. وهو مع اقتضائه[١٣] المقابلة يقتضي الحَدَقة[١٤] وتقليبها،[١٥] والله تعالى شأنه متعالٍ عن ذلك مُنزَّه عن صفة[١٦] المخلوقين.

---

١ ر – كيف في محل النصب.
٢ انظر: كتاب سيبويه، ١/٢٣٦.
٣ ر: أوتعملون.
٤ ر: تقبلون.
٥ ر: يقول.
٦ ر: يستعملوا.
٧ ر – من.
٨ ر – الجواب.
٩ ن – ثم.
١٠ ر: لتعلم.
١١ ن: حتف.
١٢ ن: الحدقتي.
١٣ ن: اقتضائي.
١٤ ن: الحدقي.
١٥ ر: وتغليبها.
١٦ ن: صنع.

قلتُ: هو مستعارٌ للعلم المحقَّقِ الذي هو العلمُ بالشيء موجودًا، شُبِّه بنظر الناظر وعِيَانِ المعاين في تحقُّقه.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ١٥﴾

غاظَهم ما في القرآن من ذمِّ عبادة الأوثان والوعيد للمشركين فقالوا: ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ﴾ آخرَ ليس فيه ما يَغِيظُنا من ذلك نتَّبعْكَ.

﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾ بأنْ تجعلَ مكان آيةِ عذابٍ آيةَ رحمةٍ وتُسقطَ ذكرَ الآلهة وذمَّ عبادتها.

فأُمر بأنْ يُجيبَ عن التَّبديل؛ لأنه داخلٌ تحت قدرة الإنسان، وهو أن يَضَعَ مكان آيةِ عذابٍ آيةَ رحمةٍ مما أُنزل، وأن يُسقط ذكرَ الآلهة، وأمَّا الإتيانُ بقرآنٍ آخرَ فغيرُ مقدورٍ عليه للإنسان.

﴿مَا يَكُونُ لِيٓ﴾: ما ينبغي لي وما يَحِلُّ؛ كقوله: ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [المائدة ٥/١١٦].

﴿أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ﴾: من قِبَلِ نفسي -وقرئ بفتح التاء- من غير أن يأمُرني بذلك ربِّي.

﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾: لا آتي ولا أَذَرُ شيئًا من نحوِ ذلك إلَّا متَّبعًا لوحي الله وأوامره؛ إنْ نُسخَتْ آيةٌ تبِعتُ النسخَ، وإِن بُدِّلَتْ آيةٌ مكانَ آيةٍ تبِعْتُ التبديلَ، وليس إليَّ تبديلٌ ولا نسخٌ.

قوله: (مِن ذلك) "مِن"[1] بيان "ما" و"ذلك" إشارة إلى الذمّ والوعيد.

قوله: (فغيرُ مقدور عليه للإنسان) فلذلك لم يحتج إلى الجواب عنه.[2]

قوله: (مِن نحو ذلك) أي: الذمّ والوعيد.

قوله: (إن نُسخت)... إلخ، بيان لقوله: (لا آتي)... إلخ.

---

١ ر - من.

٢ ن: عن.

﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي﴾ بالتبديل والنسخِ من عند نفسي ﴿عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾.

فإن قلتَ: أمَا ظهَرَ وتبيَّنَ لهم العجزُ عن الإتيان بمثل القرآن حتى قالوا: ﴿ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ﴾؟

قلت: بلى، ولكنَّهم كانوا لا يعترفون بالعجز، وكانوا يقولون: ﴿لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ﴾ [الأنفال ٣١/٨]، ويقولون: ﴿ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ فينسُبونه إلى الرسول ويَزعُمونَه قادرًا عليه وعلى مثله، مع علمهم بأن العربَ مع كثرةِ فصحائها وبلغائها إذا عجزوا عنه كان الواحد منهم أعجَزَ.

فإن قلتَ: لعلَّهم أرادوا: ﴿ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُ﴾ من جهة الوحي كما أتيتَ بالقرآن من جهته، وأراد بقوله: ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ﴾: ما يتسهَّلُ لي وما يُمكنني أن أُبدِّله.

قلتُ: يَردُّه قوله: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي﴾.

فإن قلتَ: فما كان غرضُهم -وهم أدهَى الناسِ وأنكرُهم- في هذا الاقتراح؟

قلتُ: الكيدُ والمكر، أمَّا اقتراحُ إبدالِ قرآنٍ بقرآنٍ ففيه: أنه من عندك، وأنك قادرٌ على مثله، فأبدِلْ مكانه آخرَ، وأمَّا اقتراحُ التبديلِ والتغيير فللطَّمع ولاختبار الحال، وأنه إنْ وُجد منه تبديلٌ فإما أن يُهلكَه الله فينجُوا منه، أو لا يُهلكَه فيَسخروا منه ويجعلوا التبديلَ حجةً عليه وتصحيحًا لافترائه على الله.

﴿قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٦﴾

[٣٦٧ظ] قوله: (وأنكرُهم) النكر / بالفتح: الدهاء، وبالضمّ: الأمر المُنكَر. قال عليه السلام: «موارَبة[١] الأريب دهاء ونُكر»،[٢] وفلان يُوارب صاحبه[٣] إذا دهاه. والأريب: الفطِن.

---

[١] ر: مواريب.

[٢] ما وقفت عليه فيما بين يديّ من المظانّ.

[٣] ن: صاحبي.

﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ يعني: أن تلاوتَه ليست إلَّا بمشيئةِ الله وإحداثه أمرًا عجيبًا خارجًا عن العادات، وهو أن يَخرج رجلٌ أميٌّ لم يتعلَّمْ ولم يستمِعْ ولم يُشاهِدِ العلماءَ ساعةً من عُمره، ولا نشأ في بلدٍ فيه علماءُ، فيَقرأَ عليكم كتابًا فصيحًا يَبهَرُ كلَّ كلام فصيح، ويعلو على كلِّ منثورٍ ومنظوم، مشحونًا بعلومٍ من علوم الأصول والفروع، وأخبارٍ مما كان وما يكون، ناطقًا بالغيوب التي لا يعلمُها إلَّا الله، وقد بلغَ بين ظهرانَيْكم أربعين سنةً تطَّلعون على أحواله ولا يخفى عليكم شيءٌ من أسراره، وما سمعتُم منه حرفًا من ذلك، ولا عَرَفَه به أحدٌ من أقرب الناس منه وألصَقِهم به.

﴿وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾ ولا أَعْلَمُكم به على لساني، وقرأ الحسن: "ولا أدْراتُكم به" على لغةِ مَن يقول: أَعْطاتُه وأرضاتُه، في معنى: أعطيتُه وأرَضيتُه، ....

قوله: (وإحداثه)[١] إشارة إلى مذهبه، وهو أنَّ القرآن محدَث، وعند أهل السنّة والجماعة المُنزَل محدَث، وأمّا الذي هو صفة[٢] الله تعالى فقديم. في هذه الحاشية نظر؛ لأنّه بيّن قوله:[٣] (أمرًا عجيبًا) بقوله: (وهو أن يخرج)... إلخ، ولا تعلّق له بالقرآن.

قوله: (على لغة مَن يقول: أعطاتُه[٤] وأرضاتُه)،[٥] يعني: على لغة مَن يقلب حرف العلّة الساكنة المفتوح ما قبلها ألفًا. وذكر الواحديّ في الوسيط في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ [طه ٢٠/٦٣] أنّه قال ابن عبّاس رضي الله عنه:[٦] إنّه لغة بلحارث بن كعب.[٧] ثمّ قال:

> إجماع النحويين أنّ[٨] هذه لغة حارثيّة، وذلك أنّ بلحارث بن كعب وخثعمًا وزُبيدًا وقبائل مِن اليمن يجعلون ألف اثنين[٩] في الرفع والنصب والخفض على لفظ واحد، يقولون: أتاني الزيدان، ورأيت الزيدان،

---

[١] ن: وإحداثي.
[٢] ن: صنع.
[٣] ر: فرح.
[٤] ن: أعطاني.
[٥] ن: وأرضاني.
[٦] د – رضي الله عنه.
[٧] انظر: الوسيط للواحدي، ٣/٢١١ (طه، ٢٠/٦٣).
[٨] د ن ر: على.
[٩] ن: آيتين.

وتَعْضُدُه قراءةُ ابن عباس: "ولا أنذرتُكم به".

ورواه الفراء: "ولا أَدْرَأْتُكم به" بالهمز، وفيه وجهان:

أحدهما: أن تُقلَبَ الألف همزةً؛ كما قيل: لبَأْتُ بالحج، ورثَأْتُ الميّت؛ وذلك لأن الألف والهمزةَ من وادٍ واحد، ألا ترى أن الألف إذا مسَّتها الحركةُ انقلبَتْ همزةً.

والثاني: أن يكون من درأتُه: إذا دفعتَه، وأدْرأتُه: إذا جعلتَه دارئًا، والمعنى: ولا جعَلْتُكم بتلاوته خُصَمَاء تَدْرؤونني بالجدال وتكذِّبونني.

وعن ابن كثير: ﴿ولَأَدْرَاكم به﴾ بلام الابتداء لإثبات الإدْراء، ومعناه: ......

ومررت بالزيدان، وذلك أنّهم[1] يقلبون كلّ ياء ساكنة انفتح ما قبلها ألفًا، فعاملوا ياء التثنية[2] هذه المعاملة، كما قال قائلهم:

أيَّ قلوصِ راكبٍ تراها طاروا علاهنَّ فطِرْ[3] علاها[4]

وهذه ليست ياء التثنية، ولكن لمّا كان اللام في "علاهنّ" مفتوحًا قلبوها ألفًا، وحكى هذه اللغة جميع النحويين.[5]

قوله: ("وَلَا أَنْذَرْتُكُمْ")[6] الإنذار: الإعلام مع التخويف. وقوله: (ورواه الفرّاء) أي: روى الفرّاء قوله:[7] ("أَدْرَأْتُكُمْ")[8] عن الحسن.

قوله: (لبَأْتُ بالحجّ) وحلّأتُ[9] السويق.

قوله: (﴿وَلَأَدْرَاكُمْ﴾)،[10] أي: لأعلمكم.

---

[1] ن: أتم.

[2] ن: النفية.

[3] ن: نطر؛ ر: نظر.

[4] لبعض أهل اليمن في النوادر لأبي زيد، ص ٢٥٩، وفيه «فشُلْ» مكان «فطِرْ»؛ وبلا عزو بالرّواية ههنا في ما يجوز للشاعر في الضرورة للقزّاز القيرواني، ص ٣٥٤؛ وانظر تفصيل الكلام عليه في خزانة الأدب للبغدادي، ١١٣/٧-١١٦.

[5] انظر: الوسيط للواحدي، ٢١١/٣ (طه، ٦٣/٢٠).

[6] قراءة شاذّة، مرويّة عن شهر بن حوشب وابن مسعود وأُبيّ بن كعب. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٩٥٢.

[7] ن: قولي.

[8] قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن وشيبة وابن سيرين. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٩٥٢.

[9] د: خلّات؛ ن: خلّأت.

[10] قرأ بها قنبل والبزي بخلاف عنه. النشر لابن الجزري، ٢٨٢/٢.

لو شاء اللهُ ما تلوتُه أنا عليكم ولأعلَمَكم به على لسانِ غيري، ولكنَّه يَمُنُّ على مَن يشاء من عباده، فخصَّني بهذه الكرامة ورآني لها أهلًا دون سائر الناس.

﴿فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا﴾ وقرئ: "عُمْرًا" بالسكون، يعني: فقد أقَمتُ فيما بينكم يافِعًا وكَهْلًا فلم تعرفوني مُتعاطيًا شيئًا من نحوه، ولا قدرتُ عليه، ولا كنتُ متواصَفًا بعلمٍ وبيانٍ فتتَّهموني باختراعه.

﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ فتعلموا أنَّه ليس إلَّا من الله لا مِن مِثْلي.

وهذا جوابٌ عمَّا دَسُّوه تحت قولهم: ﴿ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ﴾ من إضافةِ الافتراء إليه.

﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ١٧﴾

﴿مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ يحتمِل أن يريدِ افتراء المشركين على الله في قولهم: إنه ذو شريكٍ وذو ولد، وأن يكون تفاديًا مما أضافوه إليه من الافتراء.

﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٨﴾

﴿مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ﴾: الأوثان التي هي جماداتٌ لا تقدرُ على نفعٍ ولا ضرٍّ.

قوله: (متواصَفًا) يقال: تواصفوا الشيء مِن الوصف.

قوله: (عمّا دسُّوه) «دسستُ الشيء في التراب: أخفيتُه فيه. والدسيس: إخفاء المكر».[1]

قوله: (مِن إضافة[2] الافتراء)[3] بيان لقوله: "عمّا دسُّوه".

قوله: (الأوثان) نصب الأوثان؛ لأنّه[4] بيان ما لا يضرُّه، وهو مفعول ﴿يَعۡبُدُونَ﴾.[5]

---

[1] الصحاح للجوهري، «دسس».
[2] ن: إضافي.
[3] ن: للافتراء.
[4] ن: لأني.
[5] ن: يعبدور.

وقيل: إن عَبَدوها لم تنفَعْهم، وإن تركوا عبادتَها لم تضرُّهم، ومن حقِّ المعبود أن يكون مُثيبًا على الطاعة معاقِبًا على المعصية، وكان أهلُ الطائف يعبدون اللاتَ وأهلُ مكةَ العُزَّى ومَنَاة وهُبَلَ وإِسافًا ونَائلةَ.

﴿و﴾ كانوا ﴿يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند ٱللَّه﴾، وعن النَّضر بن الحارث: إذا كان يومُ القيامة شفعَتْ لي اللاتُ والعُزَّى.

﴿أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾: أتُخبِرونه بكونهم شفعاءَ عنده، وهو إِنْباءٌ بما ليس بمعلومٍ لله، وإذا لم يكن معلومًا له -وهو العالمُ الذات المحيطُ بجميعِ المعلومات- لم يكن شيئًا؛ لأن الشيء ما يُعلَم ويُخبَر عنه، فكان خبرًا ليس له مخبَرٌ عنه.

فإن قلتَ: كيف أنبؤوا اللهَ بذلك؟

قلتُ: هو تهكُّمٌ بهم وبما ادَّعوه من المحال الذي هو شفاعةُ الأصنام، وإعلامٌ بأن الذي أنبؤوا به باطلٌ غيرُ مُنطوٍ تحت الصِّحةِ؛ فكأنَّهم يخبرونَه بشيء لا يتعلَّق به علمُه؛ كما يُخبِرُ الرجلُ الرجلَ بما لا يعلمه.

وقرئ: "أَتُنْبِئون" بالتخفيف.

وقوله: ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ تأكيدٌ لنفيه؛ لأن ما لم يوجَدْ فيهما فهو مُنْتَفٍ معدومٌ.

﴿يُشْرِكُونَ﴾ قرئ بالتاء والياء، و"ما" موصولةٌ أو مصدريَّة؛ أي: عن الشركاء الذين يشركونهم به، أو: عن إشراكهم.

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ حُنفاءَ متَّفِقِينَ على ملَّة واحدةٍ من غيرِ أن يختلفوا بينهم، وذلك في عهد آدم حتى قَتل قابِيلُ هابيلَ.

قوله: (العالم الذات) وعند أهل السنّة: بعلمه وعلمه قائم بذاته.[1]

---

[1] ن: بذاتي.

وقيل: بعد الطوفان حين لم يَذرِ اللهُ من الكافرين ديارًا.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ وهو تأخيرُ الحُكم بينهم إلى يوم القيامة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ عاجلًا فيما اختلفوا فيه، ولمُيّزَ المحِقُّ من المبطل، وسَبْقُ كلمته بالتأخير لحكمةٍ أوجبَتْ أن تكون هذه الدار دارَ تكليف وتلك دارُ ثواب وعقاب.

﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ۝٢٠﴾

وقالوا لو أنزل عليه آية من ربّه، أرادوا: آيةً من الآيات التي كانوا يقترحونها، وكانوا لا يعتدُّون بما أُنزل عليه من الآيات العظام المتكاثرةِ التي لم يُنزَلْ على أحد من الأنبياء مثلُها، وكفى بالقرآنِ وحده آيةً باقيةً على وجه الدهر بديعةً غريبةً في الآيات، دقيقةَ المَسلك من بين المعجزات، وجعلوا نزولَها كَلَا نزولٍ، فكأنّه لم ينزل عليه آيةٌ قط، حتى قالوا: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ﴾ واحدةٌ من ربه، وذلك لفَرْط عنادهم وتماديهم في التمرُّد وانْهماكِهم في الغيّ.

﴿فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ أي: هو المختصُّ بعلم الغيب المستأثِرُ به، لا علم لي ولا لِأحدٍ به، يعني: أن الصارفَ عن إنزال الآيات المقترحَة أمرٌ مُغيَّبٌ لا يعلمُه إلَّا هو.

قوله: (ديَارًا) أي: أحدًا يقال: ما بالدار ديَّار، أي: أحد، وهو فَيْعال مِن دار يدور، وأصله[١] دَيْوار.

قوله: (وقالوا لو أنزل عليه آية) في المصحف: ﴿وَيَقُولُونَ﴾،[٢] لكنّ الثابت في الكشّاف: "قالوا"؛ لأنه لم يُورد لفظ القرآن؛ بل أورد[٣] المعنى، ولذلك عطف عليه قوله: (وكانوا)، و(جعلوا).

قوله: (وكفى بالقرآن)... إلخ، جملة معترضة.[٤]

قوله: (وانهماكهم) انهمك الفرس في سيره، أي: لجّ.

---

[١] ن: وأصلي.

[٢] ر – قوله: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ﴾ في المصحف ويقولون.

[٣] ن: أوره.

[٤] ن: معرضتي.

﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ نزولَ ما اقترحْتُموه ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ﴾ لِمَا يفعلُ الله بكم لعِنادكم وجحودكم الآيات.

﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ ٢١﴾

سلَّط الله القحطَ سبع سنين على أهل مكة حتى كادوا يَهْلِكون، ثم رحمهم بالحَيَا، فلما رحمهم طَفِقوا يَطْعنون في آيات الله ويُعادُون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويَكيدونه.

و"إذا" الأولى للشرط والأخيرةُ جوابُها وهي للمفاجأة.

والمكرُ: إخفاء الكيد وطيُّه، من الجارية الممكورة المطويَّةِ الخَلْق.

ومعنى ﴿مَسَّتۡهُمۡ﴾: خالطَتْهم حتى أحسُّوا بسوءِ أثرها فيهم.

فإن قلتَ: ما وصَفهم بِسُرعة المكر فكيف صحَّ قولُه: ﴿أَسۡرَعُ مَكۡرًا﴾؟

قوله: (﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ نزول) على ما ذكره المصنِّف مِن التفسير يكون قوله تعالى: ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ بطريق التهكُّم، أو يكون بطريق التهديد، مثل قوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾ [فصلت ٤١/٤٠]. وقوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ [الكهف ١٨/٢٩]. وقيل معناه: فانتظروا نزول العذاب.

قوله: (وهي للمفاجأة) أي: فاجاءوا في وقت الإذاقة وقتَ المكر فانتصب كلا الطرفين بـ"فجاءوا"، والطرف[١] الثاني مفعول به، ولزم عمل المفاجأة فيه في جميع المواضع، ولذا سُمِّيت "إذا" المفاجأة.

قوله: (مِن الجارية المَمكورة)[٢] قال ذو الرُّمَّة:

[٣٦٨و] / عجزاءُ مَمكورةٌ[٣] خُمصانةٌ[٤] قَلِقٌ عنها الوشاحُ وتمّ الجسمُ والقصبُ[٥]

---

[١] ن: والطوف.

[٢] ن: المهكورة.

[٣] ر: وممكورة.

[٤] ن: خمصانتي.

[٥] البيت لذي الرُّمّة في ديوانه بشرح الباهلي، ٢٨/١؛ وهو له في مقاييس اللغة لابن فارس، ٢٣/٤ >

قلتُ: بلى دلَّت على ذلك كلمةُ المفاجأة؛ كأنه قال: وإذا رحمناهم من بعدِ ضرَّاء فاجؤوا وقوعَ المكر منهم وسارَعوا إليه قبل أن يغسلوا رؤوسَهم من مسِّ الضرَّاء، ولم يتلبَّثوا ريثَما يُسيغون غُصَّتَهم، والمعنى: أن الله تعالى دبَّر عقابَكم، وهو مُوقِعُه بكم قبل أن تُدَبِّروا كيف تعملون في إطفاء نور الإسلام.

﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ﴾ إعلامٌ بأنَّ ما تظنُّونه خافيًا مَطْويًّا لا يخفَى على الله وهو منتقِمٌ منكم.

وقرئ ﴿تَمۡكُرُونَ﴾ بالتاء والياء، وقيل: مكرُهم قولهم: سُقِينا بنَوْء كذا،

قوله: (قلتُ: بلى) أي: بلى وَصَفهم بها. وقوله: (دلّت) جملة مستأنفة لبيان وَصْفهم.

قوله: (ريثما) الرَّيث مصدر قولك: راث فلان[1] علينا يَريث رَيثًا: أبطأ، و"ما" مصدريّة، أي: ريثَ إساغة غُصّتهم.

قوله: (والمعنى أنّ الله تعالى) لمّا بيَّن أنّ كلمة المفاجأة دلّت[2] على مسارعتهم في المكر أشار إلى معنى ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًا﴾.

قوله: (مَطْويًّا) إشارة إلى ما ذكر مِن أنّ في المكر معنى الطيّ.[3]

قوله: (قولهم: "سُقينا بنَوْء كذا") النَّوْء: سقوط[4] نجم مِن المنازل في المَغرب مع الفجر وطلوع رقيبه مِن المشرق، يقابله مِن ساعته في كلّ ليلة إلى ثلاثةَ عشرَ يومًا. قال أبو عبيد: ولم نسمع في النَّوْء أنّه السقوط إلّا في هذه المواضع. وكانت العرب تُضيف الأمطار والرياح والبرد إلى الساقط منها في سلطانه. وقال الأصمعيّ: إلى الطالع منها فتقول: مُطرنا[5] بنَوء كذا.[6]

> «عجز»؛ والموازنة للآمدي، ١٤٩/١. وقال الباهلي في شرحه: «الممكورة: الحسنة طيّ الخَلْق. وخمصانة: ضامرة البطن. وقلق عنها الوشاح: وإنّما يقلق من ضُمر البطن. والقصب: كلّ عظم فيه مخّ فهو قصبة والجميع قَصَب».

١ ن: فلا.

٢ ن: دأب.

٣ ر: الظن.

٤ ر: وسقوط.

٥ ن: حطرنا.

٦ من قوله: "النوء: سقوط" إلى هنا بلفظ قريب في الصحاح للجوهري، «نوأ».

وعن أبي هريرة: إن الله ليُصبِّحُ القوم بالنِّعمة ويُمسِّيهم بها، فتُصبح طائفةٌ منهم بها كافرين يقولون: مُطِرنا بنَوْء كذا.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾

قرأ زيد بن ثابت: ﴿يَنشُرُكُمْ﴾، ومثلُه قوله: ﴿فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الجمعة ١٠/٦٢] ﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ [الروم ٢٠/٣٠].

فإن قلتَ: كيف جُعِل الكونُ في الفُلْك غايةً للتسيير في البحر، والتسييرُ في البحر إنما هو بالكون في الفُلك؟

قلتُ: لم يُجعلِ الكونُ في الفلك غايةً للتسيير، ولكنْ مضمونُ الجملة الشرطية الواقعةِ بعد ﴿حَتَّىٰٓ﴾ بما في حيِّزها، كأنَّه قيل: يُسيِّركم حتّى إذا وقعت هذه الحادثةُ فكان كيت وكيت: من مجيء الريح العاصف، وتراكُم الأمواج، والظنِّ للهلاك، والدعاء بالإنجاء.

قوله: (قرأ[١] زيد بن ثابت: ﴿يَنْشُرُكُمْ﴾)،[٢] أي: مكان[٣] ﴿يُسَيِّرُكُمْ﴾.

قوله: (غايةً للتسيير) في قوله: ﴿يُسَيِّرُكُمْ﴾، وهي مستفادة[٤] مِن كلمة ﴿حَتَّىٰٓ﴾.

قوله: (كأنّه قيل: يُسيّركم) إنّما لم يقيِّد[٥] المصنِّف التسيير بقوله: "في البحر" ولا قوله: "يُسيِّر به"؛ لأنّ المذكور في السؤال هو التسيير في البحر، والمراد بـ"التسيير" وبـ"يُسيّر" هنا هو التسيير المذكور في السؤال. ثمّ قال المصنِّف: (حتّى إذا وقعت هذه الحادثة) أي: الكون في البحر والجري بهم بريح طيبة والفرح، فأشار المصنِّف بقوله: "هذه الحادثة" إلى هذه الأمور،[٦] وبقوله: (وكان كيتَ وكيتَ)

---

[١] ن: قوا.

[٢] قرأ بها ابن عامر وأبو جعفر. السبعة لابن مجاهد، ص ٣٢٥؛ النشر لابن الجزري، ٢٨٢/٢.

[٣] ن: وكان.

[٤] ن: مستعارة.

[٥] ن: لغته؛ ر: يفيد.

[٦] ن: بلأمور.

فإن قلتَ: ما جواب ﴿حَتَّىٰٓ﴾؟

قلتُ: ﴿جَآءَتۡهَا﴾.

فإنْ قلتَ: فـ﴿دَعَوُاْ﴾؟

قلتُ: بدلٌ من ﴿ظَنُّوا﴾؛ لأنَّ دعاءهم من لوازم ظنِّهم الهلاكَ فهو ملتبِسٌ به.

فإن قلتَ: ما فائدةُ صرفِ الكلام عن الخطاب إلى الغيبة؟

قلتُ: المبالغةُ؛ كأنَّه يَذكر لغيرهم حالَهم ليُعجِّبَهم منها ويستدعي منهم الإنكارَ والتقبيح.

فإن قلتَ: ما وجهُ قراءة أمِّ الدرداء: "في الفلكيِّ" بزيادة ياءي النسب؟

قلتُ: هما زائدتان كما في الخارجيِّ والأحمريِّ، ....

إلى ما ذُكر في الجزاء، ليُشير إلى أنّ مضمون الشرط والجزاء غاية، فأشار إلى مضمون الشرط وعَطَف عليه مضمون الجزاء. وقد بسط هذا[1] المعنى وبيَّنه فيما قبل بيانًا شافيًا، وأشار هنا إلى ذلك.

قوله: (**فإن قلتَ: فـ﴿دَعَوُاْ﴾؟**) أي: إذا كان جواب ﴿إِذَآ﴾ هو قوله: ﴿جَآءَتۡهَا﴾ فما[2] موقع قوله: ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ﴾؟

قوله: (**قلتُ: بدل مِن ﴿ظَنُّوٓاْ﴾**) بدل اشتمال.[3]

قوله: (**ليُعجِّبهم[4] منها**) الضمير مِن "يعجِّبهم"[5] و(**منهم**) يعود إلى غيرهم، إذ المراد به الكثرة.

قوله: (**كما في الخارجيّ**) يقال: فرس خارج وخارجيّ، أي: نادر. وقال[6] في الصحاح: «الخارجيّ: الذي[7] يسود بنفسه مِن غير أن يكون له قدم».[8] وقال المرزوقي في شرح قول الشاعر:

---

١ ن: هذه.
٢ ن: كما.
٣ ن: للاستهال؛ ر: للأسرى.
٤ ن: لتعجيبهم.
٥ ن: تعجيبهم.
٦ ن ر: قال.
٧ ن: النبي.
٨ الصحاح للجوهري، «خرج».

ويجوز أن يرادَ به اللُّجُ والماء الغَمْرُ الذي لا يجري الفلكُ إلّا فيه.

والضميرُ في ﴿جرَيْن﴾ للفُلكِ؛ لأنّه جمعُ فُلْك؛ كالأُسْد في فَعَلٍ أَخِي فُعْل، وفي قراءة أمّ الدرداء للفُلك أيضًا؛ لأن "الفُلكِيَّ" يدلُّ عليه.

مِن الصبح حتّى تغرب الشمسُ لا ترى مِـن الـقـوم إلّا خـارجـيًّـا مُـسـوَّمـا[١]

قوله: (ويجوز أن يراد[٢] به اللجّ)،[٣] فعلى[٤] هذا سُمّي ذلك الموضع فُلكيًا نسبة إلى الفُلك؛ لأنّ الفُلك لا تجري إلّا فيه.

قوله: (لأنّه جمع فُلك) قال رحمه الله:[٥] في القصريّات[٦] عن أبي عليّ الفارسيّ أنّ[٧] الضمّة في "فُعْل" لثقلها بمنزلة الفتحتين في "فَعَل" فلذلك آخَوا بينهما وجمعوا فُعْلًا على فُعْل كما جمعوا فَعَلًا على فُعْل.

قوله: (وفي قراءة أمّ الدرداء) عطف على محذوف، أي: الضمير[٨] في ﴿جَرَيْنَ﴾ لـ﴿ٱلْفُلْكِ﴾ في القراءة المشهورة وفي قراءة. قال رحمه الله:[٩] هذا كقوله:

إذا زُجِـــر الـسـفـيـهُ جـــرى إلـيـه[١٠]

أي: إلى السَّفَه؛ لأنّ "السفيه"[١١] يدلُّ عليه، فاستغنى عن ذِكر السَّفَه بذِكر "السفيه".

---

[١] البيت للحُصين بن الحُمام المُري في المفضّليّات للضبّي، ص ٦٥؛ ومنتهى الطلب لابن ميمون، ٥٣/١؛ وعجزه فيهما:
لَدنْ غدوةً حتّى أتى الليل ما ترى
وهو له بالرّواية ههنا في شرح الحماسة للمرزوقي، ٣٨٨/١. لم يأتِ في النُّسخ ما قاله المرزوقي في شرح البيت على ما وعد به الجاربردي، فلعلّه سقط منها، أو سها عن ذِكره. والظاهر أنّه يريد ما ذكره في معنى الخارجيّ في البيت، وهو قوله فيه: «فلا ترى من الخيل إلّا ما خرج بنفسه لا أوّليّة له كمثله».

[٢] ن: ير إلى.

[٣] ر: للج.

[٤] ن: فعل.

[٥] ن ر: رضي الله عنه. | المقصود هنا الزمخشري، كما صرّح بذلك الطِّيبي في فتوح الغيب، ٤٥٩/٧، ونقل هذا الكلام بنصّه، فالظاهر أنّه حاشية للزمخشري.

[٦] هذا الكتاب ممّا لم يُوقَف عليه من تراث أبي عليّ الفارسي.

[٧] ن: أين.

[٨] ر: الضد.

[٩] ن ر: رضي الله عنه.

[١٠] ر – جرى إليه. | وما عرفتُ قائل الشعر. ومضى بتخريجه في تفسير البقرة، ٩٦/٢.

[١١] ر + لأن السفيه.

﴿جَآءَتۡهَا﴾: جاءتِ الريحَ الطيّبةَ؛ أي: تلقَّتْها، وقيل: الضميرُ للفلك.

﴿مِن كُلِّ مَكَانٖ﴾: من جميع أمكنةِ الموج.

﴿أُحِيطَ بِهِمۡ﴾ جُعل إحاطةُ العدوِّ بالحيِّ مَثَلًا في الهلاك.

﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ من غيرِ إشراكٍ به؛ لأنهم لا يَدْعون حينئذ غيرَه معه.

﴿لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا﴾ على إرادة القول، أو لأنَّ ﴿دَعَوُاْ﴾ من جملةِ القول.

﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٣﴾

﴿يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: يُفسِدون فيها ويَعِيثُون مُترافِين في ذلك مُمعِنين فيه، من قولك: «بَغَى الجُرحُ» إذا ترامَى إلى الفساد.

قوله: (وقيل: الضمير لـ﴿ٱلۡفُلۡكِ﴾) / عطف مِن حيث المعنى على قوله: (جاءت الريح)، فكأنّه قال: الضمير للريح[١] وقيل: للفلك. [٣٦٨ظ]

قوله: (﴿أُحِيطَ بِهِمۡ﴾) أي: أُهلكوا.

قوله: (على إرادة القول) أي: القول مقدّر، والتقدير:[٢] يقولون: ﴿لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا﴾. وقوله: (أو لأنّ ﴿دَعَوَا﴾ مِن جملة القول) فلا حاجةَ[٣] إلى تقدير القول.

قوله: (ويعيثون)[٤] العَيث:[٥] الغلوّ في الفساد.

قوله: (مُترافِين) اسم فاعل مِن[٦] الترافي، وهو التوافق، مهموز اللام وناقصًا. والمُرافاة: الاتّفاق. والرِّفاء:[٧] الالتحام والاتّفاق. ذكر الجوهري: الرِّفاء في المهموز، والمرافاة في الناقص.[٨]

قوله: (ممعنين)[٩] أمعَن الفرس في الجري: تبالغ فيه.

---

١ ن ر: الريح.

٢ ر – أي: أُهلكوا قوله: (على إرادة القول) أي: القول مقدَّر، والتقدير.

٣ ن: حاجى.

٤ ر: ويعبثون.

٥ ر: العبث.

٦ ن: في.

٧ ن: والرفاه.

٨ الصحاح للجوهري، «رفا».

٩ ر: فمعنيين.

فإن قلتَ: ما معنى قوله: ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ والبَغْيُ لا يكون بحقٍّ؟

قلتُ: بلى، وهو استيلاء المسلمين على أرض الكفَرة وهَدمُ دورهم وإحْراق زُرُوعهم وقلعُ أشجارهم؛ كما فعَل رسول الله صلى الله عليه وسلم ببني قُرَيظة.

قرئ: ﴿مَتَـٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بالنصب.

فإن قلتَ: ما الفرقُ بين القراءتين؟

قلتُ: إذا رَفعْتَ كان المتاعُ خبرًا للمبتدأ الذي هو ﴿بَغْيُكُمْ﴾ و﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ صلتُه؛ كقوله: ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [القصص ٧٦/٢٨]، ومعناه: إنما بَغْيُكم على أمثالِكُم والذين جنسُهم جنسُكم، يعني: بَغْيُ بعْضِكم على بَعضٍ منفعةُ الحياةِ الدنيا لا بَقاءَ لها.

وإذا نَصَبْتَ فـ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ خبرٌ غيرُ صلةٍ معناه: إنما بغيُكم وَبالٌ على أنفسكم، و﴿مَتَـٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ في موضعِ المصدر المؤكِّد؛ كأنَّه قيل: تتمتَّعون متاعَ الحياة الدنيا.

ويجوز أن يكون الرفعُ على: هو متاعُ الحياة الدنيا، بعد تمامِ الكلام.

قوله: (قلتُ: بلى)[١] قال في الجواب: بلى قد يكون البغي بحقّ. وقوله: (وهو) أي: البغي بالحقّ هو استيلاء المسلمين.

قوله: (ببني[٢] قريظةَ)[٣] فإنَّ[٤] النبيّ عليه السلام[٥] أمر بقطع أشجارهم وهدم دورهم، وذلك مِن قبيل البغي، أي: الفساد في الأرض، وأنزل الله تعالى في بيان أنّ ذلك بحقّ، فقال تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ [الحشر ٥/٥٩].

قوله: (معناه) أي: معنى قوله: ﴿بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾.

قوله: (على:[٦] هو متاع) متعلِّق بمحذوف،[٧] وهو خبر (يكون).

---

١ ن: بل.
٢ ن: بلتي.
٣ ن: قريظ.
٤ ن: قال.
٥ ن ر: صلّى الله عليه وسلّم.
٦ ر – على.
٧ ن: لمحذوف.

وعن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنّه قال: «لا تَمكُرْ ولا تُعِنْ ماكرًا، ولا تَبغِ ولا تُعِنْ باغيًا، ولا تنكُثْ ولا تُعِنْ ناكثًا» وكان يتلوها.

وعنه صلى الله عليه وسلم: «أسرعُ الخير ثوابًا صلةُ الرَّحِم، وأعجلُ الشرّ عقابًا البغيُ واليمينُ الفاجرةُ».

وروي: «ثنتان يُعَجِّلُهما اللهُ في الدنيا: البَغْيُ وعُقوقُ الوالدين».

وعن ابن عباس: لو بَغى جَبَلٌ على جَبَلٍ لدُكَّ الباغي.

وكان المأمونُ يَتمثَّل بهذين البيتين في أخيه:

يا صاحبَ البَغْي إن البغيَ مَصْرعةٌ ... فاربَعْ فخيرُ فَعالِ المرء أَعْدلُهُ

فلو بَغَى جَبَلٌ يومًا على جبلٍ ... لانْدَكَّ منه أعاليهِ وأسفلُه

وعن محمد بن كعب: ثلاثٌ من كنَّ فيه كُنَّ عليه: البغيُ والنكثُ والمكرُ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢٤﴾

قوله: (وكان) أي:[١] النبيّ عليه السلام.[٢] وقوله: (يتلوها) أي: الآية.

قوله: (يعجِّلهما الله) أي: يعجِّل عقابهما.[٣]

قوله: (يا صاحب البغي) البيتين،[٤] (فاربغ) أي: فكفّ،[٥] يقال: رَبَع[٦] يربَع إذا وقف وتحبَّس. ومنه قولهم:[٧] اربع على نفسك، أي: ارفق بها. والفَعال بفتح الفاء: غالب في المكارم، لكنّه استعمله هنا لمجرّد الفعل.

---

١ ن: أن.
٢ ر: صلّى الله عليه وسلّم.
٣ ر: عاقبتهما.
٤ ما عرفت قائلهما. وهما بلا عزو في كتاب الأفعال للسرقسطي، ٤/٩٧.
٥ ر: فلف.
٦ ر: رفع.
٧ ر: لهم.

هذا من التشبيه المركَّب؛ شُبِّهت حالُ الدنيا في سُرعة تَقَضِّيها وانقراضِ نعيمِها بعد الإقبال بحالِ نباتِ الأرض في جَفافه وذهابه حُطامًا بعد ما الْتَفَّ وتكاثَفَ وزيَّن الأرضَ بخُضْرته ورَفيفِه.

﴿فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ﴾: فاشتَبَك بسببه حتى خالَطَ بعضُه بعضًا.

﴿أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ﴾ كلامٌ فصيحٌ: جُعلت الأرضُ آخذةً زُخْرُفَها على التمثيل بالعروس إذا أخذت الثيابَ الفاخرة من كلِّ لونٍ فاكتَسَتْها وتزيَّنت بغيرها من ألوان الزِّيَنِ.

وأصل "ازَّينت": تزيَّنت، فأُدغم، وبالأصل قرأ عبد الله.

وقرئ: "وأَزْيَنَتْ"؛ أي: أفعلَتْ، من غيرِ إعلالِ الفعل كـ«أَغْيَلَتْ»؛ أي: صارت ذاتَ زينةٍ، و: "ازيَانَّتْ" بوزن: ابياضَّتْ.

﴿قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ﴾: متمكِّنون من مَنْفَعتها محصِّلون لثمرتها رافعون لغَلَّتها.

قوله: (حُطامًا) الحُطام: ما يُكسر مِن اليُبس.

قوله: (ورفيفِه)، رفَّ لونه[١] يرفّ رفًّا ورفيفًا،[٢] أي: برق وتلألأ.[٣] رفَّ رفيفًا وكذا وَرَف وريفًا. قال[٤] مجنون يخاطب بعل ليلى:

وهل رفَّت عليك قرونُ ليلى رفيفَ الأقحوانة في نداها
بدينك هل[٥] ضممتَ إليك نُعمى وهل قبَّلت بعد النوم فاها[٦]

أورد[٧] المصنِّف هذا البيت في المفصّل[٨] استشهادًا لمجيء الباء للقسم على سبيل الاستعطاف، أقسم عليه بدينه، وجواب القسم: هل ضممتَ.

قوله: (كـ"أغيَلَت") أغيَلَت المرأة إذا[٩] أرضعت وهي حامل.

---

[١] ن: لوني.
[٢] ر: رفيفًا.
[٣] الصحاح للجوهري، «رفف».
[٤] ن: مال.
[٥] ن: هذا.
[٦] الشعر لمجنون ليلى في ديوانه، ص ٢٢٢؛ وهو له في المفصّل للزمخشري، ص ٤٨٦؛ والتذكرة الحمدونية لابن حمدون، ١٨٤/٦.
[٧] ن: أولا.
[٨] انظر: المفصّل للزمخشري، ص ٤٨٦.
[٩] ر: إذ.

﴿أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا﴾ وهو ضربُ زَرْعها ببعض العاهات بعد أَمْنهم واستيقانهم أنّه قد سَلِم.

﴿فَجَعَلۡنَٰهَا﴾: فجعلنا زَرْعها ﴿حَصِيدٗا﴾: شبيهًا بما يُحصد من الزرع في قَطْعه واستئصاله.

﴿كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ﴾: كأنْ لم يَغْنَ زَرْعُها؛ أي: لم يَلبَث، على حذف المضاف في هذه المواضع، لا بدَّ منه وإلّا لم يَستقِمِ المعنى.

وقرأ الحسن: "كأن لم يَغْنَ" بالياء على أن الضمير للمضاف المحذوف الذي هو الزرع.

وعن مَروان أنه قرأ على المنبر: "كأنْ لم تتغنَّ بالأمس" من قول الأعشى:

طويلُ الثَّواء طويلُ التغَنّ

والأمسُ مَثَلٌ في الوقت القريب؛ كأنَّه قيل: كأنْ لم تَغْنَ آنفًا.

﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٥﴾

قوله: (في هذه المواضع) أي: ﴿عَلَيۡهَآ﴾ و﴿أَتَىٰهَآ﴾ و﴿جَعَلۡنَٰهَا﴾، وكذا الضمير في ﴿تَغۡنَ﴾.

قوله: (قول الأعشى:

طويل الثَّواءِ[1] طويل التغنْ)[2]

لعَمرك ما طولُ هذا الزمنْ على المرءِ إلّا عَناء المُعنْ[3]

أراد "المُعنّى"[4] طرح الياء ثمّ خفّف.

---

[1] ن: الثواية.

[2] عجز بيت للأعشى، في ديوانه، ص ٢٥، وروايته فيه:

وكنتُ امرأً زَمَنًا بالعراق عفيفَ المُناخ طويلَ التغنْ

وهو له بهذه الرواية في الزاهر لابن الأنباري، ٢/٥؛ والبارع للقالي، ص ٤٢١؛ ومقاييس اللغة لابن فارس، ٣٩٨/٤ «غني»؛ وغريب الحديث للهروي، ٣٨٦/١.

[3] هذا مطلع قصيدة الأعشى التي منها البيت السابق، في ديوانه، ص ١٥.

[4] ن: المعنّ.

﴿دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾: الجنّةُ، أضافَها إلى اسمه تعظيمًا لها.

وقيل: "السلامُ": السلامةُ؛ لأنّ أهلها سالمون من كلِّ مكروه.

وقيل: لِفُشُوِّ السلام بينهم وتسليمِ الملائكة عليهم: ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ [الواقعة ٥٦/٢٦].

﴿وَيَهْدِى﴾: ويُوفِّقُ ﴿مَن يَشَآءُ﴾ وهم الذين عَلِم أن اللُّطف يُجدِي عليهم؛ لأن مشيئتَهُ تابعةٌ لحكمته، ومعناه: يدعو العباد كلَّهم إلى دار السلام، ولا يَدخلها إلّا المَهْدِيُّونَ.

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾: المثوبةُ الحُسنَى ﴿وَزِيَادَةٌ﴾: وما يزيد على المثوبة وهي التفضُّل، ويدلُّ عليه قوله: ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء ٤/١٧٣].

قوله: (لأنّ أهلها سالمون) متعلِّق بمحذوف، أي: سمّي[1] دار السلام على هذا لأنّ أهلها. ويجوز أن يكون متعلِّقًا بـ(قيل) أي: ذهب بعضهم إلى هذا القول؛ لأنّ قوله: (لفُشوّ السلام) فيه حذف، أي: قيل: المراد بالسلام معناه المشهور، وهو التحية عند الملاقاة. وذهب بعضهم إلى هذا لفشوّ السلام. و«فشا الخبر يفشو فشوًا، أي: ذاع وانتشر».[2]

[٣٦٩و] قوله: (﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾) استشهاد بقوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ/ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا﴾ [الواقعة ٥٦/٢٥-٢٦].

قوله: (ويوفِّق) فسَّر ﴿يَهْدِى﴾ بـ"يوفِّق". وقوله: (﴿مَن يَشَآءُ﴾) بقوله: (هم الذين)... إلخ، بناءً على مذهبه، وأمّا على[3] مذهب أهل السنّة والجماعة فالهداية بمعناه المعلوم، و﴿مَن يَشَآءُ﴾ مُجرًى على عمومه.

---

[1] ن: ينمي.

[2] الصحاح للجوهري، «فشا».

[3] ر – مذهبه وأمّا على.

وعن عليٍّ رضي الله عنه: الزيادةُ: غُرفةٌ من لُؤلؤةٍ واحدة.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾: الحسنةُ، والزيادةُ: عشر أمثالها.

وعن الحسن: عشرُ أمثالها إلى سبعِ مئةِ ضعفٍ.

وعن مجاهدٍ رضي الله عنه: الزيادةُ مغفرةٌ من الله ورضوانٌ.

وعن يزيد بن شَجَرة: الزيادةُ: أن تَمُرَّ السحابةُ بأهل الجنَّة فتقولَ: ما تريدون أَنْ أُمْطِرَكم؟ فلا يريدون شيئًا إلَّا أَمْطَرَتْهم.

وزعَمَت المُشبِّهَةُ والمُجبرةُ أن الزيادةَ النظرُ إلى وجه الله تعالى، وجاءَتْ بحديثٍ مَرْقُوعٍ: «إذا دخل أهلُ الجنَّة الجنةَ نُودُوا: أن يا أهل الجنَّة، فيُكشَف الحجابُ فينظرون إليه، فوالله ما أَعْطاهم الله شيئًا هو أحبُّ إليهم منه».

قوله: (وعن عليّ رضي الله عنه)[١] رواه الحكم عن عليّ رضي الله عنه،[٢] ولا يصحّ. كذا ذكره ابن الجوزي.[٣]

قوله: (فتقول: ما تريدون) "ما" استفهاميّة وهي مبتدأ، تقديره: أيّ شيء تريدون إمطاره عليكم، فحذف الضمير.

قوله: (بحديث مرقوع) صحّ بالقاف عنده، ومعناه: "مُرقَّع[٤] مفترى"، وأمّا عند أهل السنّة فقد صحّ بالفاء حديث النظر إلى وجه الله تعالى، رواه أبو بكر الصدّيق وأبو موسى الأشعري وحذيفة وابن عبّاس وعكرمة وقتادة والضحّاك وابن أبي ليلى والسدّي ومقاتل، وأورده[٥] مسلم في صحيحه عن[٦] صهيب عن النبيّ عليه السلام،[٧] وأورده البخاري في صحيحه بلا إسناد،[٨] فالحديث[٩] متّفق على صحّته،

---

١ د - رضي الله عنه.

٢ د - رضي الله عنه. | وهو في جامع البيان للطبري، ١٦٢/١٢ (يونس، ٢٦/١٠).

٣ هو في زاد المسير لابن الجوزي، ٣٢٥/٢ (يونس، ٢٦/١٠).

٤ ن: مرقوع.

٥ ر: وأورد.

٦ ر - عن.

٧ ن: صلّى الله عليه وسلّم. | صحيح مسلم، ١٦٣/١ (١٨١).

٨ وذلك في مطلع كلامه على سورة يونس، صحيح البخاري، ٧٢/٦.

٩ ن: فا الحديث.

﴿وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ﴾: لا يَغشاها ﴿قَتَرٌ﴾ غُبْرَةٌ فيها سوادٌ ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾: ولا أثرُ هوانٍ وكُسوفِ بالٍ، والمعنى: لا يَرهَقُهم ما يَرهَقُ أهلَ النَّار؛ إذكارًا بما يُنقِذُهم منه برحمته، ألا ترى إلى قوله: ﴿تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ [عبس ٨٠/٤١] ﴿وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٌ﴾ [يونس ١٠/٢٧].

وهذا الحديث يؤيِّد[1] ما ذهب إليه أهل السنّة. والمصنِّفُ عفا الله عنه طَعَن في الحديث المتّفق على صحَّته لترويج مذهبه[2] الباطل واعتقاده الفاسد، وصحَّف المرفوع فجعله مرقوعًا[3] ليرقع[4] به مذهبه المخروق، هيهاتَ:

اتّسع الخَرْق[5] على الراقع[6]

قوله: (غُبرة) الغُبرة: لون الأغبر، وهو شبيه[7] الغبار.[8]

قوله:[9] (وكسوف بال) يقال: كسف باله، أي: ذَلّ.

قوله: (إذكارًا)، يعني: وإن لم يكن في قوله: ﴿لَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ﴾ [يونس ١٠/٢٦] زيادة فضيلة،[10] لكن[11] ذَكَر ذلك ليبيِّن لهم أنّه تعالى أنقذهم ممّا يبتلي به الكفّار، ثمّ استشهد المصنِّف على أنّ[12] الكفّار ترهقهم القَتَرة[13] بقوله تعالى في آخر[14] سورة[15] عبس: ﴿وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ۝ تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ [عبس ٨٠/٤٠-٤١]، وعلى أنّ[16] الكفّار ترهقهم ذلّة بقوله تعالى: ﴿وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٌ﴾. وقوله: "إذكارًا" مفعول له لقوله: "مِن حيث المعنى"، فكأنّه[17] قال: "عُني إذكارًا"، أو مصدر، أي: اذكر إذكارًا.

---

[1] ن: يريد.
[2] ن: مذهب.
[3] ن: مرفوعًا.
[4] ر: ليرفع.
[5] ن: الحرف.
[6] شطر جرى مجرى الأمثال، ويضمِّنه الشعراء شعرهم، والمشهور أنّه عجز بيت صدره:
لا نسبَ اليوم ولا خلّةً
وهو لأنس بن العبّاس بن مرداس في كتاب سيبويه، ٢٨٥/٢؛ وبلا عزو في اللامع العزيزي للمعري، ٥٣٨/١؛ وما يجوز للشاعر من الضرورة للقزّاز القيرواني، ص ٢٠١، ومجمع الأمثال للميداني، ١٦٠/١؛ والمستقصى للزمخشري، ٣٥/١.
[7] ر: مشبه.
[8] ر: بالغبار.
[9] ر – قوله.
[10] ن: مصتلي.
[11] ر – لكن.
[12] ن: أي.
[13] ر: الغبرة.
[14] ن: آخره.
[15] ن: سواه.
[16] ن: أي.
[17] ن: وكأنه.

﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧﴾

فإن قلتَ: ما وجهُ قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا﴾ وكيف يتلاءم؟

قلتُ: لا يخلو: إمّا أنْ يكونَ ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ﴾ معطوفًا على قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ﴾ كأنّه قيل: وللّذين كسبوا السيّئات جزاءُ سيّئة بمثلها، وإمّا أن يُقدَّر: وجزاءُ الذين كسبوا السيّئات جزاءُ سيّئةٍ بمثلها، على معنى: جزاؤُهم أن تُجازى سيّئةٌ واحدةٌ بسيّئةٍ مثلِها لا يزاد عليها، وهذا أوجهُ من الأول؛ لأن في الأولِ عطفًا على عاملَين وإن كان الأخفشُ يُجيزُه.

وفي هذا دليلٌ على أن المراد بالزيادة الفضلُ؛ لأنه دلَّ بترك الزيادةِ على السيّئة على عدله، ودلَّ ثَمَّ بإثبات الزيادة على المثوبة على فَضْله.

وقرئ: "يَرْهَقُهم ذِلةٌ" بالياء.

قوله: (كيف يتلاءم؟) أي: كيف الربط بين قوله: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ وبين[١] قوله: ﴿جَزَآءُ﴾، فإنّ حَمْله عليه متعذِّر، فالسؤال[٢] متعلِّق بالربط بين طرفي هذه الجملة.

قوله: (وإن كان الأخفش يجيزه) متعلِّق بقوله: (أوجَه)،[٣] فكأنّه قال: الأوّل[٤] ضعيف وإن كان الأخفش يجيزه، فإنّ سيبويه يمنعه،[٥]

فإنّ القول ما قالت حذامِ[٦]

قوله: (على عدله) عند أهل السنّة الكلُّ بفضل الله، ولا يجب على الله تعالى شيء.[٧]

---

[١] ر: وهي.

[٢] ن: فا السؤال.

[٣] ن: أوله.

[٤] ر: الأولي.

[٥] انظر تفصيل الكلام على المذهبين في شرح الرضي على الكافية، ٢/٣٤٥.

[٦] مضى تخريجه والكلام عليه في تفسير البقرة، ٢/١٣٨، وأشار به الزمخشري ثمّة إلى وجوب اختيار مذهب سيبويه.

[٧] انظر تفصيله في الإرشاد للجويني، ص ٣٨١.

﴿مِنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖ﴾؛ أي: لا يَعصِمُهم أحدٌ من سَخَط الله وعذابه، ويجوز: ما لهم من جهةِ الله ومِن عنده مَن يعصِمهم كما يكون للمؤمنين.

﴿مُظۡلِمًا﴾ حالٌ من ﴿ٱلَّيۡلِ﴾، ومن قرأ: ﴿قِطۡعًا﴾ بالسكون -من قوله: ﴿بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾ [هود ١١/٨١]- جعله صفةً له، وتَعضُده قراءةُ أبيّ بن كعب: "كأنّما يَغشى وجُوهَهم قِطْعٌ من الليل مُظلمٌ".

فإن قلتَ: إذا جعلْتَ ﴿مُظۡلِمًا﴾ حالًا من ﴿ٱلَّيۡلِ﴾ فما العاملُ فيه؟

قلتُ: لا يخلو: إما أن يكون ﴿أُغۡشِيَتۡ﴾ من قبَلِ أنَّ ﴿مِنَ ٱلَّيۡلِ﴾ صفةٌ لقوله: ﴿قِطَعًا﴾ فكان إفضاؤه إلى الموصوف كإفضائه إلى الصفة، وإمَّا أن يكونَ معنى الفعل في ﴿مِنَ ٱلَّيۡلِ﴾.

قوله: (أي: لا يعصمهم أحد) على هذا الوجه يكون ﴿مِن﴾ في ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ صلة ﴿عَاصِمٖ﴾، وعلى الثاني يكون متعلِّقًا بمحذوف، هو حال ﴿مِنۡ عَاصِمٖ﴾، أو هو متعلِّق بـ﴿لَهُم﴾؛ لأنّ ﴿عَاصِمٖ﴾ مبتدأ ﴿لَهُم﴾ خبره، فهو متعلِّق بالخبر،[1] أي: ما عاصم حاصلًا لهم مِن جهة الله تعالى.[2]

قوله: (﴿مُظۡلِمًا﴾ حال مِن ﴿ٱلَّيۡلِ﴾)؛ وذلك لأنّ الجارّ والمجرور، أعني قوله: ﴿مِنَ ٱلَّيۡلِ﴾ صفة ﴿قِطَعًا﴾،[3] وعامله محذوف، أي: ثابتًا وحاصلًا مِن الليل، وهذا المجرور مفعول مِن حيث المعنى لذلك المحذوف بواسطة حرف الجرّ، فالليل مفعول معنويّ[4] وقع ذا الحال، وهذا هو الوجه الثاني الذي ذكره جوابًا. وأمّا الوجه الأوّل ففيه نظر؛ لأنّ الصفة لم تقع ذا حال حتّى يتمشّى كلامه، [٣٦٩ظ] / فتأمّل في قوله: (فكان إفضاؤه).

قوله: (جَعَله صفة له) وأمّا على القراءة بفتح الطاء فلا يكون أن يكون صفة له؛ لأنّه جمع.

---

١ ن: بالخير.
٢ ن ر – تعالى.
٣ ن: أقطعا.
٤ ن: معنون.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ۝٢٨ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ۝٢٩﴾

﴿مَكَانَكُمْ﴾: الْزَموا مكانكم لا تبرحوا حتَّى تنظروا ما يُفعَل بكم.

و﴿أَنتُمْ﴾ أُكِّد به الضمير في ﴿مَكَانَكُمْ﴾ لسَدِّه مَسَدَّ قوله: الْزَموا، ﴿وَشُرَكَآؤُكُمْ﴾ عطفٌ عليه، وقرئ: "وشركاءكم" على أن الواو بمعنى «مع»، والعاملُ فيه ما في ﴿مَكَانَكُمْ﴾ من معنى الفعل.

﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾: ففرَّقنا بينهم، وقَطَّعْنا أقرانَهم والوُصَلَ التي كانت بينهم في الدنيا. أو: فباعَدْنا بينهم بَعد الجمع بينهم في الموقف، ....

قوله: (﴿مَكَانَكُم﴾: الزموا) على مذهب أبي عليّ اسم فعل وحركتُه حركة بناء،[1] وهو بمعنى أقيموا والزموا.[2]

قوله: (لسدِّه)[3] متعلِّق بمعنى الفعل في قوله: (في ﴿مَكَانَكُم﴾).

قوله: (ففرّقنا بينهم) أي: بين المشركين وبين شركائهم مِن الآلهة[4] والأصنام، وذلك حين يتبرّأ كلّ معبود مِن دون الله ممّن[5] عَبَده، وهو قوله: ﴿وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾، قال ابن عبّاس رضي الله عنه:[6] أنكروا عبادتهم،[7] وذلك أنّ الله تعالى يُنطق الأوثان فتقول: ما كنّا نشعر بأنكم إيّانا تعبدون، وعلى هذا الوجه يكون المراد[8] بالتزييل[9] التفريق المعنويّ.[10]

قوله: (أو: فباعدنا) هذا هو الوجه الثاني، وهو أن يكون المراد بالتفريق التفريق بحسب المكان والبعد بحسب المسافة. وقوله: (أقرانهم) أي: حبالهم.

---

[1] ر: ما.
[2] انظر تفصيله في الحلبيّات للفارسي، ص ٩٩، ١٠٤.
[3] ر: لشدة.
[4] ن: الألية.
[5] ر: فمن.
[6] د - رضي الله عنه.
[7] ذكره الواحدي في الوسيط، ١١/١٨٣ (يونس، ١٠/٢٩).
[8] ر - فتقول: ما كنا نشعر بأنكم إيّانا تعبدون، وعلى هذا الوجه يكون المراد.
[9] ر: بالرسل.
[10] ن: المعنون.

وتَبَرُّؤ شركائِهم منهم ومن عبادتهم؛ كقوله: ﴿أَيۡنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ﴾ [الأنعام ٢٢/٦] ﴿قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا﴾ [الأعراف ٣٧/٧].

وقرئ: "فزايلنا بينهم"؛ كقولك: صاعَرَ خَدَّه وصعَّر، وكالمتُه وكلَّمْتُه.

﴿مَا كُنتُمۡ إِيَّانَا تَعۡبُدُونَ﴾ إنّما كنتم تعبدون الشياطين حيث أمروكم أن تتَّخذوا لله أندادًا فأَطعْتُموهم.

﴿إِن كُنَّا﴾ هي المخفَّفة من الثقيلة، واللامُ هي الفارقة بينها وبين النافية.

وهم الملائكة والمسيحُ ومَن عبدوه من دون الله من أُولي العقل.

وقيل: الأصنام يُنْطِقُها الله تعالى فتُشافِهُهم بذلك مكانَ الشفاعَة التي زَعموها وعلَّقوا بها أَطماعَهم.

﴿هُنَالِكَ تَبۡلُواْ كُلُّ نَفۡسٖ مَّآ أَسۡلَفَتۡۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۖ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٣٠﴾

«القَرَن: الحبل يُقرن به بعيران».[١] والأقران: الحبال.

قوله: (لقولهم: صاعرَ[٢] خدّه) «الصَّعَر:[٣] المَيَل في الخدّ، وقد صعّر[٤] خدّه وصاعَر،[٥] أي: أماله مِن الكبر، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [لقمان ١٨/٣١]».[٦]

قوله: (وهم الملائكة)، يعني: القائلون: ﴿مَا كُنتُمۡ إِيَّانَا تَعۡبُدُونَ﴾... إلخ، هم الملائكة والمسيح.

قوله: (مِن أولي العقل) حتّى يناسب قوله: ﴿لَغَٰفِلِينَ﴾؛ بل يناسب قوله: ﴿قَالَ شُرَكَآؤُهُم﴾ إلى[٧] ﴿لَغَٰفِلِينَ﴾، فإنّ هذا القول لا يصدر إلّا عن العقلاء.

قوله: (مكانَ الشفاعة) أي: بدل، يعني: لا يشفعون، وإنّما يكون بدلَ الشفاعة هذا الكلام بالمشافهة.

---

[١] الصحاح للجوهري، «قرن».
[٢] ر: صاغر.
[٣] ر: الصغر في.
[٤] ر: صغر.
[٥] ر: وصاغر.
[٦] الصحاح للجوهري، «صعر».
[٧] ر: إنّي.

﴿هُنَالِكَ﴾ في ذلك المقام وفي ذلك الموقف، أو: في ذلك الوقت، على استعارةِ اسم المكان للزمان.

﴿تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ تَخْتبِرُ وتذوقُ ﴿مَّآ أَسْلَفَتْ﴾ من العمل، فتعرفُ كيف هو: أقبيحٌ أم حسن؟ أنافعٌ أم ضارٌّ؟ أمقبولٌ أم مردود؟ كما يَختبِر الرجلُ الشيءَ ويتعرَّفه ليَكتنِهَ حالَه، ومنه قولُه تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [الطارق ٨٦/٩].

وعن عاصم: "نبلو كلَّ نفسٍ" بالنون ونصب "كلَّ"؛ ....

قوله: (﴿تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ﴾)... إلخ، أظنّ أنّ الأولى أن يقال: قوله: ﴿تَبْلُواْ﴾ مجاز عن المعرفة؛ لأنّ البَلْو،[١] أي: الاختبار، سبب المعرفة. والظاهر أنّ مراد المصنِّف مِن قوله: (تختبِر وتَذوق) هذا المعنى؛ لأنّ حقيقة اختبار العمل وذوقِه غير مستقيم، لكنّه بسط الكلام بذِكر السبب والمسبَّب لتحقيق بيان المجاز. ومنه قولهم: «البلاء ثمّ الثناء»،[٢] أي: الاختبار للمُثْنَى عليه ينبغي أن يكون قبل الثناء ليكون الثناء[٣] بقدر ما يُوجِبه، وهو قريب مِن قول المتنبي:

الناس أكيَس مِن أن يمدحوا[٤] رجلًا حتّى يروا عنده[٥] آثارَ إحسان[٦]

وذقتُ فلانًا إذا جرّبتَه[٧] وتحقّقتَ[٨] اليقينَ فيه.[٩]

قوله: (وعن عاصم: "نَبْلُو")[١٠] القراءة[١١] بالنون قراءة شاذّة.[١٢] على القراءة[١٣] بالنون يكون ﴿مَّآ أَسْلَفَتْ﴾ بدلًا مِن ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾، فكأنّه قيل: "نبلو[١٤] ما أسلفت"،

---

١ في هامش د: البلوى. خ [اختصارًا مِن "نسخة"].
٢ معدود في الأمثال. انظر: الزاهر لابن الأنباري، ٢٤٧/١؛ والمقصور والممدود للقالي، ص ٣٦٠.
٣ ن – أي: الاختبار للمُثنَى عليه ينبغي أن يكون قبل الثناء ليكون الثناء.
٤ ن: يهرحوا.
٥ د ن ر: فيهم.
٦ ما وجدت البيت للمتنبي. وهو للطبرخزمي في الدرّ الفريد لابن أيدمر، ١٨٥/٤. ومضى تمثيل الجاربردي به ونسبته البيت للمتنبي في تفسير النساء، ١٦٢/٤.
٧ ن: جر تنبه.
٨ ن: يحقون.
٩ انظر: الصحاح للجوهري، «ذوق».
١٠ قراءة شاذّة، مرويّة عن أبي حاتم عن هارون عن عاصم. المغني في القراءات للنُّوزاوازي، ص ٩٦٠.
١١ ن: القرآن.
١٢ وهي مرويّة عن عاصم من غير الطريقين الصحيحين، كما مضى في تخريجها.
١٣ ن: القرآن.
١٤ ر: نبلوا.

أي: نختبرُها باختبارِ ما أسلفَتْ من العمل فنعرفُ حالَها بمَعْرفةِ حال عملها: إن كان حسنًا فهي سعيدةٌ، وإن كان سيّئًا فهي شقيَّةٌ، والمعنى: نفعلُ بها فعلَ الخابِر؛ كقوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك ٦٧/٢].

ويجوز أن يراد: نُصِيب بالبلاء -وهو العذابُ- كلَّ نفسٍ عاصيةٍ بسببِ ما أسلفت من الشَّرّ.

وقرئ: ﴿تتلو﴾؛ أي: تَتْبعُ ﴿مَآ أَسْلَفَتْ﴾؛ لأن عمله هو الذي يَهديه إلى طريق الجنة أو إلى طريق النار، أو: تَقرأُ في صحيفتها ما قدَّمت من خيرٍ أو شرّ.

﴿مَوْلَىٰهُمُ﴾: ربِّهم الصادقِ ربوبيَّتُه؛ لأنّهم كانوا يتولَّون ما ليس لربوبيّته حقيقةٌ، أو: الذي يتولّى حسابَهم وثوابَهم العدلِ الذي لا يَظلم أحدًا.

فإنّ البدل في حكم تكرير العامل، وإليه أشار بقوله: (باختبار ما أسلفت) فكرّر العامل، وأشار مع هذا إلى أنّ الأوّل ليس مطروحًا مِن جميع الوجوه؛ بل لا يسدُّ المعنى مع قطع النظر عنه. ومثله قوله تعالى: "أَكَانَ للنَّاسِ عَجَبٌ"[١] على القراءة[٢] بالرفع، كما مرّ.[٣]

قوله: (ويجوز أن يراد) فعلى هذا يكون ﴿مَآ أَسْلَفَتْ﴾ منصوبًا بنزع الخافض،[٤] أي: بما أسلفت، أي: ببلاء ما أسلفت، وهذا الوجه يتوجّه في الأوّل أيضًا.

قوله: (لأنّهم كانوا يتولّون) متعلّق بمحذوف، كأنّه قيل: إنّما وصف ﴿مَوْلَىٰهُمُ﴾ / -والمراد به الله تعالى- بقوله ﴿ٱلْحَقِّ﴾؛ لأنّ الكفّار كانوا يتولّون...[٥] [٣٧٠و]
إلخ. وقوله: (أو الذي يتولّى) عطف على (الصادق)، ففسّر الحقّ بوجهين: الأوّل الصادق، الثاني الذي يتولّى. والأصوب أن نقول: الذي عطف على (ربّهم)، ففسّر أوّلًا "المولى" بقوله: "ربّهم" و﴿ٱلْحَقِّ﴾ بقوله: "الصادق ربوبيّته"، وفسّر ثانيًا "المولى" بالذي[٦] يتولّى حسابهم و﴿ٱلْحَقِّ﴾ بالعدل.

---

١ ن: عجبًا. | والقراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٩٤٧.
٢ ن: القرآن.
٣ ن: من. | مضى الكلام بمعناه في تفسير سورة يونس، ١٠/٢.
٤ ن: الخافقين.
٥ ر: يقولون.
٦ ن: با الذي.

وقرئ: "الحقَّ" بالفتح على تأكيد قوله: ﴿وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ كقولك: "هذا عبد الله الحقَّ لا الباطل"، أو على المدح كقولك: "الحمدُ لله أهلَ الحمد".

﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾: وضاعَ عنهم ما كانوا يَدَّعون أنهم شركاءُ لله، أو: بطل عنهم ما كانوا يختلِقون من الكذب وشفاعة الآلهة.

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣١﴾

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: يرزقكم منهما جميعًا، لم يَقتصِرْ برزقكم على جهةٍ واحدةٍ لِيُفيضَ عليكم نعمتَه ويُوسِّعَ رحمتَه.

قوله: (هذا عبد الله حقًّا)،[١] أي: أحقّ الحقّ.

قوله: (وضاع عنهم)... إلخ، فمعناه مثل معنى ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾.

قوله: (لِيُفيضَ) علّة[٢] لِما تضمنه قوله: (لم يقتصر)،[٣] كأنّه قيل: رزقكم مِن الجهتين لِيُفيضَ عليكم نعمته، أو انتفى[٤] الاقتصار برزقكم[٥] على جهةٍ لِيُفيضَ، وليس علّة[٦] للاقتصار،[٧] فإنّه يفسد المعنى، تقريره أن نقول: إذا قلتَ: "ليس زيد قائمًا بالضرورة"، فإنّه يحتمل وجهين:[٨] أحدهما أن يكون السلب داخلًا على الضرورة فتكون منتفية، والثاني أن يكون السلب داخلًا على النسبة،[٩] فتكون[١٠] القضية منتفية و"بالضرورة" قيده. فإذن قوله: "لم يقتصر لِيُفيض" يحتمل[١١] أن يكون السلب داخلًا على[١٢] الإفاضة،[١٣] فتكون الإفاضة[١٤] مُنتفية ويفسد المعنى؛

---

١ في مطبوع الكشّاف وما راجعته من أصوله: الحقّ.
٢ ن: على؛ ر: علمه.
٣ ن: يقصر.
٤ ن: ابتقى؛ ر: ينفي.
٥ ر: يزقكم.
٦ ن ر: على.
٧ ر: الاقتصار.
٨ ن: وجهي.
٩ ن: السنة.
١٠ ن: فتلو.
١١ ن: يجهل.
١٢ ر - الضرورة فتكون منتفية، والثاني أن يكون السلب داخلًا على النسبة فتكون القضيةُ منتفية و"بالضرورة" قيده، فإذن قوله: "لم يقتصر ليُفيض" يحتمل أن يكون السلب داخلًا على.
١٣ ر: الإضافة.
١٤ ر: الإضافة.

﴿مَن يملكُ السَّمْعَ والأَبْصارَ﴾: مَن يستطيعُ خلقَهما وتسويتَهما على الحدِّ الذي سُوِّيَا عليه من الفِطْرة العجيبة، أو: مَن يَحْميهما ويُحصِّنُها من الآفات مع كثرتها في المُدَد الطوال -وهما لطيفان يؤذيهما أدنى شيءٍ- بِكلاءَته وحفظه.

﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ﴾: ومَن يلي تدبيرَ أمرِ العالَمِ كلِّه، جاء بالعموم بعد الخصوص.

﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: أفلا تَقُونَ أنفسَكم ولا تَحذَرون عليها عقابَه فيما أنتم بصدده من الضلال.

لأنّ المعنى إثباتُ الإفاضة،[١] ويحتمل أن يكون السلب داخلًا على الفعل، فيكون الفعل وهو الاقتصار منفيًا والإفاضة[٢] علّته، وهو المقصود. ونظيره قول المتنبي:[٣]

أبـدو فيسجد مَن بالسوء يذكرني ولا أعـاتبـه صفـحًا وإهـوانـا[٤]

ونظيره أيضًا قوله عليه السلام:[٥] «ما رؤي إبليس يومًا أصغرَ ولا أدحرَ ولا أغيَظَ مِن يوم عرفة،[٦] لِما يرى مِن نزول الرحمة إلّا ما رُؤي يوم بدر»،[٧] فإنّ انتفاء رؤيته في يوم أغيظ منه في يوم عرفة معلَّل برؤية[٨] إبليس نزول الرحمة في يوم عرفة. وعكسه قوله تعالى:[٩] ﴿لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ﴾ [التوبة ٩/٤٤]، إذا جُعل ﴿أَن يُجَٰهِدُواْ﴾ مفعولًا له بتقدير: "كراهةَ[١٠] أن يجاهدوا"، يعني: ليس لهم كراهةُ الجهاد حتّى تحمِلهم تلك الكراهة على الاستئذان في ترك الجهاد، وقد مرّ بيانه.[١١]

قوله: (فيما أنتم بصدده) حال مِن الضمير في (تَقُون) أو (تحذرون) أي: مستقرِّين كائنين فيما أنتم، ويجوز أن يكون "فيما أنتم" متعلِّقًا بقوله: (عقابَه).

---

١ ر: الإضاقة.
٢ ر: والإضاقة.
٣ ن: المنفي.
٤ ديوان أبي الطيّب، ص ١٦٨، ومضى تمثيل الجاربردي به في تفسير سورة الأنفال، ٨/٤٨.
٥ ن ر: صلّى الله عليه وسلّم.
٦ ن: عن من.
٧ الحديث بلفظ قريب في شعب الإيمان للبيهقي، ٥/٤٩٨ (٣٧٧٥)؛ ومضى الاستشهاد به مع بيت أبي الطيّب في تفسير سورة الأنفال، ٨/٤٨.
٨ ن: بروى.
٩ ر: يقال.
١٠ ن: كذا هي.
١١ في تفسير سورة الأنفال، ٨/٤٨.

﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿فَذَٰلِكُمُ﴾ إشارةٌ إلى مَن هذه قدرتُه وأفعالُه.

﴿رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ﴾: الثابتُ ربوبيتُه ثباتًا لا ريبَ فيه لمَن حقَّق النظرَ.

﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ يعني: أن الحقَّ والضلال لا واسطةَ بينهما، فمَن تخطَّى الحقَّ وقع في الضلال ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ عن الحقِّ إلى الضلال، وعن التوحيد إلى الشرك، وعن السعادة إلى الشَّقاء.

﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿كَذَٰلِكَ﴾: مِثْلَ ذلك الحقِّ ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾؛ أي: كما حَقَّ وثَبَتَ أن الحقَّ بعده الضَّلالُ، أو كما حقَّ أنهم مصروفون عن الحقِّ، فكذلك حقَّت كلمةُ ربِّك ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ﴾؛ أي: تمرَّدوا في كفرهم وخرجوا إلى الحدِّ الأقصى فيه.

قوله: (الثابتُ ربوبيته ثباتًا لا ريبَ فيه) أما قوله:[١] "الثابت ربوبيته" فإشارة إلى أنّ معنى ﴿ٱلْحَقُّ﴾ الثابت، مِن حقّ يحقُّ[٢] إذا ثبت. وأمّا قوله: "ثباتًا لا ريبَ فيه" فإشارةٌ إلى أنّ الحقَّ صفة مشبّهة، وهي[٣] تدلُّ على الثبوت، والصواب أنّ قوله: "الثابت ربوبيته" تفسير ﴿رَبُّكُمُ﴾؛ لأنّه صفة مشبّهة تدلُّ على ثبوت مدلولها.[٤] وقوله: "ثباتًا لا ريبَ" فيه تفسير ﴿ٱلْحَقُّ﴾.

قوله: (أي: كما حقّ وثبت) يريد أنّ قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ في محلّ المصدر لقوله: ﴿حَقَّتْ﴾، وذلك إشارة إلى ثبوت أنّ الحقّ بعده الضلال[٥] ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾، أي: حقّت وثبتت[٦] كلمة[٧] ربّك على الذين فسقوا ثبوتًا مثلَ ثبوت أنّ[٨] الحقّ بعده الضلال. أو نقول: الكاف[٩] في ﴿كَذَٰلِكَ﴾ في محلّ المصدر لـ﴿حَقَّتْ﴾ كما قلنا،

---

[١] ن: قول.
[٢] ن: بحق.
[٣] ن: وأني.
[٤] ن: مدلولًا.
[٥] ن: الضلالة.
[٦] ن: ثبت؛ ر - يريد أنّ قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ في محلّ المصدر لقوله: ﴿حَقَّتْ﴾، وذلك إشارة إلى ثبوت أنّ الحقّ بعده الضلال ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾، أي: حقّت وثبتت.
[٧] ن: كلّه.
[٨] ن: أي.
[٩] ن: الكافر.

و﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بدلٌ من "الكلمة"؛ أي: حقَّ عليهم انتفاءُ الإيمان وعَلِمَ اللهُ منهم ذلك، أو حقَّ عليهم كلمةُ الله أنّهم من أهل الخذلان وأنَّ إيمانهم غيرُ كائن.

أو أراد بالكلمة: العِدَةَ بالعذاب، و﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ تعليلٌ بمعنى: لأنهم لا يؤمنون.

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾

فإن قلتَ: كيف قيل لهم: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ وهم غيرُ معترفينَ بالإعادة؟

قلتُ: قد وُضِعَتْ إعادةُ الخلقِ -لظهور برهانها- موضعَ ما إنْ دَفَعه دافعٌ

و"ذلك" إشارة إلى الصرف الذي دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ أي: حقّت وثبَتَت[١] كلمة[٢] ربّك على الذين فسقوا ثبوتًا[٣] مثلَ ثبوت كونهم مصروفين[٤] عن الحقّ.

قوله: (**بدلٌ مِن "الكلمة"**) إذا كان بدلًا كان المراد بـ﴿كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ عِلمُه تعالى بعدم إيمانهم، أو الآيات الدالّة عليه، نحو ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ [البقرة ٦/٢]، وهو مِن بدل الاشتمال.[٥]

[٣٧٠ظ] قوله: / (**أنّهم مِن أهل الخذلان**) على هذا أيضًا "أنّهم"[٦] بدل مِن (كلمة)[٧] لكنّ المراد على هذا الوجه بـ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ خذلانُهم، ويلزم[٨] منه عدمُ الإيمان.

قوله: (**أو أراد**) عطف على قوله: (﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بدل).

قوله: (**موضعَ ما إن دَفَعه**) "ما" نكرة،[٩] "وإن دفعه"... إلخ، صفته.

---

١ ن: ثبت.
٢ ن: كله.
٣ ن ر - ثبوتًا.
٤ ن: مصروف.
٥ ن: للاستهال.
٦ ر: أيهم.
٧ ن: كله.
٨ ن: وللزم.
٩ ن: نكر؛ ر: يكره.

كان مكابرًا رَادًّا للظاهر البيّن الذي لا مدخَلَ للشبهة فيه؛ دلالةً على أنهم في إنكارِهم لها منكرون أمرًا مسلَّمًا معترَفًا بصحّته عند العقلاء، وقال لنبيّه: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ فأمَره بأن ينوبَ عنهم في الجواب يعني: أنه لا يدعُهم لجاجُهم ومكابَرَتُهم أن يَنطِقوا بكلمة الحقِّ فكَلِّمْ عنهم.

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ٣٥﴾

يقال: هَداه للحقِّ وإلى الحق، فجُمع بين اللغتين.

ويقال: "هَدَى بنفسه" بمعنى: اهْتَدَى، كما يقال: "شَرَى" بمعنى: اشْتَرى، ومنه قوله: ﴿أَمَّن لا يَهْدى﴾، وقرئ: ﴿لا يَهَدِّى﴾ بفتح الهاء وكسرها مع تشديد الدال، والأصل: يهتدي، فأُدغم وفُتحت الهاء بحركة التاء، أو كسرت لالتقاء الساكنَين، وقد كسرت الياء لإتْباع ما بعدها.

وقرئ: "إلّا أن يُهَدَّى" مِن هَداه وهَدَّاه للمبالغة، ....

قوله: (معترَفًا بصحّته) بفتح الراء وليس فيه ضمير؛ بل هو مسند إلى "بصحّته".

قوله: (وقال لنبيّه) عطف على قوله: (وُضِعت)؛ لأنّه في[1] معنى: وضع الله تعالى.

قوله: (ومنه قوله) أي: مِن قولهم: (هدى بنفسه، بمعنى: اهتدى). والأصوبُ أنّ الضمير في "منه" يعود[2] إلى "هدى" سواءٌ في ذلك المعنى الأوّل والمعنى الثاني، لِما سيجيء بعد ذلك.

قوله: (وهَدّاه)، يريد أنّ "هدّاه" بمعنى "هداه" غيرَ أنّ فيه مبالغة.

قوله:[3] (مِن هَداه وهَدّاه) يريد أنّ القراءة في "يُهَدَّى"[4] بضمّ الياء وفتح الدال المشدّدة إنّما هو مِن "هدّى" بمعنى "هدى" متعدّيًا فيهما؛ لأنّه لا يجوز

---

١ ن – في.

٢ ن – يعود.

٣ ن ر – (وهدّاه) يريد أنّ هدّاه بمعنى هداه غير أنّ فيه مبالغة. قوله.

٤ قراءة شاذّة، مرويّة عن يحيى بن الحارث الذماري وكِرداب عن رويس. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٩٦٢.

ومنه قولُهم: "تهدَّى".

ومعناه: أنَّ الله وَحْده هو الذي يَهْدِي للحقِّ بما ركَّب في المكلَّفين من العقول، وأعطاهم من التمكين للنظر في الأدلة التي نصَبَها لهم، وبما لَطَف بهم ووفَّقهم وألهَمَهم وأَخْطَرَ ببالهم ووقَّفهم على الشرائع، فهل من شركائكم الذين جَعلتُم أندادًا لله أحدٌ من أشرفهم كالملائكة والمسيح وعُزيرٍ يَهْدي إلى الحق مثلَ هداية الله؟ ثم قال: ﴿أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ هذه الهدايةَ أحقُّ بالاتِّباع أم الذي لا يَهْدي؛ أي: لا يَهْتَدي بنفسه، أو: لا يَهدِي غيرَه، إلَّا أن يهديَه الله.

وقيل: معناه: أم مَن لا يَهْتدِي من الأوثان إلى مكانٍ فيَنتقِلَ إليه ﴿إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾:

أن يكون مِن "اهتدى"، إذ لا يجيء منه مجهول ولم يحتج إلى مثل ذلك البيان في قوله: (وقرئ: ﴿لَا يَهِدِّي﴾) إذ لا لَبس هناك؛ لأنّ الياء[1] مفتوحة، فيُعلم أنّه مِن "يهتدي" كما ذُكر.

قوله: (ومنه قولهم) يريد أن "تَهَدَّى" مِن "هَدَّى"؛ لأنّ تفعَّل لمطاوعة فعَّل.

قوله: (ومعناه) اعلم أنّ هذا ابتداء شروع في معنى قوله: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم﴾.

قوله: (بما ركَّب في المكلَّفين)[2] وعند أهل السنّة أنّه تعالى هو الهادي، بمعنى: الخالق للاهتداء.[3]

قوله: (أي: لا يهتدي بنفسه، أو لا يهدي غيرَه) اعلم أنّ قوله قبل: (ومنه قوله: ﴿أمن لا يَهْدى﴾)[4] دلَّ على أنّ "يهدّي" في ﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ﴾ مِن هداه أو مِن هدى بنفسه، أي: اهتدى، فلذلك قال ههنا: (لا يهدي، أي: لا يهتدي بنفسه، أو لا يهدي[5] غيره).

قوله: (﴿إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾) أي: ينقل ويُمال، ومنه الهَدْيُ والهَديُّ لِما يُهدى

---

[1] ر: يا.

[2] ن: المكلف.

[3] انظر تفصيل هذه المسألة في الإرشاد للجويني، ص ٢١٠-٢١٣.

[4] ن: يهتدي. | قرأ بها حمزة والكسائي وخلف. السبعة لابن مجاهد، ص ٣٢٦؛ والنشر لابن الجزري، ٢/٢٨٣.

[5] ر - دلَّ على أنّ يهدي في ﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ﴾ مِن هداه أو مِن هدى بنفسه، أي: اهتدى فلذلك قال ههنا لا يهدي، أي: لا يهتدي بنفسه أو لا يهدي.

إلّا أن يُنقَلَ، أو لا يهتدي ولا يصحُّ منه الاهتداءُ إلا أن يَنقلَه اللهُ من حاله إلى أن يجعله حيوانًا مكلَّفًا فيهديَه.

﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ بالباطل حيث تزعمُون أنهم أندادٌ لله.

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ﴾ في إقرارهم بالله ﴿إِلَّا ظَنًّا﴾؛ لأنه قولٌ غيرُ مستنِدٍ إلى برهانٍ عندهم ﴿إِنَّ الظَّنَّ﴾ في معرفة الله ﴿لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ﴾ وهو العلم ﴿شَيْئًا﴾.

وقيل: وما يتَّبع أكثرهم في قولهم للأصنام: "إنها آلهةٌ" و: "إنها شفعاءُ عند الله" إلّا الظنَّ، والمراد بالأكثر: الجميعُ.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ وعيدٌ على ما يَفعلون من اتِّباع الظنِّ وتقليدِ الآباء.

وقرئ: "تفعلون" بالتاء.

﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ﴾ افتراءً ....

إلى الكعبة، وهِداء العروس: نقلها إلى بيت زوجها. يقال: هديتُ المرأة إلى بيت زوجها هِداء.[1]

قوله: (﴿أَكْثَرُهُمْ﴾) أي: أكثر الناس.

قوله: (وهو العلم) فسَّر الحقّ بالعلم، فالمعنى أنّ الظنّ لا يقوم مقامَ العلم. و«الغَناء بالفتح والمدّ: الإجزاء والكفاية. يقال: أغنيتُ عنك مُغنى فلان ومغناته إذا أجزأتَ عنه ونُبتَ مَنابه».[2]

قوله: (والمراد بالأكثر) على هذا الوجه الأخير.

قوله: (﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ﴾ افتراء) إمّا أن يكون افتراء بمعنى مفترًى،

---

[1] انظر: الصحاح للجوهري، «هدى».

[2] ن: منامه. | المغرب للمُطرّزي، «غني».

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن﴾ كان ﴿تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ وهو ما تقدَّمَه من الكتب المنزلة؛ لأنّه معجِزٌ دونها فهو عِيَارٌ عليها وشاهدٌ لصحتها؛ كقوله: ﴿هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ [فاطر ٣١/٣٥].

وقرئ: "ولكن تصديقُ الذي بين يديه وتفصيلُ الكتاب" على: ولكنْ هو تصديقٌ وتفصيلٌ.

ومعنى "وما كان أن يفترى": وما صحَّ وما استقامَ، وكان محالًا أن يكون مثلُه في علوِّ أمره وإعجازه مفترًى.

أو القرآن بمعنى القراءة.[١]

قوله: (﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾) بدل مِن قوله: "افتراء"، فكأنّه قيل: ما كان هذا القرآن حاصلًا وثابتًا مِن دون الله، أي: مِن عند غير الله.

قوله: (لأنّه معجز) تعليل "مصدّق"، فإنّه إذا كان معجزًا دونها احتاج[٢] الكتب إلى تصديق[٣] لها دون العكس. «والعِيار: المِعيار الذي يُقاس به غيره ويُسوّى».[٤] وقد يكون العِيار بمعنى آخر وهو أنّ «عِيار الدراهم[٥] والدنانير: ما جعل فيها مِن الفضّة[٦] الخالصة والذهب الخالص».[٧] وليس هذا المعنى الثاني مرادًا ههنا.

قوله: (فهو عِيار عليها) الفاء في قوله: "فهو" للسببيّة، يعني: / إذا كان [٣٧١و] معجزًا دون غيره فبه[٨] يُعلم صحة غيره مِن الكتب، فإن وافقته فهي صادقة وإلّا فلا، ومعنى الاستدراك في "لكن" أنّه ليس افتراء؛ بل هو أظهر صدقًا وأبيَن[٩] صحّة مِن جميع الكتب السماويّة المنزلة على الأنبياء، إذ يعلم به صدقها،[١٠] فكيف يكون مثل هذا افتراء؟

---

١ ن: القرآن.
٢ ر: احتياج.
٣ ن ر: تصديقه.
٤ المغرب للمُطرّزي، «عير».
٥ ن: الدراهمة.
٦ ر: القصبة.
٧ المغرب للمُطرّزي، «عير».
٨ ر: فيه.
٩ ن: وابن؛ ر: وأين.
١٠ ن: صدفيها.

﴿وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: وتبيينَ ما كُتب وفُرض من الأحكام والشرائع، من قوله: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ [النساء ٢٤/٤].

فإن قلتَ: بمَ اتّصل قوله: ﴿لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾؟

قلتُ: هو داخلٌ في حيّز الاستدراك، كأنه قال: ولكنْ كان تصديقًا وتفصيلًا مُنتفِيًا عنه الرَّيبُ كائنًا من رب العالمين.

ويجوز أن يراد: ولكنْ كان تصديقًا من ربِّ العالمين وتفصيلًا منه لا ريب في ذلك، فيكون ﴿مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ متعلِّقًا بـ﴿تَصۡدِيقَ... وَتَفۡصِيلَ﴾، ويكون ﴿لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾ اعتراضًا؛ كما تقول: زيدٌ لا شكَّ فيه كريمٌ.

﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣٨﴾

﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُ﴾ بل أيقولون: اختلقَه على أن الهمزة تقريرٌ لإلزام الحجّة عليهم، أو إنكارٌ لقولهم واستبعادٌ، والمعنيان متقاربان؟

قوله: (ما كُتب وفُرض) يريد أنّ الكِتاب بمعنى المكتوب.

قوله: (﴿أَمۡ يَقُولُونَ﴾)[١] ولا يكون "بل" هنا للإضراب[٢] عن الكلام؛[٣] بل يكون لترك الأوّل والأخذ فيما[٤] هو أهمّ منه، فكأنّه[٥] لمّا أشيرَ بقوله: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ﴾ إلى أنّه ما صحّ وما استقام أن يكون مثلُه مفترى أشير إلى أنّ الأهمّ في هذا الموضع التحدّي وطلبُ المعارضة لإلزامهم الحجّة وإلقامهم الحجر.

قوله: (لإلزام الحجّة) اللام في "لإلزام" متعلِّق بـ"التقرير"، والتقدير أنّ الهمزة تقرير لقولهم: افتراه،[٦] ثمّ قال إنّما قرّر ذلك، أي: أثبت وحقّق أنّهم قالوا ذلك ليُلزمهم الحجّة بالتحدّي، والمعنى أنّهم يقولون: إنّه مفترى، قل يا محمّد:

---

[١] ر: يقولون.
[٢] ن: للأحزاب.
[٣] ن: الظلام.
[٤] ن: فها.
[٥] ن: مكاني.
[٦] ن: افتراء.

﴿قُلْ﴾: إن كان الأمر كما تزعُمون ﴿فَأْتُواْ﴾ أنتم على وجه الافتراء ﴿بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ فأنتم مِثْلِي في العربية والفصاحة، ومعنى ﴿بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾؛ أي: شبيهةٍ به في البلاغة وحُسنِ النَّظْم.

وقرئ: "بسورةِ مِثْلِه" على الإضافة؛ أي: بسورةِ كتابٍ مِثْلِه.

وادعوا من دون الله من استطعتم مِن خَلْقِه للاستعانة به على الإتيان بمثله.

يعني: أن الله وحده هو القادرُ على أن يأتيَ بمثله لا يقدرُ على ذلك أحدٌ غيرُه، فلا تستعينوه وحده ثم استعينوا بكلِّ مَن دونه ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أنه افتراءٌ.

﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿بَلْ كَذَّبُواْ﴾: بل سارعوا إلى التكذيب بالقرآن وفاجَؤوه في بديهةِ السَّماع قبل أن يَفْقَهوه ويعلموا كُنْهَ أمره، وقبل أن يتدبَّروه ويقفوا على تأويله ومعانيهِ، وذلك لفَرْطِ نفورهم عمَّا يخالفُ دينَهم، وشِرَادِهم عن مفارقةِ دِينِ آبائهم؛ كالناشئِ على التقليد من الحشوية إذا أحسَّ بكلمةٍ لا تُوافِقُ ما نشأ عليه وألِفَه

إن كان هذا مفترًى[1] فأتوا بسورة مثله، يعني: إن كان مفترى كما تقولون ينبغي أنّ يُمكنكم الإتيان بمثله فأتوا بسورة مثله.

قوله: (وادعوا مِن دون الله من استطعتم) إنّما قدّم المصنِّف قوله: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ ليُشير إلى أنّه متعلِّق بقوله: ﴿ٱدْعُواْ﴾ لا بقوله: ﴿ٱسْتَطَعْتُم﴾.

قوله: (بل سارعوا) كأنّه أشيرَ بـ"بل" هنا إلى[2] أنّ الأهمّ أن يعلموا أنّهم كذّبوا القرآن قبل أن يفقهوه ويفهموه[3] ويتأمّلوا فيه، وذلك لعِنادهم، فكأنّه قيل والله أعلم: إنّما يُتحدّى وتُطلب المعارضة ممّن يفهم المعنى ويتأمّل فيه، وأمّا هم فليس شأنهم إلّا العناد والإعراض مِن غير تأمّل، فلا يُتحدّون[4] ولا تُطلب منهم المعارضة.

---

[1] ن: المفترى.

[2] ر – إلى.

[3] ن: ويفهمون.

[4] ر: يتخذون.

وإن كانت أضوأ من الشمس في ظهور الصحَّة وبيانِ الاستقامة أنكرها في أوَّل وَهْلةٍ، واشمأزَّ منها قبل أن يحسَّ إدراكها بحاسَّةِ سمعهِ من غيرِ فكرٍ في صحَّةٍ أو فسادٍ؛ لأنَّه لم يُشعِرْ قلبَه إلَّا صحةَ مذهبه وفسادَ ما عدَاه من المذاهب.

فإن قلتَ: ما معنى التوقُّعِ في قوله: ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾؟

قلتُ: معناه: أنهم كذَّبوا به على البديهة قبل التدبُّرِ ومعرفةِ التأويل تقليدًا للآباء، وكذَّبوه بعد التدبُّر تمرُّدًا وعنادًا، فذمَّهم بالتسرُّع إلى التكذيب قبل العلم به،

قوله: (في أوّل وهلة) أي: أوّل كلّ شيء، أي: قبل التأمُّل والاطّلاع على معناه والوقوفِ على أنّه حقّ أو باطل. قال في مجمل اللغة: «لقيتُه أوّل وهلة، أي: في أوّل كلّ شيء».[١]

قوله: (قلتُ: معناه أنّهم كذّبوا به)... إلخ، أي: كذّبوا حين لم يأتِهم تأويله، وكان إتيان تأويله متوقَّعًا، وهذا بطريق الإخبار عن تكذيبهم السابق الواقع في وقت توقُّع[٢] إتيان التأويل، ثمّ إنّه تعالى[٣] يخبر عنهم في حال كفرهم، فيدلّ على أنّ كفرهم[٤] مستمرّ بعد وقوع المتوقّع، فيدلّ على عنادهم.

قوله: (فذمَّهم)[٥] جواب شرط محذوف، أي: وإذا كان معناه أنّهم كذّبوا قبل التدبّر تقليدًا وبعده[٦] عنادًا فقد ذمّهم بسبب تسرُّعهم، وجاء بكلمة "لمّا" الدالّة على التوقُّع،[٧] استفاد منه المعنى المراد مِن الكلام، فالحاصل[٨] أنّ المصنِّف لمّا أشار بقوله: "معناه" إلى قوله: (عنادًا) إلى[٩] أنّ معنى الكلام ماذا؟ ثمّ أشار بقوله: "فذمَّهم"... إلخ، إلى أنّ اللفظ كيف دلّ على هذا المعنى؟ ثمّ مِن[١٠] تقرير المصنِّف المعنى وتطبيقِ اللفظ عليه فُهم جواب قوله: (ما معنى التوقّع؟) وإن لم يُصرّح بأن معنى التوقّع هذا أو ذاك، / وهو أنّه توقّع سابق. [٣٧١ظ]

---

[١] مجمل اللغة لابن فارس، «وهل».
[٢] ر: يوقع.
[٣] ن: يقال.
[٤] ر – فيدلّ على أنّ كفرهم.
[٥] ر: قدمهم.
[٦] ر: وبعد.
[٧] ر: النوع.
[٨] ن: والحاصل؛ ر: الحاصل.
[٩] السياق: لمّا أشار... إلى...
[١٠] ر – من.

وجاء بكلمة التوقُّعِ ليُؤذنَ أنهم علموا بعدُ علوَّ شأنِه وإعجازَه لمَّا كرَّر عليهم التحدِّيَ ورازوا قُواهم في المعارضة واستيقنوا عجزَهم عن مثله، فكذَّبوا به بغيًا وحسدًا.

﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: مِثْلَ ذلك التكذيبِ ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني: قبل النظر في معجزات الأنبياء وقبل تدبُّرها من غير إنصافٍ من أنفسهم، ولكنْ قلَّدوا الآباء وعانَدوا.

وقيل: هو في الذين كذَّبوا وهم شاكُّون.

ويجوز أن يكون معنى ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾: ولم يأتهم بعدُ تأويلُ ما فيه من الإخبار بالغيوب؛ أي: عاقبتُه حتّى يَتبيَّن لهم أهو كذبٌ أم صدقٌ؟ يعني: أنه كتابٌ مُعجِزٌ من جهتين: من جهةِ إعجاز نَظْمِه، ومن جهةِ ما فيه من الإخبارِ بالغيوب، فتسرَّعوا إلى التكذيب به قبل أن ينظروا في نَظْمِه وبلوغه حدَّ الإعجاز، وقبل أن يَخْبُروا إخبارَه بالمغيَّبات وصدْقَه وكذبَه.

قوله: (بعد علوّ شأنه) أي: بعد ذلك. وقوله: (لمّا كرّر) بدل مِن (بعدُ).

قوله: (وقيل هو في الذين) أي: الآية التي نحن فيه وإنّما ذكّر بتأويل الكلام. وقوله:[١] (وهم شاكُّون) وكان على الوجه الأوّل أنّهم كذّبوا بعد زوال شكّهم كما كذّبوا حين كانوا شاكّين، وأمّا على الوجه الثاني فالمعنى أنّهم شاكُّون بعدُ، وأمّا [أنّ][٢] تأويله متوقَّع بالنسبة إليهم فهو مثل ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ﴾ [ص ٣٨/٨٨].

قوله: (حتّى يَبين)[٣] غاية لقوله: ﴿يَأْتِهِمْ﴾ لا لقوله: ﴿لَمَّا يَأْتِهِمْ﴾ فتأمّل.

قوله: (مِن جهة إعجاز نظمه) دلَّ عليه قوله: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ﴾، والإخبار بالغيب مِن قوله: ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ﴾.

قوله: (إخباره بالمغيَّبات) هو المراد بقوله: ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ﴾.

---

١ ن – (وقيل هو في الذين) أي: الآية التي نحن فيه وإنّما ذكر بتأويل الكلام. وقوله.

٢ د ن ر – أنّ.

٣ في مطبوع الكشّاف: يتبيَّن. | وأثبتُّ ما في حاشية الجاربردي وما راجعته من أصول الكشّاف.

﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ۝٤٠ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٤١﴾

﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾: يصدِّقُ به في نفسه، ويَعلم أنّه حقٌّ، ولكنه يعاند بالتكذيب، ومنهم مَن يَشكُّ فيه لا يُصدِّق به.

أو يكون للاستقبال؛ أي: ومنهم مَن سَيُؤمن به ومنهم مَن سَيُصِرُّ.

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾: بالمعاندين، أو: المصرّين.

﴿وَإِن كَذَّبُوكَ﴾: وإن تَمُّوا على تكذيبك ويَئِسْتَ من إجابتهم فتبرَّأْ منهم وخلِّهم فقد أَعْذَرْتَ؛ كقوله: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ﴾ [الشعراء ٢٦/٢١٦].

وقيل: هي منسوخةٌ بآية السيف.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤٢ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ۝٤٣﴾

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ معناه: ومنهم ناسٌ يستمعون إليك إذا قرأتَ القرآنَ

قوله:[١] (بالمعاندين) على التفسير الأوّل. وقوله: (أو المصرّين) على التفسير الثاني.

قوله: (وإن تَمُّوا على تكذيبك) يقال: «تمّ على أمره أمضاه وأتمّه. ومنه قوله: فإن نكل وتمّ على الإباء، أي: مضى على الإنكار. وتِمَّ[٢] على مقصدك وتِمَّ على أمرك: أمضِه. ومنه "تِمَّ[٣] على صومك" وفي الكرخيّ: "تِمَّ[٤] صومك" خطأ».[٥]

قوله: (فقد أعذرتَ) «أعذر، أي: بالغ في العذر، يقال: أعذر مَن أنذر».[٦]

قوله: (معناه: ومنهم ناس) يريد أنّ "مَن" في الموضعين نكرة موصوفة لا موصولة.

---

[١] ن – (إخباره بالمغيّبات) هو المراد بقوله: ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ﴾. قوله.
[٢] ن: وأتم.
[٣] ن: أتم.
[٤] ر + على.
[٥] المغرب للمُطرِّزي، «تمم».
[٦] المغرب للمُطرِّزي، «عذر».

وعلَّمتَ الشرائعَ ولكنَّهم لا يَعُونَ ولا يَقبلون، وناسٌ ينظرون إليك ويُعاينون أدلَّة الصدق وأَعلامَ النبوَّة ولكنهم لا يُصدِّقون.

ثم قال: أتطْمعُ أنك تقدر على إسماع الصُّمِّ ولو انضمَّ إلى صمَمِهم عدمُ عقولهم؛ لأنَّ الأصمَّ العاقل ربَّما تفرَّس واستَدَلَّ إذا وقع في صماخه دَوِيُّ الصوت، فإذا اجتمع سلبُ السمع والعقل جميعًا فقد تمَّ الأمر.

وأتحسبُ أنك تقدر على هداية العُمْي ولو انضمَّ إلى فَقْدِ البصر فقدُ البصيرة؛ لأنَّ الأعمى الذي له في قلبه بصيرةٌ قد يَحْدِسُ ويَتظنَّن، وأمَّا العَمَى مع الحُمق فجَهْدُ البلاء.

يعني: أنهم في اليأس من أن يقبلوا ويُصدِّقوا كالصُّمِّ والعُمْي الذين لا عقُول لهم ولا بصائرَ.

قوله: (لأنَّ الأصمَّ العاقل) متعلِّق بمحذوف، أي: إنّما قال تعالى[١] في استبعاد الطمع: ﴿وَلَوْ كَانُواْ لَا يَعْقِلُونَ﴾؛ لأنَّ الأصمَّ.

قوله: (دَويّ[٢] الصوت) يقال: دَويّ النحل والصوت. وبيانه أن نقول: الصوت: كيفيّة تحدث مِن تموُّج الهواء المنضغط بين قارع ومقروع،[٣] فإن عرضت هيئة يتميَّز[٤] بها عن صوت آخر مثله في الخفّة والثقل تمييزًا في المسموع فهو الحرف، وإلّا فهو الدويّ.[٥]

قوله: (لأنَّ الأعمى) متعلِّق بمحذوف نحو ما مرّ.[٦]

قوله: (فجَهْدُ البلاء) «الجهد بالضمّ الطاقة وبالفتح الغاية. يقال: "اجهد جَهدك في هذا الأمر" بفتح الجيم، أي: ابلغ غايتك، ولا تقل: "اجهد جُهدك" بضمّ الجيم».[٧]

---

[١] ن ر: يقال.

[٢] ر: ذوي.

[٣] هذا التعريف للصوت بلفظ قريب في الشِّفاء لابن سينا (الطبيعيّات، النفس) ٦/٣٤.

[٤] ن: تمنى.

[٥] ن ر: الدوي.

[٦] ن: في.

[٧] الصحاح للجوهري، «جهد».

وقوله: ﴿أَفَأَنتَ﴾ ﴿أَفَأَنتَ﴾ دلالةٌ على أنه لا يقدِر على إسْماعهم وهدايتهم إلا الله عز وجل بالقَسْرِ والإلجاء؛ كما لا يقدر على ردِّ الأصمّ والأعمى مسلوبَيِ العقلِ حديدَيِ السَّمْعِ والبصرِ راجِحَيِ العقل إلا هو وحده.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا﴾؛ أي: لا يَنْقُصُهم شيئًا ممَّا يتَّصل بمصالحهم: من بعثةِ الرسل، وإنزالِ الكتب، ولكنهم يظلمون أنفسَهم بالكفر والتكذيب.

ويجوز أن يكون وعيدًا للمكذِّبين، يعني: أن ما يلحقُهم يوم القيامة من العذاب لاحقٌ بهم على سبيل العدل والاستيجاب، ولا يظلمهم الله به ولكنهم ظلموا أنفسهم باقتراف ما كان سببًا فيه.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾ يَستقرِبون وقتَ لبثِهم في الدنيا، وقيل: في القبور؛ لهَوْلِ ما يرون.

قوله: (﴿أَفَأَنتَ﴾، ﴿أَفَأَنتَ﴾) أي: تكرار ﴿أَفَأَنتَ﴾، يريد أنّه إنّما كرّر ﴿أَفَأَنتَ﴾ للدلالة[1] على هذا المعنى. فيه نظر؛ بل المعنى أنّ التقديم في كلّ موضع منهما أفاد الحصر، بمعنى أنّ الإنكار إنّما يوجّه إلى إسماعه في هدايته فقط، فإنّ الله تعالى يُسمِع ويهدي لا غيرُه. وقوله: (حديدَي السمع) مفعول (ردّ).[2]

قوله: (ويجوز أن يكون وعيدًا) عطف مِن حيث المعنى على قوله: (أي: لا ينقصهم).[3]

قوله: (يستقربون) أي: يعدُّونه قريبًا لهول ما يرون، نحو استعجب[4] الشيء عدّه عجيبًا.

---

[1] ن: للدلالت.
[2] ن: لا.
[3] ن: يقصيهم.
[4] ر: استعجلت.

﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾: يعرفُ بعضُهم بعضًا كأنَّهم لم يتفارقوا إلَّا قليلًا، وذلك عند خروجهم من القبور، ثم ينقطِعُ التعارُفُ بينهم لشدَّة الأمر عليهم.

فإن قلتَ: ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ﴾ و﴿يَتَعَارَفُونَ﴾ كيف موقعُهما؟

قلتُ: أما الأُولى فحالٌ منهم؛ أي: يحشرهم مشبَّهين بمَن لم يلبَثْ إلَّا ساعةً، وأما الثانيةُ: فإمَّا أن تتعلَّق بالظرف، وإمَّا أن تكون مُبيِّنةً لقوله: ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾؛ لأن التعارُفَ لا يبقى مع طول العهد وينقلب تناكُرًا.

﴿قَدْ خَسِرَ﴾ على إرادةِ القول؛ أي: يتعارفون بينهم قائلين ذلك، أو هي شهادةٌ من الله تعالى على خُسرانهم، والمعنى: أنّهم وُضعوا في تجارتهم وبَيعهم الإيمانَ بالكفر.

﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ للتجارة عارفين بها، وهو استئنافٌ فيه معنى التعجُّب؛ كأنَّه قيل: ما أخسرَهم!

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ جوابُ ﴿نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾، وجواب ﴿نُرِيَنَّكَ﴾ محذوفٌ؛ ....

قوله: (فإمّا أن تتعلّق بالظرف) أي: يكون عاملًا فيه، والمعنى حينئذٍ يتعارفون يومَ نحشرهم.

قوله: (وأمّا أن تكون مبيّنة) وإذا جُعلت مبيّنة يكون المراد باللبث اللبث[1] في القبور.

قوله:[2] (أنّهم وُضعوا) يقال: «وُضِع الرجل في تجارته وأُوضِع على ما لم يسمّ فاعله فيهما، أي: خسر.[3] يقال: وُضعتَ في تجارتك وأنت موضوع فيها».[4]

---

[1] ر – اللبث.

[2] ر: قولهم.

[3] ر: حسن.

[4] الصحاح للجوهري، «وضع».

كأنَّه قيل: وإمَّا نُرينَّك بعضَ الذي نعدُهم في الدنيا فذاك، أو نتوفَّينَّك قبل أنْ نريَكَه فنحن نرِيكَه في الآخرة.

فإنْ قلتَ: الله شهيدٌ على ما يفعلون في الدارين، فما معنى ﴿ثُمَّ﴾؟

قلتُ: ذُكرت الشهادةُ والمراد مقتضاها ونتيجتُها وهو العقاب؛ كأنَّه قال: ثُمَّ اللهُ مُعاقبٌ على ما يفعلون.

وقرأ ابن أبي عبلة: "ثَمَّ" بالفتح؛ أي: هنالك.

ويجوز أن يراد: أن الله مؤدٍّ شهادتَه على أفعالهم يوم القيامة حين يُنطِقُ جلودَهم وألسنتَهم وأيديَهم وأرجلَهم شهادةً عليهم.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٤٧﴾

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾ يُبعثُ إليهم لينبِّهَهم على التوحِيد ويدعوَهم إلى دِين الحقِّ ﴿فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ﴾ بالبينات فكذَّبوه فلم يتَّبعوه ﴿قُضِيَ بَيْنَهُم﴾؛ أي: بين نبيِّه ومكذِّبيه ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾: بالعدل، فأُنجي الرسولُ وعُذِّب المكذِّبون؛ كقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء ١٧/١٥].

أو: ولكلِّ أمةٍ من الأممِ يوم القيامة رسولٌ تُنسَب إليه وتُدْعَى به، ....

قوله: (فذاك) أي: فذاك حقّ وصواب، أو فذاك[١] مطلوبك.

قوله: (أو نتوفَّينَّك) عطف على (نُرينَّك)، والتقدير: / "وإمّا نتوفينّك"، [٣٧٢و] فلذلك احتاج إلى الجواب، والتحقيق أنّه عطف جملة على جملة، أعني عطف ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ على ﴿نُرِيَنَّكَ﴾ مع[٢] جوابه المحذوف.

قوله: (ويجوز أن يراد أنّ الله مؤدٍّ شهادته) فيكون المراد بشهادة الله تعالى: هو إنطاق جوارحهم.

---

[١] ر – حقّ وصواب أو فذاك.

[٢] ر – جملة على جملة أعني عطف أو نتوفينّك فإلينا مرجعهم على نرينّك مع.

فإذا جاء رسولُهم الموقفَ ليَشهدَ عليهم بالكفر والإيمان؛ كقوله: ﴿وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ [الزمر ٦٩/٣٩] قُضي بينهم.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ استعجالٌ لِمَا وُعدوا من العذاب استبعادًا له.

قوله: (فإذا جاء[1] رسولهم الموقف) جواب "إذا" هذه محذوف مِن لفظ الكشّاف، أي: "قُضي بينهم بالقسط"، وفي بعض النُّسخ: "قُضي" بغير[2] الواو بعد قوله: ﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ [الزمر ٦٩/٣٩]، فيكون جواب "إذا". والأوّل أوجَه؛ لأنّ قوله: ﴿وَقُضِيَ﴾ مِن تتمّة الآية المستشهدة، وحُذف[3] جواب "إذا"؛ لأنّه مثل ما تقدّم في الوجه الأوّل. قيل: اعلم أنّ هذا الكلام في محلّ المبتدأ، وقوله:[4] (كقوله تعالى)[5] خبره، ولذلك لم يذكر المصِنف جواب "إذا"، فتأمّل.

قوله تعالى: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ أي: يقولون: متى هذا العذاب الموعود الذي تُوعِدوننا به، يعني: متى يقع؟[6] ومتى يحصل؟ وهذا بطريق الاستبعاد، ثمّ قالوا: إن كنتم صادقين في أنّ العذاب واقع فاتوا[7] به، فأُجيبوا بأن إتيان العذاب ليس في مقدرتي[8] ومشيئتي، فإنّه متعلِّق بقدرة الله تعالى ومشيئته لا بقدرتي، إذ أنا عبد لا أقدر على تحصيل النفع لنفسي ولا على دَفْع الضرّ عني، فكيف أقدر على ذلك لأجلكم، ثمّ ردّ[9] استبعادهم بأن ذلك العذاب الموعود يقع لا محالةَ في وقته المعيّن مِن غير تقدّم ولا تأخّر. وقوله: (استبعادًا له)[10] الاستبعاد[11] هنا مِن قولهم: استبعده إذا قال: إنّه بعيد الوقوع لا يقع ولا يكون.

---

[1] ن - جاء.
[2] ن ر: لغير.
[3] ن: وحوف.
[4] ر: قوله.
[5] ن: يقال.
[6] ن: نفع.
[7] ر: قالوا.
[8] ر: مقدورتي.
[9] ر: زاد.
[10] ر - له.
[11] ر: والاستبعاد.

﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَلَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ٤٩﴾

﴿لَآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا﴾ من مرضٍ أو فقرٍ ﴿وَلَا نَفۡعًا﴾ من صحَّةٍ أو غنًى.

﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ استثناءٌ منقطعٌ؛ أي: ولكنْ ما شاء الله من ذلك كائنٌ، فكيف أملك لكم الضرر وجَلبَ العذاب؟

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ يعني: أن عذابكم له أجلٌ مضروبٌ عند الله وحدٌّ محدودٌ من الزمان ﴿إِذَا جَآءَ﴾ ذلك الوقتُ أُنجِزَ وَعْدُكم لا محالةَ فلا تستعجِلوه.

وقرأ ابن سيرين: "إذا جاء آجالهم".

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوۡ نَهَارٗا مَّاذَا يَسۡتَعۡجِلُ مِنۡهُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٥٠ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓۚ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ٥١﴾

﴿بَيَٰتًا﴾ نصبٌ على الظرف بمعنى: وقتَ بياتٍ.

فإن قلتَ: هلا قيل: ليلًا أو نهارًا؟

قلتُ: لأنه أريد: إن أتاكم عذابُه وقتَ بياتٍ فبيَّتكم وأنتم ساهون نائمون

قوله: (**فإن قلتَ: هلّا قيل ليلًا؟**) وجه السؤال أنّ ذِكر الليل في مقابلة النهار أنسب، فلِمَ عَدَل إلى ﴿بَيَٰتًا﴾؟[1] ووجهُ الجواب أنّ المراد بذِكر الليل والنهار الإشارةُ إلى وقت الغفلة والاشتغال، فذكر البياتِ[2] للدلالة[3] على هذا الغرض، ثمّ ذُكر النهار في موضعه[4] على الأصل.

قوله: (فبيّتكم) «بيّت[5] العدوّ، أي: أوقع بهم ليلًا، والاسم[6] البَيات».[7] ويقال: «بات يبيت ويبات بيتوتةً»،[8] ولم يجئ منه البَيات. فحاصل المعنى في ليلًا ونهارًا

---

١ ن ر: بيانًا.
٢ ر: الثبات.
٣ ن: للدلالت؛ ر: لدلالته.
٤ ن: موضع.
٥ ر: نبت.
٦ ن: والأثيم.
٧ الصحاح للجوهري، «بيت». | ضُبطت الباء في د بالكسر، وأثبتُّ ما في الصحاح وغيره، وفي المغرب للمُطرِّزي، «بيت»: «والاسم البَيات كالسَّلام من سلَّم».
٨ الصحاح للجوهري، «بيت».

لا تشعرون كما يبيّتُ العدوُّ المباغتُ، والبياتُ بمعنى التبييتِ كالسَّلام بمعنى التسليم.

وكذلك قوله: ﴿نَهَارًا﴾ معناه: في وقتٍ أنتم فيه مشتغلون بطلب المعاش والكسب، ونحوه: ﴿بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ [الأعراف ٩٧/٧] ﴿ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأعراف ٩٨/٧].

الضميرُ في ﴿مِنْهُ﴾ للعذاب، والمعنى: أن العذاب كلَّه مكروهٌ مرُّ المذاق موجبٌ للنِّفار، فأيَّ شيءٍ يستعجلون منه وليس شيءٌ منه يوجب الاستعجال؟

ويجوز أن يكون معناه التعجُّبَ؛ كأنه قيل: أيَّ شيءٍ هولٍ شديدٍ يستعجلون منه، ويجب أن تكون "مِن" للبيان في هذا الوجه.

وقيل: الضمير في ﴿مِنْهُ﴾ لله تعالى.

فإن قلتَ: بمَ تعلّق الاستفهام، وأين جوابُ الشرط؟

قلتُ: تعلَّق بـ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾؛ لأن المعنى: أَخبِروني ماذا يستعجل منه المُجرمون؟ وجواب الشرط محذوفٌ وهو: تَنْدَموا على الاستعجال، أو: تَعْرِفوا الخطأ فيه.

إتيان العذاب وقتَ غفلتهم واشتغالهم، فذُكر ﴿بَيَٰتًا﴾ موضع ليلًا للإشارة[١] إلى المعنى المراد، ولمّا فُهم ذلك ذُكر ﴿نَهَارًا﴾ في موضع نفسه.

قوله: (فأيَّ شيءٍ يستعجلون منه) فـ"مِن" للتبعيض، أي: كائنًا بعض العذاب. وعلى[٢] هذا الوجه يكون الاستفهام[٣] بمعنى الإنكار، والإنكار[٤] هنا[٥] بمعنى: "لِمَ كان هذا الاستعجال"، لا بمعنى "لم يكن".[٦] فتدبّر.

قوله: (ويجوز أن يكون ﴿مَاذَا يَسْتَعْجِلُ﴾ جوابًا للشرط) عطف على قوله: (تعلّق بـ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾) لا على قوله: (جواب الشرط محذوف)؛ لأنّ قوله: "تعلّق"...[٧] إلخ، إشارة إلى بيان متعلّق الاستفهام[٨] وجواب الشرط.

---

١ ن ر: الإشارة.
٢ ر: على.
٣ ر: للاستفهام.
٤ ر: وللإنكار.
٥ ر – هنا.
٦ يعني أنّه إنكار توبيخي لا إنكار إبطالي.
٧ ن – تعلق.
٨ ر: للاستفهام.

فإن قلتَ: فهلّا قيل: ماذا تستعجلون منه؟

قلتُ: أُريدتِ الدلالةُ على مُوجِبِ ترك الاستعجال وهو الإجرامُ؛ لأن مِن حقِّ المجرم أن يخافَ التعذيبَ على إجرامه ويَهلِكَ فزعًا من مجيئه وإن أبطأ فضلًا أن يستعجله.

ويجوز أن يكون ﴿مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ جوابًا للشرط؛ ....

وقوله: "ويجوز" وجه آخر لبيان متعلَّق الاستفهام وجواب الشرط أيضًا. وكذا قوله: "وأن يكون" وجه آخرُ لبيان حال الاستفهام والجواب أيضًا، فيكون كلاهما مِن حيث المعنى عطفًا على ما ذكرنا. ثمّ إنّك إذا جعلتَ:[١] ﴿ماذا يَسْتَعْجِلُ﴾ جواب الشرط، فذلك / بتقدير قول محذوف، والتقدير: إن أتاكم العذاب يقال لكم: ﴿مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾، أي: ماذا تستعجلون، وإنّما التفت بمعنى ذكره[٢] المصنّف. [٣٧٢ظ]
وقوله: ﴿يَسْتَعْجِلُ﴾ على حكاية الحال الماضية، والدليل عليه قوله تعالى في موضع آخر: ﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٣] [النمل ٨٤/٢٧]، وكتاب الله تعالى يفسّر بعضه بعضًا. وقوله: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ﴾ جواب الشرط، فلا يكون ذلك إلّا بتقدير محذوف؛ لأنّ ﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف والجزاء لا يكون معطوفًا على الشرط، والتقدير: "إن أتاكم عذابه يقال لكم: أكفَرْتم قبل إتيان العذاب، ثمّ إذا ما[٤] وقع العذاب آمنتم"،[٥] فحُذف[٦] القول لظهور[٧] أنّ قوله:[٨] "أكفَرْتم" لا يصلح جوابًا للشرط، ثمّ حُذف "أكفَرْتم" قبل إتيان العذاب، وأُدخل حرف الاستفهام على ﴿ثُمَّ﴾ ليفيد إنكارَ تأخير الإيمان إلى وقت وقوع العذاب مع اقتضاء حرف[٩] الاستفهام فعلًا يدخل[١٠] عليه، واقتضاء ﴿ثُمَّ﴾ معطوفًا عليه،[١١] فصار على ما هو عليه، ولذلك شبَّهه المصنِّف بـ﴿أَفَأَمِنَ﴾ [الأعراف ٩٧/٧]، و﴿أَوَأَمِنَ﴾ [الأعراف ٩٨/٧].

---

١ ر: جملت.
٢ ن: ذكر.
٣ د ن ر: تستعجلون.
٤ ن ر – ما.
٥ ر: ينقصهم.
٦ ر: محذوف.
٧ ن: الظهور.
٨ د: قول.
٩ ر: معرف.
١٠ ن: بلظلا.
١١ ن + على.

كقولك: إن أتيتُك ماذا تُطعمُني؟ ثم تتعلّق الجملةُ بـ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾.

وأن يكون ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾ جوابَ الشرط، و﴿مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ اعتراضًا، والمعنى: أَإِنْ أتاكم عذابُه آمنتم به ....

وأمّا قول المصنِّف:[١] (والمعنى: أَإن أتاكم)... إلخ، فبيانُ ما يئول إليه معنى الجزاء، ولـم يتعرّض لبيان ما هو مقدّر إحالةً لبيان ذلك إلى مَن كان قد نظر في سوابق كتابه ويتهيأ للواحقه، وهذا مِن قبيل:

كـــــم[٢] تـــــرك الأوّل للآخـــــرِ[٣]

ومِن الإشارة الخفيّة إلى أنّ مَن يسَّر الله تعالى عليه يستبصر بهذا القدر مِن التنبيه[٤] اليسير، ومَن عسُر عليه لا ينتفع بأصرحَ منه بكثير. ثمّ بيَّن المصنِّف[٥] أنّ الاستفهام في هذا الوجه لا متعلّق له؛ لأنّه جملة معترضة.

واعلم أنّ هذه المعاني متعذّر[٦] التطبيق مع قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ في أوّل الكلام إذا فسّر ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ بـ"أخبروني"؛ لأنّ قولك: "أخبروني إن أتاكم العذاب يقال[٧] لكم: ماذا تستعجلون؟" لا معنى له، وكذا "أخبروني إن أتاكم العذاب يقال: أثمّ إذا ما وقع آمنتم" لا معنى له.

فالوجه أن نقول: ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ هنا بمعناه[٨] الحقيقي، وهو "أعلمتُم"، وقد فسَّره الواحدي في الوسيط به،[٩] ويكون المعنى: "أعلمتُم[١٠] إن أتاكم عذابه يقال[١١] لكم: ماذا كنتم تستعجلون"، أو "أعلمتُم إن أتاكم عذابه يقال لكم:[١٢] ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم﴾. ويكون قوله: "أعلمتم" متضمِّنًا للتخويف[١٣] والتهديد.

---

١ ن ر + رحمه الله.
٢ ن ر – كم.
٣ ن: الآخر. | عجز بيت، أوّله:
يـقـول مَـن تـقـرع أسـمـاعـه
وهو بلا عزو في مقدِّمة النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، ١١/١؛ ومقدِّمة القاموس المحيط للفيروزآبادي، ص ٢٧.
٤ ن: البقية.
٥ ن ر + رحمه الله.
٦ ر: مقدر.
٧ ن: ويقا.
٨ ر: بمعنا.
٩ انظر: الوسيط للواحدي، ٥٤٩/٢ (يونس، ١٠/٥٠).
١٠ ر: اعلم.
١١ ن: ويقال.
١٢ ر – ماذا كنتم تستعجلون، أو أعلمتم إن أتاكم عذابه يقال لكم.
١٣ ر: للتحريف.

بعد وقوعه حين لا ينفعكم الإيمانُ، ودخول حرف الاستفهام على "ثُمَّ" كدخوله على الواو والفاء في قوله: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰ﴾ [الأعراف ٩٧/٧] ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰ﴾ [الأعراف ٩٨/٧].

﴿ءَآلْـَٰٔنَ﴾ على إرادة القول؛ أي: قيل لهم إذا آمنوا بعد وقوع العذاب: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ﴾ آمنتُم به ﴿وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ يعني: وقد كنتُم به تكذِّبون؛ لأن استعجالهم كان على جهة التكذيب والإنكار.

وقرئ: ﴿آلَان﴾ بحذف الهمزة التي بعد اللام وإلقاءِ حركتها على اللام.

ويمكن أن يكون مراد المصنِّف بقوله: (المعنى: أخبِروني) أنّ هذا هو معناه في الوجه الأوّل ولا يلزم اطِّراده[١] في الوجهين[٢] الآخرين. وقوله: (كقولك: إن أتيتُك ماذا تطعمني؟) لا يجب في المثال تقدير القول؛ لأنّ الإطعام على تقدير الإتيان، فكأنّه قيل: تُطعمني طعامًا لذيذًا جيِّدًا. ويجوز أن يقال: تقديره: أقول أو يقال: ماذا تُطعمني؟ وقوله: (ثمّ تتعلّق الجملة) مِن الشرط والجزاء. وقوله: (وأن يكون ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ﴾) على هذا الوجه أيضًا تكون الجملة متعلِّقة[٣] بـ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾. وقوله: "والمعنى أإن أتاكم" تفسير لقوله تعالى:[٤] ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم﴾، سواءٌ كان جزاء للشرط أو لم يكن / كالوجهين[٥] الأوّلين. [٣٧٣و]

قوله: (﴿ءَآلْـَٰٔنَ﴾ على إرادة القول) فيكون بدلًا مِن قوله: ﴿إِذَا مَا وَقَعَ﴾... إلخ. وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ﴾ يدلُّ على إرادة القول[٦] فيما مرّ.[٧]

واعلم أنّه لا بدّ[٨] على الوجه الأوّل مِن تقدير القول قبل ﴿أَثُمَّ﴾، وتقدير الكلام حينئذٍ: "أرأيتم ماذا تستعجلون"، ثمّ بيَّن[٩] الخطأ[١٠] في استعجالهم فقال:

---

١ ن: اطران.
٢ ن: الوجه.
٣ ن: متعلق.
٤ ن: يقال.
٥ ن: كالوجه.
٦ ن – فيكون بدلًا مِن قوله: ﴿إِذَا مَا وَقَعَ﴾... إلخ. وقوله تعالى ﴿ثُمَّ﴾ يدلُّ على إرادة القول.
٧ ن: من.
٨ ن: بدل.
٩ ن: أي.
١٠ ن: الخطان.

﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ۝٥٢﴾

﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ عطفٌ على "قيل" المضمرِ قبل ﴿ءَآلْـَٔنَ﴾.

﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ۝٥٣﴾

﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ﴾: ويستخبِرونك فيقولون: ﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾ وهو استفهام على جهةِ الإنكار والاستهزاء، وقرأ الأعمش: "آلحقُّ هو" وهو أَدْخَلُ في الاستهزاء لتضمُّنه معنى التعريضِ بأنه باطلٌ؛ وذلك لأن اللام للجنس؛ فكأنه قيل: أهو الحق لا الباطل، أو: أهو الذي سمَّيتُموه الحقَّ؟

والضميرُ للعذاب الموعود.

و﴿إِى﴾ بمعنى: "نعم" في القسَم خاصَّةً كما كان "هل" بمعنى "قد" في الاستفهام خاصةً، وسمعتُهم يقولون في التصديق: "إِيوَ" فيَصِلونه بواو القسَم ولا يَنطقون به وحده.

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾: بفائتين العذابَ، وهو لاحقٌ بكم لا محالةَ.

"إن أتاكم عذابه تندموا"، ثمّ[1] بيّن[2] ما يدلّ على ندمهم فقال: يقال لكم: أكفرتم قبلُ ثمّ إذا وقع آمنتم، يقال: الآن آمنتم؟، ثمّ يقال: ذوقوا. فهذه عبارات مختلفة في توبيخهم موجِبة لزيادة ندمهم.

وأمّا على الوجه الثاني فقوله: ﴿أَثُمَّ﴾... إلخ، في[3] حيّز[4] جواب الشرط، فيجوز ألّا يقدَّر قوله[5] فيه؛ بل الجميع[6] مقول[7] القول المتقدِّم. ويجوز أن يقدَّر كما قدَر قبل الآن في الوجه الثالث. والحمد لله على التوفيق والإلهام.

قوله: (أو هو الذي سمَّيتوه؟)[8] فيكون اللام على هذا للعهد.

قوله: (إِيْوَ) هذا دليل على أنّه مِن لوازم القسم.

---

١ ن: لم.
٢ ن: إن.
٣ ر: فهو.
٤ ر: جواب.
٥ ر: قول.
٦ ر: الجمع.
٧ ن: يقول.
٨ ر: سموه.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾﴾

﴿ظَلَمَتْ﴾ صفةٌ لـ﴿نَفْسٍ﴾ على: ولو أن لكلِّ نفسٍ ظالمةٍ.

﴿مَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: ما في الدنيا اليومَ من خزائنها وأموالها وجميعِ منافعها على كثرتها.

﴿لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ لجَعَلتْه فِدْيةً لها، يقال: فَدَاه فافتدى، ويقال: افتداه، أيضًا بمعنى: فَدَاه.

﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾؛ لأنهم بُهِتوا لرؤيتهم ما لم يَحتسِبوه ولم يُخطِرْ ببالهم، وعاينوا من شدَّة الأمر وتفاقُمه ما سلَبهم قُواهم وبَهرَهم فلم يُطيقوا عنده بكاءً ولا صُراخًا ولا ما يَفعله الجازعُ، سوى إسْرار الندم والحسرة في القلوب؛

قوله: (ما في الدنيا اليوم) إنّما قيّد بقوله: "في الدنيا اليوم" إشارة إلى أنّ هذا إنّما يكون في الآخرة ولا شيءَ حينئذٍ في الدنيا.

قوله: (افتداه أيضًا) والمصنِّف[١] أشار[٢] بقوله: "أيضًا" إلى أنّ قوله: "افتدت" بالمعنى الثاني لا بالمعنى الأوّل، ومثله ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ﴾ [المعارج ٧٠/١١-١٢]. وقوله: (بمعنى: فداه) يقال: فداه[٣] إذا أعطى فداءه لينقذه. فقوله تعالى: ﴿لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ مِن قولهم: افتداه بمعنى فداه، أي: أعطي فداءه، والمفعول[٤] محذوف، أي: فَدَت النفس إيّاها بما في الأرض، ولا يجوز أن يكون مِن "افتدى" في قولهم: فداه[٥] فافتدى، أي: مِن المطاوع؛ لأنّ النفس هي المعطية للفداء لا الآخذة[٦] لها. وهو ظاهر.

قوله: (لم يحتسبوه) أي: لم يظنوه، ولذلك قال بعده بطريق البيان: (ولم يخطر ببالهم).

---

[١] ر: والمنصف.
[٢] ن: أشاره.
[٣] ر: فداوه.
[٤] ر: والمعنى.
[٥] ر: فداوه.
[٦] ر: الآخذ.

كما ترى المقدَّم للصَّلْب يُثخِنُه ما دَهِمَه من فظاعة الخَطْب ويُغلَبُ حتى لا يَنْبِسُ بكلمةٍ ويبقى جامدًا مبهوتًا.

وقيل: أسرَّ رؤساؤهم الندامةَ من سَفِلَتهم الذين أضلُّوهم؛ حياءً منهم وخوفًا من توبيخهم.

وقيل: أسرُّوها: أخلَصوها؛ إمَّا لأن إخفاءها إخلاصُها، وإمَّا من قولهم: "سرُّ الشيء" لخالصه، وفيه تهكُّمٌ بهم وبأخطائهم وقتَ إخلاص النَّدامة.

وقيل: أسرُّوا الندامة: أظهروها، من قولهم: أسرَّ الشيءَ وأشَرَّه: إذا أظهَره، وليس هناك تجلُّدٌ.

﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم﴾؛ أي: بين الظالمين والمظلومين، دلَّ على ذلك ذكرُ الظلم.

قوله: (يُثخنه) يقال: «أثختته الجراحات، أي:[١] أوهنته وضعّفته، ومنه رمى[٢] الصيد فأثخنه، وفي التنزيل:[٣] ﴿حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنفال ٨/٦٧] أي: يُكثر القتلَ».[٤]

قوله: (وقيل: أسرّ رؤساءهم) عطف على قوله: (لأنّهم بُهتوا).

قوله: (وفيه تهكُّم) على هذا التفسير الموجَّه بالوجهين.

قوله: (وقيل: ﴿أَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ﴾ أظهروها) «أسررتُ[٥] الشيء كتمته وأعلنته أيضًا، مِن الأضداد».[٦]

قوله: (ليس هنالك) أي: وقتَ نزول العذاب تجلُّد،[٧] أي: تكلُّف الجلادة حتّى يخفوها مِن سَفِلتهم، أي: ليس لهم قوّة الإخفاء فأظهروا لضعفهم.

قوله: (أتبعَ) عطف على محذوف، أي: ذِكر الله تعالى ما دلّ على عذابهم وعقابهم ثمّ أتبعَ، ولا يجوز أن يكون عطفًا على (دلّ)؛ لأنّه بيان مرجع الضمير.[٨]

---

١ ر – أي.

٢ ر: وفي.

٣ ن: النهرمل.

٤ المغرب للمُطرّزي، «ثخن».

٥ د: سررت.

٦ الصحاح للجوهري، «سرر».

٧ ر: تخلد.

٨ ن: الظهر.

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾﴾

ثم أَتْبعَ ذلك الإعلامَ بأن له الملكَ كلَّه، وأنه المثيبُ المعاقِبُ، وما وعده من الثواب والعقاب فهو حقٌّ، وهو القادرُ على الإحْياء والإماتة لا يقدرُ عليهما غيرُه، وإلى حسابه وجزائه المرجعُ؛ ليُعلَمَ أن الأمر كذلك فيُخافَ ويُرجَى ولا يَغترَّ به المغترُّون.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ﴾؛ أي: قد جاءكم كتابٌ جامعٌ لهذه الفوائدِ من موعظةٍ وتنبيهٍ على التوحيد ﴿وَ﴾ هو ﴿شفاءٌ﴾؛ أي: دَواءٌ ﴿لِّمَا فِى﴾ صدوركم من العقائد الفاسدة، ودعاءٌ إلى الحق ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ لمن آمَن به منكم.

﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾

أصلُ الكلام: بفضلِ الله وبرحمتِه فلْيَفْرحوا فبذلك فليفرحوا، ....

قوله: (الإعلام) مفعول ثانٍ لـ"أتبعَ".

قوله:[1] (وجزائه المرجع) النصب في "المرجع" أحسن، والتقدير أنّ إلى حسابه المرجع.

قوله: (أصل الكلام: بفضل الله)... إلخ، تنقيح[2] الوجه الأوّل أنّ الأصل "بفضل الله ورحمته / ليفرحوا"، ثمّ أدخل الفاء في ﴿لْيَفْرَحُوا۟﴾ ليدلّ الترتُّب[3] [٣٧٣ظ]
بالفاء على السببيّة،[4] فصار التقدير هكذا "قل بفضل الله ورحمته فليفرحوا". وأمّا قوله تعالى: ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ فأصله "إن فرحوا بشيء فبذلك ليفرحوا"،

---

[1] ر – الإعلام مفعول ثانٍ لأتبع قوله.
[2] ن: ينفخ؛ ر: ينفتح.
[3] ر: الرتب.
[4] ن: أنسبته.

والتكريرُ للتأكيد والتقريرِ، وإيجابِ اختصاص الفضل والرحمةِ بالفرح دون ما عداهما من فوائدِ الدنيا، فحُذف أحد الفعلين لدلالة المذكور عليه، والفاءُ داخلةٌ لمعنى الشرط؛ كأنّه قيل: إنْ فرِحوا بشيءٍ فلْيَخُصُّوهما بالفرح

ثمّ أدخل الفاء في ﴿لْيَفْرَحُواْ﴾ ليدلّ[١] الترتب بالفاء على السببيّة،[٢] فصار هكذا "إن فرحوا بشيء فبذلك فليفرحوا"، ثمّ حُذف الشرط، فالفاء في ﴿فَبِذَٰلِكَ﴾ فاء الجزاء وفي ﴿فَلْيَفْرَحُواْ﴾ للسببيّة،[٣] ولا يخفى أنّ الأصل "ليفرحوا بفضل الله وبرحمته"، وقدّم وأخّر لإفادة الحصر.

قوله: (والتكرير للتأكيد) يريد بالتكرير قوله: ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾ بعد قوله: ﴿بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾؛ لأنّ التقدير "بفضل الله وبرحمته فليفرحوا"، كما ذكر، ومعنى ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾ كمعنى "بفضل الله وبرحمته فليفرحوا"، فيكون تكريرًا.

قوله: (مِن فوائد الدنيا) بيان (ما عداهما).

قوله: (فحذف أحد الفعلين) أي: ﴿فَلْيَفْرَحُواْ﴾، ففيه إطناب مِن وجه التكرير، وإيجاز مِن وجه الحذف، أي: حُذف "فليفرحوا" مِن الأوّل وحُذف الشرط مِن الثاني.

قوله: (والفاء داخلة) يريد الفاء في قوله: ﴿فَبِذَٰلِكَ﴾؛ بل الفاء في قوله: ﴿فَلْيَفْرَحُواْ﴾؛ لأن لفظ "ذلك" معمول له فلا يكون جوابًا.[٤] وقوله: (فليَخصُّوهما بالفرح) يريد به أنّ ذلك إشارة إلى الفضل والرحمة وأنّ عامله هو ما بعده، وهذا التقديم يفيد الحصر، أي: بالفضل والرحمة لِيفرحوا لا بغيرهما. والفاء في ﴿فَلْيَفْرَحُواْ﴾ للدلالة على سببيّة الفضل والرحمة للفرح، فالتقديم[٥] أفاد فائدة أخرى سوى الحصر، وهي أن رتّب ما بعده عليه بالفاء، فأفاد السببيّة، فلذا قدّر: قل بفضل الله وبرحمته فليفرحوا.

---

١ ر: فالبدل.

٢ ن: أنسبته.

٣ ن: للسنية.

٤ د ر – بل الفاء في قوله: ﴿فَلْيَفْرَحُواْ﴾؛ لأن لفظ ذلك معمول له فلا يكون جوابًا. | وهذه الزيادة وقعت تعليقًا في هامش د.

٥ ر: فاتقديم.

فإنَّه لا مفروحَ به أحقُّ منهما.

ويجوز أن يراد: بفضلِ الله وبرحمته فليَعْتنوا فبذلك فليفرحوا.

ويجوز أن يراد: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ﴾ بفضل الله وبرحمته ﴿فَبِذَٰلِكَ﴾: فبمجيئها ﴿فَلْيَفْرَحُواْ﴾.

وقرئ: ﴿فلْتَفرَحوا﴾ بالتاء، وهو الأصل والقياس، وهي قراءةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رُوي، ....

قوله: (لا مفروحَ به) في هذا التركيب بحث؛ لأنّ "به" متعلِّق بـ"مفروح"، فهو مشابه للمضاف، فحقّه النصب، ولا[1] يمكن أن يقال: "إنّه خبر"، لا وهو متعلِّق بمحذوف، كما قيل في "لا بدّ منه"، فإنّ ذلك ههنا لا يستقيم؛ لأنّ المفعول لا يجيء مِن الفرح بغير الباء.[2] قلتُ: المفروح لا معنى له بدون "به"، فلا يكون بمنزلة المضاف؛ بل المفروح معه بمنزلة كلمة واحدة.[3]

قوله: (ويجوز أن يراد ﴿قَدْ جَآءَتْكُم﴾)، يعني: يقدّر[4] "ذلك" بعد ﴿قُلْ﴾، فكأنّه قال: قد جاءتكم موعظة قل قد جاءتكم موعظة[5] بفضل الله وبرحمته.

قوله: (فبمجيئها)[6] الفاء في ﴿فَبِذَٰلِكَ﴾[7] على هذا أيضًا بمعنى الشرط، والفاء في ﴿فَلْيَفْرَحُواْ﴾ للدلالة على معنى سببيّة مجيئها للفرح كما ذكرنا، ويكون "ذلك" إشارة إلى المجيء لتعلقه بقوله: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم﴾.

قوله: (وهي قراءة رسول الله عليه السلام)[8] قال رحمه الله:[9] إنّما[10] آثر القراءة بالأصل؛ لأنّه أدلّ على الأمر بالفرح وأشدّ تصريحًا به إيذانًا بأنّ الفرح بفضل الله وبرحمته بليغ التوصية به ليطابق التكرير والتقرير، وتضمينُ الكلام معنى الشرط لذلك.

---

[1] ن + هو.

[2] ر – بغير الباء.

[3] د ر – قلت: المفروح لا معنى له بدون "به"، فلا يكون بمنزلة المضاف؛ بل المفروح معه بمنزلة كلمة واحدة. | وهذه الزيادة وقعت تعليقًا في هامش د.

[4] ر: تقدير.

[5] ن: موعظته.

[6] ر: فتمحيها.

[7] ر: بذلك.

[8] ن – عليه السلام.

[9] ن: رضي الله عنه.

[10] ر: بما.

وعنه: «لتأخُذُوا مَضاجِعَكم» قالها في بعض الغَزَوات.

وفي قراءة أبيّ: "فافرحوا".

﴿هُوَ﴾ راجع إلى "ذلك"، وقرئ ﴿مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ بالتاء والياء.

وعن أبيّ بن كعب: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ فقال: بكتاب الله والإسلام.

وقيل: فَضْلُه الإسلامُ، ورحمتُه ما وَعَد عليه.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ۝٥٩﴾

﴿أَرَءَيْتُم﴾: أخبروني، و﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾: ﴿مَّآ﴾ في موضع النصب بـ﴿أَنزَلَ﴾، أو بـ﴿أَرَءَيْتُم﴾ في معنى: أخبِرُونيهِ.

ونظيره ممّا[1] انقلب فيه ما ليس بفصيح فصيحًا قوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص ٤/١١٢] مِن تقديم الظرف اللغو لكون الغرض معقودًا به. وقوله: (وعنه)،[2] أي: وروي عنه عليه السلام،[3] والمشهور مِن الرواية: «مصافّكم»،[4] أي: مواطنكم. وقوله: (مضاجعكم) أي: مواقف[5] الحرب. وقوله: (قالها) أي: قال تلك الكلمة وهي «لتأخذوا».[6] وقوله: (﴿هُوَ﴾ راجع) أي: لفظ "هو". وقوله: (إلى "ذلك") أي: في قوله: ﴿فَبِذَٰلِكَ﴾. وقوله:[7] (فقال)،[8] أي: ففسّر[9] رسول الله عليه السلام.

قوله: (﴿مَّآ﴾ في موضع النصب) إلى آخره، إن كان ﴿مَّآ﴾ منصوبًا بـ﴿أَنزَلَ﴾[10]

---

[1] ر: فيما.

[2] د: وعن.

[3] ن ر: صلّى الله عليه وسلّم.

[4] ما وجدته بهذا اللفظ مسندًا، وهو بلفظه في معاني القرآن للفرّاء، ٤٧٠/١ (يونس، ٥٨/١٠)؛ والكشف والبيان للثعلبي، ٢٢٦/١٤ (يونس، ٥٨/١٠)؛ والبسيط للواحدي، ٢٣٣/١١ (يونس، ٥٨/١٠). وجاء بلفظ «على مصافّكم كما أنتم» في مسند أحمد، ٤٢٢/٣٦ (٢٢١٠٩)؛ وسنن الترمذي، ٢٢١/٥ (٣٢٣٥).

[5] من هنا سقط من د لوح ونصف، وذلك إلى قوله: "وهو ظاهر، والثاني".

[6] مضى تخريجه آنفًا.

[7] ر: فقوله.

[8] ر: تعالى.

[9] ر: فسر.

[10] ر: بإنزال.

﴿فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا﴾؛ أي: أنزله الله رزقًا حلالًا كلّه فبعَّضْتُموه وقلتُم: هذا حلالٌ وهذا حرامٌ؛ كقولهم: ﴿هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ [الأنعام ١٣٨/٦] ﴿مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾ [الأنعام ١٣٩/٦].

﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ متعلِّق بـ﴿أَرَءَيْتُم﴾، و﴿قُلْ﴾ تكريرٌ للتوكيد، والمعنى: أخبروني آللّه أذِنَ لكم في التحليل والتحريم فأنتم تفعلون ذلك بإذنه، أم تتكذّبون على الله في نسبة ذلك إليه؟

ويجوز أن تكون الهمزةُ للإنكار و﴿أَمْ﴾ منقطعةً بمعنى: "بل أتفترون على الله" تقريرًا للافتراء.

وكفى بهذه الآيةِ زاجرةً زَجْرًا بالغًا عن التجوُّز فيما يُسأل عنه من الأحكام،

فهو استفهاميّ، ويكون ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ معلَّقًا،[١] وإن كان منصوبًا بـ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ فهو موصول والعائد محذوف، أي: أخبروني الذي أنزل[٢] الله.

قوله: (متعلّق بـ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾) أي: بدل منه. قال المصنف في سورة فاطر في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر ٤٠/٣٥]: «﴿أَرُونِى﴾ بدل ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾؛ لأن معنى ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ أخبروني، كأنّه قال: أخبروني عن هؤلاء الشركاء وعمّا استحقوا به الإلهيّة والشِّرك،[٣] أروني أيّ جزء من أجزاء الأرض استبدّوا بخلقه».[٤] هذا كلام[٥] المصنف. وأنت وأنت إذا تأمّلت ظهر لك أنّ[٦] قوله: «﴿أَرُونِى﴾ بدل ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾» بمثابة قوله:[٧] ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ بعد ﴿أَرَءَيْتُم﴾.

قوله: (عن التجوُّز) التجوُّز: التساهل والرخص، يقال: فلان[٨] يتجوَّز ولا يتجوّد، أي: يطلب الجائز ولا يطلب الجيّد. والتجوّز: ضد الاحتياط.

---

[١] ن – معلقًا. | وهي مستدركة في الهامش من غير تصحيح.
[٢] ر: أنزله.
[٣] ر: والشركة.
[٤] الكشّاف للزمخشري، (فاطر، ٤٠/٣٥).
[٥] ن: لكلام.
[٦] ن: أي.
[٧] ر + أذن.
[٨] ن: فلا.

وباعثةً على وجوب الاحتياط فيه، وأنْ لا يقول أحدٌ في شيءٍ: "جائز" أو: "غير جائز" إلا بعد إيقانٍ وإتقان، ومَن لم يوقِنْ فليتَّقِ الله ولْيَصْمُتْ وإلّا فهو مفترٍ على الله.

﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ۝٦٠﴾

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ منصوبٌ بالظنّ، وهو ظنٌّ واقعٌ فيه، يعني: أيُّ شيءٍ ظَنُّ المفترين في ذلك اليومِ وما يُصنَع بهم فيه؟ وهو يومُ الجزاء بالإحسانِ والإساءة، وهو وعيدٌ عظيمٌ حيث أُبهم أمرُه.

وقرأ عيسى بنُ عمر: "وما ظَنَّ" على لفظِ الفعل، ومعناه: وأيَّ ظنٍّ ظنُّوا يومَ القيامة، وجيءَ به على لفظِ الماضي؛ لأنه كائنٌ فكأنْ قد كان.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ حيث أنعم عليهم بالعقل ورَحِمهم بالوحي وتعليمِ الحلال والحرام ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ هذه النعمة ولا يتّبعون ما هُدوا إليه.

قوله: (﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ منصوب بالظنّ) وفي جَعْل يوم القيامة ظرف الظنّ إشارة إلى أنّهم لا يظنّون ذلك الظنّ اليوم ولا يُخطِرونه ببالهم؛ بل هم ساهون غافلون[١] لاهون عنه، وفيه توبيخ عظيم شديد.

قوله: (ما يُصنَع بهم) مفعول به لظنّ المفترين مِن حيث المعنى، لكن[٢] علِّق لمعنى الاستفهام، والصواب أن نقول: "ما يُصنع بهم" ابتداء كلام، فقال أوّلًا: "أيّ ظنّ ظنّهم في ذلك اليوم"،[٣] ثم ابتدئ فقيل: "أيّ شيء يصنع بهم". وهذا لاستفهام لتهويل وتعظيم ما يفعل بهم في ذلك اليوم.

قوله: (ومعناه: وأيّ ظنّ ظنّوا) إنّما جعله مفعولًا مطلقًا لا مفعولًا به، لئلا يلزم الاقتصار بفعل الظنّ على مفعول واحد.

---

١ ر – غافلون.

٢ ر: لكنه.

٣ ر: القوم.

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ "ما" نافيةٌ، والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، والشأنُ: الأمرُ، وأصله الهمزةُ بمعنى القصدِ من شَأَنْتُ شأنَه: إذا قصدْتَ قَصْدَه.

والضميرُ في ﴿مِنْهُ﴾ للشأن؛ لأن تلاوةَ القرآن شأنٌ من شأنِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل هو مُعظم شأنه.

أو للتنزيل؛ كأنَّه قيل: ﴿وَمَا تَتْلُواْ﴾ من التنزيل ﴿مِن قُرْءَانٍ﴾؛ لأنَّ كلَّ جزءٍ منه قرآنٌ، والإضمارُ قبلَ الذكر تفخيمٌ له.

أو لله تعالى.

﴿وَلَا تَعْمَلُونَ﴾ أنتم جميعًا ﴿مِنْ عَمَلٍ﴾ أيِّ عملٍ كان ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾: شاهدين رُقَباء نُحصي عليكم ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ مِن أفاضَ في الأمر: إذا اندفع فيه.

قوله: (والشأن:[١] الأمر) فيكون الشأن[٢] هنا بمعنى المشئون، أي: المقصود، وإذا كان الضمير للشأن[٣] يكون "مِن" للابتداء،[٤] ويكون (﴿مِنْهُ﴾) حالًا مِن الضمير في ﴿تَتْلُواْ﴾، أي: مبتدئًا مِن شأنك.

قوله: (أو للتنزيل) وإذا كان الضمير للتنزيل فـ"مِن" للتبعيض و"منه" حال مِن[٥] القرآن / وجاز تقديم الحال على ذي الحال المجرور؛ لأن "مِن" زائدة، فكأنه قيل: [٤٠٠و] ولا تتلو[٦] قرآنا منه.

قوله: (أو لله عزّ وجلّ) وإذا كان الضمير لله عزّ وجلّ[٧] فـ"مِن" للابتداء و"منه" حال أيضًا مِن القرآن، أي: ما تتلو[٨] قرآنًا مبتدئًا بنزوله[٩] مِن الله تعالى شأنه.

---

[١] ن: والبيان.
[٢] ن – الشأن.
[٣] ن: للبيان.
[٤] ن ر: الابتداء.
[٥] ر – من.
[٦] ر: يتلوا.
[٧] ر – وإذا كان الضمير لله عز وجل.
[٨] ر: يتلو.
[٩] ر: نزوله.

﴿وَمَا يَعْزُبُ﴾ -قرئ بالضمّ والكسر-: وما يَبْعُد وما يغيب، ومنه: الروضُ العازبُ.

﴿وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ﴾ القراءةُ بالنصب والرفع، والوجهُ النصبُ على نفي الجنس، والرفعُ على الابتداء ليكون كلامًا برأسه.

وفي العطف على محلِّ ﴿مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ أو على لفظِ ﴿مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ فتحًا في موضع الجرِّ لامتناع الصرف= إشكالٌ؛ لأن قولك: "لا يَعْزبُ عنه شيء إلّا في كتابٍ" مشكِلٌ.

قوله:[1] (قرئ بالضمّ والكسر)[2] قال في الكواشي: القرآن[3] «﴿وَمَا يَعْزُبُ﴾ بضمّ الزاي وكسرها لغتان».[4] والعازب:[5] الكلأ البعيد.

قوله: (على نفي الجنس)، يعني: يكون "لا" لنفي الجنس فينصب[6] اسمه.

قوله: (ليكون كلامًا) متعلِّق بالوجهين، فإنّك إذا نصبته على أنّه اسم "لا" لنفي الجنس كان قوله: ﴿وَلَآ أَصْغَرَ﴾ إلى آخره ابتداء كلام، وكذا إذا رفعته على الابتداء، بخلاف ما إذا عطفته على ﴿مِّثْقَالِ﴾ إلى آخر[7] ما ذكره، فإنّه لا يكون ابتداء كلام، وهو الذي استشكله، ولإشكاله قال: (والوجه النصب على أنّ "لا" لنفي الجنس، والرفع على الابتداء)، يعني: الوجه إذا نُصب أن يكون لنفي الجنس وإذا رفع يكون على الابتداء.

قوله: ("إلّا في كتاب" مُشكِلٌ) إذ يصير[8] التقدير: "يعزُب عنه شيء في الكتاب"، ودَفْع هذا الإشكال أن يقول: "الاستثناء منقطع"، فكأنه لمّا قيل: لا يعزُب عن ربك شيء ما، قال: لكن جميع الأشياء في كتاب مُبين، أو يقول: "الاستثناء متّصل"، ومعنى ﴿يَعْزُبُ﴾ يبيّن ويصدر، والمعنى لم يصدر عن الله تعالى شيء بعد خلقه له إلّا وهو في اللوح، ولمّا[9] كان المعنى على تقدير العطف

---

١ ر – قوله.

٢ قرأ بكسر الزاي الكسائي وقرأ الباقون بضمّها. السبعة لابن مجاهد، ص ٣٢٨؛ النشر لابن الجزري، ٢/٢٨٥.

٣ ر: القراءة.

٤ تفسير الكواشي، ٢٣٨و.

٥ ن – والعازب.

٦ ر: فنصب.

٧ ن: آخره.

٨ ن: يصب.

٩ ر: ولها.

فإن قلتَ: لم قدِّمتِ الأرض على السماء بخلافِ قوله في سورة سَبَأ: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ ٣/٣٤]؟

قلتُ: حقُّ السماء أن تُقدَّم على الأرض، ولكنَّه لمَّا ذكر شهادتَه على شؤون أهل الأرض وأحوالهم وأعمالهم، ووصل بذلك قولَه: "لا يَعزبُ عنه" لَاءَمَ ذلك أن قَدَّم الأرضَ على السماء على أن العطف بالواو حُكمُه حكمُ التثنية.

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ٦٣﴾

﴿أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ﴾: الذين يتولَّونه بالطاعة ويتولَّاهم بالكرامة، وقد فسِّر ذلك في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ فهو تَوَلِّيهم إيَّاه.

﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ فهو تولِّيه إيَّاهم.

محتاجًا إلى هذين التقريرين قال المصنف رحمه الله: "فيه إشكالٌ"، وهو مشكل سيتحقّق ذلك في سورة سبأ، إن شاء الله تعالى.

قوله: (حكم التثنية) أي: صار التقدير: لا يعزب عنه شيء فيهما، قال سيبويه: لم تجعل[١] في قولك: "مررت برجل وحمار" للرجل منزلةً بتقديمك إيّاه يكون أولى بها مِن الحمار، كأنّك قلت: مررتُ بهما.[٢]

قوله: (فهو تولِّيتهم) أي: بالطاعة، أي:[٣] إيمانهم وتقواهم. وقوله: (إيّاه) أي: الله. وقوله: (فهو[٤] توليته)،[٥] أي: الله. وقوله: (إيّاهم) أي: بالكرامة. وقول المصنِّف: (﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾) حكايةُ لفظ القرآن، متّصل بقوله تعالى:[٦] ﴿يَتَّقُونَ﴾، وإنّما فصل المصنِّف بين طرفي الآية بقوله: "فهو" إلى آخره ووصل بـ﴿ٱلْآخِرَةِ﴾ مثله، إشارة إلى أن قوله تعالى:[٧] ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ بيان قوله تعالى: ﴿أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ﴾.

---

١ ر: يعجل.
٢ انظر: كتاب سيبويه، ٤٣٨/١.
٣ ر - بالطاعة، أي.
٤ ر: وهو.
٥ ر: تولية.
٦ ر - تعالى.
٧ ن: يقال.

وعن سعيد بن جبير: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئل: مَن أولياءُ الله؟ فقال: «هم الذين يُذكَر الله برؤيتهم»، يعني: السَّمْتَ والهيئةَ.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: الإخباتَ والسَّكينة.

وقيل: هم المتحابون في الله.

وعن عمر رضي الله عنه: سمعتُ النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إنَّ من عبادِ الله عبادًا ما هم بأنبياءَ ولا شهداءَ يَغْبِطُهم الأنبياءُ والشهداءُ يومَ القيامة

وقوله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ﴾ بيان قوله تعالى: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

قوله: (السَّمْت) «السمت: هيئة أهل الخير. يقال: ما أحسنَ سمته، أي: هديه»،[١] أي: سيرته.

قوله: (الإخبات)،[٢] أي: يعني للإخبات. «والإخبات:[٣] الخشوع. يقال: أخبتَ لله، وفيه خبتةٌ، أي: تواضع».[٤]

قوله: («يغبطهم الأنبياء»)[٥] الغبطة: أن تتمنّى مثال حال المغبوط مِن غير أن تريد زوالها عنه، وليس بحسد. يقال: غبطتُه أغبطه، والاسم الغِبطة.[٦] وهي في الحقيقة: عبارة عن حسن الحال. ومنه قولهم: اللّهمّ غَبْطًا لا هَبْطًا،[٧] أي: نسألك الغِبطة ونعوذ بك أن نهبط.[٨]

فإن قيل: كيف يتصوَّر ذلك وقد عرفنا من أصل الدين أنّ المؤمن المستعدّ للثواب في الآخرة معصوم عن الحسرة والتطلُّع إلى ما ليس له، والغبطة لا تخلو عن شيء مِن ذلك.

---

١ الصحاح للجوهري، «سمت».

٢ ر: للأخبات.

٣ ر: والأحباب.

٤ الصحاح للجوهري، «خبت».

٥ بلفظ قريب في مسند أحمد، ٥٣٢/٣٧ (٢٢٨٩٧)؛ وسنن أبي داود، ٣٨٦/٥-٣٨٧ (٣٥٢٧).

٦ ن + الغبطة: أن تتمنّى مثال حال المغبوط مِن غير أن تريد زوالها عنه.

٧ من أقوال العرب، وذكرت في كتب غريب الحديث أنّه حديث نبويّ. انظر: الصحاح للجوهري، «غبط»؛ والفائق للزمخشري، ٤٦/٣؛ والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير، ٣٤٠/٣.

٨ من قوله: "الغبطة: أن تتمنّى" إلى هنا بلفظ قريب في الصحاح للجوهري، «غبط».

لمكانهم من الله» قالوا: يا رسول الله! خبّرْنا مَن هم وما أعمالهم؟ فلعَلَّنا نُحبُّهم، قال: «هم قومٌ تحابُّوا في الله على غير أَرْحامٍ بينهم ولا أموالٍ يتعاطَوْنها، فوالله إنَّ وجُوهَهم لَنورٌ، وإنهم لعَلَى منابرَ من نورٍ، لا يخافون إذا خافَ الناسُ، ولا يحزنون إذا حَزِنَ الناسُ» ثم قرأ الآية.

قلنا: مراده صلّى الله عليه وسلم بيانُ فضل المتحابّين في الله، وأنّ الله يُحلّهم[١] مِن[٢] الكرامة محلًّا يقع ممّن فوقهم في المنزلة بمحلّ الشيء المغبوط منه؛ لأنّ النفوس الصالحة المستعدّة لنيل ثواب الله يبقى فيها تنازع وتطلُّع إلى ما ليس لها ولا ينبغي لها مِن المرتبة.

فإن قيل: يلزم مِن ذلك، أنّ[٣] المغبوطين ينالون مرتبة لا[٤] ينالها ذوو الغبطة.

قلنا: / لا، ونظيره: لرجل ألف مملوك ولآخر واحد وصاحب الألف يريد [٤٠٠ظ] أن يكون[٥] له مثل ذلك الواحد أيضًا، ولا يلزم منه أن صاحب الفرد أتمّ غنًى من صاحب الألف.

فإن قيل: فلِمَ لم يؤتَ الأنبياء والشهداء مثلَ ما أوتي أولئك؟

قلنا: أراد عليه السلام أن تقدّر تقديرًا يتبيّن به مقدار تلك[٦] الفضيلة، فقدّر ذلك في فئتين اختارهم الله بفضله وأكرمهم برحمته، فأمّا الشهداء فيقدّر فيهم أنّ المراد بذلك هم الذين وإن بلغوا[٧] رتبة الشهادة[٨] فإنّهم لم يعاملوا الله تعالى بتلك المعاملة، فلمّا وردوا القيامة ورأوا[٩] قُربهم مِن الله[١٠] أحبُّوا[١١] أنّهم عاملوا الله بمثل معاملتهم. وأمّا الأنبياء فموجب الغبطة فيهم غير ذلك، وهو أنّهم أحبُّوا الأتباع دون ما أحبّوهم، فكان قِسط[١٢] الأتباع في حبّهم في الله أوفى وأوفر مِن قسط الأنبياء؛

---

[١] ر: يجلهم.
[٢] ر: عن.
[٣] ن: أي.
[٤] ر: ما.
[٥] ر – يكون.
[٦] ن: ملك.
[٧] ر: تبلغوا.
[٨] ر: الشهداء.
[٩] ن: وراط.
[١٠] ر – من الله.
[١١] ن + أن لو.
[١٢] ر + الأتباع في حبهم في الله أباد أوفى وأوفر من قسط.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ نصبٌ أو رفعٌ على المدح، أو على وَصْف الأولياء، أو على الابتداء والخبر.

﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾

﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ والبُشرى في الدنيا: ما بشَّر الله به المؤمنين المتَّقين في غيرِ مكانٍ من كتابه.

وعن النبيّ صلى الله عليه وسلم: «هي الرُّؤيا الصالحةُ يَراها المسلمُ أو تُرى له».

وعنه صلى الله عليه وسلم: «ذهبَت النبوَّةُ وبقيت المبَشِّراتُ».

وقيل: هي محبَّة الناس له والذِّكرُ الحسنُ.

وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه: قلتُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم: الرجلُ يَعمل العملَ لله ويحبُّه الناسُ؟ فقال: «تلك عاجلُ بُشرى المؤمن».

وذلك لأنّ التحابّ في الله إنّما يقع على قدر المنزلة والقرب مِن الله، ولمّا كان الأنبياء أحبَّ إلى الله مِن الأتباع لم يكن للأنبياء[1] أن يتعدُّوا سنّة[2] الله فيهم؛ بل وجب عليهم أن يحبُّوا أنفسهم في موافقة[3] الله تعالى فوق ما يحبُّون أنفس الأتباع، وعلى الأتباع أن يحبُّوهم فوق ما يحبُّون أنفسهم، فصار قسطهم مِن هذه المنزلة أوفى وأوفر مِن قسط الأنبياء مِن الوجه الذي ذكرناه، فلهذا اغتبطوهم. وهذا معنى دقيق وقع مِن طريق الفهم، والله المُلهِم للصواب.

قوله: (نصبٌ أو رفع على المدح) فيه لفّ ونشر، أعني ذَكَر المصنف[4] وجهين[5] المدح والوصف، وللرفع أيضًا وجهين[6] المدح والابتداء.

قوله: (فقال: «تلك عاجل بشرى المؤمن»)[7] بشر الله المؤمنين بالخير

---

١ ر: الأنبياء.

٢ ن: سنته.

٣ ن: مواقفه.

٤ ر: للنصيب.

٥ ن: وجه.

٦ ن: وجه.

٧ مسند أحمد، ١٠٥/٣٥ (٢١٣٨٠)؛ صحيح مسلم، ٢٠٣٤/٤ (٢٦٤٢).

وعن عطاءٍ: لهم البُشرى عند الموت تأتيهم الملائكةُ بالرحمة، قال الله تعالى: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ﴾ [فصلت ٤١/٣٠]، وأما البشرى في الآخرة فَتلقِّي الملائكةِ إيَّاهم مسلمين مبَشِّرين بالفوز والكرامة، وما يَرون من بياضِ وجوههم وإعطاءِ الصحائف بأيمانهم وما يقرءون منها، وغير ذلك من البشارات.

﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾: لا تغييرَ لأقواله ولا إخلافَ لمواعيده؛ كقوله: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ [قٓ ٥٠/٢٩].

و﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى كونهم مبشَّرين في الدارين، وكلتا الجملتين اعتراض.

﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾﴾

﴿وَلَا يَحْزُنكَ﴾ وقرئ: ﴿ولا يُحزِنْك﴾ من أَحْزَنَه.

في الدنيا وبالخير في الآخرة، فالبشرى في الدنيا هي البشرى العاجلة والبشرى في الآخرة[1] هي البشرى الآجلة. والمراد بالبشرى المبشَّر به تسمية للمفعول بالمصدر، والإضافة في عاجل البشرى مِن باب إضافة العام إلى الخاصّ، وهو[2] قريب ممّا يقال: هو إضافة ما هو موصوف في الأصل إلى صفته.

قوله: (منها) أي: من الصحائف وهو إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ﴾ [الإسراء ١٧/٧١].

قوله: (وكلتا الجملتين[3] اعتراضٌ) أراد قوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾.[4] وقوله: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ قال: ولا يجب أن يقع بعد الاعتراض كلام، ألا ترى أنّك تقول: "فلان[5] ينطق بالحقّ والحقّ أبلجُ"، ثمّ تسكت، وكما تقول: "حدث لي حادث والحوادث جمّة"، ثمّ تسكت.

---

[1] ر – فالبشرى في الدنيا هي البشرى العاجلة والبشرى في الآخرة.
[2] ر: أو هو.
[3] ن: الجهتين.
[4] ر – الله.
[5] ن: فلا.

﴿قَوْلُهُمْ﴾: تهديدُهم وتكذيبُهم وتشاورُهم في تدبير هلاكك وإبطالِ أمرك، وسائرُ ما يتكلَّمون به في شأنك.

﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ﴾ استئنافٌ بمعنى التعليل؛ كأنَّه قال: ما لي لا أحزن؟ فقيل: ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾؛ أي: إن الغلبة والقهرَ في مَلَكَةِ الله جميعًا، لا يملكُ أحدٌ شيئًا منها لا هم ولا غيرُهم، فهو يَغلبُهم وينصُرك عليهم: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِي﴾ [المجادلة ٥٨/٢١] ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر ٤٠/٥١].

وقرأ أبو حيوةَ: "أنَّ العزَّة" بالفتح، بمعنى: لأن العزَّة، على صريحِ التعليل، ومَن جعله بدلًا من ﴿قَوْلُهُمْ﴾ ثم أنكره ....

قوله: (في مَلَكة الله) يقال: «ما في مِلْكه شيء ومَلْكه شيء، وفيه لغة ثالثة:[1] ما في مَلَكته شيء».[2]

قوله: (﴿كَتَبَ ٱللَّهُ﴾ [المجادلة ٥٨/٢١]) استشهاد. وقوله: (﴿إِنَّا لَنَنصُرُ﴾ [غافر ٤٠/٥١]) استشهاد آخر.

[٤٠١و] قوله:[3] (وقرأ أبو حَيْوَة) قراءة أبي حَيْوَة / شاذّة،[4] ووجهها[5] هو ما ذَكَر المصنِّف مِن أنّ[6] "أنّ" بمعنى "لأن"، فلا يلزم فساد المعنى، ولو أنكر هذه[7] القراءة أحدٌ لكونها شاذّة غيرَ متواترة فلا بأس، وأمّا لو أنكره للزوم فساد المعنى فإنكاره مُنكَر، إذ لا يلزم فساد المعنى.[8]

قوله:[9] (ومَن جَعَله بدلًا) هو قتيبة بن مسلم علّل الفتح مِن "أنّ العِزَّةَ" بالبدل، وأنكر الفتح لذلك. والحاصل أنّه قال: لو قرئ بالفتح لكان بدلًا مِن ﴿قَوْلُهُمْ﴾، فيكون المعنى: "لا يحزُنك أنّ العزة لله جميعًا"، وهذا المعنى فاسد؛

---

[1] ن: بالية.
[2] الصحاح للجوهري، «ملك».
[3] ر – وقوله: (﴿إِنَّا لَنَنصُرُ﴾) استشهاد آخر.
[4] قراءة شاذّة، مرويّة عن أبي حَيْوَة وأبي بحرية والشيرازي، والأنطاكي عن أبي جعفر. المغني في القراءات للنَّوْزاوازي، ص ٩٦٦.
[5] ر: ووجهًا.
[6] ن: أي؛ ر – أنّ.
[7] ن: هذ.
[8] تأخّرت هذه الفقرة في ن عن التي تليها، وأشيرَ إلى ذلك في المخطوط بألفاظ "مقدَّم" و"مؤخَّر".
[9] ر + مفرد.

فالمنكَر هو تخريجُه لا ما أنكَرَ من القراءة به.

﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾: يسمعُ ما يقولون، ويعلم ما يُدَبِّرون ويَعْزِمون عليه، وهو مكافئُهم بذلك.

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: العقلاءَ المميّزين، وهم الملائكةُ والثَّقَلان، وإنما خصَّهم ليُؤْذِنَ أنَّ هؤلاء إذا كانوا له وفي مَلَكَته فهم عبيدٌ كلُّهم، وهو سبحانه وتعالى ربُّهم، ولا يَصْلُحُ أحدٌ منهم للربوبيَّة ولا أن يكون شريكًا له فيها، فما وَرَاءهم مما لا يعقل أحقُّ أن لا يكون له ندًّا ولا شريكًا، ولِيَدُلَّ على أنَّ مَن اتَّخذ غيرَه ربًّا من مَلَكٍ أو إنسيٍّ -فضلًا عن صنمٍ أو غيرِ ذلك-

---

لأنّه لا يستقيم أن يكون معنى الآية أن يقال للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم: "لا يحزُنك أنّ العزة لله"، فإنّ هذا المعنى ليس ممَّا يحزنه. فردّ المصنف كلام قتيبةَ[١] بن مسلم وقال: لا يلزم مِن الفتح أن يكون بدلًا،[٢] لجواز أن يكون تعليلًا، وهذا كما تقول في كسر "إنّ": هو استئناف[٣] وليس مقولًا؛ لأنّ الكفار لو قالوا: ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ لم يكونوا كفّارًا، لاعترافهم بأنّ آلهتهم لا عزّة لها، ولَما حَزَنَ النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم قولُهم. فثبت أن فساد المعنى لا يتعلّق بفتح "إنّ" ولا بكسرها؛ بل هو[٤] تخريج مَن لا يعرف التقدير.

قوله: (لا ما أنكره مِن القراءة به)؛ لأن القراءة مقبولة[٥] على تقدير اللام، يعني تقديره: لأنّ.

قوله: (مِن مَلَك) بيان (غيرَه).

قوله: (يعني: العقلاء)، يعني: ذُكر بلفظ "مَن" دون "ما"[٦] لإرادة العقلاء.

---

١ ن: قبلتيه.
٢ ر: مثلًا.
٣ ن: استفهام.
٤ ن + بن.
٥ ر: منقولة.
٦ ر – ما.

فهو مبطِلٌ تابعٌ لِمَا أدَّى إليه التقليدُ وتركُ النظر.

ومعنى: وما يتَّبعون شركاء؛ أي: وما يتَّبعون حقيقةَ الشركاء وإن كانوا يُسمُّونها شركاء؛ لأن شركةَ الله في الربوبيَّة محالٌ.

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا﴾ ظنَّهم أنها شركاءُ.

﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾: يحزُرون ويقدِّرون أن تكون شركاءَ تقديرًا باطلًا.

ويجوز أن يكون ﴿وَمَا يَتَّبِعُ﴾ في معنى الاستفهام، يعني: وأيَّ شيء يتَّبعون، و﴿شُرَكَآءَ﴾ على هذا نصبٌ بـ﴿يَدْعُونَ﴾ وعلى الأول بـ﴿يَتَّبِعُ﴾، وكان حقُّه: وما يتَّبع الذين يدعون من دون الله شركاءَ شركاءَ، فاقتُصِرَ على أحدهما للدِّلالة.

ويجوز أن تكون "ما" موصولةً معطوفةً على ﴿مَن﴾؛ كأنَّه قيل: ولله ما يتَّبعه الذين يدعون من دون الله شركاءَ؛ أي: وله شركاؤهم.

وقرأ علي بن أبي طالب: رضي الله عنه: "تدعون" بالتاء، ....

قوله: (أي: وما يتّبعون حقيقة الشركاء) اعلم أنّ الواو في ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ عبارة عن ﴿ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ﴾. وقوله: "الشركاء" إشارة إلى المفعول المحذوف لـ﴿يَتَّبِعُ﴾، فإنّ ﴿شُرَكَآءَ﴾ المذكور في القرآن على هذا الوجه هو[1] مفعول ﴿يَدْعُونَ﴾، والتقدير كما ذكر بعد ذلك: (وما يتَّبع الذين يدعون من دون الله شركاءَ شركاءَ)،[2] ولذلك جاء بلام العهد في قوله: "الشركاء". وقوله: "حقيقةَ" بالنصب، أي: في الحقيقة،[3] وفي نفس الأمر، أو متابعة[4] حقيقة، أي: في[5] ذات حقيقة.

قوله: (ويجوز أن تكون ﴿مَا﴾[6] موصولة) عطف على ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾.

قوله: (وقرأ عليّ رضي الله عنه) فعلى قراءة عليّ رضي الله عنه[7] ﴿مَا﴾

---

[1] ر: و.
[2] ر – شركاء.
[3] ن + أي: في الحقيقة.
[4] ر: مثابته.
[5] ن – في.
[6] ر – ﴿مَا﴾.
[7] ر – فعلى قراءة علي رضي الله عنه.

ووجههُ أن يُحمل ﴿وَمَا يَتَّبِعُ﴾ على الاستفهام؛ أي: وأيَّ شيءٍ يتَّبع الذين تدعونهم شركاءَ من الملائكة والنبيين؟ يعني: أنهم يتبعون الله ويطيعونه فما لكم لا تفعلون مثلَ فعلِهم؟ كقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء ٥٧/١٧]، ثمّ صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة فقال: إنْ يتَّبع هؤلاء المشركون إلا الظنَّ ولا يتَّبعون ما يتَّبع الملائكةُ والنبيون من الحق.

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًاۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾﴾

ثم نبَّه على عظيم قدرته ونعمته الشاملةِ لعباده التي يَستحِقُّ بها أن يوحِّدوه بالعبادة بأنه جَعَل لهم الليلَ مظلمًا ليسكنوا فيه ممّا يُقاسون في نهارهم من تعبِ التردُّد في المعاش، والنهارَ مُبصرًا مضيئًا يُبصرون فيه مطالبَ أرزاقِهم ومكاسِبهم.

﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماعَ معتبرٍ مُدَّكِرٍ.

مفعول ﴿يَتَّبِعُ﴾ مقدَّم عليه والمفعول الأوّل مِن "تَدْعُون"[١] محذوف، إذ التقدير "تدعونهم"، أي:[٢] تسمُّونهم شركاء، كما أشار إليه المصنّف، وعلى هذه[٣] القراءة يكون ﴿شُرَكَآءَ﴾ متعلِّقًا بـ﴿يَدْعُونَ﴾، بأن يكون مفعولًا ثانيًا.

قوله: (مِن الملائكة) بيان ﴿ٱلَّذِينَ﴾.

قوله: (ثمّ صرف الكلام) أي: على قراءة عليّ رضي الله عنه.

قوله: (ممّا يُقاسون) المقاساة:[٤] معالجة الأمر ومكابدته، والأصل: جعل لكم الليل مظلمًا لتسكنوا والنهار مبصرًا لتطلبوا الرزق، فحذف "مظلمًا" مِن الأوّل لدلالة "مبصرًا" عليه، وحذف "لتطلبوا" مِن الثاني لدلالة "لتسكنوا" عليه، فهو مثل ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم ٢٤/١٤].

---

[١] قراءة شاذّة، مرويّة عن عليّ رضي الله عنه. المغني في القراءات للنّوْزاوازي، ص ٩٦٦.
[٢] ر – أي.
[٣] ر: هذا.
[٤] ر: المقاسات.

﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٦٨﴾

﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ تنزيهٌ له عن اتّخاذِ الولد، وتعجُّبٌ من كلمتهم الحمقاءِ.

﴿هُوَ ٱلۡغَنِيُّ﴾ علّةٌ لنفي الولد؛ لأنّ ما يَطلب به الولدَ مَن يَلِدُ، وما يَطلبه له: السببُ في كُلِّهِ الحاجةُ، فمَن الحاجةُ منتفيَةٌ عنه كان الولدُ عنه منتفِيًا.

قوله: (﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ تنزيهٌ له) لو كان فسّره المصنِّف باعتبار معناه وإعرابه في نفسه لقال: "تنزيهًا له"؛ لأن معنى ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾: أسبّحه تسبيحًا، أي: أنزّهه تنزيهًا، لكن[١] فسّره باعتبار لفظه، فكأنّه قال: هذا اللفظ تنزيه لله تعالى، ويؤيّد ما ذكرنا عطفه عليه قوله: (وتعجُّبٌ مِن كلمتهم الحمقاء) ثمّ إن المصنِّف أشار إلى أنّ هذا الكلام أفاد معنيين: أحدهما التنزيه، وهو ظاهر، والثاني[٢] / التعجُّب، كما يقال في مقام التعجُّب:[٣] "سبحان الله". وينبغي أن يقال: [٣٧٤و] الواو في "وتعجُّبٌ" بمعنى "أو" لئلا يلزم استعمال اللفظ الواحد في معنيين مختلفين، أو يقال: هو بمعناه بتقدير جواز ذلك، ثمّ إذا لم يجز التعجُّب عليه تعالى[٤] فالوجه أن نقول: ههنا قول مقدَّر، وتقدير الكلام: قولوا: "سبحانه"، أو قل: "سبحانه" تعجيبًا مِن قولهم.

قوله: "مِن كَلِمتهم الحمقاء" أصله "كلمتهم الأحمق صاحبُها"، ثمّ لمّا[٥] حذف المضاف وأسند إلى المضاف إليه وهو "الكلمة" صار هكذا "كلمتهم الحمقاء"، أي: الحمقاء صاحبُها، فحذف المضاف، أو وُصفت بصفة متكلِّمها.

قوله: (لأنّ ما يطلب به)... إلخ، كأنّه إشارة إلى العلّة الفاعليّة، وما يطلبه له[٦] إشارة إلى العلّة الغائيّة، وإذا انتفتا فلا بدّ مِن انتفاء المعلول، ثمّ أشار إلى انتفائهما، أي: انتفاء العلّتين بانتفاء سببهما بقوله:[٧] (السبب في كُلّه[٨] الحاجة).

---

١ ر: لكنه.
٢ هنا ينتهي السقط من د.
٣ ن – كما يقال في مقام التعجب.
٤ ن ر: يقال.
٥ ر: إلى.
٦ ن + أن.
٧ ن: بقول.
٨ ر: كلمة.

﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ فهو مستغنٍ بملكِه لهم عن اتِّخاذ أحدٍ منهم ولدًا.

﴿إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ﴾: ما عندكم من حجةٍ بهذا القولِ، والباءُ حقُّها أن تتعلَّق بقوله: ﴿إِنۡ عِندَكُم﴾ ....

وقوله: "به" يجوز[١] أن يريد به مثل المضاجعة التي يحصل الولد بسببها.[٢] وقوله: (مَن يلِد) فاعل "يطلب". وقوله: (له) أي: لأجله كالمعاونة والمؤانسة[٣] به في الحياة، وكان يكون وليًّا[٤] له ووارثًا منه بعده ﴿فَهَبۡ لِي﴾ [مريم ٥/١٩].

قوله: (فهو مستغنٍ)[٥] إشارة إلى[٦] أن قوله: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ بيان أنّه الغنيّ، فالحاصل أنّه بيّن نفي الولد بالغنى، وبيّن الغنى بكون ما في السموات والأرض له. وقوله: (بملكه لهم) أي: لِما في السماوات وما في[٧] الأرض.

قوله تعالى: ﴿إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآ﴾، فقوله: ﴿سُلۡطَٰنٍ﴾ مبتدأ، و﴿مِن﴾ فيه زائدة، و﴿عِندَكُم﴾ الخبر، و﴿بِهَٰذَآ﴾ حال مِن الضمير المستتر في ﴿عِندَكُم﴾ العائد إلى ﴿سُلۡطَٰنٍ﴾، فكأنّه قيل: ما حجّة عندكم حاصلةً أو واقعة في هذا القول، فيكون القول مكانًا ومحلًّا للسلطان، والعامل عندكم كما ذكرنا هذا تقرير كلام المصنِّف، ويلزم منه الفصل بين العامل المعنوي ومعموله بأجنبي. والأَولى أن يقال: ﴿بِهَٰذَآ﴾ صفة ﴿سُلۡطَٰنٍ﴾، وهو متعلِّق بمحذوف، أي: ﴿سُلۡطَٰنٍ﴾ متعلِّق بهذا القول، ثمّ يقال: ﴿سُلۡطَٰنٍ﴾ مبتدأ خبره ﴿عِندَكُم﴾، أو ﴿سُلۡطَٰنٍ﴾ فاعل ﴿عِندَكُم﴾. ثمّ إنّ المثال الذي أورده لا يُوافق الآية، وإنّما كان يوافقها لو كان المثال هكذا "ما عندكم مَوزٌ بأرضكم"، ولو كان هكذا لكان الوجهُ ما ذكرناه. ولو تأمّلت ظهر لك أنّ المعنى إنّما يستقيم استقامة ظاهرة[٨] على الوجه الذي ذكرناه، فكأنّه قيل: ما عندكم حجّة على هذا القول.

---

[١] ر: ويجوز.
[٢] ن: بسببها.
[٣] ن: والمؤانسته.
[٤] ر: وأما.
[٥] ن: مستغنى.
[٦] ر – إلى.
[٧] ن ر – ما في.
[٨] ن: ظاهر.

على أن يُجعل القولُ مكانًا للسلطان؛ كقولك: "ما عندكم بأرضكم مَوْزٌ" كأنه قيل: إنْ عندكم فيما تقولون سلطانٌ.

﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ لمّا نفَى عنهم البرهان جعلَهم غيرَ عالمينَ، فدلَّ على أن كلَّ قولٍ لا برهانَ عليه لقائله فذاك جهلٌ وليس بعلمٍ.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ بإضافة الولدِ إليه.

﴿مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي: افتراؤهم هذا منفعةٌ قليلةٌ في الدنيا، وذلك حيث يقيمون رياستَهم في الكفر ومُناصَبةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم بالتظاهُرِ به ثم يَلْقون الشَّقاء المؤبَّدَ بعده.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾﴾

قوله: (فذاك جهل) فيه نظر، إذ كلّ ما لا برهانَ عليه لا يلزم أن يكون غير مطابق يكون جهلًا، فيقول: إنّه كالجهل؛ لأنّه لا يجوز القول في صفات الله تعالى إلّا عن العلم.[1] واعلم أنّ الذي ذكره المصنِّف صواب؛ لأنّ ما لا يكون للشخص عليه برهان يكون مجهولًا قطعًا إذا لم يكن ضروريًا.

قوله: (على أن[2] يُجعل القول) يريد قوله: ﴿بِهَٰذَآ﴾؛ لأنّ تقديره: بهذا القول.

قوله: (رئاستهم في الكفر) بأن يكونوا أئمّة الكفر.

قوله: (بالتظاهر به) أي: بالافتراء، وهو متعلِّق بـ(يقيمون). وقوله: "بالتظاهر"[3] متعلِّق/ بـ"المناصبة". [٣٧٤ظ]

---

[1] ر: لم يعلم.

[2] ر: ظن.

[3] ر: بالتظاهرة.

﴿كَبُرَ عَلَيْكُم﴾: عَظُمَ عليكم وشَقَّ وثَقُلَ، ومنه قولُه تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ﴾ [البقرة ٢/٤٥]، ويقال: تعاظَمَه الأمرُ.

﴿مَقَامِي﴾: مكاني، يعني نفسَه؛ كما تقول: فعلتُ كذا لمكانِ فلانٍ، وفلانٌ ثقيلُ الظلِّ، ومنه: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ [الرحمن ٥٥/٤٦] بمعنى: خافَ ربَّه.

أو: قيامي ومَكْثي بين أظهُركم مُدَدًا طوالًا ألفَ سنةٍ إلّا خمسين عامًا.

أو: مقامي وتذكيري؛ لأنهم كانوا إذا وعظوا الجماعة قامُوا على أرْجلهم يَعظونهم؛ ليكون مكانهم بيِّنًا وكلامُهم مسموعًا، كما يُحكى عن عيسى عليه السلام أنه كان يَعِظُ الحواريين قائمًا وهم قعودٌ.

﴿فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ مِن أَجْمعَ الأمرَ وأَزْمَعَه: إذا نَوَاه وعزَم عليه، قال:

يا ليتَ شِعري والمُنَى لا تَنْفعُ هل أَغْدُوَنْ يَومًا وأمري مُجمَعُ

والواو بمعنى "مع"، يعني: فأَجْمِعوا أَمركم مع شركائكم.

وقرأ الحسن: ﴿وشركاؤكم﴾ بالرفع عطفًا على الضمير المتصل، ....

قوله: (مكاني، يعني) يجوز أن يكون المقام اسم مكان، أو مصدرًا بمعنى القيام.

قوله: (ومكثي) مِن العطف الذي[1] ذكرنا أنّه[2] يكون للبيان، ثمّ قال: (أو: مقامي وتذكيري)، يعني: يذكِّرهم قائمًا على الرجلين.

قوله: (فلان[3] ثقيل الظلّ) أي: هو ثقيل نفسُه، وهو مثل قولك: "ثقيل المكان"؛ لأنّ[4] ظلّه[5] في مكانه، أو هو مكانه الذي جلس عليه؛ لأنّه جلس على ظلّه.

قوله: (مِن أجمَعَ الأمرَ) يشير إلى أنّ الأكثر[6] في الأمر أن يقال: "أجمَعَ"، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ﴾ [يوسف ١٢/١٠٢]، وكالبيت الذي ذكر.[7]

---

١ ن: النهي.
٢ ن: أن.
٣ ن: فلا.
٤ ن: لأنه.
٥ ن: ظل.
٦ ن: الأكبر؛ ر: الأمر.
٧ ر: ذكره.

وجاز من غير تأكيدٍ بالمنفصِل لقيام الفاصل مقامَه لطول الكلام؛ كما تقول: اضْرِبْ زيدًا وعمرٌو.

وقرئ: ﴿فاجْمَعوا﴾ من الجمع، ﴿وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ نصبٌ للعطف على المفعول؛ أو لأن الواو بمعنى "مع"، وفي قراءة أبيّ: "فأَجمِعوا أمركم وادْعُوا شركاءكم".

فإن قلتَ: كيف جاز إسناد الإجماع إلى الشركاء؟

قلتُ: على وجه التهكُّم؛ كقوله: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ﴾ [الأعراف ١٩٥/٧].

قوله: ("فاجمعوا"[١] مِن الجمع)، يمكن أن يكون أراد "فاجمعوا ذوي الأمر منكم"، أي: رؤساءكم ووجوهكم، كما قال: ﴿وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ [النساء ٨٣/٤]، فحذف المضاف. ويجوز أن يكون جعل الأمر ما كانوا يجمعونه[٢] مِن كيدهم الذي يكيدونه، فيكون بمنزلة قوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُواْ صَفًّا﴾ [طه ٦٤/٢٠]. على أنّ أبا الحسن زعم أنّ وصل الألف في ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ أكثرُ في كلام العرب. قال: وإنّما يقطعون الألف إذا قالوا: أجمِعوا على كذا وكذا، أي: اتّفقوا.[٣]

قوله: (وفي قراءة أبيّ)[٤] إلى آخره، قلتُ: قراءة أبيّ تدل على أنّ الآية مِن قبيل:

علفتُها تبنًا وماءً باردا[٥]

والتهكُّم على هذا يكون من خواص الحذف، لا مِن المقدّر في الإجماع.[٦]

قوله: (فإن قلتَ: كيف جاز؟) يعني: إذا كان المراد بالإجماع العزم والبتّ،[٧] فكيف جاز إسناد الإجماع إلى الشركاء والمراد بها الأصنام؟

---

١ قرأ بها رويس عن يعقوب. النشر لابن الجزري، ٢٨٥/٢.

٢ ن: يجمعون.

٣ انظر: معاني القرآن للأخفش، ٣٧٦/١.

٤ قراءة شاذّة، مرويّة عن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٩٦٨.

٥ لا يعلم قائله، ومرّ مرارًا، ومضى تخريجه والكلام عليه في سورة البقرة، ٧/٢.

٦ د ر – قوله: (وفي قراءة أبيّ) إلى آخره، قلت: قراءة أبيّ تدل على أنّ الآية مِن قبيل: علفتها تبنًا وماء باردًا. والهكم على هذا يكون من خواص الحذف لا من المقدر في الإجماع. | وجاءت هذه الزيادة تعليقًا على هامش د.

٧ د: البتّة؛ ر: النية.

فإن قلتَ: ما معنى الأمرين: أمرِهم الذي يُجمِعُونه، وأمرِهم الذي لا يكون عليهم غُمَّةً؟

قلتُ: أما الأمرُ الأول: فالقصدُ إلى إهلاكه، يعني: فأجمِعوا ما تريدون من إهلاكي واحتشِدوا فيه وابذُلوا وُسعَكم في كيْدي، وإنما قال ذلك إظهارًا لقلَّة مبالاته وثقته بما وَعَده ربُّه من كَلاءَتِهِ وعِصمته، وأنهم لن يَجدوا إليه سبيلًا.

وأما الثاني: ففيه وجهان:

أحدهما: أن يراد مُصاحبتُهم له وما كانوا فيه معه من الحال الشديدةِ عليهم المكروهةِ عندَهم، يعني: ثم أهلِكوني لئلا يكون عيشُكم بسببي غُصَّةً وحالُكم عليكم غُمَّةً؛ أي: غمًّا وهمًّا، والغَمُّ والغُمَّةُ كالكَرْب والكُرْبة.

والثاني: أن يراد به ما أريدَ بالأمر الأول، والغُمَّةُ: السُّترةُ، مِن غَمَّه: إذا سَتَره، ومنها قولُه عليه السلام: «ولا غُمَّةَ في فرائض الله»؛ أي: لا تُستَرُ ولكنْ يُجاهَرُ بها، يعني: ولا يكن قصدُكم إلى إهلاكي مستورًا عليكم ولكنْ مكشوفًا مشهورًا تُجاهرونني به.

قوله: (**فإن قلتَ: ما معنى الأمرين؟**)[1] الأمران[2] أحدهما مفعول ﴿أَجۡمِعُوٓاْ﴾، والثاني ﴿لَا يَكُنۡ﴾.

قوله: (**واحتشدوا**) «حَشَدوا[3] يحشِدون بالكسر حَشْدًا، أي: اجتمعوا، وكذلك احتشَدوا وتحشَّدوا».[4]

قوله: (**قلتُ: أمّا الأمر الأوّل**)... إلخ، فهذا الوجه الأوّل مناسب لقوله: ﴿إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي﴾ مناسبةً ظاهرةً.

قوله: (**والثاني أن يراد به**)... إلخ، أي: في قوله: ﴿ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةً﴾،[5] و﴿ثُمَّ﴾ على التفسير الثاني بمعنى تراخي الرتبة لا تراخي الزمان، فإنّ إظهارهم القصد إلى إهلاكه أشدّ مِن قصدهم إهلاكَه.

---

[1] ن: الأمر ليس.

[2] ر: الأمن.

[3] ر: حشد.

[4] الصحاح للجوهري، «حشد».

[5] د ر - أي: في قوله: ﴿ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةً﴾.

﴿ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ﴾ ذلك الأمرَ الذي تريدون بي؛ أي: أدُّوا إليَّ قَطْعَه وتصحيحَه؛ كقوله: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ [الحجر ١٥/٦٦].

أو: أدُّوا إليَّ ما هو حقٌّ عليكم عندكم من هلاكي كما يقضي الرجلُ غريمَه.

﴿وَلَا تُنظِرُونِ﴾: ولا تُمهلون.

وقرئ: "ثم أفْضوا إليَّ" بالفاء، بمعنى: ثم انتهُوا إليَّ بشرِّكم.

وقيل: هو من أَفْضى الرجلُ: إذا خرج إلى الفضاء؛ أي: أَصْحِروا به إليَّ وأبرِزُوه لي.

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾: فإن أعرضتُم عن تذكيري ونصيحتي ﴿فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾: فما كان عندي ما يُنفِّرُكم عني وتتَّهمونني لأجله من طمعٍ في أموالكم وطلبِ أَجْرٍ على عِظَتِكم.

﴿إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ وهو الثوابُ الذي يُثيبني به في الآخرة؛ أي: ما نصيحتُكم إلّا لوجهِ الله لا لغرضٍ من أغراض الدنيا.

قوله: (أي: أدُّوا إليّ قطعه وتصحيحه) وهو أنكم قاطعون به، أي: بيِّنوا صريحًا وقولوا لي ومعي واضحًا بيِّنًا ما تريدونه بي مِن إهلاكي ولا تخفوه عني، كقوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ﴾ [الحجر ١٥/٦٦]، أي: أدّينا وبلّغنا إلى لوط ذلك الأمر، ثمّ بيَّن ذلك الأمر بقوله: ﴿أَنَّ دَابِرَ﴾، أي: أصلُ وآخرُ هؤلاء الكفرة مقطوع وقت الصباح. وقوله: (أو: أدُّوا) أي: افعلوا وائتوا.[١] وقوله: (عندكم) أي: في اعتقادكم.

قوله: (﴿فَمَا سَأَلْتُكُم﴾) أي: إن أعرضتم يكن سببًا لأن يقال: فما سألتكم.

قوله: (إلّا لوجه الله لا لغرض) هو مِن التراكيب التي[٢] ذكرنا أنّ العلماء منعوا مِن صحتها، نحو: ما جاءني إلّا زيد لا عمرو.

---

١ ن + به.

٢ ر: الذي.

﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ الذين لا يأخذون على تعليم الدِّين شيئًا، ولا يطلبون به دنيا، يريد: أن ذلك مقتضى الإسلام، والذي كلُّ مسلمٍ مأمورٌ به، والمراد أن يَجعل الحجةَ لازمةً لهم ويُبرِّئُ ساحتَه، فذكر أنَّ تولِّيَهم لم يكن عن تفريطٍ منه في سَوْقِ الأمرِ معهم على الطريق الذي يجب أن يُساق عليه، وإنما ذلك لعنادِهم وتمرُّدهم لا غير.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: فتمُّوا على تكذيبه، وكان تكذيبُهم له في آخِر المدَّة المتطاوِلة كتكذيبهم في أوَّلها، وذلك عند مشارَفَةِ الهلاك بالطُّوفان.

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ﴾ يَخْلُفون الهالكين بالغَرَق.

﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ تعظيمٌ لِمَا جرى عليهم، وتحذيرٌ لمن أنذَرَهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن مثلِه، وتسليةٌ له.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾: من بعد نوحٍ ﴿رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾ يعني: هودًا وصالحًا وإبراهيمَ ولوطًا وشعيبًا ﴿فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بالحُجج الواضحة المثْبِتة لدَعْواهم.

﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟﴾: فما كان إيمانهم إلَّا ممتنِعًا كالمحال؛ لشدةِ شكيمتهم في الكفر وتصميمهم عليه.

قوله: (إلّا ممتنِعًا)[1] استفاد ذلك المعنى مِن "كان" مع لام الجحود، فإنَّ أصل التركيب "فما آمنوا" فأدخل "كان" وجعل خبره مضارعًا وزِيدَ لام التوكيد.

قوله: (لشدّة شكيمتهم) «الشكيمة[2] والشكيم[3] في اللجام: الحديدة المعترضة[4]

---

[1] ن: مهتنعًا؛ ر: فمنعًا.

[2] ن ر: الشكيم.

[3] ن ر: والشكيمة.

[4] ر: والمعترضة.

﴿بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُ﴾ يريد أنهم كانوا قبل بعثةِ الرسل أهلَ جاهليَّة مكذِّبينَ بالحق، فما وقع فصلٌ بين حالتَيهم بعد بعثة الرسل وقبلها كأنْ لم يُبْعَثْ إليهم أحدٌ.

﴿كَذَٰلِكَ نَطۡبَعُ﴾: مِثْلَ ذلك الطَّبْعِ المحكَمِ نَطبعُ ﴿عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ والطبعُ جارٍ مَجْرى الكنايةِ عن عِنادهم ولجاجهم؛ لأنَّ الخذلان يَتْبَعُه، ألا ترى كيف أسنَد إليهم الاعتداء ووصفهم به.

﴿ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ۝٧٥﴾

﴿مِنۢ بَعۡدِهِم﴾: من بعدِ الرسل ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾: بالآيات التِّسع ﴿فَٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ عن قبولها، وهو أعظمُ الكِبْرِ أن يَتهاون العبيدُ برسالة ربِّهم بعد تبيُّنها ويتعظَّموا عن تقبُّلها.

في فم الفرس التي فيها الفأس، والجمع الشكائم،[١] وفلان شديد الشكيمة إذا كان شديد النفس أنِفًا أبيًّا، وفلان ذو شكيمة إذا / كان لا ينقاد».[٢] [٣٧٥و]

قوله: (والطبعُ جارٍ مجرى الكناية) والحاصل أنّه ذكر الطبع الذي كالخذلان وأريدَ به العِناد واللجاج، فيكون كناية؛ لأنّ الخذلان مِن لوازم العناد، فإذا أُطلق اللفظ الذي معناه شبيهُ[٣] معنى الخذلان وأريدَ به ما هو ملزوم الخذلان يكون كناية،[٤] وإنّما قال: (جارٍ مجرى الكناية)؛ لأنّ الخذلان شبيهُ الطبع.

قوله: (ألا يُرى كيف أسند) فإنّه يدلُّ على أنّهم كانوا في عِناد ولجاج. وقوله: (ووَصَفهم به) عند أهل السنّة الاعتداء مسند إليهم، ولكن بخلق الله تعالى.

قوله: (بالآيات التسع) الآيات التسع: العصا واليد والطوفان والجراد والقمّل والضفادع والدمّ والطمس ونقص الثمرات.

قوله: (وهو أعظم الكِبْر) اعلم أنّه ورد في الحديث: «الكِبْر أن[٥] تُسفِّه الحقّ

---

[١] ر: والشكائم.
[٢] الصحاح للجوهري، «شكم».
[٣] ر: سببه.
[٤] ن: كفاية.
[٥] ن: أي.

﴿وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾: كفَّارًا ذوي آثامٍ عظامٍ، فلذلك استكبروا عنها واجترَؤوا على ردِّها.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧٦ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ۝٧٧﴾

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا﴾: فلمَّا عرَفوا أنَّه هو الحقُّ وأنه من عند الله لا مِن قِبَلِ موسى وهارون ﴿قَالُوٓاْ﴾ لحبِّهم الشهوات: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ وهم يعلمون أن الحقَّ أبعدُ شيءٍ من السحر الذي ليس إلَّا تمويهًا وباطلًا.

فإنْ قلتَ: هم قطَعوا بقولهم: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ على أنه سحرٌ، فكيف قيل لهم: ﴿أَتَقُولُونَ... أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾؟

وتغمَص الناس»»،[١] فالكبر مفسَّر في الحديث بأن يجهل الشخص[٢] الحقّ، أي: يجهل أوامر الله تعالى ونواهيه، بمعنى أن لا يعمل بها ولا يلتفت إليها، ويعيب[٣] الناس، ولا شكّ أنّ سَفَه الحقّ أشدّ وأعظم مِن عيب الناس، فلذلك قال المصنِّف: أعظم أنواع الكبر التهاون بالرسالة. وإنّما قلنا: التقدير: "أعظم أنواع الكبر"؛[٤] لأنّ اسم التفضيل إذا أضيفَ إلى المعرفة فلا بدّ أن يكون المضاف إليه مثنّى أو مجموعًا، لا يجوز أن يقال: "زيد أفضل الرجل"، فالمعنى أنّهم استكبروا عنه ابتداء ولم يلتفتوا إليه وما تأمّلوا فيه، ثمّ بعد ما ظهر بهم أنّهم الحقّ عاندوا.

قوله: (ليس إلّا تمويهًا وباطلًا) عند أهل السنّة السحر حقٌّ[٥] لا تمويه، أي: أثره كائن.

قوله: (فإن قلتَ: هم[٦] قطعوا) وجه السؤال أنّ قوله: ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾ مقول لقوله: ﴿أَتَقُولُونَ﴾، فينبغي ألّا يكونوا قاطعين بكونه سحرًا، لكنّهم قطعوا به وقالوا: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

---

١ المعجم الكبير للطبراني، ٢/٦٩ (١٣١٧).
٢ ن ر + ووتسخف به؛ ر + ويمتهنه.
٣ ن: وتعتب.
٤ ر – التهاون بالرسالة. وإنّما قلنا: التقدير أعظم أنواع الكبر.
٥ ر: حتى.
٦ ر – هم.

قلت: فيه أوجهٌ:

أن يكون معنى قوله: ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ﴾: أتَعِيبُونَه وتَطْعُنون فيه وكان عليكم أن تُذعِنوا له وتُعظِّموه، من قولهم: «فلانٌ يخافُ القالةَ»، و: «بين الناس تقاوُلٌ» إذا قال بعضهم لبعضٍ ما يَسُوءه، ونحوُ القول: الذكرُ في قوله: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ [الأنبياء ٦٠/٢١] ثم قال: ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾ فأنكر ما قالوه في عيبه والطَّعنِ عليه.

وأن يُحذَفَ مفعولُ ﴿أَتَقُولُونَ﴾ وهو ما دلَّ عليه قولُهم: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾، كأنه قيل: أتقولون ما تقولون -يعني قولَهم: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾- ثم قيل: ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾.

وأن يكون جملةُ قوله: ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾ حكايةً لكلامهم؛ كأنَّهم قالوا: أجئتُما بالسحر تطلبان به الفلاحَ ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾، كما قال موسى للسحرة: ﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥ﴾ [يونس ٨١/١٠].

قوله: (ما يَسوءه) الضمير المستتر في "يسوءه" يعود إلى "ما" والبارز إلى "بعض".

قوله: (ثمّ قال: ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾) عطف على ما دلّ عليه قوله: (معنى قوله: ﴿أَتَقُولُونَ﴾)... إلخ، فكأنّه قال:[١] أتعيبونه ثمّ قال: ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾.

قوله: (وأن يكون جملةُ قوله: ﴿أَسِحْرٌ﴾)... إلخ، وعلى هذا الوجه الأخير يكون الإنكار متوجِّهًا[٢] في قولهم: ﴿أَسِحْرٌ﴾ إلى[٣] إتيان موسى بالسحر،[٤] مع العلم بأنّ الساحر لا يفلح.

قوله: (﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ﴾) على الاستفهام، أي: أيّ شيء جئتم به؟ ثمّ قال مستفهمًا: السحر؟[٥]

---

١ ن ر + قال.
٢ ن – وعلى هذا الوجه الأخير يكون الإنكار متوجِّهًا.
٣ ن: التي.
٤ ن: سحر.
٥ ر: آلسحر.

﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ۝٧٨﴾

﴿لِتَلۡفِتَنَا﴾: لتَصْرِفَنا، واللَّفْتُ والفَتْل أخوان، ومطاوِعُهما الالتفات والانفتال.

﴿عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا﴾ يعنون عبادةَ الأصنام.

﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ﴾؛ أي: المُلْكُ؛ لأن الملوك موصوفون بالكبر، ولذلك قيل للمَلِك: جَبَّارٌ، ووُصف بالصَّيِّدِ والشَّوَس، ولذلك وَصف ابنُ الرُّقَيَّات مُصْعَبًا في قوله:

مُلكُهُ مُلكُ رأفةٍ ليس فيه جَبَروتٌ منه ولا كِبْرِياءُ

بنفي ما عليه الملوك من ذلك.

ويجوز أن يقصدوا ذمَّهما، وأنَّهما إنْ مَلَكا أرضَ مِصْرَ تجبَّرا وتكبَّرا، كما قال القِبْطيُّ لموسى: ﴿إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [القصص ١٩/٢٨].

قوله: (ومطاوعهما)... إلخ، فيه لفّ ونشر، يعني أنّ مطاوع الأوّل جاء مِن باب الافتعال، والثاني جاء مِن باب الانفعال.[١]

قوله: (أي: المُلْك) فيكون كناية؛ لأنّ الكبرياء، أي: الكِبر مِن لوازم المُلك كما ذَكَر.

قوله: (والشَّوَس) «الشَّوَس بالتحريك: النظر بمؤخَّر العين تغيُّظًا أو تكبُّرًا، والرجل أشوَس».[٢]

قوله: (مِن ذلك) بيان (ما)،[٣] وذلك إشارة إلى الجبروت والكبرياء.

قوله: (ويجوز أن يقصدوا)[٤] وعلى هذا لا يكون كناية.

قوله: (كما قال القبطي) هذا سهو مِن المصنِّف، وصوابه: "كما قال الإسرائيلي"، وذلك أنّ موسى عليه الصلاة والسلام[٥] دخل مدينة يقال له: "مُنَفّ"،

---

١ ر – والثاني جاء مِن باب الانفعال.
٢ الصحاح للجوهري، «شوس».
٣ ن – ما.
٤ ن + قوله.
٥ د ر – عليه الصلاة والسلام.

﴿وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ﴾؛ أي: مصدِّقين لكما فيما جئتُما به.

وقرئ: "يَطبَعُ" "ويكون لكما الكبرياء" بالياء.

﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ٱئۡتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ ٧٩ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ٨٠ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٨١﴾

﴿مَا جِئۡتُم بِهِ﴾ ﴿مَا﴾ موصولةٌ واقعةٌ مبتدأ، و﴿ٱلسِّحۡرُ﴾ خبرٌ؛ أي: الذي جئتُم به هو السحرُ لا الذي سمَّاه فرعونُ وقومُه سحرًا من آيات الله.

وقرئ: ﴿آلسحرُ﴾ على الاستفهام، فعلى هذه القراءة ﴿مَا﴾ استفهامية؛

[٣٧٥ظ] فوجد فيها رجلين / يقتتلان، أحدهما إسرائيلي والآخر قبطي، واستنصره[١] الإسرائيلي على القبطي، فوكز موسى عليه السلام[٢] القبطيَّ فمات القبطيُّ، فأصبح موسى في تلك المدينة خائفًا، فإذا الإسرائيلي الذي استنقذه موسى بالأمس يقاتل قبطيًّا[٣] آخرَ، وهو يستغيث بموسى، فقال له موسى: "إنَّك لَغَوي مُبين، قتلتُ بسببك أمسِ رجلًا، وتدعونني اليوم إلى آخرَ"،[٤] ثم أقبل موسى إليهما وهمّ أن يبطش بالقبطي، فظنّ الإسرائيلي أنّ موسى يريد أن يبطش به لقوله: "إنَّك لَغويّ مبين"، فقال الإسرائيلي: "أتريد أن تقتلني كما قتلتَ[٥] نفسا بالأمس؟"، ولم يكن علِمَ[٦] أحدٌ[٧] مِن قوم فرعون أنّ موسى هو الذي قتل القبطيَّ بالأمس حتّى أفشى عليه الإسرائيليُّ بقوله: ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقۡتُلَنِي كَمَا قَتَلۡتَ نَفۡسَۢا بِٱلۡأَمۡسِۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [القصص ١٩/٢٨].

قوله: (وقرئ": "آلسحرُ")[٨] على الاستفهام فيوقف على ﴿جِئۡتُم بِهِ﴾. وقوله:

---

١ ر: فاستنصره.
٢ ن ر – عليه السلام.
٣ ن: قبطي.
٤ ن ر: الآخر.
٥ ر: قلت.
٦ ر: أحدًا.
٧ ر: علم.
٨ قرأ بها أبو عمرو. السبعة لابن مجاهد، ص ٣٢٨.

أي: أيَّ شيء جئتُم به؟ أهو السحر؟

وقرأ عبد الله: "ما جئتُم به سحرٌ"، وقرأ أبيٌّ: "ما أتيتُم به سحرٌ"، والمعنى: لا ما أتيتُ به.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓ﴾: سيَمْحَقُه، أو: يُظهِرُ بُطلانَه بإظهار المعجزة على الشَّعْوذة.

﴿لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾: لا يُثْبِتُه ولا يُديمه، ولكن يُسلِّط عليه الدمارَ.

(أي: أيّ[1] شيء جئتم به) يجوز فيه الرفع والنصب؛ لأنّه إذا قُرئ: "آلسحر" بالمدّ يجوز أن يكون ﴿مَا﴾ مرفوع المحلّ ومنصوبه، فمَن قال: "زيدًا مررت به" كان ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿مَا جِئۡتُم بِهِ﴾ في موضع نصب بفعل مضمر، فيكون تفسيره "جئتم به"، كأنّه[2] قيل: "أيَّ شيء أتيتُم جئتم به"، هذا وجه النصب. وإذا رفع يكون ﴿مَا﴾ مبتدأ و﴿جِئۡتُم بِهِ﴾ خبره، و﴿ٱلسِّحۡرُ﴾ إمّا خبر مبتدأ محذوف كما أشار إليه المصنِّف، وإمّا بدل مِن ﴿مَا﴾ الاستفهاميّة. قال أبو علي في الحجّة:

> مَن قال: "آلسحر" فألحق حرف الاستفهام كان "السحر" بدلًا مِن ﴿مَا﴾ المبتدأ، ولزم أن يلزم "السحر" همزة الاستفهام، ليساوي المبدل منه في الاستفهام، ألا ترى أنّه ليس في قولك: "سحر" استفهام، وعلى هذا قالوا: "كم مالك أعشرون أم ثلاثون؟" فجعلت العشرون والثلاثون بدلًا مِن "كم" وألحقت "أم"؛ لأنّك في قولك: "كم درهمًا مالك؟" مدَّعٍ أنّ[3] له مالًا، كما أنّك في قولك: "أعشرون أم ثلاثون مالك؟" مدَّعٍ أنّ له أحد الشيئين ولا يلزم أن يضمر للسحر[4] خبرٌ على هذا؛ لأنّك إذا أبدلتَ[5] مِن المبتدأ صار في موضعه وصار ما كان خبرًا لِما أبدلت[6] منه في موضع خبر المبدل.[7]

قوله: (على الشعوذة) هي نوع مِن السحر، والمُشَعوذ: الساحر.

قوله: (لا يُثبِته)[8] فسَّر المصنِّف قوله تعالى: ﴿لَا يُصۡلِحُ﴾ بقوله: "لا يُثبِته" لقوله تعالى بعده: ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ﴾.

---

[1] ر – أي.
[2] ن: كان.
[3] ر – أنّ.
[4] ر: السحر.
[5] ن: أنزلت.
[6] ن: أنزلت.
[7] انظر: الحجّة للفارسي، ٢٩٠/٤-٢٩١.
[8] ر: يتنبه.

﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ﴾: ويثبتُه ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾: بأوامره وقضاياه، وقرئ: "بكلمته": بأمره ومشيئته.

﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ﴾ في أوّل أمره ﴿إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾: إلّا طائفةٌ من ذراريِّ بني إسرائيل؛ كأنّه قيل: إلا أولادٌ من أولاد قومه، وذلك أنه دَعَا الآباءَ فلم يُجيبوه خوفًا من فرعون وأجابَتْه طائفةٌ من أبنائهم مع الخوف.

وقيل: الضمير في ﴿قَوْمِهِۦ﴾ لفرعون، والذرِّيَّة: مؤمنُ آل فرعون، وآسيَةُ امرأتُه، وخازنُه، وامرأةُ خازنه، وماشِطَتُه.

فإن قلتَ: إلامَ يرجع الضميرُ في قوله: ﴿وَمَلَإِيْهِمْ﴾؟

قلتُ: إلى فرعون ....

قوله: (﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ﴾ ويثبته) مِن حقّ الشيء يحقُّ، أي: ثبت. وقوله: (وقضاياه) القضيّة: الحكم، والجمع القضايا، أي: الأحكام، ووزنه "فعائل"، وكان في الأصل "قضايي"[1] على "فعائل"، فقُلبت الياء همزة، ثمّ قُلبت[2] همزته ياء وياؤه ألفًا، فصار كما ترى. وما ذكر في الصحاح مِن أنّ وزنه "فعالى" وكان في الأصل "فعائل"،[3] لا وجهَ له.

قوله: (وماشطتُه) المُشط: واحد الأمشاط التي يُمشَط بها الرأس، يقال: امتشطَت المرأة ومَشَطتها الماشطة.[4] / وكان لفرعون مشّاطة[5] تمشُط رأسه وتزيّنه كما يُفعل بالنساء. [٣٧٦و]

قوله: (قلتُ: إلى فرعون) بمعنى آل فرعون.

---

[1] ر: قصاني.
[2] د ن: قلب.
[3] انظر: الصحاح للجوهري، «قضى».
[4] انظر: الصحاح للجوهري، «مشط».
[5] ن: مشاطية.

بمعنى: آل فرعون، كما يقال: رَبيعةُ ومُضَرُ، ... أو لأنه ذو أصحابٍ يأتمرون له.

ويجوز أن يرجع إلى الذريَّة؛ أي: على خوفٍ من فرعون وخوفٍ من أشرافِ بني إسرائيل؛ لأنهم كانوا يمنعون أعقابهم خوفًا من فرعون عليهم وعلى أنفسهم، ويدلُّ عليه قوله: ﴿أَن يَفۡتِنَهُمۡ﴾ يريد: أن يعذبهم.

﴿فِرۡعَوۡنَ لَعَالٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: لغالبٌ فيها قاهرٌ.

﴿وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ في الظلم والفساد، وفي الكِبْر والعتوِّ بادِّعائه الرُّبوبيَّة.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ٨٤﴾

﴿إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾: صدَّقتم به وبآياته ﴿فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ﴾: فإليه أَسنِدوا أمرَكم في العصمة من فرعون، ثمّ شَرَطَ في التوكُّل الإسلامَ، ....

قوله: (بمعنى) حال مِن "فرعون"، يريد أنّ الضمير إذا كان عائدًا إلى فرعون يكون فرعون بمعنى آل فرعون، كأنّه قيل على خوف[1] مِن آل فرعون، ومِن ملأ آل فرعون.

قوله: (ويجوز أن يرجع إلى الذرّيّة) أي: على خوف مِن فرعون ومِن ملأ الذرّيّة، أي: مِن ملأ أنفسهم.

قوله: (ويدلُّ عليه ﴿أَن يَفۡتِنَهُمۡ﴾)؛ وذلك لأنّه لو رجع الضمير مِن ﴿مَلَإِيۡهِمۡ﴾ إلى فرعون لكان فرعون بمنزلة القبيلة كربيعة ومضر، فكان يجب أن يقال: "أن يفتنوهم" أو "تفتنهم"، إذ لا يقال: "ربيعة فعل"؛ بل "فعلوا" أو "فعلت"، فتعيّن أن يكون الضمير في ﴿مَلَإِيۡهِمۡ﴾ للذرّيّة، ولم يؤنّث؛ لأنّ الذرّيّة قوم وجمع، فاعتبر المعنى، ومحلّ ﴿أَن يَفۡتِنَهُمۡ﴾ جرّ بدل مِن ﴿فِرۡعَوۡنَ﴾.

قوله: (ثمّ شَرَط في التوكّل)، يعني: شرط في اعتبار التوكُّل الإسلامَ، أي: الانقياد والإخلاص، وهذا قريب ممّا ذكر في تفسير: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦ﴾ [الفرقان ٥٨/٢٥]، حيث قال: «أَمَره بأن يثق به ويُسنِد أمره إليه

---

[1] ر: حرف.

وهو أَنْ يُسلِموا نفوسَهم لله؛ أي: يجعلوها له سالمةً خالصةً لا حظَّ للشيطان فيها؛ لأن التوكُّل لا يكون مع التخليط، ونظيرُه في الكلام: إنْ ضَرَبَك زيدٌ فاضْرِبْه إنْ كانت بك قوَّةٌ.

﴿فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٥ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٨٦﴾

﴿فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ إنما قالوا ذلك؛ لأن القوم كانوا مخلِصين، لا جرَم أن الله تعالى قبِلَ توكُّلَهم وأجابَ دعاءهم ونجَّاهم وأَهْلَك مَن كانوا يخافونه وجَعَلهم خلفاءَ في أرضه، فمَن أراد أن يُصْلِحَ التوكُّلَ على ربِّه والتفويضَ إليه فعليه برفضِ التخليطِ إلى الإخلاص.

﴿لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً﴾: موضعَ فتنةٍ لهم؛ أي: عذابٍ يعذِّبوننا أو يفتنوننا عن ديننا، أو فتنةً لهم يُفْتَتنون بنا ويقولون: لو كان هؤلاء على الحقِّ لَمَا أصيبوا.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٨٧﴾

"تبوأ المكان": اتَّخذه مَبَاءَةً؛ كقولك: توطَّنَه: إذا اتَّخذه وطنًا، ....

في استكفاء[١] شرورهم، مع التمسُّك بقاعدة التوكُّل وأساسِ الالتجاء، وهو طاعته وعبادته وتنزيهه وتحميده».[٢] فالمصنِّف ذَكَر ثمّة إلى أن أساس التوكُّل هو الطاعة...[٣] إلخ.

قوله: (تبوّأ المكان: اتّخذه مباءةً) حاصل كلام المصنِّف أنّ تبوّأ متعدٍّ[٤] إلى مفعول واحد؛ لأنّك تقول: "تبوّأتُ بيتًا، وتبوّأ[٥] القوم بيوتًا". فإذا أدخلت اللام في القوم وقلت: "تبوّأتُ للقوم بيوتًا" صار ما كان فاعلًا مفعولًا وتعدّى إلى مفعولين.

---

[١] ر: استلقاء.
[٢] الكشّاف للزمخشري، (الفرقان، ٢٥/٥٨).
[٣] ن: الطاعية.
[٤] ر: معتد.
[٥] ر: وتقوي.

....

وأمّا أبو عليّ الفارسي[١] فقد ذكر كلامًا آخر وقال:

بوّأنا فلانًا منزلًا فتبوّأ، والاسم التبوُؤ. وقوله: ﴿تَبَوَّءَا﴾ في قوله تعالى: ﴿أَن تَبَوَّءَا﴾ فعل متعدٍّ إلى مفعولين، مثل "بوّأ" في قوله عز وجل: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ [العنكبوت ٥٨/٢٩]، وأمّا اللام في ﴿لِقَوْمِكُمَا﴾ فكالتي[٢] في قوله تعالى: ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ [النمل ٧٢/٢٧]، والمفعول الأوّل كعلامة الضمير في قوله تعالى: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾، ألا يُرى أنّ المطاوع مِن الأفعال على ضربين: أحدهما ألّا يتعدّى نحو "انشوى"[٣] و"انتأى" في مطاوع[٤] "شويته"[٥] و"نأيته"، والآخر أن[٦] يتعدّى كما يتعدّى ما هو مطاوع له، وذلك نحو "تعلّقته"[٧] و"تقطّعته"، فـ"تعلّقته" يتعدّى كما يتعدّى "علّقته"، وليس فيه أن ينقص مفعول المطاوع[٨] عمّا كان يتعدّى ما هو مطاوع له، وإذا كان كذلك كان اللام على الحدّ الذي ذكرنا. ويقوّي ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الحج ٢٦/٢٢]، فدخلت اللام على غير المطاوع كما دخل على المطاوع في قوله: ﴿أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا﴾.[٩]

هذا كلام أبي عليّ الفارسي. وقال صاحب الصحاح: «تعلّقتُه بمعنى علّقتُه، ومنه قول عبد الله بن زياد لأبي الأسود الدِّيلي: "لو تعلّقتَ مَعاذة"، يريد: لو علّقت / على نفسك مَعاذة لئلا تصيبك عينٌ».[١٠] وقال: ﴿تَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ [٣٧٦ظ] [الأنبياء ٩٣/٢١]، أي: تقسّموه. ثم قال أبو عليّ الفارسي:

فأمّا البيوت في قوله عزّ وجلّ: ﴿بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾ فمفعول به لا ظرف لاختصاصها، فالبيوت كالغرف في قوله عزّ وجلّ: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ [العنكبوت ٥٨/٢٩].[١١] ثمّ قال: فأمّا قولك: "بوّأتُ فلانًا منزلًا" فكأنّه مفعول

---

١ ن ر + رحمة الله عليه.

٢ ر: فما لم.

٣ ر: السوي.

٤ ن: موضع.

٥ ر: تسويته.

٦ ر: أبَ.

٧ ر: تعليقه.

٨ ر: المطلوع.

٩ انظر: الحجّة للفارسي، ٣٠٩/٤.

١٠ الصحاح للجوهري، «علق»، وفي مطبوعه «عبيد الله» مكان «عبد الله».

١١ انظر: الحجّة للفارسي، ٣٠٩/٤.

والمعنى: اجْعلا بمصر بيوتًا من بيوته مَبَاءةً لقَوْمِكما ومَرْجعًا ترجعون إليه للعبادة والصلاة فيه.

﴿وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ﴾ تلك ﴿قِبْلَةً﴾؛ أي: مساجدَ متوجِّهةً نحوَ القبلة، وهي الكعبةُ، وكان موسى ومَن معه يصلُّون إلى الكعبة، وكانوا في أوَّل أمرهم مأمورين بأن يُصلُّوا في بيوتهم في خُفيةٍ من الكفرة لئلا يَظهروا عليهم فيُؤذوهم ويَفْتِنوهم عن دينهم كما كان المؤمنون على ذلك في أول الإسلام بمكَّة.

فإن قلتَ: كيف نُوِّعَ الخطابُ فثُنِّي أوَّلًا ثم جُمع ثم وُحِّد آخِرًا؟

قلتُ: خُوطب موسى وهارونُ عليهما السلام أن يتَبوَّآ لقومهما بيوتًا ويختاراها للعبادة، وذلك مما يفوَّض إلى الأنبياء، ثم سيق الخطابُ عامًّا لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلاةِ فيها لأن ذلك واجبٌ على الجمهور، ثم خصَّ موسى عليه السلام بالبشارة التي هي الغرضُ تعظيمًا لها وللمُبَشَّر بها.

مِن قولك: باء فلان منزلَه، أي: لزمه،[١] وإن كنّا لا ندري ذلك، ولكن يدلُّ على ذلك المباءة،[٢] وقالوا في المباءة:[٣] هي المُراح[٤] الذي تبيت فيه، فالمباءة: اسم المكان مفعلًا أو مَفْعلة، فالفعل منه قد يكون فعِل يفعَل،[٥] أو فعَل يفعَل، فكأنّه باء المنزلَ وبوّأته أنا المنزلَ.[٦]

وأمّا قول المصنِّف: (ومرجعًا ترجعون إليه) فيدلُّ على أنّه جعل المباءة مِن قولهم: "باء: رجع". وقال في الصحاح: «قال الأخفش: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة ٦١/٢]، أي: رجعوا به، أي: صار الغضب عليهم».[٧] وقوله: (مباءةً) مفعول ثانٍ لـ"جعل".[٨] وقوله: (تلك) صفة ﴿بُيُوتَكُمْ﴾، وأشار المصنِّف بقوله: "تلك" إلى أنّ المراد بقوله تعالى: ﴿بُيُوتَكُمْ﴾ هي البيوت المذكورة في قوله: ﴿بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾.

---

١ ن: لزم.
٢ ر: المبات.
٣ ر: المبات.
٤ ر: المزاح.
٥ ر: بفعل.
٦ انظر: الحجّة للفارسي، ٣١٢/٤-٣١٣.
٧ الصحاح للجوهري، «بوأ». والكلام في معاني القرآن للأخفش، ١٠٦/١.
٨ ر: بجعل.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾

"الزِّينةُ": ما يُتزيَّن به من لباسٍ أو حُليٍّ أو فُرُشٍ أو أثاثٍ أو غيرِ ذلك.

وعن ابن عباس: كانت لهم من فُسطاطِ مِصْرَ إلى أرض الحبشة جبالٌ فيها معادنُ من ذهبٍ وفضَّة وزَبَرْجَدٍ وياقوتٍ.

فإن قلتَ: ما معنى قوله: ﴿ربَّنا ليَضِلوا عن سبيلك﴾؟

قلتُ: هو دعاءٌ بلفظ الأمر؛ كقوله: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ... وَٱشْدُدْ﴾ وذلك أنه لمَّا عرض عليهم آيات الله وبيِّناته عَرْضًا مكرَّرًا، ورَدَّدَ عليهم النصائحَ والمواعِظ زمانًا طويلًا، وحذَّرهم عذابَ الله وانتقامَه، وأنذرهم عاقبةَ ما كانوا عليه من الكفر والضلال المبين، ورآهم لا يزيدون على عرض الآيات إلا كفرًا، وعلى الإنذار إلا استكبارًا، وعلى النصيحة إلا نُبُوًّا، ولم يبق له مَطمعٌ فيهم، وعَلِم بالتجربة وطولِ الصُّحبة أنه لا يَجيءُ منهم إلّا الغَيُّ والضلالُ، وأن إيمانَهم كالمحالِ الذي لا يدخل تحت الصحة، أو علم ذلك بوحيٍ من الله= اشتدَّ غضَبُه عليهم، وأفرط مقتُه وكراهتُه لحالهم، فدعا اللهَ عليهم بما عَلم أنه لا يكون غيرُه؛ كما تقول: "لعَنَ اللهُ إبليسَ وأخزى الله الكفرةَ" مع علمِك أنه لا يكون غيرُ ذلك، وليُشهِدَ عليهم بأنه لم يَبْقَ له فيهم حيلةٌ، وأنهم لا يَستأهِلون إلّا أن يُخذَلوا

قوله: (أو أثاثٍ) «الأثاث: متاع البيت. قال الفرّاء:[1] لا واحدَ له».[2]

قوله: (مِن فُسطاط مدينة مصر) وفي بعض النُّسخ: "فُسطاس مصر"، وهو مدينة بناها عمرو بن العاص.

قوله: (وذلك أنّه) تقديره: "لأنّه"، وهو مع ما في حيّزه خبر ذلك، فكأنّه قال: إنّما دعا عليهم؛ لأنّه لمّا عرض... إلخ.

---

[1] ن: القواد.

[2] الصحاح للجوهري، «أثث». والكلام في معاني القرآن للفرّاء، ٢/١٧١.

ويُخلِّى بينهم وبين ضلالهم يتسكَّعون فيه، كأنه قال: لِيَثبتوا على ما هم عليه من الضلال، ولْيكونوا ضُلَّالًا ولْيَطبعِ الله على قلوبهم فلا يؤمنوا، وما عليَّ منهم؟ هم أحقُّ بذلك وأحقُّ، كما يقوله الأبُ المشفِق لولده الشاطرِ إذا لم يقبَلْ منه؛ حسرةً على ما فاتَه من قبول نصيحته وحرَدًا عليه، لا أَنْ يريد خلاعَتَه واتِّباعَه هواه، ومعنى الشدِّ على القلوب: الاستيثاقُ منها حتى لا يدخلَها الإيمانُ.

قوله: (يتسكّعون) «التسكُّع: التمادي في الباطل. يقال: أين سَكَع ذلك اللُّكع؟ وأين تسكَّع؟».[١]

قوله: (هم أحقّ بذلك) أي: هم أحقّ بما عليّ منهم، يعني: يؤذونني ويُجرِّعونني الغُصَص، فهم[٢] أحقّ بالأذى وتجرُّع الغصص.

قوله: (لولده الشاطر)[٣] «الشاطر:[٤] الذي أعيا أهله خُبثًا».[٥] وقوله: (حسرةً) أي: يقوله:[٦] لأجل الحسرة. وقوله: (وحَرَدًا عليه) «الحَرَد. الغضب. قال أبو نصر أحمد بن حاتم صاحب الأصمعيّ: هو مخفّف، وأنشد:

إذا جِياد الخيل جاءت[٧] تردي[٨] مملوءة[٩] مِن غضبٍ وحَرْدِ[١٠]

وقال الآخر:

يلوك مِن حَرْدٍ عليّ الأُرَما»[١١]

«الأُرَم: الأضراس.[١٢] كأنّه جمع أَرْم. يقال: يحرق عليك الأُرَم إذا تغيّظ[١٣]

---

[١] الصحاح للجوهري، «سكع».

[٢] ر: فهو.

[٣] ر: التساطر.

[٤] ر: التساطر.

[٥] الصحاح للجوهري، «شطر».

[٦] ن: يقول.

[٧] ر: جارت.

[٨] ر: بدهم ذي.

[٩] ن: مهؤة.

[١٠] الرجز لقبيصة بن النصراني في شرح الحماسة للمرزوقي، ٢/٦٢٤؛ وهو للأعرج المعني في لسان العرب لابن منظور، «حرد»؛ وشعر الخوارج لإحسان عبّاس، ص ٢٤٥؛ وهو بلا عزو في الصحاح للجوهري، «حرد»؛ ومجمع الأمثال للميداني، ١/١٤٤.

[١١] الصحاح للجوهري، «حرد». والشعر ما عرفت قائله. وهو بلا عزو في مقاييس اللغة لابن فارس، ١/٨٥ «أرم»؛ ولسان العرب لابن منظور، «حرد».

[١٢] ن: الاختراس. | الصحاح للجوهري، «أرم».

[١٣] د ن ر: تغيّض.

﴿فَلَا يُؤْمِنُواْ﴾ جوابٌ للدعاء الذي هو ﴿وَٱشْدُدْ﴾، أو دعاءٌ بلفظ النهي.

وقد حُمِلت اللام في ﴿لِيَضِلوا﴾ على التعليل على أنّهم جَعَلوا نعمةَ الله سببًا في الضلال، فكأنهم أُوتُوها ليَضِلُّوا، وقوله: ﴿فَلَا يُؤْمِنُواْ﴾ عطفٌ على ﴿لِيَضِلوا﴾، وقوله: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ دعاءٌ معتَرِضٌ بين المعطوف والمعطوف عليه.

وقرأ الفضلُ الرَّقاشيُّ: "أئنَّك آتيتَ" على الاستفهام.

و: "اطمُسْ" بضم الميم.

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾

قرئ: "دَعَواتُكما".

فحكّ أضراسه بعضه ببعض. ويقال: الأُرَم: الحجارة. قال النضر بن شُميل: سألت نوح بن جرير الخطفيَّ عن قول الشاعر:

يلوك مِن حَـزد علـيّ الأُرَما

قال: الحصى».[1]

قوله: (أو دعاءٌ بلفظ النهي) فيكون عطفًا على ما قبله مِن الدعاء.

قوله: (وقد حُملت[2] اللام) فعلى هذا الوجه[3] إنَّما أعيد ﴿رَبَّنَا﴾ تكرارًا للأوّل[4] لطول الكلام. وقوله: (على أنّهم) أي: على معنى أنّهم، يريد أنّه لمّا ترتّب[5] الضلال على الإيتاء فكان الضلال لأجل الإيتاء، ففي اللام[6] استعارة تبعيّة. وقوله: (عطف على "لِيَضِلُّوا") وقوله: (﴿رَبَّنَا﴾) هما[7] على تقدير حمل اللام على التعليل.

---

[1] الصحاح للجوهري، «أرم».

[2] ن: جهلت.

[3] ر – على ما قبله مِن الدعاء. قوله: (وقد حملت اللام فعلى هذا الوجه إنّما أعيد ربّنا تكرارًا للأوّل.

[4] ن ر: لأول.

[5] ر: ثبوت.

[6] ر: السلام.

[7] ر: زيناهما.

قيل: كان موسى عليه السلام يَدْعو وهارون يؤمِّن، ويجوز أن يكونا جميعًا يدعوان، والمعنى: إن دعاءكما مستجابٌ وما طلبتُما كائنٌ ولكنْ في وقته.

﴿فَٱسْتَقِيمَا﴾ فاثْبُتَا على ما أنتما عليه من الدعوة والزيادة في إلزام الحُجة فقد لبث نوحٌ في قومه ألفَ عامٍ إلّا قليلًا فلا تستعجلا، قال ابن جُريج: فمكث موسى بعد الدعاء أربعين سنةً.

﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: لا تتَّبِعا طريقَ الجهَلة بعادةِ الله في تعليقهِ الأمور بالمصالح، ولا تَعْجَلا فإن العجلةَ ليست بمصلحةٍ، وهذا كما قال لنوحٍ عليه السلام: ﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [هود ٤٦/١١].

وقرئ: "ولا تَتْبعانِ" بالنون الخفيفة وكسرِها لالتقاء الساكنين تشبيهًا بنون التثنية، وبتخفيف التاء من «تَبِع».

﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾

وقرأ الحسن: "وجوَّزنا"، من أجاز المكانَ وجاوزَه وجوَّزه، وليس من جوَّز

[٣٧٧و] قوله: (مِن الدعوة) أي: مِن دعوتهما / إلى الدِّين.

قوله: (تشبيهًا بنون التثنية) ويمكن أن يكون خفَّف الثقيلة للتضعيف، كما خفَّف "رُبَّ" و"أنَّ" ونحوهما مِن المضاعف، إلّا أنّه حذف الأولى مِن المثلين، كما أبدلوا الأولى مِن المثلين[١] في نحو "قِيراط" و"دِينار"، ولزم ذلك في هذا الموضع؛ لأنّ الحذف لو لزم الثانية للزم التقاء الساكنين[٢] على غير ما يُستعمل في[٣] الأمر العامّ، وإن شئت كان على لفظ الخبر والمعنى الأمر، كقوله تعالى: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾ [البقرة ٢٢٨/٢]، أي: لا ينبغي ذلك، وإن شئت جعلتَه حالًا مِن "استقيما"، والتقدير: استقيما غيرَ متَّبعين.[٤]

---

١ ر – كما أبدلوا الأولى مِن المثلين.
٢ ن: الساكهين.
٣ ر: من.
٤ ن: متبعن.

الذي في بيت الأعشى:

وإذا تُجوِّزُهـــا حِبـــالُ قبيلـــةٍ

لأنه لو كان منه لكان حقَّه أن يقال: وجوَّزْنا بني إسرائيل في البحر؛ ....

قوله: (في بيت الأعشى:

وإذا تُجوِّزُهـــا حبـــالُ قبيلـــةٍ)

تمامه:[١]

أخــذَت مِــن الأخــرى إليـك حبالهـا[٢]

أي: وإذا تُنْفِذها، يعني الناقة، فذَكَر الناقة وأراد بها نفسه؛ لأنّه كان راكبها،[٣] أي: إذا أدخلها[٤] عهود قبيلة في تلك القبيلة. والحبل: الأمان.[٥] اعلم أنّ الأعشى يصف ما قاساه في سفره حتّى وصل إلى الممدوح مِن خوف الطريق، ويقول: إذا أدخلنا[٦] وسط أمان قبيلة أخذتُ تلك القبيلة مِن القبيلة الأخرى أمانَها إليك. وعادةُ العرب أنّهم يستجيرون مِن قوم إلى قوم ليأمنوا مِن شرّهم. وعلى هذا يكون الضمير في "أخذت" للقبيلة، ويجوز أن يكون للناقة، والمراد راكبها وهو نفسه.

قوله: (لكان حقّه أن يقال: وجوَّزْنا) والحاصل أنّ "أجاز" و"جاوز" يكون بمعنى: خلّف وقطع تقول: أجزت المكان، أي: خلّفتُه وقطعته.[٧] قال امرؤ القيس:

فلـمّـا أجـزنـا سـاحـةَ الـحـيّ[٨]

---

١ ن – تمامه.

٢ البيت للأعشى في ديوانه، ص ٢٩؛ وهو له في الصحاح للجوهري، «حبل»؛ ومقاييس اللغة لابن فارس، ١٣١/٢ «حبل»؛ وغريب الحديث للهروي، ١١٩/٥.

٣ ن ر: ركبتها.

٤ ر: دخلها.

٥ ن: الأمار.

٦ ر: دخلنا.

٧ انظر: الصحاح للجوهري، «جوز».

٨ صدر بيت من معلّقته، تمامه:

وانـــتـــحـــى

بنا بطن حِقفٍ ذي رُكامٍ عَقنقلِ

وهو في ديوانه، ص ١٥؛ وشرح القصائد السبع لابن الأنباري، ص ٥٤؛ وهو له في الصحاح للجوهري، «جوز»؛ ومقاييس اللغة لابن فارس، ٤٩٤/١ «جوز».

كما قال:

كـمـا جــوّزَ الـسَّـكّـيَّ فـي الـبـاب فـيْـتَـقُ

﴿فَأَتۡبَعَهُمۡ﴾: فلحِقَهم، يقال: تبِعْتُه حتّى أتبَعْتُه.

وقرأ الحسنُ: "وعُدُوًّا".

فهو متعدٍّ إلى مفعول واحد كما ترى، وإذا أدخلت الباء تعدّى إلى مفعولين كقوله تعالى: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ﴾. وكذلك "جوّز" في قراءة الحسن البصري.[١] وأمّا جوّز في بيت الأعشى فليس مِن ذلك؛ بل هو بمعنى "نفّذ"، كما تقول: جوَّزتُ المِسمار في اللوح. ومعنى بيته: إذا أخذَتْ ناقتي عهود قبيلة وأدخلها تلك العهود في تلك القبيلة أخذَتْ عهودَ قبيلة أخرى لتُدخلها عهودُهم أيضًا فيهم.[٢]

قوله: (كما قال:

كـمـا[٣] جـوّز الـسَّـكّيَ[٤] في الـبـاب فَيتَقُ)[٥]

قوله: (يقال:[٦] تبِعته حتّى أتبَعتُه) أي:[٧] جئتُ بعده حتّى لحقتُ به.

قوله: (وقرأ الحسن: "وَعُدُوًّا")[٨] عدا عليه عَدْوًا وعُدُوًّا وعَداءً[٩] بالفتح والمدّ، ومنه قوله تعالى: ﴿فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ [الأنعام ١٠٨/٦]. وقال الحسن: "عُدُوًّا" مثل "جُلُوس"، والعُدُوّ تجاوز الحدِّ والظلم.[١٠]

---

[١] قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن ويحيى وإبراهيم. المغني في القراءات للنُّوزاوازي، ص ٩٧٢.

[٢] ن: فهم.

[٣] ر – كما.

[٤] ن: السبكي.

[٥] ر: هيق. | والشعر صدر بيت للأعشى، أوّلُه:

ولا بـدّ مِـن جـارٍ يُـجيز سبيلَها

في ديوانه، ص ٢٢٣. والسَّكّيّ: المسمار. والفَيتق: النجار. انظر: لسان العرب لابن منظور، «فتق»، وأورد بيت الأعشى، وفيه «سَلَك» مكان «جوّز».

[٦] ن: تعالى.

[٧] ر + البحار.

[٨] قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مِقسَم والزعفراني وعكرمة وقتادة والحسن وأبو رجاء. المغني في القراءات للنُّوزاوازي، ص ٩٧٢.

[٩] ر: وعد.

[١٠] من قوله: "عدا عليه" إلى هنا بلفظ قريب في الصحاح للجوهري، «عدو».

وقُرئ: ﴿أَنَّهُۥ﴾ بالفتح على حذف الباء التي هي صلةُ الإيمان، و: ﴿إنَّه﴾ بالكسر على الاستئناف بدلًا من ﴿ءَامَنتُ﴾، كَرَّر المَخْذولُ المعنى الواحدَ ثلاث مرَّات في ثلاثِ عباراتٍ حِرْصًا على القبول، ثم لم يُقْبَل منه حيث أخطأ وقتَه، وقاله حين لم يبقَ له اختيارٌ قط، وكانت المرَّةُ الواحدة كافيةً في حال الاختيار وعند بقاء التكليف.

﴿ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٩١﴾

﴿ءَآلْـَٔـٰنَ﴾: أتؤمنُ الساعةَ في وقت الاضطرار حين أدركك الغَرقُ وأَيِسْتَ من نفسِك.

قيل: قال ذلك حين ألجَمهُ الغَرَقُ، يعني: حين أوشك أن يغرقَ.

وقيل: قاله بعد أن غرق في نفسه.

والذي يُحكى أنّه حين قال: "آمنتُ" أخَذَ جبريل من حالِ البحر ....

قوله: (على حذف الباء)؛ لأنّ الإيمان يصل بحرف الجرّ، نحو ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة ٣/٢]، و﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ﴾ [النساء ٥١/٤]، فلمّا حذف الحرف وصل إلى "أن" فصار[١] في موضع نصب أو خفض على الخلاف في ذلك.

قوله: (حينَ ألجَمه) ألجمه بلّغ لجامُه فاه. والمراد باللجام هنا الماء، أي:[٢] جعله كاللجام له.

قوله: (حين[٣] قال: آمنتُ) ظرف (أخذ). وقوله: (أخذ جَبرئيل) خبر (أنّه).

قوله:[٤] (مِن حال البحر) الحال: الطين الأسود. وفي الحديث أنّ جبرئيل عليه السلام قال: «أخذت مِن حال البحر فحشوتُ[٥] فمه»،[٦] أي: فم فرعون.

---

[١] ر: صار.

[٢] ر – أي.

[٣] ر: حفن.

[٤] ن ر + (فدسّه في فيه) دسّ البعير فهو مدسوس إذا طُلي الهناء في مساعره. ومساعر الإبل: آباطه وأرفاعه، وهو بالسين والعين المهملتين.

[٥] ر: فحسوت.

[٦] بلفظ قريب في مسند أحمد، ٨٢/٤ (٢٢٠٣)؛ وسنن الترمذي، ١٣٨/٥ (٣١٠٧)؛ والصحاح للجوهري، «حول».

فدَسَّه في فيه، فللغضب لله على الكافر في وقتٍ قد عَلِم أن إيمانه لا ينفعُه، وأمّا ما يُضمُّ إليه من قولهم: "خشيةَ أن تُدركَه رحمةُ الله" فمن زيادة الباهتين لله وملائكته:، وفيه جهالتان:

إحداهما: أن الإيمان يصحُّ بالقلب كإيمان الأخرس فحالُ البحر لا يمنعُه.

والأخرى: أنَّ مَن كره إيمانَ الكافر وأحبَّ بقاءه على الكفر فهو كافرٌ؛ لأنّ الرِّضا بالكفر كفرٌ.

[٣٧٧ظ] / وهو فَعِل كـ"الشاكّ" مِن "شَوِك"، و"المال" مِن "مَوِل"، مِن قولهم: رجلٌ مالٌ وشاك.

قوله: (فدسّه في فيه) «دسّ البعير فهو مدسوس إذا طُلي الهِناءُ[١] في مساعره».[٢] «ومساعر الإبل: آباطه وأرفاغه»،[٣] وهو بالسين والعين المهملتين.[٤] وقوله:[٥] (قد عَلِم) أي: جَبرئيل[٦] عليه السلام.[٧]

قوله: (الباهتين) «بهتَه بَهْتًا وبَهَتًا[٨] وبُهتانًا فهو باهِت، أي: قال عليه ما لم يفعله، فهو مبهوت».[٩]

قوله: (لأنّ الرضى بالكفر كفرٌ) الرضى بالكفر ليس بكفر مطلقًا، وإنّما يكون كذلك إذا رضيَ بكفر نفسه لا بكفر غيره، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟﴾ [يونس ٨٨/١٠]. هكذا أورده الإمام أبو منصور الماتريدي في التأويلات.[١٠] هكذا وُجد في بعض الحواشي، وفيه نظر؛ لأنّ الأحاديث دلّت

---

١ ن: البهناء.
٢ الصحاح للجوهري، «دسس»، وفي مطبوعه: «بالهِناء» مكان «الهناءُ».
٣ الصحاح للجوهري، «سعر».
٤ ن ر – قوله: (فدسّه في فيه) دسّ البعير فهو مدسوس إذا طُلي الهناء في مساعره. ومساعر الإبل: آباطه وأرفاغه. وهو بالسين والعين المهملتين.
٥ ر: قوله.
٦ ر: جبرئيل.
٧ ر – عليه السلام.
٨ ر – وبهتًا.
٩ الصحاح للجوهري، «بهت»، وفي مطبوعه: «فهو بهّات» مكان «فهو باهت».
١٠ لم أجده في تأويلات القرآن للماتريدي، بل المذكور فيه يخالف ما نُقل ههنا، فإنّ الماتريدي ذكر في موضع الآية المذكورة تأويلين: الأوّل: اجعل في قلوبهم قساوة وغلظة تنفّر الأتباع ↲

﴿مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾: من الضالّين المضلّين عن الإيمان؛ كقوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابًا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفۡسِدُونَ﴾ [النحل ٨٨/١٦].

وروي: أن جبريل عليه السلام أتاه بفُتْيا: ما قولُ الأمير في عبدٍ لرجل نَشَأ في ماله ونعمته فكفر نعمتَه وجحَدَ حقَّه وادَّعى السِّيادةَ دونه، فكتب فرعونُ فيه: يقول أبو العباس الوليد بن مُصْعَبٍ: جزاءُ العبد الخارجِ على سيّده الكافرِ نُعْماه أن يُغْرَقَ في البحر، فلمَّا ألجمَه الغرقُ ناوله جبريل خطَّه فعَرَفه.

على وجوب الإنكار على فِسق الفُسّاق وعدم الرضى، وتغييره[1] باليد إن قدر، وإلّا فباللسان، وإلّا فبالقلب، وإن لم يفعل ذلك بأن لم ينكره بالقلب فقد قال عليه السلام في حقِّ مَن شأنه ذلك: ليس وراء ذلك شيء مِن الإيمان.[2] وإذا كان حال الرضى بالفِسق كذلك فما ظنُّك بالرضى بالكفر؟ وأمّا قوله: ﴿وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ﴾ فذلك بعد علمه بالوحي أنّه لا يكون إلّا كذلك.

قوله: (أتاه بفُتيا) الفتيا بمعنى الفتوى. يقال: استفتيتُ[3] الفقيه فأفتاني.[4] فالباء في قوله: "بفتيا" ليست للتعدية؛ لأنّ جبرئيل عليه السلام ما أتاه بالإفتاء، إنّما أتاه بالاستفتاء، فالوجه أن نقول: الباء للسببيّة. وقوله: **(ما قول الأمير؟)** فيه إضمار، أي: سائلًا أو قائلًا. والضمير مِن قوله: (فيه) يعود إمّا إلى "الفتيا"،[5] أي:[6] في شأن هذا الفتيا، أو إلى الكتاب الذي دلّ عليه "الفتيا"، أي: كتب في ذلك الكتاب.

← ومَن يقلِّدهم عن اتّباعهم وتقليدهم، والثاني: اجعل ذلك آية تضطرهم إلى الإيمان. ونقل الماتريدي عن بعض أهل التأويل أنّ المعنى: واشدد على قلوبهم واطبعها، فلا يؤمنون حتّى يروا العذاب الأليم، وهو الغرق، فعند ذلك يؤمنون، وأمّا بهذه الآيات فلا. ثمّ قال معقّبًا: هذا يحتمل إذا كان الله عزّ وجلّ أخبر موسى أنّهم لا يؤمنون فيتّسع له هذا الدعاء، وأمّا قبل أن يخبره فلا يَتّسع له أن يدعوَ بهذا وهو إنّما أرسله إليهم ليدعوهم إلى الإيمان. انظر: تأويلات القرآن للماتريدي، ١٠٢/٧-١٠٣ (يونس، ٨٨/١٠).

[1] ر: وتعبيره.

[2] الحديث بمعناه في مسند أحمد، ١٢٦/١٧ (١١٠٧٢)؛ وصحيح مسلم، ٦٩/١ (٤٩).

[3] ن: اسقفتيت.

[4] انظر: الصحاح للجوهري، «فتى».

[5] ن: الفا.

[6] ن: لي.

﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ٩٢﴾

﴿نُنَجِّيكَ﴾ بالتشديد والتخفيف: نُبعِدُك مما وقع فيه قومك من قعر البحر.

وقيل: نُلقيك بنَجْوَةٍ من الأرض.

وقُرِئ: "نُنَحِّيك" بالحاء: نُلقيك بناحيةٍ مما يلي البحر، وذلك أنه طُرِحَ بعدَ الغرق بجانب البحر.

قال كعبٌ: رَماه الماء إلى الساحل كأنَّه ثَورٌ.

﴿بِبَدَنِكَ﴾ في موضع الحال؛ أي: في الحال التي لا رُوحَ فيك وإنما أنت بدنٌ، أو: ببدنك كاملًا سويًّا لم يُنْقَصْ منه شيءٌ ولم يتغيَّرْ، أو: عُريانًا لستَ إلّا بدنًا من غيرِ لباسٍ، أو: بدِرْعك، قال عمرو بن معدي كرب:

أَعَاذِلُ شِكَّتي بَدَني وسَيْفي ... وكلُّ مُقَلِّصٍ سَلِسِ القِيَادِ

قوله: (نُبعِدك) جعل إخراجه مِن قعر البحر إلى ظاهر الأرض نجاة على طريق التهكُّم.

قوله:

(أعاذل صاحبي[1] بدني وسيفي ... وكل مقلِّص سَلِسِ القيادِ)[2]

أي: يحفظني سيفي وكلُّ فرسٍ مقلِّصٍ، أي: مرتفع. يقال: «فرسٌ مقلِّصٌ بكسر اللام، أي: مُشرِف مشمّر طويل القوائم».[3] و"سلِس القياد"، أي: سهل القَوْد. و«شيء[4] سلِس، أي: سهل، ورجلٌ سلِس، أي: ليّن منقاد».[5]

---

[1] في هامش د: شكَّتي. خ [اختصارًا مِن "نسخة"]. | وعلى هذا روايته في مطبوع الكشّاف وما راجعته من أصول الكشّاف.

[2] ر + شكتي. | البيت لعمرو بن معدي كَرِب الزُّبيدي في ديوانه، ص ١١٠، والرواية فيه:
أعاذلُ عُدَّتي بَزي ورُمحي
وكلُّ مقلِّص سلِسِ القيادِ
وهو له في الشعر والشعراء لابن قتيبة، ٣٦٣/١؛ والدرّ الفريد لابن أيدمر، ٣٢٣/٣.

[3] الصحاح للجوهري، «قلص».

[4] ن: ويعني.

[5] الصحاح للجوهري، «سلس».

وكانت له دِرْعٌ من ذهبٍ يُعرَف بها.

وقرأ أبو حنيفة رحمه الله: "بأبدانك" وهو على وجهين: إما أن يكون مِثْلَ قولهم: "هَوَى بأجرامه"، يعني: ببدنك كلِّه وافيًا بأجزائه، أو يُريدَ: بدُروعك، كأنَّه كان مُظاهِرًا بينها.

﴿لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗ﴾: لِمَن وراءك من الناس علامةً، وهم بنو إسرائيلَ، وكان في أنفسهم أن فرعون أعظمُ شأنًا من أن يغرَقَ.

وروي أنهم قالوا: ما ماتَ فرعونُ ولا يموتُ أبدًا.

وقيل: أخبرهم موسى عليه السلام بهلاكه فلم يُصدِّقوه، فألقاه الله على الساحل حتى عاينوه، وكأنَّ مَطْرَحَه كان على ممرٍّ من بني إسرائيل حتى قيل: ﴿لِمَنۡ خَلۡفَكَ﴾.

وقيل: ﴿لِمَنۡ خَلۡفَكَ﴾: لمَن يأتي بعدك من القرون.

قوله: (مِثلَ قولهم: هوى[1] بأجرامه) إشارة إلى قول الشاعر:

وكم موطنٍ لولاي طِحتَ كما هوى   بأجرامه مِن قلّةِ النِّيق مُنهوي[2]

طاح، أي: هلك وسقط. وطوّحه: حيّره[3] وذهب به.[4]

قوله: (كان مظاهِرًا بينها) يقال: ظاهَر بين الدرعين،[5] أي: لبس إحداهما على الأخرى.

قوله: (لمَن وراءك)، يعني أنّ خلفك بمعنى وراءك ضدّ قدامك مِن ظروف الأمكنة.

قوله: (وقيل: ﴿لِمَنۡ خَلۡفَكَ﴾: لمَن يأتي)، وعلى هذا القول يكون ﴿خَلۡفَكَ﴾ بمعنى ظروف الزمان، وهو عطف على قوله: "لمَن وراءك".

---

١ ر: هو.

٢ البيت ليزيد بن الحكم الثقفي. ومضى تخريجه وشرحه في تفسير التوبة، ٢٥/٩.

٣ ن: خيره.

٤ انظر: الصحاح للجوهري، «طوح».

٥ ر: الذرعين.

ومعنى كونه آيةً: أن يَظهَرَ للناس عبوديَّتُه ومهانتُه، وأنَّ ما كان يدَّعيه من الرُّبوبيَّة باطلٌ محالٌ، وأنه مع ما كان فيه من عِظَم الشأن وكبرياء الملك آلَ أمرُه إلى ما ترون لعصيانه ربَّه فما الظنُّ بغيره؟

أو: لتكون عِبْرَة تعتَبِر بها الأممُ بعدك فلا يجترئوا على نحوِ ما اجْترأتَ عليه إذا سمعوا بحالك وبهوانك على الله.

قوله: (أو لتكون عِبرة) عطف على قوله: (وقيل) والفرق بين هذا القول والقول الثاني أنّ المراد بالآية في القول الثاني أن يظهر للناس عبوديّته، وفي هذا القول أن يعتبروا بها / فلا يجترئوا. والوجه أن يقال: "لتكون" عطف[١] على قوله: (ومعنى كونه آيةً)... إلخ. [٣٧٨و]

قوله: (منزلًا صالحًا) فسّر المصنِّف قوله تعالى: ﴿مُبَوَّأَ صِدۡقٍ﴾ بقوله: "منزلًا صالحًا"،[٢] فهذا يحتمل[٣] ضربين: أحدهما ظرفًا، والآخرُ أن يكون مفعولًا ثانيًا،[٤] فأمّا الظرف فيدلُّ عليه قوله:

وبـوّئـت فـي صـمـيـم معشرها فـصـحَ فـي قـومـه مـبـوّءُهـا[٥]

فكما أنّ "في" قوله: "في صميم معشرها" ظرف[٦] كذلك يكون ﴿مُبَوَّأَ صِدۡقٍ﴾، والمفعول الثاني الذي ذكر في قوله تعالى: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفًا﴾ [العنكبوت ٥٨/٢٩] لم يذكر في هذه، كما لم يُذكر في قوله تعالى: ﴿بَوَّأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف ٧٤/٧]، أي: بوّأكم في الأرض منازلَ أو بلادًا؛ لأنّ الفعل مِن باب "أعطيت"، فيجوز أن يُقتصر فيه على الأوّل، والمفعول الثاني المحذوف هو القرية التي ذُكرت في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قِيلَ لَهُمُ ٱسۡكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾ [الأعراف ١٦١/٧]، وأمّا إذا جُعل مفعولًا ثانيًا فمِن وجهين: أحدهما أن تجعله اسمًا غير ظرف، كما قال:

---

١ د: عطفًا.

٢ ر – فسّر المصنِّف قوله تعالى: ﴿مُبَوَّأَ صِدۡقٍ﴾ بقوله: "منزلًا صالحًا".

٣ ن: يجهل.

٤ ر: ثابتًا.

٥ البيت لإبراهيم بن هرمة، في ديوانه، ص ٤٩؛ وهو له في مقاييس اللغة لابن فارس، ٣١٢/١ «بوأ».

٦ ر – فصحَ في قومه مبوّءها. فكما أنّ "في" قوله: "في صميم معشرها" ظرف.

وقرئ: "لمن خَلَقَك" بالقاف؛ أي: لتكون لخالقك آيةً كسائر آياته.

ويجوز أن يراد: ليكون طرحُك على الساحل وحدَك، وتمييزُك من بين المغرَقين لئلا يشتَبِهَ على الناس أمرُك ولئلا يقولوا لادِّعائك العظمةَ: إن مثلَه لا يَغْرق ولا يموت= آيةً من آيات الله التي لا يقدر عليها غيرُه، وليعلموا أن ذلك تعمُّدٌ منه لإماطةِ الشُّبَه في أمرك.

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾: منزلًا صالحًا مَرْضيًّا وهو مصرُ والشام.

﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟﴾ في دينهم وما تشعَّبوا فيه شُعَبًا إلَّا من بعد ما قرؤوا التوراةَ وكسبوا العلمَ بدِين الحقِّ ولزِمَهم الثباتُ عليه واتِّحادُ الكلمة وعلموا أن الاختلافَ فيه تفرُّقٌ عنه.

وقيل: هو العلمُ بمحمدٍ صلى الله عليه وسلم، ....

وأنـــت مـكـانُـك مِــن وائـلٍ مكان الـقُـراد[1] مِـن است الجملْ[2]

والآخر أن تجعله بعد أن استعملته ظرفًا اسمًا، كما قال:

وَسْـــطُــهـــا قـــد تـفـلَّـقـا[3]

قوله: (وقيل: هو العلم بمحمّد عليه السلام)[4] اعلم أنّ هذا... إلخ، عطف على قوله: (﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟﴾ في دينهم)... إلخ، فإنّه فسّر الآية أوّلًا[5] بأنّ المراد بالاختلاف

---

[1] د ر: الفؤاد.

[2] البيت للأخطل في ملحق ديوانه، ص ٥٥٨؛ وهو بلا عزو في كتاب سيبويه، ٤١٧/١؛ والحيوان للجاحظ، ٤٤١/٥؛ والصحاح للجوهري، «سته».

[3] قطعة من بيت للفرزدق في ديوانه، ٥٩٦/٢؛ وهو له في النوادر لأبي زيد، ص ٤٥٣؛ والخصائص لابن جنّي، ١٤٩/٢؛ وضرائر الشعر لابن عصفور، ص ٢٩٠؛ وشرح الرضي على الكافية، ٥٠٠/١؛ وبلا عزو في أمالي ابن الشجري، ٥٩٢/٢. وروايته في الديوان:

رمـتْـه بـمـجـمـوش كـأنّ جبينه صلايةُ وربٍ نصفُها قد تفلّقا

وروايته في سائر المصادر المذكورة:

أتـتـه بـمـجـلـوم كـأنّ جبينه صلاية وربٍ وسطُها قد تفلّقا

[4] ن ر: صلّى الله عليه وسلّم.

[5] ر: أو.

واختلافُ بني إسرائيل -وهم أهل الكتاب- اختلافُهم في صفته ونعْته، وأنه هو أم ليس به، بعدما جاءهم العلمُ والبيانُ أنّه هو لم يَرتابوا فيه، كما قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة ٢/١٤٦].

﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾﴾

فإن قلتَ: كيف قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ مع قوله في الكفرة: ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ [هود ١١/١١٠]؟

قلتُ: فرقٌ عظيم بين قوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ بإثبات الشكِّ لهم على سبيل التأكيد والتحقيق، وبين قوله: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ﴾ بمعنى الفَرْضِ والتمثيل؛ كأنّه قيل: فإن وقع لك شكٌّ -مثلًا- وخَيَّل لك الشيطانُ خيالًا منه تقديرًا ﴿فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ والمعنى: أن الله تعالى قدّم ذكر بني إسرائيل -وهم قَرَأَةُ الكتاب- ووصَفَهم بأن العلم قد جاءهم؛ لأن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوبٌ عندهم في التوراة والإنجيل، وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، فأراد أن يُؤكِّد علمَهم بصحة القرآن وصحةِ نبوّة رسول الله صلى الله عليه وسلم

اختلافُهم في دينهم والعلم بالعلم بما في التوراة، وفسّر ثانيًا بأنّ المراد بالاختلاف اختلافهم في صفة النبيّ عليه السلام،[1] وبيّن أنّ[2] ذلك وقع بعد علمهم بأنّه[3] رسول حقّ. فقوله: (واختلافُ) مبتدأ خبره (اختلافُهم). وقوله: (بعد) ظرف "اختلافهم".

قوله: (أنّه[4] هو) لم يرتابوا تنازع العلم والبيان في أنّه. وقوله:[5] (لم يرتابوا) إمّا حال مِن (هم)، أو بدل مِن (جاءهم).

قوله: (**فإن قلت: كيف قال لرسوله**[6] **عليه السلام؟**) حاصل السؤال أنّه كيف جاز إسناد الشكّ إليه عليه السلام، مع أنه ممّا يسند إلى الكفّار؟

---

[1] ن ر: صلّى الله عليه وسلّم.
[2] ر - أن.
[3] ن: بأن.
[4] ر: إن.
[5] ر: قوله.
[6] ن + له؛ ر: رسول الله.

ويبالغَ في ذلك، فقال: فإنْ وقع لك شكٌّ فَرْضًا وتقديرًا -وسبيلُ مَن خالجَتْه شُبهةٌ في الدِّين أن يُسارع إلى حلِّها وإماطتها: إمَّا بالرجوع إلى قوانين الدِّين وأدلَّته، وإما بمقادَحةِ العلماء المنبِّهين على الحق- فَسَلْ علماءَ أهل الكتاب، يعني: أنهم من الإحاطة بصحة ما أُنزل إليك وقَتْلِها علمًا بحيث يَصلُحون لمراجعة مثلِك ومُسَاءَلَتهم فضلًا عن غيرك، فالغرضُ وصفُ الأحبار بالرسوخ في العلم بصحَّةِ ما أُنزل إلى رسول الله لا وصفُ رسول الله بالشك فيه.

قوله: (مِن الإحاطة)[١] مِن في "مِن الإحاطة" يجوز أن تكون اتصاليّة، كقولهم: "أنا منك فرسخين"،[٢] أي: أنا معك مسافة فرسخين. وهذا الكلام يقوله[٣] الدليل[٤] في الفلاة لمَن يهديه الطريق، وإذا كان "مِن" اتصاليّة على ما ذكرنا يكون قوله: "مِن الإحاطة"... إلخ، خبر "أنّ". وقوله: (بحيث)... إلخ، حال مِن الضمير المستتر في هذا الخبر. ويجوز أن تكون "مِن" ابتدائيّة، و"بحيث" خبر "إنّ" و"مِن الإحاطة" حال مقدَّم.

قوله: (وقَتْلِها) أي: وقَتْل صحّة ما أُنزل إليك. يقال: «قتلتُ الشيء خُبرًا، قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء ١٥٧/٤]، أي:[٥] لم يحيطوا به علمًا».[٦] قال الحماسيّ:

يَروعك مِن سعد بن عمرو[٧] جسومُها ... وتزهد فيها حين تقتلها خُبرا[٨]

أي: تعلمها علمًا رصينًا[٩] مِن جهة التجربة.

قوله: (بحيث يصلحون لمراجعة مثلِك) قوله: "لمراجعة" مصدر مضاف إلى الفاعل، أي: لمراجعة مثلِك[١٠] إليهم. وقوله: (مساءلتهم)[١١] مصدر مضاف إلى المفعول.

---

[١] ن: الإحاط.
[٢] ر: وسحين.
[٣] ر: بقوله.
[٤] ر: بالدليل.
[٥] ن - ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾، أي.
[٦] الصحاح للجوهري، «قتل».
[٧] ر: عمر.
[٨] ما عرفت قائله. وهو من أبيات الحماسة. انظر: شرح الحماسة للمرزوقي، ١٥٢٢/٣؛ والدرّ الفريد لابن أيدمر، ٣٢٥/٥.
[٩] ن: رضينا.
[١٠] ن - قوله: (لمراجعة) مصدر مضاف إلى الفاعل، أي: لمراجعة مثلك.
[١١] ر: ومساكنهم.

ثم قال: ﴿لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾؛ أي: ثبتَ عندك بالآيات والبراهين القاطعةِ أن ما أتاك هو الحقُّ الذي لا مدخلَ فيه للمِرْيَةِ ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾.

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٩٥﴾

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: فاثبُتْ ودُمْ على ما أنت عليه من انتفاء المِرْيةِ عنك والتكذيبِ بآيات الله.

ويجوز أن يكون على طريقة التهييج والإلهاب كقوله: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [القصص ٨٦/٢٨]، ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾ [هود ٨٧/١١]، ولزيادة التثبيت والعصمة؛ ولذلك قال عليه السلام عند نزوله: «لا أَشكُّ ولا أسأل بل أَشْهدُ أنه الحقّ».

وعن ابن عباس رضي الله عنه: لا والله ما شَكَّ طَرْفَةَ عينٍ، ولا سَأل أحدًا منهم.

وقيل: خُوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمرادُ خطابُ أمّته، ومعناه: فإن كنتُم في شكٍّ مما أنزلنا إليكم؛ كقوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء ١٧٤/٤].

[٣٧٨ظ] وقوله: "مثلك" لا شبهةَ في أنّ مثله غيرُه فكيف / قال: "مراجعة مثلك" فضلًا عن غيرك؟ فالوجه أن نقول: لم يرد بقوله:[١] "مثلك" شخصًا مثله؛ بل هو مِن قبيل الكناية، أي: مراجعتك. أو نقول: المراد بـ"غيرك"[٢] المغاير في الصفة لا في الذات، فتأمّل.

قوله: (ويجوز أن يكون على طريقة التهييج) أي: يكون قوله تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ﴾ الآية.

قوله: (كقوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء ١٧٤/٤]) استشهد المصنِّف بقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ على أنّه يجوز أن يكون المراد خطاب الأمّة بقوله: ﴿مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾.

---

١ ن: بقولي.
٢ ن: لغيرك.

وقيل: الخطابُ للسامع ممّن يجوز عليه الشكُّ؛ كقول العرب: "إذا عَزَّ أخوك فهُنْ".

وقيل: "إنْ" للنفي؛ أي: فما كنتَ في شك فاسأَلْ، يعني: لا نأمُرك بالسؤال؛ لأنك شاكٌّ؛ ولكنْ لتزداد يقينًا كما ازداد إبراهيم عليه السلام بمعاينةِ إحياء الموتى.

وقرئ: "فاسأل الذين يقرؤون الكُتُب".

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٩٦ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ۝٩٧﴾

﴿حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾: ثبتَ عليهم قولُ الله الذي كتَبه في اللوح وأَخبَر به الملائكةَ: أنّهم يموتون كفارًا فلا يكون غيرُه، ....

قوله: (ممّن يجوز عليه الشكّ) أي: لكلّ مَن يصلح أن يكون مخاطَبًا بهذا الخطاب، كقوله عليه السلام: «بشّر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التامّ يوم القيامة».[١]

قوله: (كقول العرب: إذا عزّ)... إلخ،[٢] أي: إذا عاسَر أخوك فياسِر.[٣] وهذا[٤] خطاب مع كلِّ أحد، أي: إذا شكِست أخلاقه فحسِّن أخلاقك.

قوله: (وقيل: "إن" للنفي)[٥] على هذا الوجه الذي فيه "إن" للنفي ﴿فَسۡـَٔلِ﴾ جزاء شرط محذوف، أي: وإن لم يكن لك شكّ فاسأل، يعني: نأمرك[٦] بالسؤال مع أنّه ليس لك شكّ.

قوله: (أنّهم يموتون كفارًا) أنّهم بدل مِن (قولُ).

قوله تعالى: ﴿فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ﴾[٧] للتنديم.[٨]

---

١ سنن أبي داود، ٤٢١/١ (٥٦١)؛ سنن الترمذي، ٢٩٩/١ (٢٢٣).

٢ من أمثال العرب. مجمع الأمثال للميداني، ٢٢/١؛ المستقصى للزمخشري، ١٢٥/١.

٣ ن: فياسره؛ ر: فياسروا.

٤ ر: هذا.

٥ ر: المنفي.

٦ ر: فأمرك.

٧ ن + الآية.

٨ ن: للتكريم.

وتلك كتابةُ معلومٍ لا كتابةُ مقدَّرٍ ومرادٍ، تعالى الله عن ذلك.

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ﴾: فهلّا كانت ﴿قَرْيَةٌ﴾ واحدةٌ من القُرى التي أهلكناها تابت عن الكفر وأخلصت الإيمانَ قبل المعايَنة وقتَ بقاء التكليف، ولم تُؤخِّره كما أخَّرَ فرعونُ إلى أن أُخذ بمُخَنَّقِهِ.

﴿فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ﴾ بأن يقبلَه اللهُ منها لوقوعه في وقت الاختيار.

وقرأ أبيٌّ وعبد الله: "فهلّا كانت".

﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ استثناءٌ من القرى؛ ....

قوله: (وتلك كتابةُ[١] معلومٍ)، يعني: المراد بهذا أنّه معلوم الله تعالى لا أنّه قدَّره وأراده، وهذا مذهب المعتزلة، وأمّا عند أهل السنّة فهو معلوم الله تعالى وقدَّره وأراده،[٢] فعِلمُه[٣] تعالى يوافق تقديره وإرادته، ولا يجوز أن يخالف علمه تقديره[٤] ولا إرادته، وإلّا لزم العجز أو الجهل تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

قوله: (قبل المعاينة) أي: قبل معاينة العذاب. وقوله: (وقتَ) بدل مِن "قبل".

قوله: (ولم تؤخِّر) أي: هلّا[٥] لم تؤخِّر، فيئول المعنى إلى قولنا: لِمَ أُخِّر كما أُخِّر.

قوله: (بمُخنَّقه) الخَنِق بكسر النون مصدر قولك: "خَنَقه يخنُقه". وموضعه مِن العُنق[٦] مُخنَّق.[٧]

قوله: (وقرأ أُبيّ وعبد الله "فَهَلَّا")[٨] مكان ﴿لَوْلَا﴾. وقوله: (استثناءٌ مِن القرى) إنّما قال كذلك، وإن كان الاستثناء مِن ﴿قَرْيَةٌ﴾؛ لأنّها في معنى القرى،

---

[١] ر: كناية.

[٢] ر: وأراد.

[٣] ن: بعلمه؛ ر: فعله.

[٤] ر – وإرادته ولا يجوز أن يخالف علمه تقديره.

[٥] ر: هذا.

[٦] ر: العتق.

[٧] انظر: الصحاح للجوهري، «خنق».

[٨] قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود. جامع البيان للطبري، ٢٩٦/١٢ (يونس، ٩٨/١٠).

لأن المرادَ أَهَاليها، وهو استثناءٌ منقطع بمعنى: ....

إذ هي مِن حيث المعنى في سياق النفي. وقوله: (**لأنّ المراد أهاليها**) هذه الجملة بانفرادها ليست علّة[١] لقوله: "استثناء"؛[٢] بل هي والتي بعدها، فبيّن بهذه الجملة أنّ لقوله: ﴿قَرْيَةٌ﴾ احتمال الشمول ليصحّ الاستثناء، وبيَّن بقوله: (هو استثناء منقطع) ما هو المقصود. وقوله: "وهو استثناء منقطع"... إلخ، تقريره أن تقول: إن جعلتَه استثناء متّصلًا على[٣] ما عليه ظاهر الكلام كان المعنى فاسدًا؛[٤] لأنّه[٥] يكون تحضيضًا لأهل القرى على الإيمان النافع، وهو الإيمان في وقت الاختيار،[٦] إلّا لقوم يونس، كما نقول: "هلّا قرأ قومك القرآن إلّا الصلحاء منهم"، يريد استثناء الصلحاء مِن المحضَّضين[٧] على قراءة القرآن، وأمّا إن قلتَ: في تحضيضهم[٨] على الإيمان معنى نفيه عنهم، فكأنّه قيل: "ما كانت قرية آمنت إلّا قوم يونس" كان استثناء متّصلًا ومعنًى / صحيحًا، وكان انتصابه على أصل [٣٧٩و]
الاستثناء، وإن كان الأفصح أن يُرفَع على البدل.

هذا هو المعنى، وقد ذكر المصنِّف[٩] مثله في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ [هود ١١/١١٦].

وفي هذا نظر؛ لأنّ قوم يونس لمّا كانوا قد آمنوا الإيمان النافع لا يحسن تحضيضهم على الإيمان بلفظ الماضي، كيف والتحضيض بلفظ المضيّ يفيد اللوم على الترك، وهم قد آمنوا وما تركوا الإيمان، فلا يجوز لومهم على ترك الإيمان، فيحسن استثناؤهم مِن المحضَّضين،[١٠] أي: مِن المَلومين على ترك الإيمان، فثبت أنّه يصحُّ جعله استثناء متّصلًا على ما عليه ظاهر الكلام، مع استقامة المعنى مِن غير فساد.

---

١ ر: عليه.
٢ ن: استهناء.
٣ ر – على.
٤ ن: فابتداء.
٥ ن: الآية.
٦ ن: الاختيار.
٧ ر: المخصصين.
٨ ن: تحضضهم.
٩ ن ر + رحمه الله.
١٠ ر: التحضيض.

ولكنَّ قوم يونس لمَّا آمنوا، ويجوز أن يكون متَّصلًا والجملةُ في معنى النفي؛ كأنَّه قيل: ما آمنتْ قريةٌ من القُرى الهالكة إلَّا قومَ يونس، وانتصابه على أصل الاستثناء، وقرئ بالرفع على البدل؛ رُوي عن الجَرْمي والكسائي.

ورُوي: أن يونس عليه السلام بُعثَ إلى نِينَوَى من أرض الموصِلِ فكذَّبوه، فذَهب عنهم مغاضبًا، فلمَّا فقدوه خافوا نزولَ العذاب، فلَبِسوا المُسُوحَ وعَجُّوا أربعين ليلة.

وقيل: قال لهم يونسُ: إن أجَلكم أربعون ليلةً، فقالوا: إنْ رَأينا أسبابَ الهلاك آمنا بك، فلمَّا مضت خمسٌ وثلاثون أغامت السماءُ غيمًا أسودَ هائلًا يُدَخِّنُ دُخانًا شديدًا ثم يهبط حتى يغشى مدينَتَهم وتَسْوَدَّ سطوحُهم، ....

وقوله: (ولكنّ قوم يونس لمّا آمنوا) إشارة إلى أنّه إن كان الاستثناء منقطعًا كان "إلّا" بمعنى "لكنّ"، ويكون خبره ﴿لَمَّآ ءَامَنُواْ﴾، فلذا ذكر ﴿لَمَّآ ءَامَنُواْ﴾ هنا ولم يذكر في المتّصل؛ لأنّه إذا كان متّصلًا كان ﴿لَمَّآ ءَامَنُواْ﴾ جملة مستأنَفة مبيِّنة[١] لإيمانهم ونفعه. وقوله: (على أصل الاستثناء) أي: لا على أنّه استثناء منقطع؛ بل متّصل.[٢] ويجوز أن يكون إشارة إلى أنّ الكلام وإن كان فيه معنى النفي لم يُعتبر ذلك. ويؤيّده[٣] قوله: (وقرئ بالرفع على البدل)[٤] وقوله: "على أصل الاستثناء". والاستثناء في الوجه الأوّل مِن القرية وفي الثاني مِن الضمير في ﴿ءَامَنَتْ﴾. ونظيره في الوجهين[٥] قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ۞ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾ [الحجر ١٥/٥٨-٥٩]، الوجه الأوّل منقطع والثاني متّصل. في هذه الحاشية نظر؛ بل هي فاسدة، لا وجهَ له.

قوله: (فلمّا فقدوه) اعلم أنّ قوله:"فلمّا فقدوه" إلى قوله:[٦] (أربعين ليلة) يدلُّ على أنّهم آمنوا قبل معاينة العذاب. وقوله: (وقيل) إلى قوله: (سطوحُهم)

---

[١] ن: مبيفة.

[٢] د ر – بل متّصل. | وجاءت هذه الزيادة تعليقًا في هامش د.

[٣] ر: ويؤيد.

[٤] قراءة شاذّة، مرويّة عن الجَرمي عن الكسائي. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٩٧٤.

[٥] ن: الوجه.

[٦] ر – فلمّا فقدوه إلى قوله.

فلبِسوا المُسُوحَ وبرزوا إلى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابِّهم، وفرَّقوا بين النساء والصبيان وبين الدَّوابِّ وأولادها، فحنَّ بعضُها إلى بعضٍ وعلت الأصواتُ والعجيجُ، وأظهروا الإيمانَ والتوبةَ وتضرَّعوا، فرحمهم الله وكشفَ عنهم، وكان يومَ عاشوراء يومَ الجمعة.

وعن ابن مسعود: بلغَ من توبتهم أن ترادُّوا المظالمَ حتى إن الرجل كان يقتلعُ الحجرَ وقد وضع عليه أساسَ بنائه فيَردُّه.

وقيل: خرجوا إلى شيخ من بقيَّة علمائهم فقالوا: قد نَزَل بنا العذابُ فما تَرى؟ فقال لهم: قُولوا: "يا حيُّ حين لا حَيٌّ، ويا حيُّ مُحيي الموتى، ويا حيُّ لا إله إلَّا أنت" فقالوها فكُشف عنهم.

وعن الفضَيْل بن عِياضٍ: قالوا: "اللّٰهم إن ذنوبنا قد عظُمت وجَلَّت وأنت أعظمُ منها وأجلُّ، افعَلْ بنا ما أنت أهلُه ولا تَفعَلْ بنا ما نحن أهلُه".

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ﴾ مشيئةَ القسر والإلجاء ﴿لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ﴾ على وجه الإحاطة والشمول ﴿جَمِيعًا﴾: مجتمعين على الإيمان مُطْبِقين عليه لا يختلفون فيه، ألا ترى إلى قوله: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ﴾ يعني: إنما يقدر على إكراههم

يدلّ على أنّهم آمنوا بعد معاينة العذاب.[١] فتأمّل فيه، فإنّه يدور عليه تحقيق معنى الآية ووجهُ الاستثناء. وقوله: (وعجُّوا أربعين ليلة) «العجُّ: رفع الصوت».[٢] «والمِسح:[٣] البِلاس[٤] والجمع مُسوح وأمساح».[٥]

قوله: (ألا يُرى) بيان أنّ[٦] المراد مشيئة القسر والإلجاء.

---

[١] ر – وقوله: (وقيل) إلى قوله: (سطوحهم) يدلُّ على أنّهم آمنوا بعد معاينة العذاب.
[٢] الصحاح للجوهري، «عجج».
[٣] ن: والمسيح.
[٤] ر: اللباس. | ضُبطت الباء بالكسر في د، وفي مطبوع الصحاح بالفتح.
[٥] الصحاح للجوهري، «مسح».
[٦] ن – أن.

واضطرارهم إلى الإيمان هو لا أنت، وإيلاء الاسم حرفَ الاستفهام للإعلام بأن الإكراه ممكنٌ مقدورٌ عليه، وإنما الشَّأنُ في المكرِه مَن هو؟ وما هو إلّا هو وحده لا يُشارَك فيه؛ لأنه هو القادرُ على أن يفعل في قلوبهم ما يَضطرُّون عنده إلى الإيمان، وذلك غير مُستطاعٍ للبشر.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ﴾ يعني: من النفوس التي عَلِم أنها تؤمن.

﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: بتسهيله، وهو منحُ الألطاف.

﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ قابَلَ الإذنَ بالرِّجس وهو الخذلانُ، والنفسَ المعلومَ إيمانُها بـ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ وهم المصرُّون على الكفر؛ كقوله: ﴿صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة ١٧١/٢] وسمي الخذلان رجسًا -وهو العذابُ- لأنه سَبَبُه.

وقرئ: "الرجزَ" بالزاي، وقرئ: ﴿ونجعلُ﴾ بالنون.

﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾

﴿مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ من الآيات والعِبَر.

﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ﴾: والرسل المنذِرُون، أو: الإنذاراتُ.

﴿عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾: لا يُتوقَّع إيمانُهم، وهم الذين لا يعقلون، وقرئ: "وما يغني" بالياء، و﴿ما﴾ نافيةٌ أو استفهاميةٌ.

﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

﴿أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ﴾: وقائع الله فيهم، كما يقال: "أيام العرب" لوقائعها.

﴿ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾

﴿ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا﴾ ....

معطوفٌ على كلامٍ محذوف يدلُّ عليه قوله: ﴿إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ﴾ كأنه قيل: تَهْلك الأممُ ثم ننجِّي رسلنا، على حكاية الأحوال الماضية.

﴿وَٱلَّذِينَ﴾: ومَن آمَن معهم كذلك.

﴿نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ مثلَ ذلك الإنجاءِ ننجي المؤمنين منكم ونُهلكُ المشركين، و﴿حَقًّا عَلَيْنَا﴾ اعتراضٌ، يعني: حقَّ ذلك علينا حقًّا، وقرئ: ﴿نُنَجِّى﴾ بالتشديد.

﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾: يا أهل مكّة ﴿إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى﴾ وصحَّتِه وسدادِه،

قوله: (معطوف على كلام محذوف) فعلى هذا[1] يكون ﴿ثُمَّ نُنَجِّى﴾ مع ما عُطف عليه بيان ﴿أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟﴾، فكأنّه قيل: كنّا نُهلِك الأمَم الكافرة التي خَلَوا مِن قبلهم ونُنجّي[2] رسلهم، فكذلك نفعل بالمؤمنين الذين في هذا الزمان ننجّيهم بعد أن نُهلك أعداءهم.

قوله: (وصحّتِه وسدادِه) مِن العطف الذي يكون للبيان، أي: إن كنتم في شك مِن صحّة ديني وسداده، وليس المراد منه الشكّ في حقيقة دينه ما هو، والدليل عليه قوله:[3] (لتعلموا أنّه دليل[4] لا مدخلَ فيه للشكّ)، فإنّه ظاهر في أنّ المعنى: لا مدخلَ في صحّته وسداده للشكّ.[5] والسَّداد: الصواب والقصد مِن القول / والعمل. و«التسديد:[6] [٣٧٩ظ]
التوفيق للسداد، وهو الصواب والقصد مِن القول والعمل.[7] ورجل مُسدَّد إذا[8] كان يعمل بالسداد والقصد. والمُسدَّد: المقوَّم. وسدَّد رُمحه، وهو خلاف قولك: عَرَضه».[9]

قوله: (﴿إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى﴾ وصحّةِ[10] سدادِه)[11] اعلم أنّ جزاء الشرط قد يكون

---

[1] ن: هذ.
[2] ر: أي: ننجي.
[3] ن + مصنف. | وفي هامش د: أي قول المصنِّف.
[4] في مطبوع الكشّاف وما راجعته من أصوله: دين.
[5] ر − للشك.
[6] ر: والمتسدد.
[7] ر − من القول والعمل.
[8] ر: إذ.
[9] الصحاح للجوهري، «سدد». وفي مطبوعه «عرْضه» وفي د «عَرَضه»، وهما وجهان فيه.
[10] ن: وصحته.
[11] في مطبوع الكشّاف وما راجعته من أصوله: وصحته وسداده.

فهذا ديني فاسمعوا وَصْفَه واعْرِضوه على عقولكم وانظروا فيه بعين الإنصاف؛ لتعلموا أنه دينٌ لا مَدخلَ فيه للشكّ، وهو أنّي لا أعْبدُ الحجارةَ التي تعبدونها من دون مَن هو إلهُكم وخالقُكم ﴿وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾ -وإنما وصفَه بالتَّوَفّي ليُريَهم أنه الحقيقُ بأن يُخاف ويُتّقى فيُعبَدَ، دون ما لا يقدر على شيء- ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني: أن الله أمَرَني بذلك بما ركَّبَ فيَّ من العقل وبما أوحَى إليَّ في كتابه.

وقيل: معناه: إن كنتم في شكٍّ من ديني ومما أنا عليه أأثبُتُ عليه أم أتركُه وأوافقُكم، فلا تحدِّثوا أنفسَكم بالمحال، ولا تشكُّوا في أمرِي، واقطعوا عني أطماعَكم، واعلموا أني لا أعبد الذين تعبدون من دون الله، ولا أختارُ الضلالةَ على الهدى؛ كقوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾.

مِن حيث المعنى مفهوم الجملة الجزائيّة، كقولك: "إن أكرمتني أكرمتك"، فالأوّل سبب للثاني في مثل هذه الصورة، وقد يكون الإخبار[١] به[٢] كقولك: "إن أكرمتني اليوم فقد أكرمتك أمسِ"، يعني: إن أكرمتني اليوم يكن سببًا للإخبار بأنّي أكرمتك أمسِ، وكقوله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل ٥٣/١٦]، فإنّ استقرار النعمة علينا[٣] ليس سببًا لحصولها[٤] مِن الله تعالى؛ بل الأمر بالعكس، فههنا الجزاء بالحقيقة هو الإخبار بتلك الجملة، أي: ما استقرّ بكم مِن النعمة يكن سببًا للإخبار بأنّها مِن الله تعالى، فكذلك في الآية التي نحن فيها الإخبارُ بهذه الجملة هو الجزاء بالحقيقة،[٥] فكأنّه قيل: "إن كنتم في شكّ مِن ديني يكن[٦] سببًا للإخبار بأنّ ديني كذا"، ثمّ فسّره[٧] المصنِّف بوجهين كلاهما يرجع إلى أنّ الإخبار بهذه الجملة صار جزاءً.

قوله: (وهو أنّي لا أعبد) هو عائد إلى هذا في قوله: (فهذا ديني)، فقول المصنِّف:

---

١ ر: الإخباريّة.

٢ ر – به.

٣ ر – علينا.

٤ د: لحصول النعمة؛ وفي هامش د: لحصولها. خ [اختصارًا مِن "نسخة"].

٥ ر – هو الإخبار بتلك الجملة، أي: ما استقرّ بكم مِن النعمة يكن سببًا للإخبار بأنّها مِن الله تعالى فكذلك في الآية التي نحن فيها الإخبار بهذه الجملة هو الجزاء بالحقيقة.

٦ ر – يكن.

٧ ن: فسر.

﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ﴾ أصله: بأنْ أكون، فحُذف الجارُّ، وهذا الحذف يَحتمِل أن يكون من الحذف المطَّرد الذي هو حذفُ الحروف الجارَّة مع "أَنْ" و"أَنَّ"، وأن يكون من الحذف غير المطَّرد وهو قوله: "أمرتك الخيْرَ"، ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر ٩٤/١٥].

فإن قلتَ: عطفُ قوله: ﴿وَأَنْ أَقِمْ﴾ على ﴿أَنْ أَكُونَ﴾ فيه إشكالٌ؛ لأن "أنْ" لا تخلو من أن تكون التي للعبارة، أو التي تكون مع الفعل في تأويل المصدر، فلا يصحُّ أن تكون للعبارة -وإن كان الأمر مما يتضمَّن معنى القول- ....

"هذا" إشارة إلى مبهَم[1] تفسيره قوله: "هو أنّي"... إلخ. وقوله: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[2] متعلِّق بـ﴿تَعْبُدُونَ﴾.

قوله: (وهو قوله: "أمرتك الخير"، ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر ٩٤/١٥]) أي: بما تؤمر[3] به، حذف حرف الجرِ وأوصل الفعل فصار "بما تؤمره"، ثمّ حذف الضمير المنصوب. وإلى هذا المعنى قد أشار قبل ذلك بأن قال: منهم مَن[4] يحذف الجارّ والمجرور، ومنهم مَن ينزِّل فيحذف الجارّ ويُوصل الفعل ثمّ يحذف المفعول،[5] قال[6] الشاعر:

أمرتُك الخير فافعل ما أمرتَ به   فقد تركتُك ذا مال وذا نشبِ[7]

«النشَب: المال والعقار».[8]

قوله: (مِن أن تكون التي للعبارة)[9] أراد[10] "أن" المفسّرة، كقوله تعالى: ﴿أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ [الصافات ١٠٤/٣٧]. وقوله: (أو التي تكون) شامل للناصبة للفعل والمخفَّفة.

---

١ ن ر: منهم.
٢ ن ر – الله.
٣ ر – أي: بما تؤمر.
٤ ر – مَن.
٥ انظر: الكشّاف للزمخشري، (البقرة، ٦٨/٢).
٦ ر: وقال.
٧ البيت لعمرو بن مَعدي كَرِب الزُّبيديّ. ومضى شرحه وتخريجه في تفسير البقرة، ٦٨/٢.
٨ الصحاح للجوهري، «نشب».
٩ د: للعبادة.
١٠ ن: أراده.

لأنّ عطفها على الموصولة يأبى ذلك، والقولُ بكونها موصولةً مثل الأولى لا يساعدُ عليه لفظُ الأمر -وهو ﴿أَقِمْ﴾- لأن الصلة حقُّها أن تكون جملةً تحتمِل الصدق والكذب.

قلتُ: قد سوَّغ سيبويه أن تُوصَل "أَنْ" بالأمر والنهي، وشبَّه ذلك بقولهم: "أنت الذي تفعلُ" على الخطاب؛ لأن الغرضَ وصلُها بما تكون معه في معنى المصدر، والأمرُ والنهيُ دالَّان على المصدر دلالةَ غيرهما من الأفعال.

قوله: (لأنّ عطفها على الموصولة) والدليل على أنّ الأُولى موصولة أنّها نَصبت والمفسِّرة لا تَنصب، وإنّما سمِّيت موصولة؛ لأنّها مع الفعل في تأويل المصدر فهي متّصلة به، ولذلك سمِّيت أيضًا نحو "الذي" موصولًا؛ لأنّه مع الجملة بعدها بمنزلة اسم واحد، فهو متّصل بما بعدها. وقوله: (والقول بكونها موصولة) أي: لا يجوز أن تكون[1] مصدرية.

قوله: (قلتُ: قد سوَّغ سيبويهِ)[2] حاصل الجواب أنّه لا يلزم أن تكون الصلة جملة خبريّة على الإطلاق؛ بل الموصول الاسميّ يجب أن يكون جملة خبريّة؛ لأنّ وضع "الذي" على أن تُجعل الجملة معرفة ليصحّ وقوعها صفة للمعرفة، فكما لا تكون الصفة إلّا جملة خبريّة لا تكون صلة "الذي" إلّا جملة خبريّة،[3] ثمّ حُمل بقيّة الموصولات الاسميّة عليه، وأمّا الموصول الحرفيّ فليس فيه

[٣٨٠و] شيء يقتضي ذلك، فلا[4] فرق بين / أن تقع صلتها جملة خبريّة أو طلبيّة. ثم قال: شبَّهه سيبويه بقولهم: "أنت الذي تفعل" على الخطاب، ووجهُ الشبه أنّه لمّا كان "الذي" يقتضي أن تكون صلتها جملة مشتملة على ضمير راجع إليها، ومع هذا مثلُ المثال المذكور وإن كان الضمير[5] فيه ضمير الخطاب وضميرُ "الذي" يكون غائبًا جائز نظرًا إلى المعنى، فإنّ المراد بـ"الذي" هو المخاطب المذكور متقدِّمًا، جوَّزوا أيضًا أن ينظروا إلى المعنى ويُدخلوا "أن" المصدرية على الأمر والنهي،

---

[1] ر - أن تكون.
[2] انظر: كتاب سيبويه، ١٦٢/٣.
[3] ر: جزية.
[4] ر: ولا.
[5] ر - الضمير.

﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٠٥﴾

﴿أَقِمْ وَجْهَكَ﴾: استَقِمْ إليه ولا تلتفِتْ يمينًا ولا شمالًا، و﴿حَنِيفًا﴾ حالٌ من "الدِّين" أو من "الوجه".

﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠٦﴾

﴿فَإِن فَعَلْتَ﴾ معناه: فإن دعَوْتَ من دون الله ما لا يَنفعُك ولا يضرُّك، فكَنَى عنه بالفعل إيجازًا.

﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ﴿إِذًا﴾ جزاءٌ للشرط وجوابٌ لسؤالٍ مقدَّر؛ كأنَّ سائلًا سأل عن تَبِعة عبادة الأوثان، وجُعل من الظالمين؛ لأنه لا ظُلمَ أعظمُ من الشرك: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان ١٣/٣١].

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٠٧﴾

أتْبَعَ النهيَ عن عبادة الأوثان وَوَصْفَها بأنها لا تضرُّ ولا تنفع: أن الله عز وجل هو الضارُّ النافعُ، الذي إنْ أصابك بضرٍ لم يَقْدرْ على كشفه إلَّا هو وحدَه دون كلِّ أحدٍ، فكيف بالجماد الذي لا شعورَ به؟ وكذلك إنْ أرادك بخير لم يَرُدَّ أحدٌ ما يريدُه بك من فضله وإحسانه فكيف بالأوثان؟ فهو الحقيقُ إذًا بأن تُوجَّه إليه العبادةُ دونها،

لأنّ الغرض أن يُجعل ما بعدها في تأويل المصدر، وهذا المعنى يحصل[1] سواء كان الفعل ماضيًا أو[2] مضارعًا أو أمرًا أو نهيًا.

قوله: (و﴿حَنِيفًا﴾ حال) أي: مائلًا عن الأديان الباطلة. ويحتمل أن يكون ﴿حَنِيفًا﴾ حالًا مِن الضمير في ﴿أَقِمْ﴾، لكن لم يذكره المصنِّف.

قوله: (فكنّى عنه بالفعل إيجازًا) فإنّه[3] لو صرّح به لقيل: (فإن دعوتَ مِن دون الله)... إلخ، فيطول.

---

[1] ر: بحصر.
[2] ر: و.
[3] ن: فإن.

وهو أبلغُ من قوله: ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الزمر ٣٩/٣٨].

فإن قلتَ: لمَ ذَكَر المسَّ في أحدهما والإرادةَ في الثاني؟

قلتُ: كأنّه أراد أنْ يَذكر الأمرين جميعًا: الإرادةَ والإصابةَ في كلِّ واحدٍ من الضرِّ والخير، وأنه لا رَادَّ لِمَا يريده منهما، ولا مزيلَ لِمَا يصيبُ به منهما، فأوجزَ الكلام بأن ذَكر المسَّ وهو الإصابةُ في أحدهما والإرادةَ في الآخر؛ ليدل بما ذكر على ما ترك، على أنه قد ذَكَر الإصابةَ بالخير في قوله: ﴿يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾

قوله: (وهو أبلغ) وإنّما كان أبلغ لعموم قوله: ﴿فَلَا كَاشِفَ﴾، ﴿فَلَا رَآدَّ﴾[1] وخصوص قوله: "هنَّ"؛ ولأنَّ فيه قصرًا ولا قصر ثمّة.

قوله: (قلتُ: كأنّه أراد)[2] فكأنّه[3] قيل: "إن يُردك الله ويمسسك بضُرّ، وإن يردك الله ويمسسك بخير"، فحذف "يُردك" مِن الأوّل لدلالة ﴿يُرِدْكَ﴾ في الثاني عليه، وحذف "يمسسك"[4] مِن الثاني لدلالة ﴿يَمْسَسْكَ﴾ في الأوّل عليه، فهو مثل قوله تعالى: ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم ١٤/٢٤] أي: أصلها ثابت في الأرض وفرعها ثابت في السماء،[5] فحذف أحدهما مِن الأوّل والآخر مِن الثاني. ويمكن أن يقال: الأصل "وإن يُرد أن يمسسك بضرّ وإن يرد أن يمسسك بخير"، لكن الوجه الأوّل أولى. ثمّ اعلم أنّه حذف في كلّ مِن الموضعين ما حذف؛ لأنّ المذكور في كلّ موضع يدلُّ على ما هو المحذوف في ذلك الموضع؛ لأنّ ﴿يَمْسَسْكَ﴾ يدلُّ على ﴿يُرِدْكَ﴾؛ لأنّ المسّ بدون إرادة المسّ مُحال؛ لأنّ أفعاله تعالى إنّما تصدر بإرادته، وكذا ﴿يُرِدْكَ﴾ يدلُّ على ﴿يَمْسَسْكَ﴾؛ لأنّه تعالى إذا أراد[6] أحدًا بخير يمسّه بذلك الخير؛ لأنّ فعله تعالى لا يتخلّف عن إرادته تعالى. وقوله: (منهما) أي: مِن الضرّ والخير.

---

[1] ن: رادّه.
[2] ن: أراده.
[3] ر: مكانه.
[4] ر – بخير"، فحذف "يُردك" مِن الأوّل لدلالة ﴿يُرِدْكَ﴾ في الثاني عليه، وحذف "يمسسك".
[5] ر – أي: أصلها في الأرض وفرعها ثابت في السماء.
[6] ن: أراده.

والمرادُ بالمشيئة: مشيئةُ المَصلحة.

﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾﴾

﴿قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ﴾ فلم يبقَ لكم عذرٌ ولا على الله حجةٌ، فمَن اختار الهدى واتِّباعَ الحق فما نَفَع باختياره إلَّا نفسَه، ومَن آثرَ الضَّلالَ فما ضرَّ إلا نفسَه.

واللامُ و"على" دَلَّا على معنى النفعِ والضرّ، وُكِلَ إليهم الأمرُ بَعْد إبانةِ الحق وإزاحةِ العلل، وفيه حثٌّ على إيثار الهدى واطِّراح الضَّلال مع ذلك.

﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾: بحفيظٍ موكولٍ إليَّ أمرُكم وحملُكم على ما أريد، إنما أنا بشيرٌ ونذير.

﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿وَٱصْبِرْ﴾ على دعوتهم واحتمال أذاهم وإعراضهم ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ﴾ لك بالنصرة عليهم والغلبة.

ورُوي أنها لما نزلت جمعَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الأنصارَ فقال: «إنكم ستجدون بعدي أَثَرَةً فاصبروا حتى تلقَوْني» -يعني: أني أُمرتُ في هذه الآية بالصبر على ما سامَتْني الكفرةُ فصبرتُ، ....

وقوله: (مشيئةُ[١] المصلحة) إشارة إلى مذهبه.

قوله: (مع ذلك) أي: مع توكيل الأمر إليهم.

قوله: (وفيه حثٌّ) أي: حثّ بقوله: ﴿لِنَفْسِهِۦ﴾ و﴿عَلَيْهَا﴾.

قوله: (أثرةً)[٢] استأثر فلان بالشيء استبدّ به، والاسم الأَثَرة.

قوله: (على ما سامتني الكفرة)[٣] يقال: سمته خَسْفًا، أي: أوليتُه إيّاه وأوردته عليه.

---

١ ر: هيئة.

٢ من حديث في صحيح البخاري، ٣/١١٤ (٢٣٧٦)؛ وصحيح مسلم، ٢/٧٣٨ (١٠٦١).

٣ ن ر: الكفر.

فاصبروا أنتم على ما يسومُكم الأمرَاء الجَوَرَةُ- قال أنسٌ: فلم نَصبِرْ.

وروي: أن أبا قتادة تخلَّف عن تلقِّي مُعَاويةَ حين قدم المدينة وقد تلقَّته الأنصار، ثمّ دخل عليه، فقال له: ما لكَ لم تتلقَّنا؟! قال: لم تكن عندنا دوابُّ، قال: فأين النَّواضح؟ قال: قطعْناها في طلبك وطلبِ أبيك يومَ بدر، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا معشرَ الأنصار إنكم ستلقَوْن بعدي أثرةً»، قال معاويةُ: ....

قوله: (قال أنس)، يعني قال أنس[١] بعد وفاة[٢] النبيّ عليه السلام حين وقوع الفتن: "أمرنا النبيّ عليه السلام فلم نصبر"، وهذا اعتراف[٣] منه بالعجز والتقصير، وإشارة إلى أنّ الأمراء الجَوَرة قد ظهروا وجاروا كما أخبر النبيّ عليه السلام، وكان حقّنا[٤] أن[٥] نصبر فلم نصبر.[٦]

قوله: (ثمّ دخل عليه) أي: ثم دخل أبو قتادة على معاوية.

[٣٨٠ظ] قوله: (فأين النواضح؟) النواضح: / الإبل التي تُسقى بها الزروع، وكان ذلك منه[٧] توبيخًا بأنّك حراث، وتعييرًا منه بأنّهم أَكَرةٌ وأصحاب زروع، فقابله أبو قتادة بأنّا ظفرنا بكم وبآبائكم إذا قاتلناكم عليها. أشار إلى أنّها كانت نجائب، وإلى أنّه وأباه لم يزالوا ظالمين. الأُكرة: الحفرة، وهي بضمّ الهمزة[٨] وسكون الكاف، والأكّار: الزارع، مأخوذ منها. و"الأَكَرة" بالفتحات جمع "أكّار"، وكأنّه جمع "آكِر" في التقدير نحو سافر وسَفَرة وفاجر وفَجَرة. وقوله: (قال: قطعناها)[٩] يُروى "حرثناها" مكان "قطعناها"، أي: هَزَلناها. والحرائث:[١٠] المهازيل. ويروى "أحرثناها". مِن الفائق.[١١]

---

١ ر – يعني قال أنس.
٢ د: وفات.
٣ ن: اعترافًا.
٤ ر: حيفا.
٥ ر: أو.
٦ ر – فلم نصبر.
٧ ر: من.
٨ ن: الهزة.
٩ ن: قطعنا هنا.
١٠ ر: والحراث.
١١ انظر: الفائق للزمخشري، ٣٨٣/٢.

فماذا قال؟ قال: «فاصبروا حتى تَلْقَوني»، قال: فاصبِرْ، قال: إذن نَصْبرُ، فقال عبد الرحمن بن حسَّانَ:

أَلا أبلِغْ معاويةَ بنَ حربٍ أميرَ الظالمين نَثَا كلامي
بأنَّا صابرون فمُنظروكم إلى يوم التغابُنِ والخِصام

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قرأ سورة يونس أُعطي من الأجر عشرَ حسنات بعدد مَن صدَّق بيونس وكذَّب به، وبعدد من غَرِقَ مع فرعون».

قوله: (فماذا قال؟[1] قال[2] قال)[3] اعلم أنّ أكثر النُّسخ هنا على ذكر "قال" بعد "ماذا" مرّة واحدة،[4] وإن[5] كان المعنى على ذِكره ثلاث مرّات؛ لأنّ المعنى[6] "ماذا قال النبيّ عليه السلام[7] قال أبو قتادة قال النبيّ عليه السلام"، وإنّما اكتفى بالقول مرّة واحدة؛ لأنّه حذف عامل "ماذا" للقرينة ثمّ أتى بـ"قال" مرّة على أن يُقرأ مرّتين؛ لأنّ اصطلاح أئمّة الحديث على أن يكتبوا "قال" مرّة واحدة ويقرأ مرتين في مثل قول الراوي عن أبي هريرة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قوله: (ألا أبلغ) البيتين.[8] "النثا":[9] هو الخبر المشهور، فالنثا[10] يعمّ الخبر[11] في الخير والشرّ، والثناء لا يكون إلّا في الخير.[12]

تمّت سورة يونس بحمد الله وحُسن توفيقه.[13]

---

[1] ن ر + النبيّ. | وجاء تعليقًا في هامش د.
[2] ن ر + أبو قتادة. | وجاء تعليقًا في هامش د.
[3] ن + النبيّ. | وجاء تعليقًا في هامش د.
[4] ن: واحد.
[5] ر + النبي.
[6] ر – على ذكره ثلاث مرّات لأنّ المعنى.
[7] ن ر: صلّى الله عليه وسلّم.
[8] البيتان لعبد الرحمن بن حسّان بن ثابت في شعب الإيمان للبيهقي، ٥٤٩/٩ (٧٠٨٤)؛ وتاريخ الإسلام للذهبي، ٨٥/٣.
[9] ن ر: الثنا.
[10] ر: فالثنا.
[11] ر: الخير.
[12] ن + تمّ الجلد الأول. | والكلام بلفظ قريب في الصحاح للجوهري، «نثا».
[13] ن ر – تمّت سورة يونس بحمد الله وحسن توفيقه.

سورة هود

مكية، هي مئةٌ وثلاثٌ وعشرون آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ①﴾

﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾: نُظِمَتْ نظمًا رصينًا محكَمًا لا يَقع فيه نَقْضٌ ولا خلل؛ كالبناء المحكَم المرَصَّف، ويجوز أن يكون نقلًا بالهمزة من "حَكُم" بضمِّ الكاف: إذا صار حكيمًا؛ أي: جُعلت حكيمةً؛ كقوله: ﴿ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [يونس ١/١٠].

/ بسم الله الرحمن الرحيم، ربّ تمِّم بالخير[١] [١ظ]

سورة هود عليه السلام[٢]

قوله: (ويجوز أن يكون نقلًا) على هذا الوجه يحتمل أن[٣] يكون[٤] اسمه[٥] ضميرًا[٦] يرجع إلى ﴿أُحۡكِمَتۡ﴾، أي: يكون ﴿أُحۡكِمَتۡ﴾ نُقل نقلًا، فـ(نقلًا) مصدرُ فعل محذوف، أو هو بمعنى "منقول"، ثمّ فسَّره المصنِّف على هذا الوجه بقوله: (أي: جُعلت)، فكأنّه[٧] قال: "بمعنى جُعلت".

اعلم أنّ ﴿أُحۡكِمَتۡ﴾ على الوجه الأوّل يكون إشارة إلى إعجاز لفظه، وعلى الثاني إشارة إلى اشتماله على المعاني والحِكم الوافرة المتكثِّرة، وعلى الثالث إلى أنّه لا يبطل ولا ينسخ بكتاب بعده ولا بوجه آخر.

---

١ ن ر – بسم الله الرحمن الرحيم رب تمّم بالخير.
٢ ن ر + بسم الله الرحمن الرحيم؛ ن + وبه نستعين.
٣ د – على هذا الوجه يحتمل أن.
٤ ن ر: اسمه.
٥ ن ر: يكون.
٦ ن: ضميرًا.
٧ ر: فكان.

وقيل: مُنِعَتْ من الفساد، من قولهم: "أَحْكَمْتُ الدابَّةَ": إذا وضَعْتَ عليها الحكَمَةَ لتمنعَها من الجِمَاح؛ قال جريرٌ:

أَبني حَنيفةَ أَحْكِموا سفهاءَكم إنِّي أخاف عليكمُ أن أَغْضَبا

وعن قتادة: أُحكِمَتْ من الباطل.

﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ كما تُفَصَّلُ القلائدُ بالفوائد من دلائلِ التوحيد والأحكام والمواعظِ والقصص، أو جُعلت فصولًا سورةً سورةً وآيةً آيةً، ....

قوله: (حَكُم) «صار حكيمًا. قال النمر بن تَوْلب:

وأبغِضْ بغيضك بغضًا رويدًا إذا أنتَ حاولتَ أن تحكُما[١]

قال الأصمعي: أي: إذا حاولت أن تكون حكيمًا. قال: وكذلك قول النابغة:

واحكم كحُكم فتاة الحيّ إذ نظرَتْ إلى حَمام سِراع واردِ الثَّمَدِ»[٢]

قوله:[٣] (إذا وضعتَ عليها الحَكَمة) حَكَمة الدابّة: ما أحاط بالحنك.[٤]

قوله: (قال جرير: أبَني[٥] حنيفةَ)[٦] البيت، أي: امنعوا[٧] سفهاءكم عن إيذائي وشتمي فإنّي أخاف أن أغضب وأصيبكم[٨] بسوء مِن هجوٍ وغيره.

قوله: (وعن[٩] قتادة)[١٠] وهذا يؤيِّد التفسير الأخير.

قوله: (بالفوائد) الباء متعلِّق بقوله: ﴿فُصِّلَتْ﴾. وقوله: (مِن دلائل) بيان "الفوائد".

---

١ البيت للنمر بن تولب في ديوانه، ص ١٠٠؛ وهو له في الصحاح للجوهري، «حكم»؛ ومجمع الأمثال للميداني، ٢٠٩/١؛ والتذكرة الحمدونية لابن حمدون، ٣٨٢/١.

٢ الصحاح للجوهري، «حكم». وبيت النابغة من معلّقته الشهيرة في ديوانه، ص ٢٣؛ وهو له في مجمع الأمثال للميداني، ١١٤/١؛ وأساس البلاغة للزمخشري، «حكم»؛ وأمالي ابن الشجري، ٢٩/٣. ويروى «سِراع» و«شِراع». والثمد: الماء القليل. الصحاح للجوهري، «ثمد».

٣ ن – قوله.

٤ الصحاح للجوهري، «حكم».

٥ ر: إنني.

٦ البيت لجرير في ديوانه، ٤٦٦/١؛ وهو له في الزاهر لابن الأنباري، ٣٩٨/١؛ والصحاح للجوهري، «حكم»؛ والفائق للزمخشري، ٣٠٣/١.

٧ ر: آمنوا.

٨ ن: وأصبكم.

٩ ن: عن.

١٠ انظر: جامع البيان للطبري، ٣١٠/١٢ (هود، ١/١١).

أو فُرِّقتْ في التنزيل ولـم تُنزَّل جملةً واحدةً، أو فُصِّل فيها ما يحتاج إليه العبادُ؛ أي: بُيِّن ولُخِّص.

وقرئ: "أحكمتُ آياتِه ثم فصَّلْتُ"؛ أي: أحكمتُها أنا ثم فصَّلتُها.

وعن عكرمةَ والضحاك: "ثمَّ فصَلَتْ"؛ أي: فرَّقَتْ بين الحقِّ والباطل.

فإن قلتَ: ما معنى ﴿ثُمَّ﴾؟

قلتُ: ليس معناها التراخي في الوقت؛ ولكن في الحال؛ كما تقول: "هي محكمةٌ أحسنَ الإحكام ثمَّ مفصَّلةٌ أحسنَ التفصيل"، و: "فلانٌ كريمُ الأصل ثمّ كريمُ الفعل".

و﴿كِتَٰبٌ﴾ خبرُ مبتدأ محذوف، و﴿أُحْكِمَتْ﴾ صفةٌ له، وقوله: ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ صفةٌ ثانيةٌ، ويجوز أن يكون خبرًا بعدَ خبر، وأن يكون صلةً لـ﴿أُحْكِمَتْ﴾ و﴿فُصِّلَتْ﴾؛ أي: من عنده أحكامُها وتفصيلُها، وفيه طباقٌ حسنٌ؛ لأن المعنى: أحكمَها حكيمٌ وفصَّلها؛ أي: بيَّنها وشَرَحَها خبيرٌ عالـمٌ بكيفيَّات الأمور.

وقوله: (أو فُصِّل[1] فيها) فعلى هذا أصله "فُصِّلت أحكام آياته، أو فوائدها"، فحُذف المضاف وأقيمَ المضاف إليه مُقامه.

قوله: (ولكن في الحال) أي: في الصفة والرُّتبة، يعني أنّ تفصيلها أعلى مرتبة وأبعد شأوًا مِن إحكامها.

قوله: (ثمّ كريمُ[2] الفعل)، يعني أنّ كَرَم الفعل أشرفُ مِن كرم الأصل.

قوله: (و﴿أُحْكِمَتْ﴾ صفة له) يريد إلى قوله: ﴿فُصِّلَتْ﴾، ولـم يصرِّح به؛ لأنّه قد عُلم ممّا مرّ أنّه جعل إحكامه ثمّ تفصيله بعد ذلك مِن حيث المعنى كالصفة الواحدة.

قوله: (أي: بيَّنها وشرحها) هذا الوجه مناسب للتفسير الأخير لقوله: ﴿فُصِّلَتْ﴾. ويمكن أن يكون متعلِّقًا بجميع الوجوه بأن يقال: تفصيلها بالفوائد

---

[1] ر: أفضل.

[2] ر: ذكرتم.

﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ۝٢ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٖ فَضْلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٖ كَبِيرٍ ۝٣ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ ۝٤﴾

﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ﴾ مفعولٌ له على معنى: لأنْ لا تعبدوا، أو تكون "أَنْ" مفسِّرةً؛ لأنَّ في تفصيل الآيات معنى القول؛ كأنّه قيل: "قال: لا تعبدوا إلّا الله" أو: أمَرَكم أنْ لا تعبدوا إلّا الله ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ﴾؛ أي: أَمَرَكم بالتوحيد والاستغفار.

ويجوز أن يكون كلامًا مبتدأً منقطِعًا عما قبله على لسان النبيِّ صلى الله عليه وسلم؛ إغراءً منه على اختصاصِ الله بالعبادة، ....

مِن لدن خبير بجميع الأشياء، وكذلك جَعْله فصولًا بالسور والآيات مِن لدن خبير بتفصيله على ذلك الوجه، وكذلك تفريقه في التنزيل مِن لدن خبير عالم بكيفيّة التفريق، وكذا تفصيل ما يحتاج إليه العباد. وهو ظاهر.

قوله: (على معنى: لأن لا تعبدوا) وإنّما حذف اللام؛ لأنّ حذف الجارّ مع "أنْ" وأنّ[1] قياس مستمرّ، وعلى هذا "لا" للنفي و"أن" ناصبة مصدريّة فيه، وكذا في ﴿أَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ﴾، وقد ذَكَر في آخر سورة يونس أنّ "أن" المصدريّة يجوز دخولها على فعل الأمر كغيره مِن الأفعال.[2]

قوله: (أو[3] تكون "أن" مفسِّرة) ولا للنهي.

قوله: (كأنّه قيل: قال)... إلخ، لمّا ذَكَر أنّ "أن" مفسِّرة أتى تارةً بالقول الصريح بدون "أن" وتارةً بما في معنى القول مع "أن"، وهما سواء؛ لأن "قال: لا تعبدوا، وأمر أن لا تعبدوا" سواء،[4] فليُتأمّل.

قوله: (أي: أمَرَكم) هذا الكلام لتفسير ﴿أَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ﴾، لكن ضُمّ إليه تفسير

[٢و] / ﴿لَا تَعْبُدُوٓاْ﴾ للتوضيح.

قوله: (إغراء منه) يجوز أن يكون الضمير عائدًا إلى الله، أي: إغراء مِن الله تعالى

---

١ ن ر - وأنّ.
٢ انظر ما مضى في تفسير يونس، ١٠/١٠٥.
٣ ن: أن.
٤ ر: سواه.

ويدلُّ عليه قوله: ﴿إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ كأنّه قال: تَرْكَ عبادةِ غير الله إنني لكم منه نذيرٌ؛ كقوله تعالى: ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ [محمد ٤٧/٤].

والضميرُ في ﴿مِنْهُ﴾ لله تعالى؛ أي: إنني لكم نذيرٌ وبشيرٌ من جهته؛ كقوله: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [البينة ٩٨/٢]، أو هي صلةٌ لـ﴿نَذِيرٌ﴾؛ أي: أنذركم منه ومن عذابه إن كفرتُم وأبشِّركم بثوابه إن آمنتُم.

فإن قلتَ: ما معنى ﴿ثُمَّ﴾ في قوله: ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾؟

على اختصاص الله تعالى بالعبادة. والظاهر أنّ الضمير للنبيّ عليه السلام، وهذا هو الوجه لقوله: (مقولًا على لسان النبيّ عليه السلام).

قوله:[1] (ويدلّ عليه) أي: على أنّه مقول على لسان النبيّ عليه السلام.

قوله: (كأنّه قال: تَرْكَ عبادةِ غير[2] الله) أصله "اتركوا عبادة غير[3] الله تركًا"، فحُذف الفعل وأنيبَ المصدر مَنابَه، وقدِّم مضافًا إلى[4] المفعول.

قوله: (﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ [محمد ٤٧/٤]) أصله: فاضربوا الرقابَ ضربًا، فحُذف الفعل وقدِّم المصدر فأنيبَ[5] مَنابه مضافًا إلى المفعول. وفيه اختصار[6] مع إعطاء معنى التأكيد؛ لأنّك تذكر المصدر وتدلّ على الفعل[7] بالنصب.

قوله: (مِن جهته) أي: بشير ونذير حاصل مِن جهته كائن من جهته.

قوله: (أو هي صلة لـ﴿نَذِيرٌ﴾)[8] وعلى الوجه الأوّل كان متعلِّقًا بمحذوف.

قوله: (وأبشِّركم[9] بثوابه)، يعني: يكون صلة ﴿بَشِيرٌ﴾ محذوفًا.

قوله: (فإن قلتَ: ما معنى ﴿ثُمَّ﴾) معنى السؤال أنّ الاستغفار بمعنى التوبة، فما معنى الجمع بينهما مع تخلُّل ﴿ثُمَّ﴾ بينهما؟

---

[1] ن ر – قوله.
[2] ن – غير.
[3] ر – غير.
[4] ن + غير.
[5] ن: وأنيب.
[6] ن ر: اختصاص.
[7] ن ر: الفصل.
[8] ر: النذير.
[9] ر: ويشركم.

قلتُ: معناه: استغفِروا من الشرك ثم ارجعوا إليه بالطاعة، أو: استغفروا والاستغفار توبةٌ ثم أخلِصوا التوبةَ واستقيموا عليها؛ كقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ [فصلت ٣٠/٤١].

﴿يُمَتِّعْكُم﴾: يُطوِّلْ نفعَكم في الدنيا بمنافعَ حسنةٍ مرضيَّةٍ: من عيشةٍ واسعةٍ، ونعمةٍ متتابعةٍ.

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: إلى أن يتوفَّاكم؛ كقوله: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل ٩٧/١٦].

﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾: ويُعطِ في الآخرة كلَّ مَن كان له فضلٌ في العمل وزيادةٌ فيه جزاءَ فضله لا يُبخَسُ منه، أو: فضلَه في الثواب، والدرجاتُ تتفاضلُ في الجنَّة على قَدْرَ تفاضُل الطاعات.

﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟﴾: وإن تتولوا.

﴿عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ هو يومُ القيامة، وُصف بالكِبَر كما وُصف بالعِظَم والثِّقَل،

قوله: (والاستغفارُ توبة) جملة معترضة.

قوله: (كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ [فصلت ٣٠/٤١]) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾.

قوله: (مِن عيشة)[1] بيان لقوله: "منافع".

قوله: (كقوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ﴾ [النحل ٩٧/١٦]) قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ﴾ [النحل ٩٧/١٦].

قوله: (أو فضله في الثواب) والفرق بين الوجهين أنَّ الفضل الثاني بمعنى الفضل الأوّل في الوجه الأوّل والمضاف محذوف، وأمّا في الوجه الثاني الفضل[2] الأوّل هو العمل في الدنيا والفضل الثاني ثواب العمل في الآخرة.

قوله: (﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟﴾) مضارع مبنيّ للفاعل مِن التولية بمعنى الإعراض. وقوله: (مِن ولّى) أي: أدبر.

---

١ ن: علسه.

٢ ن در: فالوجه؛ وفي هامش ن: الفضل. "نسخة، صح".

وبيّن عذابَ اليوم الكبير بأنَّ مرجعهم إلى مَن هو قادرٌ على كلِّ شيء، فكان قادرًا على أشدِّ ما أرادَ من عذابهم لا يُعجزُه.

وقرئ: "فإنْ تُوَلُّوا" من وَلّى.

قوله تعالى: ﴿يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ هذا تبيين مِن الله تعالى لكيفيّة إعراضهم، وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه:[١] «جعل أنفه[٢] في قفاه»،[٣] أي: أعرض، وهو عبارة عن الإعراض البليغ. والحاصل أنّه شبَّه في الآية ازورارهم وانحرافهم بثني الصدور، ثمّ ذُكر ﴿يَثْنُونَ﴾ وأريدَ يزورّون، فهو استعارة تبعيّة. هذه الحاشية صحيحة، والثانية[٤] والثالثة ليستا بشيء، فتأمّل.

قال رحمه الله:[٥] ثنيُ الصدر بمعنى الإعراض إظهار[٦] للنفاق فلم يصحَّ أن يتعلَّق به لام التعليل، فوجب إضمار ما يصحّ تعلّقها به مِن شيء يستوي عليه المعنى، فلذلك قُدِّر: يريدون ليستخفوا[٧] على الله سبحانه ويُظهرون النفاق، ويريدون مع ذلك أن يستخفوا،[٨] وكذلك ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ معناه ألا حين يريدون إظهار نفاقهم مِن ثني الصدور، وهو استغشاء الثياب، يريدون الاستخفاء. في هذه الحاشية نظر؛ بل هو فاسد أصلًا.

﴿يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾، أي: يُظهرون النفاق ويريدون إخفاءه، فالله تعالى يُعجِّب العقلاء مِن شدّة وقاحتهم، حيث يُظهرون النفاقين: أحدهما ثنيُ الصدور، وهو أدنى النفاقين، والثاني استغشاء الثياب، وهو أعظمهما. فكأنّ الله سبحانه يقول: يُظهرون أعظم النفاق ويريدون / الإخفاء، مع أنّي عالم بأدنى نفاقهم وهو ثنْي صدورهم، فكيف بأعلاهما؟ [٢ظ]

هذه الحاشية ليست بشيء؛ لأنّه ليس المراد بثني صدورهم ظاهرَ المعنى؛ بل هو استعارة عن الإعراض، فليُتأمّل في المتن بالإمعان مستمدًّا مِن الله التوفيق.

---

١ د – رضي الله عنه.

٢ ن ر: الله.

٣ لم أقف عليه فيما بين يدي من المظانّ.

٤ ن ر: والثاني.

٥ ن ر: رضي الله عنه.

٦ ر: وإظهار.

٧ ن ر: استخفوا.

٨ ن ر – على الله سبحانه ويُظهرون النفاق ويريدون مع ذلك أن يستخفوا.

﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٥﴾

﴿يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ﴾: يَزْوَرُّونَ عن الحقّ وينحرفون عنه؛ لأن مَن أقبلَ على الشَّيء استقبله بصدْره، ومَن ازوَرَّ عنه وانحرف ثنَى عنه صدَره وطَوَى عنه كَشْحَه.

﴿لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُ﴾ يعني: ويريدون ليستَخْفُوا من الله فلا يُطْلِعَ رسولَه والمؤمنين على ازْوِرَارهم، ونظيرُ إضمارِ "يريدون" لقَوْدِ المعنى إلى إضماره: الإضمارُ في قوله: ﴿أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ﴾ [الشعراء ٢٦/٦٣] معناه: فضَربَ فانفلق.

ومعنى ﴿أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ﴾: ويَريدون الاستخفاءَ حين يستَغْشُون ثيابَهم أيضًا كراهةً لاستماع كلام الله تعالى؛ ....

قوله: (يعني: ويُريدون ليَستخفوا)[١] نظير "يريدون ليستخفوا": ﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ﴾[٢] [الصف ٦١/٨].

قوله: (أيضًا) أي: كما يريدون الاستخفاء[٣] حين يثنون صدورهم، فالمعنى بقوله تعالى: ﴿حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ﴾: حين يُريدون إخفاء كفرهم وإعراضهم مع كراهتهم الإيمانَ، فعبَّر عن نفاقهم وإخفائهم الكفر باستغشاء الثياب لِما فيه مِن[٤] الاستتار، مع الإشارة فيه والإيماء إلى كراهتهم لاستماع كلام الله تعالى، فهم مِن جهة[٥] هذه الكراهة كمَن يستغشي ثيابه لئلّا يسمع كلام المتكلِّم كما فعله قوم نوح عليه السلام، والصواب أنّ المراد بـ[٦]﴿يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ﴾ مبالغتهم في الإعراض، يعني: يريدون استخفاء إعراضهم[٧] وازورارهم حين يُبالغون في الإعراض[٨] والازورار.[٩]

---

١ ن ر: استحقوا.
٢ ن – ﴿لِيَسۡتَخۡفُواْ﴾ ﴿يُرِيدُونَ﴾.
٣ ر: استخفاء.
٤ ن + نفاقهم وإخفائهم الكفر باستغشاء الثياب لما فيه من.
٥ د: جهته.
٦ ر: إذ.
٧ ر: وأغراضهم.
٨ ر: الأغراض.
٩ ر: والأوزار.

كقولِ نوحٍ عليه السلام: ﴿جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ﴾ [نوح ٧١/٧].

ثم قال: ﴿يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ﴾ يعني: أنه لا تفاوتَ في علمه بين إسرارهم وإعلانهم، فلا وجهَ لتوصُّلهم إلى ما يريدون من الاستخفاء واللهُ مُطَّلِعٌ على ثَنْيهم صدورَهم واستغشائِهم ثيابَهم، ونفاقُهم غيرُ نافِقٍ عنده.

رُوي أنَّها نزلت في الأخنَسِ بن شَرِيقٍ، وكان يُظهِرُ لرسول الله المحبَّةَ وله منطقٌ حلوٌ وحُسْنُ سياقٍ للحديثِ، فكان يُعجِبُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم مجالستُه ومحادثتُه، وهو يُضمِر خلاف ما يُظهِرُ.

وقيل: نزلت في المنافقين.

وقرئ: "تَثْنَوْنِي صدورُهم"، ....

قوله: (كقول نوح عليه السلام) ذَكَر قول نوح إشارة إلى أنّ المراد بجَعْل أصابعهم في آذانهم واستغشائهم ثيابهم: هو إعراضهم عن قبول الدعوة ومبالغتهم في ذلك.

قوله:[١] (مِن الاستخفاء) بيان (ما) أي: لا وجهَ للتوصّل إلى الاستخفاء الذي يريدونه، فإنّه لا يمكنهم الاستخفاء. ثمّ إنّ سبب النزول الذي ذكره دلّ على أنّه ليس المراد مِن ثني الصدور واستغشاء الثياب هو الحقيقة؛ بل المراد بهما الإعراض والنفاق، فالمراد بثني الصدور الإعراض عن الحقّ وباستغشاء الثياب المبالغة فيه، فكأنّه قيل: لا يقبلون الحقّ؛ بل يكفرون بمِرائهم[٢] مع ذلك لا يُظهرون الكفر؛ بل ينافقون ويريدون أن يُخفوا عدم قَبولهم ونفاقهم، ونحن نعلم جميع[٣] ذلك. واعلم أنّ هذه الحاشية صحيحة، فلتعمد عليها. وقوله: (على ثَنْيهم) أي: إعراضهم. وقوله: (واستغشائِهم) أي: وعلى مبالغتهم في إعراضهم.

قوله: (غيرُ نافق) يقال: أنفق القوم إذا نَفَق سوقهم.

---

[١] ن ر – (كقول نوح عليه السلام) ذكر قول نوح إشارة إلى أنّ المراد بجعل أصابعهم في آذانهم واستغشائهم ثيابهم هو إعراضهم عن قبول الدعوة ومبالغتهم في ذلك.

[٢] في هامش ن: ثم إنّهم. "نسخة".

[٣] ر: جمع.

واثنَوْنَى: افعَوْعَل من الثَّني؛ كاحْلَوْلَى من الحلاوة، وهو بناءُ مبالغةٍ قرئ بالتاء والياء.

وعن ابن عباس: "لتَثْنَوْني".

وقرئ: "تَثْنَوِنُّ" وأصله: تثنوْنِنُ، تَفْعَوْعِلُ من الثِّنّ، وهو ما هشَّ وضعُفَ من الكَلَأ، يريد: مطاوعَةَ صدورهم للثَّني كما يَنْثني الهشُّ من النبات، أو أراد ضَعْفَ إيمانهم ومَرضَ قلوبِهم.

وقرئ: "تَثْنَئِنُّ" من اثنَأَنَّ: افعالَّ منه ثم هُمِزَ؛ كما قيل: ابْيَأَضَّت وادْهَأَمَّتْ.

وقرئ: "تَثْنَويْ" بوزن تَرْعَوي.

قوله: (واثنَوْنى)... إلخ، بيان للمعنى، ولم يتعلّق بالقراءة.

قوله: (بالتاء والياء)،[١] أي: في "تَثْنَوني" ومعنى "تَثْنَوني" تنحرف وتنصرف. قال في الصحاح: «انثنى، أي: انعطف، وكذلك اثنونى على افعوعل».[٢]

قوله: (مِن الثِّنّ) «الثِّنّ بالكسر: يبيس الحشيش، قال:[٣]

تكفي اللَّقوح أكلةٌ مِن ثِنّ»[٤]

اللَّقوح: الحلوب من الإبل، والجمع لقاح.[٥]

قوله: (ثمّ هُمز)... إلخ، الهمز في هذه المواضع للجِدّ[٦] في الهرب من التقاء الساكنين، فأصلهما تَثْنانُّ واثنانَّ.[٧]

قوله: (وقرئ: "تَثْنَوي"[٨] بوزن "تَرْعوي") مشكل لا يتبيَّن وجهه، إذ لم يجئ "ثَنوت" كما جاء "رَعَوت"، قال في الصحاح: «رعا يرعو إذا كفّ عن الأمور، يقال: فلان حَسَن الرَّعوة والرِّعوة والرُّعوى والارعواء، وقد ارعوى عن القبيح، ووزنه افْعَلَلَ».[٩]

---

١ قراءتان شاذّتان، بالتاء مرويّة عن ابن عبّاس ونصر بن عاصم ويحيى بن يعمر، وبالياء مرويّة عن ابن مِقسَم. المغني في القراءات للنُّوزاوازي، ص ٩٧٩.

٢ الصحاح للجوهري، «ثنى».

٣ في هامش د: شاعر.

٤ الصحاح للجوهري، «ثنن»، وفي مطبوعه: «القوح» مكان «اللَّقوح».

٥ ر: لاقح. | انظر: الصحاح للجوهري، «لقح».

٦ ر: الجد.

٧ ر: اثنتان.

٨ قراءة شاذّة، مرويّة عن أبي حاتم عن ابن عبّاس، والأعرج وابن عُيينة وابن يعمر وابن أبي إسحاق. المغني في القراءات للنُّوزاوازي، ص ٩٨٠.

٩ الصحاح للجوهري، «رعى».

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦﴾

فإن قلتَ: كيف قال: ﴿عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ بلفظ الوجوب وإنما هو تفضُّلٌ.

قلتُ: هو تفضُّلٌ، إلَّا أنه لمَا ضَمِنَ أن يتفضَّل به عليهم رجع التفضُّلُ واجبًا كنذور العباد، والمستقَرُّ: مكانُه من الأرض ومسكنُه، والمستودَعُ حيث كان مودَعًا قبل الاستقرار من صُلْبٍ أو رَحِمٍ أو بيضة.

﴿كُلٌّ﴾: كلُّ واحد من الدَّوابِّ ورزقِها ومستقرِّها ومستودَعِها في اللوحِ، يعني: ذكرُها مكتوبٌ فيه مبيَّنٌ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ وَلَئِن قُلۡتَ إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ۝٧﴾

﴿وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾؛ أي: ما كان تحته خَلْقٌ قبل خَلْقِ السماوات والأرض وارتفاعِه فوقَها إلَّا الماءُ، ....

قوله: (كنذور العباد) تشبيه في أصل الوجوب على مذهبه، وإن كان قد بالغ في هذا التشبيه / مبالغة باردة.[١] والوجه الصحيح أن نقول: لمّا وعد التفضل[٢] شبَّه التفضل[٣] بالواجب؛ لأنّه لا يخلف الميعاد. [٩٣و]

قوله: (مكانه مِن الأرض) الضمير في مكانه للمستقرّ الذي يدلُّ عليه المستقرّ.

قوله: (حيث كان مُودَعًا)،[٤] أي: حيث كان المستقرّ مُودَعًا فيه قبل الاستقرار.

قوله: (مِن صُلب) بيان مِن حيث المعنى لقوله: "حيث كان"... إلخ، فكأنّه قال: المكان الذي هو الصلب أو الرحِم أو البيضة.

قوله: (إلّا الماءُ) مستثنى مِن (خَلْقٌ) الأوّل، وهو بمعنى المخلوق،

---

[١] في هامش د: قلتُ: ليس في التشبيه برودة؛ بل هو تشبيه حَسَن مطابق لمذهبهم، تأمّل.

[٢] ن ر: التفضيل.

[٣] ن ر: التفضيل.

[٤] ن: موعدًا.

وفيه دليلٌ على أن العرش والماء كانا مخلوقَين قبل خَلْقِ السماوات والأرض.

وقيل: وكان الماءُ على مَتْنِ الرّيح، والله أعلمُ بذلك، وكيفَما كان فاللهُ ممسكٌ كلَّ ذلك بقُدرته، وكلّما ازدادت الأجرامُ كانت أحوجَ إليه وإلى إمساكه.

﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ متعلِّق بـ﴿خَلَقَ﴾؛ أي: خَلَقهنّ لحكمةٍ بالغةٍ، وهي أن يجعلها مساكنَ لعباده، ويُنعِمَ عليهم فيها بفُنون النِّعَم، ويكلِّفَهم الطاعات واجتنابَ المعاصي، فمَن شكر وأطاعَ أثابَه، ومَن كفر وعصى عاقَبَهُ، ولمّا أَشْبَه ذلك اختبارَ المختبِر قال: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾، يريد: ليَفْعَلَ بكم ما يَفعلُ المُبتلِي لأحوالكم كيف تعملون.

فإن قلتَ: كيف جاز تعليقُ فعلِ البَلْوَى؟

قلتُ: لِمَا في الاختبار من معنى العلم؛ لأنّه طريقٌ إليه فهو مُلابسٌ له؛ كما تقول: "انظر أيُّهم أحسنُ وجهًا" و: "اسمعْ أيُّهم أحسنُ صوتًا"؛ لأنّ النظرَ هو الاستماعُ من طرق العلم.

فإن قلتَ: كيف قيل: ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ وأعمال المؤمنين هي التي تتفاوتُ

و"الخلق" الثاني بمعنى المصدر، أي: لم يكن مخلوق[١] تحت العرش قبل أن يخلق السماوات والأرضين.

قوله: (فإن قلتَ: كيف جاز تعليق؟) أي: عدم الإعمال.

قوله: (قلتُ: لِما) أي: جاز لِما. وقوله: (لأنه) متعلِّق بالظرف الذي هو صلة "ما"، أي: ثبت لأنّه.

قوله: (كما تقول) "كما" منصوب المحلّ مِن متعلّق اللام في "لِما"، أي: جاز تعليق[٢] فعل البلوى لِما في الاختبار مِن معنى العلم، مثل جواز قولك: (انظر أيّهم أحسنُ وجهًا، لأنّ النظر)... إلخ. وقوله: "لأنّ النظر" متعلِّق بالجواز المقدَّر أو بقوله: "تقول".

قوله: (فإن قلتَ: كيف قيل؟) معنى السؤال أنّه كان المناسب "أيّكم

---

[١] ر: مخلوقًا.

[٢] ن ر + قولك.

إلى حَسَنٍ وأحسنَ، فأمّا أعمال المؤمنين والكافرين فتفاوُتُها إلى حسن وقبيح؟

قلتُ: الذين هم أحسنُ عملا هم المتَّقون، وهم الذين استَبَقوا إلى تحصيل ما هو غرضُ الله من عباده، فخصَّهم بالذِّكر واطَّرحَ ذكرَ مَن وراءهم تشريفًا لهم وتنبيهًا على مكانهم منه، وليكون ذلك لُطفًا للسامعين وترغيبًا في حِيازة فضلهم.

وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «ليبلوكم أيُّكم أحسنُ عَقلًا، وأورعُ عن محارم الله، وأسرع في طاعةِ الله».

قرئ: "ولئن قلتَ أنكم مبعوثون" بفتح الهمزة، ووجهُه: أن يكون من قولهم: "ائتِ السوقَ عنَّك تشتري لنا لحمًا" و: "أنك تشتري" بمعنى: "علَّك"؛ أي: ولئن قلتَ لهم: لعلكم مبعوثون، بمعنى: توقَّعوا بعثكم وظُنُّوه ولا تَبُتُّوا القولَ بإنكاره، لقالوا: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ باتِّينَ القولَ ببطلانه.

ويجوز أن تُضمَّنَ ﴿قُلۡتَ﴾ معنى: ذكرتَ.

ومعنى قولهم: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾: إنَّ السحر أمرٌ باطلٌ، ....

حَسَنٌ[1] عملًا"؛ لأنّ الحُسن ليس مشتركًا بين عمل الجميع؛ بل عمل البعض حَسَن وعمل البعض قبيح، وفائدة الابتلاء امتيازُ مَن هو حَسَن عملًا ممّن هو قبيح عملًا.

قوله: (قلتُ: الذين هم)، يعني: لو قال: "حَسَن عملًا" لكان اعتدادًا بجميع المؤمنين وبأعمالهم[2] مِن المتّقين وغير المتّقين، فقال: ﴿أَحۡسَنُ﴾ ليظهر أنّ الاعتداد إنّما هو بالمؤمنين المتّقين دون غير المتّقين، فالحاصل أنّ الغرض مِن ابتلاء[3] الجميع هو تمييز مَن هو أحسن عملًا.

قوله: (ولا تبُتّوا) أي: لا تقطعوا، والبتّ: القطع.

---

[1] ر: أحسن.

[2] ن ر: بأعمالهم.

[3] ر: إملا.

وإنّ بطلانه كبطلان السحر؛ تشبيهًا له به، أو أشاروا بـ﴿هَٰذَا﴾ إلى القرآن؛ لأن القرآن هو الناطقُ بالبعث، فإذا جعلوه سحرًا فقد اندرجَ تحتَه إنكارُ ما فيه من البعث وغيره.

وقرئ: ﴿إن هذا إلّا ساحرٌ﴾ يريدون الرسول، والساحر كاذبٌ مُبطلٌ.

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٨﴾

﴿ٱلْعَذَابَ﴾: عذاب الآخرة، وقيل: عذاب يوم بدر.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: قتَلُ جبريل المستهزئين.

﴿إِلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾: إلى جماعةٍ من الأوقات.

﴿مَا يَحْبِسُهُۥٓ﴾: ما يمنعُه من النزول؟ استعجالًا له على وجه التكذيب والاستهزاء.

و﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾ منصوبٌ بخبر ﴿لَيْسَ﴾، ويستَدِلُّ به مَن يَستجيزُ تقديمَ خبرِ "ليس" على "ليس"، وذلك أنه إذا جاز تقديمُ معمول خبرِها عليها كان ذلك دليلًا على جوازِ تقديم خبرِها؛ إذ المعمولُ تابعٌ للعامل، فلا يقع إلّا حيث يقع العامل.

﴿وَحَاقَ بِهِم﴾: وأحاط بهم ﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: العذابُ الذي كانوا به يستعجلون، وإنما وضع ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾ موضع "يستعجلون"؛ لأن استعجالهم كان على جهةِ الاستهزاء، والمعنى: ويَحيق بهم، إلّا أنه جاء على عادةِ اللهِ في أَخْبارِه.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ۝٩﴾

﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾ للجنس ﴿رَحْمَةً﴾: نعمةً من صحَّةٍ وأمنٍ وجِدَةٍ ﴿ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ﴾: ثم سلبناهُ تلك النِّعمةَ ﴿إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ﴾: شديدُ اليأس من أنْ تعود إليه مثلُ تلك

قوله: (وإنّ بطلانه) أي: البعث. وقوله: (أو أشاروا بـ﴿هَٰذَا﴾ إلى القرآن) وعلى الأوّل كان إشارة إلى قولكم: ﴿إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ﴾، بل كان[1] إشارة إلى البعث.

---

[1] ر – كان.

النعمةِ المسلوبة، قاطعٌ رَجاءَه من سَعةِ فضل الله من غيرِ صَبْرٍ ولا تسليمٍ لقضائه ولا استرجاعٍ.

﴿كَفُورٌ﴾: عظيمُ الكُفرانِ لِمَا سلَف له مِن التقلُّبِ في نعمة الله نَسَّاءٌ له.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾﴾

﴿ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي﴾؛ أي: المصائبُ التي ساءَتْني ﴿إِنَّهُ لَفَرِحٌ﴾ أَشِرٌ بَطِرٌ ﴿فَخُورٌ﴾ على الناس بما أذاقه الله من نَعْمائه، قد شغله الفرح والفخر عن الشكر.

﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾

﴿إِلَّا الَّذِينَ﴾ آمنوا فإنّ عادتَهم إن نالَتْهم رحمةٌ أن يَشْكروا وإن زالَتْ عنهم نعمةٌ أن يصبروا.

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾﴾

يقترحون عليه آياتٍ تعنُّتًا لا استرشادًا؛ لأنهم لو كانوا مسترشِدِين لكانت آيةٌ واحدةٌ مما جاء به كافيةً في رشادهم.

ومن اقتراحاتهم: ﴿لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾ ....

قوله: (ولا استرجاع) المراد بالاسترجاع "إنّا لله وإنّا إليه راجعون"، أو المراد به طلب الرجوع، وهو أن يطلب مِن الله تعالى أن يرجعها إليه بالدعاء والاستغفار.

قوله: (أي: المصائب)، المصائب واحدها مصيبة، وأصله الواو كـ"مُنيحة ومَناوح"، وكأنّهم شبّهوا الأصليّ بالزائد، ويجمع أيضًا على "مصاوب".

قوله: (فإنّ عادتهم)... إلخ، إشارة إلى أنّ الاستثناء متعلِّق[1] بالجملتين.

قوله: (﴿لَوْلَا أُنزِلَ﴾) مبتدأ، و(من اقتراحاتهم) خبره مقدَّم عليه.

---

[1] ن ر: متعلقه.

وكانوا لا يعتدُّون بالقرآن ويتهاونون به وبغيره ممَّا جاء به من البيّنات، فكان يَضيقُ صدرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُلقيَ إليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه، فحَرَّكَ الله منه وهيَّجه على أداء الرسالةِ وطرحِ المبالاة بردِّهم واستهزائهم واقتراحِهم بقوله: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ﴾؛ أي: لعلك تتركُ أن تُلقيَه إليهم وتُبلِّغَه إيَّاهم مخافةَ ردِّهم له وتهاوُنهم به ﴿وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ﴾ بأنْ تتلوَه عليهم ﴿أَن يَقُولُواْ﴾: مخافةَ أن يقولوا: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ﴾؛ أي: هلَّا أُنزل عليه ما اقترَحْنا نحن من الكنزِ والملائكة، ولِمَ أُنزلَ عليه ما لا نُريده ولا نقترحُه.

ثم قال: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞ﴾؛ أي: ليس عليك إلَّا أن تُنذِرَهم بما أُوحيَ إليك

قوله: (من البيّنات) بيان "غير". وقوله: (مما جاء[1] به)[2] عبارة عن القرآن، فكأنّه قال: يتهاونون بغير القرآن الذي جاء به[3] مِن سائر المعجزات، يعني: كما أنّهم يتهاونون بالقرآن الذي جاء به يتهاونون بغيره مِن المعجزات أيّ معجزة جاء بها، والباء في "بغير" متعلِّق[4] بقوله: (يتهاونون) أو (لا يعتدُّون).

[٣ظ] قوله: (أن يلقيَ إليهم) أي: مِن أن / يُلقى.

قوله: (أن تُلقيه إليهم) يشير به إلى أنّ المضاف محذوف، أي: إلقاء بعض ما يوحى إليك إليهم.

قوله: (بأن تتلوَه عليهم)، يعني التقدير "بتلاوته"، فالمضاف هنا أيضًا محذوف.

قوله: (مخافةَ أن يقولوا) إن قيل: لِمَ قدّر "مخافة"، والمعنى بدونه يصحّ؛ لأنّهم كانوا قد قالوا ذلك، وضيق صدره إنّما هو لقوله السابق؟ فالجواب أنّ دخول "أن" دلّ على أنّ المعنى على الاستقبال،[5] يعني: يُخاف أن يقولوا لك هذا الكلام إذا قرأت عليهم، كما بيَّنه المصنِّف.

---

[1] ن ر: جاءته.
[2] ن ر − به.
[3] ن ر − عبارة عن القرآن، فكأنّه قال: يتهاونون بغير القرآن الذي جاء به.
[4] ن + بغير متعلق.
[5] ر: الاستفتاء.

وتُبلِّغَهم ما أُمرتَ بتبليغه، ولا عليك رَدُّوا أو تهاوَنوا أو اقترحوا.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ يحفظُ ما يقولون، وهو فاعلٌ بهم ما يجِبُ أن يُفعَلَ فتوكَّلْ عليه وكِلْ أمرَك إليه، وعليك بتبليغ الوحي بقلبٍ فسيحٍ وصدرٍ مُنشَرِحٍ، غيرَ مُلتفتٍ إلى استكبارهم ولا مُبالٍ بسَفَهِهم واستهزائهم.

فإنْ قلتَ: لم عَدَل عن "ضيِّق" إلى ﴿ضَآئِقٌ﴾؟

قلتُ: ليَدُلَّ على أنه ضِيقٌ عارضٌ غيرُ ثابتٍ؛ لأن رسول الله كان أفسحَ الناسِ صدرًا، ومثلُه قولُك: زيدٌ سيِّدٌ وجوادٌ، تريد السيادةَ والجُودَ الثابتَين المستقِرَّينِ، فإذا أردتَ الحدوث قلتَ: سائدٌ وجائدٌ، ونحوُه: "كانوا قومًا عامِينَ" في بعض القراءات، وقولُ السَّمْهريِّ العُكْليِّ:

بمنزلةٍ أمَّا اللئيمُ فسامِنٌ ... بها وكِرامُ الناس بادٍ شُحوبُها

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾

قوله: (ولا عليك ردُّوا) أي: لا بأس عليك سواء ردّوا، أو.

قوله: "ردُّوا"... إلخ، حال مِن الضمير كما[1] في "عليك".

قوله: (غيرَ ملتفت) الأحسن أن يكون "غير" متعلِّقًا[2] بـ"تبليغ" لا بقوله: "توكّل".

قوله: (كان أفسحَ الناس صدرًا) ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح ١/٩٤].

قوله: (بمنزلةٍ) البيت.

قوله: (فسامِنٌ) ولم يقل: "سمين". و(شحوبُها)[3] تغيّر[4] الوجه.

---

[1] ن ر - كما.

[2] ن: متعلق.

[3] البيت للسمهري العكلي في الوحشيّات لأبي تمّام، ص ٢٢٢، وفيه «فآمن» مكان «فسامن»؛ وهو بلا عزو في التمام لابن جنّي، ص ١٨١؛ وأساس البلاغة للزمخشري، «شحب»؛ والتذييل والتكميل لأبي حيّان الأندلسي، ٤٩/١١.

[4] ن ر: بغير.

﴿أَمۡ﴾ منقطعةٌ، والضميرُ في ﴿ٱفۡتَرَىٰهُۖ﴾ لـ﴿مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ﴾، تَحدَّاهم أوَّلًا بعشرِ سُورٍ ثم بسورةٍ واحدة؛ كما يقول المُخايرُ في الخطِّ لصاحبه: "اكتُب عشرةَ أَسْطُرٍ نحوَ ما أكتُبُ" فإذا تبيَّن له العجزُ عن مثلِ خطِّه قال: "قد اقتصرتُ منك على سطرٍ واحد".

﴿مِّثۡلِهِۦ﴾ بمعنى: أمثاله، ذهابًا إلى مماثلةِ كلِّ واحدةٍ منها له.

﴿مُفۡتَرَيَٰتٖ﴾ صفةٌ لـ"عشرِ سور" لمّا قالوا: افتريتَ القرآن واختلقْتَه من عند نفسك وليس من عند الله، فاوَدَهم على دعواهم وأرخَى معهم العِنانَ، وقال: هَبُوا ....

قوله: (كما يقول المُخاير) خايره في الخطّ: قال له: اكتب[1] لننظر أيّ خطِّنا خيرٌ.

قوله: (منها له) أي: مِن أمثاله، أو المعنى مماثلة كلّ واحد مِن تلك العشر السور للقرآن، والحاصل أنّه أفرد باعتبار كلّ واحد مِن السور. وهذا هو الصواب في تقرير مرجع الضميرين، والتحقيقُ فيه أنّ كلّ واحدةٍ مِن السور لمّا كانت مثله فالمجموع أمثاله، فيكون "مثله" بمعنى "أمثاله".

قوله: (فاوَدَهم على دعواهم) ويمكن أن يكون المعنى ليس مفترى، فإنّه إن كان مفترى[2] قدَرتم على افتراء مثله، لكن لا تقدرون على مثله فلا يكون مفترى. وهذا أولى ممّا قاله المصنِّف، فإنّه لو فاوَدَهم كما قال لكان لهم أن يقولوا: إذا كان مفترى لا تتمّ دعواك ونبوّتك سواء أتينا بمثله أو لم نأتِ، وليس علينا أن نأتي بمثل المفترى فلا نأتي به ولا نلتفت إلى ما أتيت، وأمّا إذا كان المعنى على ما ذكرتُ فيتمّ التحدّي وإلزام الخصم.

قوله: (وقال: هَبُوا) يقال: "هبْ زيدًا منطلقًا"، بمعنى[3] "احسَب"، يتعدّى إلى مفعولين ولا يستعمل منه ماضٍ ولا مستقبل في هذا المعنى. وقوله: "هَبُوا"

---

[1] ر: واكتب.

[2] ن: مستقرى.

[3] ن ر: يعني.

أنّي اختلَقْتُه من عند نفسي ولم يُوحَ إليَّ، وأن الأمرَ كما قلتُم، فأْتُوا أنتم أيضًا بكلامٍ مثلِه مختلَقٍ من عند أنفسِكم فأنتم عَرَبٌ فصحاءُ مثلي لا تعجزون عن مثل ما أقدرُ عليه من الكلام.

فإن قلتَ: كيف يكون ما يأتون به مثلَه، وما يأتون به مفترًى وهذا غيرُ مفترًى؟

قلتُ: معناه: مثلِه في حُسنِ النَّظْم والبيان وإن كان مفترًى.

فإن قلتَ: ما وجه جمعِ الخطاب بعد إفراده، وهو قوله: ﴿لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ﴾ بعد قوله: ﴿قُلْ﴾؟

قلتُ: معناه: فإن لم يستجيبوا لك وللمؤمنين؛ لأن رسول الله والمؤمنين كانوا يتحدَّوْنَهم، وقد قال في موضعٍ آخرَ: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ﴾ [القصص ٢٨/٥٠].

ويجوز أن يكون الجمعُ لتعظيم رسول الله؛ كقوله:

فإن شئتُ حرَّمتُ النساءَ سِوَاكُمُ

ووجهٌ آخرُ: وهو أن يكون الخطابُ للمشركين والضميرُ في ﴿لَمْ يَسْتَجِيبُواْ﴾ لـ﴿مَنِ ٱسْتَطَعْتُم﴾، يعني: فإن لم يستجِبْ لكم مَن تَدْعونَه من دونِ الله إلى المظاهَرةِ

يتعدّى إلى مفعولين قام مقامهما (أنّي اختلقته)، يقال: «خلق الإفك[١] واختلقه[٢] وتخلَّقه، أي: افتراه».[٣]

قوله: (وقد قال في[٤] موضع آخر) هذا لتحقيق[٥] أنّ الضميرين للنبيّ عليه السلام والمؤمنين،[٦] كما سيجيء في الوجه الآخر.

قوله: (ووجه آخرُ) أي: وهنا وجه آخر. وقوله: (وهو أن يكون الخطاب) أي: في ﴿لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ﴾، وعلى الوجه الأوّل كان الخطاب في ﴿لَكُمْ﴾[٧] و﴿ٱعْلَمُوٓاْ﴾

---

١ ر: الأوّل.
٢ ر: واختلقته.
٣ الصحاح للجوهري، «خلق».
٤ ن ر – في.
٥ ن: التحقيق.
٦ ن ر: والمؤمنون.
٧ ن ر – ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ﴾، وعلى الوجه الأوّل كان الخطاب في ﴿لَكُمْ﴾.

على معارضته لعِلْمِهم بالعجز عنه وأن طاقتَهم أقصرُ من أن تبلُغَه ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: أُنزل مُلْتبِسًا بما لا يعلمُه إلَّا الله: من نظْمٍ مُعْجِزٍ للخلق، وإخبارٍ بغيوبٍ لا سبيل لهم إليه ﴿وَ﴾ اعلموا عند ذلك ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا﴾ الله وحده، وأن توحيده واجبٌ والإشراكَ به ظلمٌ عظيمٌ ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾: مبايعون بالإسلام بعد هذه الحُجَّة القاطعةِ، وهذا وجهٌ حسنٌ مطَّردٌ.

ومَن جعل الخطاب للمسلمين فمعناه: فاثْبُتوا على العلم الذي أنتم عليه، وازدادوا يقينًا وثباتَ قدمٍ على أنه منزَّلٌ من عند الله وعلى التوحيد، ومعنى ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾: فهل أنتم مخلصون.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ١٥﴾

﴿نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ﴾: نُوصِلْ إليهم أُجورَ أعمالهم وافيةً كاملةً من غير بَخْسٍ في الدنيا، وهو ما يُرزقون فيها من الصحَّة والرزق.

للنبيّ عليه السلام[١] والمؤمنين، والضمير في ﴿يَسۡتَجِيبُواْ﴾ للمشركين، وعلى هذا الوجه الآخر يكون قوله: ﴿فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ﴾ مِن مقول ﴿قُلۡ﴾ لا على الوجه الأوّل.[٢]

قوله: (لهم) أي: للخلق.

قوله: (وهذا وجه حَسَن) أي: هذا الوجه الآخر. وقوله: (مطّرد)؛ وذلك لأنّ الضمير في ﴿لَكُمۡ﴾ وفي ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ﴾ و﴿أَنتُم﴾ عائد إلى الكفّار مِن غير ارتكاب تأويل، فيحتاج في اشتقاقه[٣] العود إلى شيء واحد ليطّرد إلى تأويل، وهو أن يكون ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ﴾ بمعنى: اثبتوا على العلم، إلى آخر ما ذكره، وإلى / تأويل [٩٤و] ﴿مُّسۡلِمُونَ﴾ بقوله: (مخلِصون). و﴿هَلۡ﴾ في ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ يدلّ دلالة ظاهرة على أنّ المراد الكفّار. وقوله: (ومعنى ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾) أي: على الوجه الآخر، وأمّا على الوجه الأوّل فظاهر كما مرّ. وقوله: (أجور أعمالهم)، يعني أنّ المضاف محذوف.

---

١ ر - عليه السلام.

٢ ر + في.

٣ ن ر: استقامة.

وقيل: هم أهلُ الرِّياء، يقال للقرَّاء منهم: أردتَ أن يقال: فلانٌ قارئٌ، فقد قيل ذلك، ولمن وَصَلَ الرَّحِمَ وتصدَّقَ: فعلتَ حتى يقال فقيل، ولمَن قَاتَل فقُتِل: قاتلتَ حتى يقال: فلانٌ جَرِيءٌ، فقد قيل.

وعن أنس بن مالك: هم اليهود والنَّصارى، إن أعطَوْا سائلًا أو وصلوا رَحِمًا عُجِّل لهم جزاءُ ذلك بتوسعةٍ في الرزق وصحةٍ في البدن.

وقيل: هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله فأسْهِمَ لهم في الغنائم.

وقرئ: "يُوَفِّ" بالياء على أن الفعل للهِ تعالى، و: "تُوَفَّ إليهم أعمالُهم" بالتاء على البناء للمفعول، وفي قراءة الحسن: "نُوفِي" بالتخفيف وإثبات الياء؛ لأن الشرط وقع ماضيًا كقوله:

يقـــولُ لا غائـــبٌ مالـــي ولا حَـــرِمُ

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٦﴾

﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا﴾: وحَبِطَ في الآخرة ما صنعوه، ....

قوله: (يقال[١] للقرّاء) القرّاء: الرجل المتنسِّك إذا تنسّك. وقوله: "يقال"[٢] بيان لتوفية ثواب أعمالهم في الدنيا. وقوله: (منهم) أي: مِن أهل الدنيا. وقوله: (فلان قارئ) أي: زاهد متنسِّك.

قوله: (كقوله:

يقـــول لا غائـــبٌ مالـــي)

أوّله:

هـو[٣] الـجـواد الـذي يُعطيك نائلَه   عـفـوًا ويُظْـلَـم أحيـانًـا فـيَـظّـلِـمُ
وإن أتـــاه خـلـيـلٌ يــوم مَـسغبةٍ   "يقـول لا غائـبٌ مالـي" ولا حَـرِمُ[٤]

---

[١] ن ر: يقول.

[٢] ن ر - للقرّاء القرّاء الرجل المتنسّك إذا تنسّك وقوله: يقال.

[٣] في هامش د جاءت في نسخة مسألة.

[٤] البيتان لزهير بن أبي سلمى. ومضى تخريج ثانيهما في تفسير سورة المائدة، ٩٥/٥.

أو صنيعهُم، يعني: لـم يكن لـه ثوابٌ؛ لأنهم لـم يريدوا به الآخرة إنما أرادوا به الدنيا، وقد وُفِّيَ إليهم ما أرادوا.

﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: كان عملهم في نفسه باطلًا؛ لأنه لم يُعْمل لوجهٍ صحيحٍ، والعملُ الباطل لا ثواب له.

وقرئ: "وبَطَل" على الفعل.

وعن عاصم: "وباطلًا" بالنصب، وفيه وجهان: أن تكون ﴿مَا﴾ إبهاميَّةً وينتصِبَ بـ﴿يَعْمَلُونَ﴾ ومعناه: وباطلًا أيَّ باطلٍ كانوا يعملون، وأن تكون بمعنى المصدر على: وبَطَل بُطلانًا ما كانوا يعملون.

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ معناه: أمَنْ كان يريد الحياةَ الدنيا فمَن كان على بيّنة؛ أي: لا يَعْقُبونهم في المنزلة ولا يقارِبونهم، يريد أنَّ بين الفريقين تفاوُتًا بعيدًا

قوله: (أو صنيعُهم)، يعني أنّ ﴿مَا﴾ موصولة أو مصدريّة.

قوله:[1] (وأن تكون بمعنى المصدر) وعلى هذا الوجه الثاني أن يكون (باطلًا) نصبًا على المصدر بفعل محذوف، و(ما)[2] فاعل ذلك الفعل.

قوله: (معناه: أمَن يريد الحياة الدنيا) أي: أيثبت أو يحصل أو يتحقّق أو يوجد مَن كان فمَن كان، فكأنّه[3] قال مثلًا: أيكون اعتبار هذا واعتبار ذلك متقاربين أو متدانيين،[4] يعني: لا يتقاربان؛ بل بينهما تفاوت وبُعد، وإليه أشار بقوله: (أي: لا[5] يَعقُبونهم)؛ لأنّ الاستفهام للإنكار.

---

١ ن ر – (أو صنيعهم) يعني أنّ ﴿مَا﴾ موصولة أو مصدريّة. قوله.

٢ ن ر – ما.

٣ ن ر: مكانه.

٤ ن: متدنين.

٥ ر – لا.

وتبايُنًا بَيِّنًا، وأراد بهم مَن آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره ﴿كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾؛ أي: على برهانٍ من الله وبيانٍ أنّ دِين الإسلام حقٌّ وهو دليلُ العقل ﴿وَيَتْلُوهُ﴾: ويتّبعُ ذلك البرهانَ ﴿شَاهِدٌ﴾؛ أي: شاهدٌ يَشهدُ بصحَّته وهو القرآن ﴿مِّنْهُ﴾: من الله، أو: شاهدٌ من القرآن، فقد تقدَّم ذكره آنفًا ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ﴾: ومن قبل القرآن ﴿كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ وهو التوراة؛ أي: ويتلو ذلك البرهانَ أيضًا من قبل القرآنِ كتابُ موسى.

اعلم أنّه لا بدّ مِن تقدير فعل بعد الهمزة قبل[١] "مَن" وإلّا لا[٢] يتمّ[٣] الكلام ولا يستقيم المعنى، والتقدير: أيكون أو يحصل أو يوجد مَن كان فمَن كان. وقوله: (أراد بهم) أي: بمَن كان على بيّنة.

قوله: (أنّ دين الإسلام حقّ) أي: على برهان على أنّ دين الله أو بيان له. وقوله: (وهو دليل العقل)، يريد بدليل العقل العقلَ الدالّ على أنّ مَن ظهرت على يده مثل هذه[٤] المعجزات الظاهرة على يدّ النبيّ عليه السلام كان[٥] نبيًّا.

قوله: (﴿وَيَتْلُوهُ﴾: ويتّبع) وعلى هذا يكون ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ حالًا مِن الضمير في ﴿كَانَ﴾ أو في الظرف الذي هو خبر، والتقدير "وهو يتلوه"، والضمير لـ"البينة"؛ لأنّه بمعنى البرهان، ويجوز أن يكون حالًا مِن ﴿بَيِّنَةٍ﴾ وإن كان نكرة لتخلُّل الواو بينهما على طريقة صاحب المفتاح، وعلى طريقة المصنّف يكون صفة، وإنّما ذكرنا هذه[٦] الوجوه؛[٧] لأنّه لا يجوز أن يكون عطفًا على ﴿كَانَ﴾، إذ لا ضمير فيه يعود إلى "مِن".

قوله: (ويتلو ذلك البرهان أيضًا) أي: كما يتلوه القرآن، فالمعنى على هذا: يتلو[٨] ذلك البرهانَ[٩] القرآنُ والتوراة.

---

١ ن: قيل.
٢ ن ر – لا.
٣ ن ر: أنتم.
٤ ر: هذا.
٥ ن ر – كان.
٦ ر: هذا.
٧ ر: الوجه.
٨ ن ر: يتلوا.
٩ ن ر + دليل فعل. | وجاءت هذه الزيادة تعليقًا في هامش د.

وقرئ: "كتابَ موسى" بالنصب، ومعناه: ﴿كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ وهو الدليلُ على أن القرآن حقٌّ ﴿وَيَتْلُوهُ﴾: ويقرأ القرآنَ ﴿شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾: شاهدٌ ممّن كان على بيّنةٍ، كقوله: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ [الأحقاف ١٠/٤٦] ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد ٤٣/١٣] ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ ويتلو من قبلِ القرآن التوراةَ.

﴿إِمَامًا﴾: كتابًا مُؤتمًّا به في الدِّين قدوةً فيه ﴿وَرَحْمَةً﴾ ونعمةً عظيمةً على المُنزَل إليهم.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ يعني: مَن كان على بيّنة ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾: يؤمنون بالقرآن.

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ يعني: أهل مكّة ومَن ضامّهم من المتحزّبين على رسول الله ﴿فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾.

﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ﴾ وقرئ: "مُرْيةٍ" بالضمّ، وهما الشكُّ.

﴿مِّنْهُ﴾: من القرآن، أو من الموعِدِ.

قوله: (وقرئ: "كِتَابَ مُوسَى"[1] بالنصب) حاصل هذا المعنى أنّ مَن كان يريد الحياة الدنيا لا يقرب مَن كان على برهان ودليل على حقيّة[2] القرآن، ثمّ قال: (يقرأ القرآن[3] ﴿شَاهِدٌ﴾) مِن جملة مَن هو على برهان على حقيّة[4] القرآن، ويقرأ أيضًا، أي: كان أيضًا مِن قبل أن يقرأ القرآن يقرأ التوراة الشاهد عليه.

قوله: (شاهدٌ ممّن كان على بيّنة) وقد مرّ أنّ المراد ممّن كان على بيّنة مَن آمن مِن اليهود.

قوله: (﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد ٤٣/١٣])، يريد به عبد الله بن سلام وأضرابه، والمراد بالكتاب / التوراة. استشهد بالآيتين على أنّ المراد بالشاهد عبد الله بن سلام. [٤ظ]

---

[1] قراءة شاذّة، مرويّة عن هارون عن الكلبي. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٩٨٣.

[2] ن ر: حقيقة.

[3] ر - القرآن، ثمّ قال: يقرأ القرآن.

[4] ن - القرآن ثم قال يقرأ القرآن شاهد من جملة من هو على برهان على حقيّة.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٨﴾

﴿يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: يُحبَسون في الموقف وتُعرَض أعمالُهم ويَشهد عليهم ﴿ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ من الملائكة والنبيين بأنهم الكذّابون على الله بأنه اتخَذَ ولدًا وشريكًا، ويقال: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فوا خِزْيَاه ووا فضيحتاه.

والأشهادُ: جمعُ شاهِدٍ أو شهيد؛ كأصحاب أو أشراف.

﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْأٓخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝١٩﴾

﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم﴾: يصفونها بالاعوِجاج وهي مستقيمةٌ، أو: يبغون أهلها أن يعوجُّوا بالارتِدَاد.

و﴿هُمْ﴾ الثانيةُ لتأكيد كفرهم بالآخرة واختصاصِهم به.

قوله: (وهي مستقيمة) حال أو جملة معترضة.

قوله: (و﴿هُمْ﴾ الثانية) الثانية صفة ﴿هُمْ﴾، أي: لفظة ﴿هُمْ﴾ الثانية لتأكيد ﴿هُمْ﴾ الأولى.

قوله: (واختصاصهم به) عطف على (كفرهم) أي: لتأكيد اختصاصهم، فإن قوله: ﴿هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ يفيد الاختصاص، فتأكيده ﴿هُمْ﴾ بتكريره يفيد تأكيد هذا الاختصاص.

واعلم أنّه على ما ذكره المصنِّف يلزم الفصل بين التأكيد والمؤكَّد بأجنبيّ،[١] لأنّ ﴿بِٱلْأٓخِرَةِ﴾ متعلّق بـ﴿كَٰفِرُونَ﴾ وهو خبر عن ﴿هُمْ﴾ الأولى. وأظنّ أنّ الأَولى أن يقال: الأصل هم كافرون بالآخرة هم كافرون بالآخرة، بتكرير الجملة تأكيدًا، فحذف ﴿كَٰفِرُونَ﴾ مِن الجملة الأولى وحذف ﴿بِٱلْأٓخِرَةِ﴾ مِن الجملة الثانية، فهو قريب مِن قوله تعالى: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم ٢٤/١٤]، أو نقول: الأصل هم بالآخرة كافرون هم بالآخرة كافرون،

---

[١] ر: فأجنبي.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ ۝٢٠﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: ما كانوا يُعجِزون الله في الدنيا أن يُعاقبَهم لو أراد عقابَهم، وما كان لهم مَن يتولّاهم فيَنصُرَهم منه ويمنعَهم من عقابه؛ ولكنّه أراد إِنْظارَهم وتأخيرَ عقابهم إلى هذا اليوم، وهو من كلام الأَشهاد.

﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ وقرئ: ﴿يُضعَّف﴾.

﴿مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ﴾ أراد أنّهم لفَرْط تصامّهم عن استماع الحقّ وكراهتهم له كأنّهم لا يستطيعون السمع، ولعلَّ بعضَ المجبِّرة يتوَثّب إذا عثر عليه فيُوَعْوِعُ به على أهل العدل؛ كأنه لم يسمعْ الناسَ يقولون في كلِّ لسان: هذا كلامٌ لا أستطيع أَنْ أَسْمَعَهُ، و: هذا ممّا يَمُجُّه سمعي.

لإفادة اختصاص آخر بتقديم المعمول، ثمّ الحذف مِن كلّ واحدة مِن الجملتين على ما مرّ.

قوله: (ولكنّه أراد إنظارَهم) كأنّه تفسير قوله تعالى: ﴿يُضَٰعَفُ﴾، يعني: إنّما أخّر عنهم العذاب ولم يعذّبهم في الدنيا ليكون عذابهم في الآخرة مضاعَفًا، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا﴾ [آل عمران ١٧٨/٣]، فيكون قوله تعالى: ﴿يُضَٰعَفُ﴾ جوابَ سؤال وهو أن يقال: فلِمَ لم يُعذَّبوا في الدنيا؟ فقيل: ليكون عذابهم مضاعَفًا[١] في الآخرة.

قوله: (ولعلّ بعض المُجبِرة) أي: يحتمل أنّ أهل السنّة والجماعة يحملون قوله تعالى: ﴿مَا كَانُواْ[٢] يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ﴾ على الحقيقة، مِن نفي الاستطاعة، وأمّا هم فيحملون على المجاز تمسُّكًا بهذا[٣] الاستعمال الذي ذكره المصنِّف نقلًا عن الناس في ألسنتهم. وقوله: (يُوعوِع)[٤] وإنّما تلك الوعوعة شأن المصنِّف وديدنه، وقد فعل ههنا.

---

١ ن ر – مضاعفًا.
٢ ر + يحملون قوله تعالى: ما كانوا.
٣ ن ر: بهذه.
٤ ر: فوعوع. | الوعوعة: صوت الذئب، ووعواع الناس: ضجّتهم. الصحاح للجوهري، «وعع».

ويحتمِل أن يريد بقوله: ﴿وَمَا كَانَ لَهُم... مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾: أنّهم جعلوا آلهتَهم أولياءَ من دون الله، وولايتُها ليست بشيءٍ، فما كان لهم في الحقيقة من أولياءَ، ثم بَيّنَ نفيَ كونهم أولياءَ بقوله: ﴿مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ﴾ فكيف يَصلُحون للولاية، وقوله: ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ اعتراضٌ بوعيد.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾: اشتروا عبادةَ الآلهة بعبادةِ الله، فكان خسرانُهم في تجارتهم ما لا خسران أعظمُ منه، وهو أنّهم خسروا أنفسهم.

﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾: وبَطَل عنهم وضاعَ ما اشترَوه، وهو ﴿مَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ من الآلهة وشفاعتِها.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿لَا جَرَمَ﴾ فُسِّر في مكانٍ آخَرَ.

﴿هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ لا ترى أحدًا أَبْيَن خُسرانًا منهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾﴾

قوله: (اعتراض) على هذا التفسير؛ لأنّ هذا الكلام في حقّ الكفّار، وما قبله وما بعده في حقّ الأصنام، وأمّا على الوجه الأوّل فليس باعتراض؛ لأنّ الجميع في حقّ الكفّار.

قوله: (﴿لَا جَرَمَ﴾ فُسِّر في مكان آخر) حاصل معنى ﴿لَا جَرَمَ﴾ أنّه على قولٍ بمعنى "حقًّا"، فالمعنى "حقّ[1] حقًّا أنّهم الأخسرون"، وعلى قولٍ ﴿لَا﴾ لنفي[2] قولهم واعتقادهم و﴿جَرَمَ﴾ بمعنى "كَسَب"، أي: ليس الأمر كما قالوا وظنُّوا، كَسَب فعلُهم أنّهم الأخسرون.

---

[1] ن ر – حقّ.

[2] ن: نفي.

﴿وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: واطمأنّوا إليه، وانقطعوا إلى عبادته بالخشوع والتواضع، من الخَبْتِ وهي الأرض المُطمَئنَّةُ، ومنه قولُهم للشيء الدَّنيء: الخبيثُ، قال:

ينفعُ الطيّبُ القليلُ من الرزقِ ولا ينفعُ الكثيرُ الخبيتُ

وقيل: التاء فيه بدلٌ من الثاء.

﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

شَبَّه فريقَ الكافرين بالأعمى والأَصمّ وفريقَ المؤمنين بالبصير والسميع، وهو من اللفِّ والطِّباق، وفيه معنيان: أن يُشبِّه الفريقَ تشبيهَيْن اثنين ....

قوله: (﴿وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ واطمأنّوا)، يعني: ضمّن[١] ﴿أَخْبَتُوٓاْ﴾ معنى اطمأنوا، فصار المعنى اطمأنوا إلى عبادة مُخبِتين، أي: خاشعين.

قوله: (وقيل: التاء فيه) عطف على قوله: (ومنه)، يعني قال بعضهم: إنّ البيت ليس مِن هذا؛ بل التاء[٢] في المثال وفيه بدل مِن الثاء.

قوله: (مِن اللفّ والطباق) اللفّ: الجمع، والطباق: مقابلة الضدّ بالضدّ.[٣] أمّا اللفّ فلأنّه لفّ بقوله: ﴿ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾ ونَشَر بقوله: ﴿كَٱلْأَعْمَىٰ﴾... إلخ، وأمّا المطابقة فهو الجمع بين الأضداد.

قوله: (أن يُشبّه الفريق تشبيهين) وإنّما قال: "الفريق" بلفظ المفرد، مع أنّ المذكور في القرآن المثنّى؛ لأنّ لكلّ فريق ههنا تشبيهًا على حِدة إمّا مركّبًا
[٥و] أو غيرَ مركّب، فتشبيهُ كلّ على / الإفراد هكذا: الكافر كالأعمى، والمؤمن كالبصير، والكافر كالأصم، والمؤمن كالسميع، ثمّ قيل: "هل يستوي تشبيههما"؛ وأمّا تشبيه كلّ على التركيب هكذا: الكافر كالأعمى الأصم، والمؤمن كالبصير السميع، ثمّ قيل: "هل يستوي تشبيههما". تأمّل فيه، فإنّه لطيف.

---

١ ن ر: طمن.

٢ ن - فيه عطف على قوله: (ومنه)، يعني: قال بعضهم: إنّ البيت ليس مِن هذا؛ بل التاء.

٣ ن ر - بالضد.

كما شبَّه امرؤُ القيس قلوبَ الطير بالحَشَفِ والعُنَّابِ، وأن يُشبِّهَه بالذي جَمَعَ بين العمى والصمم أو الذي جَمَعَ بين البصر والسَّمْع، على أن تكون الواو في ﴿وَٱلْأَصَمِّ﴾ وفي ﴿وَٱلسَّمِيعِ﴾ لعطفِ الصِّفة على الصِّفة؛ كقوله:

الصابحِ فالغانمِ فالآيِبِ

قوله: (كما شبَّه امرؤ القيس):

كأنّ قلوب الطير رَطْبًا ويابسًا لدى وكرها العُنّابُ والحَشَف البالي[1]

شبَّه يابسها بالحشف ورَطْبها بالعُنّاب.

وقوله: (وأن يشبِّهه) أي: الفريق الكافر أو الفريق المؤمن. وقوله: (بالذي جَمَع) أي: الكافر. وقوله: (أو الذي جَمَع) أي: المؤمن. وقوله: (لعطفِ الصفة) وعلى الأوّل ليس كذلك؛ بل التقدير: مَثَل الفريقين كالأعمى والبصير، ومَثَل[2] الفريقين كالأصم والبصير.[3] فعلى الوجه الأوّل تشبيهان: التشبيه الأوّل تشبيه الكافر[4] بالأعمى والمؤمن بالبصير، والتشبيه الثاني تشبيه الكافر بالأصمّ والمؤمن بالسميع؛ وأمّا على الوجه الثاني فالكلّ تشبيه واحد، وذلك أنّه تشبيه الهيئة الحاصلة للكافر مِن[5] عدم انتفاعه[6] بالسمع والبصر بالهيئة الحاصلة للأعمى[7] الأصم، وشبَّه الهيئة الحاصلة للمؤمن مِن انتفاعه بهما بالهيئة الحاصلة للبصير[8] السميع.[9]

قوله: (الصابح).

يا لَهْفَ زيّابةَ للحارث (الصابحِ فالغانمِ فالآيبِ)[10]

---

[1] البيت لامرئ القيس في ديوانه، ص ٣٨. ومضى شرحه وتمام تخريجه في شرح الجاربردي مقدِّمة الكشّاف.

[2] ر: مثل.

[3] ر: والسميع.

[4] ن: الكافر.

[5] ن ر: ومن.

[6] ن ر: إسماعه.

[7] ن ر: كالأعمى.

[8] ر: للسميع.

[9] ر: البصير.

[10] ن: بالآيب. | البيت لابن زيّابة، واختُلف في اسمه، فهو: عمرو بن لأي، أو سَلَمة بن ذُهل، أو عمرو بن الحارث بن همّام. وزيّابة أُمّه. ومضى البيت بشرحه والتعليق عليه وتخريجه في تفسير البقرة، ٢/٣.

﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ﴾ يعني: الفريقين ﴿مَثَلًا﴾: تشبيهًا.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾﴾

أي: أرسلنا نوحًا بأنِّي لكم نذيرٌ، ومعناه: أرسلناه مُلْتبَسًا بهذا الكلام، وهو قوله: ﴿إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ بالكسر، فلمَّا اتَّصل به الجارُّ فُتح كما فُتح في "كأنَّ" والمعنى على الكسر، وهو قولك: إن زيدًا كالأسد، وقرئ بالكسر على إرادة القول.

﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾

﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟﴾ بدلٌ من ﴿إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾؛ أي: أرسلناه بأنْ لا تَعْبُدوا ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾.

أو تكون ﴿أَن﴾ مفسِّرةً متعلِّقةً بـ﴿أَرْسَلْنَا﴾ أو بـ﴿نَذِيرٌ﴾.

وصفُ اليوم بـ﴿أَلِيمٍ﴾ من الإسناد المجازيِّ؛ لوقوع الألم فيه.

فإن قلتَ: فإذا وُصف به العذاب؟

قلتُ: مجازيٌّ مثلُه؛ لأن الأليم في الحقيقة هو المعذَّبُ، ....

قوله: (﴿مَثَلًا﴾ تشبيهًا) فسَّر المثل بمعنى التشبيه، مع أنَّ معنى المَثَل الشَّبَه،[1] فيكون المضاف محذوفًا، أي: ذا مَثَل بمعنى ذا شَبَه.

قوله: (كما فُتح[2] في "كأنَّ") إنَّما شبَّهه بـ"كأنَّ" إشارة إلى أنَّها وإن كانت مفتوحة فهي في معنى المكسورة. وقوله: (والمعنى) أي: معنى "كأنَّ".

قوله: (وقرئ بالكسر) كلا القراءتين من السبعة.[3]

قوله: (بدل) هذا على القراءة بفتح ﴿إِنِّى﴾ وأمَّا على كسر ﴿إِنِّى﴾ فإمَّا أن يكون ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟﴾ متعلِّقًا بـ﴿أَرْسَلْنَا﴾ وإمَّا أن تكون مفسِّرة.

قوله: (فإن قلتَ: فإذا وُصف) جوابه محذوف، أي: فكيف يكون الإسناد حينئذٍ؟

---

[1] ن: الشبيه.

[2] ن: قبح.

[3] قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بالفتح، وقرأ باقي السبعة بالكسر. السبعة لابن مجاهد، ص ٣٣٢.

ونظيرُهما قولك: نهارُك صائم، و: جَدَّ جِدُّه.

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿ٱلْمَلَأُ﴾ الأشرافُ، من قولهم: "فلانٌ مَلِيءٌ بكذا": إذا كان مُطِيقًا له، و: "قد مَلُؤوا بالأمر"؛ لأنّهم مَلُؤوا بكفايات الأمور واضطلعوا بها وبتدبيرها؛ أو لأنّهم يتمالَؤُون؛ أي: يتظاهرون ويتساندُون؛ أو لأنهم يَمْلَؤُون القلوب هيبةً والمجالسَ أُبَّهَةً؛ أو لأنهم مِلاءٌ بالأحلام والآرَاءِ الصائبَةِ.

﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ تعريضٌ بأنهم أحقُّ منه بالنبوَّة، وأن الله لو أراد أن يجعلها في أحد من البشر لجعلها فيهم، فقالوا: هَبْ أنك واحدٌ من الملأ

قوله: (ونظيرُهما) فيه لفّ ونشر، فإذا جعلتَه صفة ﴿يَوْمٍ﴾ فهو[1] مثل "نهارُه[2] صائم"، وإذا جعلته صفة للعذاب فهو مثل "جَدَّ جِدُّه"؛ لأنّ المُؤلَم هو المعذَّب لا العذاب،[3] كما أنّ الجادّ هو الشخص لا الجِدُّ.

قوله: (لأنّهم ملئوا) بكفايات الأمور متعلِّق مِن حيث المعنى بقوله: (مِن قولهم) فكأنّه أُخذ واشتقّ مِن قولهم: لأنّهم.

قوله:[4] (أو لأنّهم يتمالؤن) عطف على قوله: (مِن قولهم). وفي الكلام حذف تقديره: أو من قولهم: تمالئوا، أي: تعاونوا وتظاهروا؛ لأنّهم يتمالئون. وكذا "أو لأنّهم"[5] ثانيًا. وقوله: "الأُبّهة" العظمة.

قوله: (هبْ أنّك واحد) "أنّك واحد" قائم مقام مفعولي "هبْ"، تقول: "هبْ[6] زيدًا منطلقًا" بمعنى "احسب"، يتعدّى إلى مفعولين ولا يُستعمل منه ماضٍ ولا مستقبل في هذا المعنى.

---

[1] ر: فهل.
[2] ر: نهارك.
[3] ن ر: لعذاب.
[4] ن ر – (مِن قولهم) أخذ واشتقّ مِن قولهم: لأنّهم قوله.
[5] ن ر + يتمالئون. وكذا لو أنّهم.
[6] ن ر – واحد أنّك واحد، قائم مقام مفعولي هبْ. تقول: هبْ.

ومُوَازٍ لهم في المنزلة، فما جعلَك أحقَّ منهم؟ ألا ترى إلى قولهم: ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾.

أو أرادوا: أنه كان ينبغي أن يكون ملَكًا لا بشرًا.

والأراذل: جمع الأرذل؛ كقوله: ﴿أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا﴾ [الأنعام٦/١٢٣]، أحاسنكم أخلاقًا.

وقرئ ﴿بَادِيَ ٱلرَّأْيِ﴾ بالهمز وغيرِ الهمز، بمعنى: اتَّبعوك أوَّلَ الرأي، أو: ظاهرَ الرأي، وانتصابُه على الظرف؛ أصله: وقتَ حدوثِ أوَّل رأيهم، ....

قوله: (كقوله تعالى: ﴿أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا﴾ [الأنعام ٦/١٢٣])، يريد أنّه جمع اسم التفضيل مضافًا، كما في الآية والحديث. وقوله: (أحاسنكم[١] أخلاقًا) إشارة إلى قوله عليه السلام:[٢] «ألا أخبركم بأحبّكم إليّ وأقربكم منّي مجلسًا يوم القيامة: أحاسنكم أخلاقًا، المُوطَّؤن / أكنافًا، الذين يألَفون ويؤلَفون».[٣] [٥ظ]

قوله: (قرئ: ﴿بَادِيَ ٱلرَّأْيِ﴾)[٤] قال أبو عليّ:

يقال: "أنت باديَ الرأي تُريد ظُلمَنا" بغير هَمز،[٥] وبادئَ الرأي مهموزًا. فمَن لم يهمز أراد[٦] "فيما بدا مِن الرأي[٧] وظهر"، ومَن همز أراد "أنت أوّل الرأي ومبتدأه"، والمعنى في الآية فيما قال: ﴿بَادِيَ ٱلرَّأْيِ﴾، فجعله مِن بدا[٨] الشيء إذا ظهر: أي: ما اتّبعك إلّا الأراذل فيما ظهر لهم مِن الرأي، أي: لم يتعقّبوه بنظر فيه ولا تبيُّن له. ومَن همز أراد اتّبعوك في أوّل الأمر مِن غير أن يتّبعوا الرأي بفكر[٩] ورويّة فيه،[١٠] وهاتان الكلمتان تتقاربان في المعنى؛ لأنّ الهمزة في اللام ابتداء[١١] الشيء وأوّله، واللام إذا كانت واوًا كان المعنى الظهور، وابتداء الشيء يكون ظهورًا،

---

١ ن ر: أحسانكم.

٢ ن ر: صلّى الله عليه وسلّم.

٣ ن: ويلفون. | والحديث بلفظ قريب في المعجم الصغير للطبراني، ١/٣٦٢ (٦٠٥)؛ وشعب الإيمان للبيهقي، ١٠/٣٥٦ (٧٦١٦).

٤ ن ر: الزاء.

٥ د ر: همّ. | والتصحيح عن المحكم لابن سِيده، ١٠/٩٣ «بدأ». وفي مطبوع الحجّة: «لا يُهمز» مكان «بغير همز».

٦ ر: إيراد.

٧ ن – تريد ظلمنا بغير همز، وبادئ الرأي مهموزًا، فمَن لم يهمز أراد فيما بدا من الرأي.

٨ ن ر: بده.

٩ ن: تفكر؛ ر: بكفر.

١٠ ن – فيه.

١١ ن ر + به.

أو: وقتَ حدوثِ ظاهر رأيهم، فحُذف ذلك وأُقيم المضافُ إليه مُقامَه.

أرادوا: أنَّ اتباعَهم لك إنما هو شيءٌ عنَّ لهم بديهةً من غيرِ رَوِيَّةٍ ونظرٍ، وإنما استرذَلوا المؤمنين لفَقْرِهم وتأخُّرهم في الأسباب الدنيويَّة؛ لأنَّهم كانوا جُهَّالًا ما كانوا يعلمون إلَّا ظاهرًا من الحياة الدنيا، فكان الأشرفُ عندهم مَن له جاهٌ ومالٌ؛ كما ترى أكثرَ المتَّسِمين بالإسلام يعتقدون ذلك، ويبنُون عليه إكرامَهم وإهانَتَهم، ولقد زَلَّ عنهم أن التقدُّم في الدنيا لا يُقرِّبُ أحدًا من الله وإنما يُبَعِّده، ولا يرفعه بل يضَعُه، فَضْلًا أن يجعله سببًا في الاختيار للنبوَّة والتأهِيلِ لها، على أنّ الأنبياء عليهم السلام بُعِثُوا مُرَغِّبين في طلب الآخرة

وإن كان الظهور قد يكون ابتداء وغيرَ ابتداء، فلذلك استعمل كلّ واحد مِن الكلمتين في موضع الآخر، كقولهم: "أمّا[1] باديَ[2] بَدِ فإنّي أحمد الله"، و"أمّا باديءَ بدء". ويجوز في قول مَن يهمز فيقول:[3] "باديءَ الرأي" إذا خفَّف الهمز أن يقول: "باديَ"[4] بالياء.[5]

قوله: (وقتَ حدوث) يريد أنّ المضاف والمضاف إليه محذوف.[6] وقوله: (عنّ)،[7] أي: ظهر. وقوله: (لفقرهم)... إلخ، علَّل المصنِّف استرذالهم المؤمنين بقوله: "لفقرهم"، ثمّ علَّل استرذالهم لفقرهم[8] بقوله: (لأنّهم). وقوله: (ما كانوا يعلمون) بيان لقوله: (كانوا جهالًا)، كأنّه اقتبسه مِن قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الروم ٣٠/٦-٧]. وقوله: (وكان الأشرف) مُعلّل ومسبَّب عن قوله: "ما كانوا"... إلخ، فإنّه لزم مِن ذلك، فتأمّل.

قوله: (ولقد زلّ عنهم) أي: عن قوم نوح عليه السلام.[9]

قوله: (على أنّ[10] الأنبياء) أي: هذا الذي ذكرنا مع أنّ الأنبياء بُعثوا. وقوله:

---

[1] ر: أنا.

[2] ن ر: نادى.

[3] ن ر - أحمد الله، وأمّا باده بدء. ويجوز في قول مَن يهمز فيقول.

[4] ن ر: نادي.

[5] انظر: الحجّة للفارسي، ٣١٧/٤-٣١٨.

[6] ن ر - قوله: (وقت حدوث) يريد أنّ المضاف والمضاف إليه محذوف.

[7] ن: عزّ.

[8] ن - لفقرهم.

[9] ن ر - عليه السلام.

[10] ر - أن.

ورَفْضِ الدنيا، مُزَهِّدِين فيها مصغِّرِين لشأنها وشأنِ مَن أَخلد إليها، فما أَبعَدَ حالَهم من الاتِّصاف بما يُبَعِّدُ من الله والتشرُّفِ بما هو ضَعَةٌ عند الله!

﴿مِن فَضۡلِۭ﴾: من زيادةِ شرفٍ علينا تُؤهِّلكم للنبوَّة ﴿بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ﴾ فيما تدَّعونه.

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ٢٨﴾

﴿أَرَءَيۡتُمۡ﴾: أَخبِروني ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ﴾: على برهانٍ ﴿مِّن رَّبِّي﴾ وشاهدٍ منه يشهدُ بصحَّة دعواي ﴿وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ﴾ بإيتاء البيِّنة، على أنَّ البيِّنةَ في نفسها هي الرَّحمةُ.

ويجوز أن يريد بالبيِّنة: المعجزةَ، وبالرحمة: النُّبوَّةَ.

فإن قلتَ: فقوله: ﴿فعَمِيَتْ﴾ ظاهرٌ على الوجه الأول، فما وجهُه على الوجه الثاني وكان حقُّه أن يقال: فعَمِيَتَا؟

قلتُ: الوجه أن يقدَّر: فعَمِيَتْ بعد البيِّنة، وأن يكون حذفُه للاقتصار على ذكرِه مرَّةً.

(مَن أخلد) أي: مال. وقوله: (فما أبعد حالهم) تعجُّب.

قوله: (على أنَّ البيِّنة) أي: هذا التفسير مبنيّ على أنَّ المراد بالرحمة هي البيِّنة لا شيء آخر.

قوله: (ويجوز أن يريد) وعلى هذا تكون الرحمة غير البيِّنة.

قوله: (فإن قلتَ: فقوله: ﴿فَعُمِّيَتۡ﴾ ظاهر)؛ لأنَّ البيِّنة والرحمة واحدة، فالوجه الإفراد. وقوله: (فعميتا) أي: البيِّنة والرحمة.

قوله: (قلتُ: الوجه أن يقدّر) وتحقيق وجه هذا الجواب أنّه لم يُثنّ[1] بأن قيل: "عميتا"؛ بل[2] كرّر ليكون أبلغَ وآكد في ذِكر عماء البيِّنة والرحمة عليهم،

---

[1] ر: بيّن.

[2] ر: بك.

ومعنى "عَمِيَتْ": خَفِيَتْ، وقرئ: ﴿فَعُمِّيَتْ﴾ بمعنى: أُخْفِيَتْ.

وفي قراءةِ أبيّ: "فعَمَّاها عليكم".

فإن قلتَ: فما حقيقتُه؟

قلتُ: حقيقتُه أن الحجةَ كما جُعلت بصيرةً ومُبصِرةً جُعلت عَمْياء؛ لأن الأعمى لا يَهتدي ....

ثمّ حُذف[١] أحدهما للاختصار.[٢] وأقول: الصواب في الجواب أن يقال: إنّما قيل: ﴿فَعُمِّيَتْ﴾ بالنظر إلى البيّنة التي هي المعجزة؛ لأنّ المعجزة لمّا خفيت عليهم فلم يتحقّقوها[٣] كما[٤] ينبغي ولم يستدلوا بها على النبوّة بقوا على كفرهم ولم يؤمنوا، ولو كانوا تبيّنوا المعجزة ولم تخفَ عليهم دلالتها على النبوّة لَما خفيت عليهم النبوّة.[٥] فهذا وجه قوله: "عَميت" دون عميتا، فتأمّل.

قوله: (وفي قراءة أبيّ: "فَعَمَّاهَا")[٦] الضمير المستتر في "عمّى" عائد إلى الله تعالى، أي: أنّ الله تعالى جعل البيّنة عمياء عليكم.

قوله: (فإن قلتَ: ما حقيقته؟)،[٧] أي: ما حقيقة قوله: ﴿عُمِّيَتْ﴾؟ أي: عميت البيّنة.

قوله: (قلتُ: حقيقتُه)،[٨] أي: معناه الحقيقيّ، يعني أنّ المعنى[٩] الحقيقيّ للعمى هو عدم البصر، فشبّه كون البيّنة بحيث لا تُوصِل إلى المطلوب ولا / تهدي إليه بالعمى، ثمّ أُطلق العمى وأريدَ عدم الإيصال إلى المطلوب، ثمّ [٦٦و] قيل: ﴿عُمِّيَتْ﴾، أي: لم تُوصِل ولم تهدِ،[١٠] فهو استعارة تبعيّة وقرينته الإسناد إلى البيّنة، ثمّ قيل: ﴿عَلَيْكُمْ﴾؛ لأنّ عماها إنّما[١١] كان عليهم، وإلّا فهي ظاهرة

---

[١] ر – ثمّ حذف.

[٢] ر: الاختصار.

[٣] ن ر: يتحقّقوا بها.

[٤] ن ر: ولم؛ ن + كان.

[٥] ن ر – بقوا على كفرهم ولم يؤمنوا، ولو كانوا تبيّنوا المعجزة ولم تخفَ عليهم دلالتها على النبوّة لَما خفيت عليهم النبوة.

[٦] قراءة شاذّة، مرويّة عن أُبيّ بن كعب. المغني في القراءات للنُّوزاوازي، ص ٩٨٦.

[٧] ر: حقيقة.

[٨] ن: حقيقه.

[٩] ن ر: معنى.

[١٠] ر: يهتد.

[١١] ن – إنّما.

ولا يَهدِي غيرَه، فمعنى: "فعميَتْ عليكم البيِّنةُ": فلم تَهدِكم، كما لو عَمِيَ على القوم دليلُهم في المفازة بَقُوا بغيرِ هادٍ.

فإن قلتَ: فما معنى قراءةِ أبيّ؟

قلتُ: المعنى: أنّهم صَمَّمُوا على الإعراض عنها فخلّاهم الله وتَصمِيمَهم، فجُعلت تلك التَّخليَةُ تَعْمِيةً منه، والدليل عليه قوله: ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾ يعني: أنكْرِهُكم على قبولها ونَقْسِرُكم على الاهتداء بها وأنتم تكرهونها ولا تختارونها ولا إكراه في الدين.

وقد جيء بضميرَيْ المفعولين متَّصلين جميعًا، ....

واضحة موصولة[١] إلى الحقّ لو تأمّلوا فيها، ولكن لمّا لم يعتنوا بشأنها ولم يتأمّلوا صارت بالنسبة إليهم كالأعمى، وهم الأعمى بالحقيقة حيث لم يهتدوا بالدليل الواضح والبرهان النيّر.

قوله: (فمعنى "عَميَت") مسبَّب عن قوله: (لا يهدي)، وهذا إشارة إلى أنّ البيّنة بعد ما جُعلت كالأعمى على الوجه المذكور عبَّر بعماها عن عدم الهداية؛ لأنّ الأعمى لا يهدي غيره، فكأنّه قيل: لا تهديكم البيّنة، فهو مِن قبيل المجاز في المرتبة الثانية، فتأمّل.

قوله: (قلتُ: المعنى أنّهم) هذا المعنى الذي ذَكَره بناء على مذهبه، وأمّا على مذهب أهل السنّة والجماعة فالله[٢] تعالى جعل البيّنة عمياء[٣] عليهم، يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد، وأمّا[٤] قوله تعالى بعد ذلك: ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ فلا ينافي ما ذكرنا، إذ المعنى لو جعل الله تعالى البيّنة عمياء[٥] عليكم فأنتم لذلك لا تطلبون الحقّ ولا تميلون إلى الدِّين فكيف نُلزمكم مع كراهتكم.

قوله: (وقد جيء) إشارة إلى أنّ هذا ممّا اجتمع فيه ضميران، وليس أحدهما

---

١ ر: موصلة.
٢ ن: فإنّه.
٣ ر: عما.
٤ ن: وما.
٥ ر: عما.

ويجوز أن يكون الثاني منفصلًا؛ كقولك: "أنلزمُكم إيَّاها"، ونحوُه ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة ١٣٧/٢] ويجوز: فسيكفيكَ إيَّاهم.

وحُكي عن أبي عمرو إسكانُ الميم، ووجهُهُ: أن الحركة لم تكن إلّا خُلْسَةً خفيفةً فظنَّها الراوي سكونًا، والإسكانُ الصريح لحنٌ عند الخليلِ وسيبويه وحُذَّاقِ البصريين؛ لأن الحركة الإعرابيّةَ لا يسوغُ طرحُها إلّا في ضرورة الشعر.

﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾

والضميرُ في قوله: ﴿لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ راجعٌ إلى قوله لهم: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۞ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾.

وقرئ: "وما أنا بطاردٍ الذين آمنوا" بالتنوين على الأصل.

مرفوعًا وأحدهما أعرف، والأعرف مقدَّم فيجوز في الثاني الاتّصال والانفصال مثل "أعطيتكه". وقوله: (ويجوز أن يكون)، يعني مِن حيث العربيّة؛ لكن لم يُقرأ به؛ لأنّ القراءة متَّبَعَةٌ.

قوله: (خُلسةً) اسم مِن خلستُه:[١] سلبتُه. يقال: الفرصة خُلسة.[٢]

قوله: (إلّا في ضرورة الشعر) يشير إلى قوله:

فاليوم أشربْ غيرَ مستحقبٍ إثمًا مِن الله ولا واغلِ[٣]

وإنّما قيّد الحركة بـ(الإعرابيّة)؛[٤] لأنّ البنائيّة[٥] يجوز طرحها نحو "كَتْف[٦] وعَضْد" بإسكان العين فيهما.

---

[١] ر: جلسة.

[٢] انظر: الصحاح للجوهري، «خلس».

[٣] البيت لامرئ القيس في ديوانه، ص ١٢٢، ٢٥٨، وروايته في الموضع الأوّل «أسقى» مكان «أشرب»، وفي الثاني «فاشربْ» مكان «أشربْ»؛ وهو له بالرّواية ههنا في كتاب سيبويه، ١٨٤/٤؛ وهو بالرواية الثانية من الديوان في النوادر لأبي زيد، ص ١٨٧؛ وإصلاح المنطق لابن السكّيت، ص ٢٢٩؛ والصحاح للجوهري، «وغل».

[٤] ن ر: بإعرابية.

[٥] ن ر: البنائة.

[٦] ن ر: كيف.

فإن قلتَ: ما معنى قوله: ﴿إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾؟

قلتُ: معناه: أنهم يُلاقون الله فيُعاقِبُ مَن طردَهم، أو يلاقونَه فيُجازيهم على ما في قلوبهم من إيمانٍ صحيحٍ ثابتٍ كما ظهر لي منهم وما أعرف غيرَه منهم، أو على خلافِ ذلك مما تَقْرِفُونَهم به من بناء إيمانهم على باديءِ الرأيِ من غير نظرٍ وتفكُّرٍ، وما عليَّ أن أشقَّ عن قلوبهم وأتعرَّفَ سرَّ ذلك منهم حتى أطرُدَهم إن كان الأمر كما تزعمون، ونحوُه: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ الآيةَ [الأنعام ٦/٥٢]، أو أنَّهم مصدِّقون بلقاء ربِّهم موقنون به عالمون أنَّهم ملاقوه لا محالة.

﴿تَجْهَلُونَ﴾: تتسافهون على المؤمنين وتدعونهم أراذل، من قوله:

أَلَا لَا يَجْهلَنْ أحدٌ علينا

أو: تجهلون لقاء ربِّكم، أو: تجهلون أنهم خيرٌ منكم.

﴿وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣٠﴾

﴿مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ﴾: مَن يمنعُني من انتقامه ﴿إِن طَرَدتُّهُمْ﴾ وكانوا يسألونه أن يطردهم ليؤمنوا به؛ أَنَفةً من أن يكونوا معهم على سَواءٍ.

قوله: (وما أعرِف غيرَه) هذه جملة معترضة، أو عطف على الصلة. وقوله: (ذلك) أي:[1] الإيمان الصحيح الثابت. وقوله: (تقرِفونهم) أي: تتّهمونهم به.

قوله: (﴿تَجْهَلُونَ﴾ تتسافهون) أي: هو ضدّ الحِلم.

قوله:

(ألا لا يَجهلَنْ أحد علينا)

تمامه:

فنجهلَ[2] فوق جهلِ الجاهلينا[3]

وقوله: (أو تجهلون لقاءَ ربكم) أي: ضدّ العلم.

---

[1] ن ر: أن.

[2] ن: فيجهل.

[3] البيت لعمرو بن كلثوم من معلّقته في شرح القصائد السبع لابن الأنباري، ص ٤٢٦.

﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾

﴿أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ معطوفٌ على ﴿عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ أي: لا أقول عندي خزائن الله ولا أقول: أنا أعلم الغيبَ، ومعناه: لا أقول لكم: ﴿عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ فأدَّعِيَ فضلًا عليكم في الغِنَى حتى تجحدوا فَضْلي بقولكم: ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ ولا أدَّعِي علمَ الغيب حتّى تَنْسُبوني إلى الكذب والافتراء، أو حتى أطَّلِعَ على ما في نفوسِ أتباعي وضمائرِ قلوبهم.

﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ﴾ حتى تقولوا لي: ما أنتَ إلّا بشرٌ مثلُنا، ولا أَحْكم على مَن استرذَلْتُم من المؤمنين لفقرهم أن الله لن يُؤتِيَهم خيرًا في الدنيا والآخرة لِهَوانِهم عليه كما تقولون؛ مُساعدةً لكم ونزولًا على هَواكم.

﴿إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ إن قلتُ شيئًا من ذلك، والازْدراء: افتعال من زَرَى عليه: إذا عابَه، وأَزْرَى به: قصَّر به؛ يقال: ازدرَتْه عينُه واقتحمَتْه عينُه.

﴿قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ﴾ معناه: أردتَ جدالنا وشرعتَ فيه فأكثرتَه؛ كقولك: جادَ فلان فأكثَرَ وأطابَ ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ من العذاب المعَجَّل.

قوله: (حتّى تنسُبوني) أي: بادّعائي[1] علم الغيب، فإنّي لو ادّعيت علم الغيب كنتُ كاذبًا مفتريًا؛ لأنّي لا أعلمه.

قوله: (كما تقولون) و(مساعدةً)[2] متعلِّق بقوله: (أحْكُم)، الأوّل مفعول مطلق، والثاني مفعول به.

قوله: (معناه: أردتَ) ألا يُرى أنّك تقول: "أعطاني فلان فأكثرَ"، ولا يراد أنّه[3]

---

[1] ر: بادعايتي.
[2] ن ر: مساعدة.
[3] ر: به.

﴿إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾؛ أي: ليس الإتيان بالعذاب إليَّ، إنما هو إلى مَن كفرتُم به وعصَيْتُموه.

﴿إِن شَآءَ﴾ يعني: إن اقتضَتْ حكمتُه أن يُعجِّلَه لكم.

وقرأ ابن عباس رضي الله عنه: "فأكثرتَ جَدَلَنا".

﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝٣٤﴾

فإن قلتَ: ما وجهُ ترادُفِ هذين الشرطين؟

قلتُ: قوله: ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡ﴾ جزاؤُه ما دلَّ عليه قولُه: ﴿لَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ﴾ وهذا الدالُّ في حُكم ما دلَّ عليه فوُصل بشرطٍ كما وُصل الجزاء بالشرط في قولك: "إن أَحْسَنْتَ إليَّ أَحْسَنْتُ إليكَ إنْ أَمْكَنْتِني".

فإن قلتَ: فما معنى قوله: ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡ﴾؟

أعطى عطيّتين؛ بل الواجب أن يكون الوصف مقارنًا للموصوف، أراد وصف الكثرة بالعطاء مقارنًا للعطاء لا التعدُّد في العطاء.

قوله: (أي: ليس الإتيان بالعذاب إليّ) أي: مفوَّضًا إليّ، أو موكولًا[1] إليّ؟ فقوله: "إليّ" متعلِّق / بالمحذوف. [٦ظ]

قوله: (قلتُ: قوله: ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡ﴾ جزاؤه)... إلخ، لا ينفعكم نصحي في حكم الجزاء أو سَمِّه[2] جزاء توسُّعًا، باعتبار أنّه دليل على الجزاء[3] المحذوف. وقوله: (فوُصل) أي: فوُصل ما هو في حكم الجزاء بالشرط. وقوله: ﴿إِنۡ أَرَدتُّ﴾ ظرف تقديره: إن أراد الله أن يُغويَكم فلا ينفعكم نصحي إن أردتُ أن أنصح لكم. وقوله: (إن أمكنني) تقييدٌ للجزاء وهو قوله: (أحسنتُ) فالجزاء[4] مقيَّد. هذه الحاشية فاسدة.

---

[1] ن ر: مؤكدًا.
[2] ن: سمة.
[3] ر: الجزء.
[4] ن: بالجزاء.

قلتُ: إذا عرَفَ اللهُ مِن الكافر الإصرارَ ....

وتحقيق الكلام في هذا الموضع أن قوله: ﴿إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ﴾ جزاؤه محذوف لدلالة قوله: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ﴾ عليه، وتقديره: إن أردت أن أنصح لكم فلا ينفعكم نصحي، وجواب قوله: ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡ﴾ محذوف، يدلّ عليه الجملة المتقدِّمة تقديرًا، والتقدير: إن كان الله يريد أن يُغويكم[١] إن أردت أن أنصح لكم فلا ينفعكم نصحي. فقوله: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ﴾،[٢] جواب ﴿إِنۡ أَرَدتُّ﴾، وهذا المجموع جواب ﴿إِن كَانَ﴾. وهذا معنى كلام المصنِّف، فإنّه ذكر أنّ جزاء قوله: ﴿إِن كَانَ﴾ ما دلَّ عليه ﴿لَا يَنفَعُكُمۡ﴾ مقيَّدًا بالشرط، وتقييد هذا بالشرط هو قولك: "إن أردتُ أن أنصح لكم لا ينفعكم"، فصار التقدير بعد جَعْل الدالّ في حُكم ما دلّ عليه هكذا "إن أردتُ أن أنصح لكم لا ينفعكم نصحي إن كان[٣] الله يريد أن يُغويَكم"، فلذلك شبَّهه بقوله: (إن أحسنتَ)... إلخ، فتأمّل في المثال يتّضح لك ما ذكرتُ.

وبيانه أن نقول: "أحسنتُ إليك" جزاء للشرط الأوّل؛ لأنّه متأخِّر عنه مرتَّب عليه بطريق الاستلزام، لكنّ هذا الجزاء قُيِّد بشرط بعده، وهو "إن أمكنتني"، فيُجعل الجزاء مع قيده جزاء للشرط الأوّل، فالتقدير "إن أحسنتَ إليّ إن أمكنتني أحسنتُ[٤] إليك". هذا هو تحقيق تقدير المثال، في هذا المثال الشرط المتقدِّم مع جوابه دالّ على جواب الشرط الثاني، أي: إن أمكنتني الإحسان[٥] إليك فإن أحسنتَ إليّ أحسنتُ إليك. هذا كلام حسن. وقوله:[٦] (كما وُصل الجزاء بالشرط)... إلخ، ينبغي أن يتأمّل في قوله أوّلًا: "وُصل الدالّ بشرط"، وقوله ثانيًا: "وُصل الجزاء بالشرط".

قوله: (قلتُ: إذا عَرَف الله مِن الكافر الإصرار) اعلم أنّ في نسبة المعرفة إلى الله تعالى بإسناد المعرفة إليه تعالى بأن يقال: "عرف الله"، أو بتعليقه به تعالى

---

[١] ن ر – محذوف يدلُّ عليه الجملة المتقدِّمة تقديرًا، والتقدير: إن كان الله يريد أن يغويكم.
[٢] ر – فقوله: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ﴾.
[٣] ن ر – كان.
[٤] ر: أسنت.
[٥] ن ر: للإحسان.
[٦] ن: قوله.

فخلّاه وشأنَه ولم يُلجِئه سمّي ذلك إغواءً وإضلالًا، كما أنه إذا عرَف منه أنه يتوبَ ويَرْعوِي فلَطَف به سُمّي إرشادًا وهِدايةً.

وقيل: ﴿أَن يُغْوِيَكُمْ﴾: أن يُهلككم، من غَوِيَ الفصيلُ غوًى: إذا بَشِمَ فهَلَك، ومعناه: أنكم إذا كنتُم من التصميم على الكفر بالمنزلة التي لا تنفعُكم نصائحُ الله ومواعظُه وسائرُ ألطافه كيف ينفعكم نُصحي؟!

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿فَعَلَيَّ إِجْرَامِى﴾ و"أجرامي" بلفظ المصدر والجمع، كقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ [محمد ٢٦/٤٧] و: ﴿أَسْرارهم﴾، ونحوُ "جُرمٍ وأَجْرام": قُفْلٌ وأَقْفال،

بأن يقال: "عرفتُ الله" كلامًا،[١] وبيانه أن نقول: المعرفة والعلم ينسبان إلى الجزئيّ والكليّ، أي: يقال: لإدراك الجزئيّ معرفة، ولإدراك الكليّ علم، وقد ينسبان إلى الإدراك المسبوق بالعدم، أو إلى الإدراك الأخير من إدراكين[٢] لشيء واحد يتخلّل بينهما عدم وإلى المجرّد من هذا الاعتبار، أعني: يُسمّى الإدراك المقيَّد بأحد هذين القيدين معرفة والإدراك[٣] المجرَّد عن هذين الاعتبارين علمًا، ولذلك لا يُوصف الله تعالى بالعارف ويُوصف بالعالم، لامتناع هذا القيد في إدراكه تعالى، وأمّا على التفسير الأوّل للمعرفة فلا يمتنع استناد المعرفة إليه تعالى؛ لأنّه[٤] تعالى كما يُدرِك الكليّ يُدرِك الجزئيّ. وقد تنسب المعرفة إلى البسيط والعِلم إلى المركّب، ولذلك يقال: عرفتُ[٥] / الله، ولا يقال: علمتُ الله.[٦] [٧و]
وقوله: (فخلّا) الفاء للعطف. وقوله: (مِن غَوِي الفصيل) غويَ الفصيل يغوى غوًى إذا فَسَد جوفه مِن شرب اللبن. وقوله: (ومعناه: أنكم إذا كنتُم) هذا على تفسير ﴿يُغْوِيَكُمْ﴾ بقوله: (يهلكهم).[٧]

---

١ السياق: اعلم أنّ في نسبة... كلامًا...
٢ ن ر: إدراكهم.
٣ ن ر: الإدراك.
٤ ر: لأني.
٥ ن: عرف.
٦ من قوله: "المعرفة والعلم ينسبان" إلى هنا بلفظ قريب في شرح الإشارات والتنبيهات للطوسي، ١٣٥/١.
٧ ن ر: يهلكم.

وينصر الجمعَ أنْ فسَّره الأوَّلون بآثامي، والمعنى: إن صحَّ وثبت أني افتريتُه فعليَّ عقوبَةُ إجرامي؛ أي: افترائي، وكان حقِّي حينئذٍ أن تُعرِضوا عنِّي وتتألَّبُوا عليَّ.

﴿وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ﴾ يعني: ولم يثبت ذلك، وأنا بريء منه.

ومعنى ﴿مِّمَّا تُجۡرِمُونَ﴾: من إجرامكم في إسناد الافتراءِ إليَّ، فلا وجه لإعراضكم ومعاداتكم.

﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٣٦﴾

﴿لَن يُؤۡمِنَ﴾ إقناطٌ من إيمانهم، وأنّه كالمحال الذي لا تعلُّق به للتوقُّع.

﴿إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ﴾: إلَّا مَن قد وُجد منه ما كان يُتوقَّع من إيمانه، و﴿قَدۡ﴾ للتوقُّع وقد أصابت مَحزَّها.

﴿فَلَا تَبۡتَئِسۡ﴾: فلا تحزنْ حُزنَ بائسٍ مستكين؛ قال:

قوله: (وتتألَّبوا)،[١] أي: تجمّعوا، يقال: ألَّب الجيش فتألَّب، وكذلك أَلَب الجيش، أي: جَمَعه.[٢]

قوله: (﴿مِّمَّا تُجۡرِمُونَ﴾) أي: مِن مضمون ذلك وحاصله ومؤدّاه، فكأنّه قال: أنا بريء مِن الافتراء الذي تُجرمون بسبب إسناده إليّ.

قوله: (وأنّه) عطف على قوله: (إقناطٌ)، وفي الكلام حذف، أي: هذا الكلام إقناط وبيانُ أنّه كالمحال؛ لأنّ "لن" لتأكيد[٣] النفي.[٤]

قوله: (ما كان يتوقَّع مِن إيمانه) هذا معنى "قد". وقوله: (مستكين) مِن الاستكانة: الخشوع.

---

١ ر: تنالبوا.

٢ انظر: الصحاح للجوهري، «ألب».

٣ ن ر: للتأكيد.

٤ ن ر – النفي.

ما يَقْسِمُ اللهُ أَقبَلْ غيرَ مُبْتَئِسٍ منه وأقعُدْ كريمًا ناعِمَ البال

والمعنى: فلا تحزنْ بما فعلوه من تكذيبك وإيذائك ومُعاداتك فقد حانَ وقتُ الانتقام لك منهم.

﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٣٧﴾

﴿بِأَعۡيُنِنَا﴾ في موضع الحال، بمعنى: اصنَعْها محفوظًا، وحقيقتُه: ملتَبِسًا بأعيُنِنا، كأنَّ لله معه أعيُنًا تَكْلَؤهُ أن يزيغَ في صنعته عن الصواب، وأن لا يحولَ بينه وبين عمله أحدٌ من أعدائه.

﴿وَوَحۡيِنَا﴾: وأنّا نُوحي إليك ونُلْهِمُك كيف تصنعُ، عن ابن عباس رضي الله عنه: لم يعلم كيف صَنْعةُ الفُلك فأوحى اللهُ إليه أن يصنعَها مثل جُؤجُؤ الطائر.

﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾: ولا تَدْعُني في شأن قومك واستدفاعِ العذاب عنهم بشفاعتك ﴿إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾: إنهم محكومٌ عليهم بالإغراق، وقد وجب ذلك

قوله: (قال: ما يَقْسِمِ اللهُ) البيت،[1] ما في "ما يقسِم الله" شرطيّة، و"غيرَ مبتئس"، أي: غيرَ حزين من أجله. والبيت لأحيحة بن الجُلاح.[2]

قوله: (فقد حان)[3] إشارة إلى أنّ قوله: ﴿وَٱصۡنَعِ﴾ عطف على قوله: ﴿لَا تَبۡتَئِسۡ﴾. وقوله: (محفوظًا) أي: وأنت محفوظ، فيكون ﴿بِأَعۡيُنِنَا﴾ حالًا مِن الضمير في ﴿وَٱصۡنَعِ﴾. وقوله: (أن تزيغ) أي: مِن أن. وقوله: (وألّا يحول) "لا" زائدة في "ألّا يحول".

قوله: (بشفاعتك)[4] متعلِّق بـ(لا تدعني)، ومعنى لا تدعني بشفاعتك:[5] لا تشفع. وقوله: (﴿وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ﴾ [هود ٧٦/١١])، يعني قوم لوط.

---

[1] البيت لحسّان بن ثابت رضي الله عنه، في ديوانه، ٣١٤/١؛ وهو له في الصحاح للجوهري، «بأس»؛ وأساس البلاغة للزمخشري، «بأس».

[2] ر: الحلاج. | ومضى أنّ البيت لحسّان.

[3] ن ر: خان.

[4] ن ر: لشفاعتك.

[5] ن ر: لشفاعتك.

وقُضي به القضاءُ وجَفَّ القلمُ فلا سبيل إلى كفِّه؛ كقوله: ﴿يَـٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَـٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ﴾ [هود ٧٦/١١].

﴿وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ﴾ حكايةُ حالٍ ماضيةٍ.

﴿وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ٣٨﴾

﴿سَخِرُواْ﴾ ومن عمله السفينةَ، وكان يعملها في بَرِّيَّةٍ بَهْمَاءَ في أبعدِ موضعٍ من الماء، وفي وقتٍ عَزَّ الماء فيه عزَّةً شديدةً، فكانوا يتضاحكون ويقولون له: يا نوحُ صرتَ نجَّارًا بعد ما كنتَ نبيًّا.

قوله:[١] (في برّيّة[٢] يَهماء) اليهماء: التي لا ماءَ فيها، وحقيقته مَن سَلَكها[٣] يَهيم فيها، أي: يتحيّر. وفيه نظر، فإنّ يَهماء[٤] لا يكون مِن يهيم،[٥] فتأمّل. «الأيهمان[٦] عند أهل البادية: السيل والجمل الصئول الهائج، وعند أهل الأمصار: السيل والحريق، قال أبو عبيد: إنّما سمِّي أيهم؛[٧] لأنّه ليس ممّا يستطاع دفعه ولا ينطق فيُكلَّم أو يُستغاث؛ ولهذا قيل للفلاة التي[٨] لا يُهتدى فيها يَهماء.[٩] والأيهم[١٠] مِن الرجال: الأصمّ. والأيهم:[١١] الشجاع».[١٢]

الظاهر أنّ الصواب "بهماء" بالباء المنقوطة بواحدة،[١٣] وكذا الأبهمان للسيل والحريق، أو للسيل والجمل الهائج.[١٤] وإن كان المذكور في الصحاح[١٥] والمجمل[١٦]

---

[١] ر: يعني.
[٢] ر – في بريّة.
[٣] ر + من.
[٤] ن: بهما.
[٥] ر: بهيم.
[٦] ر: الأبهمان.
[٧] ر: أبهم.
[٨] ر: الذي.
[٩] ر: بهما.
[١٠] ر: والأبهم.
[١١] ر: والأبهم.
[١٢] الصحاح للجوهري، «يهم».
[١٣] ن: واحدة.
[١٤] ن: المبائج.
[١٥] الصحاح للجوهري، «يهم».
[١٦] ن ر: والجمل. | انظر: مجمل اللغة لابن فارس، ٩٤٣/١ «يهم».

﴿فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ﴾ يعني: في المستقبل ﴿كَمَا تَسۡخَرُونَ﴾ منّا الساعةَ؛ أي: نسخرُ منكم سُخْريةً مِثلَ سُخريتكم إذا وقع عليكم الغرقُ في الدنيا والحَرْقُ في الآخرة.

وقيل: إنْ تستجهِلونا فيما نَصْنعُ فإنا نستجهلُكم فيما أنتم عليه من الكفر والتعرُّضِ لسَخَط الله وعذابِهِ، فأنتم أولى بالاستجهال منّا.

أو: إنْ تستجهِلونا فإنّا نستجهلُكم في استجهالِكم؛ لأنكم لا تَستجهِلون إلّا عن جهلٍ بحقيقة الأمر وبناءً على ظاهرِ الحال؛ كما هو عادةُ الجهلة في البُعد عن الحقائق.

يدلّ على أنّ اليَهْماء والأيهمان بالياء[١] المنقوطة مِن تحت بنقطتين، فإن ذلك لا يُظهر اشتقاقهما، وإذا جعلا[٢] بالباء يكون المعنى والاشتقاق ظاهرين، قال في الصحاح في فصل الباء المنقوطة بواحدة مِن باب[٣] الميم: «إنّ أبا عبيدة قال: البُهمة[٤] بالضمّ: الفارس الذي لا يُدرى[٥] من أين يؤتى مِن شدّة بأسه، ويقال: للجيش بُهمة، ومنه قولهم: هو فارسُ بُهمة وليثُ غابةٍ. وأبهمتُ الباب: أغلقتُه. وأمر مبهَم. ومنه الأسماء المبهَمة، وهي عند النحاة[٦] أسماء الإشارة».[٧] وقال في المجمل في باب الباء المنقوطة بواحدة: «البُهمة الصخرة وبها شُبِّه الشجاع لا يُقدَر عليه».[٨]

قوله: (وقيل: إن تستجهِلونا)[٩] فيكون المراد بالسخرية الاستجهال بطريق الكناية؛ لأن السخرية مِن لوازم الجهل: ﴿قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ / مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [البقرة ٦٧/٢]. [٧ظ]

قوله: (كما هو عادة الجَهَلة) قال الخليل بن أحمد النحوي:

---

١ ن ر: بالتاء.
٢ ر: جعل.
٣ ر – باب.
٤ ن ر: البهيمة.
٥ ن: يدي.
٦ ر: النحا.
٧ الصحاح للجوهري، «بهم».
٨ مجمل اللغة لابن فارس، ١٣٨/١ «بهم».
٩ ن: سيجهلونا.

ورُوي: أن نوحًا عليه السلام اتَّخذ السفينةَ في سنتين، وكان طولُها ثلاثَ مئةِ ذِراعٍ وعرضُها خمسون ذِراعًا، وطولها في السماء ثلاثون ذِراعًا، وكانت من خشب السَّاجِ، وجعل لها ثلاثةَ بطون، فحمَل في البطن الأسفل: الوحوشَ والسِّباعَ والهوامَّ، وفي البطن الأوسط: الدَّوابَّ والأنْعام، وركِبَ هو ومَن معه في البطن الأعلى مع ما يحتاج إليه من الزاد.

وحَمَل معه جسَدَ آدمَ وجَعَله معترِضًا بين الرجال والنساء.

وعن الحسن: كان طولُها ألفًا ومئتي ذراع وعرضُها ستُّ مئة.

وقيل: إن الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام: لو بَعثتَ لنا رجلًا شهدَ السفينةَ يُحدِّثنا عنها، فانطلقَ بهم حتى انتهى إلى كَثِيبٍ من ترابٍ، فأخَذَ كفًّا من ذلك التراب فقال: أتدرون مَن هذا؟ قالوا: اللهُ ورسوله أعلم! قال: هذا كعبُ بن حام، قال:

لـو كـنـتَ تـعـلـم مـا أقـول عذرتني   أو كـنـتَ تعلـم مـا تـقـول عذلتُكا
لـكـن جـهـلـتَ مـقـالـتي فعذلتني   وعـلـمـتُ أنّـك جـاهـل فـعـذرتـكـا[1]

قوله: (مِن خشب الساج) «الساج:[2] شجر يعظُم[3] جدًّا، قالوا: ولا ينبت إلّا ببلاد الهند يُجلَب منها كلّ ساجةٍ[4] مُشَرْجعةً مربَّعةً، وقولهم:[5] استعار ساجةً ليقيم بها الحائط الذي مال، يعني الخشبة المنحوتة المهيّأة للأساس ونحوِه».[6] قاله في المُغرِب. والشرجع: الطويل. ومِطرقة[7] مُشَرجعة، أي: مطوّلة لا[8] حروف لنواحيها. وأراد صاحب المُغرب بالمُشَرجعة التي حروفها الأربعة منحوتة.

قوله: (وعن الحسن: كان طولها)[9] هذا الذي ذَكَره الحسن أظهر؛ لأنّه لا يسع الخلق الكثير فيما طوله ثلاث مئة وعرضه خمسون.

---

[1] البيتان للخليل في جمهرة أشعار العرب للقرشي، ص ٤٣؛ والمنصف لابن وكيع، ص ٣٠٤؛ والإبانة للعوتبي الصحاري، ٣٧٩/٢.
[2] ن ر: السجاج.
[3] ر: بعظيم.
[4] ن ر: ساجية.
[5] ر: وقل لهم.
[6] المغرب للمطرزي، «سوج».
[7] ن: مطرقة.
[8] ن: إلا.
[9] القول في معالم التنزيل للبغوي، ١٧٥/٤ (هود، ٣٨/١١).

فضَربَ الكثيبَ بعصاه فقال: قُم بإذن الله، فإذا هو قائمٌ ينفُض الترابَ عن رأسه وقد شابَ، فقال له عيسى عليه السلام: أهكذا هلكتَ؟ قال: لا، مُتُّ وأنا شابٌّ؛ ولكنني ظننتُ أنها الساعةُ فمِن ثَمَّ شِبْت، قال: حدثنا عن سفينة نوح عليه السلام، قال: كان طولُها ألفَ ذراع ومئتي ذراع وعرضُها ستَّ مئةِ ذراع، وكانت ثلاثَ طبقات: طبقةً للدَّواب والوحش وطبقةً للإنس وطبقةً للطير، ثم قال: "له عُدْ بإذن الله كما كنتَ فعاد ترابًا".

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾

﴿مَن يَأْتِيهِ﴾ في محلِّ النصب بـ﴿تَعْلَمُونَ﴾؛ أي: فسوف تعلمون الذي يأتيه عذابٌ يُخزيه، ويعني به إيَّاهم، ويريد بالعذاب: عذابَ الدنيا وهو الغرَقُ.

﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ﴾ حلولَ الدَّين والحقِّ اللازم الذي لا انفِكاكَ له عنه ﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ وهو عذابُ الآخرة.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾

﴿حَتَّىٰٓ﴾ هي التي يُبتدأ بعدَها الكلامُ دخلت على الجملة من الشرط والجزاء.

فإن قلت: وقعَتْ غايةً لماذا؟

قلتُ: لقوله: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ﴾؛ أي: وكان يصنعها إلى أن جاء وقتُ الموعد.

فإن قلتَ: فإذا اتَّصلت ﴿حَتَّىٰٓ﴾ بـ﴿يَصنعُ﴾ فما تصنعُ بما بينهما من الكلام؟

قلتُ: هو حالٌ مِن ﴿يَصنعُ﴾ كأنه قال: يصنعُها والحالُ أنه كلَّما مَرَّ عليه ملأٌ من قومه سخِرُوا منه.

قوله: (ويعني به)،[١] أي: بمَن[٢] يأتيه.[٣]

---

١ ر - (ويعني به).
٢ ر: عن.
٣ ر: ثانيه.

فإن قلتَ: فما جواب "كلَّما"؟

قلتُ: أنت بين أمرين: إمَّا أن تجعل ﴿سَخِرُواْ﴾ جوابًا و﴿قَالَ﴾ استئنافًا على تقدير سؤال سائل، أو تجعلَ ﴿سَخِرُواْ﴾ بدلًا من ﴿مَرَّ﴾ أو صفةً لـ﴿مَلَأٌ﴾ و﴿قَالَ﴾ جوابًا.

﴿وَأَهْلَكَ﴾ عطفٌ على ﴿ٱثْنَيْنِ﴾، وكذلك: ﴿وَمَنْ ءَامَنَ﴾ يعني: واحمِلْ أهلَكَ والمؤمنين من غيرهم، واستَثْنَى مِن أهله مَن سَبَق عليه القولُ أنّه من أهل النار،

قوله: (عطف على ﴿ٱثْنَيْنِ﴾) هذا إذا قرئ: ﴿مِن كُلِّ زَوْجَيْنِ﴾ بالإضافة،[١] فإنّه إذا قرئ بالإضافة كان ﴿ٱثْنَيْنِ﴾ مفعول ﴿ٱحْمِلْ﴾، والمعنى احمل[٢] مِن الأزواج[٣] إذا كانت اثنين اثنين زوجين، فالزوجان هنا يُراد بها الشِّياع[٤] وليس المراد بها الناقص[٥] عن الثلاثة، ويبيِّن هذا المعنى قول الفرزدق:[٦]

وكلُّ رفيقَي كلّ رَحْلٍ[٧] وإن[٨] هما[٩] تعاطى القنا قوماهما[١٠] أخوانِ[١١]

فـ"رفيقان" اثنان لا يكون رفيق كلّ رجل، وإنّما يريد الرفقاء إذا كانوا رفيقين رفيقين،[١٢] ومَن نوّن فقال: ﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ فحذف المضاف إليه مِن "كلّ" ونوَّن، فالمعنى: مِن كلّ شيء أو مِن كلّ نوع[١٣] زوجين اثنين، فيكون انتصاب ﴿ٱثْنَيْنِ﴾ على أنّه صفة لـ﴿زَوْجَيْنِ﴾.

قوله: (بدلًا) وهو بدل اشتمال؛ لأنّه كان مرورهم مُلابسًا لسخريّتهم.

قوله: (أنّه مِن أهل النار) قرئ "أنّه"[١٤] بالفتح فهو بدل مِن (القول)، وإن كُسر[١٥] فهو مقول القول.

---

١ ر: الإضافة. | قرأ بها العشرة إلّا حفصًا. النشر لابن الجزري، ٢/٢٨٨.
٢ ر: أجمل.
٣ ر: الازدواج.
٤ ن ر: السباع.
٥ ن ر: التناقض.
٦ د: الفرزق.
٧ د ن ر: رجل
٨ ن ر: إنهما.
٩ ن ر – هما.
١٠ د ن ر: يومًا هما.
١١ البيت للفرزدق في ديوانه، ٢/٨٧٠؛ وهو له في الحلبيّات للفارسي، ص ٦٧؛ والمحكم لابن سيده، ١٠/٧٨.
١٢ ن – رفيقين؛ ر + رفيقين.
١٣ ن – أو مِن كل نوع.
١٤ يعني في كلام الزمخشري.
١٥ ن: كثير.

وما سَبَق عليه القولُ بذلك إلّا للعِلْم بأنه يختار الكفر لا لتقديره عليه وإرادته، تعالى الله عن ذلك.

قال الضحّاك: أراد ابنَه وامرأتَه.

﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾ روي عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كانوا ثمانيةً: نوح وأهله وبنُوه الثلاثةُ ونساؤهم».

وعن محمد بن إسحاق: «كانوا عشرةً: خمسةُ رجال وخمس نسوة».

قوله: (وما سبق عليه القول بذلك[١] إلّا للعلم) "ما" للنفي، والضمير مِن "عليه" يعود إلى "مَن سبق"، و"ذلك" إشارة إلى أنّه مِن أهل النار، والضمير مِن (لتقديره) يجوز أن يعود إلى الله تعالى ويكون مفعوله محذوفًا،[٢] أي: لتقدير الله تعالى عليه، أي: على مَن[٣] سبق أنّه مِن أهل النار، ويجوز أن يعود إلى "أنّه مِن أهل النار"، والفاعل محذوف. وقوله: (وإرادته به) يحتمل الأمرين كما مرّ. وقوله: (لا لتقديره) ليس كما ذكره؛ بل الحقّ[٤] أنّ[٥] ذلك لتقديره وإرادته وعلمه بأنّه يختار الكفر، وعلمُه لا يخالف تقديره، ففي قوله: "لا[٦] لتقديره" خبطٌ: معنًى لِما مرّ، ولفظًا لذِكر[٧] "لا" العاطفة بعد "ما" و"إلّا".

قوله: (قال الضحّاك: أراد) أي:[٨] بمَن سبق عليه القول، وقوله: (ابنه) أي: ابنه الكافر، وقوله: (وامرأته) أي: امرأته الكافرة. وقوله: (كانوا ثمانية) أي: القليل المؤمنون. وقوله: (وأهلُه)،[٩] أي: امرأته، وليست المرأة الكافرة.

قوله: (خمسةُ[١٠] رجال)[١١] مرفوع بدل مِن الواو في (كانوا)، ويجوز [٩٨و] / النصب أيضًا؛ بل هو أولى ليكون بدلًا مِن عشرة، النصب لازم في "خمسة"

---

[١] ر: بذاك.
[٢] ن ر: مفعولًا.
[٣] ن: ما.
[٤] ن ر: الجواب.
[٥] ن ر – أن.
[٦] ن ر – وعلمه بأنّه يختار الكفر وعلمه لا يخالف تقديره ففي قوله: لا.
[٧] ن: الذكر.
[٨] ر – أي.
[٩] جامع البيان للطبري، ٤١٠/١٢ (هود، ٤٠/١١).
[١٠] ر + ليكون.
[١١] جامع البيان للطبري، ٤١١/١٢ (هود، ٤٠/١١).

وقيل: «كانوا اثنين وسبعين رجلًا وامرأةً وأولادَ نوحٍ: سامٌ وحَامٌ ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانيةٌ وسبعون: نصفُهم رجال ونصفُهم نساءٌ».

﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾

يجوز أن يكون كلامًا واحدًا وكلامين:

فالكلام الواحد: أن يتصل ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ بـ﴿ٱرْكَبُوا۟﴾ حالًا من الواو بمعنى: اركبوا فيها مُسمِّينَ اللهَ، أو قائلين: بسم الله وقتَ إجرائها ووقت إرسائها؛ إما لأن المُجرى والمُرْسى للوقت؛ وإمَّا لأنهما مصدران كالإجراء والإِرْساء

ليكون بدلًا مِن "عشرة"، ولا يجوز الرفع على البدل مِن الواو وإلّا لكان التقدير "كان خمسةُ رجال وخمسُ[١] نسوةٍ عشرةً"، وهو كلام فاسد. نعم يجوز الرفع على أن يكون خبر مبتدأ محذوف، أي: هم[٢] خمسة.

قوله: (وأولاد نوح: سام وحام ويافث) سام أبو العرب والأنبياء والملوك وأشراف[٣] الناس، وحام أبو السودان والزنج ولُوبة[٤] ونُوبة، ويافث أبو الترك والخَزر وخلَّخ[٥] ويأجوج ومأجوج.

قوله: (حالًا مِن الواو) بمعنى "اركبوا فيها مسمِّين الله" أو "قائلين بسم الله"، يعني: يجوز أن يكون التقدير "اركبوا ملتبسين بسم الله"، فالباء متعلِّق بـ"ملتبسين" لا متعلَّق لها سواه، ومعناه[٦] "ومسمِّين". ويجوز أن يكون القول مقدّرًا،[٧] أي: قائلين هذا اللفظ، فالباء متعلِّق بمحذوف على كلا هذين الوجهين، غير أنّ المتعلَّق إمّا "مسمِّين" أو "قائلين".

قوله: (للوقت) أي:[٨] هما اسما[٩] زمان.[١٠]

---

[١] ن: وخمسة.
[٢] ر – هم.
[٣] ن: وأشرف.
[٤] ن: ولونه.
[٥] ر: وملح.
[٦] ن ر: وبمعناه.
[٧] ر: مقدر.
[٨] ر – أي.
[٩] ن: اسا؛ ر: اتسا.
[١٠] ن: دنان؛ ر: رتان.

حُذف منهما الوقتُ المضاف؛ كقولهم: "خُفوقَ النَّجم ومَقْدَمَ الحاجِّ"، ويجوز أن يراد مكانُ الإجراء والإرساء، وانتصابُهما بما في ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ من معنى الفعل، أو بما فيه من إرادة القول.

والكلامان: أن يكون ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِنهَا وَمُرْسَنهَا﴾ جملةً من مبتدأ وخبرٍ مقتضَبَةً؛ أي: بسم الله إجراؤها وإرساؤها.

يُروى أنه كان إذا أراد أن تجري قال: "بسم الله" فجرَتْ، فإذا أراد أن تَرْسوَ قال: "بسم الله" فرسَت.

قوله: (ومَقْدَم الحاجّ) فيه نظر؛ لأنّه يصلح أن يكون اسم زمان، فلا[1] يُحتاج فيه إلى تقدير زمان، فالمقدَم أيضًا يحتمل أمرين مثل ﴿مَجْرِنهَا﴾، وليس مُعيّنًا للمصدريّة، وتقدير الزمان بخلاف خفوق النجم، فإنّه مُعيّن لذلك.

قوله: (ويجوز أن يكون مكانًا) أي: مسمّين أو قائلين: "بسم الله"، في مكان إجرائها ومكان إرسائها.

قوله: (وانتصابهما) أي: انتصاب ﴿مَجْرِنهَا وَمُرْسَنهَا﴾ سواء كانا في معنى الوقت أو المكان كما ذكرنا، ولا يجوز أن يتعلّق بـ﴿ٱرْكَبُواْ﴾؛ لأنّ المعنى ليس عليه، إذ لا يُراد اركبوا في وقت الإجراء أو الإرساء أو في مكانهما؛ لأنّ المعنى "اركبوا الآن متبرّكين باسم الله في الوقتين اللذين[2] لا ينفك الراكبون[3] فيها عنهما مِن الإجراء والإرساء"، وليس يراد "اركبوا وقت الجري والرسوّ".[4]

قوله: (مقتضبة) أي: مرتجلةً مقتطعةً،[5] يعني غير متعلّقة بما قبله،[6] وعلى هذا يكون ﴿مَجْرِنهَا وَمُرْسَنهَا﴾ مصدرًا لا غير.

قوله: (يُروى) هذا يقوّي أنّهما كلامان.

---

[1] ن: ولا.
[2] ن: للدين؛ ر: الذين.
[3] ر: الراكب.
[4] ن: والرو.
[5] ن ر: منقطعة.
[6] ن: قيل، ر: قبل.

ويجوز أن يُقْحَمَ الاسمُ كقوله:

ثـــم اســـــمُ الـــســـلام عـلـيـكـمـا

ويراد: بالله إجراؤها وإرساؤها؛ أي: بقدرته وأمره.

وقرئ: "مَجْراها ومَرْساها" بفتح الميم من جَرَى ورَسَى: إما مصدرين، أو وقتين، أو مكانين.

وقرأ مجاهدٌ: "مُجريها ومُرْسِيها" بلفظ اسم الفاعلِ مجرورَيِ المحلِّ صفتَيْن لله.

فإن قلتَ: ما معنى قولك: جملةٌ مقتضبَةٌ؟

قلت: معناه: أن نوحًا عليه السلام أمَرَهم بالركوب، ثم أخبَرَهم بأن مُجراها ومُرساها بذكر اسم الله أو بأمره وقُدرته.

ويحتمل أن تكون غيرَ مقتضبةٍ بأن تكون في موضع الحال؛ كقوله:

وجـــاؤونـــا بـــهـــم سَـــكَـــرٌ عـلـيـنـا

فلا تكون كلامًا برأسه؛ ولكنْ فضلةٌ من فضلاتِ الكلام الأول، وانتصابُ هذه الحال عن ضميرِ الفُلك؛ كأنه قيل: "اركبوا فيها مُجراةً ومرساةً بسم الله"،

قوله: (كقوله:

ثـــمَ اســـــمُ الـــســـلام عـلـيـكـمـا)

أوّله:

فقوما وقولا بالذي قد عرفتُما ولا تخمشا وجهًا ولا تحلِقا[1] الشعر

إلى الحَول[2] ثمّ[3] اسمُ السلام عليكما ومَن يبكِ حولًا كاملًا فقد اعتذر[4]

قوله: (كقوله:

وجاءونـــا[5] بهـــم سَـــكَرٌ علينـــا)

---

[1] ر: تخلفا.

[2] ن ر: الحق.

[3] ن ر – ثمّ.

[4] البيت للبيد بن ربيعة. ومضى تخريجه في تفسير سورة الفاتحة، ١/١.

[5] ر: وجاوزنا.

بمعنى التقدير كقوله: ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر ٣٩/٧٣].

﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لولا مغفرتُه لذنوبكم ورحمتُه إيَّاكم لَمَا نجَّاكم.

﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾﴾

فإنْ قلتَ: بِمَ اتَّصل قوله: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ﴾؟

قلتُ: بمحذوفٍ دلَّ عليه ﴿ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ كأنَّه قيل: فركِبوا فيها يقولون: بسم الله ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ﴾ أي: تجري وهم فيها.

﴿فِي مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾ يريد: موجَ الطُّوفان، شَبَّهَ كلَّ موجَةٍ منها بالجبل في تراكُمِها وارتفاعِها.

تمامه:

فـأجلـى الـيـومُ والـسـكـرانُ صـاحِ[1]

قوله: "سَكَر" مبتدأ "بهم" خبره، والجارّ في "علينا" متعلِّق بـ"سكر"، والجملة حال مِن غير الواو؛ بل اكتفى بالضمير. وقوله: (بمعنى التقدير) أي: مقدِّرًا إرساءها. وقوله: ﴿خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر ٣٩/٧٣]، أي: مقدّرين الخلود؛ لأنّه لا خلودَ وقت الدخول.

قوله: (قلتُ: بمحذوف) وهو قريب مِن قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ﴾ [البقرة ٢/٦٠]، أي: فضرب فانفجرت. وقوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِهِمْ﴾ تقديره مثل ما ذكر[2] في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ [البقرة ٢/٥٠]، أي: فرقنا البحر ملتبِسًا بكم، أي: وأنتم فيها، كقول أبي الطيِّب:

[٨ظ] كـأنّ خيـولـنـا كـانـت قـديـمًـا تُـسقّـى / فـي قـحـوفـهـم الـحـليـبـا

فـمـرّت غـيـر نـافـرةٍ عـلـيـهـم تـدوس بـنـا الـجـمـاجـم والـتـريـبـا[3]

---

١ ما عرفتُ قائله. وهو بلا عزو في إصلاح المنطق لابن السكّيت، ص ٨٧؛ وكتاب الأفعال للسرقسطي، ٣/٥٤٦؛ والتكملة والذيل والصلة للصغاني، «سكر».

٢ ر: ذكره.

٣ البيتان لأبي الطيّب في ديوانه، ص ١٧٩.

فإن قلتَ: الموجُ: ما يرتفعُ فوقَ الماء عند اضطرابه وزخيره، وكان الماء قد الْتَقى وطبَّق ما بين السماء والأرض، وكانت الفُلك تجري في جوف الماء كما تَسْبَح السَّمَكةُ، فما معنى جَرْيِها في الموج؟

قلتُ: كان ذلك قبل التطبيق، وقبل أن يغمُرَ الطوفانُ الجبالَ، ألا ترى إلى قول ابنه: ﴿سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ﴾، قيل: كان اسم ابنه: كنعانَ، وقيل: يام.

وقرأ عليٌّ رضي الله عنه: "ابنها" والضميرُ لامرأته، وقرأ محمد بن عليّ وعروة بن الزبير: "ابنَهَ" بفتح الهاء، يريدان: ابنها، فاكتَفَيا بالفتحة عن الألف، وبه يَنْصُر مذهب الحسن؛ قال قتادة: سألتُه فقال: واللهِ ما كان ابنه، فقلتُ: إن الله حكَى عنه: ﴿إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ وأنت تقول: لم يكن ابنَه، وأهلُ الكتاب لا يختلفون في أنه كان ابنَه؟! فقال: ومَن يأخذ دينَه من أهل الكتاب؟! واستدلَّ بقوله: ﴿مِنْ أَهْلِى﴾ ولم يقل: مني.

ولنسبته إلى أمِّه وجهان:

أحدهما: أن يكون ربيبًا له كعُمر بن أبي سلمةَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأن يكون لغيرِ رِشْدةٍ، وهذه غضاضَةٌ عُصِمَت منها الأنبياءُ عليهم السلام.

وقرأ السُّدِّي: "ونادى نوحٌ: ابناه" على الندبة والترثِّي؛ أي: قال: يا ابناه.

والمعزل: مَفْعِلٌ مِن عزله عنه: إذا نحَّاه وأبعده، يعني: وكان في مكانٍ عَزَل فيه نفسَه عن أبيه وعن مركبِ المؤمنين.

وقيل: كان في معزِلٍ عن دين أبيه.

قوله: (واستدلّ)، يعني:[١] استدلّ الحسن على أنّ ليس المراد أنّه ابنه مِن صلبه بقوله: ﴿مِنْ أَهْلِى﴾ دون مني بل المراد أنّه مِن زوجته.

---

[١] ر: بمعنى.

﴿يَٰبُنَيَّ﴾ قرئ بكسر الياء اقتصارًا عليه من ياء الإضافة، وبالفتح اقتصارًا عليه من الألف المُبدَلة من ياء الإضافة في قولك: "يا بُنيًا"، أو سقطت الياء والألف لالتقاء الساكنين؛ لأن الراء بعدهما ساكنةٌ.

﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿إِلَّا مَن﴾: إلّا الرَّاحِمُ وهو اللهُ، أو: لا عاصمَ اليومَ من الطُّوفان إلا مَن رَحِم اللهُ؛ أي: إلّا مكانَ مَن رَحِم اللهُ من المؤمنين، وكان لهم غفورًا رحيمًا في قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [هود ٤١/١١]، وذلك أنه لمَّا جعل الجَبَل عاصمًا من الماء

قوله: (أو[1] سقطت الياء) هذا إشارة إلى وجه آخر للكسر والفتح وفيه لفّ، أي: في الكسر سقط الياء وفي الفتح سقط الألف.

قوله: (إلّا الراحم)... إلخ، على الأوّل كلاهما بمعنى الفاعل،[2] وأمّا على الثاني فالأوّل بمعنى الفاعل، والثاني بمعنى المفعول، لكن بحذف المضاف كما ذكر. وحاصل الوجه الثاني أنّ ﴿مَن رَّحِمَ﴾، أي: "مكان مَن رحِم عاصم"، لكن ﴿مَن رَّحِمَ﴾ بمعنى المرحوم، فتأمّل. وقوله: (أو: لا[3] عاصمَ)... إلخ، عطف على قوله: "إلّا الراحِم"، وعلى هذا الوجه يكون ﴿مَن رَّحِمَ﴾ في معنى المرحوم،[4] وإن كان ﴿مَن رَّحِمَ﴾، أي: "مكان مَن رحم عاصم"[5] بمعنى الفاعل، فـ﴿مَن رَّحِمَ﴾ في هذا الوجه،[6] أي: "مكان مَن رحِم[7] عاصم" بمعنى الفاعل، وإن كان مَن رحم وهم أهل الإيمان مرحوم بمعنى المفعول، فمكان مَن رحم عاصمٌ، ومَن رحم مرحوم. وقوله: (أي: إلّا مكان مَن رحم الله مِن المؤمنين)، وقوله: (وكان) عطف على "رَحِم"، والعائد مِن هذه الصلة ضمير (لهم) ومِن "رحِم" محذوف. وقوله: (في قوله تعالى:[8]

---

١ ر: و.
٢ ن ر – بمعنى الفاعل.
٣ ن – أو لا.
٤ ن: المرجوم.
٥ د: عاصمًا.
٦ ن ر – معناهما بمعنى الفاعل فمِن رحِم في هذا الوجه.
٧ ن + عاصمًا بمعنى الفاعل فمِن رحم في هذا الوجه، أي: مكان مِن رحم.
٨ ن ر – تعالى.

قال له: "لا يعصمُكَ اليوم مُعتصَمٌ قط من جبلٍ ونحوِه سِوَى معتصَمٍ واحدٍ"، وهو مكانُ مَن رحمهم الله ونجّاهم، يعني: السفينة.

وقيل: ﴿لَا عَاصِمَ﴾ بمعنى: لا ذا عصْمةٍ إلّا مَن رحمهُ الله؛ كقوله: ﴿مَّآءٖ دَافِقٖ﴾ [الطارق ٦/٨٦] و﴿عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ﴾ [الحاقة ٢١/٦٩].

وقيل: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ استثناءٌ منقطِعٌ؛ كأنه قيل: "ولكنْ مَن رَحِمه الله فهو المعصوم"؛ كقوله: ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ [النساء ١٥٧/٤].

وقرئ: "إلّا مَن رُحِم" على البناء للمفعول.

﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤﴾

نداءُ الأرض والسماء بما ينادَى به الحيوان المميِّز على لفظِ التخصيص، والإقبالُ عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات، وهو قوله: ﴿يَٰٓأَرۡضُ... وَيَٰسَمَآءُ﴾، ثم أمرُهما بما يُؤمرُ به أهل التمييز والعقل من قوله: ﴿ٱبۡلَعِي مَآءَكِ﴾

﴿إِنَّ رَبِّي﴾ [هود ٤١/١١]) هذا متعلِّق بمحذوف، أي: بيّن نوح، أي:[١] بيّن ذلك وذَكَره في قوله. وقوله: (وقيل: ﴿لَا عَاصِمَ﴾ بمعنى: لا ذا عصمة إلّا مَن رحمه) وعلى هذا كلاهما بمعنى المفعول؛ لأنّ ذا العصمة معصوم. وقوله: (وقيل ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ استثناء منقطع) على هذا الأوّل بمعنى الفاعل، والثاني[٢] بمعنى المفعول، وأمّا عكس هذا الوجه بأن يكون الأوّل[٣] بمعنى المفعول والثاني بمعنى الفاعل، أي: "لا معصومَ لكن الله يرحم[٤] مَن يشاء"،[٥] فليس ببعيد،[٦] لكن لم يذكر المفسّرون هذا الوجه. كذا قاله ابن الحاجب في شرح المفصّل.[٧] والظاهر أنّ المصنِّف إنّما ترك ذِكره؛ لأنّ أحدًا مِن المفسّرين لم يذكره.

---

١ د ر – أي.
٢ ن ر: والباقي.
٣ ن: للأول.
٤ ر: رحم.
٥ ن: شيئًا.
٦ ر: يتعقد.
٧ انظر: الإيضاح في شرح المفصّل لابن الحاجب، ٣٢٩/١.

و: ﴿أَقْلِعِى﴾= من الدلالةِ على الاقتدار العظيم، وأن السماوات والأرض وهذه الأجرامَ العظامَ مُنقادةٌ لتكوينه فيها ما يشاء غيرُ ممتنعةٍ عليه؛ كأنها عقلاءُ مميِّزون قد عرفوا عظمتَه وجلالتَه وثوابَه وعقابَه وقُدرته على كلِّ مقدور، وتبيَّنوا تحتُّم طاعته عليهم وانقيادِهم له، وهم يهابونه ويفزعون من التوقُّف دون الامتثال له والنزولِ على مشيئته على الفَوْر من غير رَيثٍ، فكما يَرِدُ عليهم أمرُه كان المأمور به مفعولًا لا حَبْسَ ولا إبطاء.

والبَلعُ: عبارةٌ عن النَّشْفِ، والإقلاعُ: الإمساك، يقال: "أقلَعَ المطر، وأقلعت الحُمَّى".

﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾ من غاضَه: إذا نقَصَه.

﴿وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾: وأُنجزَ ما وعَدَ الله نوحًا من هلاك قومه.

﴿وَٱسْتَوَتْ﴾ واستقرَّت السفينةُ ﴿عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾ وهو جبل بالموصل.

﴿وَقِيلَ بُعْدًا﴾ يقال: بَعِدَ بُعْدًا وبَعَدًا، إذا أرادوا البُعد البعيدَ من حيث الهلاكُ والموت ونحوُ ذلك؛ ولذلك اختُصَّ بدعاء السَّوء، ومجيءُ أخباره على الفعلِ المبني للمفعول للدلالة على الجلال والكبرياء، وأن تلك الأمورَ العِظامَ لا تكون إلَّا بفعلِ فاعلٍ قادرٍ وتكوينِ مكوِّنٍ قاهرٍ وأنَّ فاعِلَها فاعلٌ واحدٌ لا يُشارَك في أفعاله، فلا يَذهبُ الوهمُ إلى أن يقول غيره: "يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي"

قوله: (على الفور) تنازع فيه "الامتثال" و"النزول".

قوله: (مِن غير رَيث) أي: مِن غير إبطاء. يقال: راث عليّ خبرك يَريث رَيثًا، أي: أبطأ، وفي المثل «رُبَّ عَجَلةٍ وهبت[1] رَيثًا».[2]

قوله: (مِن حيث الهلاك) متعلِّق مِن حيث المعنى بقوله: (البُعد البعيد)، يعني بُعده لأجل كونه هالكًا ومَيتًا لا لبُعد المسافة.

قوله: (﴿وَقِيلَ بُعْدًا﴾) البُعد والبَعَد الهلاك، مقول[3] منه بَعِد بالكسر فهو باعدٌ.

---

[1] ر: وهنت.

[2] مجمع الأمثال للميداني، ١/٢٩٤؛ المستقصى للزمخشري، ٢/٩٨.

[3] ر: يقول.

ولا أن يقضيَ ذلك الأمرَ الهائلَ غيرُه، ولا أن تستويَ السفينةُ على متن الجوديِّ وتستقرَّ عليه إلَّا بتسويته وإقراره.

ولِمَا ذكرنا من المعاني والنُّكت استَفْصَحَ علماءُ البيان هذه الآيةَ، ورقصوا لها رؤوسَهم، لا لتجانُس الكلمتين وهما قوله: ﴿ٱبْلَعِى﴾ و﴿أَقْلِعِى﴾ وذلك وإن كان لا يُخلِي الكلامَ من حُسنٍ فهو كغيرِ الملتفَتِ إليه بإزاءِ تلك المحاسن التي هي اللُّبُّ وما عداها قشورٌ.

وعن قتادة: استقلَّت بهم السفينةُ لعشرٍ خَلَوْن من رجبٍ، وكانت في الماء خمسين ومئةَ يوم، واستقرَّتْ بهم على الجوديِّ شهرًا، وهَبَط بهم يومَ عاشوراء.

قوله: (ولا أن تستوي السفينة)، يعني: إنّما قال: ﴿ٱسْتَوَتْ﴾ ولم يقل:[١] سوّاها الله تعالى، وإلّا فليس هنا فعل مبنيّ للمفعول، لكنّ ذلك قريب منه. وإنّما قيل هنا ﴿ٱسْتَوَتْ﴾ لا سُوِّيت لبناء الفعل للسفينة في أوّل القصة،[٢] وهو قوله تعالى: ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾.

قوله: (والنُّكت)[٣] جمع النُّكتة،[٤] وهي اللطيفة[٥] في الكلام، مِن نكَت[٦] في الأرض إذا خطّ فيها. قال في الصحاح: «النَّكْت:[٧] أن تنكت في الأرض بقضيب، أي: تضرب فتؤثّر فيها».[٨] وقال في المغرب: «النُّكتة[٩] كالنقطة، ومنها النُّكتة[١٠] مِن الكلام، وهي الجملة المنقَّحة[١١] المحذوفة / الفضول. وأمّا قول مَن قال النّكات الطرديّة، [٩و] فإنّهم أرادوا النُّكت، ووجهه أن تُجعل الألف للإشباع كما في "منتزاح"،[١٢] أو يقال: "النِّكات" بالكسر قياسًا على "بُقعة وبِقاع" و"رُقعة ورِقاع" و"نُطفة ونِطاف"».[١٣]

قوله: (وعن قتادة: استقلّت بهم السفينة)[١٤] الباء في "بهم" للتعدية، أي: حملتهم.

---

[١] ر – يقل.
[٢] ر: الصفة.
[٣] ن: والنكث.
[٤] ن: النكثة.
[٥] ن ر: للطيفة.
[٦] ن: نكث.
[٧] ن: النكث.
[٨] الصحاح للجوهري، «نكت».
[٩] ن: النكثة.
[١٠] ن: النكثة.
[١١] ن – المنقحة.
[١٢] ن: سراح؛ ر: مستراح.
[١٣] المغرب للمطرّزي، «نكت».
[١٤] جامع البيان للطبري، ٤٢١/١٢ (هود، ٤٤/١١).

ورُوي: "أنها مرَّت بالبيت فطافت به سبعًا وقد أعتقَه الله من الغَرَق".

وروي: "أن نوحًا عليه السلام صام يوم الهبوط وأمَرَ مَن معه فصاموا شكرًا لله تعالى".

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٤٥﴾

نداؤه ربَّه: دعاؤه له، وهو قوله: ﴿رَبِّ﴾ مع ما بعده من اقتضاءِ وعده في تنجيَةِ أهله.

فإن قلتَ: فإذا كان النداء هو قوله: ﴿رَبِّ﴾ فكيف عُطف ﴿فَقَالَ رَبِّ﴾ على ﴿نادى﴾ بالفاء.

قلتُ: أريد بالنداء إرادةُ النداء، ولو أريد النداءُ نفسُه لجاء كما جاء قوله: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝ قَالَ رَبِّ﴾ [مريم ١٩/٣-٤] بغير فاء.

﴿إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾؛ أي: بعضُ أهلي؛ لأنه كان ابنَه من صُلبه، أو كان ربيبًا فهو بعضُ أهله.

قوله: (أي:[1] مِن بعض أهلي) أهل الرجل: امرأته والذين في عياله ونفقته، وكذا كلّ أخ أو أخت أو عمّ أو ابن عم[2] أو أجنبيّ يقوته في منزله.[3]

قوله: (مِن اقتضاء وعده) استعمل المصنِّف الاقتضاء هنا بمعنى التقاضي والاستقضاء. قال في الصحاح: «تقضّى دَينه وتقاضاه».[4] وقال في المغرب: «تقاضيته دَيني وبِدَيني واستقضيتُه: طلبت قضاءه واقتضيت منه حقّي أخذته».[5] ثمّ إنّ المصنِّف بعد أن استعمل الاقتضاء بمعنى التقاضي يصير معنى كلامه "مِن طلب قضاء وعده"،

[1] ن ر: أو.

[2] د – أهل الرجل امرأته والذين في عياله ونفقته وكذا كل أخ أو أخت أو عم أو ابن عم. | وجاءت هذه الزيادة تعليقًا في هامش د.

[3] ن ر – أو أجنبيّ يقوته في منزله.

[4] الصحاح للجوهري، «قضى».

[5] المغرب للمطرّزي، «قضي».

﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ﴾: وإن كلَّ وعدٍ تَعِدُه فهو الحقُّ الثابتُ الذي لا شكَّ في إنجازه والوفاءِ به، وقد وعَدْتَني أن تُنجيَ أهلي فما بالُ ولدي.

﴿وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾؛ أي: أعلمُ الحُكَّام وأعدلُهم؛ لأنه لا فضلَ لحاكمٍ على غيره إلَّا بالعلم والعدل، ورُبَّ عريقٍ في الجهل والجَور من متقلِّدي الحكومة في زمانكَ قد لُقِّبَ أقضى القضاة، ومعناه: أحْكمُ الحاكمين، فاعتَبِرْ واستَعْبِرْ.

ويجوز أن يكون من الحكمة على أن يُبْنَى من الحكمةِ حاكمٌ بمعنى النسبة؛ كما قيل: "دارعٌ" من الدرع، و"حائضٌ" و"طالقٌ" على مذهب الخليل.

وهذا معنى مُشكِل؛ لأنّ الوعد كان سابقًا واقعًا، فكيف يطلب قضاءه؟ إلّا أن يقال: "الوعد بمعنى الموعود" فيصحُّ المعنى، لكن يُشكِل مِن وجه آخر وهو أنّ الموعود هو تنجية أهله، فما[1] معنى وعده في تنجية أهله؟ ووجهه أنّه مِن قبيل قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الممتحنة ٤/٦٠]، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب ٢١/٣٣]. وقولهم: في هذا الدرع[2] عشرة أمْناء حديدًا.[3]

قوله: (أي: أعلمُ الحُكّام) فسَّر قوله: ﴿أَحْكَمُ﴾ بالأعلم الأعدل، ثـمّ علَّل هذا التفسير بأنّه إذا فُضّل حاكم على سائر الحكّام يكون ذلك إشارةً إلى أنّه أعلمُ وأعدلُ؛ لأنّه لا فضلَ لحاكم على حاكم إلّا بهما، فثبت أنّ المراد بالأحكم ههنا الأعلم الأعدل، ثـمّ عطف على هذا التفسير قوله: (ويجوز)، يعني: يجوز أن يكون معنى الأحكم الأعلم مأخوذًا مِن الحكمة بمعنى العلم، على طريقة النسب. هذا كلامه. وأنا أقول: هو اسم التفضيل لا على طريقة النسب، مِن الحُكم بمعنى الحكمة، كما قال المصنِّف في تفسيره قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم ١٢/١٩]: «الحكم: الحكمة، ومنه:

---

[1] ر: فيما.
[2] ر: الذرع.
[3] في هامش د: قلتُ: هذه الحاشية لا تخلو عن سهو.

﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ تعليلٌ لانتفاء كونه من أهله، وفيه إيذانٌ بأنَّ قرابةَ الدِّين غامِرَةٌ لقرابةِ النَّسب، وأن نَسيبك في دِينك ومُعْتقَدِك من الأباعد في المنصِبِ -وإن كان حبشيًّا وكنتَ قرشيًا- لَصِيقُك وخصيصُك، ومَن لم يكن على دِينك وإن كان أمسَّ أقاربك رَحِمًا فهو أبعدُ بعيدٍ منكَ، وجُعلت ذاتُه عملًا غيرَ صالح مبالغةً في ذمِّه؛ كقولها:

فـإنـمـا هـي إقـبـالٌ وإدبـارٌ

واحـكـم كـحُـكـم فـتـاةِ الـحـيّ[1]

يقال: "حَكُم حُكمًا" كـ"حَلُم حُلْمًا"».[2]

وقوله: (ورُبّ عريق) أعرق الرجل، أي: صار عريقًا، وهو الذي له عِرق في الكرم. وقوله: (فاعتبر) مِن الاعتبار. وقوله: (واستعبِر)،[3] أي: إبكِ. وقوله: (في المنصب) أي: في الأصل، أي: أصل بعيد مِن أصلك.

قوله: (كقولها:

فـإنّـمـا هـي إقـبـال وإدبـار)[4]

البيت لخنساء أخت صخر لأبيه:

وإنّ صـخـرًا لـتـأتـمُّ الـهُـداة بـهِ كـأنّـه عَـلَـم فـي رأسـه نـارُ[5]
فـما عـجـولٌ على بـوّ تُطيف بهِ لـهـا حنينان إصـغـارٌ وإكـبـارُ[6]

---

[1] الشعر للنابغة الذبياني مِن معلَّقته المشهورة، وهو بتمامه:
واحكم كحكم فتاة الحيّ إذا نظرت
إلى حَمام شِراع وارد الثَّمَدِ
ومضى بتخريجه وشرحه في تفسير الآية الأولى مِن هذه السورة.

[2] الكشّاف للزمخشري، (مريم، ١٩/١٢).

[3] ن: وستعبر.

[4] مضى تخريجه تخريجه في تفسير سورة البقرة، ١٧٧/٢.

[5] ديوان الخنساء، ص ٣٨٦-٣٨٧، برواية:
أغـرُّ أبـلـج تـأتـم الـهُـداة بـه
كـأنّـه عَـلَـم فـي رأسـه نـارُ
وذكر ثعلب في أثناء شرحه للبيت الروايةَ التي أوردها الجاربردي ههنا.

[6] ديوان الخنساء، ص ٣٨١.

وقيل: الضميرُ لنداء نوحٍ عليه السلام؛ أي: إنَّ نداءك هذا عملٌ غيرُ صالحٍ. وليس بذاك.

لا تسأم الدهرَ منه كلّما ذكرَتْ فإنّما هي إقبال وإدبارُ[1]
يومًا بأجوَدَ[2] مني يومَ فارقني صخرٌ وللدهر إحلاء وإمرار[3]

ويُروى:

ترعى إذا غفلَتْ حتّى إذا ادّكرَت[4] "فإنّما هي إقبال وإدبارُ"[5]

قوله: "فما عَجُول"، أي: ناقة عُجِّل عليها وطُرد عن رأس ولدها، ويُراد بالعَجول: ناقة فقدت ولدها بنَحْر / أو موت، ويقال لأمثالها مِن النُّوق: [٩ظ] المعاجيل أيضًا. والبوّ: ولد الناقة. وأصله جلد فصيل يُحشى[6] تبنًا لتدرَّ الأمّ عليه.[7] لها حنينان،[8] أي: لهذه الناقة في فراق ولدها حنينان[9] صغير وكبير. ثمّ قال: "لا تسأم"، أي: لا تملُّ الدهرَ مِن الحنين إليه كلّما ذكرت، والدهر إقبال نهار[10] وإدبارُ ليل وبعكسه. وقيل: فإنّما هي ذات إقبال وذات إدبار، أو:[11] فإنّما هي مقبِلة ومدبِرة، أو جعلها الإقبالَ والإدبارَ اتّساعًا. وقوله: "يومًا" و"يومَ" هما ظرف "أجوَد" باعتبارين، أي: ما عجول في يوم بأجوَدَ منّي في يوم فارقني. وقولها: "أجوَد" مِن قولهم: جاد بنفسه عند الموت، تريد الشدّة التي كانت عليها عند الفِراق.

قوله: (وقيل: الضمير لنداء نوح عليه السلام) عطف على قوله: (تعليلٌ)؛ لأنّ هذا تفسير آخر.

---

[1] ما وقفتُ على هذه الرواية فيما بين يديّ مِن المظانّ، وستأتي رواية الديوان.
[2] في الديوان: بأوجَد.
[3] ديوان الخنساء، ص ٣٨٥، وفيه «بأوجد» مكان «بأجود».
[4] ن ر: ذكرت.
[5] ديوان الخنساء، ص ٣٨٣، وفيه «ترتع ما رتعت» مكان «ترعى إذا غفلت».
[6] ر: محشي.
[7] الصحاح للجوهري، «بوا».
[8] ر: جنينان.
[9] ر: جنينان.
[10] ن ر: نهارًا.
[11] ن ر – وإدبار ليل وبعكسه. وقيل: فإنّما هي ذات إقبال وذات إدبار، أو.

فإن قلتَ: فهلا قيل: إنه عَمَلٌ فاسدٌ؟

قلتُ: لمّا نفاه عن أهله نفى عنه صفتَهم بكلمةِ النفي التي يُسْتَبقَى معها لفظُ المنفيّ، وآذَنَ بذلك أنه إنّما أنجَى مَن أنجَى من أهله لصلاحهم لا لأنهم أهلُك وأقاربُك، وإنَّ هذا لمّا انتفَى عنه الصلاحُ لم تنفَعه أبوَّتُك؛ كقوله: ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [التحريم ١٠/٦٦].

قوله: (**قلتُ: لمّا نفاه**)،[١] أي: لمّا نفى[٢] الله تعالى ابن نوح عن أهل نوح نفى عن ابن نوح صفة أهل نوح. وقوله: (**لفظ المنفيّ**) وهو الصلاح، فإنّه يكون حينئذٍ مذكورًا منفيًّا.

قوله: (**كقوله تعالى: ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ﴾ [التحريم ١٠/٦٦]**) نوح ولوط.[٣]

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ يحتمل[٤] قوله تعالى: ﴿بِهِۦ عِلْمٌ﴾ وجهين:

أحدهما أن يكون كقوله:

رَبَّيتُه حتّى إذا تَمَعْددا كان جزائي بالعصا أن أُجلَدا[٥]

فقوله: "بالعصا" يتعلّق بما[٦] دلّ عليه "أن أُجلَد". وكذا قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف ٢١/٧]، فقوله: ﴿لَكُمَا﴾ يتعلّق[٧] بما دلّ عليه النُّصح المُظهَر،[٨] وإن لم يتسلّط عليه، والتقدير: إنّي ناصح لكما لَمِن الناصحين. فكذلك ﴿بِهِۦ﴾ يتعلّق بما دلّ[٩] عليه قوله: ﴿عِلْمٌ﴾ الظاهر وإن لم يجز أن يعمل فيه. قال أبو عليّ الفارسيّ: ذكر أبو الحسن[١٠] أنّ ذلك إنّما يجوز في حروف الجرّ.[١١]

---

١ ن: لفاه.

٢ ن: لفاه.

٣ ن ر – نوح ولوط.

٤ ن – يحتمل.

٥ ن ر: أجلد. | الرجز للعجّاج في في ملحق ديوانه، ٢٨١/٢؛ وهما له في المُحتسَب لابن جنّي، ٣١٠/٢. وانظر تفصيل الكلام عليهما في خزانة الأدب للبغداديّ، ٤٢٩/٨-٤٣٣. وقال ابن جنّي عقب البيت في المُنصِف، ٢٢١/١: «تمعدد: تكلّم بكلام معدّ، أي: كبُر وخطَب».

٦ ر: بها.

٧ ر: متعلق.

٨ ن ر: لمظهر.

٩ ر: يدل.

١٠ يعني الأخفش.

١١ انظر: الحجّة للفارسي، ٣٤٣/٤.

وقرئ: ﴿عَمِلَ غيرَ صالحٍ﴾؛ أي: عملًا غيرَ صالح.

وقرئ ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ﴾ بكسر النون بغير ياء الإضافة، وبالنون الثقيلة بياءٍ وبغير ياء.

يعني: فلا تَلتمِسْ منِّي مُلتَمَسًا أو التِمَاسًا لا تعلمُ أصَوَابٌ هو أم غيرُ صوابٍ حتّى تقفَ على كُنْهِه. وذكرُ المسألة دليلٌ على أن النداء كان قبلَ أنْ يغرقَ حين خاف عليه.

فإن قلتَ: لم سمِّي نداؤه سُؤالًا ولا سؤالَ فيه؟

الوجه الثاني أن يكون ﴿بِهِۦ﴾ متعلِّقًا بالمستقرّ وهو العامل فيه، كتعلّق[١] الظرف بالمعاني، كما تقول: "أليس لك فيه رضًى"، فيكون ﴿بِهِۦ﴾ في الآية بمنزلة "فيه". وحاصل هذا الوجه أنّ ﴿عِلْمٌ﴾ اسم ﴿لَيْسَ﴾، و﴿لَكَ﴾ خبره، و﴿بِهِۦ﴾ متعلِّق[٢] بالخبر.

قوله: (على كُنهه) «كُنه الشيء: غايته ونهايته. يقال: أعرفه كُنه المعرفة. ووقتُ الأمر: كُنهه أيضًا، ولا يشتقّ[٣] منه فعل. وقولهم: "لا يَكتنهه الوصف" كلام مُولَّد، أي: لا يبلغ كُنهه».[٤] وكان[٥] المصنِّف أشار بقوله: (حتّى تقف على كُنهه) إلى أنّ المراد بالعلم هنا العلم المتيقَّن. قال أبو عليّ:

> المراد بالعِلم هنا العِلم المتيقَّن الذي يُعلَم به الشيء على حقيقته، ليس العلم الذي يعلم به الشيء على ظاهره، كالذي في قوله عزّ وجلّ: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾ [الممتحنة ١٠/٦٠]، وكما يعلمه الحاكم بشهادة شاهدَين وإقرارِ المُقِرّ بما يُدَّعى عليه، ونحو ذلك ممّا يُعلَم به العِلم الظاهر الذي يَسَع[٦] الحاكمَ الحكمُ بالشيء معه.[٧]

وقوله: (حين) بدل مِن (قبل).

---

[١] ن ر: كتعليق.
[٢] د: متعلِّقًا.
[٣] ر: يسبق.
[٤] الصحاح للجوهري، «كنه».
[٥] ر: وإن كان.
[٦] ن: يسمع.
[٧] انظر: الحجّة للفارسي، ٣٤٤/٤.

قلتُ: قد تضمَّن دعاؤه معنى السؤال وإن لـم يصـرِّحْ به؛ لأنه إذا ذكر الموعدَ بنجاةِ أهله في وقتِ مشارفةِ ولده الغرقَ فقد استنْجزَ، وجَعل سؤال ما لـم يَعرِفْ كُنهَهُ جهلًا وغباوَةً، ووعَظَه أن لا يعودَ إليه وإلى أمثاله من أفعال الجاهلين.

فإن قلتَ: قد وعده أن يُنجِيَ أهله، وما كان عنده أنَّ ابنَه ليس منهم دِينا، فلمَّا أشفَى على الغَرَق تشابَه عليه الأمرُ؛ لأنَّ العِدةَ قد سبقَتْ له، وقد عَرَفَ الله حكيمًا لا يجوز عليه فعلُ القبيح وخُلفُ الميعاد، فطلب إماطةَ الشبهةِ، وطلبُ إماطة الشبهة واجبٌ، فلِمَ زُجِرَ وسُمِّي سؤالهُ جهلًا؟

قلتُ: إن الله عزَّ وعلا قدَّم له الوعدَ بإنجاء أهله مع استثناءِ مَن سَبَق عليه القولُ منهم، فكان عليه أن يَعتقد أن في جملةِ أهله مَن هو مستوجِبٌ للعذاب لكونه غيرَ صالحٍ، وأنَّ كلَّهم ليسوا بناجِين، وأنْ لا تخالجَه شبهةٌ حين شارَفَ ولده الغَرَقَ في أنه من المستثنَين لا من المستثنَى منهم، فعُوتب على أن اشتَبَه عليه ما يجب أن لا يشتَبه.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٤٧﴾

قوله: (فقد استنجز) أي: فقد طلب إنجازَ الموعد.

قوله: (ووَعَظه ألّا يعود إليه) أي: لئلا يعود إليه.

[١٠و] قوله: / (فلِمَ زُجِر) أراد قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾؛ لأنّ الوعظ هو الزجر.

قوله: (وألّا تُخالجه شُبهة) المخالجة والمنازعة بمعنًى، ويقال: تخالج في صدري منه شيء إذا شككتَ،[١] وفي كتاب عمرَ رضي الله عنه:[٢] «الفهـمَ الفهـمَ عند ما يتخالج في صدرك»،[٣] أي: يخدِش ويقع.

---

١ ن: أشككت.

٢ ن – عنه.

٣ بلفظ قريب في تاريخ المدينة لابن شبّة، ٧٧٥/٢؛ والسنن الصغرى للبيهقي، ١٣٣/٤ (٣٢٥٩)؛ ومسند الفاروق لابن كثير، ٤٣٦/٢ (٧٦١).

﴿أَنْ أَسْـَٔلَكَ﴾: من أنْ أطلبَ منك في المستقبل ما لا عِلم لي بصحَّته تأدُّبًا بأدبك واتِّعاظًا بموعظتك.

﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي﴾ ما فَرَط مِنِّي من ذلك ﴿وَتَرْحَمْنِي﴾ بالتوبة عليَّ ﴿أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ أعمالًا.

﴿قِيلَ يَـٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَـٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَـٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾﴾

وقرئ: "يا نوح اهْبُطْ" بضمِّ الباء.

﴿بِسَلَـٰمٍ مِّنَّا﴾: مُسَلَّمًا محفوظًا من جهتنا، أو: مُسَلَّمًا عليك مكرَّمًا.

﴿وَبَرَكَـٰتٍ عَلَيْكَ﴾: ومباركًا عليك. والبركاتُ: الخيراتُ الناميةُ، وقرئ: "وبركةٍ" على التوحيد.

﴿وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ يحتمِل أن تكون "مِن" للبيان، فترادَ الأممُ الذين كانوا معه في السفينة؛ لأنَّهم كانوا جماعاتٍ، أو قيل لهم أممٌ؛ لأن الأمم تتشعَّب منهم.

قوله: (تأدُّبًا) هذا مفعول له لقوله: ﴿أَعُوذُ بِكَ﴾. قوله:[١] (مسلَّمًا محفوظًا)... إلخ، على الأوّل يكون السلام جمع السلامة، وعلى الثاني بمعنى السلام مِن الله تشريفًا وتكريمًا. قال أبو عليّ الفارسيّ: «السلام أربعة أشياء: منها مصدر سلَّمت، ومنها السلام جمع السلامة، ومنها السلام اسم مِن أسماء الله تعالى، ومنها السلام شجرة. قال الأخطل:

إلّا سَـــــلامٌ وحَرْمـــــــلُ»[٢]

«الحرمل:[٣] هذا النبت[٤] الذي يُدخَن به».[٥]

---

[١] ن ر – (تأدُّبًا) هذا مفعول له لقوله: (أعوذ بك) قوله.

[٢] ر: وحرمك. | الحجّة للفارسي، ٣٥٩/٤. وبيت الأخطل بتمامه:

ورابيـة الـسَّـكران قـفـرٌ فـما بها
لـهـم شـبـحٌ إلّا سَـلام وحَـرمـلُ

وهو في ديوانه، ص ٢٠؛ وهو له في الزاهر لابن الأنباري، ٦٥/١.

[٣] ر: الحربيل.

[٤] ر: البيت.

[٥] الصحاح للجوهري، «دخن». وضبطت في مطبوعه «يدخُن».

وأن تكون لابتداء الغاية؛ أي: على أممٍ ناشئةٍ ممَّن معك، وهي الأمم إلى آخر الدهر، وهو الوجهُ.

وقوله: ﴿وَأُمَمٌ﴾ رفعٌ بالابتداء، و﴿سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ صفةٌ، والخبر محذوفٌ تقديره: وممَّن معك أممٌ سنُمتِّعهم، وإنما حُذف؛ لأن قوله: ﴿مِّمَّن مَّعَكَ﴾ يدلُّ عليه، والمعنى: أنّ السلام منَّا والبركاتِ عليك وعلى أممٍ مؤمنين يَنْشَؤون ممَّن معك، وممَّن معك أممٌ ممتَّعون بالدنيا منقلِبون إلى النار، وكان نوحٌ عليه السلام أبا الأنبياء، والخلقُ بعد الطوفانِ منه وممَّن كان معه في السفينة.

وعن محمد بن كعب القُرَظيّ: دخل في ذلك السلامِ كلُّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ إلى يوم القيامة، وفيما بعده من المتاعِ والعذابِ كلُّ كافرٍ.

وعن ابن زيد: هَبطوا واللهُ عنهم راضٍ، ثم أخرجَ منهم نسلًا منهم مَن رُحِمَ ومنهم مَن عُذِّب.

وقيل: المراد بالأمم الممتَّعةِ: قومُ هود وصالحٍ وشعيب ولوطٍ.

﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿تِلْكَ﴾ إشارةٌ إلى قصَّة نوحٍ عليه السلام، ومحلُّها الرفعُ على الابتداء والجملُ بعدها أخبارٌ؛ أي: تلك القصَّةُ بعضُ أنباءِ الغيب مُوحَاةٌ إليك مجهولةٌ عندك وعند قومك.

﴿مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾: من قبلِ إيحائي إليك وإخبارِكَ بها، أو: من قبل هذا العلمِ الذي كسبتَه بالوحي، أو: من قبل هذا الوقت.

قوله: (والمعنى أنّ السلام) أي: على هذا الوجه الثاني.

قوله: (مِن قبل إيحائي)... إلخ، يعني: يجوز أن يكون قوله: ﴿هَٰذَا﴾ إشارة إلى الوحي بدليل قوله تعالى: ﴿نُوحِيهَا﴾، أو إلى العلم لقوله تعالى:[1] ﴿تَعْلَمُهَا﴾،

---

[1] ن ر – ﴿نُوحِيهَا﴾ أو إلى العلم لقوله تعالى.

﴿فَٱصْبِرْ﴾ على تبليغ الرسالة وأذى قومِك كما صبَر نُوحٌ، وتوقَّعْ في العاقبة لك ولمن كذَّبك نحوَ ما قُيِّضَ لنوحٍ ولقومه.

﴿إِنَّ ٱلْعَـٰقِبَةَ﴾ في الفوز والنصر والغلبةِ ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾.

وقوله: ﴿وَلَا قَوْمُكَ﴾ معناه: إن قومك الذين أنتَ منهم على كثرتهم ووُفُور عددهم إذا لم يكن ذلك شأنَهم ولا سمعوه ولا عرَفوه فكيف برجلٍ منهم؛ كما تقول: "لم يَعرفْ هذا عبدُ الله ولا أهل بلده".

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿أَخَاهُمْ﴾: واحدًا منهم، وانتصابُه للعطف على ﴿أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾.

و﴿هُودًا﴾ عطفُ بيان.

و﴿غَيْرُهُۥ﴾ بالرفع: صفةٌ على محلِّ الجارّ والمجرور، وقرئ: ﴿غيرِه﴾ بالجرّ صفةً على اللفظ.

﴿أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾: تفترون على الله الكذب باتِّخاذكم الأوثانَ له شُركاء.

﴿يَـٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾﴾

أو إلى الوقت لنزول الآية في ذلك الوقت، ولكون الخطاب بهذا الكلام في ذلك الوقت، ومثلُه كثير.

قوله: (قُيِّض لنوح) أي: قُدِّر وأُتيحَ[١] ما قُيِّض لنوح هو النجاة، وما قُيِّض لقومه هو الهلاك. قال تعالى: ﴿أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾ [نوح ٧١/٢٥].

قوله: (صفة على محلّ[٢] الجارّ والمجرور) أي: صفة محمولة على محلّ الجارّ والمجرور. وقوله: (صفةً على اللفظ) أي: صفة محمولةً على اللفظ، واللام في "اللفظ" للعهد.

---

[١] ن ر: أبيح.

[٢] ن ر – محل.

ما من رسول إلّا وَاجَهَ قومَه بهذا القول؛ لأن شأنهم النصيحةُ، والنصيحةُ لا يُمحِّضُها ولا يُمحِّصُها إلا حَسْمُ المطامع، وما دام يُتوهَّم شيءٌ منها لم تَنْجَعْ ولم تَنْفَعْ.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ إذ تَرُدُّون نَصيحةَ مَن لا يطلب عليها أجرًا إلّا من الله، وهو ثوابُ الآخرة، ولا شيء أَنفَى للتُّهمة من ذلك.

﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ۝٥٢﴾

قيل: ﴿ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ﴾: آمنوا به ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ من عبادةِ غيره؛ لأنّ التوبة لا تصحُّ إلّا بعد الإيمان.

قوله: (بهذا القول) أي: لا أسألكم عليه أجرًا.[١]

قوله: (لا يُمحِّصها) محَصتُ الذهب بالنار إذا خلَّصته[٢] ممّا يشوبه.

قوله: (لأنّ التوبة لا تصحّ) متعلِّق بقوله: (قيل)، يعني: إنّما قُدِّم أمرهم بالاستغفار، أي: بالإيمان على أمرهم بالتوبة؛ لأنّ التوبة لا تصحُّ إلّا بعد الإيمان، فعلى هذا لا يكون "لأنّ" مِن المقول.[٣] ويجوز أن يكون "لأنّ" متعلِّقًا بقوله: "استغفروا ثمّ توبوا" فيكون مِن جملة المقول، فيكون المعنى قال: لهم هود: قدِّموا الاستغفار، أي: الإيمان على التوبة مِن الذنوب حتّى تُقبل توبتكم، فإنّ التوبة مِن الذنوب لا تصحّ إلّا بعد الإيمان. وعلى هذين الوجهين يكون معنى "قيل": "إنّه قال هود". وهنا وجه آخرُ وهو أن يكون المعنى: "قال المفسّرون"، أي: قالوا: معنى ﴿ٱسۡتَغۡفِرُواْ﴾: آمِنوا ومعنى ﴿تُوبُوٓاْ﴾ مِن عبادة الأوثان، ثمّ قال المصنِّف تحقيقًا لهذا القول: "إنّما فسّروه بذلك لأنّ التوبة". فقوله:[٤] "لأنّ" متعلِّق بمحذوف كما بيّنّا.

---

[١] ن ر - أجرًا.
[٢] ن: حاصيت.
[٣] ر: المفعول.
[٤] ن: قوله.

والمِدْرارُ: الكثيرُ الدُّرُور؛ كالمغزار.

وإنما قصَد استمالتَهم إلى الإيمان وترغيبَهم فيه بكثرةِ المطر وزيادة القوَّة؛ لأن القوم كانوا أصحابَ زرُوعٍ وبساتينَ وعماراتٍ حِراصًا عليها أشدَّ الحرص، فكانوا أحوجَ شيءٍ إلى الماء، وكانوا مُدِلِّين بما أوتوا من شدَّة القوَّة والبطش والبأس والنَّجْدة، مستَحْرِزينَ بها من العدوِّ، مَهِيبينَ في كلِّ ناحيةٍ.

وقيل: أراد القوَّةَ في المال.

وقيل: القوَّة على النكاح.

وقيل: حُبِسَ عنهم القَطْرُ ثلاثَ سنين وعُقِمَتْ أرْحامُ نسائهم.

وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما: أنه وَفَدَ على معاوية، فلمَّا خرج تبعه بعضُ حُجَّابه فقال: إني رجلٌ ذُو مالٍ ولا يُولد لي، فعلِّمني شيئًا لعل الله يرزُقني ولدًا، فقال: عليك بالاستغفار، فكان يُكثر الاستغفارَ حتَّى ربَّما استغفر في يوم واحد سبعَ مئةِ مرةٍ، فوُلد له عشرةُ بنين، فبلغ ذلك معاويةُ فقال:

قوله: (كالمِغزار) غزُر الماء كثُر غَزْرًا وغَزارة. وقوله: ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ﴾، أي: المطر.

قوله:[1] (استمالتَهم) الاستمالة: طلب الميل، أي: الترغيب في الشيء.

قوله: (كانوا أصحابَ)... إلخ، فيه لفّ ونشر.

قوله: (مُدِلِّين) «هو يُدِلُّ بفلان، أي: يثق به».[2]

قوله: (والبطش)... إلخ، البأس: السطوة والأخذ بالعنف. والبأس: / الشدّة في الحرب والنجدة الشجاعة.[3] [١٠ظ]

قوله: (وقيل: حُبِس)... إلخ، هذه الرواية تؤيّد أنّ المراد بالقوة القوةُ على النكاح، أي: على الوطء.

---

[1] ن ر – (كالمعزار) غزُر الماء كثُر عزرًا وغزارة وقوله: ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ﴾، أي: المطر. قوله.

[2] الصحاح للجوهري، «دلل».

[3] انظر: الصحاح للجوهري، «بأس».

هلَّا سألتَه مِمَّ قال ذلك؟ فوَفَد وفدةً أُخرَى فسأله الرجلُ، فقال: ألم تسمَعْ قولَ هودٍ عليه السلام: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ وقولَ نوح عليه السلام: ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ [نوح ١٢/٧١].

﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا﴾: ولا تُعرِضوا عنِّي وعمَّا أدعوكم إليه وأُرغِّبكم فيه ﴿مُجْرِمِينَ﴾: مُصرِّين على إجْرامكم وآثامكم.

﴿قَالُوا يَـٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ كذبٌ منهم وجحودٌ؛ كما قالت قريشٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [يونس ٢٠/١٠] مع فوتِ آياتهِ الحصرَ.

﴿عَن قَوْلِكَ﴾ حالٌ من الضمير في "تاركي آلهتنا"؛ كأنه قيل: وما نتركُ آلهتنا صادِرين عن قولك ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾: وما يصحُّ من أمثالنا أن يصدِّقوا مثلَك فيما يدعوهم إليه؛ إقناطًا له من الإجابة.

قوله: (مع فَوتِ[1] آياته الحصرَ) معنى قوله: "فوتِ[2] آياته الحصرَ" أنّ آياته[3] قد كانت في الكثرة بحيث لا يمكن أن تُحصَر، فكأنّها فوّتت الحصر على الحاصر.

قوله: (حال مِن الضمير في ﴿تَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا﴾) في ﴿تَارِكِى﴾ ضمير مستتر هو فاعله وهو نحن.

قوله: (صادرين عن قولك) «صَدَر يصدُر صَدْرًا وأصدرتُه فصَدَر، أي: رجعتُه[4] فرَجَع».[5]

قوله: (وما يصحّ من أمثالنا) استفيد هذا المعنى مِن إدخال "ما" على "نحن"، فكأنّ ذاتهم منافية لتصديقه.

قوله: (إقناطًا له) أي: قالوه إقناطًا.

---

١ ن: قوت؛ ر: قوة.
٢ ن ر: قوت.
٣ ن ر – الحصر أنّ آياته.
٤ ن: وجعلته.
٥ الصحاح للجوهري، «صدر».

﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ٥٤﴾

﴿ٱعْتَرَىٰكَ﴾ مفعولُ ﴿نَقُولُ﴾ و﴿إِلَّا﴾ لغو، والمعنى: ما نقولُ إلَّا قولَنا: ﴿ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾؛ أي: خبَّلك ومسَّك بجنونٍ لِسبِّك إيَّاها وصدِّك عنها وعداوتِك لها، مكافأةً لك منها على سوء فِعْلك بسوء الجزاء، فمِن ثَمَّ تتكلَّم بكلام المجانين وتَهْذي بهذَيان المُبرْسَمين.

وليس بعجَبٍ من أولئك أن يُسمُّوا التوبةَ والاستغفارَ خَبَلًا وجنونًا وهم عادٌ أَعْلامُ الكفر وأوتادُ الشرك، وإنما العجبُ من قومٍ من المتظاهرين بالإسلام سمعناهم يُسمُّون التائبَ من ذنوبه مجنونًا والمنيبَ إلى ربِّه مُخبَّلًا، ولم نَجِدْهم معه على عُشرٍ مما كانوا عليه في أيَّام جاهليَّته من الموادَّة، وما ذلك إلَّا لِعِرْقٍ من الإلحاد أبَى إلَّا أن يَنبضَ، وضبٍّ من الزندقة أراد أن يُطْلِعَ رأسَه.

وقد دلَّت أجوبتُهم المتقدِّمةُ على أن القوم كانوا جُفاةً غِلاظَ الأكباد لا يبالون بالبَهْتِ ولا يلتفتون إلى النُّصح، ....

قوله: (﴿ٱعْتَرَىٰكَ﴾) عراه واعتراه، أي: أتاه. والباء في ﴿بِسُوٓءٍ﴾ للتعدية.
وقوله: (أي: خبَّلك) خبَله، أي: أفسد عقله. وقوله: (بسوء الجزاء) الباء في "بسوء" متعلِّق بـ(مكافأة).

قوله: (المُبرسَمين) «البِرسام: علَّة معروفة، وقد بُرسِم الرجل فهو مُبرسَم».[1]

قوله: (أعلامُ الكفر) العَلَم: الجبل.

قوله: (مِن المتظاهِرين) تظاهر بالشيء: أظهره فِعلَ مَن لا يراه.[2]

قوله: (وضَبٍّ) الضبّ: الحقد، مستعار مِن الضبّ؛ لأنّها منبع الحقد، كالعقرب في قولهم: دبَّت إلينا عقارب فلان.

قوله: (أجوبتهم)،[3] أي: ﴿مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ الآية.

---

١ الصحاح للجوهري، «برسم».
٢ ن ر: يراد.
٣ ن: أحربتهم؛ ر: أحزبتهم.

ولا تلينُ شكيمتُهم للرُّشد، وهذا الأخيرُ دالٌّ على جهلٍ مُفْرِطٍ وبَلَهٍ مُتَناهٍ حيث اعتقدوا في حجارةٍ أنها تَنتصِرُ وتَنتقِمُ، ولعلَّهم حين أجازوا العقابَ كانوا يُجِيزون الثوابَ.

﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾﴾

من أعظم الآيات أن يواجِهَ بهذا الكلامِ رجلٌ واحدٌ أمّةً عِطاشًا إلى إراقة دمه يرمونه عن قوسٍ واحدة، وذلك لثقته بربِّه وأنه يَعصمه منهم فلا تَنْشَبُ فيه مخالبُهم، ونحوُ ذلك قال نوحٌ لقومه: ﴿ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس ٧١/١٠]، أكّد براءته من آلهتهم وشِرْكهم ووَثَّقَها بما جرَتْ به عادة الناس من توثيقهم الأمورَ بشهادةِ الله وشهادةِ العِبَاد فيقول الرجل: "اللهُ شهيدٌ عليَّ أني لا أفعلُ كذا"، ويقول لقومه: "كونوا شهداءَ عليَّ أنِّي لا أفعله".

فإن قلتَ: هلَّا قيل: إنِّي أُشْهِدُ الله وأشهدُكم؟

قلتُ: لأن إشهادَ الله على البَراءة من الشرك إشهادٌ صحيحٌ ثابتٌ في مَعنى تثبيتِ التوحيد وشدِّ مَعَاقدهِ، وأما إشهادُهم فما هو إلَّا تَهاوُنٌ بدينهم ودلالةٌ على قلَّة المبالاة بهم فحسبُ، فعُدِلَ به عن لفظ الأول لاختلاف ما بينَهما،

قوله: (شكيمتهم)،[١] أي: نفسهم الشديدة. وقوله: (وهذا الأخير) أي: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ﴾.

قوله: (مِن أعظم الآيات) أي: مِن أعظم الآيات الدالّة على نبوّته،[٢] وعلى اعتماده على عصمة الله تعالى وحفظه وكلاءته مواجهته.

قوله: (فلا تنشَب) نشب الشيء بالشيء نشوبًا علِق به.[٣] والمِخلَب:[٤] بمنزلة الظُّفر للإنسان. شبَّهم المصنِّف بالدوابّ والكلاب.

---

[١] ن: لشكتهم؛ ر: بشكيمتهم.
[٢] ن: نوثبه؛ ر: توبته.
[٣] انظر: الصحاح للجوهري، «نشب».
[٤] ن ر: وانمحلت.

وجيء به على لفظ الأمر بالشهادة كما يقول الرجلُ لمن يَبِسَ الثَّرَى بينه وبينه: "اشْهَدْ عليَّ أنِّي لا أُحبُّك" تهكُّمًا به واستهانةً بحاله.

﴿مِمَّا تُشْرِكُونَ ۞ مِن دُونِهِۦ﴾: من إشراككم آلهةً من دونه، أو: ممّا تشركونه من آلهةٍ من دونه؛ أي: أنتم تجعلونها شركاءَ له ولم يَجعَلْها هو شركاءَ، ولم يُنزل بذلك سلطانًا.

قوله: (لمَن يبس الثرى) يُبس الثرى[١] كناية عن الهجران والتصارُم،[٢] وبلُّه كناية عن الوصل. قال جرير:

فلا تُوبِسوا[٣] بيني وبينكمُ الثرى فإنّ الذي بيني وبينكم مُثري[٤]

وقوله: مُثرى مِن أثرى المطر: بلّ الثرى، أي: لم يَيْبس[٥] الثرى بيني وبينكم. لمّا كان وَصْل الأشياء بالبلّ وقطعها باليُبس استعاروا البلّ لمعنى الوصل واليبس لمعنى القطع كقول جرير،[٦] وكما قال صلى الله عليه وسلم: «بلّوا أرحامكم ولو بالسلام».[٧]

قوله: (مِن إشراككم)[٨] فـ"ما" مصدريّة. وقوله: (أو ممّا تشركونه) فـ"ما" موصولة.

قوله: (أي: أنتم تجعلونها شركاء له) فسَّر[٩] قوله: (مِن دونه) بقوله: "أي: أنتم"... إلخ، فعلى هذا يكون ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ حالًا مِن واو ﴿تُشْرِكُونَ﴾، أي: تشركون مجاوزين الله تعالى في هذا الحكم، فإنّهم[١٠] إذا حكموا بما حَكَم الله تعالى بغيره فقد جاوزوه في هذا الحكم، فمفعول ﴿تُشْرِكُونَ﴾ محذوف.[١١] وقوله: (آلهة)

---

١ ن ر – يبس الثرى.

٢ ومنه قولهم في المثل: «لا تُيبس الثرى بيني وبينك»، يُضرب في تخويف الرجل صاحبه بالهجر. مجمع الأمثال للميداني، ٢/٢٢٩.

٣ ن ر: تيوسوا.

٤ د: مُثرَى. | وأثبتُّ ما في الديوان، وروي القصيدة على الكسر، وكذلك جاء في سائر المصادر. والبيت لجرير في ديوانه، ١/٤٢١؛ وهو له في المقصور والممدود للقالي، ص ١٠٩؛ والصحاح للجوهري، «ثرى»؛ ومجمع الأمثال للميداني، ٢/٢٢٩.

٥ ن: ييبس.

٦ ن ر – البلّ لمعنى الوصل واليبس لمعنى القطع كقول جرير.

٧ شعب الإيمان للبيهقي، ١٠/٣٤٦ (٧٦٠٢)؛ واستشهد به في الصحاح للجوهري، «ثرى».

٨ ر: أسر الحكم.

٩ ر: فيسر.

١٠ ن ر: بأنهم.

١١ ن ر – في هذا الحكم فمفعول تشركون محذوف.

﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا﴾ أنتم وآلهتُكم أعْجَلَ ما تفعلون من غير إنظارٍ، فإنّي لا أبالي بكم وبكيدكم ولا أخاف معرَّتكم وإن تعاونتم عليَّ وأنتم الأقوياءُ الشِّدادُ، فكيف تضرُّني آلهتُكم وما هي إلّا جمادٌ لا تضرُّ ولا تنفع؟ وكيف تنتقمُ مني إذا نلتُ منها وصدَدْتُ عن عبادتها بأن تُخبِلني وتذهبَ بعقلي؟

﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ۝٥٦﴾

[١١و] هو المفعول المحذوف. هذا إذا كان "ما" مصدريّة. وأمّا إذا كانت موصولة / فمفعوله الضمير المحذوف العائد إلى الموصول، وقوله: (مِن آلهة) بيان له، ولذلك قال المصنِّف في الأوّل: "آلهة"[١] وفي الثاني "مِن آلهة".[٢] وقوله: (أعجَلَ) اسم التفضيل، "أعجل" نصب؛ لأنّه[٣] صفة مصدر محذوف. و(ما) بمعنى شيء، وهو عبارة عن الفعل، أي: كيدوني كيدًا أعجَلَ فعلٍ تفعلون، أي: أعجَلَ أفعالِكم. وإسناد العجلة إلى الكيد مجاز. وإنّما دلَّ على قوله: "أعجَلَ" قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾.

قوله:[٤] (مِن غير إنظار) إمّا حال مِن واو (تفعلون)،[٥] أو بدل مِن قوله: (أعجَلَ) على طريق البيان.

قوله: (فإنّي لا أبالي بكم)... إلخ، اعلم أنّ المصنِّف جعل سبب أمر هود إيّاهم بالكيد أنّه لا يبالي بآلهتهم؛[٦] لكونها جمادًا لا يضرُّ ولا ينفع. وأنا أقول: المناسب على تفسير المصنِّف قوله تعالى: ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ أن يكون ﴿فَكِيدُونِي﴾ مرتَّبًا على قوله: ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ ومسبَّبًا عنه، فكأنّه قيل: إذا كان آلهتكم ليست شركاء لله[٧] تعالى؛[٨] بل أنتم سمّيتموها شركاء فلا اعتدادَ بها ولا اعتبار لها، فلا أبالي منها، فكيدوني أنتم وشركاؤكم فلا تقدرون على مضرّتي أصلًا.

---

١ ن: آلهته.
٢ ر: لهة.
٣ ر: الآية.
٤ ن: وقوله.
٥ ر: تعقلون.
٦ ن: بآلهتكم.
٧ ن: منه.
٨ ن ر - تعالى.

ولمَّا ذكر توكُّلَه على الله وثقتَه بحفظه وكِلاءَتِهِ من كَيْدهم، وصَفَه بما يُوجِبُ التوكُّلَ عليه: من اشتمالِ ربوبيَّته عليه وعليهم، ومن كون كلِّ دابَّة في قبضته ومَلَكتِهِ وتحتَ قهره وسلطانه، والأخذُ بنواصيها تمثيلٌ لذلك.

﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ يريد أنه على طريق الحقِّ والعدل في مُلكه لا يَفوتُه ظالمٌ ولا يَضيع عنده معتصِمٌ به.

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ۝٥٧﴾

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾: فإن تتولوا.

فإن قلتَ: الإبلاغ كان قبل التولِّي فكيف وقع جزاءً للشرط؟

قلتُ: معناه: فإنْ تتولَّوا لم أُعاتَبْ على تفريطٍ في الإبلاغ، وكنتم محجوجين بأنَّ ما أُرسلتُ به إليكم قد بَلَغكم، فأبَيتُم إلَّا تكذيبَ الرسالة وعداوةَ الرسول.

قوله: (تمثيل لذلك) أي: لكون كلِّ دابَّة في قبضته ومَلَكته.

قوله: (قلتُ: معناه) الحاصل أنَّه أقيمَ السبب مُقام المسبَّب في الجزاء؛ لأنَّ الإبلاغ سبب لعدم العِتاب عليه، ولكونهم محجوجين. وأقول: الصواب في الجواب أن يقال: هذا المذكور هو علَّةُ[1] جزاء الشرط بالحقيقة، أي: تتولَّوا يعذبكم الله تعالى؛ لأنّي أبلغتكم ما أُرسلت به إليكم، وما قبلتموه[2] بعد الاطِّلاع على ذلك، فلم يبقَ لكم عذر في الاستمرار على الكفر، فلا جرَمَ يُعذبكم الله تعالى. ولذلك عُطف عليه قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾، فكأنَّه قيل:[3] إن تتولَّوا يُعذبْكم عذاب الاستئصال ويستخلف قومًا غيركم فلا يكون قوله: ﴿وَيَسْتَخْلِفُ﴾ كلامًا مستأنفًا كما ذكر المصنِّف، بل يكون متعلِّقًا بجزاء الشرط تعلّقًا ظاهرًا. تأمّل فيه يظهر لك المعنى بتوفيق الله تعالى، واحمده على ذلك،

---

١ ن ر: على.
٢ ر: قتلتموه.
٣ ر: قال.

﴿وَيَسْتَخْلِفُ﴾ كلامٌ مستأنفٌ يريد: ويُهلككُم الله ويجيءُ بقومٍ آخرين يَخْلُفونكم في دياركم وأموالكم.

﴿وَلَا تَضُرُّونَهُۥ﴾ بتولِّيكم ﴿شَيْـًٔا﴾ من ضررٍ قَطُّ؛ لأنه لا يجوز عليه المُضَارُّ والمنافعُ، وإنما تَضُرُّون أنفسكم.

وفي قراءة عبد الله: "ويَستخلِفْ" بالجزم، وكذلك: "ولا تضرُّوه"؛ عطفًا على محلِّ ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم﴾ والمعنى: إنْ تتولوا يَعْذِرْني ويَستخلفْ قومًا غيركم ولا تضرُّوا إلَّا أنفسكم.

﴿عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ﴾؛ أي: رقيبٌ عليه مهَيْمِنٌ، ....

ولا تنسَ أحمدَ[١] في أثناء دعواتك. وتمام التحقيق أنّ المعنى فإن تتولَّوا فلا[٢] تضرُّوني؛ لأنّي أبلغتُ فلا عتبَ عليّ ولا تضرُّونَ الله تعالى يستبدل[٣] قومًا غيرَكم، وإنّما تضرون أنفسكم.

قوله: ("وَيَسْتَخْلِفْ"[٤] بالجزم) القراءة بالجزم تويِّد ما ذكرنا، مِن أنّ المعنى "يُعذِّبكم" وأنّه ليس "يستخلِف" كلامًا مستأنفًا. وأمّا على القراءة بالرفع[٥] فالصواب أن يكون عطفًا على محلّ ما بعد الفاء، ولا يكون مستأنفًا لِما ذكرتُ، ومثلُه قد مرّ.[٦]

قوله: (يَعْذِرْني)[٧] فعلى هذا أيضًا أقيمَ السبب مُقام المسبَّب؛ لأنّ إبلاغه سبب للعذر، وأمّا وقوع (يستخلِفْ) و(لا تضرُّوا) جزاءً فظاهر. هذا تقرير ما ذكره المصنِّف، وأمّا على ما ذكرتُ فالمعنى: إن تتولَّوا يُهلكْكم ولا تضرُّوا أحدًا غيركم.

---

١ يعني نفسَه، رحمه الله تعالى.

٢ ن ر: ولا.

٣ ن: ليستبدل.

٤ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود والخزّاز. المغني في القراءات للنُّوزاوازي، ص ٩٩٤.

٥ وهي القراءة المشهورة، وبها قرأ العشرة.

٦ د - وأما على القراءة بالرفع فالصواب أن يكون عطفًا على محلّ ما بعد الفاء، ولا يكون مستأنفًا لِما ذكرت، ومثله قد مرّ. | وجاءت هذه الزيادة تعليقًا في هامش د.

٧ ر: يعذر في.

فما تخفَى عليه أعمالُكم، ولا يَغْفُلُ عن مؤاخَذتكم، أو: مَن كان رقيبًا على الأشياء كلِّها حافظًا لها، وكانت مفتقِرةً إلى حفظهِ من المضارِّ، لم يضرَّ مثلَه مثلُكم.

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ قيل: كانوا أربعةَ آلاف.

فإن قلتَ: ما معنى تكريرِ التنجية؟

قلتُ: ذَكَر أوَّلًا أنه حين أهلك عدوَّهم نجَّاهم، ثم قال: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ على معنى: وكانت تلك التنجيَةُ من عذابٍ غليظٍ، وذلك أن الله عزَّ وعلا بعثَ عليهم السَّمُومَ فكانت تدخل في أنوفهم وتخرج من أدبارهم فتُقطِّعهم عضوًا عضوًا.

وقيل: أراد بالثانية التنجيَةَ من عذاب الآخرة ولا عذابَ أغلظُ منه وأشدُّ.

وقوله: ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ يريد: بسبب الإيمان الذي أنعَمْنا عليهم بالتوفيق له.

﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾﴾

﴿وَتِلْكَ عَادٌ﴾ إشارةٌ إلى قبورهم وآثارهم؛ كأنَّه قال: سِيحوا في الأرض فانظُروا إليها واعتبِروا، ثم استأنف وَصْفَ أحوالهم فقال: ﴿جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ﴾؛ لأنهم إذا عصَوْا رسولهم فقد عصوا جميعَ رُسُلِ الله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة ٢/٢٨٥].

قوله: (فما تخفى عليه أعمالكم)... إلخ، على التفسير الأوّل يكون قوله: ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ متعلِّقًا بقوله: ﴿أَبْلَغْتُكُم﴾، أي: يُهلكُكم[١] ويستخلِفُ، وعلى الثاني بقوله: ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُۥ﴾. / واعلم أنّ هذا المعنى الذي ذكره المصنِّف يؤيِّد ما ذكرناه في معنى ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم﴾. [١١ظ]

قوله: (﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة ٢/٢٨٥]) استشهاد.

---

[١] ن: يهلكم.

قيل: لم يُرسَلْ إليهم إلا هودٌ وحده.

﴿كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ يريد: رؤساءهم وكبراءهم ودُعاتهم إلى تكذيب الرسل، ومعنى اتِّباع أمرهم: طاعتُهم، ولمَّا كانوا تابعين لهم دون الرسل جُعلت اللعنة تابعةً لهم في الدارين تَكُبُّهم على وجوههم في عذاب الله.

﴿وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ۝٦٠﴾

و﴿أَلَآ﴾ وتكرارُها مع النداء على كفرهم والدعاءِ عليهم تهويلٌ لأمرهم وتفظيعٌ له، وبعثٌ على الاعتبارِ بهم والحذرِ من مثل حالهم.

فإن قلتَ: ﴿بُعْدًا﴾ دعاءٌ بالهلاك، فما معنى الدعاءِ به عليهم بعد هلاكهم؟

قلتُ: معناه: الدلالةُ على أنهم كانوا مستأهِلِين له، ألا ترى إلى قوله:

إخوتي لا تَبْعَدوا أبدًا ... وبلى واللهِ قد بَعِدوا

﴿قَوْمِ هُودٍ﴾ عطفُ بيان لـ"عادٍ".

فإن قلتَ: ما الفائدةُ في هذا البيانِ والبيانُ حاصلٌ بدونه؟

قلتُ: الفائدةُ فيه: أن يوسَموا بهذه الدعوة وَسْمًا وتُجعلَ فيهم أمرًا مُحقَّقًا لا شبهةَ فيه بوجهٍ من الوجوه؛ ....

قوله: (ودعاتَهم) الدُّعاة جمع الداعي، كالقُضاة جمع القاضي.[1]

قوله: (تابعين لهم) أي: لكلِّ جبّار.

قوله: (إخوتي لا تبعَدوا) البيت،[2] أي: كانوا في حال حياتهم مستأهِلين؛ لأنّ يقال لهم: "لا تبعَدوا"، ثمّ قال: ومع استئهالهم لذلك[3] الدعاء قد بعِدوا.

---

١ ن: كالفاضي.

٢ البيت لفاطمة بنت الأحجم بن دندنة الخزاعية في شرح الحماسة لأبي القاسم الفارسي، ٤١٦/٢. انظر تفصيل الكلام عليه في شرح أبيات المغني للبغدادي، ٢٣٠/٤.

٣ ن – ذلك؛ ر: لك.

ولأنّ عادًا عادان: الأولى القديمةُ التي هي قومُ هود والقصةُ فيهم، والأخرى إِرَمُ.

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾

﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾: لم يُنْشئكم منها إلّا هو، ولم يَسْتَعْمِرْكم فيها غيرُه، وإنشاؤهم منها: خلقُ آدمَ من التراب.

قوله: (ولأنّ[١] عادًا عادان) عاد الأولى،[٢] هي عاد[٣] بن إرم بن سام[٤] بن نوح، وعاد الآخرة[٥] قوم لِتيَم بن هذّال[٦] بن هَذْيَم.

قوله: (والأخرى إرم) فيه نظر، والظاهر أن الأولى إرم، يدلُّ عليه قول المصنِّف في سورة الفجر:

> قيل لعَقِب عاد بن عوص[٧] بن إرَم بن سام بن نوح: عاد، كما يقال لبني هاشم: هاشم، ثمّ قيل للأوّلين منهم: عاد الأولى[٨] وإرم، تسميةً لهم باسم جدِّهم ولمَن بعدهم عاد الأخيرة. قال ابن الرُّقيّات:[٩]
>
> مـجـدًا تـلـيـدًا بـنـاه أوّلـه ... أدرك عـادًا وقبلهـا إرَمـا[١٠]
>
> فـ"إرَم" في قوله: ﴿بِعَادٍ ۝ إِرَمَ﴾ [الفجر ٨٩/٦-٧] عطف بيان ﴿لِعَادٍ﴾، وإيذانٌ بأنّهم عاد الأولى القديمة.[١١]

وقال الواحدي في الوسيط: «عادان: فالأولى هي إرَم، وهي التي قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾ [النجم ٥٣/٥٠]».[١٢]

قوله: (إلّا هو)، يعني أنّ قوله: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم﴾ مِن التقديم المفيد للحصر، لا مِن الابتدائيّ المفيد للتأكيد.

---

١ ن ر: فلأن.
٢ ر: لولي.
٣ سيأتي أنّه عاد بن عوص بن إرَم.
٤ ر: حام.
٥ ن ر: للآخرة.
٦ ر: هداك.
٧ ن ر: عوض.
٨ ر: لأولي.
٩ ر: الرهاب.
١٠ البيت لعُبيد الله بن قيس الرُّقيّات في ديوانه، ص ١٥٥.
١١ الكشّاف للزمخشري، (الفجر، ٨٩/٦-٧).
١٢ الوسيط للواحدي، ٤/٤٨١ (الفجر، ٨٩/٦).

﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ﴾: وأمَرَكم بالعِمارة، والعمارةُ متنوِّعةٌ إلى واجبٍ وندبٍ ومباحٍ ومكروه.

وكان ملوكُ فارسَ قد أكثروا من حَفْر الأنهار وغرسِ الأشجار وعُمِّروا الأعمارَ الطِّوال مع ما كان فيهم من عَسْفِ الرَّعايا، فسأل نبيٌّ من أنبياء زمانهم ربَّه عن سببِ تعميرهم، فأوحى إليه: إنهم عَمَروا بلادي فعاشَ فيها عبادي.

وعن معاوية بنِ أبي سفيان: أنّه أخذ في إحياءِ أرضٍ في آخرِ أمره، فقيل له، فقال: ما حملني عليه إلّا قولُ القائل:

ليس الفتى بفتًى لا يُستضاءُ به ولا تكونُ له في الأرض آثارُ

قوله: (والعِمارةُ متنوِّعة) لِما ذكر أنّ معنى ﴿ٱسْتَعْمَرَكُمْ﴾ أمركم،[١] بيّن هذا المعنى وقرّره بأنّ بعض العِمارة واجب وبعضها مندوب فيكون مأمورًا بها. وقوله: (إلى واجبٍ) وهو القدر الذي يقي مِن الحرّ والبرد الموذيين في البناء، وأمّا في الزراعة فالقدر الذي تندفع به الحاجة إلى المأكولات. وقوله: (ونَدْب) كإحياء المَوات[٢] وبناء المساجد والمدارس والرباطات. وقوله: (ومُباح)[٣] وهو الزائد على قدر الحاجة ممّا ليس فيه إسراف يؤدّي إلى الخُيلاء. وقوله: (وكان ملوك فارس)[٤] هذه الحكاية تدلّ[٥] على أنّ العمارة تكون واجبةً أو مستحقّة.

قوله: (عن سبب تعميرهم) وهو إطالة العمر.

قوله: (أنّه آخذ في إحياء الأرض) قيل: كان رجل كبير السنّ يشتغل بإحياء المَوات مِن الأراضي فقيل له في ذلك، فقال: أحيا غيرُنا الأرض فانتفعنا بها، فنحن أيضًا نُحيي الأرض فينتفع بها غيرنا.

قوله: (قولُ القائل) هو أبو[٦] زبيد الطائيّ:

(ليس الفتى[٧] بفتًى) البيت[٨]

---

١ ن ر: أمرهم.

٢ ن: المولت.

٣ ر: ومناخ.

٤ ن: فأرسل.

٥ ر + تدل.

٦ ن ر: بو.

٧ ر: الغني.

٨ ما وجدتُ البيت في ديوان أبي زبيد الطائي. وهو للأسدي في ربيع الأبرار للزمخشري، ١/٢١١؛ ولحاجب بن زرارة في الدرّ الفريد لابن أيدمر، ٩/١٥٤؛ وهو بلا عزو في الشعر والشعراء لابن قتيبة، ١/٨٧.

وقيل: "استعمركم" من العُمر، نحو "استبقاكم" من البقاء.

وقد جُعل من العُمْرَى، وفيه وجهان:

أحدهما: أن يكون "استعمر" في معنى: أعمَرَ؛ كقولك: استهلكه، في معنى: أهلكه، ومعناه: أَعْمَرَكم فيها ديارَكم ثم هو وارثُها منكم عند انقضاءِ أعماركم.

والثاني: أن يكون بمعنى: جَعلكم مُعمِّرين دياركم فيها؛ لأن الرجل إذا ورَّث دارَه مَن بَعْدَه فكأنَّما أعمره إيَّاها؛ لأنَّه يسكنها عمرَه ثم يتركُها لغيره.

﴿قَرِيبٌ﴾: داني الرحمة ....

يقرُب منه قول القائل:

إنّ آثارنا تدلُّ علينا فانظروا بعدنا إلى الآثارِ[١]

قوله: (مِن العمر)، يعني: عمّركم،[٢] بمعنى: أبقاكم وطوّل عمركم.

قوله:[٣] (ومعناه: أعمَرَكم) يقال: «أعمرتُه دارًا أو أرضًا أو إبلًا، إذا أعطيتَه[٤] إيّاها وقلتَ: "هي لك عمري أو عمرك"، فإذا متُّ رجعَتْ إليّ. قال لبيد:

وما المالُ إلّا / مُعمَراتٌ ودائعُ[٥] [١٢و]

والاسم العُمْري».[٦]

قوله: (والثاني: أن يكون) فعلى الوجه الثاني يكون معنى ﴿ٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ﴾: طلب منكم الإعمار.[٧]

---

١ ما عرفت قائله. وهو بلا عزو في الدرّ الفريد لابن أيدمر، ٣٩٩/٤.

٢ ر: نعمركم.

٣ ن – (مِن العمر) يعني عمَّركم بمعنى أبقاكم وطوَّل عمركم قوله.

٤ ر: أعطيت.

٥ عجز بيت للبيد، أوّله:
وما البِرّ إلّا مضمراتٌ مِن التقى
وهو في ديوانه، ص ١٦٩؛ وهو له في الشعر والشعراء لابن قتيبة، ٢٧٠/١؛ والصحاح للجوهري، «عمر».

٦ الصحاح للجوهري، «عمر». وضُبطت الميم من "العمري" بالفتحة في د.

٧ ن: الإعمال.

سهلُ المطلب ﴿مُجِيبٌ﴾ لمن دعاه وسأله.

﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾﴾

﴿فِينَا﴾: فيما بيننا ﴿مَرْجُوًّا﴾: كانت تلوحُ فيك مخائلُ الخيرِ وأَمَاراتُ الرُّشد فكنَّا نرجوك لننتَفِعَ بك وتكونَ مشاوَرًا في الأمور ومسترشَدًا في التدابير، فلمَّا نطقْتَ بهذا القولِ انقطَع رجاؤنا عنك وعلِمْنا أنْ لا خيرَ فيك.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: "فاضلًا خيِّرًا نُقدِّمُك على جميعنا".

وقيل: "كنَّا نرجو أن تَدخلَ في دِيننا وتُوافِقَنا على ما نحن عليه".

﴿يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ حكايةُ حالٍ ماضيةٍ.

﴿مُرِيبٍ﴾ من أرابَه: إذا أوقعه في الرِّيبة وهي قلقُ النفس وانتفاءُ الطمأنينة

قوله: (سهلُ المَطلَب) يجوز أن يكون المَطلَب مصدرًا بمعنى الطلب،[1] ولمّا كان رضى الله تعالى يحصل[2] بأدنى الطلب ولا يُحتاج إلى طلب فيه اعتمال واكتساب[3] قال: "هو سهل الطلب"، كقول الشاعر:

الله أنجَحُ ما طلبتَ به[4]

أي: أيسر[5] حصولًا[6] مِن جميع ما طلبتَه، على أنّ "أنجَح" مِن النُّجح. والباء زائدة. ويجوز أن يكون المَطلَب اسم مكان، والمراد بطريق طلبه: الأمور[7] التي يباشرها العباد في طلب رضاه ورحمته.

قوله: (مسترشدًا) المسترشد: الذي يطلب منه الرُّشد.

---

[1] ن ر – يجوز أن يكون المطلب مصدر بمعنى الطلب.

[2] ر: تحصيل.

[3] ر: النشاب.

[4] البيت لامرئ القيس وتمامه:
والبِرّ خيرُ حقيبة الرحلِ
وهو في ديوانه، ص ٢٣٨؛ وله في الشعر والشعراء لابن قتيبة، ١/١١٥؛ وأساس البلاغة للزمخشري، «حقب».

[5] ن ر + به.

[6] ر + حصولًا.

[7] ن ر: للأمور.

باليقين، أو من أرَابَ الرجلُ: إذا كان ذا ريبةٍ، على الإسناد المجازي.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾﴾

قيل: ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ بحرفِ الشكِّ -وكان على يقينٍ أنه على بيّنةٍ-؛ لأن خطابه للجاحدين فكأنّه قال: قدِّروا أنّي على بيّنةٍ من ربّي وأني نبيٌّ على الحقيقة وانظروا إنْ تابَعْتُكم وعصَيْتُ ربّي في أوامره فمَن يمنعُني من عذاب الله.

﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي﴾ إذَنْ حينئذٍ ﴿غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ يعني: تخسّرون أعمالي وتُبطلونها، أو: فما تزيدونني بما تقولون لي وتحمِلونني عليه غير أن أُخَسِّرَكم؛ أي: أَنْسُبَكم إلى الخسران وأقولَ لكم: إنكم خاسرون.

﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾﴾

﴿ءَايَةً﴾ نصبٌ على الحال قد عملَ فيها ما دلَّ عليه اسمُ الإشارة من معنى الفعل.

قوله: (باليقين)[1] الباء متعلق بمحذوف، أي: الطمأنينة الحاصلة باليقين.

قوله: (على الإسناد المجازيّ)؛ لأنّ وصف الشكّ بالرِّيبة[2] يكون مجازًا.

قوله: (إذن) جواب وجزاء، ومعناه قريب[3] مِن فاء السببيّة، فلذا أورد قوله: "إذن" وأمّا (حينئذٍ) فمعناه: على تقدير متابعتكم وعصيان ربي.

قوله: (بما[4] تقولون) في مقابلة[5] قوله أوّلًا: إذن حينئذٍ، وحاصل المعنى الأوّل: إن قبلتُ قولكم وتابعتكم فيما تقولون فما تزيدونني إلّا تخسير الأعمال وإبطالها، والمعنى الثاني: إنّ قولكم هذا لا يجديكم شيئًا إلّا أن أنسُبكم إلى الخسران.

---

١ ر: بالتعين.
٢ ن: بالرتبة.
٣ ن ر: قويت.
٤ ن: ما.
٥ ن ر: منائله.

فإن قلتَ: فبِمَ يتعلَّقُ ﴿لَكُمْ﴾؟

قلتُ: بـ﴿ءَايَةً﴾ حالًا منها متقدِّمةً؛ لأنها لو تأخرتْ لكانت صفةً لها فلمَّا تقدَّمت انتَصبتْ على الحال.

﴿عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾: عاجلٌ لا يَستأخِرُ عن مَسِّكم لها بسوءٍ إلا يسيرًا، وذلك ثلاثةَ أيام ثمّ يقعُ عليكم.

﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ۝٦٥﴾

﴿تَمَتَّعُوا﴾: استمتِعوا بالعيش ﴿فِي دَارِكُمْ﴾: في بلدكم، وتُسمَّى البلادُ الديارَ؛ لأنه يُدارُ فيها؛ أي: يُتصرَّفُ، يقال: "ديارُ بكرٍ" لبلادهم، وتقول العرب الذين حوالَيْ مكّة: "نحن مِن عرب الدار" يريدون: من عرب البلد.

وقيل: في دار الدنيا.

قوله: (قلتُ: بـ﴿ءَايَةً﴾[١] حالًا) على ما ذكره يلزم أن يكون الحال وقع ذا الحال، ومثل ذلك لم يُسمَع في الأصول. وهنا وجه آخر ظاهر لم يذكره المصنِّف، وهو أن يكون ﴿لَكُمْ﴾ حالًا عمِل فيها معنى الإشارة، و﴿ءَايَةً﴾[٢] حال مِن الضمير المستتر فيه.

قوله: (ثمّ يقع عليكم) عطف على قوله: (لا يستأخر)... إلخ، فكأنّه قيل: يستأخر قليلًا.

قوله: (حوالَي مكّة) «يقال: قعدوا حَوْلَه وحَوالَه[٣] وحَواليه وحَوْلَيه. ولا تقل: "حَوالِيه" بكسر اللام».[٤]

قوله: (مِن عرب البلد) وهو مكّة.

قوله: (وقيل: في[٥] دار الدنيا) إنّما أضافها[٦] إليهم إشارة إلى أنّ[٧] دارهم هي الدنيا لا الآخرة؛ لأنّ الآخرة دار المتقين: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ

---

١ ر: بأنّه.
٢ ر: وأنّه.
٣ ر: حواله.
٤ الصحاح للجوهري، «حول».
٥ ن: مِن.
٦ ر: أوصافها.
٧ ن - أنّ.

وقيل: عقَروها يوم الأربعاء وهلكوا يوم السبت.

﴿غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾: غيرُ مكذوبٍ فيه، فاتُّسِعَ في الظرف بحذفِ الحرفِ وإجرائه مُجرى المفعول به؛ كقولك: "يومٌ مشهود" من قوله:

ويـــــــــومٍ شَـــــهِـــــدْنـــــاه

أو على المجاز؛ كأنه قيل للوَعْد: "نَفِي بك" فإذا وُفِيَ به فقد صُدِق ولـم يُكذَبْ.

أو: وعدٌ غيرُ كَذِبٍ، على أن المكذوبَ مَصْدرٌ كالمجلود والمعقول، وكالمصدوقة بمعنى الصدق.

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ﴾ قرئ مفتوحَ الميم؛ لأنه مضافٌ إلى "إذْ" وهو غيرُ متمكِّنٍ؛ كقوله:

عـلـى حـيـنَ عـاتـبـتُ الـمشـيـب

عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص ٨٣/٢٨]. أو أضافها[١] إليهم؛ لأنّها دارهم لا دار المؤمنين؛ لأنّها جنّة الكافر وسجن المؤمن.

قوله:

(ويـــــــــومٍ شـــــهـــــدنـــــاه)

تمامه:

سُـــلـــيـــمًـــا وعـــامـــرًا قليلٍ سوى الطعنِ الدِّراك[٢] نوافلُه[٣]

الدِّراك: المتتابع. والنافلة: العطيّة إذا كانت تطوُّعًا.

---

[١] ر: أوصافها.

[٢] ر: الدارك.

[٣] البيت لرجل من بني عامر في كتاب سيبويه، ١٧٨/١؛ وهو بلا عزو في مجمع الأمثال للميداني، ١٢/١؛ والمفصّل للزمخشري، ص ٨٢؛ وأمالي ابن الشجري، ٧/١.

فإن قلتَ: علامَ عُطِف؟

قلتُ: على ﴿نَجَّيۡنَا﴾؛ لأن تقديره: ونجّيناهم من خزيٍ يومئذٍ؛ كما قال: ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [هود ٥٨/١١] على: وكانت التنجيَةُ من خزيِ يومئذٍ؛ أي: من ذُلِّهِ ومهانتِه وفضيحته، ولا خزيَ أعظمُ من خزيِ مَن كان هلاكُه بغضبِ الله وانتقامِهِ.

ويجوز أن يريد بـ﴿يَوۡمِئِذٍ﴾: يومَ القيامة؛ كما فُسِّر العذابُ الغليظُ بعذابِ الآخرة.

﴿كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّثَمُودَ ٦٨﴾

وقرئ: ﴿ألا إن ثمودًا﴾ و: ﴿لثمودٍ﴾ كلاهما بالصرف وامتناعه، فالصَّرفُ للذهابِ إلى الحيِّ أو الأبِ الأكبر، ومَنْعُه للتعريف والتأنيث بمعنى القبيلة.

قوله:

(علـــى حيـــنَ عاتبـــتُ المشـــيبَ)

تمامه:

عـــلـــى الـــصِّـــبـــا وقلتُ ألمّا[1] تَصحُ والشيبُ وازعُ[2]

يريد أنّه لمّا عَرَف[3] الدِّيار التي كان حلّ بها وتذكّر مَن كان يهواه فيها بكى وعاوده وَجْده، فعاتب[4] نفسه على صبابتها وعَذَلها على بكاها، ثمّ خاطب نفسه فقال: "ألمّا[5] تَصْحُ" يوبِّخ نفسه ويقول: قد آن لك أن تصحو ويزول عنك ما كنتَ تجده ممّن كنت تهواه. والشيبُ[6] وازع، أي: كافٌّ عن أمثال هذا الفعل / الذي تفعله. [١٢ظ]

قوله: (فإن قلتَ: علامَ عطف؟) أي: ﴿وَمِنۡ خِزۡيِ﴾.

---

١ ر: إنّما.

٢ البيت للنابغة الذبياني في ديوانه، ص ٣٢؛ وهو له في كتاب سيبويه، ٣٣٠/٢؛ وأمالي ابن الشجري، ٦٠١/٢. وفي الأوّلين «أصحُ» مكان «تصحُ».

٣ ن: أعرف.

٤ ر: فغابت.

٥ ن ر: إنّما.

٦ ر: والسبب.

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًاۖ قَالَ سَلَٰمٌۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ٦٩﴾

﴿رُسُلُنَا﴾ يريد الملائكةَ:

عن ابن عباس: جاءه جبريل عليه السلام وملَكان معه.

وقيل: جبريل وميكائيل وإسرافيل.

وقيل: كانوا تسعةً، وعن السُّدِّي: أحد عشر.

﴿بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ هي البشارةُ بالولد، وقيل: بهلاك قوم لوط. والظاهرُ الوَلَدُ.

﴿سَلَٰمًا﴾: سلَّمنا عليك سلامًا.

﴿سَلَٰمٌ﴾: أمرُكم سلام.

قوله:[١] (﴿سَلَٰمًا﴾ سلَّمنا) قال أبو عليّ الفارسي:

أمّا[٢] انتصاب قوله: ﴿سَلَٰمًا﴾ فإنّه لم يحكِ[٣] شيئًا تكلَّموا [به][٤] فيُحكى كما تحكى الجُمَل؛ ولكن هو معنى ما تكلّمت به الرسل، كما أنّ القائل إذا قال: "لا إله إلّا الله"، فقلتَ: "قلتَ حقًّا" أو "قلتَ إخلاصًا" أعملتَ القول في المصدرين؛ لأنّه[٥] ذكرتَ معنى ما قال ولم تحكِ نفس الكلام الذي هو جملة تُحكى، وكذلك نصب ﴿سَلَٰمًا﴾ لمّا كان معنى ما قيل: ولم يكن نفس المقول بعينه. وأمّا قوله: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ﴾ فهو مرفوع؛ لأنّه مِن جُملة الجملة المحكيّة، والتقدير فيه:[٦] "سلامٌ عليكم" فحذف الخبر.[٧]

هذا كلامه. وأنا أقول: فعلى ما ذكره يكون ﴿سَلَٰمًا﴾ في محلّ المصدر، أي: قولًا سلامًا بمعنى ذا[٨] سلامة.

---

١ ن ر – فإن قلت: علام عطف أي: ومن خزي قوله.

٢ ر: ما.

٣ ر: بخل.

٤ د ن ر – به. | وزدتها من مطبوع الحجّة.

٥ ن: لأنّك.

٦ ن – فيه؛ ر – سلامًا فهو مرفوع لأنّه مِن جملة الجملة المحكيّة والتقدير فيه.

٧ انظر: الحجّة للفارسي، ٤/٣٦٠-٣٦١.

٨ ر: دل.

وقرئ: "فقالوا سِلْمًا قال سلْمٌ" بمعنى السلام، وقيل: سِلْمٌ وسلامٌ كحِرْمٍ وحرامٍ، وأُنشد:

مـرَرْنـا فقلنا إيـهِ سِـلْـمٌ فسَلَّمَتْ كما اكْتَـلَّ بالبرقِ الغمامُ اللَّوائحُ

﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ﴾: فما لبث في المجيء به بل عَجِلَ فيه، ....

قوله: (وقرئ: "فقالوا سِلْمًا") الصواب: "قالوا سِلْمًا"،[١] بغير فاء؛ لأنّ الاختلاف[٢] في القراءة إنّما هو في السِّلم والسَّلام، ولا خلاف في عدم الفاء.

قوله: (مررْنا) البيت.[٣] (إيهِ) «اسم فعل سُمِّي به الفعل؛ لأنّ معناه الأمر،[٤] تقول للرجل: إذا استزدته مِن حديث[٥] أو عمل: "إيهِ" بكسر الهاء».[٦] والتأييه[٧] أن تدعو أحدًا وتقول: "إيهِ إيهِ"،[٨] ونظيره التأفيف في قولهم: "أفّ". ويقال:

إيـــــهِ عـــــن أمّ ســـــالم[٩]

أي: حدِّثنا بحديث أمّ سالم.[١٠]

والمعنى بقوله: (كما[١١] اكتلّ)[١٢] ردّت[١٣] الجواب بالبشاشة والطلاقة مثل البرق اللامع، فسلامُها كانت مع البشاشة والطلاقة، أو المعنى: ما تلفّظت بشيء

---

١ ن – بمعنى ذا سلامة. قوله: (وقرئ: "فقالوا سِلْمًا") الصواب "قالوا سِلْمًا". | قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن أبي ليلى. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٩٩٥.

٢ ر: الإخلاف.

٣ يُنسب إلى ذي الرُّمّة، وهو في ملحق ديوانه، ١٨٥٩/٣. وذكر الفرّاء أنّ بعض العرب أنشده إيّاه. انظر: معاني القرآن للفرّاء، ٢١/٢؛ وجامع البيان للطبري، ٤٦٦/١٢ (هود، ١١/٦٩)؛ وهو بلا عزو في شرح التسهيل لابن مالك، ٩٩/٢.

٤ ر: للأمر.

٥ ر: حيث.

٦ الصحاح للجوهري، «أيه».

٧ ن ر: والثانية.

٨ ن – إيه. | من قوله:

٩ طرف بيت لذي الرُّمّة، وهو بتمامه:

وقفنا فقلنا إيـهِ عـن أمّ سـالم
ومـا بـالُ تسليم البلاد البلاقعِ

وهو في ديوانه، ٧٧٨/٢؛ وهو له في إصلاح المنطق لابن السكّيت، ص ٢٩١؛ وسرّ صناعة الإعراب لابن جنّي، ٤٩٤/٢؛ والصحاح للجوهري، «أيه».

١٠ ر – أي: حدِّثنا عن أم سالم.

١١ ر – كما.

١٢ البيت في ملحق ديوان ذي الرُّمّة، ١٨٥٩/٣. وقال الفرّاء في معاني القرآن، ٢١/٢: «وأنشدني بعض العرب». وهو بلا عزو في شرح التسهيل لابن مالك، ٩٩/٢.

١٣ ر + أي: حديثًا بحديث أم سالم والمعنى بقوله: كما أقبل ردت.

أو: فما لبث مجيئُه.

و"العجلُ": ولد البقرة، ويسمَّى: الحَسِيلَ والخَبَش بلغةِ أهل السَّراة، وكانَ مالُ إبراهيم البقَرَ.

﴿حَنِيذٍ﴾: مشويّ بالرَّضْفِ في أخدودٍ.

وقيل: ﴿حَنِيذٍ﴾: يَقطُر دَسَمُه من حَنَذْتُ الفرس: إذا ألقيتَ عليها الجُلَّ حتى تَقْطُرَ عرَقًا، ويدل عليه ﴿بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ [الذاريات ٥١/٢٦].

﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾﴾

يقال: نكِرَه وأنْكَرهُ واستَنْكَرَهُ، ومنكورٌ قليلٌ في كلامهم، ....

ولكن أظهرت البشاشة والطلاقة،[١] فقام ذلك ههنا مقامَ السلام. «واكتلَّ الغمام بالبرق، أي: لَمَع».[٢]

قوله: (أو: فما لبث)، يعني: يجوز أن يكون في الكلام إضمار، أي: فما لبث إبراهيم في أن جاء أو يكون ﴿أَن جَآءَ﴾ فاعل ﴿لَبِثَ﴾ فلا ضمير في ﴿لَبِثَ﴾.

قوله: (السَّراة) بلاد اليمن، وهم أفصح الناس.

قوله: (بالرَّضْف)[٣] «الرَّضْف: الحجارة المُحْماة».[٤] وفي الحديث: كان النبيّ عليه السلام[٥] إذا قام إلى الثانية قام كأنّه على الرَّضْف.[٦] يعني: يكون قعوده لجلسة الاستراحة زمانًا قليلًا.

قوله: (ومنكور)، يعني: لم يُستعمَل في اسم المفعول منه إلّا المُنكَر أو المُستنكَر غالبًا.

---

١ ن – أو المعنى ما تلفظْت بشيء ولكن أظهرت البشاشة والطلاقة.

٢ الصحاح للجوهري، «كلل».

٣ ر: الرضف.

٤ الصحاح للجوهري، «رضف».

٥ ن: صلّى الله عليه وسلّم.

٦ الحديث بلفظ قريب في مسند أحمد، ١٦٨/٦ (٣٦٥٦)؛ وسنن أبي داود، ٢٣٧/٢ (٩٩٥)؛ وسنن الترمذي، ٤٧٥/١ (٣٦٦).

وكذلك: أنا أَنْكُرُك؛ ولكن مُنْكَرٌ ومستَنْكَرٌ وأُنكِرُك، وقال الأعشى:

وأَنْكَرَتْني وما كان الذي نَكِرَتْ   من الحوادثِ إلّا الشيبَ والصَّلَعَا

قيل: كان ينزل في طرفٍ من الأرض فخافَ أن يريدوا به مكروهًا.

وقيل: كانت عادتُهم أنه إذا مسَّ مَن يَطرُقهم طعامَهم أمِنُوه وإلّا خافوه، والظاهر أنه أحسَّ بأنهم ملائكةٌ ونكِرَهم؛ لأنه تخوَّف أن يكون نزولُهم لأمرٍ أنكره الله عليه، أو لتعذيبِ قومه، ألا ترى إلى قولهم: ﴿لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ﴾، وإنما يقال هذا لمَن عرفهم ولم يَعرِفْ فيمَ أُرسلوا.

فأوجس: فأضمرَ، وإنَّما قالوا: ﴿لَا تَخَفۡ﴾؛ لأنهم رأوا أثرَ الخوف والتغيُّر

قوله: (وكذلك أنا أنكُرك) فهذا ممّا استُعمل ماضيه دون مضارعه إلّا قليلًا، فهو ضدّ يدع ويذر.

قوله: (والصَّلَعا)[1] الصلَع: انحسار[2] شعر مقدَّم الرأس،[3] يعني: لم تنكر منّي إلّا أن شبتُ وانحسر شعر رأسي.

قوله: (في طرفٍ) بعيد عن الناس منقطع عن الجيران.

قوله: (أو لتعذيب قومه) كأنّه قال: لتعذيبه، أو لتعذيب قومه.[4]

قوله: (ألا يُرى)... إلخ، حاصل الوجهين الأوّلين[5] أنّه لم يعلم أنّهم ملائكة وخافهم لِما ذَكَر، وحاصل الوجه الثالث أنّه علِم أنّهم ملائكة لكن خاف أن يكون نزولهم لتعذيبه / أو لتعذيب قومه. [١٣و]

قوله: (فأوجس: فأضمر) صوابه: "﴿وَأَوۡجَسَ﴾: وأضمر" في تفسيره، كما هو في القرآن.

---

[1] ديوان الأعشى، ص ١٠١؛ وهو له في مجاز القرآن لأبي عبيدة، ١/٢٩٣؛ وقال أبو عبيدة بعد إنشاده البيت: «قال أبو عبيدة: قال يونس، قال أبو عمرو: أنا زدت هذا البيت في شعر الأعشى إلى آخره، فأتوب إلى الله منه».

[2] ن: الحسار.

[3] انظر: الصحاح للجوهري، «صلع».

[4] ر – كأنّه قال: لتعذيبه، أو لتعذيب قومه.

[5] ر: الأوان.

في وجهه، أو عرَفوه بتعريف الله، أو علِموا أن علمَه بأنهم ملائكةٌ مُوجِبُ الخوف؛ لأنهم كانوا لا ينزلون إلّا بعذاب.

﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١﴾

﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ﴾ قيل: كانت قائمةً وراء السِّتر تسمع تحاوُرَهم، وقيل: كانت قائمةً على رؤوسهم تخدمُهم. وفي مصحف عبد الله: "وامرأتُه قائمةٌ وهو قاعدٌ".

﴿فَضَحِكَتۡ﴾ سرورًا بزوال الخِيفة، أو بهلاكِ أهل الخبائث، أو كان ضِحْكُها ضِحْكَ إنكارٍ لغفلتهم وقد أظلَّهُم العذابُ.

وقيل: كانت تقول لإبراهيم: أَضْمُم لوطًا ابنَ أخيك إليك فإني أعلمُ أنه ينزل بهؤلاء القوم عذابٌ، فضحكَتْ سرورًا لمَّا أتى الأمرُ على ما توَهَّمَتْ.

وقيل: ﴿فَضَحِكَتۡ﴾: فحاضت.

وقرأ محمد بن زيادٍ الأعرابيُّ: "فضَحَكَتْ" بفتحِ الحاء.

﴿يعقوبُ﴾ رفعٌ بالابتداء؛ كأنَّه قيل: ومن وراء إسحاقَ يعقوبُ مولودٌ أو موجودٌ؛ أي: من بعده.

وقيل: الوَراء: ولدُ الولد؛ وعن الشعبي: أنه قيل له: "أهذا ابنُك؟" ....

قوله: (في وجهه) أي: وجه إبراهيم.

قوله: (علمَه) أي: علمَ إبراهيم.

قوله: (وقيل: الوراء: ولد الولد) وجه هذا التفسير أن يُراد بيعقوب أولاده، كما يقال: "هاشم" ويراد أولاده، ويمكن[1] أن يقال: تفسير الوراء بمعنى ولد الولد ههنا إنّما هو على طريقة يعقوب نصبًا، فكأنّه قيل: ووهبنا له يعقوب مِن جهة الوراء، أي: مِن جهة أنّه[2] وراء إبراهيم، ثمّ أضيفَ الوراء إلى إسحاقَ؛

[1] ن: ومكن.

[2] ن ر – أنّه.

فقال: "نَعَم، من الوراء". وكان ولدَ ولدِه.

وقرئ: ﴿يَعْقُوبَ﴾ بالنصب؛ كأنه قيل: ووهَبْنا لها إسحاقَ ومن وراء إسحاقَ يعقوبَ، على طريقة قوله:

لأنّه وإن كان وراء إبراهيمَ لكنّه[1] حَصَل ووُلِد مِن إسحاق، فلهذه الملابسة أضيفَ إلى إسحاق، فإنّ الإضافة تكون لأدنى[2] ملابسة.

قوله: (فقال: نعم) أي: نعم هو ابني،[3] لكن مِن جهة أنّه ولد ولدي، وإذا كان ولد ولدي فكأنّه ولدي، أي: ابني.

قوله: (على طريقة قوله)؛ وذلك لأنّه عدل فيهما عن ظاهر ما قيل إلى ما يجوز أن يقال، وإلّا فهو بالحقيقة على خلاف طريقه؛ لأنّه جَعَل في البيت الباء المتروكة كالثابت وفي الآية الثابت كالمتروك.

واعلم أنّ المصنّف إنّما عدل عن ظاهر العطف على ﴿إِسْحَٰقَ﴾؛ لأنّ العطف على المجرور بلا[4] إعادة الجارّ مع الفاصل ضعيف، لا تقول: مررت بزيد يومَ الجمعة ويومَ الخميس عمرٍو. قال أبو عليّ في الحجّة:

> مَن فتح ﴿يَعْقُوبَ﴾ احتمل ثلاثة أضرب: أحدُها: أن يكون ﴿يَعْقُوبَ﴾ في موضع جرّ، والمعنى: فبشّرناها بإسحاق ويعقوب. قال أبو الحسن: وهذا أقوى في المعنى مِن الرفع؛ لأنّه[5] قد بُشِّرت بهما قال: وفي إعمالها ضعف؛ لأنّك فَصَلت بين الجارّ والمجرور. والآخر: أن تحمله على موضع الجارّ والمجرور، كقوله:
>
> إذا ما تلاقينا مِن اليوم أو غدا[6]
>
> وكقراءة مَن قرأ: "وَحُورًا[7] عِينًا"[8] [الواقعة ٥٦/٢٢] بعد "يُطاف عليهم بكذا"، ومثله:

---

[1] ن ر – لكنّه.

[2] ر: لأنى.

[3] ر: أنني.

[4] ن ر: لا.

[5] ن ر: لا.

[6] عجز بيت، أوّله:

ألا حيّ ندماني عُميرِ بن عامرٍ

وهو لكعب بن جُعيل في كتاب سيبويه، ٦٨/١؛ والمحلّى في وجوه النصب لابن شُقير، ص ٢٣.

[7] ن ر: وجوزًا.

[8] قراءة شاذّة، مرويّة عن أُبي بن كعب وابن مسعود. المحرّر الوجيز لابن عطيّة، ٢٤٢/٥ (الواقعة، ٢٢/٥٦).

....

فلسنا بالجبال ولا الحديدا[١]

والثالث: أن تحمل على فعل مضمر، كأنّه قيل: فبشّرناها بإسحاق ووهبنا لها يعقوب.

فأمّا الأوّل فقد نصَّ سيبويهِ على قبح[٢] نحو: "مررت بزيد أوّل مِن أمس وأمسِ عمرٍو"، وكذلك قال أبو الحسن: قال: لو قلت: "مررتُ بزيد اليوم وأمسِ عمرٍو"[٣] لم يحسن.

وأمّا الحمل على الموضع على حدّ "مررتُ بزيد وعمرًا" فالفصل فيه أيضًا قبيح كما قبُح[٤] الحمل[٥] على الجرّ، وغيرُ الجرّ في هذا القياس مثلُ الجرّ[٦] في القبح،[٧] وذلك أنّ الفعل يصل[٨] بحرف العطف، وحرف العطف هو الذي يُشرِّك في الفعل، وبه يصل[٩] الفعل إلى المفعول به كما يصل بحرف الجرّ، ولو قلتَ: "مررتُ[١٠] بزيد قائمًا" وتجعل الحال مِن المجرور لم يجز التقدُّم عند سيبويه؛ لأنّ الجارّ هو المُوصِل الفعلَ، فكما[١١] قبُح[١٢] التقديم عنده لضعف الجارّ العامل / كذلك الحرف العاطف مثل الجارّ [١٣ظ]
في أنّه يُشرِّك في الفعل كما يُوصِل الجارُّ الفعلَ، وليس نفس الفعل العامل في الموضعين جميعًا، وإذا كان كذلك قبُح الفصل بالظرف[١٣] في العطف على الموضع، وقبُح أيضًا الفصل في الرفع والنصب كما قبُح في الجرِّ؛[١٤] لأنّ العاطف[١٥] فيهما مثله في الجارّ وليس العامل نفس الرافع والناصب،

---

[١] عجز بيت لعقيبة بن هبيرة الأسدي، أوّله:
مـعـاويَ إنّـنـا بـشـرٌ فـأسـجِـح
وهو له في كتاب سيبويه، ٦٧/١؛ وسرّ صناعة الإعراب لابن جنّي، ١٣١/١؛ وبلا عزو في جامع البيان للطبري، ١٩٠/٢ (البقرة، ٨٣/٢)؛ وشرح الرضي على الكافية، ٣٨٠/١.

[٢] ن: فتحه.

[٣] ن ر – وكذلك قال أبو الحسن: قال: لو قلت: مررت بزيد اليوم وأمس عمرٍو.

[٤] ر: فتح.

[٥] ر: الجمَل.

[٦] ن ر: الجزء.

[٧] ن ر: الفتح.

[٨] ر: يفَصل.

[٩] ر: يفَصل.

[١٠] ن ر – مررت.

[١١] ن ر: كما.

[١٢] ر: فتح.

[١٣] ن ر: فالظرف.

[١٤] ن ر: الجزء.

[١٥] ن ر: العطف.

مشـائيمُ ليسـوا مصلِحِيـنَ عشـيرةً ولا ناعـبٍ...

كما أنّ العامل فيما بعد حرف العطف ليس الجارّ إنّما يُشرِّكه فيه العاطف، فإذا قبُح[١] الفصل في الحمل على الموضع كما قبُح[٢] في الحمل على الجارّ فينبغي أن تحمل قراءة مَن قرأ: ﴿يَعۡقُوبَ﴾[٣] بالنصب على فعل آخر مضمر يدلّ عليه ﴿بَشَّرۡنَٰهَا﴾ كما تقدَّم، ولا يُحمل على الوجهين الآخرين لاستوائهما في القبح.[٤]

هذا كلام أبي عليّ الفارسي، وهو سديد.[٥]

ثمّ إنّ المصنِّف إن أراد بقوله: (ووهبنا لها)... إلخ، هذا الوجه الذي اختاره[٦] أبو عليّ فحَسَن، لكن في تشبيهه بالبيت المذكور بحث، فتأمّل؛ بل المناسب التمثيل فيه بقوله:

عـلـفـتُـهـا[٧] تـبـنًـا[٨] ومـــاءً بـــاردا[٩]

وقوله: ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ﴾ أي: وهبنا يعقوب. وقوله:

(ليسوا مُصلحين عشيرةً[١٠] ولا ناعب):

مشـائيمُ[١١] ليسـوا مصلحيـن عشـيرةً[١٢] ولا ناعـبٍ إلّا[١٣] ببيـنٍ[١٤] غرابُهـا[١٥]

كأنّه[١٦] قيل: "بمُصلحين" فعطف "ولا ناعبٍ" عليه.

---

١ ر: فتح.

٢ ر: فتح.

٣ قرأ بها ابن عامر وحمزة وحفص. النشر لابن الجزري، ٢/٢٩٠.

٤ انظر: الحجّة للفارسي، ٤/٣٦٤-٣٦٧.

٥ ن: شديد.

٦ ن ر: أجازه.

٧ ن: علفها.

٨ ن - تبنًا.

٩ لا يعلم قائله. ومضى تخريجه والكلام عليه في سورة البقرة، ٢/٧.

١٠ ر: عشرة.

١١ وأثبتت هذه اللفظة "مشائيم" في متن مطبوع الكشّاف، والنظر في حاشية الجاربردي وأصول الكشّاف يدلّ على أنّها ليست من المتن.

١٢ ر: عشير.

١٣ ر: الاثنين.

١٤ ر - ببين.

١٥ البيت للأخوص الرياحي. ومضى بتخريجه في تفسير آل عمران، ٣/٩٠.

١٦ ر: فكأنّه.

﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾

الألفُ في ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾ مُبْدلةٌ من ياء الإضافة، وكذلك في "يا لهَفَا" و"يا عَجَبا"، وقرأ الحسن: "يا ويلتي" بالياء على الأصل.

و﴿شَيْخًا﴾ نصبٌ بما دلَّ عليه اسم الإشارة.

وقرئ: "شيخٌ"، على أنه خبرُ مبتدأ محذوف؛ أي: هذا بعلي هو شيخٌ، أو ﴿بَعْلِى﴾ بدلٌ من المبتدأ و"شيخٌ" خبر، أو يكونان معًا خبرين.

قيل: بُشِّرتْ ولها ثمانٍ وتسعون سنةً ولإبراهيم صلوات الرحمن عليه مئة وعشرون.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ أن يُولدَ ولدٌ من هَرِمَيْن، وهو استبعادٌ من حيث العادةُ التي أجراها الله، وإنما أنكرت عليها الملائكةُ تعجُّبَها فـ﴿قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾؛ لأنها كانت في بيت الآيات ومَهْبِطِ المعجزات، والأمورِ الخارقةِ للعادات، فكان عليها أن تتوقَّرَ ولا يَزْدَهيها ما يَزْدَهي سائرَ النساء الناشئات في غير بيوت النبوَّة، وأن تُسبِّحَ اللهَ وتُمجِّدَه مكان التعجُّبِ، وإلى ذلك أشارتِ الملائكةُ في قولهم: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ أرادوا أنّ هذه وأمثالَها ممّا يُكرِّمُكم به ربُّ العزَّة ويَخُصُّكم بالإنعام به يا أهلَ بيت النبوَّة، فليست بمكانِ عَجَبٍ.

قوله: (أن يُولَد) بيان ﴿هَٰذَا﴾.

قوله: (أنكرَتْ)... إلخ، اعتبر[1] الجماعة في الملائكة فقال: "أنكرت"، والجمع فقال: "فقالوا".

قوله: (ولا يَزدهيها) أي: لا يستخفّها.

قوله: (ممّا[2] يُكرمكم) خبر (أنّ).

---

[1] ن ر: واعتبر.

[2] ن: لا.

وأمرُ الله: قُدرتُه وحكمتُه.

وقوله: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ كلامٌ مستأنَفٌ عُلِّل به إنكارُ التعجُّب؛ كأنَّه قيل: إياكِ والتعجُّبَ فإنَّ أمثالَ هذه الرحمةِ والبركةِ متكاثرةٌ من الله عليكم.

وقيل: الرحمةُ: النبوة، والبركاتُ: الأَسْباط من بني إسرائيل؛ لأن الأنبياء منهم وكلُّهم من ولد إبراهيم.

﴿حَمِيدٌ﴾: فاعلٌ ما يَستوجِبُ به الحمدَ من عباده ﴿مَّجِيدٌ﴾: كريمٌ كثيرُ الإحسان إليهم.

و﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾: نصبٌ على النداء أو على الاختصاص؛ لأن ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ مدحٌ لهم إذ المراد أهلُ بيتِ خليل الرحمن.

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾

﴿ٱلرَّوْعُ﴾: ما أوجسَ من الخيفة حين نَكِرَ أضيافَه، والمعنى: أنه لمّا اطمأنَّ قلبه بعد الخوف ومُلِئَ سُرورًا بسبب البُشرى بدل الغمِّ فرغَ للمجادلة.

فإن قلتَ: أين جوابُ لمّا؟

قلتُ: هو محذوفٌ؛ كما حذف في قوله: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟﴾ [يوسف ١٢/١٥]، وقولُه: ﴿يُجَٰدِلُنَا﴾ كلامٌ مستأنَفٌ دالٌّ على الجواب، وتقديره: اجترَأَ

قوله: (﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ﴾ [يوسف ١٢/١٥]) أي: ذهب أخوة يوسف به، أي: بيوسف، والباء للتعدية.

قوله: (اجترأ)[١] يشير[٢] إلى أنَّ إبراهيم عليه السلام قبل[٣] ذلك كان خائفًا فلم يكن له جُرأة، فلمّا آمِن اجترأ،[٤] أو المعنى أنّه قبل[٥] ذلك كان متحيّرًا مِن أجل الخوف فلم يفطن ولم يدرِ ما يقول، فلمّا آمِن فطِن وعلم ما يقول.

---

١ ن ر: إجراء.
٢ ر: التيسير.
٣ ن ر: قيل.
٤ ن: اجتراء.
٥ ن: قيل.

على خطابنا، أو: فَطِنَ لمجادلتنا، أو: قال: "كيت وكيت"، ثم ابتدأ فقال: ﴿يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ﴾.

وقيل: ﴿يُجَٰدِلُنَا﴾ هو جوابُ "لمّا"، وإنما جيءَ به مضارعًا لحكايةِ الحال.

وقيل: إنَّ "لمّا" تَرُدُّ المضارعَ إلى معنى الماضي كما تردُّ "إنْ" الماضيَ إلى معنى الاستقبال.

وقيل: معناه: أَخَذ يجادلنا، وأقبلَ يُجادلنا.

والمعنى: يجادل رُسُلَنا، ومجادلتُه إيَّاهم: أنَّهم قالوا: ﴿إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ﴾ [العنكبوت ٣١/٢٩] فقال: أرأيتم لو كان فيها خمسون رجلًا من المؤمنين أتهلكونها؟ قالوا: لا، قال: فأربعون؟ قالوا: لا، قال: فثلاثون؟ قالوا: لا، حتى بلغ العشرة، قالوا: لا، قال: أرأيتُم إن كان فيها رجلٌ واحدٌ مسلمٌ أتهلكونها؟ قالوا: لا، فعند ذلك قال: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطٗاۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ﴾ [العنكبوت ٣٢/٢٩].

﴿فِي قَوۡمِ لُوطٍ﴾: في معناهم.

وعن ابن عباس: قالوا له: إن كان فيها خمسةٌ يصلُّون رُفع عنهم العذابُ.

وعن قتادة: ما قوم لا يكون فيهم عشرةٌ فيهم خيرٌ؟

قوله: (كما تَردّ "إنْ") أي: "إنْ" الشرطيّة.

قوله: (وقيل: معناه: أخذ يجادلنا)... إلخ، الفرق[١] بين هذا الوجه والوجه[٢] الأوّل أنّ الجواب في الوجه الأوّل محذوف، وما ذُكر هو كلام مستأنف، وأمّا في هذا الوجه فالمذكور هو معمول الجواب المحذوف.

قوله: (في معناهم) أي: في شأنهم.

قوله: (وعن قتادة: ما قوم لا[٣] يكون فيهم عشرةٌ فيهم[٤] خير)[٥] نفى فيه معنى الاستفهام، أي: ما قوم خالون عن عشرة فيهم خيرٌ. هكذا في بعض الحواشي.

---

١ ن ر – الفرق.
٢ ر: الوجه.
٣ ن ر: ما.
٤ ن ر: فهم.
٥ جامع البيان للطبري، ٤٩٠/١٢ (هود، ٧٥/١١).

وقيل: كان فيها أربعةُ آلاف ألفِ إنسانٍ.

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾ غيرُ عَجُولٍ على كلِّ مَن أساء إليه ﴿أَوَّاهٌ﴾: كثيرُ التأوُّه من الذنوب ﴿مُنِيبٌ﴾: تائبٌ راجعٌ إلى الله بما يحبُّ ويرضى، وهذه الصفاتُ دالَّةٌ على رقَّة القلب والرأفة والرحمة، فبيَّن أن ذلك ممَّا حمله على المجادلة فيهم رجاءَ أن يُرفَع عنهم العذابُ ويُمهَلوا لعلَّهم يُحدِثون التوبةَ والإنابةَ؛ كما حمله على الاستغفار لأبيه.

﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾﴾

﴿يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ على إرادة القول؛ أي: قالت له الملائكة: ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ الجدالِ وإن كانت الرحمةُ دَيْدنَك فلا فائدةَ فيه ﴿إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ وهو قضاؤه

والصواب أن يقال: "ما" استفهاميّة مبتدأ، وقوله: "قوم" خبره، وقوله: "فيهم[1] خير"[2] صفة قوله: "عشرة"، وقوله: "لا يكون"... إلخ، صفة "قوم"، أي: أيّ شيء القوم الذين لا يكون فيهم عشرة رجال موصوفين بأنّهم صاحبُ خير. فلفظه لفظ الاستفهام ومعناه معنى الإنكار.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾ الحِلم بالكسر: الأناة، تقول منه: حلُم الرجل بالضمّ. وتحلَّم: تكلّف الحِلْم،[3] قال:

[١٤و] تحلَّم[4] عن الأدنَين[5] / واستبقِ[6] ودَّهم فلن تستطيع الحلمَ[7] حتّى تحلّما[8]

وتحالم: أرى مِن نفسه ذلك وليس به.

قوله: (كثير التأوُّه) تأوّه قال: "أوْهِ"، وهو كلمة توجُّع.

قوله: (وإن كانت الرحمة ديدنَك) الديدن: الدأب والعادة، وكذلك الديدان.

---

١ ن: فيه؛ ر: في.
٢ ن: خير.
٣ انظر: الصحاح للجوهري، «حلم».
٤ ن: تحكم.
٥ ن: الاثنين.
٦ ن: وأسبق.
٧ ن: الحكم.
٨ البيت لحاتم الطائي في ديوانه، ص ٢٣٧؛ وهو له في كتاب سيبويه، ٤/٧١؛ والنوادر لأبي زيد، ص ٣٥٥؛ وأساس البلاغة للزمخشري، «حلم»؛ وبلا عزو في الصحاح للجوهري، «حلم».

وحكمُه الذي لا يَصدر إلّا عن صوابٍ وحكمةٍ، والعذابُ نازلٌ بالقوم لا محالةَ، لا مَرَدَّ له بجدالٍ ولا دعاءٍ ولا غيرِ ذلك.

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ۝٧٧﴾

كانت مَساءةُ لوطٍ وضيقُ ذَرْعِهِ؛ لأنه حَسِبَ أنهم إنسٌ، فخاف عليهم خُبثَ قومه وأن يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم.

ورويَ: أن الله تعالى قال لهم: لا تُهلِكوهم حتى يشهدَ عليهم لُوطٌ أربعَ شهادات، فلمَّا مشَى معهم منطلِقًا بهم إلى منزله قال لهم: أما بلَغكم أَمرُ هذه القرية؟! قالوا: وما أمرُهم؟ قال: أَشهدُ بالله إنها لشرُّ قريةٍ في الأرض عملًا، يقول ذلك أربعَ مرَّاتٍ، فدخلوا معه منزلَه.

ولم يَعلم بذلك أحدٌ، فخرجَت امرأتُه فأخبرَتْ بهم قومَها.

يقال: يومٌ عصيبٌ وعصَوْصبٌ: إذا كان شديدًا، من قولك: عصَبَه، إذا شدَّه.

﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ۝٧٨ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ۝٧٩﴾

﴿يُهْرَعُونَ﴾؛ أي: يُسرعون كأنَّما يُدفعون دفعًا.

قوله: (وضيقُ ذَرْعه) يقال: «ضقتُ بالأمر ذرعًا إذا لم تُطقه ولم تقوَ عليه، وأصل الذرع إنّما هو بسطُ اليد، فكأنّك تريد: مددتُ[1] يدي إليه فلم تنله. وربّما قالوا: ضقت به ذِراعًا».[2] وهذا مجاز؛ لأنّ الضيق مستلزم لعدم الإطاقة والقوّة.

قوله: (منطلقًا بهم) الباء في "بهم" للتعدية كما في انطلقت به.

قوله: (﴿يُهْرَعُونَ﴾) قال أبو عبيدة: معناه: يُستحثُّون إليه،[3] كأنّه يحثُّ

---

[1] ن + مددت.

[2] الصحاح للجوهري، «ذرع».

[3] مجاز القرآن لأبي عبيدة، ١/٢٩٤.

﴿وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: ومن قبلِ ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحشَ ويُكثرونها، فَضَرُوا بها ومَرَنوا عليها وقلَّ عندهم استقباحُها؛ فلذلك جاؤوا يُهرَعون مُجاهِرين لا يكفُّهم حَياء.

وقيل: معناه: وقد عرفَ لوطٌ عادتَهم في عمل الفواحش قبل ذلك.

﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى﴾ أراد أنْ يَقِيَ أضيافَه ببناتهِ وذلك غاية الكرم، وأراد: هؤلاء بناتي فتزوَّجوهنَّ، وكان تزويجُ المسلمات من الكفَّار جائزًا؛ كما زوَّجَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنتَيْهِ من عُتْبةَ بن أبي لهبٍ وأبي العاصِ بن وائلٍ قبل الوحي وهما كافران.

وقيل: كان لهم سيِّدان مُطاعان فأراد أن يزوِّجهما ابنتيه.

وقرأ ابن مروان: "هنَّ أطهرَ لكم" بالنَّصب، وضعَّفه سيبويه وقال: ....

بعضهم بعضًا. و"أُهرِع الرجل" على ما لم يُسمَّ فاعله فهو مُهرَع إذا كان يُرعَد مِن غضب أو حمى أو فزع.

قوله: (فَضَروا[1] بها) عطف على قوله: (كانوا)، أو الفاء فيه للسببيّة لا للعطف. يقال: «ضريَ الكلب بالصيد ضراوةً، أي: تعوّد وكلبٌ ضارٍ وكلبة ضارية».[2] ومَرَن على الشيء يمرُن مرونًا ومَرانة تعوّده واستمرّ عليه.

قوله: (وأبي العاص بن وائل) الصواب: أبي العاص[3] بن الربيع بن عبد شمس". في شرح السُّنة هكذا: أبو العاص بن الربيع بن عبد شمس.[4]

قوله: (وقرأ [ابن][5] مروان) أي: عبد الملك بن مروان، وأيضًا قراءة الحسن وعيسى بن عمر.[6]

---

[1] ر: فضرو.

[2] الصحاح للجوهري، «ذرع».

[3] ن: العاصم.

[4] شرح السنّة للبغوي، ٢٦٣/٣.

[5] د ن ر – ابن.

[6] قراءة شاذّة مروية عن زيد بن عليّ وسعيد بن جبير وأبو البرهسم وعيسى بن عمر. المغني في القراءات للنُّوزاوازي، ص ٩٩٧.

"احتَبَى ابنُ مروان في لحنِهِ".

وعن أبي عمرو بن العلاء: مَن قرأ: "هنَّ أطهرَ" بالنَّصب فقد ترَبَّعَ في لحنه.

وذلك: أن انتصابه على أن يُجعل حالًا قد عمِل فيها ما في ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ من معنى الفعل؛ كقوله: ﴿هذا بَعْلِي شَيْخًا﴾ [هود ١١/]، أو ينصبَ ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ بفعلٍ مضمَرٍ كأنَّه قيل: "خذوا هؤلاء" و﴿بَنَاتِي﴾ بدلٌ، ويَعمَلُ هذا المضمَرُ في الحال و﴿هُنَّ﴾ فَصْلٌ، وهذا لا يجوز؛ لأن الفصل مختصٌّ بالوقوع بين جزأي الجملة، ولا يقع بين الحال وذي الحال.

وقد خُرِّج له وجهٌ لا يكون ﴿هُنَّ﴾ فيه فصلًا، وذلك أن يكون ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ مبتدأً، و﴿بَنَاتِي هُنَّ﴾ جملةٌ في موضع خبر المبتدأ -كقولك: هذا أخي هو- ويكون "أطهرَ" حالًا.

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ بإيثارهنَّ عليهم ﴿وَلَا تُخْزُونِ﴾: ولا تهينوني، ولا تفضحوني،

قوله: (احتبى) منقول مِن احتبى بالحُبوة، كأنَّه قال: جلس متمِّكنًا مثلَ جلوس المحتبي.

قوله: (فقد تربَّع) التربُّع نوع مِن الجلوس يكون بطريق المتمكِّن،[1] وهو جلوس المتكبرين.[2]

قوله: (وذلك) بيان اللحن،[3] وقوله: "ذلك" مبتدأ و"أن" خبره، كأنَّه قال: سبب كونه لحنًا أو سبب قولهما أنَّ انتصابه.

قوله: (و﴿هُنَّ﴾)[4] فصل، أي: على الوجهين، ويريد: بالفصل صيغة المرفوع المنفصل بين المبتدأ والخبر.

قوله: (و﴿بَنَاتِي هُنَّ﴾) جملة، فيكون ﴿بَنَاتِي﴾ مبتدأ و﴿هُنَّ﴾ خبره، والجملة خبر ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾.

---

[1] ن ر: التمكن.
[2] ن ر: المتكئين.
[3] ن: للحن.
[4] ن ر + نحو زيد هو المنطلق ولا يقال: زيد هو راكبًا، وهو تعليق في هامش د.

من الخزي. أو: ولا تُخجِلوني، من الخزاية وهي الحياءُ.

﴿فِي ضَيْفِي﴾: في حقِّ ضيوفي؛ فإنه إذا خُزي ضيفُ الرجل أو جارُه فقد خُزي الرجلُ، وذلك من عَرَاقة الكرم وأصالة المروءة.

﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾: رجلٌ واحدٌ يهتدِي إلى سبيل الحق وفِعْلِ الجميل والكفِّ عن السوء.

وقرئ: ﴿وَلَا تُخْزُونِ﴾ بطرح الياء.

ويجوز أن يكون عَرْضُ البنات عليهم مبالغةً في تواضُعه لهم، وإظهارًا لشدَّة امتعاضهِ مما أوردوا عليه؛ طمعًا في أن يستَحْيوا منه ويَرِقُّوا له إذا سمعوا ذلك فيتركوا له ضيوفَه، مع ظهور الأمر واستقرار العلم عنده وعندهم أنْ لا مناكحةَ بينه وبينهم، ومِن ثَمَّ ﴿قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ مستشهِدِين بعلمه ﴿مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾؛ لأنك لا ترى مناكحَتَنا وما هو إلَّا عَرْضٌ سَابِرِيٌّ.

وقيل: لمَّا اتخذوا إتيان الذُّكران مذهبًا ودِينًا لتواطُئهم عليه، كان عندهم أنه

قوله: (وذلك مِن عَراقة) أي: نسبة الخزي إليه لخزي[١] ضيفه. وقوله: (مِن عراقة الكَرَم) أي: أصالة الكرم يقال: أعَرَق الرجل، أي: صار عريقًا، وهو الذي له عِرق في الكرم.

قوله: (لشدّة امتعاضه)[٢] امتعضتُ إذا[٣] غضبتَ وشقّ عليك.

قوله: (وعندهم ألّا مناكحةَ) لكفرهم.

قوله: (إلّا عرضٌ سابِريّ) «السابريّ: ضربٌ مِن الثياب[٤] رقيق، وفي المثل 'عرضٌ سابريٌّ'،[٥] يقوله[٦] مَن يُعرَض عليه الشيء عرضًا لا يبالغ فيه؛ لأنّ السابريّ مِن أجود الثياب يُرغَب فيه بأدنى عرَض».[٧]

---

١ ر: بخزي.

٢ ن: امتعاضيه.

٣ ن: إذاء.

٤ ن: النبات.

٥ الأمثال لأبي عُبيد، ص ٢٤٧.

٦ ر: يقول.

٧ ر: غرض. | الصحاح للجوهري، «سبر».

هو الحقُّ وأنَّ نكاح الإناث من الباطل؛ فلذلك قالوا: ﴿مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ قطُّ؛ لأن نكاح الإناثِ أمرٌ خارجٌ من مذهبنا الذي نحن عليه.

ويجوز أن يقولوه على وجه الخلاعَةِ، والغرضُ نفيُ الشهوة.

﴿لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ عَنَوا إتيانَ الذُّكور وما لهم فيه من الشَّهوة.

﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾﴾

جواب ﴿لَوْ﴾ محذوف كقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾ [الرعد ٣١/١٣] يعني: لو أنَّ لي بكم قوَّةً لفعلتُ بكم وصَنعتُ، يقال: "ما لي به قوَّةٌ" و: "ما لي به طاقةٌ"، ونحوُه: ﴿لَا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾ [النمل ٣٧/٢٧]، و: "ما لي به يَدان"؛ لأنه في معنى: لا أَضْطَلِعُ به ولا أستَقِلُّ به.

والمعنى: لو قَوِيتُ عليكم بنفسي، أو أوَيْت إلى قويٍّ أستَنِد إليه وأتمنَّع به فيَحميَني منكم، فشبَّه القويَّ العزيز بالرُّكن من الجبل في شدته ومَنَعتِه؛ ولذلك قالت الملائكةُ وقد وجدَتْ عليه: إنَّ رُكنك لشديدٌ.

قوله: (على وجه الخَلاعة) «فلان خليع[١] بيِّن الخَلاعة بفتح الخاء، وهو الذي قد خلعه أهله، [فإن جنى][٢] لم يُطالبوا بجنايته».[٣]

قوله: (والغرض / نفى الشهوة) أي: لا شهوةَ ولا مَيل لهم فيهنّ. [١٤ظ]

قوله: (ونحوه: ﴿لا قِبَلَ لَهُم[٤] بِهَا﴾ [النمل ٣٧/٢٧]) ما لي به قِبَل، أي: طاقة. فقوله: (لا أضطلِع) متعلِّق بـ"لا قِبَل". وقوله: (أستقلّ) متعلِّق بقوله: (ما لي به يدان). فيه نظر.

قوله: (أستند إليه) صفة (قويّ).

---

[١] ن: خليل.

[٢] زدته من مطبوع الصحاح.

[٣] الصحاح للجوهري، «خلع».

[٤] د ن ر: لكم.

وقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «رَحِمَ اللهُ أخي لوطًا كان يأوِي إلى ركنٍ شديد».

وقرئ: "أَوْ آوِيَ" بالنصب بإضمار "أَنْ"؛ كأنه قيل: لو أنَّ لي بكم قوةً أو أُوِيًا، كقولها:

لَلُبْسُ عَبَاءةٍ وتَقَرَّ عَيْني

وقرئ: "إلى رُكُنٍ" بضمتين.

وروي: أنه أغلقَ بابَه حين جاؤوا ....

قوله تعالى: ﴿ءَاوِي﴾، أي: ألتجئ[1] وأنضم. يقال: أوى إليه: التجأ وانضمّ إليه أويًا، وآواه غيره إيواءً. وقد جاء آواه بمعنى أواه.[2]

قوله:[3] (إنّ ركنك لشديد)[4] أراد بالرُّكن الشديد: النبوّة.

قوله: (بالنصب بإضمار "أن") وإنّما أُضمرَ[5] "أن" ليكون عطف الاسم على الاسم، فهو عطف على قوله: ﴿قُوَّةً﴾.

(قوله:

لَلُبسُ عباءة وتقرَّ عيني)

تمامه:

أحبُّ إليَّ مِن لُبس الشفوفِ[6]

الشعر لميسون بنت[7] بَحْدَل[8] أمّ يزيد بن معاوية. العباء: ضرب مِن الأكسية، فيه خطوط سود. والشُّفوف: الرقاق مِن الثياب، جمع شَفّ،[9] وهو ما رقّ مِن الثوب.[10]

---

[1] ن ر: التجأ.

[2] الكلام بلفظ قريب في المغرب للمطرّزي، «أوي».

[3] ر: فقوله.

[4] جامع البيان للطبري، ٥١٣/١٢ (هود، ٨٠/١١).

[5] ن ر: إضمار.

[6] البيت لميسون بنت بحدل الكلبية في سرّ صناعة الإعراب لابن جنّي، ٢٧٣/١؛ وأمالي ابن الشجري، ٤٢٧/١؛ وهو بلا عزو في كتاب سيبويه، ٤٥/٣.

[7] د: نبت.

[8] د: بجدل.

[9] ن: شفة.

[10] انظر: الصحاح للجوهري، «شفف».

وجَعَل يرادُّهم ما حَكَى اللهُ عنه ويُجادِلُهم، فتسوَّروا الجدار، فلمَّا رأت الملائكةُ ما لقي لوطٌ من الكَرْب قالوا: يا لوطُ، إنّ رُكْنَكَ لشديد ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَ﴾ فافتح البابَ ودَعْنا وإيَّاهم، ففتح البابَ فدخلوا، فاستأذن جبريل عليه السلام ربَّه في عقوبتهم فأذن له، فقام في الصورة التي يكون فيها فنشَرَ جناحَه وله جناحان وعليه وشاحٌ من درٍّ منظومٍ وهو برَّاقُ الثنايا، فضَربَ بجناحه وجوههم فطمس أعينَهم فأَعْماهم كما قال الله تعالى: ﴿فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ﴾ [القمر ٣٧/٥٤] فصاروا لا يعرفون الطريقَ، فخرجوا وهم يقولون: النَّجَاءَ النَّجَاءَ فإنَّ في بيت لوط قومًا سحرةً.

﴿لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَ﴾ جملةٌ موضِحةٌ للَّتي قبلها؛ لأنهم إذا كانوا رسلَ الله لم يَصِلوا إليه ولم يقدروا على ضَرَره.

وقرئ ﴿فَأَسۡرِ﴾ بالقطع والوَصْلِ.

و﴿إلا امْرَأتكَ﴾ بالرفع والنصب.

تقول: لَلُبس ثياب خُشُن مِن حلال بلا رُعونة وبعده تقرَّ عيني أحبُّ إليّ مِن لُبس ثياب تكلّف فيه سُخنة عيني.

قوله: (وجَعَل يُرادّهم) رادّه الشيء: ردّه عليه. وقوله: (ما حكى الله عنه) مفعول ثانٍ لـ"يُرادّ". وقوله: "ما حكى الله عنه" إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ﴾ إلى قوله: ﴿رُكۡنٖ شَدِيدٖ﴾.

قوله: (فتسوّروا) أي: تسلَّقوا.

قوله: (النجاءَ النجاءَ) النجاء:[1] السرعة يقال: نجوتُ نجاءً، أي: أسرعتُ، فهو ناقص قُلب واوه همزةً لوقوعه طرفًا بعد ألف زائدة كالكساء.

قوله: (بالقطع) أي: بقطع الألف مِن "أسْرى" وبوصلها مِن "سَرى"، وهما واحد، وهو سير الليل.

---

[1] ر – النجاء.

ورُوي: أنه قال لهم: متى موعدُ هلاكهم؟ قالوا: ﴿ٱلصُّبۡحُ﴾، فقال: أريد أَسرعَ من ذلك، فقالوا: ﴿أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ﴾.

وقرئ: "الصُّبُح" بضمتين.

فإن قلتَ: ما وجهُ قراءة مَن قرأ ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ﴾ بالنصب؟

قلت: استثناها من قوله: ﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ﴾ والدليلُ عليه قراءة عبد الله: "فأَسْرِ بأهلِكَ بقِطْعٍ من الليل إلّا امرأتَكَ"، ويجوز أن ينتصِب عن ﴿لا يلتَفِتْ﴾ على أصلِ الاستثناء وإنْ كان الفصيحُ هو البدلَ، أعني: قراءةَ مَن قرأ بالرفع فأبدلها عن ﴿أَحَدٌ﴾.

وفي إخراجها مع أهله روايتان:

رُوي أنه أخرجها معهم وأُمِرَ أن لا يَلتفت منهم أحدٌ إلّا هي، فلمّا سمعَتْ هَدَّةَ العذاب التفتَتْ وقالتْ: يا قوماه! فأدركها حجرٌ فقتلها.

وروي أنه أُمر بأن يُخَلِّفها مع قومها فإنَّ هواها إليهم، فلَمْ يَسْرِ بها.

قوله: (والدليل عليه) أي: على أنّه مستثنى مِن ﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ﴾، أي: ليس في قراءته ﴿لَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ﴾،[١] فهذا تقوية لقول مَن نَصَب؛ لأنّه في هذه القراءة استثناء مِن قوله: ﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ﴾، وتقويةٌ لقول مَن يقول: إنّه استثناء مِن ﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ﴾ في تلك القراءة.

قوله: (وفي إخراجها)، يعني اختُلف في أنّه هل أخرجها مع قومه أم لا.

قوله: (وأُمر ألّا يلتفت أحدٌ منهم إلّا هي) إن قيل: كيف يصحُّ أن يقال؟ أُمر لوط بفعل غيره. قلنا: جوابه ما ذكره الشيخ في الكواشي وهو أنّ «النهي لـ"أحد" لفظًا، ومعنًى للوط، أي: لا يُمكّن أحدٌ مِن الالتفات».[٢]

قوله: (هَدّة العذاب) الهدّة: صوت وقع الحائط ونحوه، تقول: منه هدّ يهِدُّ بالكسر هديدًا.

---

[١] يعني قراءة ابن مسعود، وهي قراءة شاذّة. المغني في القراءات للنُّوزاوازي، ص ٩٩٨.

[٢] تفسير الكواشي، ٢٣٢و.

واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين.

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾

﴿جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾: جعَل جبريلُ جناحَه في أسفلها ثم رفَعها إلى السماء حتى سَمع أهلُ السماء نُباحَ الكلاب وصياحَ الدِّيَكة، ثم قلبها عليهم وأُتبِعوا الحجارةَ من فوقهم.

﴿مِن سِجِّيلٍ﴾ قيل: هي كلمةٌ مُعَرَّبةٌ من سَنْك كِل، بدليلِ قوله: ﴿حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ [الذاريات ٥١/٣٣].

وقيل: هي من أَسْجلَه: إذا أَرْسَله؛ لأنها تُرسَل على الظالمين، ويدلُّ عليه قوله: ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ [الذاريات ٥١/٣٣].

وقيل: ممَّا كَتَب الله أن يعذِّبَ به، من السِّجِلّ، وسُجِّلَ لفلان.

قوله: (واختلاف القراءتين) يريد القراءة بالرفع[١] يدلّ على أنّه أخرجها، والقراءة بالنصب[٢] على أنّه لم يُخرجها. لكن فيه نظر؛ لأنّ حَمْل القراءتين مِن القراءات السبع على معنيين متناقضين غيرُ جائز؛ لأنّها كلّها[٣] متواترة، فالصواب أن يقال: الرفع على البدل مِن ﴿أَحَدٌ﴾، والنصب على أصل الاستثناء منه، ولا بُعد في ذلك ولا خَلَل فيه، وإنّما الخلل / فيما ذَكره المصنِّف للزوم التناقض، وإنّما يقع فيه مَن يظنّ أنّ القراءات السبع غير متواتر جميعها، فيُجوّز التناقض بين معانيها. وهذا باطل وزعْم كاذب؛ بل القراءات السبع كلّها متواتر كلُّها كافٍ شافٍ يؤيّد بعضُها بعضًا. [١٥و]

قوله: (مِن السِّجِلّ) قال في الصحاح: السِّجِلّ: الصكّ، وقد سجّل الحاكم تسجيلًا. وقوله تعالى: ﴿بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الفيل ١٠٥/٤]. قيل: بحجارة مِن طين طُبخت بنار جهنّم مكتوبة فيها أسماء القوم.

---

[١] قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو. السبعة لابن مجاهد، ص ٣٣٨؛ النشر لابن الجزري، ٢/٢٩٠.

[٢] قرأ بها نافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي وأبو جعفر ويعقوب وخلف. السبعة لابن مجاهد، ص ٣٣٨؛ النشر لابن الجزري، ٢/٢٩٠.

[٣] ن ر - مِن سرى... جائز لأنّها كلها.

﴿مَنضُودٍ﴾ نُضِدَ في السماء نَضْدًا مُعَدًّا للعذاب.

وقيل: يُرسَل بعضُه في أثرِ بعضٍ متتابعًا.

﴿مُسَوَّمَةً﴾: مُعْلَمةً، وعن الحسن: كانت مُعْلَمةً ببياضٍ وحُمرةٍ.

وقيل: عليها سِيما يُعلم بها أنها ليست من حجارة الأرض.

وقيل: مكتوبٌ على كلِّ واحد اسمُ مَن يُرمَى به.

﴿وَمَا هِيَ﴾ مِن كلِّ ظالمٍ ﴿بِبَعِيدٍ﴾، وفيه وعيدٌ لأهل مكة، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه سأل جبريل عليه السلام فقال: «يعني ظالمي أُمَّتك، ما من ظالم منهم إلّا وهو بعرضِ حجرٍ يَسقط عليه من ساعةٍ إلى ساعة».

وقيل: الضمير للقرى؛ أَي: هي قريبةٌ من ظالمي مكَّة يمرُّون بها في مَسايِرهم.

﴿بِبَعِيدٍ﴾: بشيءٍ بعيد.

قوله: (وقيل: عليها سِيما) السيما مقصور[١] مِن الواو، قال تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم﴾ [الفتح ٢٩/٤٨]. وقد يجيء السِّيماء.

قوله: (بعرض حَجَر)،[٢] أي: ملتبسٌ بقربه وإمكان وقوعه عليه. وقوله: (مِن ساعة) متعلِّق بمعنى الفعل الذي في "بعَرَض"، فـ"مِن" فيه للابتداء. وإنّما قال بعده: (إلى ساعة) إشارة إلى أنّ[٣] ملابسةً تنتهي بساعة[٤] أخرى، يريد قرب زمان توقع وقوعه. ويجوز أن يتعلّق مِن بـ(يسقط). قال في المغرب «يقال: هو على عَرَض الوجود، أي: على إمكانه، مِن أعرَض له[٥] كذا، أي: أمكنه. وحقيقته: أبدى عُرضه».[٦]

---

١ ن: منصور.

٢ ضُبطت "عرض" في د بنصب العين والراء. وفي الصحاح للجوهري، «عرض»: «أصابه سهم عَرَض وحجر عَرَض، إذا تعمّد به غيره فأصابه». والظاهر أنّه بضمّ العين وسكون الراء، من قولهم: فلان عُرضة للأمر، أي: معرض له، كما ذكره الطِّيبي في فتوح الغيب، ١٥٥/٨.

٣ ن – أن.

٤ ن: لساعة.

٥ ن – له.

٦ المغرب للمطرّزي، «عرض».

ويجوز أن يراد: وما هي بمكانٍ بعيد؛ لأنها وإن كانت في السماء -وهي مكانٌ بعيدٌ- إلّا أنّها إذا هوَتْ منها فهي أسرعُ شيءٍ لحوقًا بالمرميّ، فكأنها بمكانٍ قريبٍ منه.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾ يُريد: بثَرْوةٍ وسَعةٍ تُغنيكم عن التطفيف، أو: أراكم بنعمةٍ من الله حقُّها أن تقابَلَ بغيرِ ما تفعلون، أو: أراكم بخيرٍ فلا تُزيلوه عنكم بما أنتم عليه؛ كقولِ مؤمنِ آلِ فرعونَ: ﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا﴾ [غافر ٢٩/٤٠].

قوله: (ويجوز أن يراد: وما هي) اعلم أنّ الباء على الوجهين الأوّلين زيادة في خبر "ما"، و﴿مِنَ﴾ في ﴿مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ صلة ﴿بَعِيدٍ﴾. ويقال: "بعُد منه". وأمّا على هذا الوجه فالباء في ﴿بِبَعِيدٍ﴾ بمعنى "في" متعلّق بمحذوف أيضًا، و﴿مِنَ﴾ لابتداء الغاية متعلّق بمحذوف أيضًا، أي: ليس الحجارة في مكان بعيد مبتدئًا أمرها مِن الظالمين. فقوله: ﴿مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ حال العاملُ فيها قوله: ﴿بِبَعِيدٍ﴾.

قوله: (إلّا أنّها إذا هَوَت) استثناء منقطع وأنّ مع[١] ما بعدها في تأويل مفرد هي اسم إلّا؛ لأنّها بمعنى لكن والخبر محذوف، أي: لكنّ سرعة لحوقها بالمرميّ وقتَ هُويّها مِن السماء حاصلة. أو نقول: لكنّ كونها أسرعَ شيء لحوقًا بالمرميّ وقت هويّها مِن السماء[٢] حاصلٌ.

قوله: (﴿ظَٰهِرِينَ﴾) أي: غالبين. وقوله: (﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [غافر ٢٩/٤٠]) أي: في أرض مصر.

---

[١] ر – مع.

[٢] ر – حاصلة. أو نقول: لكنّ كونها أسرع شيء لحوقًا بالمرميّ وقت هويّها مِن السماء.

﴿يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾: مُهْلِكٍ، من قوله: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ [الكهف ٤٢/١٨] وأصلُه مِن إحاطةِ العدوّ.

فإن قلتَ: وصفُ العذاب بالإحاطةِ أبلغُ أم وصفُ اليومِ بها؟

قلتُ: بل وَصْفُ اليوم بها؛ لأن اليومَ زمانٌ يَشتمِلُ على الحوادث، فإذا أحاط بعذابِهِ فقد اجتمع للمعذَّب ما اشتَمَل عليه منه كما إذا أحاط بنعيمه.

فإن قلتَ: النهيُ عن النقصان أمرٌ بالإيفاء، فما فائدةُ قوله: ﴿أَوْفُواْ﴾؟

قلتُ: نُهوا أوَّلًا عن عينِ القبيح الذي كانوا عليه من نقصِ المكيالِ والميزان؛ لأن في التصريح بالقبيح نَعيًا على المنهيّ وتعييرًا له، ثم وَرَد الأمرُ بالإيفاء الذي هو حَسَنٌ في العقول مصرَّحًا بلفظه لزيادة ترغيبٍ فيه وبَعْثٍ عليه، وجيءَ به مقيَّدًا بالقسط -أي: ليكنِ الإيفاءُ على وجهِ العدل والسويَّة من غير زيادةٍ ولا نقصانٍ- أمرًا بما هو الواجبُ؛ لأن ما جاوزَ العدل فَضْلٌ وأمرٌ مندوبٌ إليه،

قوله: (كما إذا أحاط بعذابه)... إلخ، الصواب أن نقول: الضمير في "أحاط" إن كان عائدًا إلى "اليوم" فالضمير في[1] قوله:[2] "بعذابه" أيضًا عائد إليه، وإن كان عائدًا إلى "الزمان" فمِن عذابه أيضًا كذلك، فجَعْل[3] أحدهما لليوم والآخر للزمان غيرُ[4] صحيح. وكذا الضمير في قوله: (اشتمل) يجوز أن يكون عائدًا إلى اليوم والزمان، والضمير مِن قوله: (عليه) عائد إلى (ما)، ومِن قوله: (منه) إلى العذاب، و"مِن" بيان "ما"، أي: فإذا أحاط اليوم مع عذابه بالمعذَّب فقد اجتمع للمعذَّب العذاب الذي اشتمل اليوم أو الزمان عليه، كما إذا أحاط اليوم مع[5] نعيمه بالمنعَم[6] عليه فقد اجتمع للمنعَم عليه النعيم الذي اشتمل اليوم عليه.

قوله: (بلفظه) أي: بلفظ الإيفاء. وقوله: (على وجه العدل) خبر "كان".

---

١ ر – في.

٢ ر: بقوله.

٣ ن ر: جعل.

٤ ر: فيهن.

٥ ر: من.

٦ ن + بالمنعم.

وفيه توقيفٌ على أنّ المُوفِيَ عليه أن يَنوِيَ بالوفاء القسطَ؛ لأن الإيفاء وجهُ حُسْنه أنه قسطٌ وعدلٌ.

فهذه ثلاث فوائد.

البخسُ: الهضم والنقصُ، ويقال للمَكْس: البَخْسُ، قال زهير:

أفـي كـلِّ أســواقِ الـعِـراقِ إتــاوةٌ   وفي كلِّ ما باع امرؤٌ بَخْسُ درهمِ

وروي: «مكسُ درهمٍ».

قوله: (عليه أن ينوي) مِن هنا خبر (أنّ).[1]

قوله: (فهذه ثلاث) الأوّل: / النهي عن القبيح، والثاني: الأمر[2] بالواجب بالتصريح، والثالث: التوقيف على وجوب نيّة العدل. [١٥ظ]

قوله:

(وفي كلّ ما باع امرءٌ بَخْسُ درهمِ)[3]

أوّله:[4]

وفــي كــلّ أســواق الـعــراق إتــاوةٌ

«الإتاوة:[5] الخراج. والجمع الأتاويّ. تقول: منه أتوته آتوه أتوًا وإتاوة».[6] وقوله: (ورُوي: مَكْس درهمٍ) «المَكْس في البيع: استنقاص الثمن. والمُماكسة والمِكاس في معناه والمَكس أيضًا: الجباية، وهو فعل المكّاس العشّار. ومنه 'لا يدخل صاحب مَكْس الجنّة'.[7] والمَكْس واحد المُكوس: وهو ما يأخذه، تسميّة بالمصدر».[8]

---

١ ر – أن.

٢ ر: للأمر.

٣ الشعر لجابر بن حُنَيّ التغلبي. ومضى تخريجه في تفسير الأعراف، ١٦٥/٧. | وأثبت صدر هذا البيت في متن مطبوع الكشّاف. وكلام الجاربردي الآتي يدلّ على أنّه ليس في المتن، وهو الموافق لِما وقفتُ عليه من أصول الكشّاف.

٤ ن – أوله.

٥ ر: الإتاء.

٦ الصحاح للجوهري، «أتو».

٧ مسند أحمد، ٥٨٦/٢٨ (١٧٣٥٤).

٨ المغرب للمطرّزي، «مكس».

وكانوا يأخذون من كلّ شيء يُباعُ شيئًا كما تفعلُ السَّماسِرَةُ، أو كانوا يَمكِسون الناسَ، أو كانوا يَنقُصون من أثمان ما يشترون من الأشياء، فنُهوا عن ذلك.

والعَثْيُ في الأرض نحوُ السرقةِ والغارةِ وقطعِ السبيل، ويجوز أن يُجعل التطفيفُ والبَخْسُ عِثِيًّا منهم في الأرض.

﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾﴾

﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ﴾: ما يَبْقى لكم من الحلالِ بعد التنزُّه عمَّا هو حرامٌ عليكم ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: بشرطِ أن تؤمنوا.

وقوله: (يمكِسون) أي: يأخذون الجباية.

قوله: (السَّماسِرة) جمع سِمْسار، والتاء فيه لمعنى الجمع. قال المُطرّزي في المُغرِب:

> السِّمْسار بكسر الأوّل: المتوسِّط بين البائع والمشتري. فارسيّة معرَّبة. والجمع السَّماسِرة. وفي الحديث: كنّا نُدعى السَّماسِرة،[١] فسمَّانا النبيّ عليه السلام التّجار.[٢] ومصدرها[٣] السَّمْسَرة، وهو أن يتوكّل الرجل مِن الحاضرة للبادية فيبيع لهم ما يجلبونه. وقيل في تفسير قوله عليه السلام: «لا يبيع[٤] حاضر لبادٍ»:[٥] إنّه لا يكون سِمسارًا. ومنه: كان أبو حنيفةَ يكره السَّمْسَرة.[٦]

قوله: (ويجوز أن يُجعل) عطف على قوله: (والعَثْيُ)... إلخ، فعلى الوجه الأوّل المراد بقوله: ﴿لَا تَعْثَوْا﴾: النهي عن السرقة والغارة وقطع الطريق، وعلى الثاني هو تكرير المعنى الأوّل.

قوله: (﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ﴾) ما يبقى لكم. إنّما فسّر البقيّة بالحلال؛ لأنّ البقيّة

---

١ ر – وفي الحديث: كنّا نُدعى السماسرة.

٢ الحديث بلفظ قريب في مسند أحمد، ٥٦/٢٦ (١٦١٣٤)؛ وسنن الترمذي، ٥٠٥/٢ (١٢٠٨).

٣ ن ر: ومصدر جاء.

٤ ر: يتبع.

٥ مسند أحمد، ٢٦٣/١٢ (٧٣١٢)؛ صحيح البخاري، ٧٢/٣ (٢١٥٨)؛ سنن الترمذي، ٥١٦/٢ (١٢٢٢).

٦ انظر: المغرب للمطرّزي، «سمر».

فإنْ قلتَ: بقيةُ الله خيرٌ للكفرة؛ لأنهم يَسْلَمون معها من تَبِعةِ البَخْس والتطفيفِ فلمَ شُرِط الإيمانُ؟

قلتُ: لظهور فائدتها مع الإيمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب، وخفاءِ فائدتها مع فَقْدِه لانغماس صاحبها في غمرات الكفر، وفي ذلك استعظامٌ للإيمان وتنبيهٌ على جلالةِ شأنه.

ويجوز أن يراد: إن كنتم مصدِّقين لي فيما أقولُ لكم وأنصحُ به إيَّاكم.

ويجوز أن يراد: ما يَبْقَى لكم عند الله من الطاعات خيرٌ لكم؛ كقوله: ﴿وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ﴾ [الكهف ٤٦/١٨].

وإضافةُ البقيةِ إلى الله من حيث إنها رزقُه الذي يجوز أن يضاف إليه، وأما الحرامُ فلا يضاف إلى الله ولا يسمَّى رزقًا. وإذا أُريد بها الطاعةُ فكما تقول: "طاعةُ الله".

يستعمل في الباقي[١] الذي فيه فضل وحُسن، يدلّ عليه قوله عليه السلام في العبّاس: «بقيّة آبائي».[٢]

قوله: ([فإن][٣] قلت: بقيّة الله خير للكفرة؛ لأنّهم يَسْلَمون معها[٤] مِن تبعة البَخْس)[٥] تبِعة الذنب: العقاب الذي يستحقه المُذنِب بسبب الذنب، يعني أنّ الكافر يلحقه عقاب يوم القيامة بسبب ذنوبه مِن البخس وغيره، فلِمَ قُيّد بالإيمان؟ فأجاب بأنّ الكافر يُعذَّب بكفره لا محالةَ، فلو لم يكن له ذنب مِن البَخْس[٦] وغيره لا يسلم مِن العذاب، وغايته أنّه يُعذَّب على الكفر لا على الذنوب فلم يُعتدَّ بذلك.

قوله: (ولا يُسمّى رزقًا) على مذهب المعتزلة، وبالحقيقة النزاع هنا

---

١ ر: الثاني.

٢ الحديث بلفظ قريب في المصنَّف لابن أبي شيبة، ٣٨٢/٦ (٣٢٢١٢)؛ فضائل الصحابة لأحمد ابن حنبل، ٩٣٠/٢ (١٧٨١)؛

٣ د ن ر – فإن.

٤ ن ر – قلت: بقيّة الله خير للكفرة لأنّهم يسلمون معها.

٥ ن ر: النجس.

٦ ن: الجنس.

وقرئ: "تَقِيَّةُ اللهِ" بالتاء، وهي تقواه ومراقَبتُه التي تَصرِفُ عن المعاصي والقبائح.

﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ﴾: وما بُعثتُ لأحفَظَ عليكم أعمالَكم وأُجازيَكم عليها، وإنما بُعِثتُ مُبلِّغًا ومُنبِّهًا على الخير وناصحًا، وقد أَعذَرْتُ حين أَنْذَرْتُ.

﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ٨٧﴾

كان شُعيبٌ عليه السلام كثيرَ الصلوات، وكان قومه إذا رأَوْه يُصلِّي تغامَزُوا وتضاحكوا، فقصدوا بقولهم: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ﴾ السُّخريةَ والهُزءَ، والصلاةُ وإن جاز أن تكون آمرةً على طريق المجاز كما كانت ناهيةً في قوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ﴾ [العنكبوت ٤٥/٢٩] وأن يقال: «إن الصلاة تأمر

في تسميته رزقًا، إذ لا يخالفون في أنّ الله تعالى قَسَمه للعبد،[١] كما سيجيء تحقيقه في قوله تعالى:[٢] ﴿نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ﴾ [الزخرف ٣٢/٤٣]، وقد كتبنا لأجله كلامًا في قوله تعالى: ﴿وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾ في سورة المائدة [المائدة ٨٨/٥].

قوله: (وقد أعذرتُ) «أعذَر: بالَغ في العُذر. يقال: أعذَر مَن أنذَر. ومنه قولهم: كان أبو يوسف يعمل بالإعذار، وذلك إذا كان قِبَل السلطان حقٌّ لإنسان، وهو[٣] لا[٤] يجيبه إلى القاضي فإنّه رحمه الله كان يبعث إليه مِن قِبَله رسولًا ينادي على بابه: "إنّ القاضي يقول: أجِبْ". ينادي بذلك أيامًا، فإن أجاب / وإلّا جعل لذلك السلطان وكيلًا فيُخاصمه هذا المدّعي».[٥] [١٦و]

قوله: (تغامزوا) أي: أشاروا بالعين والحاجب، يقال: غمزه بالعين والحاجب إذا أشار إليه.

---

[١] انظر تفصيل المسألة في الإرشاد للجويني، ص ٣٦٤-٣٦٦.

[٢] ن ر – قسمه للعبد، كما سيجيء تحقيقه في قوله تعالى.

[٣] ن ر: وهؤلاء.

[٤] ن ر – لا.

[٥] المغرب للمطرّزي، «عذر».

بالجميل والمعروفِ» كما يقال: «تدعو إليه وتبعث عليه»- إلّا أنهم ساقوا الكلام مساقَ الطَّنْز، وجَعلوا الصلاة آمرةً على سبيل التهكُّم بصلاته، وأرادوا أن هذا الذي تأمرُ به من تركِ عبادة الأوثان باطلٌ لا وجه لصحَّته، وأن مثله لا يدعوك إليه داعي عقلٍ ولا يأمرُك به آمرُ فِطْنَةٍ، فلم يبق إلا أن يأمرك به آمرُ هَذَيانٍ ووسوسةُ شيطانٍ، وهو صلواتك التي تُداوِمُ عليها في ليلك ونهارك، وعندهم أنها من باب الجنون وممّا يتولَّع به المجانينُ والموَسْوِسون من بعض الأقوال والأفعال.

ومعنى ﴿تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ﴾: تأمرك بتكليفِ أن نترك ﴿مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾ ....

قوله: (الطَّنْز) «الطَّنْز: السخرية، وطَنَز يطنُز فهو طنّاز».[١] قال في الصحاح: «أظنُّه مولَّدًا أو[٢] مُعرَّبًا».[٣]

قوله: (داعي عقلٍ) يجوز أن يكون المراد به الداعي الذي هو العقل، ويجوز أن يكون المراد الداعي الذي نشأ مِن العقل وبعثه العقل، وكذا نقول[٤] في (آمرُ فطنةٍ).

قوله: (وممّا يتولَّع) يتولَّع يتفعَّل مِن الولوع، وهو الاستهتار. يقال: وَلِع به وأُولِع به ويتولَّع. يقال: فلان مُستهتَر بالشراب، أي: مُولَع به لا يبالي ما قيل.

قوله: (تأمرك بتكليف) أي: تأمرك بتكليفك إيّانا أن نترك.

قوله تعالى: ﴿أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ﴾ عطف[٥] على قوله: ﴿مَا يَعۡبُدُ﴾، كأنّه قيل: أصلاتك[٦] تأمرك أن نترك أن[٧] نفعل في أموالنا. وأمّا على قراءة [ابن][٨] أبي عَبْلة،[٩] فعلى ذلك المحذوف كأنّه قيل: تأمرك بأن تفعل أنت.

---

[١] الصحاح للجوهري، «طنز».

[٢] ن: و.

[٣] الصحاح للجوهري، «طنز».

[٤] ر: القول.

[٥] ن – عطف.

[٦] ن ر: أصواتك.

[٧] ن: ما؛ ر – أن.

[٨] د ن ر – ابن.

[٩] وهي قراءة شاذّة مروية عن زيد بن عليّ وابن أبي عبلة والوليد بن مسلم وابن عبّاس والسُّلمي والضحّاك. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٩٩٩.

فحُذف المضاف الذي هو التكليفُ؛ لأنّ الإنسان لا يؤمرُ بفعلِ غيره.

وقرئ ﴿أصلاتك﴾ بالتوحيد.

وقرأ ابن أبي عبلة: "أو أنْ تَفْعَلَ في أموالِنا ما تَشاءُ" بتاء الخطاب فيهما، وهو ما كان يأمرهم به من ترك التطفيف والبَخْس والاقتناعِ بالحلال القليل من الحرام الكثير.

وقيل: كان ينهاهم عن حذف الدراهم والدنانير وتقطيعِها.

وأرادوا بقولهم: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ نسبتَه إلى غاية السَّفَهِ والغَيِّ، فعكسوا ليتهكّموا به كما يُتهَكَّم بالشحيح الذي لا يَبِضُّ حجَرُه، فيقال له: لو أبصرَك حاتمٌ لسَجَد لك.

قوله:[١] (لأنّ الإنسان) لا يتعلّق بقوله: "تأمرك"؛[٢] بل يجوز أن يتعلّق بقوله: (حُذف)، فكأنّه حُذف لهذه القرينة. ويجوز أن يقال: هو متعلِّق بقوله: (معنى) فكأنّه قيل: أريدَ لأنّ.[٣]

قوله: (عن حذف الدراهم) الحذف: القطع[٤] والإسقاط. ومنه فرس محذوف الذنب أو العُرف، أي: مقطوعه.

قوله:[٥] (لا[٦] يبِضّ حَجَره) البضيض: جريان الماء قليلًا قليلًا، في المثل: «ما يبضّ حَجَره»،[٧] أي: ما تندى صَفاته.[٨] والصَّفاة: الصخرة المَلساء.[٩] وفي المثل «ما تندى صَفاته»،[١٠] والمعنى: ما تندى كفّه وما[١١] يخرج منه خير.[١٢] وقيل: لم يَنْدَ بخير. وإنّما قيل صَفاته تشبيهًا لكفّه بالحَجَر. ويقرب منه قول القائل:

---

[١] ر: وقوله.

[٢] ن ر + بأن تفعل أنت. قوله: لأنّ الإنسان لا يتعلّق بقوله: تأمرك.

[٣] يعني إلى آخر الكلام.

[٤] ن ر: انقطع.

[٥] ن – قوله.

[٦] ر: ولا.

[٧] مجمع الأمثال للميداني، ٢/٢٢٩؛ المستقصى للزمخشري، ٢/٣٣٤.

[٨] من قوله: "البضيض" إلى هنا بلفظ قريب في الصحاح للجوهري، «بضض».

[٩] ن – الملساء.

[١٠] مجمع الأمثال للميداني، ٢/٢٧٤.

[١١] ن: ومن.

[١٢] ر: خبر.

وقيل: معناه: إنك لَلمُتَواصَفُ بالحِلْم والرُّشد في قومك! يعنون: أن ما تأمر به لا يُطابِقُ حالك وما شُهِرتَ به.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾

﴿وَرَزَقَنِي مِنْهُ﴾؛ أي: من لدُنه ﴿رِزْقًا حَسَنًا﴾ وهو ما رزقَه من النبوَّة والحكمة.

وقيل: ﴿رِزْقًا حَسَنًا﴾: حلالًا طيِّبًا من غير بخسٍ ولا تطفيف.

فإن قلتَ: أين جوابُ ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾، وما له لم يُثبَتْ كما أُثبِتَ في قصَّة نوحٍ ولوطٍ عليهما السلام؟

قلتُ: جوابه محذوفٌ، وإنما لم يُثبَتْ؛ لأن إثباته في القصتين دلَّ على مكانه، ومعنى الكلامِ يُنادي عليه، والمعنى: ....

مـالٌ لُـزومُ الجَمعِ يُمنَع صَرفهُ   في راحـةٍ مثل المنادى المفرَدِ[1]

قوله: (إنّك للمُتواصَف) وهذا مثل قول قوم صالح: ﴿يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا﴾ [هود ٦٢/١١].

قوله: (في قصّة نوح[2] ولوط)[3] قال تعالى في قصّة نوح: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾ [هود ٢٨/١١]، وقال تعالى في قصّة صالح: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ﴾ [هود ٦٣/١١]، وأمّا في قصّة لوط فليس شيء مِن ذلك، فالصواب في لفظ المصنّف: "في قصّة نوح وصالح".

قوله: (على مكانه) أي: على مكان هذا الجواب. ولفظ "مكان" زائد،

---

[1] ن: المنضرد. | والبيت لابن عُنين في ديوانه، ص ٢٢٢؛ وهو له في وفيات الأعيان لابن خلّكان، ٢٣٣/٧؛ والدرّ الفريد لابن أيدمر، ١٩٧/٩؛ وتاريخ الإسلام للذهبي، ٩٣٩/١٣.

[2] ر: قوم.

[3] ر: لوط.

أَخبِروني إنْ كنتُ على حجةٍ واضحةٍ ويقينٍ من ربِّي وكنتُ نبيًّا على الحقيقة: أيَصِحُ لي أنْ لا آمرَكم بتركِ عبادة الأوثان والكفِّ عن المعاصي، والأنبياءُ لا يُبعثون إلا لذلك؟

يقال: "خالَفَني فلانٌ إلى كذا": إذا قَصَده وأنت مُوَلٍّ عنه، و: "خالفني عنه": إذا وَلَّى عنه وأنت قاصدُه، ويَلْقاك الرجلُ صادرًا عن الماء فتسأله عن صاحبه فيقول: "خالفني إلى الماء" يريد أنه قد ذهَبَ إليه واردًا وأنا ذاهبٌ عنه صادرًا، ومنه قولُه تعالى: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ يعني: أَنْ أسبِقَكم إلى شهواتكم التي نهَيْتُكم عنها لِأَستبدَّ بها دونكم.

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ﴾: ما أريد إلَّا أنْ أُصلحَكم بموعظَتي ونصيحتي وأمري بالمعروف ونهيي عن المنكر.

﴿مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾ ظرفٌ؛ أي: ....

أي: على[١] هذا الجواب،[٢] أي: الجواب المذكور فيهما دلّ على هذا الجواب، والمعنى أيضًا يدلّ عليه فحذف.

قوله: (أيصحّ لي) متعلِّق بقوله: (أخبِروني)، وعُلِّق عنه؛ لأنّه متضمِّن معنى العلم. ثمّ إنّ المصنِّف لم يصرِّح ههنا[٣] بذِكر جزاء الشرط؛ لأنّ السؤال عن جواب ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾،[٤] وهو قوله: / "أيصحّ"، وأمّا جواب الشرط فقد يحذف إذا [١٦ظ] كان في الكلام ما يدلُّ عليه، فهو عُلم أيضًا مِن سياق الكلام كأنّه قيل: فمَن ينصرني إن لم أبلّغ الرسالة إلى غير ذلك. والتحقيق أن جواب الشرط يقدَّر مِن جنس ما تقدَّمه مِن ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ مع جوابه، أي: ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ فأخبروني: أيصحّ أن لا آمركم. فقوله: "أيصحّ"... إلخ، جواب ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾. فالمصنِّف أشار إلى معنى ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ بقوله: "أخبِروني"، وأشار إلى جوابه المحذوف بقوله: "أيصحّ"... إلخ.

---

[١] ر + مكان.
[٢] ر + ولفظ مكان زائد، أي: على هذا الجواب.
[٣] ن: ها هنا.
[٤] ر: إن أنتم.

مدَّةَ استطاعتي للإصلاح، وما دُمتُ متمكِّنًا منه، لا آلو فيه جُهْدًا، أو بدلٌ من ﴿ٱلۡإِصۡلَٰحَ﴾؛ أي: المقدارَ الذي استطعتُه منه، ويجوز أن يكون على تقديرِ حذفِ المضاف، على قولك: إلَّا الإصلاحَ إصلاحَ ما استطعتُ، أو مفعولٌ له؛ كقوله:

ضعيفُ النِّكايةِ أَعْداءَه

أي: ما أريد إلَّا أن أُصلح ما استطعتُ إصلاحَه من فاسدِكم.

﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾: وما كَوْني مُوَفَّقًا لإصابة الحقِّ فيما آتي وأَذَرُ ....

قوله: (أي: مدّة[1] استطاعتي) على الأوّل "ما" مصدريّة، والزمان مقدَّر، وعلى الثاني موصول، وكذا على الثالث والرابع.

قوله: (أي: المِقدار الذي[2] استطعتُه[3] منه) أي: مِن الإصلاح،[4] وإنّما قدَّر منه؛ لأنّه بدل البعض، فلا بدّ مِن ضمير يرجع إلى المبدَل منه.

قوله: (ويجوز أن يكون) فعلى هذا يكون ﴿مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ﴾ بدل الكلّ بحذف المضاف.

قوله: (أو مفعول له) أي: مفعول به للإصلاح، كأنّه قال: "مفعوله"، يريد أنّه أعمل المصدر باللام.

قوله:

(ضعيفُ النِّكايةِ أعداءَه)[5]

تمامه:[6]

يَخالُ[7] الفِرارَ يُراخي الأجَلْ[8]

قوله: (فيما آتي وأذَرُ) أي: فيما أفعله وأتركه.

---

[1] ن: هذه.
[2] ر: التي.
[3] ر: استطعت.
[4] ر: الاصطلاح.
[5] ن: أعداه.
[6] ن ر – تمامه.
[7] ر: بحال.
[8] ر: لأجله. | والبيت ما عرفت قائله. وهو بلا عزو في كتاب سيبويه، ١/١٩٢؛ والإيضاح العضدي للفارسي، ص ١٦٠؛ وشرح الرضي على الكافية، ٣/٤١٠.

ووقوعِهِ موافقًا لرضا الله إلّا بمعونته وتأييده، والمعنى: أنه استوفَق ربَّه في إمضاء الأمر على سَنَنه وطلبَ منه التأييدَ والإظهارَ على عدوِّه، وفي ضمنه تهديدٌ للكفار وحَسْمٌ لأطماعهم فيه.

﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾﴾

"جَرَمَ": مِثْلُ "كَسَبَ" في تعدِّيهِ إلى مفعولٍ واحد وإلى مفعولين، تقول: جَرَم ذنبًا وكَسَبَه، وجَرَمْتُه ذنبًا وكَسَبْتُه إيَّاه، قال:

جَـرِمَـتْ فَـــزَارَةَ بعدها أن يَـغْـضَـبُـوا

ومنه قوله تعالى: ﴿لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم﴾؛ أي: لا يَكْسِبنّكم شقاقي إصابةَ العذاب.

وقرأ ابن كثير بضمّ الياء من أَجْرَمْتُه ذنبًا: إذا جعلتَه جارمًا له؛ أي: كاسبًا، وهو منقولٌ من "جَرَم" المتعدِّي إلى مفعولٍ واحد؛ كما نُقل "أكسَبَه المالَ"

قوله: (جَرَم ذنبًا) كما يقال مثلًا: "جَرَم زيد ذنبًا" و"كَسَب زيد ذنبًا"، و"جرَمتُ زيدًا ذنبًا" و"كَسَبتُ زيدًا ذنبًا".

قوله:

(جـرِمَـتْ[١] فـزارةُ بعدها أن يغضبوا)[٢]

أوّله:

ولـقـد طـعـنـتُ أبـا عُـيـيـنـةَ طعـنـةً[٣]

أي: طعنت هذا الرجل طعنةً قتلتُه بها، فكسبَتْ هذه الطعنة قبيلةَ فزارةَ أن يغضبوا.

قوله: (أكسَبَه المالَ) قال الشاعر:

---

[١] ن: حزمت؛ ر: جزمت.

[٢] البيت لأبي أسماء بن الضريبة الفزاري في كتاب سيبويه، ١٣٨/٣؛ ويُنسب لعطيّة بن عُفيف كما نقل البغدادي في خزانة الأدب، ٢٩١/١٠؛ وهو بلا عزو في معاني القرآن للأخفش، ٢٧٢/١؛ وجامع البيان للطبري، ٤٥/٨ (المائدة، ٥/٢).

[٣] ر – طعنة.

من كسَبَ المال، وكما لا فَرْقَ بين "كَسَبْتُه مالًا" و"أكسبتُه إيَّاه"، فكذلك لا فرق بين "جرمتُه ذنبًا" و"أجرمتُه إيَّاه".

والقراءتان مستَوِيَتان في المعنى لا تفاوُتَ بينهما، إلَّا أن المشهورةَ أفصحُ لفظًا كما أن "كسبتُه مالًا" أفصحُ من "أكسبتُه"، والمراد بالفصاحة: أنه على ألسنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيَّتِهم أَدْوَرُ، وهم له أكثر استعمالًا.

وقرأ أبو حيوة ورُوِيَتْ عن نافع: "مثلَ ما أصاب" بالفتح؛ لإضافته إلى غير متمكِّنٍ؛ كقوله:

لم يمنَعِ الشُّربَ منها غيرَ أَنْ نَطقَتْ

أكسبَتْه الوَرِقُ البِيض أبًا[1] ولقد كان ولا يُدعى لأبْ[2]

قوله: (والمراد بالفصاحة)، يعني: المراد بالفصاحة اللفظيّة،[3] لا الفصاحة المعنويّة، فالفصاحة اللفظيّة[4] ما فسَّره ههنا، والمعنويّة: خلوص الكلام عن التعقيد.

قوله:

(لم يمنع الشَّربَ منها غيرَ أن نطقَتْ)

تمامه:

حمامةٌ في غُصون ذاتِ أوقالِ[5]

"منها"، أي: مِن الناقة، أي: لم يمنعها مِن الشرب إلّا أنّها سمعَت صوت حمامة فنفرت، يريد أنّها حديدة الحسّ، فيها فَزَع وذُعر لحِدّة نفسها، وذلك محمودٌ فيها. ويجوز أن يكون المعنى: لمّا نطقت الحمامة اهتاجت[6] الناقة

---

[1] ن ر: أبار.

[2] البيت لمسكين الدارمي. ومضى بتخريجه في تفسير المائدة، ٥/٢.

[3] ن ر: اللطيفة.

[4] ر: اللطيفة.

[5] البيت للكنانيّ في كتاب سيبويه، ٢/٣٢٩. ولأبي قيس بن الأسلت في شرح أبيات مغني اللبيب للبغداديّ، ٣/٣٩٦. والأوقال جمع وَقْل، وهي: الثمار. انظر: لسان العرب لابن منظور، «وقل».

[6] ر: أهاجت.

﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ يعني: أنهم أُهْلِكوا في عَهدٍ قريبٍ من عهدكم فهم أقربُ الهالكين منكم، أو: لا يَبْعُدون منكم في الكُفْر والمَسَاوي وما يُستَحَقُّ به الهلاك.

فإن قلتَ: ما لـ"بعيدٍ" لم يَرِدْ على ما يقتضيه قومٌ من حمله على لفظه أو معناه؟

قلتُ: إما أن يراد: وما إهلاكُهم ببعيدٍ، أو: وما هم بشيءٍ بعيدٍ أو بزمانٍ أو مكانٍ بعيد، ويجوز أن يُسوَّى في بعيدٍ وقريبٍ وقليلٍ وكثيرٍ بين المذكَّر والمؤنَّث؛ لورودها على زِنة المصادر التي هي الصَّهيلُ والنَّهيقُ ونحوُهما.

واشتاقت إلى إلفها فامتنعت مِن الشرب. والشاهد في البيت أنّه فتح "غير"[1] وهو فاعل "يمنع".

قوله: (فإن قلتَ: ما لـ"بعيد" لم يرِد على ما يقتضيه ﴿قَوْمُ﴾) أي: لفظة ﴿قَوْمُ﴾، وهي تقتضي أن يقال: "ببعيدة"؛ لأنّ "القوم" يؤنّث، كقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ [الشعراء ١٠٥/٢٦]، ومعناه يقتضي أن يقال: ببُعداء.[2]

قوله: (قلتُ: إمّا أن يراد: [وما][3] إهلاكهم)... إلخ، اعلم أنّه على الوجهين الأوّلين يكون الباء في ﴿بِبَعِيدٍ﴾[4] زيادة[5] في خبر "ما" و"مِن" يكون صلة "بعيد"[6] متعلّقًا به. وأمّا / على الوجهين الأخيرين فالباء في ﴿بِبَعِيدٍ﴾[7] بمعنى "في" متعلّق بمحذوف، أي: حاصلًا في زمان أو مكان بعيد، و"مِن"[8] للابتداء[9] متعلّق بهذا الظرف. [١٧و]

قوله: (الصهيل والنهيق) الصهيل والصُّهال: صوت الفرس. والنهيق والنُّهاق: صوت الحمار.[10]

---

١ ن ر: عين.

٢ ر: يقعدا.

٣ د ن ر – وما.

٤ د: ببعيدة؛ ن ر: بعيدة.

٥ ن: زائدة.

٦ ن ر: بعيدة.

٧ ن ر – متعلّقًا به وأمّا على الوجهين الأخيرين فالباء في ببعيد.

٨ ن ر: أو من.

٩ ر: الابتداء.

١٠ ن ر: الجمال. | الصحاح للجوهري، «صهل».

﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ۝٩٠﴾

﴿رَحِيمٞ وَدُودٞ﴾: عظيمُ الرحمة للتائبين، فاعلٌ بهم ما يَفعل البليغُ المودَّة بمن يَوَدُّه من الإحسان والإجمال.

﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ۝٩١ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ۝٩٢﴾

﴿مَا نَفۡقَهُ﴾: ما نَفهمُ ﴿كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ﴾؛ لأنّهم كانوا لا يُلقُونَ إليه أَذْهانَهم رغبةً عنه وكراهيةً له؛ كقوله: ﴿وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ﴾ [الأنعام ٢٥/٦].

أو كانوا يفهمونَه؛ ولكنَّهم لم يقبلوه فكأنَّهم لم يفقهوه.

أو قالوا ذلك على وجهِ الاستهانة به؛ كما يقول الرجل لصاحبه إذا لم يَعْبأْ بحديثه: "ما أَدْري ما تقول!"

أو جعلوا كلامَه هَذَيانًا وتخليطًا لا يَنفعهم كثيرٌ منه وكيف لا يَنْفهم كلامُه وهو خطيب الأنبياء.

وقيل: كان ألثَغَ.

﴿فِينَا ضَعِيفٗا﴾: لا قوةَ لك ولا عزَّ فيما بيننا، فلا تقدر على الامتناع منَّا إن أردنا بك مكروهًا.

قوله: (لأنّهم) أي: قالوا ذلك لأنّهم، فهو متعلِّق بمحذوف.

قوله: (وهو خطيب الأنبياء)[1] سُمِّي خطيب الأنبياء لحسن محاورته[2] قومَه، أي: مراجعته الجواب. وقوله: (وقيل: كان ألثَغَ) فعلى هذا يكون استهزاء مثل ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هود ٨٧/١١]. و«اللُّثغة في اللسان: أن تصير الراء غينًا أو لامًا والسين ثاء، وقد لَثِغ بالكسر يلثَغ لَثَغًا فهو ألثَغ وامرأة لَثْغاء».[3]

---

١ ن: للأنبياء.

٢ ن ر: مجاوزته.

٣ الصحاح للجوهري، «لثغ».

وعن الحسن: ﴿ضَعِيفًا﴾: مَهينًا.

وقيل: ﴿ضَعِيفًا﴾: أَعْمى، وحِمْيَرُ تُسمِّي المكفوفَ: ضعيفًا، كما يُسمَّى: ضريرًا.

وليس بسديدٍ؛ لأن ﴿فِينَا﴾ يأباه، ألا ترى أنه لو قيل: "إنا لنراك فينا أعمى" لم يكن كلامًا؛ لأن الأعمى أعمى فيهم وفي غيرهم؛ ولذلك قَلَّلوا قومَه حيث جعلوهم رهطًا، فالرهطُ: من الثلاثة إلى العشرة، وقيل: إلى السبعة، وإنما قالوا: "ولولاهم" احترامًا لهم واعتدادًا بهم؛ لأنهم كانوا على ملَّتهم، لا خوفًا من شوكتهم وعزَّتهم.

﴿لَرَجَمْنَٰكَ﴾: لقتلنَاك شرَّ قِتلةٍ ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾؛ أي: لا تعزُّ علينا ولا تُكرَمُ حتى نكرِمَك من القتل ونرفعَك عن الرجم، وإنما يعزُّ علينا رَهْطُك؛ لأنهم من أهل ديننا لم يختاروك علينا ولم يتَّبعوك دوننا، وقد دلَّ إيلاءُ ضميره حرفَ النفي على أن الكلامَ واقعٌ في الفاعل لا في الفعل؛ كأنه قيل: وما أنت علينا بعزيزٍ بل رهطُك هم الأعزَّةُ علينا؛ ولذلك قال في جوابهم: ﴿أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾، ولو قيل: "وما عَزِزْتَ علينا" لم يصحَّ هذا الجواب.

قوله: (لم يكن كلامًا)؛ لأنّ ما لا يفيد المستمع لا يكون كلامًا، ولذلك قال بعض النحويين: «حدّ الكلام: ما أفاد المستمِع».[1] وأمّا مَن قال: «الكلام: ما تضمّن كلمتين بالإسناد»[2] فهو يئول إلى ذلك أيضًا؛ لأنّ الإسناد نسبة أحد الجزأين إلى الآخر لإفادة المخاطب فائدةً يصحُّ السكوت عليها.[3]

قوله: (ولذلك قلّلوا) إشارة إلى التفسيرين الأوّلين.

قوله: (ولولاهم) أي:[4] ولولا قومك.

قوله: (لا خوفًا)؛[5] لأنّهم قللوهم حيث قالوا: ﴿رَهْطُكَ﴾ باللفظ الدالّ على القلّة.

---

١ ملحة الإعراب للحريري، ص ٤.

٢ الكافية لابن الحاجب، ص ١١.

٣ هذا التعريف بلفظ قريب في الكنّاش لصاحب حماة، ١/١١٥.

٤ ن ر – أي.

٥ ر: حرفا.

فإن قلتَ: فالكلام واقعٌ فيه وفي رَهْطِه، وأنهم الأعزَّةُ عليهم دونه، فكيف صحَّ قوله: ﴿أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾؟

قلتُ: تهاونُهم به وهو نبيُّ الله تهاونٌ بالله، فحين عزَّ عليهم رهطُه دونه كان رهطُه أعزَّ عليهم من الله، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء ٤/٨٠].

﴿وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾: ونَسِيتمُوه وجعلتُموه كالشيء المنبوذ وراء الظَّهر لا يُعبأ به.

والظِّهْرِيّ: منسوبٌ إلى الظَّهر، والكسرُ من تغييرات النَّسَب، ونظيرُه قولهم في النسبة إلى الأَمْسِ: إِمْسِيٌّ.

﴿بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ قد أحاط بأعمالكم علمًا فلا يخفَى عليه شيءٌ منها.

﴿وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾﴾

﴿عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ لا تخلو المكانةُ من أن تكون بمعنى المكان؛ يقال: مكانٌ ومكانَةٌ ومَقام ومَقامةٌ، أو تكونَ مصدرًا من مَكُنَ مكانةً فهو مَكينٌ، والمعنى: اعملوا قارِّين على جِهَتِكم التي أنتم عليها من الشركِ والشَّنَآنِ لي، أو: اعملوا متمكِّنين من عداوتي مطيقِينَ لها.

﴿إِنِّي عَٰمِلٌ﴾ على حَسَبِ ما يؤتيني اللهُ من النُّصرة والتأييد ويمكِّنُني.

قوله: (فإن قلتَ: فالكلام واقع فيه وفي رهطه) لا فيهم وفي الله تعالى شأنه.

قوله: (قارِّين على جهتكم)... إلخ، فيه لفٌّ ونشر. وقوله: "قارِّين" إلى قوله: (لي) متعلِّق بالأوَّل، فيكون قد شبَّه تعالى[1] جهتهم التي هي عليها بالمكان. وقوله: (أو اعملوا) إلى (عليها) متعلِّق بالثاني.

---

[1] ر – تعالى.

﴿مَن يَأْتِيهِ﴾ يجوز أن تكون ﴿مَن﴾ استفهاميةً معلّقةً لفعلِ العلم عن عمله فيها؛ كأنه قيل: سوف تعلمون أَيُّنا يأتيه عذابٌ يُخزيه وأَيُّنا هو كاذبٌ، وأن تكون موصولةً قد عَمِل فيها؛ كأنه قيل: سوف تعلمون الشَّقيَّ الذي يأتيه عذابٌ يُخزِيه والذي هو كاذبٌ.

فإن قلتَ: أيُّ فرقٍ بين إدخالِ الفاء ونزعِها في ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾؟

قلتُ: إدخال الفاء: وصلٌ ظاهرٌ بحرفٍ موضوعٍ للوصل، ونَزْعُها: وصلٌ خَفِيٌّ تقديريٌّ بالاستئناف الذي هو جوابٌ لسؤالٍ مقدَّرٍ؛ كأنهم قالوا: فماذا يكون إذا عمِلنا نحن على مكانتنا وعمِلتَ أنتَ؟ فقال: ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ فوُصل تارةً بالفاء وتارةً بالاستئناف للتفنُّن في البلاغة كما هو عادةُ بلغاءِ العرب، وأقوى الوصلين وأبلغُهما الاستئنافُ، وهو بابٌ من أبواب علمِ البيان تتكاثَرُ محاسِنُه.

﴿وَٱرْتَقِبُوٓا۟﴾: وانتظروا العاقبةَ وما أَقُول لكم ﴿إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾: إني منتظرٌ، والرقيبُ بمعنى الرّاقب مِن رَقَبه؛ كالضَّريبِ والصَّريم بمعنى الضاربِ والصارم، أو بمعنى المُراقبِ كالعشيرِ والنديم، أو بمعنى المرتقِب كالفقير والرفيع بمعنى المفتَقِرِ والمرتَفِع.

فإن قلتَ: قد ذَكر عملَهم على مكانتهم وعملَه على مكانته، ثم أَتْبَعه ذِكْرَ عاقبة العامِلين منه ومنهم، فكان القياسُ أن يقول: "مَن يأتيه عذابٌ يُخزيه ومَن هو صادقٌ"، حتى ينصرفَ ﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ إلى الجاحدين "ومَن هو صادقٌ" إلى النبيِّ المبعوثِ إليهم.

قلتُ: القياسُ ما ذكرتَ؛ ولكنَّهم لمَّا كانوا يدَّعونه كاذبًا قال: ﴿وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ﴾ يعني: في زعمكم ودعواكم، تجهيلًا لهم.

قوله: **(قد عمل فيها)** أي: عمِل فعل العلم.

قوله:[١] **(قلتُ: إدخال الفاء)**، يعني أنّ الفاء[٢] لمّا كانت للسببيّة وُصل ما بعدها، وهو ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، بما قبلها وصلًا ظاهرًا.

---

[١] ن ر – (قد عمل فيها) أي: عمل فعل العلم قوله. [٢] ن + يعني أنّ الفاء.

فإن قلتَ: ما بال ساقتَيْ قصَّةِ عادٍ وقصَّة مدينَ جاءتا بالواو والساقتان الوُسْطيان بالفاء؟

قلتُ: قد وقعتِ الوُسْطيانِ بعد ذكر الوَعْد، وذلك قوله: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ﴾ [هود ٨١/١١]، ﴿ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود ٦٥/١١]، فجيء بالفاء الذي هو للتسبيب؛ كما تقول: وعدتُه فلمَّا جاء الميعادُ كان كيتَ وكيتَ، وأمَّا الأُخرَيانِ فلم تقعا بتلك المثابة، وإنما وقعتا مبتَدَأتين فكان حقُّهما أن تُعطَفا بحرف الجمع على ما قبلَهما كما تَعطِفُ قصَّةً على قصَّةٍ.

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾

"الجَاثِمُ": اللازِمُ لمكانه لا يَرِيمُ؛ كاللَّابد، يعني: أن جبريل صاح بهم صيحةً فزهَقَ روحُ كلِّ واحد منهم بحيث هو قعْصًا.

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا﴾: كأنْ لم يُقيموا في ديارهم أحياءً متصرِّفين متردِّدين.

قوله: (فما بال ساقتَي[١] قصَّة؟) ساقة[٢] قصَّة عاد قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا﴾ [هود ٥٨/١١]، وساقة قصَّة مدين: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا﴾ [هود ٩٤/١١]، والوُسطيان[٣] الأولى قصَّة ثمود: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا﴾ [هود ٦٦/١١]، والأخرى قصَّة لوط: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾ [هود ٨٢/١١].

قوله: (كاللابد) لبَد بالمكان لُبودًا: أقام[٤] به فلم يبرح.

قوله: (قَعْصًا) «القَعْص: الموت الوحيُّ. يقال: مات فلان قعصًا إذا أصابته ضربة أو رَمية فمات مكانه. أقعصتُ الرجل إذا قتلتَه في مكانه في الحال».[٥]

---

[١] ر: شاققي.
[٢] ر: شاقة.
[٣] ر: والوسيطان.
[٤] ن: قام.
[٥] الصحاح للجوهري، «قعص».

"البُعْدُ" بمعنى: البَعَدِ، وهو الهلاك؛ كالرُّشْد بمعنى الرَّشَد، ألا ترى إلى قوله: ﴿كَمَا بَعِدَتْ﴾.

وقرأ السُّلَمِيُّ: "بَعُدَتْ" بضم العين، والمعنى في البناءين واحدٌ وهو نقيض القُرب، إلَّا أنهم أرادوا التَّفصِلةَ بين البُعد من جهةِ الهلاك وبينَ غيره، فغيَّروا البناء كما فرَّقوا بين ضماني الخيرِ والشرِّ فقالوا: "وعَدَ" و"أوعَدَ"، وقراءة السلميِّ جاءَتْ على الأصل اعتبارًا لمعنى البُعد من غيرِ تخصيصٍ؛ كما يقال: "ذهَبَ فلانٌ" و"مضى" في معنى الموت.

وقيل: معناه: بُعدًا لهم من رحمةِ الله كما بَعُدَتْ ثمود منها.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ۖ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾﴾

﴿بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ فيه وجهان:

أن يراد أنَّ هذه الآيات فيها سلطانٌ مُبين لموسى على صدقِ نبوَّته.

قوله: (أن يُراد أنّ هذه الآيات) على هذا الوجه يكون العطف فيه للبيان،[١] كما قال في قولهم: "ويكره التماثيل والتصاوير".[٢] والأولى أن نقول: لمّا كانت آياتٍ وسلطانًا عُطف كما يعطف بعض الصفات على بعض. وقوله: (على صدق) نبوّته متعلّق بـ(سلطان)؛ لأنّه بمعنى حجّة واضحة. قال المصنِّف في سورة القصص: / سُمّيت الحجّة برهانًا لبياضها وإنارتها، مِن قولهم للمرأة [١٧ظ]
البيضاء: "بَرَهْرَهة" بتكرير العين واللام معًا. نظيرُه تسميتهم إيّاها سلطانًا مِن السَّليط، وهو الزيت، لإنارتها.[٣] ثمّ قال فيها في تفسير ﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا﴾ [القصص ٣٥/٢٨]: «غلبةً[٤] وتسلُّطًا أو حجّة واضحة».[٥] وإليه أشار في قوله:

---

١ ن: لبيان.
٢ ذكر ذلك المطرّزي في المغرب، «مثل».
٣ انظر: الكشّاف للزمخشري، (القصص، ٣٢/٢٨).
٤ ن ر: عليه.
٥ الكشّاف للزمخشري، (القصص، ٣٥/٢٨).

وأن يراد بالسلطان المبين: العَصَا؛ لأنّها أبهَرُها.

﴿وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ﴾ تجهيلٌ لمتَّبِعيه حيث شايَعوه على أمره، وهو ضلالٌ مُبينٌ لا يخفَى على مَن فيه أدنى مُسكةٍ من العقل، وذلك أنه ادَّعَى الإلهيَّةَ وهو بشرٌ مثلُهم، وجاهَرَ بالعَسْف والظلم والشرِّ الذي لا يأتي إلَّا من شيطانٍ ماردٍ، ومِثْلُه بمعزلٍ من الإلهيَّة ذاتًا وأفعالًا، فاتَّبعوه وسلَّموا له دعواه وتتابَعوا على طاعته.

والأمر الرشيد: الذي فيه رُشْدٌ؛ أي: وما في أمره رُشْدٌ إنما هو غَيٌّ صريحٌ وضلالٌ ظاهرٌ مكشوفٌ، وإنّما يتَّبع العقلاءُ مَن يُرشدهم ويهديهِم لا مَن يُضلُّهم ويُغْوِيهِم، وفيه: أنّهم عاينوا الآياتِ والسلطانَ المبين في أمر موسى عليه السلام، وعلموا أن معه الرُّشدَ والحقَّ، ثم عَدَلوا عن اتِّباعه إلى اتِّباعِ مَن ليس في أمره رشدٌ قط.

(أبهَرها) أي: أوضحَها وأبيَنها.[١] يقال: «بهَر القمر: أضاء حتّى غلب نوره نورَ الكواكب».[٢]

قوله: (وأن يراد بالسلطان) فعلى هذا يكون مِن قبيل قوله تعالى: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ[٣] وَجِبۡرِيلَ﴾ [البقرة ٩٨/٢]. وإلى هذا المعنى أشار بقوله: (لأنّها) أي: لأنّ العصا أبهر[٤] الآيات. فقوله:[٥] "لأنّها" متعلِّق بـ"يراد".

قوله: (لا يخفى) أي: لا يخفى كونه ضلالًا.

قوله: (مُسْكة)[٦] يقال: "فيه مُسكة مِن خير" بضمّ الميم وسكون السين، أي: خير.[٧]

قوله: (وفيه أنّهم) أي: في هذا الكلام بيان أنّهم.

---

[١] ر: وأنبتها.

[٢] الصحاح للجوهري، «بهر».

[٣] د ن – ورسله.

[٤] ن ر: أبهم.

[٥] ن: قوله.

[٦] ن: مشكة.

[٧] نقله الجوهري عن أبي زيد الأنصاري. الصحاح للجوهري، «مسك». وفيه «أي: بقية» مكان «أي: خير».

﴿يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ﴾؛ أي: كما كان قدوةً لهم في الضلال كذلك يتقدَّمُهم إلى النار وهم يتّبعونه.

ويجوز أن يريد بقوله: ﴿وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ﴾: وما أمرُه بصالحٍ حميدِ العاقبة، ويكون قوله: ﴿يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ﴾ تفسيرًا لذلك وإيضاحًا؛ أي: كيف يَرشُدُ أمرُ مَن هذه عاقبتُه، والرشدُ يُستعمَل في كلِّ ما يُحمَدُ ويُرتضَى؛ كما استُعمل الغَيُّ في كلِّ ما يُذمُّ ويُتسخَّطُ.

ويقال: "قَدَمه" بمعنى: تقدَّمه، ومنه: قادِمَةُ الرَّحْل؛ كما يقال: "قدَّمه" بمعنى: تقدَّمه، ومنه: مقدِّمة الجيش، و"أقدم" بمعنى: تقدَّم، ومنه مُقْدَمُ العين.

فإن قلتَ: هلَّا قيل: "يقدُم قومَه فيُوردُهم" ولِمَ جيء بلفظ الماضي؟

قلتُ: لأن الماضيَ يدلُّ على أمرٍ موجودٍ مقطوعٍ به؛ فكأنه قيل: يقدُمُهم فيُوردُهم النارَ لا محالةَ.

و﴿ٱلۡوِرۡدُ﴾: المَوْرِدُ، و﴿ٱلۡمَوۡرُودُ﴾: الذي ورَدُوه.

شُبِّه بالفارط الذي يتقدَّم الواردةَ إلى الماء، وشُبِّه أتباعُه بالواردة، ثم قيل:

قوله: (والرُّشد مستعمل)[١] لمّا فسّر الرشيد بالصالح أشار إلى صحّة هذا الاستعمال بقوله: "والرشد مستعمل فيما يُحمَد".

قوله: (ومنه قادمةُ الرَّحْل) أي: خلاف آخرته.

قوله: (ومنه مقدِّمة الجيش) وهي[٢] خلاف ساقته.

قوله: (ومنه مُقدِم العين) بكسر الدال ممّا يلي الأنف كمُؤخِرها ممّا يلي الصُّدغ. والحاصل أنّه جاء قدَم وقدَّم وأقدم بمعنى تقدَّم.

قوله: (شُبِّه بالفارط)،[٣] أي: شبّه فرعون في قوله: ﴿يَقۡدُمُ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلنَّارَ﴾. فرَط القوم وفاتهم،[٤] أي: سبقهم، وهو مِن قولهم: «فرطتُ القوم أفرُطهم فرطًا،

---

[١] في مطبوع الكشّاف: يستعمل. | وأثبتُّ ما في حاشية الجاربردي وما راجعته من أصول الكشّاف.

[٢] ر: وهو.

[٣] ر: بالغائط.

[٤] ن ر: فإنهم.

بئس الوردُ الذي يَرِدُونه النارُ؛ لأن الوردَ إنما يرادُ لتسكينِ العطش وتبريدِ الأكباد، والنارُ ضدُّه.

﴿وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ﴾؛ أي: في هذه الدنيا ﴿لَعۡنَةٗ﴾؛ أي: يُلعَنون في هذه الدنيا ويُلعنون في الآخرة.

﴿بِئۡسَ ٱلرِّفۡدُ ٱلۡمَرۡفُودُ﴾ رفدُهم؛ أي: بئس العونُ المُعانُ، وذلك أنَّ اللعنةَ في الدنيا رِفدٌ للعذاب ومَدَدٌ له، وقد رُفِدَتْ باللعنة في الآخرة.

وقيل: بئس العطاءُ المُعطَى.

﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَۖ مِنۡهَا قَآئِمٞ وَحَصِيدٞ ١٠٠﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأٌ ﴿مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَ﴾ خبرٌ بعد خبرٍ؛ أي: ذلك النبأُ بعضُ أنباءِ القرى المُهلَكة مقصوصٌ عليك.

﴿مِنۡهَا﴾ الضمير لـ﴿ٱلۡقُرَىٰ﴾؛ أي: بعضُها باقٍ وبعضُها عَافِي الأَثَرِ؛ ....

أي: سبقتُهم إلى الماء فأنا فارط، والجمع فُرّاط. قال القُطامي:

فاستعجلونا وكانوا مِن صحابتنا كما تقدَّم فُرّاط لوُرّادِ»[1]

قوله تعالى: ﴿بِئۡسَ ٱلرِّفۡدُ﴾ «الرِّفد بالكسر: العطاء والصلة. والرَّفد بالفتح المصدر، تقول: رفدتُه أرفِده رفدًا، أي:[2] أعطيته، وكذلك إذا أعنته. والإرفاد: الإعطاء والإعانة».[3]

قوله: (خبرٌ بعد خبر) أي: ﴿مِنۡ أَنۢبَآءِ﴾... إلخ، خبر بعد خبر، فإنّ قوله: ﴿نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَ﴾ خبر واقع بعد خبر آخرَ، وهو ﴿مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ﴾.

قوله: (وبعضُها عافي الأثر)[4] يقال: «عفَت الريح المنزلَ، أي: درسَته،[5] وعفا المنزل يعفو، أي: درس. جاء متعدِّيًا ولازمًا».[6]

---

[1] الصحاح للجوهري، «فرط». والبيت في ديوان القطامي، ص ٩٠؛ وهو له في إصلاح المنطق لابن السكّيت، ص ٦٨؛ والزاهر لابن الأنباري، ١/٣٠٩.

[2] ر: لتي.

[3] الصحاح للجوهري، «رفد».

[4] ر: الأمر.

[5] ر: درست.

[6] الصحاح للجوهري، «عفا».

كالزَّرْع القائم على ساقه والذي حُصد.

فإن قلتَ: ما محلُّ هذه الجملة؟

قلتُ: هي مستأنَفةٌ لا محلَّ لها.

﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ١٠١﴾

﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ بإهلاكنا إيَّاهم ﴿وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ بارتكابِ ما به أُهلكوا ﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ﴾: فما قدرَتْ أنْ تردَّ عنهم بأسَ الله.

﴿يَدْعُونَ﴾: يعبدون، وهي حكايةُ حالٍ ماضية.

﴿لَّمَّا﴾ منصوبٌ بـ"ما أغنَتْ".

﴿أَمْرُ رَبِّكَ﴾: عذابُه ونقمَتُه.

﴿تَتْبِيبٍ﴾: تخسيرٍ، يقال: تَبَّ: إذا خَسِر، وتبَّبَه غيرُه: أوقعه في الخُسران.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ١٠٢﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ محلُّ الكاف الرفعُ، تقديره: ومِثْلُ ذلك الأخذِ ﴿أَخْذُ رَبِّكَ﴾، والنَّصبُ فيمَن قرأ: "وكذلك أَخَذَ ربُّك" بلفظ الفعل، وقرئ: "إذ أَخَذ القرى".

﴿وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ﴾ حالٌ من ﴿ٱلْقُرَىٰ﴾.

﴿أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾: وجيعٌ صعبٌ على المأخوذ، ....

قوله: (فإن قلتَ: ما محلّ هذه الجملة؟) أي: ﴿مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ﴾ أغنى عنه، أي: نحّاه وبعّده.

قوله: (محلّ الكاف) أي: محلّ الكاف الرفع[1] فيمَن قرأ بلفظ المصدر، وحذف المصنِّف هذا لدلالة[2] ما بعده عليه.

---

[1] ن ر: والرفع.

[2] ر: الدلالة.

وهذا تحذيرٌ من وَخامةِ عاقبةِ الظُّلم لكلِّ أهلِ قريةٍ ظالمةٍ من كفارِ مكَّة وغيرِها؛ بل لكلِّ مَن ظَلَم غيرَه أو نفسَه بذنبٍ يقترفُه، فعلى كلِّ مَن أذنب أن يحذَرَ أخْذَ ربِّه الأليمَ الشديدَ فيُبادرَ التوبةَ ولا يغترَّ بالإمْهال.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى ما قصَّ الله من قصصِ الأمم الهالكةِ بذنوبهم.

﴿لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ﴾ لعِبْرةً له؛ لأنه ينظر إلى ما أحلَّ اللهُ بالمجرمين في الدنيا، وما هو إلّا أُنمُوذَجٌ مما أَعَدَّ لهم في الآخرة، فإذا رَأى عِظَمَه وشِدَّتَه اعتبرَ به عِظَمَ العذاب الموعود فيكون له عبرةً وعِظَةً ولطفًا في زيادة التَّقوى والخشيةِ من الله، ونحوه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ [النازعات ٢٦/٧٩].

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى يوم القيامة؛ لأن عذاب الآخرة دلَّ عليه.

و﴿النَّاسُ﴾ رفعٌ باسم المفعول الذي هو ﴿مَّجْمُوعٌ﴾ كما يُرفع بفعْله إذا قلتَ: يُجمع له الناس.

قوله: (مِن وَخامة) أي: ثِقَل،[١] يقال: «رجل وخِم بكسر الخاء ووَخْم بالتسكين ووخيم، أي: ثقيل بيِّن الوخامة والوُخومة».[٢]

قوله: (﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما قصّ الله)،[٣] يعني: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾.

قوله: (وما هو إلّا أنموذج) جملة معترضة. النَّموذج[٤] بالفتح والأُنموذج بالضمّ تعريب "نموذه".

قوله: (﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى يوم القيامة) أي: في قوله[٥] تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ﴾.

قوله: (لأن عذاب / الآخرة) متعلِّق بقوله: "إشارة" مِن حيث المعنى، فكأنّه [١٨و]
قيل: صحّت الإشارة إليه؛ لأنّ ما تقدّم يدلّ عليه.

---

[١] ن: انقل؛ ر: نقل.
[٢] الصحاح للجوهري، «وخم».
[٣] ن ر – إلى ما قصّ الله.
[٤] ن: الموذج.
[٥] ن ر – (ذلك إشارة إلى يوم القيامة) أي: في قوله.

فإن قلتَ: لأيِّ فائدةٍ أُوثِرَ اسمُ المفعول على فعلِه؟

قلتُ: لِمَا في اسم المفعولِ من دلالةٍ على ثَباتِ معنى الجمعِ لليوم، وأنّه يوم لا بدَّ من أن يكون ميعادًا مضروبًا لجمع الناس له، وأنه الموصوف بذلك صفةً لازمةً، وهو أثبتُ أيضًا لإسناد الجمع إلى الناس وأنهم لا ينفكون منه، ونظيرُه قول المتهدِّد: إنك لمنهوبٌ مالُك محروبٌ قومُك، فيه مِن تمكُّن الوصفِ وثباته ما ليس في الفعل، وإن شئتَ فوازِنْ بينه وبين قوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ﴾ [التغابن ٩/٦٤] تَعْثُر على صحّة ما قلتُ لك.

ومعنى يجمعون له: يجمعون لِمَا فيه من الحساب والثواب والعقاب.

﴿يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾: مشهودٌ فيه، ....

قوله: (أُوثِرَ) أي: اختيرَ، والإيثار: الاختيار.

قوله: (وأنّه يوم لا بدّ) عطف على (ثبات) بطريق البيان، والمراد مِن (ثبات معنى الجمع لليوم):[١] كون ذلك اليوم موعدًا للجمع، أي: لجمع الناس فيه. وقوله: (بذلك) أي: بكونه ميعادًا.[٢] وقوله: (وهو أثبتُ) أي: اسم المفعول أثبت مِن الفعل لإسناد الجمع إلى الناس، وهو عطف[٣] على قوله: (لِما)... إلخ. فأجاب عن السؤال بوجهين: الأوّل ثبات معنى الجمع لليوم، والثاني تقوية إسناد الجمع إلى الناس، فكأنّه قيل: لا بدّ لذلك اليوم مِن أن يكون ميعادًا[٤] للجمع،[٥] ولا بدّ للناس أن يجتمعوا في ذلك اليوم.

قوله: (مَحروب قومك) يقال: «حَرَبه يحرُبه حَرَبًا مثل طَلَبه يطلبه طَلَبًا إذا أخذ ماله وتَرَكه بلا شيء. وقد حُرب مالَه، أي: سُلِبه فهو حريب ومحروب».[٦] حُرِب الرجل: سُلِب ماله فهو حريب ومحروب.[٧]

---

١ ر: اليوم.
٢ ن ر: معتادًا.
٣ ن ر – أثبت مِن الفعل لإسناد الجمع إلى الناس وهو عطف.
٤ ن ر: معتادًا.
٥ ن: للجميع.
٦ ن ر – شيء. وقد حُرب ماله، أي: سلبه، فهو حريب ومحروب. | الصحاح للجوهري، «حرب».
٧ ظاهر أنّ هذه العبارة كالتكرار للتي قبلها.

فاتُّسع في الظرف بإجرائه مُجرى المفعول به؛ كقوله:

ويـــومٍ شـهـدنـاه سُـلـيـمًـا وعـامـرًا

أي: يشهدُ فيه الخلائقُ الموقفَ لا يَغيب عنه أحد، والمراد بالمشهود: الذي كثُر شاهِدوه، ومنه قولهم: "لفلانٍ مجلسٌ مشهودٌ وطعامٌ محضورٌ"، قال:

في مَحْفَلٍ من نَوَاصِي الناسِ مشهودِ

فإن قلتَ: فما منَعكَ أن تجعل اليوم مشهودًا في نفسه ....

قوله: (كقوله:

(ويـــومٍ شـهـدنـاه سُـلـيـمًـا وعـامـرًا)

تمامه:

قـليـلٍ سـوى الطَّعـن الـــدِّراك نـوافـلُـهْ[١]

«الدِّراك: المداركة. يقال: دارك[٢] الرجل صوته، أي: تابعه».[٣]

قوله: (قال:

في مَحفِل مِن نواصي الناس[٤] مشهودِ)[٥]

أوّله:[٦]

ومـشـهـدٍ قـد كـفـيـتُ الـغـائـبـيـن بـه

«حَفَل القوم واحتفلوا، أي: اجتمعوا. وعنده حفل مِن الناس، أي: جمع،[٧] وهو في الأصل مصدر. ومَحفِل[٨] القوم ومحتفلهم،[٩] أي: مجمعهم».[١٠]

قوله: (فإن قلتَ: ما منعك أن تجعل اليومَ مشهودًا في نفسه؟) "في نفسه"

---

[١] لرجل من عامر. ومضى تخريجه في تفسير سورة هود، ٦٥/١١.

[٢] ر: دراك.

[٣] الصحاح للجوهري، «درك».

[٤] في هامش د: الخيل. خ [اختصارًا من "نسخة"].

[٥] البيت لأمّ قبيس الضبيّة في بلاغات النساء لابن طيفور، ص ١٧٧؛ وشرح الحماسة للمرزوقي، ١٠٦٠/٣؛ والتذكرة الحمدونيّة لابن حمدون، ٢٠٧/٤؛ وهو بلا عزو في الصحاح للجوهري، «نصا».

[٦] ر: قوله.

[٧] ر: جميع.

[٨] ر: تحفل.

[٩] ن: ومحتفكم؛ ر: ومحفنكم.

[١٠] الصحاح للجوهري، «حفل».

دون أن تجعله مشهودًا فيه؛ كما قال الله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة ١٨٥/٢]؟

قلتُ: الغرضُ وصفُ ذلك اليوم بالهول والعِظَم وتميُّزه من بين الأيام، فإن جعَلْتَه مشهودًا في نفسه فسائرُ الأيام كذلك مشهوداتٌ كُلُّها؛ ولكن يُجعل مشهودًا فيه حتى يحصل التميُّزُ كما تَميَّز يومُ الجمعة عن أيام الأسبوع بكونه مشهودًا فيه دونها، ولم يَجزْ أن يكون مشهودًا في نفسه؛ لأن سائر أيام الأسبوع مثلُه يشهدها كلُّ مَن يَشهده، وكذلك قوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ ﴿ٱلشَّهْرَ﴾ مُنتصِبٌ ظرفًا لا مفعولًا به، وكذلك الضمير في ﴿فَلْيَصُمْهُ﴾، والمعنى:

حال مِن اليوم،[١] أي: تجعل اليوم[٢] في نفسه مشهودًا. ولا يجوز أن يكون متعلِّقًا بـ(مشهودًا)[٣] وإلّا لا يتمّ ما هو غرضه مِن السؤال. وقوله: (كما قال الله تعالى) خبر مبتدأ محذوف، أي: هذا كقوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ﴾ [البقرة ١٨٥/٢]... إلخ، يريد أنّ هذا السؤال وارد عليه أيضًا بأن يقال:[٤] لِمَ لا يجوز أن يكون الشهر مشهودًا لا مشهودًا فيه. وقد مرّ ذلك في سورة البقرة، أي: فمَن كان مقيمًا فيه فليصمه.

قوله: (فسائر الأيّام) جزاء الشرط لفظًا، وفي الكلام حذفٌ تقديره يفسد المعنى؛ لأنّ سائر الأيّام كذلك. فقوله: (كذلك) يجوز أن يكون إشارة إلى اليوم، أي: سائر الأيّام[٥] مثل ذلك اليوم. فعلى هذا قوله: (مشهودات) خبر مبتدأ محذوف، والجملة مبيّنة[٦] لِما قبلها. ويجوز أن يكون إشارة إلى مبهَم يفسّره "مشهودات".

قوله: (ولكن يُجعل) استدراك مِن قوله: (فإن جعلتَه) مِن حيث المعنى، فكأنّه قيل: لا يُجعل مشهودًا ولكن يُجعل مشهودًا فيه.

---

١ ر – مشهودًا في نفسه في نفسه حال مِن اليوم.
٢ ن – (مشهودًا في نفسه) في نفسه حال مِن اليوم، أي: تجعل اليوم.
٣ ر: مشهودًا.
٤ ر: قال.
٥ ن – كذلك فقوله: (كذلك) يجوز أن يكون إشارة إلى اليوم، أي: سائر الأيّام.
٦ ن: مبنية.

فمَن شهد منكم في الشهر فليَصُمْ فيه، يعني: فمَن كان منكم مقيمًا حاضرًا لوطنه في شهر رمضان فليَصُم فيه، ولو نصبتَه مفعولًا به فالمسافرُ والمقيمُ كلاهما يشهدان الشهرَ، لا يشهدُه المقيم ويغيب عنه المسافر.

﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعۡدُودٖ ١٠٤﴾

"الأَجلُ" يُطلق على مدَّة التأجيل كلِّها، وعلى منتهاها، ....

قوله: (فالمسافر) أي: لا يستقيم لأنّ المسافر.

قوله: (ويغيب عنه) الواو فيه لا يجوز أن تكون للعطف؛ لأنّه إن كان عطفًا على (لا[1] يشهده)[2] لزم انتفاء شهود[3] المقيم وثبوت / غيبة المسافر، وهو باطل. [١٨ظ]
وإن كان عطفًا على (شهد)[4] لزم انتفاء الشهود والغيبة، وهو باطل[5] أيضًا، إلّا أن يريد انتفاءَ كلّ واحد فيستقيم، وهو باطل أيضًا إلّا أن يريد انتفاء[6] المجموع لا[7] انتفاء[8] كلّ واحد فيستقيم، لكن فيه إبهام. فالوجه إمّا للحال، أي: لا يشهد المقيم حالَ غيبة المسافر. والمعتمد في هذا الكلام هو الحال، فليُتأمّل.[9] أو الواو للجمع فينتصب "يغيب"[10] به، والمراد ثبوت شهود المقيم وانتفاءُ غيبة المسافر، كما في قولك:[11] "ما تأتينا وتُحدِّثَنا"، أي: أتيت كثيرًا لكن ما كان معه كلام. واعلم أنّ الصواب أنّ الواو في "يغيب" للعطف على "لا يشهد"، بمعنى نفي[12] المجموع، يعني: ليس[13] فيه شهود المقيم مع غيبة المسافر؛ بل هما شاهدان، ولا معنى للاعتراض عليه بلزوم الإيهام.

---

[1] ن ر – لا.
[2] ن ر: ليشهده.
[3] ن ر: مشهود.
[4] ر: يشهد.
[5] ن – وإن كان عطفًا على شهد لزم انتفاء الشهود والغيبة، وهو باطل.
[6] ن ر – كلّ واحد فيستقيم، وهو باطل أيضًا، إلّا أن يريد انتفاء.
[7] ن – لا.
[8] ن: لانتفاء.
[9] د ر + فتأمّل.
[10] ن: لغيب.
[11] ر: قولكم.
[12] ر: ففي.
[13] ر: اليس.

فيقولون: "انتهى الأجلُ" و"بلغ الأجلُ آخرَه"، ويقولون: "حلَّ الأجلُ" ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ [الأعراف ٣٤/٧] يُراد: آخرُ مدَّة التأجيل، والعَدُّ إنما هو للمدَّة لا لغايتها ومنتهاها، فمعنى قوله: ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾: إلَّا لانتهاءِ مدَّةٍ معدودةٍ بحذفِ المضاف.

وقرئ: "وما يؤخره" بالياء.

﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾﴾

قرئ: ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ بغيرِ ياءٍ، ونحوُه قولُهم: لا أَدْرِ. حكاه الخليلُ وسيبويه، وحذفُ الياء والاجتزاءُ عنها بالكسرة كثيرٌ في لغة هُذيلٍ.

قوله: (فيقولون انتهى الأجل)... إلخ، المراد بالمثالين الأوّلين جميع مدّة التأجيل، وبالآخِرين[١] الجزء الأخير[٢] كما ذكر.[٣]

قوله: (فمعنى قوله)... إلخ، الفاء لترتيب الكلام.

قوله: (قرئ: ﴿يَأْتِ﴾ بغير ياء)[٤] قال أبو عليّ:

> ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ﴾ يحتمل أن يكون حالًا مِن الضمير في ﴿يأتى﴾، وأن يكون صفة[٥] ﴿يَوْمَ﴾، وعلى الوجهين لا بدّ مِن تقدير ضمير، أي: لا تكلّم نفس فيه، فإن[٦] كان حالًا فحُذف الياء مِن ﴿يأتى﴾؛ لأنّه كلام[٧] مستقلّ، فيُشبه مِن أجل ذلك الفواصل،[٨] وإن لم يكن فاصلةً، وإن جعلتَه صفة جاز أيضًا؛ لأنّ الصفة قد يُستغنى عنها بالموصوف، كما أنّ الحال كذلك، إلّا أنّ مِن الصفات ما لا يحسن[٩] أن يحذف فيه، ولذلك يُشبَّه بغير الكلام التامّ.[١٠]

قوله: (والاجتزاء) أي: الاكتفاء.

---

١ ن: بالآخرين.

٢ ر: الآخر.

٣ ر: ذكره.

٤ قرأ بها ابن عامر وحمزة وعاصم وخلف. السبعة لابن مجاهد، ص ٣٣٩؛ النشر لابن الجزري، ٢٩٢/٢.

٥ ر: صيغة.

٦ ن ر: وإن.

٧ ر: كلا.

٨ ن ر: التواصل.

٩ ن: يسحن.

١٠ انظر: الحجّة للفارسي، ٣٧٥/٤-٣٧٦.

فإن قلتَ: فاعلُ ﴿يأتِ﴾ ما هو؟

قلتُ: اللهُ عز وجل؛ كقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة ٢/٢١٠]، ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ [الأنعام ٦/١٥٨]، ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر ٨٩/٢٢]، وتعضده قراءةُ مَن قرأ: ﴿وما يؤخره﴾ بالياء، وقولُه: ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾.

ويجوز أن يكون الفاعل ضميرَ اليوم؛ كقوله تعالى: ﴿أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ [يوسف ١٢/١٠٧].

فإن قلتَ: بما انتصَب الظرفُ؟

قلتُ: إمّا أن ينتصِبَ بـ﴿لَا تَكَلَّمُ﴾، وإما بإضمارِ "اذكُرْ"، وإما بالانتهاء المحذوف في قوله تعالى: ﴿إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾ أي: ينتهي الأجلُ يوم يأتي.

فإن قلتَ: فإذا جعلتَ الفاعل ضميرَ اليوم فقد جعلتَ اليومَ وقتًا لإتيان اليوم، وحدَّدتَ الشيء بنفسه؟

قوله:[1] (كقوله تعالى) أي: لا يجوز إسناد الإتيان إلى الوقت كما في هذه الآية.

قوله: (فإن قلتَ: فإذا[2] جعلتَ الفاعل) أشار المصنِّف هنا إلى سؤالين: الأوّل أنّه لمّا أضيفَ ﴿يَوْمَ﴾ إلى ﴿يَأْتِ﴾[3] المسند إلى ضميره[4] يلزم أن يكون للزمان زمان آخر وهو مُحال، الثاني أنّ ﴿يَوْمَ﴾ لمّا أضيف إلى الفعل المسند إلى ضمير اليوم لزم بيان الشيء بنفسه وهو مُحال. وقد بيَّن أبو عليّ الفارسي هذا المعنى بيانًا مبسوطًا فقال:

> فاعل ﴿يَأْتِ﴾ لا يخلو مِن أن يكون اليوم الذي أضيفَ إلى ﴿يَأْتِ﴾ أو اليوم المتقدِّم ذكرُه، فلا يجوز أن يكون فاعله ضمير اليوم الذي أضيفَ إلى ﴿يَأْتِ﴾؛[5] وذلك أنّك[6] لو قلتَ: "لزيدًا يومَ يوافقك تُوافقه" لم يجز؛ لأنّه لا يجوز أن تضيف "يوم" إلى "يُوافقك"؛ لأنّ اليوم هو الفاعل، فلا يجوز أن يضاف إلى فعل نفسِه، ألا ترى أنّك لا تقول: "جئتك يوم يسرُّك"،

---

[1] ن ر – (والاجتراء) أي: الاكتفاء. قوله.
[2] ن ر: إذا.
[3] ر: ثاني.
[4] ن: ضمير.
[5] ر: يأتي.
[6] ر: لأنك.

....

وذلك أنّك إذا قلتَ: "جئتك يومَ يخرج زيد"، فإنّما[١] المعنى "يوم خروج زيد"، فإنّما تضيف المصدر إلى الفاعل، فإذا قال: "يومَ يسرُّك" فمعناه "يوم سروره إيّاك"، وإنّما حدّ هذا أن يكون اليوم معرَّفًا بفعل مسند إلى فاعل معروف بذلك الفاعل، فإذا صار / الفعل مسندًا إلى اليوم فكأنّك إنّما[٢] عرَّفت اليوم[٣] بنفسه؛ لأنّ الفعل معرفته بالفاعل واليوم مضاف إلى الفعل المعرَّف باليوم، فصار مثل قولك: "هذا يوم حرِّه ويوم[٤] بردِه"، والهاء لليوم، وليس هذا مثل "سيِّد قومِه" و"مولى أخيه"، فتضيفه إلى ما هو مضاف إليه؛ لأنّ أخاه وقومه وما أشبه ذلك معرَّف تقصد إليه، وقولك: "يوم سروره زيدًا"[٥] و"يوم يسرُّك" إنّما هو مضاف إلى فعل، وإنّما يقوم الفعل بفاعله ليس أنّ الفعل شيء منفصل يُقصد إليه مِن نفسه، و"واحد أمِّه" و"عبد بطنِه" مضافان إلى الأمّ[٦] والبطن، وكلّ واحد منهما ظاهر يقوم بنفسه. [١٩و]

وكذا لا يجوز أن تضيف الظرف إلى جملة معرَّفة بضمير[٧] وإن كانت ابتداء وخبرًا، لا يجوز أن تقول: آتيك يومَ صحوتُه باردة، و"الليلةَ أولُها مطيرة"، فإن نوّنت في هذا وفي الأوّل حتّى يخرج مِن حدّ الإضافة جاز، فقلت: "آتيك يومًا بُكرتُه[٨] حارّة" و"آتيك يومًا[٩] يسرُّك" و"يومًا[١٠] يُوافقك".

فإذا لم يجز أن يكون قوله: ﴿يَوۡمَ﴾ مضافًا إلى ﴿يَأۡتِ﴾[١١] وفيه ضميره ثبت أنّ في ﴿يَأۡتِ﴾[١٢] ضمير المتقدِّم ذكرُه في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ۝١٠٣ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ﴾،[١٣] أي: ما نؤخِّر[١٤] أحداثه إلّا لأجل معدود

---

١ ر: قائمًا.
٢ ن: فإنما؛ ر: وإنما.
٣ ر – اليوم.
٤ ن – حرّه ويوم؛ ر: يوم.
٥ ن: زيد.
٦ ن: اللام.
٧ ر: ضمير.
٨ ن ر – الأوّل حتى يخرج مِن حدّ الإضافة جاز فقلت: "آتيك يومًا بُكرتُه".
٩ ن: يوم.
١٠ ن ر: وما.
١١ ن ر: ثاني.
١٢ ن: ثاني.
١٣ ر: تأخره.
١٤ ر: تأخر.

قلتُ: المراد إتيانُ هَوْله وشدائده.

﴿لَا تَكَلَّمُ﴾: لا تتكلَّم، وهو نظيرُ قوله: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [النبأ ٣٨/٧٨].

يوم يأتي هذا اليوم الذي تقدَّم ذكره لا تكلَّم نفس. فاليوم في قوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ يراد به الحين والبُرهة، وليس على وضح النهار.[١]

هذا كلام[٢] أبي عليّ، فقد أجاب عن السؤال الأخير بأن الضمير يعود إلى اليوم المذكور. وأمّا المصنِّف فأجاب بأنّ الضمير عائد إلى اليوم المضاف لكن المضاف محذوف، والتقدير: يومَ يأتي هول ذلك اليوم فلا يلزم شيء مِن المحذورَين المذكورَين. لكن يمكن أن يقال: لمّا كان الفعل مبنيًّا بالهَول المضاف إلى ضمير اليوم المضاف إلى الفعل بقي الإشكال الثاني كما هي، فتعيَّن أن يكون الجواب ما ذكره أبو عليّ. يؤيِّده امتناع "يوم حرِّه".

واعلم أنّه يمكن تقوية قول المصنِّف بأن المراد بـ"اليوم" المسند إليه ﴿يَأْتِ﴾: الشدائدُ والوقائع الواقعة في ذلك اليوم، فكأنّه قال: "يومَ يأتي الشدائد والأهوال"، ولا يلزم اعتبار الإضافة فيه؛ بل هو مِن إطلاق الظرف وإرادة المظروف، وإطلاق اللازم[٣] وإرادة الملزوم، وأعني باللازم ما لا يكون إلّا في ذلك اليوم، مثل ﴿زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة ١/٩٩] والنفخ، فيكون كناية ولا يحتاج إلى التطويل المتقدِّم، ومثل الحشر والحساب. وقوله: (حدَّدتَ) أي: بيَّنتَ؛[٤] وذلك لأنّ الظرف إذا أُضيفَ يكون المضاف إليه بيانًا له.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ﴾ الآية، في هذه الآية الجمع مع التفريق والتقسيم، فقوله:[٥] ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ جمع،[٦] وقوله: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ تفريق، وقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ﴾... إلخ، تقسيم.

---

١ انظر: الحجّة للفارسي، ٣٧٣/٤-٣٧٥.
٢ ن: الكلام.
٣ ر: اللام.
٤ ر: يبست.
٥ ن ر: قوله.
٦ ن: وجمع.

فإن قلتَ: كيف يوفَّق بين هذا وبين قوله: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ [النحل ١١١/١٦] وقوله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات ٣٥/٧٧-٣٦]؟

قلتُ: ذلك يومٌ طويلٌ له مواقفُ ومواطنُ، ففي بعضها يجادلون عن أنفسهم، وفي بعضها يكُفُّون عن الكلام فلا يؤذَنُ لهم، وفي بعضها يؤذنُ لهم فيتكلَّمون، وفي بعضها يُختَم على أفواههم وتُكلِّم أيديهم وتَشهد أرجُلُهم.

﴿فَمِنْهُمْ﴾ الضميرُ لأهل الموقف ولم يُذكروا؛ لأن ذلك معلومٌ؛ ولأن قوله: ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ﴾ يدلُّ عليه، وقد مرَّ ذكرُ الناس في قوله: ﴿مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ﴾.

و"الشقيُّ": الذي وجبَتْ له النارُ لإسَاءته، و"السعيدُ": الذي وجبت له الجنَّة لإحسانه.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۝١٠٦ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٠٧ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۖ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ۝١٠٨﴾

قراءةُ العامَّة بفتح الشين، وعن الحسن: "شُقوا" بالضمِّ ....

قوله: (فإن قلتَ: كيف يُوفِّق)... إلخ، أورد المصنِّف السؤال عن الآية التي نحن فيها. وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا/ يَوْمُ﴾ [المرسلات ٣٥/٧٧]... إلخ؛ لأنّ ما نحن فيه [١٩ظ] يدلُّ[١] على أنّهم يتكلّمون إذا أُذِنوا، وهذه تدلّ على أنّهم لا ينطقون أصلًا؛ لأنّهم لا يُؤذَنون، ثمّ ذَكَر الجواب بالجمع بين الآيات الثلاث، ثمّ ذَكَر فائدة أخرى بقوله: (وفي بعضها يُختَم). وقوله: (ففي بعضها) فاء التفسير[٢] والبيان.

قوله: (ولم يُذكروا) حال أو معترضة. وقوله: (لأنّ ذلك معلوم) اللام في "لأنّ" متعلّق (لأهل)؛ لأنّ التقدير: الضمير كائن أو ثابت لأهل الموقف.

قوله: (وجبَتْ) ذَكَر الوجوب بناءً على مذهبه.

---

١ ر: بدل.

٢ ر: لتفسير.

كما قرئ: ﴿سُعِدُواْ﴾.

و"الزفير": إخراجُ النَّفَس، و"الشهيقُ": رَدُّه، قال الشَّمَّاخ:

بعيدُ مَدَى التطريب أوَّلُ صوتِهِ زفيرٌ ويتلوه شهيقٌ مُحَشْرِجُ

قوله: (كما قرئ: ﴿سُعِدُواْ﴾) قال في الصحاح: «سَعِد الرجل بالكسر فهو سعيد مثل سَلِم فهو سليم، وسُعِد فهو مسعود، والسُّعودة خلاف النُّحوسة، وأسعده الله فهو مسعود،[١] ولا يقال: مُسعَد، كأنّهم[٢] استغنوا عنه بـ"مسعود"».[٣] وقال في المُغرِب: «السعد[٤] مصدر سُعِد خلاف نُحِس».[٥]

قوله: (والزفير: إخراج النفَس) قال في التفسير الوسيط:[٦]

قال الزجّاج: هما مِن أصوات المكروبين[٧] المحزونين، وحُكي عن أهل اللغة جميعًا أنّ الزفير بمنزلة ابتداء صوت الحمار بالنهيق، والشهيق[٨] بمنزلة آخر صوته، ونحو هذا قال المفسِّرون. قال الضحّاك ومقاتل: الزفير أوّل نهيق الحمار، والشهيق آخره حين يفرغ مِن صوته إذا ردَّده في جوفه. والمعنى ما قاله ابن عبّاس في رواية عطاء، قال: يريد[٩] ندامة[١٠] ونفسًا عاليًا وبكاءً لا ينقطع.[١١]

قوله:[١٢] (قال الشمّاخ: بعيدُ مدى التطريب) البيت.[١٣] «التطريب[١٤] في الصوت: مدُّه وتحسينه».[١٥] وحَشْرج المريض، أي: تنفّس عند الاحتضار.

---

[١] ن ر - والسعودة خلاف النُّحوسة وأسعده الله فهو مسعود.
[٢] ن ر: كلهم.
[٣] الصحاح للجوهري، «سعد». وفي مطبوعه: «ويقال» مكان «ولا يقال». والظاهر أنّه سقط.
[٤] ن: أسعد.
[٥] المغرب للمطرّزي، «سعد».
[٦] ن ر: الوسط.
[٧] ر: الكروبين.
[٨] ن ر: والنهيق.
[٩] ر: يزيد.
[١٠] ر: أمه.
[١١] الوسيط للواحدي، ٥٩١/٢ (هود، ١٠٦/١١).
[١٢] ن ر + بعيد.
[١٣] البيت في ديوان الشمّاخ بن ضِرار، ص ٨٨، والرِّواية فيه:
بعيد مدى التطريب أُولى نُهاقِه
سحيلٌ وأُخراه خَفيُّ المُحشرَجِ
ورويُّ القصيدة مكسور. وهو له في الحيوان للجاحظ، ٣٨٩/٣.
[١٤] ن: التطريم.
[١٥] الصحاح للجوهري، «طرب».

﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن تراد سماواتُ الآخرة وأرضُها، وهي دائمةٌ مخلوقةٌ للأبد، والدليلُ على أن لها سماواتٍ وأرضًا قولُه: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم ٤٨/١٤]، وقولُه: ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ [الزمر ٧٤/٣٩]؛ ولأنه لا بدَّ لأهل الآخرة مما يُقلُّهم ويُظلُّهم: إما سماءٌ يخلقُها اللهُ، أو يُظلُّهم العرشُ، وكلُّ ما أظلَّك فهو سماءٌ.

والثاني: أن يكون عبارةً عن التأبيد ونفي الانقطاع، كقول العرب: "ما دام تِعارٌ، وما أقام ثَبِيرٌ، وما لاحَ كوكبٌ"، وغير ذلك من كلمات التأبيد.

فإن قلتَ: فما معنى الاستثناءِ في قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ وقد ثبت خلودُ أهل الجنَّة والنار في الأبد من غير استثناء؟

قلتُ: هو استثناءٌ من الخلود في عذاب النار، ومن الخلود في نعيم الجنَّة، وذلك أن أهل النَّار لا يُخلَّدون في عذاب النار وحده بل يعذَّبون بالزمهرير وبأنواعٍ من العذاب سوى عذابِ النار، وبما هو أغلظُ منها كلِّها وهو سخطُ الله عليهم وخَسْؤُهُ لهم وإهانته إيَّاهم، وكذلك أهلُ الجنَّة لهم سوى الجنَّةِ

قوله: (﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾) ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا﴾ [الزمر ٧٤/٣٩].

قوله: (العرش) في الحديث: «سقف الجنّة عرش الرحمن».[1]

قوله: (تِعار) تِعار بكسر التاء اسم: جبل. و(ثَبير) جبل بمكّة.

قوله: (وبأنواع مِن العذاب) كالعقارب والحيّات.[2]

قوله: (وكذلك أهل الجنّة) مبتدأ وخبر، يعني: أهل الجنّة مثل أهل النار في أنّه ليس ثوابهم مقصورًا، كما أنّ عقاب أهل النار[3] ليس مقصورًا على النار. ثمّ بيَّن هذه الجملة بقوله: (لهم)... إلخ، و(لهم)... إلخ.

---

١ الحديث بمعناه في مسند أحمد، ١٤٣/١٤ (٨٤١٩)؛ وصحيح البخاري، ١٦/٤ (٢٧٩٠).

٢ د: والحياة.

٣ ر – النار.

ما هو أكبرُ منها وأجلُّ موقعًا منهم وهو رِضوان الله، كما قال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ﴾ [التوبة ٧٢/٩]، ولهم ما يتفضَّلُ اللهُ به عليهم سوى ثوابِ الجنة مما لا يَعرِفُ كُنْهَه إلَّا هو، فهو المراد بالاستثناء، والدليل عليه قوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ ومعنى قوله في مقابَلته: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾: أنه يفعل بأهل النار ما يريد من العذاب كما يعطي أهلَ الجنَّة عطاءَه الذي لا انقطاع له، فتأمَّلْه فإن القرآنَ يُفسِّر بعضُه بعضًا، ولا يخدعنَّك عنه قولُ المجبِرة

قوله: (وأجلُّ موقعًا منهم) "منهم" متعلِّق بـ"موقعًا" مِن حيث المعنى، يعني: موقعُه عندهم أعظم مِن سائر الأشياء عندهم، فـ"مِن" للابتداء،[١] أي:[٢] مبتدئًا مِن اعتبارهم، فإنّهم يعتبرون ذلك أشدّ اعتبارًا مِن غيره، فموقعُه عندهم أكبر وأعظم مِن موقع غيره.

قوله: (ولهم ما يتفضَّل) جملة معطوفة على جملة قوله: (لهم سوى الجنّة) إلى قوله: "موقعًا منهم" وما بينهما اعتراض.

قوله: (والدليل عليه) فهذا يدلُّ على أنّ هناك أشياء سوى الثواب يتفضَّل[٣] الله بها عليهم[٤] حيث سمّاها عطاءً.[٥]

قوله: (في مقابلته) أي: في مقابلة قوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾.

قوله: (ولا يخدعنّك عنه قول[٦] المُجبِرة) لا حاجة لأهل السنّة في إثبات إخراجُ أهل الكبائر مِن النار إلى حمل هذا[٧] / الاستثناء على ما ذكر، فإنّ الدلائل [١٥و]
قد دلّ على خروجهم منها، وأمّا الدوام فيها فمختصّ بالكفّار، وقد ذكر أهل السنّة لهذا الاستثناء هذا الوجه الذي نقله المصنّف، وهذا الوجه بالحقيقة منقول عن أهل السنّة؛ لأنّه ينقل التفسير عن المفسّرين، فهو مردود عليه

---

١ ر: الابتداء.
٢ ر: التي.
٣ ن ر: بتفضيل.
٤ ن + من.
٥ ن ر – عطاء.
٦ ر: قوله.
٧ ن ر: هذه. | من هنا إلى قوله: "واتيته" في يوسف، ٢٥/١٣ سقط مِن د.

إن المراد بالاستثناء خروجُ أهل الكبائر من النار بالشفاعة، فإن الاستثناء الثانيَ يُنادي على تكذيبهم ويُسجِّلُ بافترائهم، وما ظنُّك بقومٍ نبذوا كتابَ الله لِمَا رَوَى لهم بعض النوابتِ عن عبد الله بن عمرو بن العاص: ليأتينَّ على جهنَّم يومٌ تُصَفَّقُ فيه أبوابُها ليس فيها أحدٌ، وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابًا.

وقد بلغني أنَّ من الضُّلَّال مَن اغترَّ بهذا الحديثِ، فاعتقد أن الكفار لا يخلَّدون في النار، وهذا ونحوه والعياذُ بالله من الخذلان المبين زادَنا اللهُ هدايةً إلى الحق ومعرفةً بكتابه وتنبيهًا على أن نعقل عنه.

ولئن صحَّ هذا الحديث عن ابن العاص فمعناه أنهم يُخرجون من حرِّ النار إلى برد الزمهرير، فذلك خُلُوُّ جهنَّم وصَفقُ أبوابها.

وأقول: أمَا كان لابن عمرٍو في سَيْفيه ومقاتلته بهما عليَّ بنَ أبي طالب

إذا لم يُوافق المذهب الحقّ.[١] ولأهل[٢] السنّة في تحقيق هذا الاستثناء وجوه أخرُ لطيفة مذكورة في موضعها.

قوله: (لِما روى لهم بعض النوابت)[٣] إلى آخره، أجاب المصنّف عن هذا الحديث مِن ثلاثة أوجه: الأوّل أن الطعن فيمَن روى هذا الحديث[٤] عن عبد الله، وهو قوله: "بعض النوابت".[٥] قال في الصحاح: «النوابت:[٦] من[٧] الأحداث: الأغمار».[٨] والثاني التأويل الذي أشار إليه بقوله: (ولئن صحّ) إلى آخره. والثالث الطعن في عبد الله بن عمرو بن العاص بأنّه مِن أهل البغي، وهو قوله: (أما كان لابن عمرو) إلى آخره. وقوله: (تُصفَّق) صَفَقت الباب: رددته، وكذلك أصفقته.[٩]

قوله: (وهذا ونحوه) إلى آخره، هذا اعتقاد أنّ الكفّار[١٠] الأشقياء لا يخلدون في النار.

---

١ ن – فهو مردود عليه إذا لم يوافق المذهب الحقّ ولأهل.
٢ ن + وهم مِن أهل السنّة.
٣ ر: النوائب.
٤ ن – مِن ثلاثة أوجه: الأوّل أن الطعن فيمَن روى هذا الحديث. | وأُثبتت هذه الزيادة في هامشها مِن نسخة.
٥ ر: النوائب.
٦ ر: النوائب.
٧ ن ر – من.
٨ ن ر: والأعمار. | الصحاح للجوهري، «نبت».
٩ انظر: الصحاح للجوهري، «صفق».
١٠ ن: الكبائر.

رضي الله عنه ما يشغَلُه عن تسيير هذا الحديث.

﴿غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾: غيرَ مقطوعٍ؛ ولكنَّه ممتدٌّ إلى غيرِ نهايةٍ؛ كقوله: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [فصلت ٨/٤١].

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾﴾

لمَّا قصَّ قِصَصَ عَبَدة الأوثان، وذَكَر ما أَحَلَّ بهم من نِقَمه وما أعدَّ لهم من عذابه، قال: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ﴾؛ أي: فلا تشكَّ بعدَ ما أُنزل عليك من هذه القصصِ في سوء عاقبة عِبادتهم وتعرُّضِهم بها لِمَا أصاب أمثالَهم قبلهم؛ تسليةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وعِدَةً بالانتقام منهم ووعيدًا لهم.

ثم قال: ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم﴾ يريد: أنَّ حالهم في الشرك مثلُ حال آبائهم من غيرِ تفاوت بين الحالتين، وقد بلغك ما نزل بآبائهم فسيَنْزلَنَّ بهم مثلُه، وهو استئنافٌ معناه تعليلُ النهي عن المرْيَة.

قوله تعالى: / (﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [فصلت ٨/٤١]) المنّ: القطع والنقص.[١] [١٥ظ]

قوله: (في سوء عاقبة)، يعني حذف المضاف والمضاف إليه مِن قوله: "ما يعبد" و"ما" مصدريّة، أي: مِن سوء عاقبةِ ما يعبد هؤلاء، أي: مِن سوء عاقبة عبادتهم، وهذا المعنى ظاهر الصحة. وقد ذَكَر المصنّف بعد ذلك أنه يجوز أن تكون "ما" موصولة. وأقول فعلى هذا يئول المعنى إلى قولك: فلأنّك في شك مِن سوء عاقبة الأصنام هو[٢] عاقبة عبادتها، فتأمّل. فيجوز أن يقال: حَذْف المضاف والمضاف إليه مختصّ بما إذا كان "ما" مصدريّة، أمّا إذا كانت موصولة فالتقدير مِن حال أو مِن صفة ما يعبد هؤلاء، يعني أنّها لا تصلح للإلهيّة.[٣] ثمّ قال: ما تعبدون إلّا مثل التي[٤] يعبدها آباؤهم. وقوله: (لِما أصاب) أي: العذاب الذي أصاب أمثالهم.

---

١ ن: والقفص.
٢ ن: سوء.
٣ ر: الإلهية.
٤ ر: الذي.

و"ما" في ﴿مِمَّا﴾ و﴿كَمَا﴾ يجوز أن تكون مصدريةً وموصولةً؛ أي: من عبادتهم، وكعبادتهم، أو: ممَّا يعبدون من الأوثان، ومثلَ ما يعبدون منها.

﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾؛ أي: حظَّهم من العذاب كما وفَّينا آباءَهم أنْصباءَهم.

فإن قلتَ: كيف نُصب ﴿غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ حالًا عن النصيب الموفَّى؟

قلتُ: يجوز أن يُوفَّى وهو ناقصٌ ويُوَفَّى وهو كاملٌ، ألا تراك تقول: وَفَّيتُه شَطْرَ حقِّهِ وثُلثَ حقه وحقَّه كاملًا وناقصًا.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾﴾

﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾ آمَن به قومٌ وكَفَر به قومٌ كما اختُلف في القرآن.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ﴾ يعني: كلمةَ الإنظار إلى يوم القيامة.

﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾: بين قوم موسى أو قومك، وهذه من جملة التسلية أيضًا.

﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾﴾

﴿وَإِنَّ كُلًّا﴾ التنوينُ عوضٌ من المضاف إليه، يعني: وإنَّ كلَّهم وإنَّ جميعَ المختلفين فيه.

﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾ جوابُ قسم محذوفٍ، واللامُ في ﴿لَّمَّا﴾ موطِّئةٌ للقسَم و"ما" مزيدةٌ،

قوله: (أي: مِن عبادتهم) إلى آخره، فيه لفّ ونشر.

قوله: (فإن قلتَ: كيف نُصب؟) يعني الموفَّى لا يكون إلّا غيرَ منقوص، فلا يكون للتقييد فائدة.

قوله: (قلتُ: يجوز أن يوفّى) إلى آخره، فتكون التوفية بمعنى التأدية.

قوله: (الإنظار) الإمهال.

قوله: (واللام في ﴿لَّمَّا﴾ موطِّئة) في قوله: "موطِّئة[١] للقسم" نظر؛ لأنَّ اللام

---

[١] ن: مطية.

والمعنى: وإنَّ جميعَهم والله ليوفِّيَنَّهم ﴿رَبُّكَ﴾ من حَسَنٍ وقبيحٍ وإيمانٍ وجحود.

الموطِّئة للقسم هي التي تدخل على الشرط بعد تقدُّم القسم، كما قال المصنّف في المفصّل: «والموطِّئة[١] للقسم هي التي في قولك: "والله لئن أكرمتني لأكرمنّك"».[٢] وقال ابن الحاجب في شرحه: «هذه اللام هي التي تدلّ[٣] على الشرط بعد تقدُّم القسم لفظًا أو تقديرًا لتُؤذِن بأن الجواب له لا للشرط، فهذا معنى توطئتها».[٤] والوجه على ما ذكره أبو عليّ الفارسي رحمه الله في الحجّة:

> وهو قوله: فمَن قرأ ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَمَا﴾ بتشديد "إنّ" وتخفيف "لَمَا"[٥] فوجهه بيّن، وهو أن نصب[٦] ﴿كُلًّا﴾ بـ﴿إِنَّ﴾، و"إنّ" تقتضي أن يدخل على خبرها أو اسمها لام، ودخلت هذه اللام وهي لام الابتداء على الخبر في قوله: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَمَا﴾، [وقد دخلت في الخبر لام أخرى، وهي التي يتلقّى بها القسم، فلمّا][٧] اجتمع اللامان، واتفقا في اللفظ فُصل[٨] بينهما بـ"ما"، فدخلت[٩] "ما" لهذا المعنى، وإن كانت زائدة، كما زِيدت في نحو[١٠] ﴿إِمَّا تَرَيِنَّ﴾ [مريم ٢٦/١٩]، وكما صارت عوضًا مِن الفعل في[١١] قولهم:[١٢]
>
> أبـا خُـراشــة أمّــا أنــت ذا نـفـرٍ[١٣]
>
> فهذا بيّن، ويلي هذا الوجه في البيان قول مَن خفّف ﴿إِنَّ﴾ ونصب ﴿كُلًّا﴾ وخفّف ﴿لَمَّا﴾.[١٤]

---

١ ن: والمطية.

٢ المفصّل للزمخشري، ص ٢٥٠.

٣ ر: تدخل.

٤ الإيضاح في شرح المفصّل لابن الحاجب، ٢٦٦/٢.

٥ قرأ بها أبو عمرو والكسائي ويعقوب وخلف. السبعة لابن مجاهد، ص ٣٣٩؛ النشر لابن الجزري، ٢٩١/٢.

٦ ر: يصب.

٧ ن ر – وقد دخلت في الخبر لام أخرى، وهي التي يتلقّى بها القسم، فلمّا. | وزدتها من مطبوع الحجّة. والظاهر أنّ هذا الكلام سقط لانتقال النظر من "لَمَا" إلى "لمّا".

٨ ن ر: قسم.

٩ ر: قد خلت.

١٠ ر: بحق.

١١ ن – في.

١٢ ن: وقولهم.

١٣ صدر بيت للعبّاس بن مِرداس السلمي، عجزه:

فـإنّ قـومي لـم تـأكلهم الضبعُ

وهو في ديوانه، ص ١٠٦؛ وهو له في كتاب سيبويه، ٢٩٣/١؛ وأمالي ابن الشجري، ٤٩/١؛ وهو بلا عزو في الصحاح للجوهري، «ضبع»؛ ومجمع الأمثال للميداني، ٨٤/٢. وأبو خُراشة كنية الصحابي خُفاف بن ندبة فارس قيس وشاعرها. انظر: خزانة الأدب للبغدادي، ١٥/٤.

١٤ انظر: الحجّة للفارسي، ٣٨٥/٤–٣٨٦. والقراءة المذكورة قرأ بها نافع وابن كثير. السبعة لابن مجاهد، ص ٣٣٩؛ النشر لابن الجزري، ٢٩١/٢.

وقرئ: ﴿وإنْ كلًّا﴾ بالتخفيف على إعمال المخفَّفة عملَ الثقيلة اعتبارًا لأصلها الذي هو التثقيل.

وقرأ أبيٌّ: "وإنْ كلٌّ لمَّا ليُوفينَّهم" على أنَّ "إنْ" نافيةٌ، و"لمّا" بمعنى: إلّا، وقراءةُ عبد الله مفسِّرةٌ لها: "وإنْ كلٌّ إلّا ليوفِّيَنَّهم".

وقرأ الزهريُّ وسليمانُ بن أرقم: "وإنَّ كلًّا لَمًّا ليوفينَّهم" بالتنوين؛ كقوله: ﴿أَكۡلٗا لَّمّٗا﴾ [الفجر ١٩/٨٩] والمعنى: وإن كلًّا ملمومين، بمعنى: مجموعين؛ كأنه قيل: وإنَّ كلًّا جميعًا؛ كقوله: ﴿فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ﴾ [الحجر ٣٠/١٥].

هذا هو المذكور في الحجّة.

وهنا وجه آخر ذكره الشيخ في الكواشي وهو قوله: «القراءة ﴿وَإِنَّ كُلّٗا﴾ بتشديد إنّ وتخفيفها وإعمالها على الأصل، فخبر "إن" على الوجهين "لَما" وما بعدها و"ما" نكرة، أي: وإن كلًّا لخلق».[١] هكذا ذكر. وأنا أقول: لا بدّ لهذا الكلام مِن تتمّة وهو أن يقال: وما بعده جملة قسَميّة، والقسم محذوف، واللام الثانية جواب القسم،[٢] وجوابه[٣] صفة "ما"، إذ هي "ما" الموصوفة. ولا يبعد أن يقال: "ما" موصولة و"ما" بعدها صلتها، أي: الذين[٤] والله ليوفينّهم ربك أعمالهم. وقال أيضًا في الكواشي: «والقراءة ﴿لَمَّا﴾ هنا و"يس" و"الطارق" مشدّدًا، أصلها "لمَن ما" قلبت النون ميمًا، فاجتمع ثلاث ميمات، فحُذفت الأولى تخفيفًا،[٥] وبتخفيف "لمّا" تخفيفًا، ولا يكون "لمّا" هنا حرف جزم ولا حينًا لفساد المعنى».[٦]

قال أبو عليّ في الحجّة في "إنّ زيدًا لمّا لينطلقَنّ"،[٧] على قول سيبويه، هي اللام التي تقتضيه "إن"، واللام الأخرى هي اللام التي لتلقّي القسم، ودخلت "ما" لتفصل بين اللامين مع اتّفاق اللفظين.[٨] وقوله: (و﴿لَمَّا﴾ بمعنى "إلّا") اعلم أن جَعْل "لمّا" هنا بمعنى "إلّا" مُشكِل، إذ يصير الكلام هكذا "ما كان إلّا ليوفينّهم"،

---

١ تفسير الكواشي، ٢٣٤و.
٢ ر + والقسم في جوابه.
٣ ر – وجوابه.
٤ ر: للدين.
٥ ر: تخفيفًا.
٦ تفسير الكواشي، ٢٣٤و–ظ.
٧ ن: ينطلق؛ ر: لينطلق. | وأثبتُّ ما في مطبوع الحجّة.
٨ انظر: الحجّة للفارسي، ٣٨٤/٤.

﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ١١٢﴾

﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾: فاستقِمْ استقامةً مثلَ الاستقامةِ التي أُمرتَ بها على جادَّة الحق غيرَ عادلٍ عنها.

﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ معطوفٌ على المستَتِر في "استقم"، وإنما جاز العطف عليه ولم يؤكَّد بمنفصِل لقيامِ الفاصل مقامَه، والمعنى: فاستَقِمْ أنتَ ولْيَسْتقِم مَن تابَ عن الكفر وآمَنَ معك.

﴿وَلَا تَطْغَوْاْ﴾: ولا تخرجوا عن حدود الله ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: عالمٌ، فهو مُجازيكم به فاتَّقوه.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع القرآن آيةٌ كانت أشدَّ ولا أشقَّ عليه من هذه الآية؛ ولهذا قال: «شيَّبَتْني هودُ والواقعةُ وأخواتُهما».

وروي أن أصحابَه قالوا له: لقد أسرَعَ فيك الشيب، فقال: «شيبتني هود».

وعن بعضهم: رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في النَّوم فقلتُ له:

أي: إلّا والله ليوفينّهم، فالصواب / أن يقال: أصل ﴿لَّمَّا﴾ "لمِن ما" قُلبت النون [١٦و]
ميمًا، فاجتمع ثلاث ميمات، فحُذفت الأولى تخفيفًا. ووجهُ ما في الكتاب أن يكون ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾ صفة موصوف، أي: ما كلٌّ إلّا جمعٌ موصوف مثلَ هذا الصفة، وهو قوله: ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾، وهو وجه قراءة عبد الله.[١]

قوله: (فاستقم استقامة) إلى آخره، يعني أنّ الكاف صفة موصوف محذوف وهو مصدر، و"ما" موصولة بمعنى التي، والعائد محذوف كما ذكر. وقوله: (فقال: شيَّبتني هود)[٢] صحّ هود[٣] هنا غير منصرف كـ"ماه" و"جور" في اسمي بلدتين للأسباب الثلاثة؛ لأنّ المراد ههنا السورة لا هود النبيّ عليه السلام.

---

[١] قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٠٠٤.

[٢] المصنَّف لابن أبي شيبة، ١٥٢/٦ (٣٠٢٦٨)؛ سنن الترمذي، ٢٥٥/٥ (٣٢٩٧)؛ المعجم الكبير للطبراني، ١٤٨/٦ (٥٨٠٤).

[٣] ر: هو.

رُوِي عنك أنك قلتَ: شيَّبَتْني هود، فقال: نعم، فقلتُ: ما الذي شيَّبك منها أَقِصَصُ الأنبياء وهلاكِ الأمم؟ قال: لا؛ ولكنْ قولُه: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾.

وعن جَعفرِ الصادقِ رضي الله عنه: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾ قال: افتَقِرْ إلى الله بصحَّةِ العَزم.

﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾

قرئ ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ﴾ بفتح الكاف وضمِّها مع فتح التاء، وعن أبي عمرو: بكسر التاء وفتح الكاف على لغةِ تميمٍ في كسرهم حروفَ المضارعة إلّا الياء في كلِّ ما كان من بابِ عَلِمَ يَعْلَمُ، ونحوُه قراءةُ من قرأ "فتِمَسَّكم النار" بكسر التاء.

وقرأ ابنُ أبي عبلةَ: "ولا تُركَنوا" على البناء للمفعول من أَرْكَنَه: إذا أمالَه.

والنهي متناوِلٌ للانحطاط في هواهُم، والانقطاعِ إليهم، ومصاحبتِهم ومُجالسَتِهم، وزيارتهم ومداهَنَتِهم، والرضا بأعمالهم، والتشبُّهِ بهم، والتزَيِّي بزيِّهم، ومدِّ العين ....

قوله: (وعن جعفر الصادق) اعلم أنّ الوجه هنا إضافة جعفر إلى الصادق؛ لأنّه جعفر بن محمد بن الصادق. وقوله: (افتقر إلى الله بصحّة العزم) إرادته الوثوق به والتوكُّل عليه وربط القلب به تعالى.

قوله: (وقرئ: ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ﴾ بفتح الكاف وضمِّها) قال في الصحاح: «رَكَن إليه[1] يركُن[2] بالضمّ، وحكى أبو زيد: ركِن إليه بالكسر يركن ركونًا فيهما، أي: مال إليه وسكن. وأمّا ما حكى أبو عمرو رَكَن يركَن بالفتح فيهما فإنّما هو على الجمع بين اللغتين[3] فيهما».[4]

قوله تعالى: ﴿فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ مِسستُ الشيء بالكسر أمسُّه بالضمّ.

[1] ر – إليه.
[2] ر + إليه.
[3] ر: العلتين.
[4] الصحاح للجوهري، «ركن».

إلى زَهْرتهِم، وذِكْرِهم بما فيه تعظيمٌ لهم، وتأمَّلْ قولَه: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ﴾ فإن الركون هو الميلُ اليسير.

وقوله: ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾؛ أي: الذين وُجد منهم الظلمُ، ولم يقل: إلى الظالمين، وحُكي أن المُوَفَّق صلى خلف الإمام فقرأ بهذه الآية، فغُشي عليه فلما أفاقَ قيل له، فقال: هذا فيمَن رَكِنَ إلى مَن ظلَمَ فكيف بالظالم؟

وعن الحسن: جعل اللهُ الدِّينَ بين لَاءَيْنِ: ﴿وَلَا تَطْغَوْاْ﴾ ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ﴾.

ولمّا خالَطَ الزهريُّ السلاطينَ كتبَ إليه أخٌ له في الدِّين: عافانا اللهُ وإيَّاك أبا بكرٍ من الفتَنِ، فقد أصبَحْتَ بحالٍ ينبغي لمن عَرَفك أن يدعُوَ لك اللهَ ويَرْحمك، أصبحتَ شيخًا كبيرًا وقد أثقَلَتْكَ نِعَمُ الله بما فَهَّمَك من كتابه وعلَّمك من سُنَّة نبيِّه، وليس كذلك أَخَذَ اللهُ الميثاقَ على العلماء، قال الله سبحانه: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران ١٨٧/٣]، واعلم أن أيسَرَ ما ارتكَبْتَ وأخفَّ ما احتمَلْتَ: أنك آنَسْتَ وحشةَ الظالم وسهَّلتَ سبيلَ الغَيِّ بدنوِّك ممَّن لم يُؤَدِّ حقًّا ولم يترك باطلًا حين أدْناك، ....

قوله: (زهرتِهم) زَهْرة الدنيا بالتسكين: عضارتها وحُسنها وزينتها.

قوله: (أي: الذين وُجد منهم الظلم) مَن وُجد منه ظلم مرّة يقال: "إنّه ظَلَم"، ولا يقال: "ظالم" إلّا لمَن صدر منه الظلم مرارًا.

قوله: (وحُكيَ أنّ الموفَّق) الموفَّق مِن أولاد العبّاس قائد الجيوش، وهو الذي يلزم البرقعي الذي خرج على الخلفاء العباسيّة.

قوله: (وليس كذلك أخَذَ اللهُ الميثاق) أراد هذا الكاتب أن ينبِّه الزُّهري على أنّه إذا جالسهم وخالطهم فلا بدّ أن يمتنع في أكثر الأوقات مِن مداركة العلوم ومباحثتها. وقوله: (﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ﴾) قال: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ﴾ [آل عمران ١٨٧/٣].

---

[١] ن: ولقد.

اتّخذوك قُطبًا تَدور عليك رحَى باطلِهم، وجِسْرًا يَعبُرون عليك إلى بلائهم، وسُلَّمًا يَصْعدون فيك إلى ضَلَالهم، يُدخلون الشكَّ بك على العلماء، ويقتادون بك قلوبَ الجُهلاء، فما أيسَرَ ما عَمَرُوا لك في جَنْبِ ما خرَّبوا عليك! وما أكثر ما أخذوا منك فيما أفسدوا عليك من دينك! فما يُؤْمِنُكَ أن تكون ممَّن قال الله تعالى فيهم: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾ [مريم ٥٩/١٩]؟ فإنك تُعامِلُ مَن لا يَجْهل ويَحفظُ عليك مَن لا يَغفل، فداوِ دِينك فقد دخله سُقمٌ، وهَيِّئ زادَكَ فقد حَضَر السفرُ البعيدُ، وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء، والسّلام.

وقال سُفيان: "في جهنَّم وادٍ لا يَسكنه إلَّا القراءُ الزَّائرون للملوك".

وعن الأوزاعيّ: "ما من شيء أبغضَ إلى الله من عالمٍ يزور عامِلًا".

وعن محمد بن سَلمَةَ: "الذبابُ على العَذِرة أحسنُ من قارئ على بابِ هؤلاء".

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن دَعَا لظالمٍ بالبقاء فقد أحبَّ أن يُعصَى اللهُ في أرضه».

قوله: (اتّخذوك قُطبًا) ابتداء كلام.

قوله: (فما[١] يُؤمِنك) إشارة إلى أنّ[٢] مَن يكون في صحبة الظلَمة قد يقع منه تأخير الصلاة مِن أوّل الوقت إلى آخرها، وهو إضاعة الصلاة كما نطق به الحديث،[٣] وقد يستوفي اللذات في أكل المأكولات اللذيذة ولُبسِ الملابس البهيّة وركوبِ المراكب الحسنة مِن الخيول والبغال، وهذه متابعة الشهوات قال تعالى: ﴿أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا﴾ [الأحقاف ٢٠/٤٦].

قوله: (يزور عاملًا) يريد بالعامل مَن يكون عاملًا مِن جهة الملوك على بعض البلاد، أو على بعض الأمور.

---

[١] ن ر: فيما.

[٢] ر – أنّ.

[٣] مروي عن ابن مسعود وإبراهيم النخعي في معالم التنزيل للبغوي، ٢٤١/٥ (مريم، ٥٩/١٩).

ولقد سُئل سفيانُ عن ظالمٍ أشرفَ على الهلاك في برِّيَّةٍ: هل يُسقَى شربةَ ماءٍ؟ فقال: لا، فقيل له: يموت! فقال: دَعْه يموت.

﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ حالٌ من قوله: ﴿فَتَمَسَّكُمُ﴾؛ أي: فتمسَّكم النارُ وأنتم على هذه الحال، ومعناه: وما لكم من دون الله من أنصارٍ يقدرون على منعكم من عذابه لا يقدرُ على منعكم منه غيره.

﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾: ثم لا ينصُركم هو؛ لأنَّه وجبَ في حكمته تعذيبُكم وتَرْكُ الإبقاء عليكم.

فإن قلتَ: فما معنى ﴿ثُمَّ﴾؟

قلت: معناها الاستبعاد؛ لأن النصرة من الله مستبعَدةٌ مع استيجابهم العذابَ واقتضاءِ حكمته له.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾

﴿طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ غدوةً وعشيَّةً ﴿وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾: وساعاتٍ من الليل، وهي ساعتُه القريبةُ من آخر النهار، من أَزْلَفه: إذا قرَّبه، وازدلَفَ إليه.

وصلاةُ الغَدَاة: الفجرُ، وصلاةُ العشيَّة: الظهرُ والعصر؛ لأن ما بعد الزوال عشيٌّ، وصلاةُ الزُّلَفِ: المغربُ والعشاء، وانتصابُ ﴿طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ على الظرف؛ لأنهما مضافان إلى الوقت؛ كقولك: "أقمتُ عنده جميعَ النهار"،

قوله: (فإن قلتَ: فما معنى ﴿ثُمَّ﴾) ويجوز أن يكون ﴿ثُمَّ﴾ إشارة إلى أنَّ الثاني وهو ألّا ينصرهم الله تعالى أشدّ وأعظم مِن الأوّل وهو أن ليس لهم مِن دون الله أولياء. وقوله:[١] (واقتضاءِ) عطف على (استيجابهم).

قوله: (وهي ساعاته القريبة) أي: ساعات الليل القريبة مِن آخر النهار وهي وقت المغرب والعشاء.

---

[١] ر: قوله.

و: "أتيتُه نصفَ النهار" و"أوَّلَه" و"آخرَه" تَنْصِبُ هذا كلَّه على إعطاء المضاف حكمَ المضاف إليه، ونحوُه: ﴿وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ [طه ١٣٠/٢٠].

وقرئ: ﴿وزُلُفا﴾ بضمتين، و: "زُلْفًا" بسكون اللام، و: "زُلْفَى" بوزن قُربى.

والزُّلَفُ: جمع زُلَفَة؛ كظُلَم في ظُلْمة، والزُّلْف بالسكون: نحو بُسْرَة وبُسْرٍ، والزُّلُف بضمَّتين نحو يُسُرٍ في يُسْرٍ، والزُّلفى بمعنى الزُّلْفة كما أنَّ القُربى بمعنى القُربة: وهو ما يَقْرُب من آخر النهار من الليل، وقيل: زُلَفًا من الليل، و: قُرَبًا من الليل، وحقُّها على هذا التفسير أن تُعطف على ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾؛ أي: أقم الصلاة طرفي النهار وأقم زلفًا من الليل، على معنى: وأقم صلواتٍ تتقرَّب بها إلى الله عزَّ وجلَّ في بعض الليل.

﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن يراد تكفيرُ الصغائر بالطَّاعات، وفي الحديث: «إنَّ الصلاةَ إلى الصلاةِ كفَّارةُ ما بينَهما ما اجتُنبتِ الكبائرُ».

قوله: (ونحوه: ﴿أَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾) ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآىِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ [طه ١٣٠/٢٠].

قوله: (نحو[1] "بُسْرَة وبُسْر")،[2] أي: فهو أيضًا جمعها على نحو "تَمْرة وتَمْر".

قوله: (نحو "يُسُر"...[3] من[4] آخر النهار مِن الليل) "مِن آخر" مِن فيه للابتداء / متعلِّق بـ"يقرب". وقوله: (مِن الليل) حال فـ"مِن" للتبعيض. [١٦ظ]

قوله: (وقُرَبًا مِن الليل) جمع قُربة وهي: ما يُتقرَّب به، فعلى هذا معنى ﴿زُلَفًا﴾ صلوات يُتقرَّب بها. وقوله: (وحقُّها)[5] إلى آخره.

قوله: (ما اجتُنبت)[6] "ما" في "ما[7] اجتنب" مصدريّة، والزمان معه مقدَّر.

---

١ ن: نحن.
٢ ر: وكسر.
٣ الظاهر أنّه ثمّة سقط هنا.
٤ ن ر: في.
٥ ن: وحثها.
٦ مسند أحمد، ٣٣٣/١٤ (٨٧١٥)؛ صحيح مسلم، ٢٠٩/١ (٢٣٣).
٧ ر - ما.

والثاني: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ بأنْ يكنَّ لطفًا في تركها؛ كقوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت ٤٥/٢٩].

وقيل: نزلت في أبي اليَسَرِ عمرِو بن غزيَّة الأنصاري، كان يبيع التمرَ فأتَتْه امرأةٌ فأعجبَتْه، فقال لها: إن في البيت أجودَ من هذا التمر، فذهب بها إلى بيته فضمَّها إلى نفسه وقبَّلها، فقالت له: اتَّقِ الله، فتركها ونَدِمَ فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما فعل، فقال صلى الله عليه وسلم: «أنتظرُ أمرَ ربِّي» فلمَّا صلَّى صلاةَ العصر نزلت، فقال: «نعم، اذهَبْ فإنها كفارةٌ لِمَا عمِلْتَ».

ورُوي أنّه أتى أبا بكرٍ رضي الله عنه فأخبره فقال: اُسْتُرْ على نفسك وتُبْ إلى الله، فأتى عمر رضي الله عنه، فقال له مثلَ ذلك، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت، فقال عمر: أهذا له خاصَّة أم للناس عامَّة فقال: «بل للناس عامَّة».

قوله: (ورُوي أنّه) أي: أبا اليسر. وقوله: (فقال: استُر) أي: فقال أبو بكر رضي الله عنه.

قوله: (ثمّ كرّ إلى التذكير) عطف على محذوف، أي: ذكر بقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ﴾ إلى آخره، ثمّ جاء بما هو خاتمة التذكير ثمّ كرّ، أي: رجع إلى التذكير يريد بخاتمة التذكير ما ذكره بعد قوله: ﴿فَٱسْتَقِمْ﴾ وقوله: ﴿وَلَا تَطْغَوْاْ﴾ ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ﴾ ﴿وَأَقِمِ﴾، وهو قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾، ثمّ رجع إلى التذكير وقد[1] ختم. والحاصل أنه ذكر جميع ما يتعلّق بالتذكير، وجاء بما هو ختم التذكير وهو قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾، ثمّ رجع إلى التذكير[2] بالصبر خصوصًا، وكأنّه إجمال بعد التفصيل؛ لأنّ الصبر على ما[3] كُلف[4] به هو الإتيان به.

---

١ ن: قد.

٢ ر – قد ختم. والحاصل أنّه ذكر جميع ما يتعلّق بالتذكير، وجاء بما هو ختم التذكير، وهو قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾، ثمّ رجع إلى التذكير.

٣ ر – ما.

٤ ن: كان.

وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: «توضَّأْ وضوءًا حسنًا وصلِّ ركعتين ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾».

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى قوله: ﴿فَٱسْتَقِمْ﴾ فما بعده ﴿ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾: عِظَةٌ للمتَّعظين.

﴿وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾﴾

ثم كرَّ إلى التذكير بالصبر بعد ما جاء بما هو خاتمةُ التذكير، وهذا الكُرورُ لفضل خصوصيةٍ ومزيَّةٍ وتنبيهٍ على مكان الصبر ومحلِّه كأنّه قال: وعليك بما هو أهَمُّ مما ذكِّرتَ به وأحقُّ بالتوصية، وهو الصبر على امتثال ما أُمرتَ به والانتهاءُ عما نُهيتَ عنه فلا يتمُّ شيءٌ منه إلا به.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ جاء بما هو مشتمِلٌ على الاستقامة وإقامة الصلوات والانتهاءِ عن الطغيان والركونِ إلى الظالمين والصبر وغيرِ ذلك من الحسنات.

﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾﴾

﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾: فهلَّا كان، وقد حكوا عن الخليل: كلُّ "لولا" في القرآن فمعناها "هلَّا" إلا التي في الصافات.

وما صحَّتْ منه هذه الحكاية، ففي غير الصافات: ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ﴾ [القلم ٦٨/٤٩]، ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ﴾ [الفتح ٤٨/٢٥]، ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ﴾ [الإسراء ١٧/٧٤].

قوله: (في الصافات) التي في الصافات هكذا: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۝ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات ٣٧/١٤٣-١٤٤]. وقوله: (وما صحّت) "ما" للنفي. وقوله: (﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ﴾) إلى آخره في نون [القلم ٦٨/٤٩]. وقوله: (﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ﴾) إلى آخره في ﴿إِنَّا فَتَحْنَا﴾[1] [الفتح ٤٨/٢٥]. وقوله: (﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ﴾) إلى آخره في الإسراء [الإسراء ١٧/٧٤].

---

[1] أراد بها اسم السورة.

﴿أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ﴾: أولو فضلٍ وخيرٍ، وسَمَّى الفضلَ والجَوْدةَ بقيَّةً؛ لأن الرجل يستَبْقي ممَّا يُخرجه أجودَه وأفضلَه، فصار مثلًا في الجَودة والفضل، ويقال: فلانٌ من بقيَّة القوم؛ أي: من خيارهم، وبه فُسِّر بيت "الحماسة":

إنْ تُـذنِـبُـوا ثـم تـأتـيـني بـقـيَّـتُـكـم

قوله:[١] (فصار مثلًا) أي: فصار لفظ البقيّة مثلًا.

قوله: (أي مِن خيارهم) الخِيار: خلاف الأشرار. قال المطرّزي في المُغرِب: «الخِيار اسم مِن الاختيار،[٢] ومنه خيار الرؤية. والخِيار أيضًا: خلاف الأشرار. ومنه قوله:[٣] "كذا وكذا برذونًا خيارًا ذكرًا[٤] فُرهةً"، وإنّما جُمع حملًا على المعنى. وقال: "ذكرًا" حملًا على اللفظ. و"الفُرهة" جمع فاره[٥] بمعنى الكيِّس، كـ"صُحبة" في "صاحب"».[٦]

قوله:

(إن[٧] تُذنبـــوا[٨] ثـــمّ يأتينـــي بقيّتكـــم)

تمامه:

فـمـا عـلـيّ بـذنـب عـنـدكـم فَــوْتُ[٩]

فسّر البقية في البيت على وجهين: أحدهما أن يكون المعنى "ثمّ يأتيني خياركم وأماثلكم"، كما ذكره المصنّف بطريق المجاز. والآخر أن يكون المعنى "ثمّ يأتيني منكم[١٠] الذين لم يُذنبوا متنصّلين. والمعنى على التفسير الأوّل إن تُذنبوا ثمّ يأتيني خِياركم يُقيمون معذرة أنفسهم ويثبتون أنّهم لم يساعدوكم

---

[١] ن – قوله.
[٢] ن ر: الأخيار. | وأثبتُّ ما في مطبوع المغرب.
[٣] ر: قوله.
[٤] ن: أمرًا
[٥] ن: فارة.
[٦] المغرِب للمطرّزي، «خير».
[٧] ن ر: وإن.
[٨] ن: تدينوا.
[٩] البيت لرُويشد بن كثير الطائي في شرح الحماسة للمرزوقي، ١٦٨/١، والرواية فيه «يقينكم» مكان «بقيّتكم»، وأشار المرزوقي في أثناء شرح البيت إلى الرواية التي ساقها الجاربردي ههنا.
[١٠] ن: يمينكم؛ ر: هنتكم.

ومنه قولهم: "في الزوايا خبايا وفي الرجال بَقَايَا".

ويجوز أن تكون البقيَّة بمعنى البَقْوَى كالتقيَّة بمعنى التقوى؛ أي: فهلَّا كان منهم ذوُو إبْقاءٍ على أنفسهم وصيانةٍ لها من سَخَط الله وعقابه.

وقرئ: "أولو بَقْيَةٍ" بوزن لَقْية، من بَقَاه يَبقيه: إذا راقَبه وانتظره، ومنه: بقَيْنَا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، والبَقْيَةُ: المرَّة من مصدره، والمعنى: فلولا كان منهم أولو مُراقبةٍ وخشيةٍ من انتقام الله كأنهم ينتظرون إيقاعَه بهم لإشفاقهم.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ استثناءٌ منقطعٌ معناه: ولكنَّ قليلًا ممَّن أنجينا من القرون نَهوْا عن الفساد وسائرُهم تاركون للنهي.

و"مِن" في ﴿مِمَّنْ أَنجَيْنَا﴾ حقُّها أن تكون للبيان لا للتبعيض؛ لأن النجاة إنما هي للناهين وَحْدَهم، بدليل قوله عزّ وجلّ: ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [الأعراف ١٦٥/٧].

لا بالرأي ولا بالفعل، فما عليّ بجزاء ذنب عندكم فَوت، وبالتفسير الآخر إن تُذنبوا ثمّ يأتيني بقيّتكم الذين لم يُذنبوا ويعتذروا[١] بأنّهم فارقوكم لعظيم جنايتكم فلا يفوتني مؤاخذتكم ومحاسبتكم. وفي قوله: "فما عليّ فَوت"[٢] إعلام بأنّه يستعمل الأناة.[٣] وقوله: "بذنب"، أي: بسبب ذنب، وقد حُذف المضاف وأقيمَ المضاف إليه مقامه.

قوله: (ويجوز أن يكون البقيّة بمعنى البقوى) والبقوى اسم مِن الإبقاء، يقال: أبقى عليه، أي: رحمه.

قوله: (ومنه بَقينا[٤] رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي: انتظرناه.

قوله: (لا للتبعيض)؛ لأنّ النجاة إلى آخره، يعني: لو كان مِن للتبعيض لزم أن يكون الناهون بعض الناجين، فيكون الناجون بعضهم ناهون وبعضهم غير ناهين، لكنّ النجاة لم تكن إلّا للناهين، كما يدلّ عليه قوله تعالى في موضع آخر:

---

١ ر: ويعتدوا.
٢ ر: قوت.
٣ ر: الأهاة.
٤ ن: تعينا.

فإن قلتَ: هل لوقوع هذا الاستثناء متَّصلًا وجهٌ يُحملُ عليه؟

قلتُ: إن جعَلْتَه متصلًا على ما عليه ظاهرُ الكلام كان المعنى فاسدًا؛ لأنه يكون تحضيضًا لأولي البقية على النهي عن الفساد، لا للقليل من الناجين منهم؛ كما تقول: "هلَّا قرأ قومُك القرآنَ إلّا الصُّلَحاءَ منهم"، تريد استثناء الصُّلحاءِ من المحضَّضِين على قراءةِ القرآن.

وإن قلتَ: في تحضيضهم على النهي عن الفساد معنى نَفْيِه عنهم؛ فكأنّه قيل: ما كان من القرون أولو بقيَّة إلَّا قليلًا، كان استثناءُ متَّصلًا ومعنًى صحيحًا، فكان انتصابُه على أصل الاستثناء ....

﴿أَنجَيْنَا﴾ إلى آخره، وفي هذا الاستدلال بحثٌ، لِما مرّ مِن كلام عكرمةَ مع ابن عبّاس،[1] حتّى يتبيّن أنّ الناجين غير منحصرة في الناهين.

قوله: (إلّا الصلحاء منهم) يريد "استثناء الصلحاء" إلى آخره، يعني: يفسد المعنى ههنا أيضًا. وفيما ذكره نظر؛ لأنّ القليل لمّا نَهَوا لا يحسن تحضيضهم، على أنّ النهي بلفظ المُضيّ، كيف والتحضيض بلفظ المُضيّ يفيد اللوم على الترك، وهم قد نَهَوا فكيف يجوز لومهم على ترك النهي، فثبت أنّه يجوز أن يكون استثناء متّصلًا على ما عليه ظاهر الكلام. / والحمد [١٧و]
لله على التوفيق للبيان. وتمام تحقيقه أن نقول: لا جللَ في أن يقال: لِمَ لم ينهَ إلّا القليل، أي: لِمَ كان النهي مقصورًا على القليل ولِمَ لم يُنهَ كلّهم وأكثرهم. وهذا معنى حَسَن لطيف جليّ، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

قوله:[2] (معنى نَفْيه) أي: نفي النهي عن الفساد. وقوله: (فكأنّه قيل: ما كان مِن القرون)... إلى آخره، أي: ما كان فيهم[3] ناس ناهون إلّا قليل. وقوله: (كان استثناء متّصلًا) جزاءٌ لقوله: (وإن قلتَ).

---

[1] مضى الحديث في تفسير سورة الأعراف، ١٦٥/٧. [3] ر: منهم.
[2] ر: وقوله.

وإن كان الأفصحُ أن يُرفعَ على البدل.

﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ﴾ أراد بـ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾: تارِكِي النهيِ عن المنكَرات؛ أي: لم يَهتمُّوا بما هو ركنٌ عظيم من أركان الدِّين وهو الأمر بالمعروف والنهيُ عن المنكر، وعَقَدوا هِممَهم بالشهوات واتَّبعوا ما عرفوا فيه التنعُّمِ والتترُّفِ من حبِّ أسباب العيش الهنيّ، ورفَضوا ما وراء ذلك ونَبذوه وراء ظهورهم.

قوله: (وإن كان الأفصح الرفع) فيه نظر؛ لأنّ النفي إذا كان معنويًّا كان الأفصح النصب على الاستثناء لا الرفع على البدل. وقد ذَكَر هذه المسألة ابن الحاجب في شرح المفصّل[١] في هذا البيت:

علـى[٢] أطـرِقـا بـالـيـاتِ[٣] الـخيا ... مِ إلّا الثُّمـــامُ وإلّا العِصـــيُّ[٤]

كيف، ويلزم ممّا ذكره المصنّف اتّفاق القرّاء السبعة على غير الأفصح، ومثلُه غير واقع، وقد ذَكَر هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ﴾ [هود ١١/٨١].

قوله: (أي: لم يهتمّوا) في قول المصنّف، أي: "لم يهتموا" إشارة إلى أنّه لو كان تَرْكهم النهي[٥] لعلمهم الوعيد.[٦]

قوله: (والتترُّف) المترَف: الذي أبطرته النِّعمة وسَعة العيش. قال الفرّاء: اتبعوا في دنياهم ما عُوِّدوا مِن النعيم وإيثار اللذات على أمر الآخرة،[٧] وركنوا إلى الدنيا والأموال واللذات وما أعطوا مِن نعيمها. ويقول أضعف عباد الله

---

١ انظر تفصيل المسألة في الإيضاح في شرح المفصّل لابن الحاجب، ٣٠/١.

٢ ن ر: ألا.

٣ ن ر: الباب

٤ البيت لأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين للسُّكّري، ١٠٠/١؛ والإيضاح في شرح المفصّل لابن الحاجب، ٣٠/١، وفيه تفصيل للوجوه النحويّة في البيت. وقال أبو سعيد السُّكّري في شرحه: «قال الأصمعي: قال أبو عمرو بن العلاء: "أطرِقا" بلد، نرى أنّه سُمّي بقوله: "أطرِق"، أي: اسكت، كانوا ثلاثة في مفازة، فقال واحد لصاحبيه: "أطرِقا"، أي اسكتا، فسُمّي به البلد. و"الثُّمام" شجر يُجعل فوق الخيم. و"العصيّ" خشب البيوت، بيوت الأعراب... وقال آخرون: "أطرقا" جمع الطريق بلغة هُذيل. أراد: إلّا الثُّمامُ وإلّا العصيُّ لم تَبلَ».

٥ ن – النهي.

٦ كذا في ن ر ولم يتّجه لي معناه.

٧ انظر: معاني القرآن للفرّاء، ٣٠/٢.

وقرأ أبو عمرو في رواية الجُعْفيِّ: "وأُتبِعَ الذين ظلموا"، يعني: وأُتبِعوا جزاءَ ما أُترفوا فيه.

ويجوز أن يكون المعنى في القراءة المشهورة: أنهم اتَّبعوا جزاءَ إترافهم، وهذا معنًى قويٌّ لتقدُّم الإنجاء؛ كأنه قيل: "إلّا قليلًا ممن أنجينا منهم وهلَكَ السائر".

فإن قلتَ: علام عُطف قولهُ: ﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾؟

قلتُ: إن كان معناه: "واتَّبعوا الشهوات" كان معطوفًا على مضمرٍ؛ لأنّ المعنى: إلّا قليلًا ممن أنجيْنا منهم نَهوا عن الفساد واتَّبع الذين ظلموا شهواتهم، فهو عطف على "نهوا"، وإن كان معناه: "واتَّبعوا جزاء الإتْراف" فالواوُ للحال؛ كأنَّه قيل: "أنجينا القليل منهم وقد اتَّبع الذين ظلموا جزاءهم".

أحمد بن الحسن الجاربردي رحمه الله: الصواب والله أعلم أنّ المراد بـ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ﴾ هم الظالمون المشتغلون بالمعاصي لا تاركو النهي، فيكون جميع الطوائف مذكورة في الآية، إذ يكون قوله تعالى: ﴿فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ إشارة إلى تاركي النهي، وقوله: ﴿إِلَّا قَلِيلٗا﴾ إشارة إلى الناهين، وقوله: ﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ إلى العاصين الذين أفسدوا في الأرض. وفّقنا الله تعالى للتحقيق.

قوله: (يعني: وأُتبِعوا جزاءَ ما أُترفوا فيه).[١]

قوله: (لأنّ المعنى) كما ذَكَر أوّلًا، حيث قال: "هو استثناء منقطع". وقوله: (فهو عطف على "نهوا") في هذا العطف الذي ذكره نظر؛ لأنّ ذلك المضمر وهو "نَهوا" خبر "إلّا" بمعنى "لكن" كما أشار إليه هنا وفيما مرّ، وكما تقرر في كتب النحو مِن أنّ "إلّا" في الاستثناء المنقطع بمعنى "لكن" المشدَّدة، والمنصوب اسمُها وخبرُها محذوف، وإذا كان "نَهوا" خبر "لكن" فالوجه أن نقول: هو عطف على جملة قوله: ﴿إِلَّا قَلِيلٗا﴾ إلى آخره، مع خبره المحذوف. فتأمّل فيه يتبيّن لك بتوفيق الله تعالى.

---

١ كذا في ن ر. والظاهر أنّه أورد هذا الموضع ولم يعلِّق عليه.

فإن قلتَ: فقولُه ﴿وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾؟

قلتُ: على ﴿أُتْرِفُواْ﴾؛ أي: اتَّبعوا الإتراف وكونَهم مجرمين؛ لأن تابع الشهوات مغمورٌ بالآثام، أو أريد بالإجرام إغفالُهم للشكر، أو على "اتَّبعوا"؛ أي: اتَّبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك، ويجوز أن يكون اعتراضًا وحُكمًا عليهم بأنهم قوم مجرمون.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ١١٧﴾

﴿كَانَ﴾ بمعنى: صحَّ واستقامَ، واللام لتأكيد النفي.

و﴿بِظُلْمٍ﴾ حال من الفاعل، والمعنى: واستحالَ في الحكمة ....

قوله: (فإن قلتَ: فقوله ﴿وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾؟) أي: علامَ عطف؟

قوله: (قلتُ: على ﴿أُتْرِفُواْ﴾) وإذا كان عطفًا على ﴿أُتْرِفُواْ﴾ يكون العائد محذوفًا، أي: وما كانوا مجرمين فيه. والمصنّف لم يبيّن ذلك لظهوره، وأشار إلى ما هو الحاصل مِن المعنى. وقوله: (لأنّ تابع الشهوات) إلى آخره، إشارة إلى معنى هذا العطف، فإنّهم إذا اتّبعوا ما فيه التنعم والترُّف فقد اتّبعوا الشهوات، وصاروا مغمورًا بالأثام، فيكون هذا العطف كالبيان. وقوله: (أو أريدَ) كأنّه قيل: اتّبعوا التنعُّم وتَرْكَ الشكر، وهذا عطف مِن حيث المعنى على قوله: "لأنّ تابع" إلى آخره. فالمصنّف لمّا ذكر أن قوله: ﴿كَانَ﴾ عطف على ﴿أُتْرِفُواْ﴾ بيّن المعنى مِن وجهين: الأوّل أنّ المراد بالإجرام آثامهم وذنوبهم التي يفعلونها متابعة الإتراف، والثاني أنّ المراد بالإجرام تركُهم الشكرَ. وقوله: (بذلك) أي باتّباع[1] الشهوات، يريد أنّ المراد بالإجرام متابعةُ الإتراف لا غيرُ.[2] وقوله: (اعتراضًا) أي: جملة معترِضة.

قوله: (حال مِن الفاعل) أي: حال مِن فاعل ﴿لِيُهْلِكَ﴾. وقوله: (واستحال في الحكمة) هذا المعنى استُفيد مِن لام الجحود.

---

[1] ن: بالتباع.

[2] ر + متابعة الإتراف.

أن يُهلِكَ اللهُ القرى ظالمًا لها ﴿وَأَهْلُهَا﴾ قومٌ ﴿مُصْلِحُونَ﴾ تنزيهًا لذاته عن الظلم وإيذانًا بأن إهلاك المصلحين من الظلم.

وقيل: الظلم: الشرك، ومعناه: أنه لا يهلك القرى بسببِ شركِ أهلِها وهم مصلحون يتعاطون الحقَّ فيما بينهم ولا يَضُمُّون إلى شركهم فسادًا آخر.

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ يعني: لاضْطَرَّهم إلى أن يكونوا أهلَ أمَّةٍ واحدةٍ؛ أي: ملَّةٍ واحدة وهي ملَّةُ الإسلام؛ كقوله: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الأنبياء ٢١/٩٢]، وهذا الكلام يتضمَّنُ نفي الاضطرارِ، وأنه لم يَضْطَرَّهم إلى الاتِّفاق على دِينِ الحقِّ؛ ولكنَّه مكَّنَهم من الاختيار الذي هو أَساسُ التكليف، فاختار بعضُهم الحقَّ وبعضُهم الباطلَ فاختلفوا؛ فلذلك قال: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾: إلَّا ناسًا هَدَاهم اللهُ ولطفَ بهم فاتَّفقوا على دينِ الحقِّ غيرَ مختلفينَ فيه.

﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ ....

قوله: (تنزيهًا) هذا مفعول له لفعل محذوف، أي: قاله تنزيهًا لذاته أو لِما دلّ عليه. قوله: (والمعنى) أي: عُني بذلك تنزيهًا.

قوله: (فسادًا آخر) مثل قوم لوط في فعل الخبائث وشعيب في نقص المِكيال / والميزان. [١٧ظ]

قوله: (كقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ﴾ [الأنبياء ٢١/٩٢]) استشهد بالآية على أنّ الأمّة بمعنى الملّة.

قوله: (ولكنّه[١] مكّنهم) فيه إشارة إلى مذهبه، والمعنى على ما ذكره: لو شاء أن يضطرهم لاضطرهم، لكن ما اضطرهم؛ بل مكنهم.

---

[١] ر: ولكنهم.

"ذلك" إشارةٌ إلى ما دلَّ عليه الكلامُ الأوَّلُ وتضمَّنه، يعني: ولذلك من التمكين والاختيار الذي كان عنه الاختلافُ خَلَقَهم ليُثِيبَ مختارَ الحقِّ بحُسن اختياره ويُعاقِبَ مختارَ الباطل بسوء اختياره.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ وهي قولُه للمَلائكة: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ لعِلْمِه بكثرةِ مَن يختارُ الباطل.

﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾

﴿وَكُلًّا﴾ التنوين فيه عوضٌ عن المضاف إليه؛ كأنّه قيل: وكلَّ نبأٍ نقصُّ عليك، و﴿مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ﴾ بيان لـ"كلّ"، و﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ بدلٌ من "كُلًّا".

ويجوز أن يكون المعنى: وكلَّ اقتصاصٍ نقصُّ عليك، على معنى: وكلَّ نوعٍ من أنواع الاقتصاصِ نقصُّ عليك، يعني: على الأساليب المختلفة.

و﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِ﴾ مفعول ﴿نَقُصُّ﴾، ومعنى تثبيت فؤاده: زيادةُ يقينه وما فيه طمأنينةُ قَلْبِهِ؛ لأن تكاثُر الأدلَّة أثبتُ للقلب وأرسخُ للعلم.

قوله: ("ذلك" إشارة إلى[1] ما دلّ عليه الكلام الأوّل) فإنّ قوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ دلّ على تمكُّنهم[2] مِن الاختيار كما ذكر المصنّف، أو نقول: "ذلك" إشارة إلى الاختلاف، وأريدَ به ملزوم الاختلاف، فيكون كناية.

قوله: (كأنّه قيل: وكلَّ نبأ نقصُّ عليك) فعلى هذا يكون ﴿كُلًّا﴾ مفعولًا به.

قوله: (على معنى: وكلَّ نوع مِن أنواع الاقتصاص) على هذا الوجه ﴿مِنْ﴾ يكون للابتداء إلى آخره خطاب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ قال في الكواشي: «القراءة بفتح الياء وكسر الجيم وبضمّ الياء وفتح الجيم».[3]

---

[1] ن ر: على. | وأثبتُ ما في مطبوع الكشّاف وما راجعته من أصوله.
[2] ن – دل على تمكُّنهم.
[3] تفسير الكواشي، ٢٣٥ظ. | قرأ بفتح الياء وكسر الجيم العشرة إلّا حفصًا ونافعًا فقرآ بضمّ الياء وكسر الجيم. النشر لابن الجزري، ٢/٢٠٩.

﴿وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ﴾؛ أي: في هذه السورة، أو: في هذه الأنباء المقتصَّة فيها، ما هو حقٌّ ﴿وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ١٢١ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ١٢٢﴾

﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ من أهل مكّة وغيرِهم ﴿ٱعْمَلُوا۟﴾ على حالكم وجهتكم التي أنتم عليها ﴿إِنَّا عَٰمِلُونَ ۞ وَٱنتَظِرُوٓا۟﴾ بنا الدوائرَ ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ أن يَنزلَ بكم نحوُ ما اقتصَّ الله من النِّقَم النازلة بأشباهِكم.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ١٢٣﴾

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لا تخفى عليه خافيةٌ مما يجري فيهما، فلا تخفى عليه أعمالُكم ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ فلا بدَّ أن يرجع إليه أمرُهم وأمرُك فينتقِمَ لك منهم.

﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ فإنه كافيكَ وكافِلُكَ ﴿وما ربُّك بغافلٍ عمَّا يَعْمَلون﴾.

وقرئ: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء؛ أي: أنت وهم، على تغليب المخاطب.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قرأ سورةَ هودٍ أُعطي من الأجر عشرَ حسنات بعددِ مَن صدَّق بنوحٍ ومَن كذَّب به، وهودٍ وصالحٍ وشعيبٍ ولوطٍ وإبراهيمَ وموسَى، وكان يومَ القيامة من السعداء إن شاء الله تعالى».

قوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ القراءة ﴿عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ هنا وآخر النمل بالتاء والياء.[١]

---

١ قرأ بالتاء نافع وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب وحفص، وقرأ باقي العشرة بالياء. النشر لابن الجزري، ٢/٢٦٢.

سورة يوسف

مكيَّةٌ، وهي مئةٌ وإحدى عَشْرةَ آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ①﴾

﴿تِلۡكَ﴾ إشارةٌ إلى آياتِ السورة، و﴿ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾: السورةُ؛ أي: تلك الآياتُ التي أُنزلت إليك في هذه السورة آياتُ السورةِ الظاهرِ أمرُها في إعجاز العرب وتبكيتهم، أو التي تُبيِّن لمَن تَدَبَّرها أنّها مِن عندِ الله لا مِن عندِ البشر،

سورة يوسف عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين.[1]

قوله: (الظاهر أمرُها) فعلى هذا ﴿ٱلۡمُبِينِ﴾ مِن "أبان" بمعنى "بان"، والمراد بظهوره ظهور إعجازه، فقد حُذف المضاف وأقيمَ المضاف إليه مُقامه، وهو الضمير المستتر في ﴿ٱلۡمُبِينِ﴾ كما أشار إليه. وقوله: (وتبكيتهم) التبكيت[2] مثل التقريع والتعنيف[3] ويقال: "بكته بالحجّة"، أي: ألزمه.[4]

قوله: (أو التي تُبيّن) وعلى هذا يكون ﴿ٱلۡمُبِينِ﴾ مِن "بان"[5] بمعنى بيَّن، فلا يكون المضاف محذوفًا؛ لكن مفعوله محذوف، وهو الذي أشار إليه بقوله: (أنّها مِن عند الله).

---

[1] ر – وبه نستعين.

[2] ر: التبكية.

[3] ن – كما أشار إليه وقوله: (وتبكيتهم) التبكيت مثل التقريع والتعنيف.

[4] انظر: الصحاح للجوهري، «لزم».

[5] ر: أبان.

أو الواضحةُ التي لا تَشْتَبِه على العرب معانِيها لنزولها بلسانهم، أو قد أُبِينَ فيها ما سألَتْ عنه اليهودُ من قصةِ يوسفَ عليه السلام.

فقد رُوي أن علماء اليهود قالوا لكُبَراءِ المشركين: "سَلُوا محمدًا لِمَ انْتَقَل آلُ يعقوبَ عليه السلام من الشام إلى مصر، وعن قصة يوسف".

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾

﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾: أنزلْنا هذا الكتابَ الذي فيه قصةُ يوسفَ في حال كونه ﴿قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ وسمِّي بعضُ القرآن قرآنًا؛ لأن القرآن اسم جنسٍ يقع على كلِّه وبعضِه.

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾؛ أي: إرادةَ أن تَفْهَموه وتُحيطوا بمعانيه ولا يَلْتبِسَ عليكم: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾ [فصلت ٤١/٤٤].

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٣﴾

﴿ٱلْقَصَصِ﴾ على وجهين: يكون مصدرًا بمعنى الاقتصاص؛ تقول: "قصَّ الحديثَ يَقُصُّه قَصَصًا"؛ كقولك: "شَلَّه يَشُلُّه شَلَلًا: إذا طرَده"، ويكون فَعَلًا بمعنى مفعولٍ؛ كالنَّفَضِ والحَسَب، ونحوُه: النبأ والخبر، في معنى: المنبَأ به والمخبَر به.

قوله: (أو الواضحةُ) وعلى هذا أيضًا مِن "أبان" بمعنى "بان"، أي: ظهر، ويدلّ عليه قوله تعالى بعد ذلك: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾.

قوله: (أو قد[1] أُبينَ فيها) مِن أبان بمعنى "بيّن".

قوله: (هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف) هذا الكتاب، أي: هذه السورة.

قوله: (إرادةَ أن تفهموه) يريد أنّ لعلّ هنا ليس بمعناه الحقيقي وهو الترجيّ؛ لأنّه على الله تعالى[2] مُحال؛ بل المراد به الإرادة، فهو مِن الاستعارة التبعيّة.

قوله: (على وجهين: أن يكون) الأوّل، وقوله: (ويكون فعلًا) الثاني.

---

[1] ن – قد.

[2] ر – تعالى.

ويجوز أن يكون من تسمية المفعول بالمصدر كالخَلْق والصَّيْد.

فإن أريدَ المصدرُ فمعناه: نحن نقتصُّ عليك أحسنَ الاقتصاصِ ﴿بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾؛ أي: بإيحائنا إليك هذه السورةَ، على أن يكون ﴿أَحْسَنَ﴾ منصوبًا نصبَ المصدر لإضافته إليه، ويكون المقصوصُ محذوفًا؛ لأن قوله: ﴿بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ مُغْنٍ عنه.

ويجوز أن يَنتصِبَ ﴿هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ بـ﴿نَقُصُّ﴾ كأنه قيل: "نحن نقتصُّ عليك أحسنَ الاقتصاصِ هذا القرآنَ بإيحائنا إليك".

والمراد بـ"أَحْسَنَ الاقتصاصِ": أنه اقتُصَّ على أبدعِ طريقةٍ وأعجبِ أسلوبٍ، ألا تَرَى أن هذا الحديثَ مقتصٌّ في كتب الأوَّلِين وفي كتب التواريخ، ولا ترى اقتصاصَه في كتابٍ منها مُقاربًا لاقتصاصه في القرآن.

وإن أريد بـ﴿ٱلْقَصَصِ﴾ المقصوصُ فمعناه: نحن نقصُّ عليك أحسنَ ما نقصُّ من الأحاديث، وإنّما كان أحسنَه لِمَا يتضمَّن من العِبَر والنُّكَتِ والحِكَم والعجائب التي ليست في غيرها، والظاهرُ أنه أحسنُ ما يُقتَصُّ في بابه، كما يقال في الرجل: "هو أعلمُ الناسِ وأفضلُهم" يراد: في فنِّه.

قوله: (ويجوز أن يكون مِن تسمية) عطف على قوله: (كالنَّفَض) والحاصل أنّه إذا كان بمعنى المفعول: فإمّا أن يكون في الأصل موضوعًا لذلك المعنى، وإمّا أن يكون في الأصل مصدرًا سُمّي به المفعول، أو نقول: هو عطف على قوله: "على وجهين"، يعني: يجوز أن يقال: هو مصدر لا غير، وإذا استُعمل بمعنى المفعول فهو مِن تسمية المفعول بالمصدر.

قوله: (ويكون المقصوص محذوفًا) كأنّه قيل: نحن نقصّ عليك قصة يوسف أحسنَ القصص إلى آخره.

قوله: (والظاهر)[١] عطف على قوله: (إنّما كان) إلى آخره، أو على قوله: (لِما) إلى آخره، والمعنى أنّه أحسن مطلقًا، أو أحسن في هذا الباب.

---

[١] ن: الظاهر.

فإنْ قلتَ: ممَّ اشتقاقُ ﴿ٱلۡقَصَصِ﴾.

قلتُ: مِن قصَّ أثره: إذا اتَّبعه؛ لأن الذي يَقصُّ الحديثَ يتَّبع ما حفظ منه شيئًا فشيئًا؛ كما يقال: "تلا القرآن" إذا قرأه؛ لأنّه يتلو -أي: يتَّبع- ما حَفِظ منه آيةً بعد آيةٍ.

﴿وَإِن كُنتَ﴾، ﴿وَإِن﴾ مخفَّفةٌ من الثقيلة، واللام هي التي تَفرُقُ بينها وبين النافية، والضميرُ في ﴿قَبۡلِهِۦ﴾ راجعٌ إلى قوله: "ما أوحينا"، والمعنى: وإن الشأنَ والحديثَ كنتَ من قبلِ إيحائنا إليك من الغافلين عنه؛ أي: من الجاهلين به، ما كان لك فيه علمٌ قطُّ ولا قَرَعَ سَمْعَك طَرَفٌ منه.

﴿إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ④﴾

﴿إِذۡ قَالَ يُوسُفُ﴾ بدلٌ من ﴿أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ وهو من بدلِ الاشتمالِ؛ ....

قوله: (قلتُ: مِن قصَّ أثره) هذا الكلام يُوهِم أنّ الفعل اشتقّ[1] منه المصدر، فالوجه أن نقول: هذا الاشتقاق بخلاف ما اصطلحوا عليه؛ لأنّ المعنى الذي ذَكَره في المشتقّ[2] منه بعينه غير موجودة[3] في المشتقّ؛ بل لازمة موجود هناك، فهو مِن الكناية.

قوله: (يتَّبع ما حفظ منه شيئًا) أي: ما حفظه، فالضمير المفعول عائد إلى / "ما"، ومِن "منه" إلى (الحديث). [١٨و]

قوله: (لأنّه يتلو) أي: لأنّ القارئ. وقوله: (ما حفظ منه آية) أي: مِن القرآن.

قوله: (والمعنى: وإنّ الشأن) في قوله: "وإنّ الشأن" نظر؛ إذ لا حاجة إلى تقدير ضمير الشأن، فإنّ المكسورة إذا خُفِّفت يجوز إلغاؤها ودخولها على فعل مِن أفعال[4] المبتدأ مِن غير تقدير ضمير الشأن.

---

١ ر: أسبق.
٢ ر: السبق.
٣ ر: موجود.
٤ ن: الفعال.

لأن الوقت مشتمِلٌ على القَصَص وهو المقصوص، فإذا قُصَّ وقتُه فقد قُصَّ، أو بإضمارِ "اذكر".

ويوسفُ اسمٌ عِبْرانيٌّ، وقيل: عربيٌّ، وليس بصحيحٍ؛ لأنه لو كان عربيًّا لانصرف؛ لخلوِّه عن سببٍ آخر سوى التعريف.

فإن قلتَ: فما تقولُ فيمَن قرأ: "يوسِفَ" بكسر السين، أو: "يوسَفَ" بفتحها، هل يجوز على قراءته أن يقال: "هو عربي؛ لأنه على وزن المضارع المبنيِّ للفاعل أو المفعول من آسَفَ، وإنما مُنع الصرفَ للتعريف ووزنِ الفعل؟"

قلتُ: لا؛ لأن القراءة المشهورةَ قامت بالشهادة على أن الكلمةَ أعجميةٌ، فلا تكون عربيةً تارةً وعَجَمِيةً أخرى.

ونحوُ يوسف: يونس، رُويت فيه هذه اللغاتُ الثلاث، ولا يقال: "هو عربيٌّ؛ لأنه في لغتين منها بوزن المضارع من آنَسَ وأُونِسَ".

وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «إذا قيل: مَن الكريم؟ فقولوا: الكريمُ ابنُ الكريم ابنِ الكريم ابنِ الكريم يوسفُ بن يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيم».

قوله: (فقد قُصّ)؛ وذلك لأنّ "قصص الوقت" مِن حيث هو وقت مُحال، فيكون المراد بـ"قصص الوقت" قصص ما فيه بطريق المجاز، ويظهر لك مِن هذا أنّه ينبغي أن يكون بدل الكلّ لا بدل الاشتمال،[1] فتأمَّل.

قوله: (أو بإضمار "اذكر") عطف على قوله: (بدلٌ) مِن حيث المعنى، فكأنّه قيل: ﴿إِذْ قَالَ﴾ منصوب؛ لأنّه بدل أو بإضمار "اذكر".

قوله: (قامت بالشهادة) الباء للتعدية، أي: قامتِ[2] الشهادة، أو للمصاحبة، أي: ملتبِسة بالشهادة الباء للتعدية.

قوله: (لأنّه في لغتين منها)؛ لأنّه متعلِّق بقوله: (يقال)، يعني: لا يجوز أن يقال بناء على هذه العلّة،[3] أي: لا يكون ذلك على الجواب.

---

[1] ر: الاستعمال.
[2] ن: أقامت.
[3] ن: اللغة.

﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ قُرئ بالحركات الثلاث.

فإن قلتَ: ما هذه التاءُ؟

قلتُ: تاءُ تأنيثٍ وقعتْ عِوَضًا عن ياءِ الإضافة، والدليلُ على أنها تاءُ تأنيثٍ قَلْبُها هاءً في الوقف.

فإن قلتَ: كيف جاز إلحاقُ تاء التأنيث بالمذكَّر؟

قلتُ: كما جاز نحوُ قولك: حمامةٌ ذَكَرٌ، وشاةٌ ذَكَرٌ، ورجلٌ رَبْعةٌ وغلامٌ يَفَعَةٌ.

فإن قلتَ: فلِمَ ساغ تعويضُ تاء التأنيث من ياءِ الإضافة؟

قلتُ: لأن التأنيث والإضافةَ يتناسبان في أن كلَّ واحدٍ منهما زيادةٌ مضمومةٌ إلى الاسم في آخره.

فإن قلتَ: فما هذه الكسرةُ؟

قلتُ: هي الكسرةُ التي كانت قبلَ الياء في قولك: "يا أبي" قد زُحلقت إلى التاء لاقتضاءِ تاءِ التأنيث أن يكونَ ما قبلَها مفتوحًا.

فإن قلتَ: فما بالُ الكسرة لم تسقط بالفتحةِ التي اقتضَتْها التاء وتبقى التاءُ ساكنة؟

قوله: (ورجل[1] رَبْعة) أي: لا طويل ولاقصير. وقوله: (وغلام يَفَعة) «اليفاع:[2] ما ارتفع مِن الأرض، وأيفع[3] الغلام: ارتفع، فهو يافع،[4] ولا يقال: "مُوفِع"، وهو مِن النوادر. وغلام يَفَع[5] ويَفَعة،[6] وغلمان أيفاع ويَفَعة أيضًا».[7] وقوله:[8] (وتبقى) "وتبقى" حقّه[9] أن يكون مجزومًا عطفًا على (تسقط)،[10] والعائد محذوف، أي: معها، فعلى هذا ينبغي أن تكتب "تبقى" بغير ألف، ويمكن أن تكون الواو فيه للحال لا للعطف.

[1] ر: قدحل.
[2] ر: البقاع.
[3] ر: أنفع.
[4] ر: نافع.
[5] ر: نفع.
[6] ر: ونفعة.
[7] الصحاح للجوهري، «يفع».
[8] ر: قوله.
[9] ن: حقها.
[10] ن: أسقط.

قلتُ: امتَنَع ذلك فيها؛ لأنها اسم، والأسماءُ حقُّها التحريكُ لأصالتها في الإعراب، وإنّما جاز تسكينُ الياء -وأصلُها أن تحرَّك- تخفيفًا؛ لأنّها حرفُ لِينٍ، وأما التاءُ فحرفٌ صحيحٌ نحوُ كافِ الضميرِ فلَزِم تحريكُها.

فإن قلتَ: يُشبِهُ الجمعُ بين التاءِ وبين هذه الكسرةِ الجمعَ بين العِوَضِ والمعَوَّضِ منه؛ لأنها في حكم الياء إذا قلتَ: "يا غلامِ"، فكما لا يجوز: "يا أبتي" فلا يجوزنَّ: "يا أبتِ".

قلتُ: الياءُ والكسرةُ قبلها شيئان، والتاءُ عِوَضٌ من أحدِ الشيئين وهو الياء، والكسرةُ غيرُ متعرِّضٍ لها، فلا يُجمَعُ بين العِوَضِ والمعَوَّضِ منه إلا إذا جُمع بين التاءِ والياء لا غير، ألا ترى إلى قولهم: "يا أبتا" مع كونِ الألف فيه بدلًا من الياء كيف جاز الجمعُ بينها وبين التاءِ ولم يُعدَّ ذلك جمعًا بين العِوَض والمعوَّض، فالكسرةُ أبعدُ من ذلك؟

فإن قلتَ: فقد دلَّتِ الكسرةُ في "يا غلامِ" على الإضافة؛ لأنها قرينةُ الياء ولَصِيقتُها، ....

قوله: (قلتُ: امتنع ذلك فيها؛ لأنّها اسم) ليست التاء[١] اسمًا وإنّما هي عوض عن الاسم؛ ولكن لمّا صار بدلًا مِن الاسم سمّاه اسمًا. واعلم أنّ هذه الحاشية غير صحيحة، فإنّ[٢] التاء هنا اسم؛ لأنّا إذا سمّينا الكلمة اسمًا سمّيناها باعتبار مدلولها، وإبدال حرف بحرف لا يُخرِج الكلمة مِن حقيقها. وقوله: (وإنّما جاز تسكين الياء)[٣] وإن كان اسمًا. وقوله: (لأنّها حرفُ لِين) أي: لأنّها حرف واحد وهو حرف صحيح.

قوله: (ألا ترى إلى قولهم: يا أبتا) والوجه أن يقال: "يا أبتي" لأنّ التاء والألف عوض مِن الياء[٤] لا الألف فقط، فلم يكن فيه جمع بين العِوض والمعوّض، بخلاف "يا أبتي".

---

[١] ر: النا.
[٢] ر: وأن.
[٣] ر: الباء.
[٤] ر: البا.

فإنْ دلَّتْ على مثلِ ذلك في "يا أبت" فالتاءُ المعوَّضةُ لغوٌ وجودُها كعدمها.

قلتُ: بل حالُها مع التاء كحالها مع الياء إذا قلتَ: "يا أبي".

فإن قلتَ: فما وجهُ مَن قرأ بفتحِ التاء وضمِّها؟

قلتُ: أمَّا مَن فتَح فقد حذف الألف من "يا أبتا" واستَبْقَى الفتحةَ قبلها؛ كما فَعَل مَن حذف الياء في "يا غلامِ"، ويجوز أن يقال: حَرَّكها بحركة الياء المعوَّض منها في قولك: "يا أبي".

وأما مَن ضَمَّ فقد رأى اسمًا في آخره تاءُ تأنيثٍ فأجراه مُجرى الأسماء المؤنَّثة بالتاء، فقال: "يا أبةُ" كما يقول: "يا ثُبَةُ" من غيرِ اعتبارٍ لكونها عِوَضًا من ياء الإضافة.

وقرئ: "إنيَ رأيتُ" بتحريك الياء، و: ﴿أَحَدَ عْشَرَ﴾ بسكون العين تخفيفًا؛ لتَوَالي المتحرِّكات فيما هو في حُكم اسمٍ واحد، وكذا إلى "تسعةَ عْشَرَ" إلّا "اثني عَشَر" لئلا يلتقيَ ساكنان.

قوله: (قلتُ: بل حالها) "بل حالها" إضراب[1] عمّا فُهم مِن قوله: (فإن دلّت) إلى آخره، فكأنّه ما دلّت على مثل ذلك؛ بل حالها إلى آخره.

قوله: (المعوَّض منها) ليس في المعوَّض ضمير؛ بل هو مستند[2] إلى "منها"، والضمير في "منها" يعود إلى اللام، والهاء؛ لأنها عبارة عن الياء، ولو كان فيه ضمير لكان عائدًا إلى "الحركة" وكان[3] الضمير في "منها" للام،[4] ولكان "المعوَّض" حقّه "جارية على غير مَن هي له"، فلم يكن بدّ مِن الانفصال مع تأنيث الصفة هكذا "المعوَّضة هي منها".

قوله: (لتوالي المتحرِّكات) أي: للحركات الستّ فيما هو[5] كالكلمة[6] الواحدة بسبب التركيب. واعلم أنّ المصنّف أراد بالحركات ستَّ حركات؛ فلذلك ألحق به إخوانه.[7] وفي قوله: (إلّا اثني عشر)[8] بحث؛ إذ لم يلزم فيه ستّ حركات،

---

١ ر: أضربت.
٢ ن: مستندًا.
٣ ر: ولو كان.
٤ ن: واللام.
٥ ن ر: هذه.
٦ ن: الكلمة.
٧ وذلك في قوله: "وكذا إلى تسعة عشرة".
٨ ر - عشر.

و﴿رَأَيْتُ﴾ من الرؤيا لا من الرؤية؛ لأن ما ذكره معلومٌ أنه منامٌ؛ لأن الشمس والقمر لو اجتَمَعَا مع الكواكب ساجدةً ليوسفَ عليه السلام في حالِ اليقظة لكان آيةً عظيمةً ليعقوبَ عليه السلام، ولَمَا خَفِيَتْ عليه وعلى الناس.

فإن قلتَ: ما أسماءُ تلك الكواكب؟

قلتُ: روى جابرٌ أن يهوديًا جاء إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد! أخبرني عن النجوم التي رآهنَّ يوسفُ عليه السلام؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزل جبريل عليه السلام فأخبره بذلك، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم لليهودي: «إن أخبرتُكَ هل تُسْلِمُ؟» قال: نعم، قال: «جَربانُ والطَّارقُ والذَّيَّالُ وقابِسٌ وعَمُودان والفَلِيقُ والمصبِّحُ والضَّرُوحُ والفَرْغُ ووثَّابٌ وذو الكتفين، رآها يوسفُ عليه السلام والشمسَ والقمرَ نزلنَ من السماء وسجَدْنَ له» فقال اليهوديُّ: إي: واللهِ إنها لأسماؤها.

وقيل: الشمسُ والقمرُ أبواه.

وقيل: أبوه وخالته، والكواكبُ أخوتُه.

وعن وَهْبٍ: أن يوسف عليه السلام رأى وهو ابنُ سبعِ سنينَ أن إحدى عَشْرةَ عصًا طِوالًا كانت مركوزةً في الأرض ....

وأيضًا ليس هو في حكم اسم واحد؛ لأنّه كالمضاف والمضاف إليه بسبب حذف النون، كما بُيِّن في موضعه.

قوله: (و﴿رَأَيْتُ﴾ مِن الرؤيا) قال في الصحاح: «رأى في منامه رؤيا على "فُعلى"[1] غير منوّن، وجمع الرؤيا[2] رؤى بالتنوين».[3]

قوله: (قلتُ: روى جابر أنّ يهوديًا) اسم اليهوديّ[4] بستانة.[5]

---

[1] ر: فعل.

[2] ن: الريا.

[3] الصحاح للجوهري، «رأى».

[4] ن ر: يهودي.

[5] ن ر: بستاني. وأثبتُّ ما جاء في مطبوع جامع البيان للطبري، ١٣/١٠ (يوسف، ٤/١٢)؛ والمحرَّر الوجيز لابن عطيّة، ٢٢٠/٣ (يوسف، ٤/١٢).

كهيئةِ الدائرة، وإذا عصًا صغيرةٌ تَثِبُ عليها حتى اقتلعَتْها وغلَبَتْها، فوصف ذلك لأبيه، فقال: إياك أن تَذكرَ هذا لإخوتك، ثم رأى وهو ابن ثِنْتَي عشرةَ سنةً الشمسَ والقمرَ والكواكبَ تسجدُ له، فقصَّها على أبيه، فقال: "لا تقصَّها عليهم فيَبْغوا لك الغوائل".

وقيل: كان بين رؤيا يوسف عليه السلام ومصيرِ إخوته إليه أربعون سنة.

وقيل: ثمانون.

فإن قلتَ: لم أخَّر الشمس والقمر؟

قلتُ: أخَّرهما ليَعْطِفَهما على الكواكب على طريق الاختصاص؛ بيانًا لفضلهما واستبدادهما بالمزيَّة على غيرهما من الطوالع؛ كما أخَّر جبريلَ وميكائيل عليهما السلام عن الملائكة ثم عطَفَهما عليها لذلك.

ويجوزُ أن تكون الواوُ بمعنى "مع"؛ أي: رأيتُ الكواكبَ مع الشمسِ والقمر.

فإن قلتَ: ما معنى تكرارِ ﴿رَأَيْتُ﴾؟

قوله: (كهيئة[١] الدارة)[٢] الدارة: الدائرة، كالصاغة بمعنى الصائغة.

[١٨ظ] قوله: (قلتُ: ليعطِفهما)[٣] على طريق الاختصاص، / فإنّ "الكواكب" بمفهومه شامل لجميع الكواكب مِن الشمس والقمر، كما أنّ الملائكة شامل بمفهومها لجَبرئيل[٤] وغيره، فكما ذكر الملائكة وأريدَ[٥] بها غير جَبرئيل ومِيكائيل ثمّ عُطفا عليها تفصيلًا لهما كأنّهما مِن جنس آخر، فكذا ذكر ههنا الشمس والقمر بغير لفظ الكواكب، فكأنّهما مِن جنس آخر غير جنس الكواكب، فكأنّك قلتَ: "رأيت الكواكب والشمس". وقوله:[٦] (لذلك) أي: لفضلها. وقوله: (ويجوز أن تكون الواو بمعنى "مع") فإذا كان الواو بمعنى "مع" كان الشمس والقمر أشدّ وأقوى اعتبارًا مِن الكواكب، إذ كأنّهما جُعلا أصلين والباقي تابع[٧] لهما، كما إذا قلتَ:

---

١ ر: كهئة.
٢ الكشف والبيان للثعلبي، ١٤/٤٩١ (يوسف، ١٢/٤).
٣ ر: ليقطعهما.
٤ ر: لجبريل.
٥ ر: وأيد.
٦ ر: قوله.
٧ ر: توابع.

قلتُ: ليس بتكرارٍ، إنما هو كلامٌ مستأنفٌ على تقديرِ سؤالٍ وقع جوابًا له؛ كأنَّ يعقوب عليه السلام قال له عند قوله: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾: كيف رأيتَها؟ سائلًا عن حال رؤيتها، فقال: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾.

فإن قلتَ: فلمَ أُجريتْ مُجرى العقلاء في "رأيتُهم ساجدين"؟

قلتُ: لأنه لمّا وصفها بما هو خاصٌّ بالعقلاء وهو السجود، أَجْرى عليها حكمَهم كأنَّها عاقلةٌ، وهذا كثيرٌ شائعٌ في كلامهم: أن يُلابِسَ الشيءُ الشيءَ من بعضِ الوجوه فيُعطَى حكمًا من أحكامه إظهارًا لأثرِ المقارَبة والملابَسة.

﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥﴾

عرَف يعقوبُ عليه السلام دلالةَ الرُّؤيا على أن يوسف يُبلِّغُه اللهُ مَبلغًا من الحكمة ويصطفيه للنبوَّة ويُنْعِمُ عليه بشرفِ الدارين كما فعَل بآبائه، فخاف عليه حسدَ الإخوة وبَغْيَهم.

والرُّؤيا بمعنى الرُّؤية، إلَّا أنها مختصَّةٌ بما كان منها في المنام دون اليقظة، فُرِّق بينهما بحرفي التأنيث؛ كما قيل: القُربَةُ والقُربَى.

"جاء هؤلاء مع زيد"، أو قلتَ: "جاء عمرو مع زيد"، فكأنَّك جعلت زيد أفخمَ شأنا وأعظم حالًا والغير مِن توابعه ولواحقه وخدمه وحشمه.

قوله: (وقع جوابًا له) أي: وقع ﴿رَأَيْتُهُمْ﴾.

قوله: (هذ كثير[1] شائع) هذا إشارة إلى مبهم[2] تفسيره قوله: (أن[3] يُلابس)، كقوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ [الحجر ١٥/٦٦]. وقوله: "أن يُلابس"[4] بدل قوله: (بحرفي التأنيث) الألف والتاء. وقوله: (القُربة والقُربى) القُربة في الطاعة، والقربى[5] في النسب.

---

[1] ر: كبير.
[2] ر: منهم.
[3] ن ر: وأن.
[4] ر - كقوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ وقوله: "أن يُلابس".
[5] ر: والقربى.

وقرئ: "روياك" بقلب الهمزة واوًا، وسمِعَ الكسائيُّ: ﴿رُيَّاك﴾ و"رِيَّاك" بالإدغام وضَمِّ الرَّاء وكسرها، وهي ضعيفةٌ؛ لأن الواو في تقدير الهمزةِ فلا يَقْوَى إدغامُها؛ كما لم يَقوَ الإدغام في قولهم: "اتَّزر" من الإزار و: "اتَّجرَ" من الأَجْر.

﴿فَيَكِيدُواْ﴾ منصوبٌ بإضمارِ "أنْ"، والمعنى: إنْ قصصتَها عليهم كادُوك.

فإن قلتَ: هلا قيل: "فيكيدوك" كما قيل: ﴿فَكِيدُونِ﴾؟

قلتُ: ضُمِّن معنَى فعلٍ يتعدَّى باللام ليُفيدَ معنى فعلِ الكيد مع إفادةِ معنى الفعل المُضَمَّن فيكونَ آكَدَ وأَبلغَ في التخويف، وذلك نحوُ: "فيحتالوا لك"، ألا ترى إلى تأكيدِه بالمصدر.

قوله: (وهي ضعيفة) أي: هذه القراءة ضعيفة. قال أبو عليّ:

> فإن خفّفت قلتَ: "الرويا" فقبلتها في اللفظ ولم تدغم الواو في الياء وإن كانت قد تقدّمتها[1] ساكنة؛ لأنّ الواو في تقدير الهمزة، فهي لذلك غير لازمة، وإذا لم تلزم لم يقع الاعتداد بها فلم تُدغم كما نُقلت الأولى في ﴿وُۥرِيَ عَنْهُمَا﴾ [الأعراف ٢٠/٧]، لمّا كانت الثانية غير لازمة، ومِن ثمّ جاز "ضو" و"شي" في تخفيف "ضوء" و"شيء"، فبُني الاسم على حرفين أحدهما حرف لِين، وجاز تحرُّك حرف اللين وتصحيحه مع انفتاح ما قبله؛ لأنّ الهمزة في تقدير الثبات.[2]

وقوله: (مِن الإزار) احتراز[3] مِن[4] الوَزَر. تقول: «اتّزر[5] الرجل، أي: ركب الوِزر[6] وهو "افتعل" منه».[7] وقوله: (مِن الأجر) احتراز مِن التجارة.

قوله: (معنى الفعل المضمَّن) وهو "يحتالوا". وقوله: (وذلك نحو "فيحتالوا لك") فكأنّه قيل: فيحتالوا لك كائدين. وقوله: (ألا ترى) فإنّ تأكيده بالمصدر يدلّ على أنّ المراد المعنى الأبلغ.

---

[1] ر: تقدمها.
[2] انظر: الحجّة للفارسي، ٣٩٨/٤-٣٩٩.
[3] ر: أحزان.
[4] ن + من.
[5] ر: اترز.
[6] ر - أي: ركب الوزر.
[7] الصحاح للجوهري، «وزر».

﴿عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: ظاهرُ العداوةِ؛ لِمَا فعل بآدمَ وحوَّاءَ عليهما السلام، ولقوله: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف ١٦/٧] فهو يَحمل على الكيد والمكرِ وكلِّ شرٍّ ليُورِّطَ مَن يَحمله، ولا يُؤمَنُ أن يَحملهم على مثله.

﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: ومثلَ ذلك الاجتباءِ ﴿يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ يعني: وكما اجتباك لمثل هذه الرُّؤيا العظيمة الدالة على شرفٍ وعزٍّ وكبرياءِ شأنٍ كذلك يجتبيك لأمورٍ عظام.

وقوله: ﴿وَيُعَلِّمُكَ﴾ كلامٌ مبتدأً غيرُ داخلٍ في حكم التشبيه؛ كأنَّه قيل: وهو يعلِّمك ويُتمُّ نعمتَه عليك.

والاجتباءُ: الاصطفاء، افتعالٌ من جَبَيْتُ الشيءَ: إذا حصَّلْتَه لنفسك، وجَبَيْتُ الماءَ في الحوض: جمعتُه.

و﴿ٱلْأَحَادِيثِ﴾: الرُّؤَى: لأن الرُّؤيا إمَّا حديثُ نَفْسٍ أو مَلَكٍ أو شيطانٍ، وتأويلُها: عبارتُها وتفسيرُها، وكان يوسفُ عليه السلام أَعْبرَ الناسِ للرُّؤيا وأصحَّهم عبارةً لها.

قوله: (فهو يحمل على الكيد) أي: الشيطان. وقوله: (ليُورِّط) أورطه وورّطه توريطًا، أي: أوقعه في الورطة وهي الهلاك.[١] أي: مراد الشيطان، أن يُوقِع في الهلاك مَن يحمله[٢] على الكيد.[٣] وقوله: (أن يحملهم) أي: إخوتك.

قوله: (كذلك يجتبيك) "كذلك" بدل مِن (كما اجتباك)، ولمّا وقع كلام طويل بين "كما اجتباك" و"يجتبيك" أبدل لذلك.

قوله: (و﴿ٱلْأَحَادِيثِ﴾: الرُّؤى) جمع "الرؤيا"، كـ"العُلا" في جمع "العُليا". قال أبو عليّ في الحجّة:

---

١ انظر: الصحاح للجوهري، «ورط».

٢ ن: يحمل.

٣ ر: الكبد.

ويجوز أن يراد بتأويل الأحاديث: معاني كتبِ الله، وسُنَنُ الأنبياء عليهم السلام، وما غَمُضَ واشتَبه على الناس من أغراضها ومقاصدها يُفسِّرها لهم ويشرَحُها، ويدلُّهم على مودَعات حِكَمِها.

وسُمِّيت أحاديثَ؛ لأنه يُحَدَّث بها عن الله ورُسُله، فيقال: "قال الله، وقال الرسول: كذا وكذا"، ألَا ترى إلى قوله: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف ١٨٥/٧] ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [الزمر ٢٣/٣٩] وهو اسمُ جمعٍ للحديث ....

الرؤيا مصدر كالبُشرى والسُّقيا والبُقيا[1] والشُّورى، إلّا أنّه لمّا صار اسمًا لهذا المتخيّل في المنام جرى مجرى الأسماء، كما أنّ درًّا لمّا كثر في كلامهم في قولهم: "لله درُّه" أجريَ مُجرى الأسماء[2] وخرج عن حكم الإعمال، فلا يعمل واحد منهما أعمال المصدر، وممّا يقوي خروجه عن أحكام المصادر تكسيرهم لها "رؤى"، فصار بمنزلة "ظلم"، والمصادر في أكثر الأمر لا تكسّر.[3]

قوله: (وسُمّيت) أي: الكتب والحديث.

قوله: (وهو اسم جمع للحديث) هذا مضادّ لقوله في المفصّل: «وقد يجيء[4] الجميع مبنيًّا على غير واحدة المستعمل، وذلك نحو أراهط وأباطل[5] وأحاديث»،[6] حيث جعل "أحاديث" جمعًا مبنيًّا على غير واحد وهو الحديث، وكأنّه جَمْع "أحداث"، ولا يجوز أن يكون جمع "أُحدوثة"؛ لأنّه يقال: "أحاديث النبيّ عليه السلام" مع امتناع قولهم: "أُحدوثة النبي صلّى الله عليه وسلّم"،[7] فكأنّ الأُحدوثة بمعنى "الأُعجوبة". قال الجوهري: الحديث يجمع على أحاديث على غير قياس. قال الفرّاء: نُرى أنّ واحد الأحاديث أحدوثة، يكون اسم جمع للحديث.[8] ومنه "أحاديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم،

---

[1] ن: البقا؛ ر: النصا.
[2] ر – كما أنّ درًّا لمّا كثر في كلامهم في قولهم: "لله درّه" أجريَ مجرى الأسماء.
[3] ر + في. | انظر: الحجّة للفارسي، ٣٩٨/٤.
[4] ن: مجيء.
[5] ر: وأباطيل.
[6] المفصّل للزمخشري، ص ٢٤٣.
[7] ر: عليه السلام.
[8] الصحاح للجوهري، «حدث».

وليس بجمعِ أُحْدُوثَةٍ.

ومعنى إتمامِ النعمة عليهم: أنه وصَل لهم نعمةَ الدنيا بنعمةِ الآخرة، بأنْ جعلَهم أنبياءَ في الدنيا وملوكًا، ونَقَلهم عنها إلى الدَّرجات العُلا في الجنة.

وقيل: أتمَّها على إبراهيم بالخُلَّة والإنجاء من النار ومن ذبح الولد، وعلى إسحاقَ بإنجائه من الذبح وفدائه بذِبْحٍ عظيم، وبإخراج يعقوبَ والأسباطِ من صُلبه.

وقيل: عَلِمَ يعقوبُ عليه السلام أن يوسفَ عليه السلام يكون نبيًا وإخوتُه أنبياءَ استدلالًا بضوء الكواكب؛ فلذلك قال: ﴿وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ﴾.

وقيل: لمّا بلغَتِ الرُّؤيا إخوةَ يوسف حَسَدُوه وقالوا: "ما رضي أن يسجدَ له إخوتُه حتى سَجَد له أبواه".

وقيل: كان يعقوبُ مُؤْثِرًا له بزيادةِ المحبَّة والشفقة لصِغَره، ولِمَا يَرى فيه من المخايل، وكان إخوته يَحسدونَه، فلما رأى الرؤيا ضاعفَ له المحبَّةَ فكان يضمُّه كلَّ ساعةٍ إلى صدره ولا يصبر عنه، فتبالغَ فيهم الحسَدُ.

ويكون جمعًا للأحدوثة التي هي مثل الأضحوكة والألعوبة[1] والأعجوبة، وهي ما يتحدّث / به الناس تلهُّيًا وتعجُّبًا. وإنّما قال: (وليس بجمع أُحدوثة)؛ لأنّ [١٩و]
أفعولة لِما يُتلهّى[2] به ويُضحَك منه.

قوله: (وقالوا: ما رضي أن يسجد له) كأنّهم حملوا هذه الرؤيا على أنّها كانت حديث نفس؛ فلذلك قالوا ما قالوا، ولو علموا أنّها مِن إلهام الملك لَما قالوا ذلك، فتأمّل، والله أعلم بالحقيقة.

قوله: (مِن المَخايل) المَخايل: جمع مَخيَلة وهي المَظِنّة "مَفْعَلة" مِن ظنّ بمعنى علم، فمحصوله معالم الرشد، والياء في المخايل كهي في المعايش، يطرح بها ولا يهمز.

---

[1] ر: والألغوبة.
[2] ر: ايتلهى.

وقيل: لمَّا قصَّ رؤياه على يعقوب عليه السلام قال: «هذا أمرٌ مُشتَّتٌ يجمعُه الله لك بعد دهرٍ طويلٍ».

وآلُ يعقوب: أهلُه، وهم نَسْلُه وغيرهم، وأصلُ آلٍ: أَهْلٌ، بدليل تصغيره على أُهيلٍ، إلَّا أنه لا يُستعمل إلَّا فيمَن له خطرٌ، يقال: "آلُ النبي" و"آلُ الملِك"، ولا يقال: "آلُ الحائك"، ولا: "آلُ الحجام"؛ ولكنْ: أهلُهما.

وأرادَ بالأبوين: الجدَّ وأبا الجدِّ؛ لأنهما في حُكْم الأب في الأصالة، ومِن ثَمَّ يقولون: ابن فلان، وإن كان بينه وبين فلان عِدَّةٌ.

و﴿إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ﴾ عطفُ بيانٍ لـ﴿أَبَوَيْكَ﴾.

﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾ يعلم مَن يَحقُّ له الاجتباء ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يُتِمُّ نعمتَه إلا على مَن يَستحقُّها.

﴿لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧﴾

﴿فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦ﴾؛ أي: في قصَّتهم وحديثِهم ﴿ءَايَٰتٌ﴾: علاماتٌ ودلائلُ على قدرةِ الله وحكمتِه في كلِّ شيء ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾: لمَن سأل عن قصَّتهم وعَرَفها.

وقيل: آياتٌ على نبوَّة محمدٍ صلى الله عليه وسلم للَّذين سألوه من اليهود عنها فأخبرهم بالصحة من غيرِ سماعٍ من أحدٍ ولا قراءةِ كتاب.

وقرئ: ﴿آيةٌ﴾ وفي بعضِ المصاحف: "عِبْرةٌ".

وقيل: إنما قصَّ الله على النبيِّ عليه الصلاة والسلام خبرَ يوسف عليه السلام وبَغْيَ إخوته عليه لِمَا رأى من بَغْي قومه عليه ليأتسِيَ به.

قوله: (مشتِّت) التشتيت: التفريق.

قوله: (وعَرَفها) عطف على (سأل). وإنّما قال كذلك؛ لأنّه لا يحصل للسائل بمجرد السؤال آيات، وإذا سأل وعلم حصل له آيات.

قوله: (مِن اليهود) بيان (الذين).

قوله: (ليأتسي) علّة المجموع.

وقيل: أساميهم: يهوذا ورُوبيلُ وشَمْعونُ ولَاوَى ورِيَالُونْ ويَشْجُرُ وذَيْنَةُ ودَانٌ ويَفْتالَى وجادٌ وآشُرُ: السبعة الأولون كانوا من ليًا بنتِ خالةِ يعقوبَ، والأربعةُ الآخرون من سُرِّيتين: زُلفةَ وبُلْهةَ، فلما تُوفِّيَتْ ليًا تزوَّجَ أختَها راحيلُ فولدَتْ له بُنيامينَ ويوسفَ.

﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨﴾

﴿لَيُوسُفُ﴾ اللام لام الابتداء، وفيها تأكيدٌ وتحقيقٌ لمضمون الجُملة، أرادوا أن زيادةَ محبَّته لهما أمرٌ ثابتٌ لا شُبهة فيه.

﴿وَأَخُوهُ﴾ هو بُنيامين، وإنما قالوا: "أخوه" وهم جميعًا إخوته؛ لأن أمَّهما كانت واحدةً.

وقيل: ﴿أَحَبُّ﴾ في الاثنين؛ لأنّ "أفعَلَ مِن" لا يفرَّق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكَّر والمؤنَّث إذا كان معه "مِن"، ولا بدَّ من الفرق مع لام التعريف، وإذا أضيفَ جاز الأمران.

والواو في ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ واوُ الحال، يعني: أنه يُفضِّلُهما في المحبَّة علينا وهما اثنان صغيران لا كفايَةَ فيهما ولا منفعةَ، ونحن جماعةٌ عشرةٌ رجالٌ كُفاةٌ نقومُ بمَرافِقِه، فنحن أحقُّ بزيادة المحبَّة منهما؛ لفضْلنا بالكثرة والمنفعة عليهما.

قوله: (زُلفة وبُلهة) وهبتا ليعقوب عليه السلام.

قوله:[1] (فلمّا تُوفِّيت) إلى آخره، وقيل: جمعهما في النكاح؛ لأنّ الجمع بين الأختين كان حلالًا إلى أن حرّم الله الجمع بينهما في التوراة.

قوله: (لأنّ "أفعلَ مِن") أي "أفعل" التفضيل، ولذا[2] قال بعده: (إذا كان). وقوله: (معه) أي: مع "أفعل". وقوله: (ولا بدّ مِن الفرق) أي: بين الواحد وما فوقه وبين المذكّر والمؤنّث.

قوله: (بمَرافقه) أي: بأموره التي تتمّ بها مصالحه ومعايشه، مِن الرِّفق

---

[1] ن - قوله.

[2] ن: وكذا.

﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾؛ أي: في ذَهابٍ عن طريق الصواب في ذلك، والعُصْبَةُ والعِصابةُ: العَشَرَةُ فصاعدًا، وقيل: إلى الأربعين، سُمُّوا بذلك؛ لأنهم جماعةٌ تُعْصَبُ بهم الأمورُ ويُستكفَوْن النوائب.

ورَوى النَّزَّالُ بن سَبْرَةَ عن عليٍّ رضي الله عنه: "ونحن عُصبةً" بالنصب، وقيل: معناه: ونحن نجتمعُ عُصبةً، وعن ابن الأنباريِّ: "هذا كما تقول العربُ: إنما العامريُّ عِمَّتَه؛ أي: يتعهَّد عِمَّتَه".

﴿ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ۝٩﴾

﴿ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ﴾ من جُملة ما حُكي بعد قوله: ﴿إِذْ قَالُواْ﴾ كأنَّهم أطبقوا على ذلك إلَّا مَن قال: ﴿لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ﴾.

وقيل: الآمرُ بالقتل شمعونُ.

وقيل: دَانٌ، والباقون كانوا راضين فجُعلوا آمِرين.

خلاف الخُرق والعُنف. وارتفق به: انتفع به. ومرافق الدار: المتوضَّأ والمطبخ ومصبّ[1] الماء، ونحو ذلك "مِرفَق" بكسر الميم وفتح الفاء لا غير، وفي "مرفق اليد" العكس لغة، وهو مَوصِل العضد بالساعد، ومنه "المِرفَقة" لوسادة الاتكاء.[2]

قوله تعالى: ﴿لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ هذا الضلال خاصّ كالرشد في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ [النساء ٦/٤]، أي: رشد في التجارة، وكقوله: ﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة ١٦/٢]، أي: في أمور التجارة، وأراد هنا الخطأ في الرأي. وقوله: (في ذلك) متعلّق بـ(ذهاب) وذلك إشارة إلى اختياره لهما في المحبّة. وقوله: (تَعصَب)،[3] أي: تُشدّ.

قوله: (عِمّته) العِمّة: هيئة العِمامة.

---

١ ر: ومضيت.

٢ ر: الابكا. | ومن قوله: "من الرفق" إلى هنا بلفظ قريب في المغرب للمُطرّزي، «رفق».

٣ ر: تغضب.

﴿أَرْضًا﴾: أرضًا منكورةً مجهولةً بعيدةً من العُمران، وهو معنى تنكيرِها وإخلائها من الوصف، ولإبهامها من هذا الوجه نُصبَتْ نصبَ الظروف المُبهَمة.

﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾: يُقبِلْ عليكم إقبالةً واحدةً لا يلتفتْ عنكم إلى غيركم، والمراد: سلامةُ محبَّته لهم ممن يشاركُهم فيها وينازعُهم إيَّاها، فكان ذكرُ الوجه لتصويرِ معنى إقباله عليهم؛ لأن الرجل إذا أقبل على الشيء أقبل بوجهه، ويجوز أن يراد بالوجه الذاتُ؛ كما قال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن ٢٧/٥٥].

وقيل: ﴿يَخْلُ لَكُمْ﴾؛ أي: يَفرُغْ لكم من الشُّغل بيوسفَ.

﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾: من بعد يوسف؛ أي: من بعدِ كفايته بالقتل أو التغريب، أو يرجعُ الضمير إلى مصدر ﴿ٱقْتُلُوا۟﴾ أو "اطرحوا".

﴿قَوْمًا صَٰلِحِينَ﴾: تائبينَ إلى الله ممَّا جَنَيْتُم عليه، أو: يَصْلُحْ ما بينَكم وبينَ أبيكم بعُذرٍ تُمهِّدُونه، أو: تَصلحْ دنياكم وتَنتظِم أمورُكم بعده بخلوِّ وجهِ أبيكم.

و﴿وَتَكُونُوا۟﴾ إمَّا مجزوم عطفًا على ﴿يَخْلُ لَكُمْ﴾، وإما منصوبٌ بإضمار "أنْ" والواوُ بمعنى "مع" كقوله: ﴿وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ [البقرة ٤٢/٢].

﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾﴾

﴿قَآئِلٌ مِّنْهُمْ﴾ هو يهوذا، وكان أحسنَهم فيه رأيًا، وهو الذي قال: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ﴾ [يوسف ٨٠/١٢]، قال لهم: القتلُ عظيمٌ ﴿وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ وهي غَورُه وما غابَ منه عن عين الناظر وأظلَم من أسفله، قال المُنَخَّلُ:

قوله: (﴿أَرْضًا﴾) لفظ القرآن، ثمّ فسره بقوله: (أرضًا[1] منكورة) إشارة إلى أنّ التنوين فيه للإبهام، وللدلالة على كون تلك الأرض أرضًا لا يُهتدى إليها.

قوله: (وهو الذي قال: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ﴾)[2] ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ﴾ فلن أفارق أرض مصرَ حتّى يأذن أبي في الانصراف إليه.

---

[1] ن: وأيضا.

[2] ن + قوله.

وإنْ أنــا يومًــا غيَّبَتْنــي غيابَتِــي   فسِيروا بسَيري في العشيرةِ والأهـلِ

أرَاد: غيابةَ حُفرته التي يُدفن فيها.

وقرئ: ﴿غيابات﴾ على الجمع، و: "غيَّابات" بالتشديد، وقرأ الجُحْدُريُّ: "غَيْبةِ".

والجبُّ: البئر التي لم تُطْوَ؛ لأن الأرض تُجَبُّ جَبًّا لا غيرُ.

قوله: (وإن أنا[1] يومًا) البيت،[2] "أنا" فاعل فعل محذوف يفسِّره (غيَّبتني)؛ لأنّه في معنى "غِبت". وقوله: (غَيابتي) المراد غَيابة القبر الذي يدفن فيه. قوله: "فسيروا به" مِن السِّيرة لا مِن السَّير. قال أبو عبيدة: «كلّ شيء غُيِّب فهو غَيابة».[3] كانت عادتهم أنّه إذا مات رئيس عظيم الشأن والمحلّ يطوف واحد منهم على القبائل ويصعد الروابي المطلّة عليهم والآكام المرتفعة لمحالّهم ويقول: "أنعى[4] فلانًا"، يريدون تشهير أمره وتعظيم[5] التفجُّع[6] به. يقول: إذا متّ وغيّبتني حفرتي فسِيروا بنعيي[7] في القبائل والعشائر. كما قال آخر:

إذا مــتّ فانعيني بمـا أنـا أهلـه   وشُقّي عليَّ الجيبَ يا بنة مَعبَدِ[8]

قوله: (وقرئ: ﴿غَيَابَاتِ﴾) وجهُ قول[9] مَن[10] أفرد[11] أنّ الجبّ لا يخلو أن تكون له غِيابة واحدة أو غيابات، فـ"غَيابة" المفرد يجوز أن يُعنى به الجمع كما يُعنى به الواحد، ووجهُ مَن جَمَع أنّه يجوز أن يكون له غَيابة واحدة، فجعل كلّ جزء منها غَيابة فجمع لذلك.

قوله: (والجبّ: البئر التي لم تطوَ) أي: إنّما سُمّي البئر المطويُّ جبًّا إذ ليس فيه غير جبّ الأرض، فإنّه لم يُطو بعد. وقوله: (تُجبّ) أي: تُقطَع.

---

[1] ر: لنا.

[2] البيت للمنخّل بن سُبيع العنبري في مجاز القرآن لأبي عبيدة، ٣٠٢/١؛ ومعاني القرآن وإعرابه للزّجّاج، ٩٤/٣، وفيه «منيتي» مكان «غيابتي».

[3] مجاز القرآن لأبي عبيدة، ٣٠٢/١، وفيه «غُيِّب عنك».

[4] ر: أبغي.

[5] ن ر: ويعظم.

[6] ر: النفع.

[7] ر: بنعني.

[8] البيت لطرفة بن العبد البكري في ديوانه، ص ٥٦؛ وهو له في سرّ صناعة الإعراب لابن جنّي، ٦٣٥/٢. وابنة معبد ابنة أخيه. انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة، ١٨٦/١.

[9] ن ر: من.

[10] ن ر: قول.

[11] ن ر: إفراد.

﴿يَلۡتَقِطۡهُ﴾: يأخُذْه ﴿بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾: بعضُ الأقوام الذين يسيرون في الطريق.

وقرئ: "تَلْتَقِطْه" بالتاء على المعنى؛ لأن بعض السيارة سيارةٌ؛ كقوله:

كما شرِقَتْ صَدْرُ القناةِ من الدَّمِ

ومنه: ذهبتْ بعضُ أصابعه.

﴿إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾؛ أي: إن كنتُم على أَنْ تفعلوا ما يحصل به غرضُكم فهذا هو الرأي.

﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ۝١١﴾

﴿مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۬نَّا﴾ قرئ بإظهار النونَين، وبالإدغام بإشمامٍ وبغيرِ إشمام،

قوله:

(كما شرِقَتْ صدرُ القناة مِن الدمِ)[1]

أوّله، وهو للأعشى:

وتشرَق بالقول الذي قد أذعتَه

«الشَّرَق: الشجا والغصّة. وقد شرق بِريقه».[2] يخاطب بهذا مِذياعًا، ويقول: تشرق بالقول الذي أفشيتَه وأذعته وأظهرته للناس.

قوله: (وبالإدغام[3] بإشمام وبغير إشمام)[4] وجهين أنّ الحرف المدغَم بمنزلة الحرف الموقوف عليه مِن حيث جمعهما السكون، فمِن حيث أشمُّوا الحرف الموقوف عليه إذا كان مرفوعًا في الإدراج[5] أشمُّوا النون المدغمة في ﴿تَأۡمَ۬نَّا﴾، وليس ذلك / بصوت خارج إلى اللفظ، وإنّما[6] هو بهيئة العضو لإخراج ذلك الصوت، ليعلم بالهيئة أنّه يريد ذلك المهيّأ له، قال الشيخ في الكواشي: «القراءة ﴿تَأۡمَ۬نَّا﴾ بالإدغام وإشمام النون على الأصل، [١٩ظ]

---

[1] مضى بتخريجه في تفسير آل عمران، ٣/١٠٣.

[2] الصحاح للجوهري، «شرق».

[3] ر: وبإدغام.

[4] ن ر – (وبغير إشمام).

[5] ر: الأوداج.

[6] ن ر: بما.

و: "تِيمَنَّا" بكسر التاء مع الإدغام، والمعنى: لِمَ تخافُنا عليه ونحن نريد له الخيرَ ونُحبُّه ونُشفِقُ عليه، وما وُجد منَّا في بابه ما يدلُّ على خلافِ النَّصيحة والمِقَةِ، وأرادوا بذلك -لمَّا عزموا على كيد يوسف عليه السلام- استنزالَه عن رأيِهِ وعادتِه في حفظه منهم، وفيه دليلٌ على أنه أحسَّ منهم بما أوجَبَ أنْ لا يأمَنَهم عليه.

﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ١٢﴾

﴿نَرْتَعْ﴾: نتَّسِعْ في أكل الفواكه وغيرها، وأصل الرَّتعَةِ: الخِصْبُ والسَّعَةُ،

وقرئ بترك الإشمام،[١] وقرئ بإظهار النونين و"تِيمَنَّا" بكسر التاء والإدغام».[٢]

قوله: (قرئ بإظهار النونين)[٣] شاذٌّ.[٤] وقوله: (وبالإدغام بإشمام) سبعة،[٥] أي: يُشَمّ رائحة مِن الضمّ. وقوله: (وبغير إشمام) شاذٌّ.[٦] وقوله: (و"تِيمَنَّا") شاذٌّ.[٧]

قوله: (والمِقة) أي: المحبة: المِقة ضدّ المَقت والمَقاتة، والهاء عوض مِن الواو.[٨]

قوله: (استنزاله) أي: يعقوب.

قوله: (وأصل الرَّتعة) الرَّتعَة[٩] والرَّتْع كالأمَنة والأَمْن، تقول العرب: «القيد والرَّتَعة»،[١٠] يريدون سبب السِّمَن.

---

[١] قرأ بالإدغام الخالص من غير إشمام أبو جعفر، وقرأ سائر العشرة بالإدغام مع الإشمام. السبعة لابن مجاهد، ص ٣٤٥؛ النشر لابن الجزري، ٣٠٣/١.

[٢] تفسير الكواشي، ٢٣٧و.

[٣] ن: التنوين.

[٤] قراءة شاذّة، مرويّة عن أُبيّ بن كعب وابن مِقسَم وطلحة. المغني في القراءات للنُّوزاوازي، ص ١٠١٥.

[٥] قرأ بها العشرة إلّا أبا جعفر. السبعة لابن مجاهد، ص ٣٤٥؛ النشر لابن الجزري، ٣٠٣/١.

[٦] قرأ بها أبو جعفر. النشر لابن الجزري، ٣٠٣/١. وإنّما عدّها الجاربردي من الشاذّ؛ لأنّها ليست ممّا أورده ابن مجاهد في السبعة.

[٧] قراءة شاذّة، مرويّة عن يحيى بن وثّاب وأبي رزين. المغني في القراءات للنُّوزاوازي، ص ١٠١٥.

[٨] إذ المقة مِن وَمَق فهو وامق. الصحاح للجوهري، «ومق».

[٩] ر – الرتعة.

[١٠] مثل للعرب أوّل مَن قاله عمرو بن الصعِق. مجمع الأمثال للميداني، ٩٩/٢؛ المستقصى للزمخشري، ٣٤١/١. وأجاب به الغضبان بن القبعثرى متمثِّلًا، حين قال له الحجّاج وكان الغضبان محبوسًا في سجنه: سمنتَ. انظر الخبر في الأمثال لأبي عبيد، ص ٥٦؛ والبيان والتبيين للجاحظ، ٣٧٧/١؛ وأساس البلاغة للزمخشري، «رتع».

وقرئ: ﴿نرتعِ﴾ من ارتعى يَرتعي، وقرئ: ﴿يرْتعْ ويلعَبْ﴾ بالياء، و: "يُرْتِعْ" من أرتعَ ماشيتَه.

وقرأ العلاء بن سَيَابَةَ: "يَرتعِ" بكسر العين "ويَلْعَبُ" بالرفع على الابتداء.

فإن قلتَ: كيف استجاز لهم يعقوبُ عليه السلام اللعبَ؟

قلتُ: كان لعبُهم الاستباقَ والانتضالَ ليُضَرُّوا أنفُسَهم ....

قوله: (ابن سَيَابة)[١] مِن الأجناس البلحة، أي: البُسرة، وهو ههنا عَلَم.

قوله: (فإن قلتَ: كيف) إلى (اللعب) اللعب: عبارة عن[٢] ترك[٣] ما ينفع إلى ما لا ينفع، واللهو: ما ألهاك عن الله تعالى وأعمال الآخرة. قال أبو عليّ:

حُكي أن أبا[٤] عمرو قيل له: كيف يقولون: نلعب[٥] وهم أنبياء، فقال: لم يكونوا يومئذٍ أنبياء. فلو صحّت هذه الرواية عن أبي عمرو وصحّ عنه[٦] هذا التاريخ فذاك، وإلّا فقد قال صلّى الله عليه وسلّم لجابر: 'هلّا بِكرًا[٧] تُلاعبها وتُلاعبك'،[٨] فهذا تشاغل بمباح، وحمل في الجدّ ويعمل لِما يتقوى به على النظر في العمل والعبادة. وقد رُوي عن بعض السلف أنّه كان إذا أكثر النظر في مسائل الفقه قال: "احمضوا".[٩] وقد رُوي: 'إن هذا الدين متين[١٠] فأوغلوا فيه برِفق، فإنّ المنبتّ لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى'.[١١] فليس هذا كاللعب في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة ٩/٦٥]."[١٢]

قوله: (قلتُ: كان لعبهم) إلى قوله: (ليُضرُّوا) ضريَ الكلب بالصيد ضراوة تعوَّد، وأضراه صاحبه عوَّده وأضراه به أغراه.[١٣]

---

١ ر + السابة.
٢ ن ر – عن.
٣ ن ر: الترك.
٤ ن – أبا.
٥ ن ر: بلغت. | والتصحيح عن مطبوع الحجّة.
٦ ر: عنده.
٧ ن: بكر.
٨ صحيح البخاري، ٥١/٤ (٢٩٦٧)؛ صحيح مسلم، ١٠٨٧/٢ (٧١٥).
٩ نقل البغوي أنّ ابن عبّاس رضي الله عنه قال ذلك لجماعة عنده. شرح السنّة للبغوي، ١٨٣/١٣.
١٠ ن ر: متين.
١١ ن ر: بقى. | والحديث في السنن الكبرى للبيهقي، ٣٩٨/٥ (٤٨٠٦).
١٢ انظر: الحجّة للفارسي، ٤٠٦/٤-٤٠٧.
١٣ من قوله: "ضري الكلب" إلى هنا بلفظ قريب في الصحاح للجوهري، «ضرا».

بما يُحتاجُ إليه لقتالِ العدوّ لا للَّهْوِ، بدليلِ قوله: ﴿إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ وإنما سمَّوه لعبًا؛ لأنه في صورته.

﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿لَيَحْزُنُنِي﴾ اللام لامُ الابتداء؛ كقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ [النحل ١٢٤/١٦] ودخولُها أحدُ ما ذكره سيبويه من سَبَبي المضارعة.

اعتذر إليهم بشيئين:

أحدهما: أن ذهابَهم به ومفارقَتَه إيَّاه مما يَحزُنُه؛ لأنه كان لا يَصبرُ عنه ساعةً.

والثاني: خوفُه عليه من عَدْوة الذئب إذا غَفَلوا عنه برَعْيِهم ولَعِبهم، أو قلَّ به اهتمامُهم ولم تصدُقْ بحِفظه عنايتُهم.

وقيل: رأى في النوم أن الذئب قد شدَّ على يوسف فكان يُحذِّره، فمِن ثَمَّ قال ذلك فلقَّنَهم العلَّةَ، وفي أمثالهم: "البلاءُ موكَّلٌ بالمنطِق".

قوله: (مِن سَبَبي المضارعة) أي: مضارعة المضارع بالاسم، سببا المضارعة دخول اللام والسين، وذلك أن نحو "رجل" شائع بين أفراد هذا الجنس، فإذا قلتَ: "فعل[1] الرجل كذا" اختصّ بواحد منها، كما أنّ نحو "يضرب" عامّ،[2] فإذا قلتَ: "لَيضرب" اختصّ بالحال، و"سيضرب" اختصّ بالاستقبال. والدليل على أنّ السببين ذلك قولُ المصنّف في المفصّل: «وبدخولهما قد ضارع الاسم»،[3] أي: بدخول اللام والسين وسوف.

قوله: (ومفارقته إيّاه) أي: يعقوب. وقوله: (مِن عَدْوة الذئب) أي: مِن حفظه.

قوله: (وفي أمثالهم: «البلاء موكَّل بالمنطق»)[4] أورد المصنّف هذا المثال لتحقيق تلقينهم العلّة.

---

١ ر: فعله.

٢ ن ر: عذا.

٣ المفصّل للزمخشري، ص ٣٢١.

٤ مجمع الأمثال للميداني، ١٧/١؛ المستقصى للزمخشري، ٣٠٥/١.

وقرئ: ﴿ٱلذِّئْبُ﴾ بالهمزة على الأصل وبالتخفيف.

وقيل: اشتقاقه من تَذَاءبَتِ الريحُ: إذا أتَتْ من كل جهةٍ.

﴿قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ١٤﴾

القسَم محذوفٌ تقديره: واللهِ ﴿لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ واللامُ موطِّئةٌ للقسَم، وقوله: ﴿إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ﴾ جوابٌ للقسَم مُجزِئٌ عن جزاء الشرط، والواوُ في ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ واوُ الحال؛ حلفوا له: لئن كان ما خافه من خطْفةِ الذئب أخاهم من بينهم وحالُهم أنهم عشرةُ رجالٍ بمثلهم تُعْصَبُ الأمورُ وتُكفَى الخطوب إنهم إذًا لقومٌ خاسرون؛ أي: هالكون ضَعْفًا وخَوَرًا وعجزًا، أو: مستَحِقُّون أن يَهلِكوا؛ لأنّه لا غَناءَ عندهم ولا جَدْوَى في حياتهم، أو: مستَحِقُّون؛ لأن يُدْعَى عليهم بالخَسار والدَّمار، وأن يقال: "خسَّرهم الله ودمَّرهم حين أكل الذئبُ بعضَهم وهم حاضرون".

قوله: (وقيل: اشتقاقه من[1] تذاءبت الريح) قال أبو عليّ: «قال الحسن: الذئب مهموز في الأصل، قالوا: "تذاءبت الريح" إذا جاءت مِن كلّ جهة، كأنّ المعنى فيه أنّها أتت كما يأتي الذئب».[2] وهذا الذي نقله أبو عليّ عن الحسن يدلّ على أنّ "تذاءبت" مأخوذ مِن "الذئب"، وقد عكس المصنف.

قوله: (مُجزئ عن جزاء الشرط) أي: نابت مَنابه، يقال: «هذا يجزئ عن هذا، أي: يقضي، أي: ينوب عنه. ومنه البَدَنة تُجزئ عن سبعة، وأجزأتُ عنه مَجْزأ فلان، أي: كفيتُ كفايته ونُبت مَنابه».[3]

قوله: (لئن كان ما خافه) كان في "لئن كان" تامّة، و(مِن) بيان "ما"، وفي "خاف" ضمير مستتر ليعقوب عليه السلام، والبارز المنصوب إلى ما.

قوله: (لأنّه لاغَناء) أي: لا كفاية، "لا غَناء" صحّ بفتح الغين.[4]

---

[1] ن ر: في.

[2] الحجّة للفارسي، ٤٠٨/٤، وليس في مطبوعه «قال الحسن». ونقل الطِّيبي هذا الكلام عن أبي عليّ وفيه هذه الزيادة. انظر: فتوح الغيب للطِّيبي، ٢٧٠/٨.

[3] المغرب للمطرِّزي، «جزأ».

[4] ر: العين.

وقيل: إن لم نقدر على حفظ بعضِنا فقد هلكَتْ مواشينا إذًا وخَسِرناها.

فإن قلتَ: قد اعتَذر إليهم بعُذرَيْن، فلِمَ أجابوا عن أحدهما دون الآخر؟

قلتُ: هو الذي كان يَغيظهم ويذيقُهم الأمرَّينَ، فأعاروهُ آذانًا صُمًّا ولم يَعْبَؤوا به.

﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٥﴾

﴿أَن يَجۡعَلُوهُ﴾ مفعولُ ﴿أجمعوا﴾ من قولك: أجمعَ الأمرَ وأَزْمَعَه ﴿فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ﴾ [يونس ٧١/١٠].

وقرئ: ﴿فِي غَيَابَاتِ الجُبِّ﴾.

قيل: هو بئرٌ ببيت المقدس، وقيل: بأرض الأُرْدُنِّ، وقيل: بين مصرَ ومديَنَ، وقيل: على ثلاثة فراسخَ من منزلِ يعقوبَ عليه السلام.

وجوابُ "لمّا" محذوفٌ، ومعناه: فعلوا به ما فعلوا من الأذى، فقد روي: أنهم لمّا برَزوا به إلى البريَّة أظهروا له العداوةَ وأخذوا يُهينُونه ويضربونه،

قوله: (الأمرَّين) لقيت مِن فلان الأمرَّين، بنون الجمع، أي: الدواهي، مِن المِرَّة وهي القوّة.[1] عن ابن مسعود: هما المرّتان، أي: الإسراف عند الممات، والبخل في الحياة.

قوله: (﴿فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ﴾) استشهد بالآية.

قوله:[2] (قيل: هو بئر)[3] قول وهب الأردُنّ[4] نهر بفلسطين.

قوله: (وقيل: على ثلاثة) قول مقاتل.[5]

---

١ انظر: الصحاح للجوهري، «مرر».
٢ ن – قوله.
٣ هذا القول لقتادة في البسيط للواحدي، ٣٣/١٢؛ ومعالم التنزيل للبغوي، ٢٢١/٤ (يوسف، ١٥/١٢).
٤ القول له في البسيط للواحدي، ٣٤/١٢؛ ومعالم التنزيل للبغوي، ٢٢١/٤ (يوسف، ١٥/١٢).
٥ القول له في البسيط للواحدي، ٣٤/١٢؛ ومعالم التنزيل للبغوي، ٢٢١/٤ (يوسف، ١٥/١٢).

وكلَّما استغاث بواحدٍ منهم لم يُغِثْه إلَّا بالإهانة والضرب حتى كادوا يقتلونه، فجعلَ يصيحُ: يا أبتاه، لو تعلمُ ما يَصنع بابنك أولادُ الإماء! فقال يهوذا: أَمَا أعطيْتُموني مَوْثِقًا أنْ لا تقتلوه، فلمَّا أرادوا إلْقاءَهُ في الجبِّ تعلَّق بثيابهم فنزعوها من يدَيْه، فتعلَّق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصَه، فقال: يا إخوتاه! رُدُّوا عليَّ قميصي أتوارَى به، وإنما نزعوه لِيُلطِّخُوهُ بالدم ويحتالوا به على أبيهم، فقالوا له: ادْعُ الشمسَ والقمرَ والأحَدَ عشر كوكبًا تُؤنِسْكَ، ودَلَّوْه في البئر، فلما بلغ نصفَها ألقَوْهُ ليموتَ، وكان في البئر ماءٌ فسقط فيه، ثم أَوَى إلى صخرةٍ وقام عليها وهو يبكي، فنادَوه فظنَّ أنها رحمةٌ أدركتهم فأجابَهم، فأرادوا أن يَرضَخُوه ليقتلوه فمنعهم يهوذا وكان يهوذا يأتيه بالطعام.

ويُروَى: أن إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار جُرِّد عن ثيابه، فأتاه جبريل عليه السلام بقميصٍ من حريرِ الجنَّة فألبسه إيَّاه، فدفعه إبراهيم عليه السلام إلى إسحاقَ عليه السلام، وإسحاقُ إلى يعقوبَ عليه السلام، فجعله يعقوبُ في تميمةٍ علَّقها في عنق يوسف، فجاء جبريلُ عليه السلام فأخرجه وألبَسه إيَّاه.

قوله: (لم يُغثه إلّا بالإهانة) مِن الاستعارة التهكُّميَّة، جَعَل الإهانة إعانةً، فكأنّه قال: ما أعانه؛ بل أهانه، ولئن كان الإهانة إعانة[1] لكان هناك إعانة، فهو مثل قولهم:

تحيَّةُ بينهم ضربٌ وجيعُ[2]

قوله: (أن يرضخوه) «الرَّضخ بالضاد[3] والخاء المعجمتين: الكسر. يقال: رضختُ الحصى والنوى: كسرته، / ورضختُ رأس الحية بالحجارة».[4] [٢٠و]

قوله: (فجاءه جَبرئيل فأخرجه) أي: فأخرج الثوب مِن تلك التميمة المعلَّقة في عنقه وألبسه إيّاه.

---

[1] ر - فكأنه قال: ما أعانه؛ بل أهانه، ولئن كان الإهانة إعانة.

[2] عجز بيت لعمرو بن معدي كَرِب الزُّبيدي، مضى بتمامه وتخريجه وشرحه في تفسير البقرة، ٢/١٠.

[3] ر: بالصاد.

[4] الصحاح للجوهري، «رضخ».

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ﴾ قيل: أُوحي إليه في الصِغَر كما أُوحي إلى يحيى وعيسى عليهما السلام.

وقيل: كان إذ ذاك مُدْرِكًا، وعن الحسن: "كان له سبعَ عَشْرةَ سنةً".

﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا﴾ وإنَّما أُوحيَ إليه ليُؤْنَس في الظلمة والوحشة، ويُبشَّر بما يَؤُولُ إليه أمره، ومعناه: لتَتَخلَّصَنَّ مما أنتَ فيه ولتُحدِّثَنَّ إخوتَك بما فعلوا بك ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾؛ أي: لا يعلمون أنك يوسف؛ لعلوّ شأنك وكبرياءِ سلطانك وبُعْدِ حالك عن أوهامِهم، ولطول العهد المبدِّل للهيئات والأشكال، وذلك أنهم حين دخلوا عليه مُمْتارِين فعَرَفهم وهم له منكرون دَعَا بالصُّواع فوضعَه على يده ثم نَقَره فطنَّ، فقال: إنه ليُخبرني هذا الجامُ أنَّه كان لكم أخٌ من أبيكم يقال له: يوسف، وكان يُدْنيه دونكم، وأنكم انطلقْتُم به وألقَيْتُموه في غيابة الجبِّ وقلتم لأبيكم: أكله الذئبُ، وبِعتموه بثمنٍ بخسٍ.

ويجوز أن يتعلَّق ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بقوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا﴾ على أنَّا آنسْناه بالوحي وأزَلْنا عن قلبه الوحشةَ وهم لا يشعرون ذلك ....

قوله: (مُدرِكًا) أدرك الغلام: بلغ.

قوله: (والوحشة) «الوحشة: الخلوة[١] والهمّ».[٢]

قوله: (حين دخلوا) "حين" مضاف إلى "دخلوا"، و(عَرَفهم) عطف على "دخلوا"[٣] ودعا هو العامل في "حين". وقوله: (ممتارين)،[٤] أي: طالبين المِيرة. قال في الصحاح: «المِيرة: الطعام يمتاره الإنسان. وقد مار أهله يَميرهم مَيْرًا. ومنه قولهم: "ما عندهم خير ولا مَير". والامتيار مثله».[٥] «والصاع: الذي يكال به وهو أربعة أمداد، والصُّواع: لغة في الصاع، ويقال: هو إناء يشرب فيه».[٦]

قوله: (ويجوز أن يتعلّق ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بقوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا﴾) وعلى الأوّل كان متعلِّقًا بقوله: ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم﴾. وقوله: (الوحشة) أي: الهمّ.

---

[١] ر – الخلوة.
[٢] الصحاح للجوهري، «وحش».
[٣] ر: خلوا.
[٤] ن: ممارين.
[٥] الصحاح للجوهري، «وحش».
[٦] الصحاح للجوهري، «صوع».

ويَحسَبون أنه مُرْهَقٌ مُستوحِشٌ لا أنيسَ له.

وقرئ: "لننبئنهم" بالنون على أنه وعيدٌ لهم.

وقوله: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ متعلِّق بـ"أوحينا" لا غير.

﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ١٦﴾

وعن الحسن: "عُشَيًّا" على تصغيرِ "عَشِيٍّ"، يقال: لقيتُه عُشَيًّا وعُشَيَّانًا وأُصَيْلًا وأُصَيْلانًا، ورواه ابنُ جنِّي: "عُشًى" بضم العين والقصر، وقال: "عَشَوْا من البكاء".

وروي: أن امرأةً حاكمَتْ إلى شُريح فبكَتْ، فقال له الشعبيُّ: "يا أبا أُميَّةَ أمَا تراها تبكي؟!" قال: "قد جاء إخوةُ يوسف يبكون وهم ظَلَمةٌ، ولا ينبغي لأحد أن يقضيَ إلا بما أُمِرَ أن يَقضيَ به من السُّنَّة المرضيَّة".

﴿قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَـٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ ١٧﴾

وروي: أنه لمّا سمع صوتهم فزعَ وقال: ما لكم يا بَنِيَّ، هل أصابكم في غنمكم شيء؟ قالوا: لا، قال: فما لكم وأينَ يوسفُ؟ ﴿قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾؛

قوله: (مُرهَق) مضيَّق[1] الحال.

قوله: (لا غير)، يعني: على القراءة بالنون[2] يتعيَّن أن يكون ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾ متعلِّقًا بـ﴿أَوْحَيْنَا﴾، ولا يجوز فيه الأمر كما جاز في القراءة بالياء.

قوله: (وقال: عُشَوًا) أي: قال ابن جنِّي[3] في تفسيره: عُشْوٌ جمع أعشى، فقال: "عُشْوًا" تفسير القراءة: "عُشًا".[4] والحاصل أنّها جمع أعشى.[5]

---

[1] ن ر + على.

[2] قراءة شاذّة، مرويّة عن سلّام وعيسى بن عمر. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٠١٧.

[3] ر: حسني.

[4] قراءة شاذّة، مرويّة عن عيسى بن ميمون عن الحسن. المحتسب لابن جنّي، ٣٣٥/١.

[5] ر – فقال: "عُشْوًا" تفسير القراءة: "عُشًا". والحاصل أنّها جمع أعشى. | وانظر كلام ابن جنّي في المحتسب، ٣٣٥/١.

أي: نتسابَق، والافتعال والتفاعُل يشتركان كالانتضال والتناضُل، والارتماءِ والتَّرَامي، وغيرِ ذلك.

والمعنى: نتسابقُ في العَدْوِ أَوْ في الرَّمْي، وجاء في التفسير: نَنْتَضِلُ.

﴿بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾: بمصدِّقٍ لنا ﴿وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾: ولو كنَّا عندك من أهل الصدق والثقة؛ لشدَّة محبَّتك ليوسف، فكيف وأنت سَيِّئُ الظنِّ بنا غيرُ واثق بقولنا؟!

﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًاۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨﴾

﴿بِدَمٍ كَذِبٍ﴾، أي: ذي كذِبٍ، أو وُصِفَ بالمصدر مبالغةً كأنَّه نفسُ الكذب وعينُه؛ كما يقال للكذَّاب: هو الكذبُ بعينه والزُّورُ بذاته، ونحوُه:

فـهُـنَّ بـه جُـودٌ وأنـتـم بـه بُـخْـلُ

وقرئ: "كذبًا" نصبًا على الحال بمعنى: جاؤوا به كاذبين، ويجوز أن يكون مفعولًا له.

قوله: (كالانتضال) ناضله، أي: راماه، يقال: ناضلتُ فلانًا فنصلتُه إذا غلبتَه، وانتضل القوم وما تناضلوا،[1] أي: رمَوا للسبق. ومنه قيل: انتضلوا بالكلام والأشعار.[2] وقوله:[3] "لا تصدِّقنا لشدِّة"، أي: تكذِّبنا لشدّة محبّتك ليوسف.

قوله:

(فـهـنّ بـهِ جُـودٌ وأنـتـم بـه بُـخْـلُ)[4]

يعني أنّ تلك النساء اللواتي هنّ محبوباتي وأريدُ صحبتهنّ ووصالهنّ يجدنَ بالوصال ولا يمتنعنَ، وأنتم أيّها الرُّقباء تبخلون بالوصال وتمنعون مِن ذلك.

---

١ ر: يناضلوا.

٢ ن ر – انتضلوا بالكلام والأشعار. | واستدركت هذا السَّقط من مطبوع الصحاح.

٣ ن ر – وقوله.

٤ عجز بيت صدره:

ففيهنّ فضل قد عرفنا مكانَه

وما عرفتُ قائله. وهو بلا عزو في أساس البلاغة للزمخشري، «جود».

وقرأَتْ عائشة رضي الله عنها: "كَدِبٍ" بالدال غيرِ المعجمة؛ أي: كدِرٍ، وقيل: طريٍّ.

وقال ابن جنّي: أَصْله من الكَدَب وهو الفُوفُ: البياض الذي يخرج على أظفار الأحداث، كأنَّه دمٌ قد أثَّر في قميصه.

رُوي أنهم ذَبحوا سَخْلةً ولَطَخوه بدمها وزَلَّ عنهم أن يُمزِّقوهُ.

ورُوي: أن يعقوب عليه السلام لمّا سمع بخبرِ يوسف عليه السلام صاحَ بأَعْلى صوتهِ وقال: أين القميصُ؟ فأخذه وألقاه على وجهه وبكى حتى خُضب وجهُه بدم القميص، وقال: تالله ما رأيتُ كاليومِ ذئبًا أَحْلمَ من هذا، أكل ابْني ولم يُمزِّق عليه قميصَه.

وقيل: كان في قميص يوسف عليه السلام ثلاثُ آيات: كان دليلًا ليعقوب

قوله: (وهو[1] الفوف: البياض) إلى آخره. قوله: "البياض" إلى آخره، صفة كاشفة للفوف. ويجوز ألّا يكون صفة كاشفة؛ بل يكون صفة مميّزة؛ لأنّ الفوفة تكون بمعنى الحبّة البيضاء في باطن النواة التي تنبت منها النخلة. قال الشاعر:

العيب في الجاهل المغمورِ مغمورُ   وعيب ذي الشرف المشهورِ مشهورُ
كفُوفة الظفر تخفى مِن مهانتها   ومثلُها في سواد العين مذكورُ[2]

قوله: (ما رأيتُ كاليوم ذئبًا) إلى آخره، أصله "ما رأيت ذئبًا مثلَ ذئب اليوم"، فحذف "ذئب" ووضع الكاف موضع "مثل" وقدّم. وقوله: (أحلم) بدل مِن "كاليوم" بدلَ الاشتمال. وقوله: (هذا) إشارة إلى ما في الذهن مِن الذئب الآكل يوسف على زعمهم. وقوله: (أَكَل) بيان لقوله: "ما رأيتُ". وقوله: (عليه) حال مِن (قميصه) لا قميصًا معيَّنًا؛ لأنّ الذي كان دليلًا[3] على كذبهم غير الذي ألقاه على وجهه وغير الذي كان دليلًا على براءته.

---

[1] ن ر: وهو.

[2] البيتان لأبي محمّد طاهر بن الحسين بن يحيى المخزومي البصري. ومضى تخريجهما في تفسير سورة النساء، ٣١/٤.

[3] ن: ليلا.

عليه السلام على كذبهم، وألقاه على وجهه فارتد بصيرًا، ودليلًا على بَراءة يوسف حين قُدَّ من دُبُر.

فإن قلتَ: ﴿عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ﴾ ما محلُّه؟

قلتُ: محلُّه النصبُ على الظرف؛ كأنَّه قيل: وجاؤوا فوقَ قميصه بدمٍ؛ كما تقول: جاء على جِماله بأَحْمالٍ.

فإن قلتَ: هل يجوز أن تكون حالًا متقدِّمةً؟

قلتُ: لا؛ لأن حالَ المجرور لا تتقدَّم عليه.

﴿سَوَّلَتۡ لَكُمۡ﴾: سَهَّلَتْ، من السَّوَل وهو الاسترخاء؛ أي: سهَّلَتْ لكم ﴿أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗا﴾ عظيمًا ارتكَبْتُموه من يوسف عليه السلام وهوَّنَتْه في أعينكم، استدَل على فعلهم به بما كان يَعرف من حسدهم، وبسلامةِ القميص، أو أُوحي إليه بأنهم قَصدوه.

﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞ﴾ خبرٌ، أو مبتدأٌ لكونه موصوفًا؛ أي: فأمري صبرٌ جميلٌ، أو: فصبرٌ جميلٌ أَمْثَلُ. وفي قراءة أُبيّ: "فصبرًا جميلًا".

والصبرُ الجميلُ جاء في الحديث المرفوع: «أنه الذي لا شكوى فيه»، ومعناه: لا شكوى فيه إلى الخَلْق، ألا ترى إلى قوله: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف ١٢/٨٦].

وقيل: لا أُعايِشُكم على كآبةِ الوَجْه، بل أكون لكم كما كنتُ.

وقيل: سَقَط حاجِبَا يعقوبَ عليه السلام على عينيه فكان يرفعهما بعِصابةٍ، فقيل له: ما هذا؟ فقال: طولُ الزمان وكثرة الأحزان، فأوحى الله تعالى إليه: يا يعقوبُ، أتشكُوني؟ قال: يا ربّ، خطيئةٌ فاغفرها لي.

قوله: (**قلتُ: محلّه النصب على الظرف**) كقولك: "عليه ثياب الحريري"، أي: فوقه. وفيه نظر.

قوله تعالى: "﴿سَيَّارَةٞ﴾: رُفقة". فقوله: ﴿سَيَّارَةٞ﴾ صفة موصوفٍ محذوف، أي: رفقةُ سيارةٍ. وقوله: (**مِن إلقاء يوسف**) "مِن" للابتداء، أي: ثلاثة أيام مبتدئة مِن إلقاء.

﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ﴾؛ أي: أستعينُه ﴿عَلَىٰ﴾ احتمالِ ﴿مَا تَصِفُونَ﴾ من هلاكِ يوسف عليه السلام والصَّبْرِ على الرُّزْء فيه.

﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَـٰبُشْرَىٰ هَـٰذَا غُلَـٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَـٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ﴾؛ أي: رُفْقَةٌ تسير من قِبَلِ مدينَ إلى مصرَ، وذلك بعد ثلاثةِ أيام من إلقَاء يوسفَ عليه السلام في الجُبِّ، فأخطؤوا الطريقَ فنزلوا قريبًا منه، وكان الجُبُّ في قفْرةٍ بعيدةٍ من العُمران لم يكن إلَّا للرُّعاة.

وقيل: كان ماؤه مِلحًا، فعَذُبَ حين أُلقي فيه يوسفُ عليه السلام.

﴿فَأَرْسَلُوا۟﴾ رجلًا يقال له: مالكُ بن دُعْرٍ الخُزاعيُّ ليطلب لهم الماء، والوارد: الذي يَرِدُ الماء ليستقيَ للقوم.

﴿يَـٰبُشْرَىٰ﴾ نادى البشرى كأنَّه يقول: تعالَيْ فهذا من آوِنَتِك.

وقرئ: ﴿يابُشرايَ﴾ على إضافتها إلى نفسه.

وقوله: (فأخطئوا) عطف على (تسير)، وهو حكاية حال ماضية، فأتي به بلفظ المضارع، وأتى بـ"أخطئوا" ماضيًا على الأصل. وقوله: (في قَفْرة) القَفْر: مفازة لا نباتَ فيها ولا ماءَ، والجمع قفار. ويقال: أرض قفرٌ ومفازة قفرٌ وقفرةٌ أيضًا. وقوله: (إلّا للرُّعاة) الراعي يُجمَع على رُعاة كقُضاة، ورُعيان كشُبّان، ورِعاء كجِياع، في شابّ وجائع.

قوله: (﴿يَـٰبُشْرَىٰ﴾ نادى البشرى) قال في الوسيط: «قال السُّدّي: نادى[1] صاحبه[2] وكان اسمه بشرى».[3] وقوله: (كأنّه يقول تعالَي) إلى آخره، والمعنى أنّ قوله: (آونتك) الآونة جمع أوان، وهو الخبر: هذا الوقت مِن أوانك، ولو كنتِ ممّن يُخاطب لخُوطبتِ الآن.[4] مِن بشرى، أي:

---

[1] ن – نادى.

[2] ن ر – صاحبه. | وأثبتُّها من مطبوع الوسيط.

[3] الوسيط للواحدي، ٢/٦٠٤ (يوسف، ١٢/١٩).

[4] الكلام بلفظ قريب في البسيط للواحدي، ١٢/٥٢.

وفي قراءة الحسن وغيره: "يا بُشرَيَّ" بالياء مكانَ الألف، جُعلت الياء بمنزلةِ الكسرة قبل ياء الإضافة، ....

وقوله: (وفي قراءة الحسن).[١]

قوله: (مكان الألف)، يعني قلب ألف[٢] "بشرى" ياء. وقوله: (جُعلت) إشارة إلى علّة هذا القلب، أي: قُلب ليكون ما قبل ياء الإضافة كالمكسورة. قال أبو عليّ:

> قرأ ناس مِن غير القرّاء السبعة هذا[٣] النحو بقلب الألف[٤] ياء وإدغامها في ياء الإضافة، فقالوا: "هُدَيّ" و"بُشرَيّ"، والقول[٥] في ذلك أنّ ما يضاف إلى الياء يُحرَّك بالكسر إذا كانت[٦] الحركة صحيحة نحو "غلامي"، / فلمّا لم تحتمل الألف الكسرة قُرِّبت الألف مِن الياء بقلبهما إليه، كما كان الحرف يكون مكسورًا، والألف قريبة مِن الياء؛ فلذلك أُبدل كلّ واحد منهما مِن الآخر في "حاري"[٧] و"طائيّ"،[٨] في النسبة إلى "حيرة" و"طيئ". وقوله: [٢٠ظ]
>
> لـنـضـربَـنْ بـسـيـفـنـا قـفَـيْـكـا[٩]

وأمّا كلام المصنّف فشيء آخر غير[١٠] ما ذكره أبو عليّ، فإنّ المصنّف ذكر أنّه قد يؤتى[١١] بياء قبل ياء الإضافة لمناسبة ياء الإضافة في بعض اللغات، كما يؤتى بالكسرة قبلها للمناسبة في اللغة المشهورة مِن غير أن يقول: "أبدل الياء[١٢] مِن الألف" كما ذكر أبو عليّ، والدليل عليه قولهم: "سَيِّدَيّ وجّه"، وينبغي أن يقال على الوجه الذي ذكره المصنّف أنّ الألف حُذفت مِن "بشرى" و"مولى"

---

١ من قوله: "من بشرى" كلام غير متّجه في ن ر، وما استطعت إصلاحه بما بين يديّ من المصادر.
٢ ن ر: الألف.
٣ ن: بهذا.
٤ ن ر – الألف.
٥ ن ر: القول.
٦ ر: كان.
٧ ر: جاري.
٨ ر: طابتي.
٩ انظر: الحجّة للفارسي، ٤/٤١٤. وقوله: «بالنسبة إلى حيرة وطيئ» ليس في مطبوع الحجّة. والرجز لشاعر مجهول من حِمير. انظر تفصيل الكلام عليه في شعراء حمير للأحمدي، ٢/٣٤٥.
١٠ ر: على.
١١ ر: أوتي.
١٢ ر: الباء.

وهي لغةٌ للعرب مشهورةٌ؛ سَمِعتُ أهل السَّرَوات يقولون في دعائهم: "يا سيِّدِي ومَوْلَيَّ".

وعن نافعٍ: "يا بشرايْ" بالسكون، وليس بالوجه لِمَا فيه من الْتِقاء الساكنَين على غير حدِّه، إلَّا أن يقصدَ الوقف.

قيل: لمَّا أدلَى دَلْوَه -أي: أرسلها في الجبِّ- تَعلَّقَ يوسفُ بالحَبْل، فلمَّا خرج إذا هو بغلامٍ أحسنِ ما يكونُ، فقال: يا بُشرايَ ﴿هَٰذَا غُلَٰمٌ﴾.

وقيل: ذهَبَ به فلمَّا دنا من أصحابه صاح بذلك يُبشِّرهم به.

﴿وَأَسَرُّوهُ﴾ الضميرُ للوارد وأصحابِهِ: أَخفَوْه من الرُّفقةِ.

عند الإضافة إلى الياء،[١] ثمّ جيء بالياء[٢] قبل ياء الإضافة، أو جيء بالياء قبل الياء[٣] للمناسبة، فلمّا اجتمعت مع الألف حُذفت لالتقاء الساكنين. ويمكن ردّ الجميع إلى قول أبي عليّ بأن يقال: "يا سَيِّدَيّ" منادى مستغاث أضيف إلى ياء المتكلّم، فقُلبت ألفه ياء، كما ذكر أبو عليّ في "بشرى" و"هدى". وهذا هو الوجه. والله أعلم.

قوله: (السَّرَوات) السرو محلّة حِمير.

قوله: (قيل: لمّا أدلى دلوه) هذا بيان أنّه متى قال الوارد: يا بشراي،[٤] أي: وفيه وجهان. وقوله: (أخفَوه) يتأتّى على الوجه الأوّل دون الثاني، فتأمّل.

قوله: (إذا هو بغلام).[٥] قوله: (أحسنِ ما يكون) صفة "غلام"، و"ما" نكرة[٦] بمعنى شيء، فكأنّه قال: "أحسن غلام يوجد أو يحصل". وقوله: (فقال) عطف على "فاجأ" المصدر. وقوله: (صاح) بذلك، أي: بالبشرى.[٧] وقوله: (الضمير) أي: الواو في ﴿أَسَرُّوهُ﴾.

---

١ ر: الباء.
٢ ر: بالباء.
٣ ر: باليا.
٤ ن: بالبسر.
٥ الظاهر أنّ الجاربردي لم يعلِّق حاشية على هذا الموضع، أو أنّه أورده تمهيدًا لِما بعده.
٦ ر: يكره.
٧ ر: يا بشراي.

وقيل: أخفَوْا أمرَهُ ووجدانَهم له في الجُبِّ، وقالوا لهم: دفَعه إلينا أهلُ الماء لنبيعَه لهم بمصرَ.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الضمير لإخوةِ يوسفَ عليه السلام، وأنهم قالوا للرُّفْقة: هذا غلامٌ لنا قد أبَقَ فاشترُوه مِنَّا، وسكت يوسفُ مخافةَ أن يقتلوه.

و﴿بِضَٰعَةً﴾ نصبٌ على الحال؛ أي: أخفَوْه متاعًا للتجارة، والبضاعةُ: ما بُضِعَ من المال للتجارة؛ أي: قُطع.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ لم يَخْفَ عليه إسْرارُهم، أو هو وعيدٌ لهم حيث استَبْضَعوا ما ليس لهم، أو: واللهُ عليمٌ بما يعمل إخوةُ يوسفَ بأبيهم وأخيهم من سوءِ الصنيع.

﴿وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ۝٢٠﴾

﴿وَشَرَوۡهُ﴾: وباعُوه ﴿بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ﴾: مبخوسٍ ناقصٍ عن القيمة نقصانًا ظاهرًا، أو: زَيْفٍ ناقصِ العِيار.

قوله: (ووجدانَهم) مِن العطف الذي يكون للبيان؛[1] لأنَّ المراد بالأمر هنا الوجدان. وقوله: (وقالوا لهم) عطف على قوله: (أخفَوا أمرَه). وقوله: (الضمير لإخوة) أي: الواو في "أسرُّوا".

قوله: (مبخوس ناقص) إلى آخره. قوله: "ناقص" عبارة عن القِلّة. وقوله: (زَيْف) عبارة عن الرداة،[2] وقوله: (العِيار) العِيار مصدر عاير الدراهم بالموازين وعيّرها[3] إذا قايس ما[4] بينهما حين يُعرَف ناقصها مِن زائدها، وجيّدُها مِن رديئها، فلمّا كان العِيار دليلًا على الجَودة والرداءة قالوا: "هو عِيار عليه"، أي: دليل عليه. وعِيار الدراهم[5] والدنانير: ما جعل فيها مِن الفضة الخالصة أو[6] الذهب الخالص.[7]

---

[1] ن ر: للبيان.
[2] ر: الرواة.
[3] ر: وغيرها.
[4] ر – ما.
[5] ن ر: الدرهم.
[6] ر: و.
[7] من قوله: "العِيار مصدر" إلى هنا بلفظ قريب في المغرب للمطرِّزي، «عير».

﴿دَرَٰهِمَ﴾ لا دنانيرَ ﴿مَعۡدُودَةٖ﴾: قليلةٍ تُعدُّ عدًّا ولا تُوزَنُ؛ لأنهم كانوا لا يَزِنُون إلَّا ما بلغَ الأُوقيَّةَ وهي الأربعون ويَعُدُّون ما دونها.

وقيل للقليلة: معدودةٌ؛ لأن الكثيرة يُمتَنع من عدِّها لكثرتها.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: كانت عشرين درهمًا.

وعن السديِّ: اثنين وعشرين.

﴿وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾: ممَّن يَرغب عمَّا في يده فيبيعُه بما طفَّ من الثمن؛ لأنهم التَقَطوه، والملتقِط للشيء متهاوِنٌ به لا يُبالي بِمَ باعَه؛ ولأنه يخَافُ أن يَعْرِضَ له مستحِقٌّ فيَنتزعَهُ من يده، فيبيعُه من أوَّل مُساومٍ بأوكَسِ الثمن.

ويجوز أن يكون معنى ﴿وَشَرَوۡهُ﴾: واشتَرَوه -يعني: الرُّفقةَ- من إخوته.

﴿وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾؛ لأنهم اعتقدوا أنه آبقٌ فخافوا أن يُخطِروا بما لهم فيه، ويُروى: أن إخوته اتَّبعوهم يقولون لهم: استوثِقوا منه لا يَأبَقْ.

وقوله: ﴿فِيهِ﴾ ليس من صلة ﴿ٱلزَّٰهِدِينَ﴾؛ لأن الصلة لا تتقدَّم على الموصول، ألا تَراكَ لا تقول: "وكانوا زيدًا من الضاربين؟" وإنما هو بيانٌ كأنه قيل: "في أيِّ شيء زَهِدوا؟" فقال: "زَهِدوا فيه".

قوله: (﴿وَكَانُواْ فِيهِ﴾) أي: في يوسف.

قوله: (بما طفَّ)،[1] أي: قلّ. والطفيف: القليل.

قوله: (بأوكَس الثمن)[2] «الوكس: النقص. وقد وَكَس الشيء يكِس».[3]

قوله: (ويروى أنّ إخوته) يُبيّن وجه كونهم زاهدين فيه.

قوله: (لا تتقدَّم) على الجارّ.

قوله: (فقال: زهِدوا فيه)، وإنّما قُدّم لشدّة العناية في حقّه.

---

[1] ر: بما عطف.

[2] ر: الثمن.

[3] الصحاح للجوهري، «وكس».

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ﴾ قيل: هو قِطْفيرُ أو إِطْفيرُ، وهو العزيز الذي كان على خزائن مصرَ، والملِكُ يومئذ: الرَّيَّانُ بنُ الوليدِ رجلٌ من العماليق وقد آمَن بيوسف وماتَ في حياة يوسف، فملَك بعده قابوسُ بنُ مُصْعَبٍ فدعاه يوسفُ عليه السلام إلى الإسلام فأبى.

واشتراه العزيزُ وهو ابنُ سبعَ عشرةَ سنةً، وأقام في منزله ثلاثَ عشرةَ سنةً، واسْتوزَرَهُ ريانُ بنُ الوليد وهو ابن ثلاثين سنةً، وآتاه الله الحكمةَ والعلمَ وهو ابن ثلاثٍ وثلاثين سنةً، وتوفي وهو ابنُ مئة وعشرين سنةً.

وقيل: كان الملك في أيّامه فرعونَ موسَى، عاشَ أربعَ مئة سنة بدليل قوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [غافر ٣٤/٤٠].

وقيل: فرعونُ موسى من أولادِ فرعون يوسفَ عليه السلام.

وقيل: اشتراه العزيزُ بعشرين دينارًا وزَوْجَيْ نَعلٍ وثوبين أبيضين.

وقيل: أدخلوه السوقَ يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنُه وَزْنَهُ مِسكًا

قوله: (واشتراه العزيز) حال مِن الضمير في ﴿ٱشْتَرَىٰهُ﴾، والتقدير "اشتراه قطفير،[1] وقد اشتراه وهو ابن سبعة[2] عشر"، فوضع الظاهر موضع الضمير في ﴿ٱشْتَرَىٰهُ﴾، للفصل[3] بين الحال وذي الحال، وهذا الاشتراء غير الاشتراء بالثمن البخس؛ ولذلك قال تعالى: ﴿مِن مِّصْرَ﴾، أي: مِن أهل مصر، وهو حال مِن الضمير في ﴿ٱشْتَرَىٰهُ﴾، أو متعلِّق بـ﴿ٱشْتَرَىٰهُ﴾.

---

[1] رُوي ذلك عن ابن عبّاس رضي الله عنه. وذكر مقاتل بن سليمان أنّ اسم العزيز قطفير بن ميشا. وقيل: اسمه إطفير بن رُوحيب. انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، ٣٢٧/٢ (يوسف، ٢١/١٢)؛ وجامع البيان للطبري، ٦١/١٣ (يوسف، ٢١/١٢)؛ والبسيط للواحدي، ٥٩/١٢ (يوسف، ٢١/١٢)؛ ومعالم التنزيل للبغوي، ٢٢٥/٤ (يوسف، ٢١/١٢).

[2] ر: ستة.

[3] ر: الفصل.

ووَرِقًا وحرِيرًا، فابْتاعَه قِطْفيرُ بذلك المبلغ.

﴿أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ﴾: اجعلي منزلَه ومقامَه عندنا كريمًا؛ أي: حسنًا مرضيًّا، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ﴾ [يوسف ٢٣/١٢]، والمراد: تفقُّديهِ بالإحسان وتعهُّديه بحَسْنِ المَلَكة حتى تكون نفسُه طيِّبةً في صُحبتنا ساكنةً في كَنَفِنا، ويقال للرجل: كيف أبو مثواكَ وأمُّ مثواكَ؟ لمَن ينزل به من رجلٍ أو امرأة، يُراد: هل تَطيبُ نفسُك بثَوائك عنده، وهل يُراعي حقَّ نزولك به؟

واللامُ في ﴿لِٱمْرَأَتِهِۦٓ﴾ متعلِّقةٌ بـ﴿وَقَالَ﴾ لا بـ﴿ٱشْتَرَىٰهُ﴾.

﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَا﴾: لعلَّه إذا تدرَّبَ وَرَاض الأمورَ وفَهِم مجارِيَها نَستظهِرُ به على بعضِ ما نحن بسبيله فينفعَنا فيه بكفايته وأمانته، أو نتبنَّاه ونُقيمُه مُقامَ الولد.

كان قطفيرُ عقيمًا لا يولد له، وقد تفرَّس فيه الرُّشدَ فقال ذلك.

وقيل: أفرسُ الناس ثلاثةٌ: العزيز حين تفرَّس في يوسف فقال لامرأته:

قوله:[١] (بحُسن[٢] المَلَكة) يقال: «"فلان حَسَن المَلَكة" إذا كان حسن الصنيع[٣] إلى مماليكه. وفي الحديث: 'لا يدخل الجنة سيِّئ المَلَكة'».[٤]

قوله: (كيف أبو مثواك؟) فكأنّه قيل: كيف صاحب منزلك؟ وقوله: (لمَن ينزل به) اللام في "لمَن ينزل به"،[٥] كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [العنكبوت ١٢/٢٩]. وقوله: (مِن رجل أو امرأة) فيه لفّ ونشر متعلِّق بقوله: (أبو مثواك وأمّ مثواك). وقوله: (يراد: هل تطيب؟) بيان (يقال). وقوله: (بثوائك). الثواء: الإقامة.

قوله: (ونقيمه مُقام الولد) هذا بيان (نتبنّاه).

قوله: (وقيل: أفرس الناس) «الفِراسة بالكسر الاسم، مِن قولك: تفرَّستُ

---

[١] ن – قوله.
[٢] ر: يخش.
[٣] ن: الصيع.
[٤] ر: المملكة. | الصحاح للجوهري، «ملك». والحديث في مسند أحمد، ٢٣٧/١ (٧٥)؛ وسنن ابن ماجه، ٦٤٨/٤ (٣٦٩١)؛ وسنن الترمذي، ٣٩٨/٣ (١٩٤٦).
[٥] ر – ينزل به".

﴿أَكْرِمِي مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَا﴾ والمرأة التي أتت موسى وقالت لأبيها: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾ [القصص ٢٨/٢٦] وأبو بكر حين استخلف عمر رضي الله عنهما.

ورُوي: أنه سأله عن نفسه فأخبره بِنَسبه فعرفه.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ الإشارةُ إلى ما تقدَّم من إنجائه وعَطْفِ قلب العزيز عليه، والكافُ منصوبٌ تقديره: ومِثْلَ ذلك الإنجاء والعَطْف ﴿مَكَّنَّا﴾ له؛ أي: كما أنجيناه وعطَفْنا عليه العزيزَ كذلك مكَّنا له في أرض مصرَ وجعلناه ملكًا يتصرَّف فيها بأمره ونهيه.

﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ كان ذلك الإنجاءُ والتمكينُ؛ لأنّ غرضَنا ليس إلا ما تُحمَدُ عاقبتُه من علمٍ وعملٍ.

﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ أي: على أمرِ نفسه: لا يُمنع عمَّا يشاءُ، ولا ينازَعُ ما يريدُ ويقضي، أو على أمر يوسف عليه السلام يُدبِّره لا يَكِلهُ إلى غيره، قد أراد إخوتُه به ما أرادوا ولم يكن إلَّا ما أراد الله ودبَّر.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن الأمرَ كلَّه بيد الله.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾

قيل في الأَشُدِّ: ثماني عشرةَ سنةً، وعشرون، وثلاثٌ وثلاثون، وأربعون.

فيه خيرًا، وهو يتفرَّس، أي: يتثبت وينظر، تقول:[١] رجل فارس النظر».[٢]

[٢١و] قوله: (والمرأة التي) يعني صفّورا بنت / شعيب عليه السلام.

قوله: (وعَطْفِ قلب العزيز) يقال: عطف عليه، أي: رحِمه.

قوله: (كذلك مكنّا) بدل مِن قوله: (كما أنجينا).

قوله: (كان ذلك الإنجاء)، يعني أنّ متعلَّق اللام محذوف، وهو "كان" إلى آخره. وقوله: (لأنّ غرَضنا) بيان أنّ الإنجاء كان للتعليم.

---

١ ر: لقول.

٢ الصحاح للجوهري، «فرس».

وقيل: أَقْصَاه ثنتان وستُّون.

﴿حُكْمًا﴾: حكمةً، وهو العلم بالعمل، واجتنابُ ما يُجهَل فيه.

وقيل: حُكْمًا بين الناس وفقهًا.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ تنبيهٌ على أنه كان محسِنًا في عمله متَّقيًا في عُنفوان أمره، وأن الله آتاه الحكمَ والعلم جزاءً على إحسانه.

وعن الحسن: "مَن أحسنَ عبادةَ ربّه في شَبِيبتِهِ آتاه الله الحكمةَ في اكتهالِهِ".

﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾

المُراوَدةُ: مفاعلةٌ من رَادَ يَرُود: إذا جاء وذهب، كأنَّ المعنى: خادعَتْه عن نفسه؛ أي: فعلَتْ ما يَفعل المخادِعُ لصاحبه عن الشيءِ الذي لا يريد أن يُخرجَه من يده، يحتال أن يغلبَه عليه ويأخذَه منه، وهي عبارةٌ عن التمحُّلِ لمواقَعَته إيَّاها.

﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾ قيل: كانت سبعةً.

قوله: (كأنّ المعنى)، يريد أنّه ضمّن "راوَد"[1] معنى "خادَع"؛ لأنّ المخادِع يجيء ويذهب في مخادعته. وقوله: (خادعَتْه) أي: يوسف. وقوله: (عن نفسه) أي: يوسف. وقوله: (لا يريد) أي: صاحبه. وقوله: (يحتال) حال عن المخادع. وقوله: (أن يغلبه) الضمير في "يغلبه" يعود إلى "الصاحب"، ومِن (عليه) إلى (الشيء). وقوله: (ويأخذه) أي: الشيء. وقوله: (منه) أي: مِن الصاحب. وقوله: (عن التمحُّل) تمحّل، أي: طلب بحِيلة وتكلُّف. قال في الصحاح: «تمحّل، أي: احتال».[2] وقال في المُغرِب: «تمحّله: طلبه[3] بحيلة وتكلّف».[4] وقوله: (لمواقعته) أي: لمباشرة يوسف.

---

[1] ر: واود.

[2] الصحاح للجوهري، «محل».

[3] ن ر: وطلبه.

[4] المغرب للمطرّزي، «محل».

قرئ ﴿هَيْتَ﴾ بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء، وبناؤه كبناء "أين" و"عيطَ"، و: "هَيْتِ" كجَيْرِ و: ﴿هَيتُ﴾ كحيثُ، و: ﴿هِئتُ﴾ بمعنى: تهيَّأت، يقال: هاءَ يَهِيء -كجاء يجيء-: إذا تهيَّأ. و: "هُيِّئتُ لك"، واللامُ من صلةِ الفعل، وأمَّا في الأصوات فللبيان؛ كأنَّه قيل: "لك أقولُ هذا"؛ ....

قوله: (قرئ: ﴿هِيْتَ﴾) قال في الوسيط:

﴿هَيْتَ لَكَ﴾ معناه في قول جميع أهل اللغة والتفسير: هلُمّ. قال الفرّاء وابن الأنباري: لا مصدرَ[١] له ولا تصرُّف ولا تثنيةَ ولا جمعَ ولا تأنيث.[٢] يقال للإثنين: "هيتَ لكما"، وللجمع: "هيتَ لكم". ويجوز كسر التاء ورفعه،[٣] وكَسَر بعضهم الهاء وفتح التاء، كلُّ ذلك بمعنًى واحد. قال أبو زيد: "هيتَ لك" بالعبرانيّة: هيتا لج... إلخ، أي: "تعاله" أعربَه القرآن،[٤] وأمّا ما روى هشام عن ابن عامر: ﴿هِئتُ لَكَ﴾[٥] بكسر الهاء والهمزة وضمّ التاء، فإنّها "فعلتُ" مِن الهيئة. قال أبو زيد: هِئتُ للأمر هيئة وتهيّأت[٦] له. ويجوز تخفيف[٧] الهمزة كما تُخفَّف[٨] مِن "جِيت" و"شِيت".[٩] وأنكر أبو عمرو والكسائي هذه القراءة. وقالا: "هئتُ" بمعنى "تهيّأت" باطل لم يُحكَ عن العرب.[١٠]

قوله: (وعَيْطَ) عَيْطَ: صوت للفتيان[١١] إذا تصايحوا في اللعب.

قوله: (بمعنى: تهيّأت) هي حسنة، إلّا أنّ المعنى الآخر أثبت؛ لأنّها دعته.

قوله: (واللام مِن صلة الفعل) إلى آخره، الظاهر أنّه أراد بالفعل "هِئتُ" و"هُيِّئتُ"، وبالأصوات أسماء الأفعال كـ"هَيْتَ" وأخواته.

---

١ ن: مصرد.
٢ كلام الفرّاء بلفظ قريب في تهذيب اللغة للأزهري، ٣٩٣/٦ «هيت».
٣ عزا الواحدي هذا الكلام إلى الأخفش. الوسيط للواحدي، ٦٠٧/٢ (يوسف، ٢٣/١٢).
٤ كلام أبي زيد في تهذيب اللغة للأزهري، ٣٩٣/٦ «هيت».
٥ انظر: النشر لابن الجزري، ٢٩٣/٢.
٦ ر: وتهيأت.
٧ ر: تحقيق.
٨ ر: تحققت.
٩ ر: وسبب.
١٠ انظر: الوسيط للواحدي، ٦٠٦/٢-٦٠٧ (يوسف، ٢٣/١٢).
١١ ن: للعبيان.

كما تقول: "هلمَّ لك".

﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾: أعوذُ بالله معاذًا.

﴿إِنَّهُۥ﴾: إنَّ الشأن والحديثَ ﴿رَبِّيٓ﴾: سيِّدي ومالكي، يريد: قطفِيرَ ﴿أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾ حين قال لكِ: ﴿أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ﴾ فما جزاؤه أنْ أخلُفَه في أهله سوءَ الخلافة وأخُونَه فيهم.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ الذين يُجازون الحسَنَ بالسيِّئ.

وقيل: أراد الزُّناةَ؛ لأنهم ظالمون أنفسَهم.

وقيل: أراد اللهَ تعالى؛ لأنه مسبِّب الأسباب.

﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٢٤﴾

هَمَّ بالأمر: إذا قصده وعَزَمَ عليه؛ قال:

همَمْتُ ولم أفعَلْ وكِدتُّ وليتني ... تركتُ على عثمانَ تبكي حلائلُه

قوله: (كما تقول: هلمَّ لك) هذا تفسير للفظ وبيان لاستعماله. قال أبو عليّ: «قال أبو عبيدة: ﴿هَيۡتَ لَكَۚ﴾، أي: هلمَّ لك».[1]

قوله: (أن أخلفه)[2] خلفتُه خلافة كنتَ خليفتَه.

قوله: (وقيل أراد الله تعالى) أي: بقوله: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾. قوله: "وقيل أراد الله تعالى" الأَولى أن يقال: إنّه عطف على (يريد)، والضمير في ﴿إِنَّهُۥ﴾ ضمير الشأن كما في الوجه الأول.

قوله:

(هممتُ ولم أفعل وكدتُ وليتني ... تركتُ على عثمانَ تبكي حلائلُه)[3]

---

[1] ر – هذا تفسير للفظ وبيان لاستعماله. قال أبو عليّ: «قال أبو عبيدة: ﴿هَيۡتَ لَكَۚ﴾، أي: هلمَّ لك». | الحجّة للفارسي، ٤/٤١٦.

[2] ر: أخلفه.

[3] البيت لضابئ بن الحارث البُرجمي في طبقات فحول الشعراء للجُمحي، ١/١٧٤؛ والشعر والشعراء لابن قتيبة، ١/٣٣٩؛ وحماسة البحتري، ص ٤٤٦ والاشتقاق لابن دريد، ص ٢١٨.

ومنه قولُك: "لا أفعلُ ذلك ولا كيدًا ولا همًّا"؛ أي: ولا أكاد أن أفعلَه كيدًا ولا أهمُّ بفعله همًّا، حكاه سيبويه، ومنه: الهُمام، وهو الذي إذا همَّ بأمرٍ أمضاه ولم يَنكُلْ عنه.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ﴾ معناه: ولقد همَّت بمخالطتهِ ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾؛ أي: وهمَّ بمخالطتها ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ جوابُه محذوفٌ تقديره: لولا أن رأى برهانَ ربِّه لخالَطَها، فحذف؛ لأنّ قوله: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ يدلُّ عليه، ....

قيل: إنّ عُمير[١] بن ضابئ البُرجمي أتى الحجّاج وهو شيخ يرعد، فقال: أيّها الأمير إنّي مِن الضَّعَفة، وإنّ لي ابنًا هو أقوى منّي على الأسفار واحتمالِ مشاقّ السهول والأوعار، وقد خرج اسمي في هذا البعث، فإن رأى الأمير أن يقبله منّي بديلًا فَعَل، فقال الحجّاج: نفعل. فلمّا ولّى قال له قائل:[٢] هذا عُمير الذي قال أبوه:

"هـمـمـتُ ولـم أفـعـل" الـبـيـت

ودخل هذا الشيخ على عثمان وهو مقتول فوطئ[٣] بطنه وكسر ضلعًا مِن أضلاعه. قال: ردُّوه، فرُدّ فقال له: هلا بعثتَ أيّها الشيخ إلى أمير المؤمنين عثمان يوم الدار[٤] بديلًا، إنّ في قتلك[٥] صلاحًا. يا حرسيّ اضربا[٦] عنقه، هو عمرو[٧] بن ضابئ البُرجمي.[٨] أي: هممتُ بقتل عثمان، يعني بقتله. ومفعول "تركت" "على عثمانَ تبكي" هذه الجملة، كقوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ۞ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ﴾ [الصافات ٧٨/٣٧-٧٩]. وقوله: "وكدتُ"[٩] خبره محذوف، أي: كدتُ أقتله. والحليلة: الزوجة، والجمع الحلائل.

قوله: (لأنّ قوله: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾) حتّى يجوز حذف جواب الشرط إذا تقدّمه ما يدلّ عليه.

---

١ ن ر: عمر. | والتصحيح عن المصادر الآتية في توثيق الخبر.
٢ ر: قل بل.
٣ ن ر: فطوى.
٤ ن: الدلة؛ ر: الذكر.
٥ ر: هلكك.
٦ ر: اخرقا.
٧ ن ر: عمر.
٨ الخبر بلفظ قريب في الكامل لابن الأثير، ٤٢٤/٣؛ ووفيات الأعيان لابن خَلّكان، ٣٤/٢؛ وتاريخ الإسلام للذهبي، ٧٦٤/٢.
٩ ر: ولدت.

كقولك: "هَمَمْتُ بقتله لولا أني خِفْتُ الله"، معناه: "لولا أنِّي خفتُ الله لقتلتُه".

فإن قلتَ: كيف جاز على نبيِّ الله أن يكون منه همٌّ بالمعصية وقصدٌ إليها؟

قلتُ: المراد أن نفسَه مالت إلى المخالطة ونازعَتْ إليها عن شهوةِ الشباب وقَرَمِهِ مَيْلًا يُشبِهُ الهمَّ به والقصدَ إليه وكما تقتضيه صورةُ تلك الحالِ التي تكاد تَذْهَبُ بالعقول والعزائم، وهو يكسرُ ما به ويَردُّه بالنظر في برهان الله المأخوذ على المكلَّفين من وجوب اجتناب المحارم، ولو لم يكن ذلك الميلُ الشديد

قوله: (لقولك: هممتُ) يريد أنّ شرط الحذف أن يكون قبله شيء يدلّ عليه، ولا يلزم أن يكون المحذوف مِن جنس ما تقدّم، فإنّ المحذوف في المثال "لقتلتُه"، والمذكور "هممتُ بقتله"، وكذا / في الآية المحذوف هو [٢١ظ] "لخالطها" مع أنّ المذكور ﴿هَمَّ بِهَا﴾.

قوله: (عن شهوة) متعلِّق بـ(نازعَت) أو (مالت)، كقولهم:

ينهون[١] عن أكل وعن شُربِ[٢]

وقوله: (وقَرَمه) «والقَرَم: شدّة شهوة اللحم»،[٣] واستعمله المصنّف بمعنى شدّة الشهوة. والشباب: الحداثة، أي: عن الشهوة التي تكون مِن[٤] الشباب. والضمير في "قَرَمه" للشباب بها المعنى. وقوله: (يُشبِه الهمّ)[٥] اللام في "الهمّ" للعهد،[٦] وهو راجع إلى همّ المرأة. والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ راجع إلى يوسف، أي: مثلًا يشبه همّ المرأة بيوسف، وكذلك في القصد إليه. و(كما تقتضيه) معطوف على "يُشبه"، أي ميلًا مثل ما تقتضيه صورة تلك الحال. وقوله: (وهو يكسر)[٧] حال مِن الضمير في "مالَت"[٨] أو[٩] "نازعت". وقوله: (مِن وجوب) فيه حذف،

---

[١] ر: شهوة.

[٢] عجز بيت صدرُه:

يمشون دُسمًا حول قُبّتِهِ

وما عرفتُ قائله. ومضى بتخريجه في تفسير البقرة، ٣٦/٢.

[٣] الصحاح للجوهري، «قرم».

[٤] ر: ومن.

[٥] ن: الميم؛ ر: الهيم.

[٦] ن: للعبد.

[٧] ر: كثير.

[٨] ر: مالتا.

[٩] ر: و.

المسمَّى همًّا لشدَّته لَمَا كان صاحبُه ممدوحًا عند الله بالامتناع؛ لأنّ استعظام الصبر على الابتلاء على حَسَب عِظَم الابتلاء وشدَّته، ولو كان همُّه كهمِّها عن عزيمةٍ لَمَا مَدَحه الله بأنه من عباده المخلَصين.

ويجوز أن يريد بقوله: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾: وشارَفَ أن يهُمَّ بها؛ كما يقول الرجل: قتلْتُه لو لم أَخَفِ الله، يُريد مشارفةَ القتل ومشافهتَه كأنَّه شَرَعَ فيه.

فإن قلتَ: قوله: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ داخلٌ تحت حُكم القَسَم في قوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ﴾ أم هو خارجٌ منه؟

قلتُ: الأمران جائزان، ومن حقِّ القارئ إذا قدَّر خروجَه من حُكم القسَم وجعلَه كلامًا برأسه أن يقف على قوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ﴾ ويبتدئ قولَه: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾، وفيه أيضًا إشعارٌ بالفرق بين الهمَّين.

أي: مِن دليل وجوب، فإن دليل الوجوب هو البرهان لا نفس الوجوب. وقوله: (لأنّ استعظام الصبر) الاستعظام عدّ النبي عظيمًا، أي: إنّما يعدّ الصبر عظيمًا إذا كان الابتلاء عظيمًا. وقوله: (على حسب) خبر "أنّ". وقوله: (وشارف) كأنّه قيل: وشارف أن يهمّ بها لولا أن رأى برهان ربّه لَهَمّ بها. وقوله: (كما يقول الرجل) إلى آخره، المعنى في المثال "شارفتُ قتله لو لم[1] أخف الله قتلته"، ثمّ أشار المصنّف بقوله: (يريد)[2] إلى فائدة ذِكر "قتلتُه" بدل "شارفتُ القتل"، يعني: كانت مشارفةً قريبة مِن المباشرة، فكأنّه باشر القتل؛ فلذلك قال: "قتلتُه"، ولو لم يكن "قتلتُه" في المثال بمعنى "شارفتُ قتله" لزم التناقض في المثال، إذ يكون المعنى حينئذٍ: وقتلتُه ما قتلتُه.

قوله: (فإن قلتَ: قوله:[3] ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾؟) اعلم أنّ السؤال مبنيّ على أنّ اللام مع "قد" إنّما يكون جواب القسم.

قوله: (وفيه أيضًا) أي: في الوقف.

---

[1] ر + يكن.
[2] ر: يزيد.
[3] ر: قولهم.

فإن قلتَ: لـمَ جعلْتَ جوابَ ﴿لَوۡلَآ﴾ محذوفًا يَدلُّ عليه ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾، وهلَّا جعلتَه هو الجوابَ مقدَّمًا؟

قلتُ: لأن "لولا" لا يتقدَّم عليها جوابُها من قِبَلِ أنه في حُكم الشرط، وللشرط صدرُ الكلام، وهو مع ما في حيّزه من الجملتين مثلُ كلمةٍ واحدةٍ، ولا يجوز تقديمُ بعض الكلمة على بعضٍ، وأمَّا حذفُ بعضِها إذا دلَّ الدليل عليه فجائزٌ.

فإنْ قلتَ: فلمَ جعَلْتَ ﴿لَوۡلَآ﴾ متعلِّقةً ....

قوله: (وهو مع ما في حيّزه)[1] وهو، أي: لولا.

قوله: (فإن قلتَ: فلِمَ جعلتَ؟) حاصل السؤال أنّه لِمَ جعلتَ "لولا" متعلقة بالجملة الثانية فقط، وما جعلتَها متعلِّقة بهما، فإنّه يمكن أن تكون متعلِّقة بهما؛ لأنّ الهمّ لا يتعلَّق بالجواهر، أي الذوات، وإنّما يتعلَّق بالمعاني كالمخالَطة والمجالَسة والنصر والضرب والمقابلة والمعانقة والملامسة والمباشرة، إلى غير ذلك. وإذا كان كذلك فلا بد مِن تقدير مضاف عند قوله: ﴿بِهِۦ﴾ و﴿بِهَا﴾ وهو المخالطة،[2] إذ المقصود ذلك هنالك، فيكون التقدير: ولقد همّت بمخالطته وهمّ بمخالطتها، والمخالطة إنّما تكون مِن اثنين فلا يكون مقدورًا لأحدهما، فالقصد المتعلِّق بالمخالطة أيضًا لا يُتصوَّر مِن أحدهما، وإذا ثبت أنّه لا يكون همّ المخالطة إلّا مِن اثنين فيكون قوله: ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا﴾ في معنى، ولقد همّا بالمخالطة لولا أن مَنَع مانع أحدَهما، فتبيّن أنّه يمكن تعلّق ﴿لَوۡلَآ﴾ بهما، فلم نقل: إنّه متعلِّق[3] بهما. فقول المصنف: (لأنّ الهمّ) تعليل إمكان تعلّق "لولا" بهما، فيكون حاصل السؤال أنّه لِمَ لم يقل: إنّ "لولا" متعلِّق بهما بناء على هذه العلّة. ثمّ أجاب المصنّف بأنّ ما ذَكَرته حَسَن؛ لكن لمّا ذَكَر الله تعالى الهمَّين مفصّلًا، ولم يقل: "ولقد همّا" دلّ على أنّه لم يكن معنى المفاعلة منظورًا فيه ههنا؛

---

[1] ن ر: خبره.

[2] ر: للمخالطة.

[3] ر – متعلّق.

بـ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ وحده ولم تجعَلْها متعلِّقةً بجملةِ قوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا﴾؛ لأنَّ الهمَّ لا يتعلَّق بالجواهر؛ ولكنْ بالمعاني، فلا بدَّ من تقدير المخالَطةِ، والمخالطةُ لا تكون إلَّا من اثنين معًا؛ فكأنَّه قيل: ولقد همَّا بالمخالَطة لولا أنْ مَنَع مانعٌ أحدَهما؟

قلتُ: نِعْمَ ما قلتَ؛ ولكنَّ الله سبحانه وتعالى قد جاء بالهمَّين على سبيل التفصيلِ حيث قال: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا﴾ فكان إغفالُه إلْغاءً له، فوجَبَ أن يكون التقدير: ولقد همَّتْ بمخالَطته وهمَّ بمخالطتِها، على أنَّ المراد بالمخالَطتين توصُّلُها إلى ما هو حظُّها من قضاء شهوتها منه وتوصُّلُه إلى ما هو حظُّه من قضاء شهوته منها ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ فترك التوصُّلَ إلى حظِّه من الشهوة؛ فلذلك كانت ﴿لَوْلَآ﴾ حقيقةً بأن تُعلَّق بـ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ وحده.

لأنَّه لمّا فصّل وأغفل ذِكر المفاعلة دلّ على أنّ معنى المفاعلة ملغًى غير منظور فيه ههنا، فيكون التقدير "همّت بمخالطته وهمّ بمخالطتها"؛ لكن المراد بالمخالطتَين ليس معنى المفاعلة؛ بل المراد بمخالطتها توصُّلها إلى ما هو حظُّها، وبمخالطته إلى ما هو حظُّه، فيكون ﴿لَوْلَآ﴾ متعلِّقًا بـ﴿وَهَمَّ﴾ لا[1] بـ﴿هَمَّتْ﴾؛ لأنَّ قصد توصُّلها إلى ما هو حظُّها لا[2] يتأثَّر برؤية يوسف البرهانَ، ولا يتوقَّف قَصْد أحدهما التوصُّلَ إلى ما هو حظُّه على[3] قَصْد الآخر التوصُّل إلى ما هو حظُّه.

[٢٢و] وقوله: (ولم تجعلها) إلى (﴿بِهَا﴾) بدل مِن قوله: "جعلتَ" إلى / قوله: (وحده). وقوله: "لأنّ" متعلِّق بقوله: "تجعلها" مِن غير اعتبار حرف النفي. وقوله: (ولكن بالمعاني) أي: يتعلَّق بالمعاني.

قوله: (فكان إغفالُه) الإغفال: الإهمال، أي: فكان تَرْك الله تعالى معنى المفاعلة إلغاءً، أي: إسقاطًا له عن درجة الاعتبار. وقوله: (على أنّ المراد) أي: حملًا على أنّ المراد، وبناء[4] على أنّ المراد. وقوله: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا﴾، أي: يوسف. وقوله: (فترك) أي: يوسف. وقوله: (حقيقةً) أي: جديرًا.[5]

---

[1] ن ر: ولا.
[2] ن ر: ولا.
[3] ر - ما هو حظّه على.
[4] ر: أي بناء.
[5] ر: حذيرًا.

وقد فُسِّر همُّ يوسفَ بأنَّه حلَّ الهِمْيانَ وجَلسَ منها مجلسَ المُجامِع، وبأنَّه حَلَّ تكَّةَ سراويلهِ وقَعد بين شُعَبها الأربع وهي مُستلقيةٌ على قفاها، وفُسِّر البُرهانُ بأنَّه سَمِع صوتًا: إيَّاك وإيَّاها، فلم يَكترِثْ له، فسمعه ثانيًا فلم يعمل به، فسمع ثالثًا: أعرِضْ عنها، فلم ينجَعْ فيه، حتى مُثِّلَ له يعقوبُ عليه السلام عَاضًّا على أنملتهِ، وقيل: ضرب بيده في صدره فخرجت شهوتُه من أنامله.

وقيل: كلُّ ولدِ يعقوب عليه السلام له اثنا عشر ولدًا إلَّا يوسف عليه السلام، فإنه وُلد له أحد عشر ولدًا من أجل ما نقَصَ من شهوته حين همَّ.

وقيل: صيحَ به: يا يوسف لا تكن كالطائر كان له ريشٌ فلمَّا زنَى قعَد لا ريشَ له.

وقيل: بدَتْ كفٌّ فيما بينهما ليس لها عضدٌ ولا مِعْصمٌ مكتوبٌ فيها: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾ [الانفطار ٨٢/١٠-١١] فلم يَنصرفْ، ثم رأى فيها: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء ١٧/٣٢] فلم يَنتهِ، ثم رأى فيها: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة ٢/٢٨١] فلم يَنجَعْ فيه، فقال الله لجبريل عليه السلام: أدرِكْ عَبْدِي قبل أن يُصِيبَ الخطيئةَ، فانحطَّ جبريلُ وهو يقول: يا يوسف، أتعملُ عملَ السفهاء وأنت مكتوبٌ في ديوان الأنبياء؟

وقيل: رأى تِمثالَ العزيز.

وقيل: قامَت المرأةُ إلى صنمٍ كان هناك فَسَترَتْه وقالت: أَستحي أَنْ يَرانا، فقال يوسف عليه السلام: استَحْيَيْتِ ممن لا يسمعُ ولا يُبصرُ ولا أستحي من السميع البصير العليم بذواتِ الصدور.

قوله: (حلّ الهِميان) الهِمْيان: فعلان مِن الهَمَيان وهو السيلان؛ لأنّه إذا أفرغ همى بما فيه مِن الدراهم. هكذا رأيت في بعض الحواشي. ولم أرَ ذلك في شيء مِن كتب اللغة. وقال في الصحاح: «هِميان الدراهم بكسر الهاء وهو معرَّب».[1]

قوله: (فلم ينجع) نَجَع في الخطاب والوعظ والدعاء، أي: دخل. وقوله: (ضرب) أي: يعقوب. وقوله: (في صدره) أي: يوسف.

---

[1] الصحاح للجوهري، «همى».

وهذا ونحوُه، مما يوردُه أهلُ الحشو والجبرِ الذين دينُهم بَهْتُ الله تعالى وأنبيائه، وأهلُ العدل والتوحيد ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم بحمدِ الله بسبيلٍ، ولو وُجدتْ من يوسفَ عليه السلام أدنى زلَّةٍ لنُعِيَتْ عليه وذُكرَتْ توبتُه واستغفارُه كما نُعيَتْ على آدم صلوات الله عليه زلّتُه، وعلى داود وعلى نوح وعلى أيُّوب وعلى ذي النُّون عليهم السلام، وذُكرَت توبتُهم واستغفارُهم، كيف وقد أُثنيَ عليه وسُمِّي مخلَصًا، فعُلم بالقطع أنه ثبتَ في ذلك المقام الدَّحْضِ، وأنّه جاهدَ نفسَه مجاهدةَ أولي القوة والعزم، ناظرًا في دليل التحريم ووجهِ القبح، حتى استَحَقَّ من الله الثناءَ فيما أُنزل من كتب الأوَّلين، ثم في القرآن الذي هو حجةٌ على سائر كتبه ومِصداقٌ لها، ولم يَقتصِر إلَّا على استيفاء قصَّتهِ وضربِ سورةٍ كاملةٍ عليها؛ ليجعل له لسانَ صدقٍ في الآخِرين كما جَعَله لجدِّه الخليلِ إبراهيمَ عليه السلام، وليقتدي به الصالحون إلى آخر الدَّهْر في العفَّة وطِيبِ الإزار، والتثبُّتِ في مواقف العِثَار.

قوله: (ليسوا مِن مقالاتهم)[١] إلى آخره، يجوز أن يكون قوله: "مِن مقالاتهم"[٢] خبر "ليس"، و"مِن" الاتّصال، و"بسبيل"[٣] حال. ويجوز أن يكون "بسبيل" خبرًا، و"مِن" للابتداء.[٤]

قوله: (لنُعيت) أي: أُفشيَت وادّعيَت،[٥] مِن قولهم: نعى فلان على فلان[٦] إذا أظهر عليه مثالبه ومعايبه.

قوله:[٧] (وقد أُثنيَ عليه) جوابه أنه إنّما استحقّ المدح؛ لأنّه لم يأتِ بالمنهيّ عنه مع قوّة المَيل وغلبةِ[٨] الشهوة الداعية، ولمّا كان الميل أشدّ كان المدح في مخالفته أقوى، كما ذَكَره هو عن قريب. وقوله: (الدَّحْض) الدحض: مقام تدحض فيه القدم، أي: تزلق. وقوله: (وأنّه جاهَد) فأقول: مجاهدة النفس إنّما تكون عند تحقّق الهمّ، فلا يستقيم للمصنف ردّ ما ردّه ممّا نقل.

---

١ ر: مقالتهم.
٢ ن ر: مقالتهم.
٣ ن: سبيل.
٤ ر: الابتداء.
٥ ن ر: واديعت.
٦ ن – على فلان.
٧ ن + وقوله.
٨ ر: وعليه.

فأخزى اللهُ أولئك في إيرادهم ما يؤدِّي إلى أن يكون إنزالُ الله السورةَ التي هي أحسنُ القَصَصِ في القرآن العربيِّ المبين ليُقْتَدَى بنبيٍّ من أنبياءِ الله في القعود بين شُعَب الزانية، وفي حلِّ تكَّتهِ للوقوع عليها، وفي أن يَنهاه ربُّه ثلاثَ كرَّاتٍ ويُصاحَ به مِن عنده ثلاثَ صيحات بقوارع القرآن وبالتوبيخ العظيم وبالوعيد الشديد وبالتشبيه بالطائر الذي سقط ريشُه حين سَفِدَ غيرَ أنثاه، وهو جاثم في مَرْبَضه لا يتحَلْحَل ولا ينتهِي ولا يَنتبهُ، حتى يتداركَهُ الله بجبريل عليه السلام وبإجباره، ولو أنّ أوقَح الزُّناة ....

قوله: (**فأخزى الله أولئك**) اعلم أنّ المصنّف ما أنصف في قوله: "فأخزى"... إلى آخره، فإنّ كلّ ما ذكر هناك ليس فيه مقدّمات الخطيئة ولا[1] الصغيرة، وكلّ ذلك صحيح مهيِّج للرغبة مقوٍّ للميل والشهوة، فإذا ترك تلك الخطيئة الفاحشة مع هذه الدواعي كان ذلك أمدحَ له وأقوى لعصمته وأدلَّ على عصمة الله تعالى إيّاه وتثبيتِه،[2] وإلّا[3] لكان كما كان مِن كلّ مَن كان. اللّهمّ لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقلّ مِن ذلك يا أرحم الراحمين.

قوله: (وهو جاثم)[4] حال تنازع فيه قوله: (ينهاه) و(يصاح)، وجثم الطائر إذا تلبد بالأرض، وكذلك الإنسان. وقوله: (في[5] مربضه) رَبَض الغنم: مأواها، ورَبَض الرجل: امرأته وكلّ ما يأوي إليه. المرابض للغنم كالمعاطن، للإبل والواحد مَربِض بالكسر كالمجلس.[6] وقوله: (ولا يتحلحل) تحلحل مِن مكانه، أي: زال. وقوله: (ولو أنّ أوقح) إلى آخره، الوقاحة: قلّة الحياء. «والشاطر: الذي أعيا أهله خبثًا، ولقد شطُر شطارة».[7] والجلح: انحسار شعر الرأس. والمُجالِح: المُكابِر.[8] ونَبَض العِرق، أي: تحرّك. يقال: "ما به حَبَض ولا نَبَض"، الحَبَض: التحرُّك،

---

[1] ن ر: إلّا.

[2] ن: وتلبيته.

[3] ن ر - وإلّا.

[4] ن: حاتم؛ ر: خاتم.

[5] ن ر: وفي.

[6] من قوله: "ربض الغنم" إلى هنا بلفظ قريب في الصحاح للجوهري، «ربض».

[7] الصحاح للجوهري، «شطر».

[8] انظر: الصحاح للجوهري، «جلح».

وأشطرَهم وأحدَّهم حدَقَةً وأَجْلَحَهم وجهًا لُقي بأدنَى ما لُقي به نبيُّ الله مما ذكَروا لَمَا بقي له عِرْقٌ ينبِضُ ولا عضوٌ يتحرَّك، فيا له من مذهبٍ ما أفحشَه ومن ضلالٍ ما أبينَه!

﴿كَذَٰلِكَ﴾ الكافُ منصوبُ المحلِّ؛ أي: مثلَ ذلك التثبيتِ ثبَّتْناه، أو مرفوعُهُ؛ أي: الأمرُ مثلُ ذلك.

﴿لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ﴾ من خيانةِ السيد ﴿وَٱلۡفَحۡشَآءَ﴾ من الزِّنَا.

﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾؛ أي: الذين أخلَصوا دينهم لله، وبالفتح: "الذين أخلصَهم الله لطاعته بأنْ عصَمَهم".

ويجوز أن يريد بالسوء مقدِّماتِ الفاحشةِ من القُبلة والنظر بشهوةٍ ونحوِ ذلك.

وقوله: ﴿مِنۡ عِبَادِنَا﴾ معناه: بعضُ عبادنا؛ أي: هو مخلصٌ من جُملة المخلصِين، أو هو ناشئ منهم؛ لأنه من ذريَّة إبراهيم الذين قال فيهم: ﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ﴾ [ص ٣٨/٤٦].

﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝٢٥﴾

وقيل: الصوت، والنبَض اضطراب.[١] وقوله: (**وأشطرَهم**) الشطارة في بال سدن.[٢] وقوله: (**حدقة**) الحدقة: سواد العين. وحدّة الحدقة عبارة عن عدم الحياء. وقوله: (**وأجلحهم**) الأجلح: لا شعرَ على وجهه.

قوله: (**فيا له مِن مذهب**) المنادى محذوف، أي: ياقوم احضروا له، ثمّ بيّن الضمير بقوله: "مِن مذهب". وقوله: (**ما أفحشه**) "ما" للتعجب.

قوله: (**المخلِصين**) أي: بالكسر؛ ولذلك عطف عليه (**وبالفتح**).

قوله: (**أو هو ناشئ**) عطف على (**بعض**). وعلى هذا "مِن" للابتداء.[٣]

---

١ الصحاح للجوهري، «حبض»، وفيه «والنبض: اضطراب العرق».

٢ ن: **دبال سدن.** | وما اتجهت لي.

٣ ر: الابتداء.

﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ﴾: وتسابَقَا إلى الباب، على حذف الجارِّ وإيصالِ الفعل؛ كقوله: ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ﴾ [الأعراف ٧/١٥٥] أو على تضمينِ استبقا معنى ابتَدَرَا، نَفَرَ منها يوسفُ فأسرعَ يريد البابَ ليخرجَ وأسرعَتْ وراءهُ لتَمْنَعَه الخروجَ.

فإن قلتَ: كيف وحَّد الباب وقد جمعه في قوله: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ﴾؟

قلتُ: أراد البابَ البرَّانِيَّ الذي هو المخرَجُ من الدار والمَخْلَص، فقد روى كعبٌ أنه لمَّا هرَبَ يوسفُ عليه السلام جَعَل فَراشُ القُفلِ يتناثَر ويسقط حتى خرج من الأبواب.

﴿وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ﴾: اجتذبَتْه مِن خلفِه فانقدَّ -أي: انشقَّ- حين هربَ منها إلى الباب وتبعَتْه تمنعُه.

﴿وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا﴾: وصَادَفا بَعلها وهو قِطْفِيرُ. تقول المرأةُ لبعلها: سيِّدي.

وقيل: إنما لم يُقلْ: سيِّدَهما؛ لأن مِلْك يوسفَ عليه السلام لم يصحَّ، فلم يكن سيِّدًا له على الحقيقة.

قيل: أَلْفَيَاه مُقبلًا يريد أن يدْخلَ.

وقيل: جالسًا مع ابن عمٍّ للمرأة.

قوله: (نفر منها) ابتداء كلام لتفسير[١] الآية.

قوله: (قلتُ: أراد الباب البرّانيَّ) أي: الباب الخارج. في حديث سلمان: مَن يصلح برّانيّه أصلح الله تعالى برّانيّه، ومَن أصلح جوّانيّه أصلح الله جوّانيّه.[٢]

قوله: (فراشُ القُفل)[٣] «فراشة القفل: ما ينشب فيه. يقال: أقفل فأفرش».[٤]

قوله: (اجتذبته) جبذتُ الشيء مثل جذبتُ،[٥] مقلوب منه.

قوله: (وقيل جالسًا) أي: ألفياه جالسًا.

---

[١] ر: لنفير.

[٢] بلفظ قريب في الزهد لأبي داود، ص ٢٣٥ (٢٥٩)؛ وحلية الأولياء لأبي نعيم، ٢٠٣/١.

[٣] ر: القفل.

[٤] الصحاح للجوهري، «فرش».

[٥] ر: جذبت.

لمَا اطَّلع منها زوجُها على تلك الهيئة المُرِيبَة وهي مُغتاظةٌ على يوسفَ عليه السلام إذ لم يُؤاتها جاءَتْ بحيلةٍ جمعَتْ فيها غَرَضَيْها: وهما تَبْرِئَةُ ساحتها عند زوجها من الرِّيبةِ، والغضبُ على يوسف عليه السلام وتخويفُه طمعًا في أن يؤاتيَها خيفةً منها ومن مكرها، وكَرْهًا لمَا أَيِسَتْ من مؤاتاته طوعًا، ألا ترى إلى قولها: ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ﴾ [يوسف ٣٢/١٢].

و﴿مَا﴾ نافيةٌ؛ أي: ليس جزاؤه إلَّا السِّجنَ، ويجوز أن تكون استفهاميةً بمعنى: أيُّ شيء جزاؤه إلَّا السِّجنُ؟ كما تقول: "مَن في الدار إلا زيد؟"

فإن قلتَ: كيف لم تُصرِّحْ في قولها بذكرِ يوسف وأنه أراد بها سوءًا؟

قلتُ: قصدَت العمومَ، وأنَّ كلَّ مَن أراد بأهلك سوءًا فحقُّه أن يُسجَنَ أو يُعَذَّبَ؛ لأن ذلك أبلغُ فيما قصدَتْه من تخويفِ يوسف عليه السلام.

وقيل: العذابُ الأليم: الضربُ بالسِّياط.

﴿قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾﴾

لمَّا أَغْرتْ به وعرَّضَتْه للسِّجن والعذاب وجَبَ عليه الدَّفعُ عن نفسه فقال: ﴿هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى﴾ ....

قوله: (المُريبة)[١] أرابه، أي: أوقعه في الريبة، أي: الشكّ. وأصل الرِّيبة: قلق النفس والاضطراب.

قوله: (إذا لم يؤاتها)،[٢] أي: لم يطاوعها ولم يوافقها. يقال: «آتيته على ذلك
[٢٠و] الأمر مواتاة إذا وافقتَه وطاوعتَه. والعامّة تقول:[٣] / واتيتُه».[٤]

قوله: (لمّا آيسَتْ) ظرف لقوله: (طمعًا).

قوله: (عرَّضَته) التعريض للشيء: النصب له.

---

[١] ن: المربية.
[٢] ر: يواتها.
[٣] إلى هنا انتهى السقط مِن د.
[٤] الصحاح للجوهري، «أتى».

ولولا ذلك لكتَم عليها.

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ قيل: كان ابنَ عمٍّ لها، وإنما أَلقَى اللهُ الشهادةَ على لسان مَن هو مِن أهلها لتكون أوجَبَ للحجة عليها، وأوثقَ لِبَراءةِ يوسفَ، وأنفى للتُّهمة عنه.

وقيل: هو الذي كان جالسًا مع زوجها لدى الباب.

وقيل: كان حكيمًا يَرجع إليه الملِكُ ويستشيرُه.

ويجوز أن يكون بعضُ أهلها كان في الدار فبَصُرَ بها من حيث لا تشعُرُ، فأغضَبَه اللهُ ليوسفَ عليه السلام بالشهادة له والقيامِ بالحقّ.

وقيل: كان ابنَ خالٍ لها صبيًّا في المهد، وعن النبيّ صلى الله عليه وسلم: «تكلَّم أربعةٌ وهم صغارٌ: ابنُ ماشِطَةِ فرعون، وشاهدُ يوسف عليه السلام، وصاحبُ جُرَيْج، وعيسى عليه السلام».

فإن قلتَ: لم سُمِّي قولُه شهادةً وما هو بلفظِ الشهادة؟

قوله: (ولولا ذلك) أي: وجوب الدفع.[١] وقوله: (لكتَم) أي: يوسف.

قوله: («وصاحب جُريج»)[٢] هو ابن جُريج الزاهد، رُمي[٣] بامرأة فجاءوا بمهد الصبيّ، فقال: يا بابوس مَن أبوك؟ فقال: فلان الراعي، ثمّ سكت. وبابوس:[٤] الطفل الصغير بالروميّة. قال ابن أحمر:

حنَّت قلوصي إلى بابُوسها جزعًا ... فما حنينك أم ما أنتِ والذكرُ[٥]

قوله: (وما هو بلفظ الشهادة؟)؛ لأنّه مبنيّ على التقدير، وإنّما تكون الشهادة عن تحقيق.

---

١ ر: الرفع.

٢ مسند أحمد، ٣٠/٥ (٢٨٢٢)؛ صحيح مسلم، ١٩٧٦/٤ (٢٥٥٠).

٣ ن: رفي.

٤ ر: وبانوس.

٥ البيت لابن أحمر الباهلي في الشعر والشعراء لابن قتيبة، ٣٤٦/١؛ وغريب الحديث للخطابي، ٧/٣؛ والخصائص لابن جنّي، ٢٤/٢؛ وجمهرة أشعار العرب للقرشي، ص ٦٧٩؛ والفائق للزمخشري، ٧٢/١.

قلتُ: لمَّا أدَّى مؤدَّى الشهادةِ في أنْ ثبتَ به قولُ يوسف عليه السلام وبطَل قولُها سُمِّي شهادةً.

فإن قلتَ: الجملةُ الشرطيةُ كيف جازَتْ حكايتُها بعد فعلِ الشهادة؟

قلتُ: لأنّها قولٌ من القول، أو على إرادة القول؛ كأنَّه قيل: وشهِدَ شاهدٌ فقال: ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ﴾.

فإنْ قلتَ: إن دلَّ قَدُّ قميصِه من دُبُرٍ على أنها كاذبةٌ وأنَّها هي التي تبعَتْه واجتذبَتْ ثوبَه إليها فقدَّتْه، فمِن أين دلَّ قدُّه مِن قُبُلٍ على أنها صادقةٌ وأنه كان تابِعَها؟

قلتُ: من وجهين:

أحدهما: أنه إذا كان تابِعَها وهي دافِعتُه عن نفسها قدَّتْ قميصَه من قدَّامه بالدَّفع.

والثاني: أن يُسرِعَ خلفَها ليلحقَها فيتعثَّرَ في مقادم قميصِهِ فيَشقَّه.

وقرئ: "مِن قُبُلُ" و: "من دُبُرُ" بالضم على مذهب الغايات، والمعنى: من قُبُلِ القميص ومن دُبُرِه، وأما التنكير فمعناه: من جهةٍ يقال لها: قُبُلٌ، ومن جهةٍ يقال: لها دُبُرٌ.

قوله: (قلتُ: لأنّها قول) فكأنّه قيل: قال قائل مِن أهلها: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ﴾.

قوله: ﴿قَدَّتْ قَمِيصَهُۥ﴾،[1] أي: شقَّت طولًا.

قوله: (في مقادم قميصه) أي: أوائله وسوابقه، وكأنّها جمع مَقدَم مأخوذ مِن مَقدَم الرَّحل.[2] قال في الصحاح: «في قادمتي الرَّحْل[3] ست لغات: مُقدِم ومُقدِمة بكسر الدال مخفَّفة،[4] ومُقدَّم[5] ومُقدَّمة بفتح الدال مشدَّدة، وقادم وقادمة. وكذا هذه اللغات كلّها في آخرة الرَّحْل».[6]

---

[1] ر - قوله: ﴿قَدَّتْ قَمِيصَهُۥ﴾.
[2] ن ر: الرجل.
[3] ن ر: الرجل.
[4] ر: فخففه.
[5] ن ر - ومقدّم.
[6] ن ر: الرجل. | الصحاح للجوهري، «رحل».

وعن ابن أبي إسحاقَ أنه قرأ: "من قبُلَ" و: "من دَبُرَ" بالفتح كأنَّه جعلهما عَلَمَيْن للجهتين فمنَعهما الصرفَ للعلميَّة والتأنيث، وقُرئا بسكون العين.

فإن قلتَ: كيف جاز الجمعُ بين ﴿إنْ﴾ الذي هو للاستقبال وبين ﴿كَانَ﴾؟

قلتُ: لأن المعنى أن يُعلم أنه كان قميصُه قُدَّ، ونحوُه قولُك: "إن أَحْسَنْتَ إليَّ فقد أحسنتُ إليك من قَبْلُ" لمن يَمْتَنُّ عليك بإحسانه، تريد: إنْ تمتنَّ عليَّ أمتَنُّ عليك.

﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾

﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ﴾ يعني: قِطْفِيرَ، وعَلِم براءةَ يوسف وصِدْقَه وكِذْبَها.

﴿قَالَ إِنَّهُۥ﴾؛ أي: إن قولكِ: ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا﴾ أو: إن هذا الأمرَ، وهو طمعُها في يوسف ﴿مِن كَيْدِكُنَّ﴾ الخطابُ لها ولأمَّتِها، وإنما استعظَم كيدَ النساء؛ لأنه وإنْ كان في الرجال إلَّا أن النساء ألطفُ كيدًا وأنفذُ حِيلةً، ولهنَّ في ذلكَ نيقَةٌ ورفْقٌ وبذلك يَغْلِبْنَ الرجالَ، ومنه قوله: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ [الفلق ١١٣/٤] والقَصْرِيَّاتُ من بينهنَّ معهنَّ ما ليس مع غيرهنَّ من البوائق.

وعن بعض العلماء: أنا أخافُ من النساء أكثرَ مما أخافُ من الشيطان؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء ٤/٧٦] وقال للنساء: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾.

قوله: (وعن ابن أبي إسحاق) أراد يعقوب الحضرمي صاحب القراءة، وهو ابن عبد الله الحضرمي[١] أعلم[٢] أهل البصرة وأعقلهم.

قوله: (نِيقة) فِعلة مِن تنوَّق في الأمر إذا تمهَّر فيه وحذَق.[٣]

قوله: (والقصريّات) القصريّات: نساء الحضر الساكنات في القصور. و(البوائق)[٤] جمع بائقة،[٥] وهي المُهلِكة مِن الحِيَل[٦] وغيرها، مِن باقته البوائق، أي: أهلكته الدواهي.

---

١ ن: الحضرفي.
٢ ن ر + أن.
٣ ن ر: وحدف.
٤ ن: والبوابق؛ ر: والنوايق.
٥ ن ر: نايقة.
٦ ن: الحبل.

﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿يُوسُفُ﴾ حُذف منه حرفُ النداء؛ لأنه منادًى قريبٌ مُفاطِنٌ للحديث، وفيه تقريبٌ له وتلطيفٌ لمحلِّه.

﴿أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾ الأمرِ واكتُمْهُ ولا تُحدِّثْ به.

﴿وَاسْتَغْفِرِي﴾ أنتِ ﴿لِذَنبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾؛ أي: من جُملة القوم المتعمِّدين للذنب، يقال: خَطِئ: إذا أذنَبَ متعمِّدًا، وإنما قال: ﴿مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ بلفظِ التذكير؛ تغليبًا للذكور على الإناث، وما كان العزيز إلا رجلًا حليمًا، رُوي أنه كان قليلَ الغيرةِ.

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾: وقال جماعةٌ من النساء، وكنَّ خمسًا: امرأةُ السَّاقي، وامرأةُ الخبَّاز، وامرأةُ صاحب الدَّوابِ، وامرأةُ صاحبِ السجن، وامرأةُ الحاجب.

والنسوةُ: اسم مفردٌ لجمع المرأة، وتأنيثُه غيرُ حقيقيّ كتأنيث اللمَّةِ؛ ولذلك لم تَلْحَق فعلَه تاءُ التأنيث، وفيه لغتان: كسرُ النون وضمُّها.

﴿فِي الْمَدِينَةِ﴾: في مصرَ ﴿امْرَأَتُ الْعَزِيزِ﴾ يُردْنَ قطفيرَ، والعزيز: الملِك بلسان العرب.

قوله: (صاحب الدوابّ) الذي كان يسوس[١] دوابَّ العزيز.

قوله: (والنسوة اسم مفرد) أي: اسم جمع.

قوله: (كتأنيث[٢] اللُّمة) اللمة بتخفيف الميم: الأصحاب بين الثلاثة إلى العشرة، ولامه[٣] محذوفة. ذكرها في الصحاح والمجمل في المعتل اللام.[٤]

---

١ ن ر: يسوق.

٢ ن: كنا نبت.

٣ ر: ولازمة.

٤ انظر: الصحاح للجوهري، «لمى»؛ ومجمل اللغة لابن فارس، ٧٩٤/١ «لمى».

﴿فَتَىٰهَا﴾: غلامَها، يقال: فتايَ وفتاتي؛ أي: غلامي وجاريتي.

﴿شَغَفَهَا﴾؛ أي: خَرَقَ حبُّه شَغافَ قلبها حتى وصل إلى الفؤاد، والشَّغَافُ: حجابُ القلب، وقيل: جلدةٌ رقيقةٌ يقال لها لسان القلب، قال النابغة:

وقد حال همٌّ دون ذلك والجٌّ مكانَ الشَّغَافِ تبتغِيه الأصابعُ

وقرئ: "شَعَفَها" بالعين من شَعَفَ البعيرَ: إذا هَنَأَهُ فأَحْرقه بالقَطِران، قال:

كما شَعَفَ المَهْنُوءَةَ الرَّجلُ الطَّالِي

و﴿حُبًّا﴾ نصبٌ على التمييز.

﴿فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: في خطأٍ وبُعدٍ عن طريق الصواب.

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾

قوله:[١] (﴿شَغَفَهَا﴾ خَرَق)[٢] هذا مثل قولهم: بَطَنه، أي: ضرب بطنه ورأسه، أي: ضرب رأسه. قال في الصحاح: «الشَّغاف: غلاف القلب، وهي جلدة دونه كالحِجاب».[٣]

قوله:

(وقد حال همٌّ دون ذلك والجٌّ[٤] مكانَ الشَّغاف تبتغيه الأصابعُ)[٥]

"حال"[٦] أي:[٧] حجَز.[٨] و"الأصابع"، أي: أصابع الأطبّاء. ويقرب منه قول مَن قال: «حالَ الجَريض دون القَريض».[٩] والجريض: الغُصَّة. والقريض: الشعر، أي:

---

١ ن ر - محذوفة ذكرها في الصحاح والمجمل في المعتل اللام. قوله.

٢ ن: حرق.

٣ الصحاح للجوهري، «شغف».

٤ ن: واتج.

٥ البيت للنابغة في ديوانه، ص ٣٢؛ وهو له في أمالي القالي، ١/٢٠٥؛ والصحاح للجوهري، «شغف».

٦ ن ر: قال.

٧ ن ر: أبي.

٨ ن ر: حجر.

٩ مثل للعرب مذكور في مجمع الأمثال للميداني، ١/١٩١؛ والمستقصى للزمخشري، ٢/٥٥.

﴿بِمَكْرِهِنَّ﴾: باغتيابهنَّ وسوءِ قالَتِهِنَّ وقولهنَّ: "امرأةُ العزيز عشقَتْ عبدَها الكنعانيَّ ومَقَتَها"، وسمِّي الاغتيابُ مكرًا؛ لأنه في خُفيةٍ وحالِ غيبةٍ كما يُخفي الماكرُ مكرَه.

وقيل: كانت استَكْتَمَتْهنَّ سرَّها فأفشَيْنَه عليها.

﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾: دعَتْهُنَّ، قيل: دعت أربعين امرأةً منهنَّ الخمسُ المذكوراتُ.

﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا﴾: ما يتَّكئنَ عليه من نمارِقَ، قصدَتْ بتلك الهيئةِ -وهي قعودُهنَّ متَّكئاتٍ والسكاكينُ في أيديهن- أَنْ يُدهَشْنَ ويُبْهَتْنَ عند رؤيتهِ ويَشتَغِلنَ عن نفوسهن فتقعَ أيديهِنَّ على أيديْهِنَّ فيُقَطِّعْنَها؛ لأن المتَّكِئَ إذا بُهِتَ لشيءٍ وقعَتْ يدهُ على يده.

ولا يَبعدُ أن تَقْصِدَ الجمعَ بين المكر به وبهنَّ، ....

حالت الغُصَّة[١] بيني وبين الشعر الذي تطلبه مني، أي: ليس لي فراغ قرض الشعر لأجل الغُصَّة التي بي.

قوله: (و﴿حُبًّا﴾ نصب على التمييز) حبًّا تمييز مِن نسبة "شغف" إلى الضمير المستتر فيه.

قوله: (في خُفْية وحالِ غيبةٍ) فيكون استعارة.[٢]

قوله: (وقيل: كانت استكتمَتْهنّ) أي: طلبت منهنّ كِتمان سرّها، يعني: ذكرَت معهنّ سرَّها وطلبت منهنّ كتمانها، فوعدنَ[٣] بذلك وما وفينَ به، فيكون المكر بمعناه مِن غير استعارة.

قوله: (مِن نمارق) «النُّمرُق والنُّمرُقة: وسادة صغيرة، وكذلك النِّمرِقة بالكسر».[٤]

[٢٠ظ] قوله: (أن يُدهَشنَ) «دَهِش الرجل / بالكسر يدهَش دَهَشًا تحيَّر،[٥] ودُهِش أيضًا فهو مدهوش».[٦]

---

١ ن: العصبة.
٢ ن ر: استغفاره.
٣ ر: فوعد.
٤ الصحاح للجوهري، «نمرق».
٥ ن: تحبر؛ ر: بحير.
٦ الصحاح للجوهري، «دهش».

فتضَعَ الخناجِرَ في أيديهنَّ ليُقطِّعْنَ أيديَهن فتُبكِّتَهن بالحجة، ولتُهَوِّلَ يوسفَ عليه السلام من مكرها إذا خرجَ على أربعينَ نسوةً مجتمعاتٍ في أيديْهِنَّ الخناجرُ تُوهِمُه أنهنَّ يثِبْنَ عليه.

وقيل: ﴿مُتَّكَـٔٗا﴾: مجلسَ طعامٍ؛ لأنهم كانوا يتّكئون للطعام والشراب والحديث كعادة المترَفين؛ ولذلك نُهِي أن يأكلَ الرجلُ متّكئًا، وآتَتْهنَّ السَّكاكينَ ليُعالِجْنَ بها ما يأكلنَ.

وقيل: ﴿مُتَّكَـٔٗا﴾: طعامًا، من قولك: "اتّكأنا عند فلان"؛ أي: طَعِمْنا، على سبيل الكناية؛ لأن مَن دعَوْتَه لِيَطْعَمَ عندك اتخذتَ له تُكأَةً يتَّكئُ عليها، قال جميل:

قوله: (فتُبكِّتهنّ) عطف على قوله: (ليُقطِّعنّ) وهذا إشارة إلى المكر بهنّ.

قوله: (ولتُهوِّل) إشارة إلى المكر بيوسف، وكلاهما مرتَّب على قوله: (فتضعَ). وقوله: (إذا خرج) ظرف لقوله: "تُهوِّل". وقوله: (تُوهِمه) حال مِن الضمير في "تُهوِّل".

قوله تعالى: ﴿وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا﴾ لا يبعد أن يكون مثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ [النمل ١٥/٢٧] في العطف على المحذوف، إذ[١] التقدير فيه، كما ذكره المصنِّف: «ولقد آتينا داود وسليمان علمًا، فعملا به وعلَّماه الناس، وعرفا فيه حقَّ النعمة، وقالا: "الحمد لله"».[٢] فههنا أيضًا يكون التقدير: أرسلت إليهنّ، وأعتدت[٣] لهنّ متّكئًا، فجئنّ[٤] وجلسنَ، وآتت كلّ واحدة. والله أعلم.

قوله: (اتّخذتَ له) فيكون المتّكأ مِن لوازم الطعام. وقوله: (تُكاءة)[٥] ما يتَّكأ به.

---

[١] ر: أو.
[٢] الكشّاف للزمخشري، (النمل، ١٥/٢٧).
[٣] ن: وأعيدت.
[٤] ن ر: فحين.
[٥] ن ر: يتكاه.

فَظَلِلْنا بِنِعمةٍ واتَّكأنا وشرِبْنا الحلالَ من قُلَلِهْ

وعن مجاهد: ﴿مُتَّكَئًا﴾ طعامًا يُحزُّ حزًّا؛ كأنَّ المعنى: يُعتمَدُ بالسكين؛ لأن القاطع يتّكئ على المقطوع بالسكين.

وقرئ: ﴿مُتَّكًا﴾ بغير همزٍ.

وعن الحسن: "متَّكاءً" بالمدِّ؛ كأنه مُفْتَعالٌ، وذلك لإشباع فتحة الكاف؛ كقوله: "بمنْتَزاحِ"، بمعنى: بمنْتَزَحِ، ونحوُه: "ينباعُ" بمعنى: يَنْبُع.

وقرئ: "مُتْكًا" وهو الأتْرُجُّ، وأُنشدَ:

قوله: (فظلِلْنا) البيت،[1] (الحلال)،[2] أي: النبيذ. و"القُلَل": جمع قلّة وهي الجرّة.[3] ويقال لكلّ عامل بالنهار: ظلَّ يفعل كذا. و(اتكأنا)،[4] أي: طَعِمنا. يقول: اشتغلنا[5] طول النهار بالتنعُّم وأكل الطعام وشُرب الشراب.

قوله: (طعامًا يُحزُّ حَزًّا) حزّه واحتزّه،[6] أي: قطعه.

قوله: (كقوله: بمُنتزاحِ).

وأنت مِن الغوائل حين تُرمى[7] ومِن ذمّ الرجال بمنتزاحِ[8]

الغوائل: جمع الغائلة وهي المُهلِكة.[9] نزح نزوحًا،[10] أي: بعُد. وأنت بمُنتزاح[11] مِن كذا، أي: ببعيد.

قوله: (ونحوه يَنباع) قال الشاعر:

يَنباع مِن ذِفرى[12] غضوبٍ جَسْرة[13] زيّافة مثل الفنيقِ المُكدَمِ[14]

---

[1] ن: فطللنا.

[2] البيت لجميل بثينة في ديوانه، ص ١٨٨؛ وهو له في أساس البلاغة للزمخشري، «قلل»؛ وبلا عزو في الصحاح للجوهري، «قلل».

[3] ن ر: الجمرة.

[4] ن: وأنكانا.

[5] ن: أشغلنا؛ ر: أشغلتنا.

[6] ن: واجتزه.

[7] ن: ترفى؛ ر: تربى.

[8] البيت لإبراهيم بن هرمة. ومضى بتخريجه في تفسير سورة الفاتحة، ٧/٢.

[9] ن ر - الغوائل: جمع الغائلة وهي المُهلِكة.

[10] ن ر: نزوجًا.

[11] ن ر: بمنتزج.

[12] ن: دقرى.

[13] ر: حشرة.

[14] البيت لعنترة بن شدّاد. ومضى بتخريجه في تفسير الأعراف، ٧٤/٧.

فـأَهْـدَتْ مُـتْـكـةً لـبـنـي أبـيـهـا ... تَـخُـبُّ بـهـا الـعَـثْـمـثَـمَـةُ الـوَقـاحُ

وكانَتْ أَهْدَتْ أترجَّةً على ناقةٍ، وكأنها الأترجَّة التي ذكرها أبو داودَ في سُننه «أنها شُقَّتْ بنصفين وحُملا كالعِدْلَيْن على جملٍ».

وقيل: الزَّمَاوَرْدُ.

وعن وَهْبٍ: أُتْرُجًّا ومَوْزًا وبطِّيخًا.

وقيل: أعتدَتْ لهنَّ ما يُقْطَع، من مَتَكَ الشيءَ بمعنى: بَتَكَه، إذا قطعَه.

وقرأ الأعرج: "مَتْكَأً" مَفْعَلًا من تَكِئَ يَتْكَئُ: إذا اتَّكأَ.

﴿أَكْبَرْنَهُۥ﴾: أعظَمْنَه، وهِبْنَ ذلك الحُسنَ الرائعَ والجمالَ الفائقَ.

قيل: كان فضلُ يوسف عليه السلام على الناس في الحُسن كفضلِ القمر ليلةَ البدر على نجوم السماء.

وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «مررتُ بيوسفَ الليلةَ التي عُرج بي إلى السماء، فقلتُ لجبريل عليه السلام: مَن هذا؟ فقال: يوسف» فقيل: يا رسول الله، كيفَ رأيتَه؟ قال: «كالقمر ليلة البدر».

أي: ينبع[١] العَرَق مِن خلف أُذن ناقة غضوب. والجَسْرة: القويّة. والزيّافة: المتبخترة. والفَنيق: الفحل المكرَّم. والمكدَّم:[٢] مِن الكَدْم[٣] وهو العضّ.[٤]

قوله: (فأهدت) البيت،[٥] (العثَمْثَمة) مِن النوق: الشديدة، والذَّكر عثَمْثَم.[٦] و(الوَقاح): الناقة الصلبة الحافرِ. قال في الصحاح: «حافر وقاح، أي: صلب، والجمع وُقُح مثل قَذَال وقُذُل».[٧] وقال في المجمل: «الوقاح: الحافر الصُّلب، وبه شُبِّه الرجل القليل الحياء، فقيل: رجل وَقِح ووَقاح».[٨]

---

١ ر: يتبع.
٢ ر: والمكرم.
٣ ن: المدّم؛ ر: المكرم.
٤ ن ر: الغضن.
٥ ما عرفت قائل البيت، ولا وقفت عليه فيما سبق الكشّاف من المظانّ. وهو بلا عزو في الدرّ المصون للسمين الحلبي، ٤٧٨/٦.
٦ ن ر: عثميم.
٧ الصحاح للجوهري، «وقح».
٨ مجمل اللغة لابن فارس، «وقح».

وقيل: كان يوسفُ عليه السلام إذا سار في أزِقَّةِ مِصرَ يُرى تَلَألُؤُ وَجْههِ على الجُدران كما يُرى نورُ الشمس من الماء عليها.

وقيل: ما كان أحدٌ يستطيعُ وصفَ يوسفَ عليه السلام.

وقيل: كان يُشْبهُ آدم عليه السلام يومَ خَلَقَه ربُّه.

وقيل: ورثَ الجمالَ من جدَّته سارةَ.

وقيل: "أكبَرْنَ" بمعنى: حِضْنَ، والهاء للسكت، يقال: أكبرتِ المرأة: إذا حاضَتْ، وحقيقتهُ: دخلتْ في الكِبَر؛ لأنها بالحَيْض تخرج من حدِّ الصِّغَر إلى حدِّ الكِبَر، وكأنَّ أبا الطيّب أخذ من هذا التفسير قولَه:

خَفِ اللهَ واستُرْ ذا الجمالَ ببُرقُعٍ فإنْ لُحْتَ حاضَتْ في الخُدُور العَوَاتِقُ

قوله: (في أزقّة مصر) الزُّقاق: السكّة، والجمع زُقّان وأزِقّة، مثل حُوار[١] وحُوران[٢] وأحوِرة،[٣] والحُوار:[٤] ولد الناقة ما لم ينفصل.

قوله: (يشبِه آدم يومَ خَلَقه) أي: قبل أن يُلمَّ.

قوله: (والهاء للسكت) تحريك هاء السكت لحن، فكأنّه أجرى الوقف مجرى الوصل، كقول الشاعر:

يـا ربّ يـا ربّـاه إيّـاك أسـلْ[٥] عـفـراءَ يا ربّـاه مِـن قبـلِ الأجـلِ[٦]

قوله: (خَفِ الله) البيت،[٧] العاتقة: الشابّة أوّل ما أدركت، فخُدِّرت في البيت، أي: أُلزِمت[٨] الخِدْر.[٩] ولاح النجم وألاح إذا بدا،[١٠] ولاح البرق وألاح إذا ومض. يقول: اخشَ الله تعالى واستر جمالك ببرقع[١١] تُرسله[١٢] على وجهك،

---

١ ن ر: حواز.

٢ ن ر: وجوزان.

٣ ن ر: وأجوزة. | انظر: الصحاح للجوهري، «زقق».

٤ ر: والجوار.

٥ ر: أسأل.

٦ ما عرفت قائل هذا الرجز. وهو بلا عزو في إصلاح المنطق لابن السكّيت، ص ٩٢؛ والصحاح للجوهري، «ها»؛ وشرح الرضي على الكافية، ٢٦١/٣؛ وشرح شواهد الشافية للبغدادي، ٢٢٨/٤.

٧ البيت لأبي الطيّب المتنبي في ديوانه، ص ٧٠.

٨ ن: أكرمت.

٩ ر: الحذر.

١٠ ر: بدل.

١١ ن: ببرفع.

١٢ سقط من د من هنا إلى قوله: "فلانٌ الأفعال".

﴿قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾: جَرَّحنَها؛ كما تقول: "كنتُ أقطِّعُ اللحمَ فقطَّعْتُ يدي" تريد: جَرَحْتُها.

"حاشا" كلمةٌ تُفيدُ معنى التنزيهِ في باب الاستثناء، تقول: "أساءَ القومُ حاشا زيدٍ"، قال:

حاشا أبي ثوبان إنَّ بهِ ضِنًّا عن المَلْحاةِ والشَّتْم

وهو حرفٌ من حروفِ الجرِّ، فوُضعَتْ موضعَ التنزيه والبَراءةِ، فمعنى "حاشا اللهِ": براءةُ الله وتنزيهُ الله، وهي قراءةُ ابن مسعود على إضافة "حاشا" إلى "اللهِ" إضافةَ البراءة.

فإن ظهرتَ حاضت الشوابّ في خدورهنّ عشقًا لك وصبابةً، وذلك أنّ المرأة إذا اشتدّت شهوتها وأفرطَت سال دم حيضها.

قوله: (تقول: أساء القوم حاشا زيد) تكتب "حاشا" بالألف؛ لأنّها حرف.

قوله: (حاشا أبي ثوبان) البيت.[١] (المَلحاة) الملامة واللوم.[٢] وأبو ثوبان كنية رجل. وضنّ عليه بكذا: بخل عليه به. يقول هذا الشاعر: أذمّهم وألومهم إلّا أبا ثوبان، فإنّي أضنّ[٣] أنّ ألحاه[٤] وأشتمه.[٥]

قوله: (فوُضعت موضع التنزيه) هذا يدلّ على أنّه جعله منقولًا مِن الحرفيّة.

قوله: (فمعنى "حاشا الله":[٦] براءة الله) على إضافة "حاشا" إلى "الله" لا يستقيم على تقدير كون "حاشا" حرف جرّ؛ لأنّ حرف الجرّ لا يضاف، وأيضًا إذا كان حرف جرّ لا يبتدأ به الكلام؛ لأنّه يكون حرف استثناء، فلا يكون إلّا بعد كلام يتقدّمه، كقولك: "أشار القوم حاشا زيد"، وأمّا قول الشاعر:

---

١ البيت للجُميح منقذ بن طمّاح الأسدي في المفضّليّات للضبّي، ص ٣٦٧، وفيه «أبا ثوبان» مكان «أبي ثوبان»؛ والأصمعيّات للأصمعي، ص ٢١٨؛ وهو بلا عزو في الزاهر لابن الأنباري، ٢/٢٨٨؛ والمفصّل للزمخشري، ص ٣٨٦.

٢ ر: واللوم.

٣ ن ر: أظنّ.

٤ ن ر: الحاء.

٥ ن ر: اسمه.

٦ ر: لله.

....

حــــاشـــا أبـــــي ثـــوبـــان[١]

فإنّه قد تقدّمه ما يكون هذا مستثنى منه البيت المتقدّم، إذ المعنى[٢] أذمّهم[٣] وألومهم إلّا أبا ثوبان. وأقول لتحقيق هذا الموضع قال المصنّف في المفصل: «وقوله تعالى: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ﴾ بمعنى براءة الله مِن السوء».[٤] وقال ابن الحاجب:

> فسّره[٥] المصنّف بمصدر، والأولى أن يقال: إنّه اسم مِن أسماء الأفعال، كأنّه بمعنى "برئَ الله مِن السوء"، ودخول اللام في فاعله كدخول اللام في فاعل "هيهات"، كقوله تعالى: ﴿هَيۡهَاتَ هَيۡهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ [المؤمنون ٣٦/٢٣]، ولعلّه لم يقصد إلّا اسم[٦] الفعل، وفسّره بالمصدر لكونه اسمًا، فقصد إلى تفسيره[٧] باسم؛ ولذلك نصب "براءةَ" ولا يُنصَب إلّا بفعل مقدّر، فكان المعنى "برئَ الله"، وصار حاصله التفسير بالفعل، وإذا فُسِّر بالفعل فهو اسم الفعل.[٨]

هذا كلامه. ويظهر لك منه أنّ وجه قراءة مَن قرأ: "حاشا الله"[٩] بالإضافة أن يكون مصدرًا مضافًا، ومَن قرأ: "حاشًا"[١٠] بالتنوين فإمّا أن يكون مصدرًا أيضًا أو يكون اسم فعل، والتنوين كما في "صهٍ"، ومَن قرأ: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ﴾ قلب التنوين ألفًا إجراءً[١١] للوصل مجرى الوقف، أو لم يكن فيه تنوين أصلًا؛ بل هو اسم فعل موضوع هكذا بغير تنوين، وكلام المصنّف يدلّ على أنّه جعله منقولًا عن الحرف، وقد صرّح بما يدلّ عليه بعد السؤال؛ لكن جَعَله منقولًا إلى المصدريّة لا إلى كونه اسم فعل، وإلّا لم يتوجّه السؤال والجواب. قال أبو عليّ الفارسي:

---

١ مضى تخريجه آنفًا.

٢ ن: المغني.

٣ ن: أدهم.

٤ المفصّل للزمخشري، ص ٣٨٧.

٥ ن: فصره.

٦ ن ر: سم.

٧ ر: تغيره.

٨ انظر: الإيضاح في شرح المفصّل لابن الحاجب، ١٥٢/٢.

٩ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود وأُبيّ. المغني في القراءات للنَّوْزاوازي، ص ١٠٢٤.

١٠ قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن وأبي حَيْوَة. المغني في القراءات للنَّوْزاوازي، ص ١٠٢٤.

١١ ر: إجزاء.

ومَن قرأ: ﴿حاشالله﴾ فنحوُ قولك: "سَقْيًا لك"، كأنّه قال: "براءةً"، ثم قال: "لله"؛ لبيان مَن يُبَرِّئُ ويُنَزِّهُ، والدليلُ على تنزيل ﴿حاشا﴾ منزلةَ المصدَر: قراءةُ أبي السَّمَّالِ: "حاشًا لله" بالتنوين.

وقراءةُ أبي عمرٍو ﴿حَٰشَ لِلَّهِ﴾ بحذف الألف الآخِرة.

وقراءة الأعمش: "حَشَا لله" بحذفِ الألف الأولى.

لا يخلو قوله: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ﴾ أن يكون الحرف الجارّ في الاستثناء مثل قول الشاعر:

حاشا أبي ثوبان[1]

أو يكون فاعل مِن قولهم: حاش يُحاش، فلا يجوز أن يكون الحرف الجارّ؛ لأنّ الحرف[2] الجارّ لا يدخل على مثله؛ ولأنّ الحرف لا يُحذف إذا لم يكن فيه تضعيف، فإذا لم يكن الجارّ ثبت أنّه الذي على "فاعل"، وهو مأخوذ مِن الحشا الذي يعني به الناحية، فـ"حاشا" فاعل مِن هذا، والمعنى أنّه صار في حشا، أي: في ناحية ممّا[3] قُرِف[4] به، أي: لم يفترقه ولم يلابسه وصار في عزلة عنه وناحية، وإذا كان فعلًا مِن هذا الذي ذكرناه فلا بدّ له مِن فاعل، وفاعله يوسف، كان المعنى: بعُد عن هذا الذي رُمي به لله، أي: لخوفه ومراقبة أمره. وأمّا حذف الألف فيه فلأن الأفعال[5] قد حُذف منها، نحو "لم يك"[6] و"لا أدرِ" و"لم أُبَلْ"، وقد حذفوا الألف / مِن الفعل مِن قولهم: "أصاب الناس جُهد ولو يَرَ ما [٢١و]
أهل مكّة"، وإنّما هو "يرى"، فحُذفت الألف المنقلبة مِن اللام.[7]

قوله: (والدليل) يريد أنّ التصرُّف فيه يدلُّ على أنّه اسم لا حرف، فإنّ هذه القراءات تدلُّ على أنّه مصدر؛ لأنّ الحرف لا يتصرَّف. وقوله: (وقراءة أبي عمرو) قراءة أبي عمرو: ﴿حَٰشَا لِلَّهِ﴾ بالألف وحده، وقرأ الباقون: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ﴾ بحذف الألف.[8]

---

١ مضى تخريجه آنفًا.
٢ ن ر: حرف.
٣ ن ر: ما.
٤ ن ر: قرن.
٥ د – على وجهك... فلأن الأفعال.
٦ ر: يكن.
٧ انظر: الحجّة للفارسي، ٤/٤٢٢-٤٢٣.
٨ انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٢٩٥.

وقرئ: "حاشْ لله" بسكون الشين على أن الفتحة أُتبعتِ الألفَ في الإسقاط، وهي ضعيفةٌ لِمَا فيها من التقاءِ الساكنَين على غير حدِّه.

وقرئ: "حاشَ الإلهِ".

فإن قلتَ: فلمَ جاز في ﴿حاشالله﴾ أنْ لا يُنوَّن بعد إجرائه مُجرى: براءةً لله؟

قلتُ: مراعاةً لأصله الذي هو الحَرْفيّةُ، ألا ترى إلى قولهم: "جلستُ مِن عَن يمينه" كيفَ تركوا "عن" غيرَ مُعرَبٍ على أصله، و"على" في قوله:

غـــــــدَتْ مِـــــن عـلـيـــه

كذا ذكر أبو عليّ الفارسي في الحجّة.[1] واتّفقوا على الوقف بغير ألف، فهذا سهو مِن المصنِّف، والصواب مكان "وقراءة أبي عمرو": "وقراءة العامّة"، أو حُذف "غير" مِن خطّه.

قوله: (بعد إجرائه[2] مُجرى:[3] براءةً لله) أي: بعد أن نُقلت[4] مِن الحرفيّة إلى المصدريّة.

قوله: (ألا ترى إلى قولهم: جلستُ مِن[5] عن يمينه)؛

مِـن عـن يـمـين[6] الـحُـبـيّـا نـظـرةٌ قَـبَـلُ[7]

قوله: (و"على" في قوله:

غَـــــدَتْ مِـــــن عـــلـيـــهِ)

قبله:

---

[1] انظر: الحجّة للفارسي، ٤/٤٢٢.

[2] ر: أجزائه.

[3] ر: فجرى.

[4] ن: تقلب؛ ر: تغلب.

[5] ن ر - من.

[6] ن ر - يمين.

[7] عجز بيت للقطامي، أوّله:
فقلتُ للرَّكْب لمّا أن علا بهمُ
وهو في ديوانه، ص ٢٨؛ وهو له في المقصور والممدود للقالي، ص ٢٦٢؛ والصحاح للجوهري، «عنن»؛ وضرائر الشعر لابن عصفور، ص ٣٠٦؛ وشرح المفصّل لابن يعيش، ٤/٥٠١. وضُبطت لفظة "قبل" في د بضمّ القاف والباء، وضُبطت بفتحها في جميع المصادر التي أوردت البيت ممّا وقفتُ عليه منها. والنظرة القَبَل هي التي لم تسبق بغيرها، ورأيته قَبَلًا وقُبُلًا، أي: مُقابلة وعِيانًا.

....

غدوتُ بشوشاةٍ كأنّ قُتودَها[١] على خاضِبٍ يعلو[٢] الأماعزَ[٣] مُجفِلِ
أذلك أم كُدريَّة[٤] ظلَّ فرخُها لقًى بشَروری كاليتيم المُعيَّلِ
غَدَتْ مِن عليهِ بعد ما تمّ ظِمؤها بصَلٍّ وعن قَيْض ببيداءَ مَجهَلِ[٥]

الشَّوشاة: الناقة السريعة. والقُتود: جمع قَتَد وهو الرَّحل.[٦] والخاضب: الظليم الذي أكل الربيع فثلط واحمرّ طرفا رجليه.[٧] والأماعز:[٨] جمع الأمعز،[٩] وهو المكان الصلب الكثير[١٠] الحصى. والمُجفِل: المُسرِع. والكُدريّ:[١١] ضرب مِن القطا الغُبر[١٢] اللون. والفَرْخ: ولد الطائر. واللَّقى، أي: المُلقى. والصَّلّ: الأرض اليابسة. والقَيض: ما تفلَّق مِن قشور البيض.[١٣]

ومعنى الأبيات:[١٤] قطعتُ[١٥] البادية بناقة مسرعة كأنّها نعام مُسرِع في الأرض الصُّلب. ثمّ قال: أناقتي مثلُ ذلك النعام أم مثلُ قَطاة كأنّ فرخها مُلقًى بذلك الجبل كاليتيم المتروك فقيرًا،[١٦] وقد[١٧] قامت تلك القطاة غُدوةً مِن فوق الفرخ بعد تمام ظِمئها[١٨] في أرض[١٩] يابسة. وقوله: "وعن قَيض" عطف على "عليه"، أي: قامَت عن الفرخ وعن قشور البيض المكسور، يريد أنّ فراخها خرجَت عن البيض قريبًا مِن ذلك الزمان، فهي صغار، وهي في بادية متعسِّفة،[٢٠] غَدَت مِن عليه

---

[١] ر: فيورها.
[٢] ر: يعلوا.
[٣] د: الأماعر
[٤] ن: كدرته.
[٥] الأبيات لمُزاحم العقيلي في منتهى الطلب لابن ميمون، ١٢٣/٧-١٢٥؛ وخزانة الأدب للبغدادي، ١٤٧/١٠. وبيت الشاهد منها له في النوادر لأبي زيد، ص ٤٥٤؛ والحيوان للجاحظ، ٤١٨/٤؛ والصحاح للجوهري، «علا»؛ وضرائر الشعر لابن عصفور، ص ٣٠٦؛ وهو بلا عزو في كتاب سيبويه، ٢٣١/٤.
[٦] ن ر: الرجل.
[٧] انظر: الصحاح للجوهري، «خضب».
[٨] د: والأماعر.
[٩] د: الأمعر.
[١٠] ن: الكبير.
[١١] ر: والكذي.
[١٢] ر: الغير.
[١٣] انظر: الصحاح للجوهري، «قيض».
[١٤] ن ر: الأنبات.
[١٥] ر: قعطة.
[١٦] ن ر: فقرًا.
[١٧] ن ر: قد.
[١٨] د ن ر: ظمؤها.
[١٩] ر: الأرض.
[٢٠] ن ر: مقعسفة.

منقلبَ الألف إلى الياء مع الضمير.

والمعنى: تنزيهُ الله من صفات العجز، والتعجُّبُ من قُدرتهِ على خلقِ جميلٍ مثلِه، وأمّا قوله: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾ [يوسف ١٢/٥١] فالتعجُّب من قدرته على خَلقِ عفيفٍ مثلِه.

﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ نفَيْنَ عنه البشريَّةَ لغرابة جماله ومُباعَدةِ حُسنه لِمَا عليه محاسنُ الصور، وأثبَتْنَ له الملَكيَّةَ بقولهم: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾، وبَتَتْنَ بها الحكمَ؛ وذلك لأن الله عزَّ وجل رَكزَ في الطباعِ أنْ لا أحْسنَ من الملَك كما ركزَ فيها أنْ لا أقبحَ من الشيطان؛ ولذلك يُشبَّه كلُّ مُتَنَاهٍ في الحُسن والقُبح بهما، وما رَكَز ذلك فيها إلّا لأن الحقيقة كذلك؛ كما ركزَ في الطباع أنْ لا أدْخلَ في الشرِّ من الشياطين

بعد ما تمّ ظمؤها، يصف قطا،[١] أي: غَدَت القطا مِن فوقه. والظِّمء: مدّة[٢] ما[٣] بين الوِردين. والضمير مِن "عليه" يعود إلى البيض. وإنّما بُنيَت[٤] لمضارعتها[٥] الحرف.

وقوله: (منقلِب الألف) وقلب الألف إلى الياء لا[٦] يكون إلّا في الحرف. وقوله: (مثلِه) أي: يوسف. وقوله: (وأمّا قوله: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ﴾) في الآية بعد ذلك. وقوله: (والمعنى: تنزيه الله) أي: معنى الآية التي نحن فيها.

قوله: (محاسنُ الصور) محاسن[٧] جمع حَسَن، أي: لِما عليه الصور الحسنة.

قوله: (رَكَز) المركوز[٨] عبارة عن الوصف اللازم الذي لا يكاد يُفارق.

قوله: (في الحُسن والقُبح[٩] بهما) أي: بالمَلَك والشيطان.[١٠] وفيه لفّ ونشر.

[٢١ظ] قوله: (كما ركز)[١١] منصوب بـ"ركز"،[١٢] أي: ركز / مثل ذلك الركز؛ لأنّ النفي لمّا انتقض بـ"إلّا" صار التقدير رَكَز أنّ الحقيقة كذلك كما رَكَز.

---

[١] ر: قطاة.
[٢] ر: حده.
[٣] ن: ماء.
[٤] ر: يثبت.
[٥] ن ر: بمضارعتها.
[٦] ر: فلا.
[٧] ن ر + صور.
[٨] ن ر – المركوز.
[٩] ر: والفتح.
[١٠] ر: والسلطان.
[١١] ر: ذكر.
[١٢] ر: بزكر.

ولا أجمَعَ للخير من الملائكة، إلّا ما عليه الفئةُ الخاسئةُ المجبرةُ من تفضيل الإنسان على الملَك، وما هو إلّا من تعكيسهم للحقائق، وجُحودِهم للعلوم الضرورية، ومكابَرَتِهم في كلِّ بابٍ.

وإعمالُ "ما" عملَ "ليس" هي اللغةُ القُدْمَى الحجازيَّةُ، وبها ورد القرآنُ، ومنها قولُه تعالى: ﴿مَا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ﴾ [المجادلة ٢/٥٨]، ومَن قرأ على سَلِيقته من بني تميم قرأ: "بَشَرٌ" بالرفع، وهي في قراءة ابن مسعود.

وقرئ: "ما هذا بِشِرًى"؛ أي: ما هو بعَبْدٍ مملوكٍ لئيمٍ ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ تقول: هذا بِشِرًى، أي: حاصلٌ بِشِرًى بمعنى: هذا مَشْرِيٌّ، وتقول: هذا لك بِشِرًى أم بِكِرًى؟ والقراءةُ هي الأولى لموافقتها المصحفَ ومطابقةِ "بَشَرٍ" لـ"مَلَكٍ".

﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ﴾ ولم تقل: "فهذا" وهو حاضرٌ؛ رفعًا لمنزلته في الحُسن واستحقاقِ أن يُحَبَّ ويُفْتَتَنَ به، ....

قوله: (إلّا ما عليه الفئة) استثناء منقطِع، والخبر محذوف، أي: لكنّ ما عليه هؤلاء مِن التعاكيس أو غير مُعتدّ[1] به.[2] وهذا الذي ذَكَره المصنِّف مِن تعاسيفه وعُدوله عن الحقّ إلى باطله، فإنّ الآية لا تدلّ على تفضيل المَلَك على البشر، وما ذكره مِن المقدِّمات جميعها ممنوعٌ ولا مدلولَ عليه.

قوله: (على سليقته) أراد بالسليقة الأصالة الغريزة التي طُبع عليها العرب.

قوله تعالى: (﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ﴾) لمّا قالت النسوة: ﴿مَا هَٰذَا﴾... إلخ، بعد ما قلنَ: ﴿ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ﴾ قالت زليخا: ﴿فَذَٰلِكُنَّ﴾ ردًّا لتعييرهنّ وإظهارًا؛ لأنّ يوسف حقيق بأن يفتتن به، ثمّ قالت:[3] ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ﴾ ردًّا لتعييرهنّ بقولهنّ:[4]

---

١ ن: متعديه.
٢ ن – به.
٣ د ن ر: قال.
٤ ن: لقولهن.

ورَبْئًا بحالِه واستبعادًا لمحلِّه.

ويجوز أن يكون إشارةً إلى المعنيّ بقولهنَّ: عشقَتْ عبدَها الكنعانيَّ، تقول: هو ذلك العبد الكنعانيُّ الذي صَوَّرْتُنَ في أنفسكن ثم لمتُنَّني فيه، تَعني: أنكنَّ لم تُصَوِّرْنَه بحقِّ صورتهِ ولو صوَّرْتُنَّه بما عايَنْتُنَّ لعذَرْتُنَّني في الافتتان به.

"الاستعصامُ": بناءُ مبالغةٍ يدلُّ على الامتناعِ البليغ والتحفُّظِ الشديدِ؛ كأنَّه في عصمةٍ وهو يجتهِدُ في الاستزادةِ منها، ونحوُه: "استَمْسَكَ" و"استَوْسَعَ الفَتْقُ" و"استَجْمَعَ الرأيُ" ....

﴿تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا﴾، ثمّ قالت: ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ﴾[1] إشارة إلى أنّها على تلك المراودة التي لاموها عليها.

قوله: (وربئًا بحاله)[2] ربأ بنفسه:[3] رفعها. وقوله: (**ويجوز أن يكون إشارةً**)... إلخ، فعلى هذا يكون ﴿فَذَٰلِكُنَّ﴾ خبر مبتدأ محذوف. والحاصل أنّ قوله: "ويجوز" عطف على قوله: (ولم تقُل)... إلخ، مِن حيث المعنى، ومعنى الوجه **الأوّل** أنّ ﴿ذَٰلِكُنَّ﴾ إشارة إلى يوسف، ولم[4] تقُل هذا مع حضور يوسف؛ بل قالت: ﴿فَذَٰلِكُنَّ﴾ رفعًا[5] لمنزلة[6] يوسف، ومعنى الوجه **الثاني** أنّ ﴿ذَٰلِكُنَّ﴾ إشارة إلى ما كانت في نفوسهنّ مِن العبد الكنعانيّ، فلذا لم تقُل: "هذا"؛ لأنّ الإشارة إلى البعيد[7] في الحقيقة. وقول المصنِّف: (هو) عائد إلى يوسف، وهو قائم مقام هذا في الحقيقة، فكأنّها قالت: هذا الحاضر ذلكنّ[8] الذي صوّرتُنّ في أنفسكنّ. وقوله: (ولو صوَّرتُنّه) أي: قبل. وقوله: (بما عاينتُنّ) أي: الآن. وقوله:[9] (لعذرتُنّني).[10] قال الشاعر:

---

[1] ر + ما آمره.
[2] ن: مجاله.
[3] ر: نفسه.
[4] ن ر: فلم.
[5] ن + عليه.
[6] ن ر: بمنزلة.
[7] ن ر: العبد.
[8] ر: ولكن.
[9] ن ر – (ولو صوّرتُنّه) أي: قبل. وقوله: (بما عاينتنّ) أي: الآن. وقوله.
[10] ر: لقد ريتني.

و"استَفحَلَ الخَطْبُ"، وهذا بيانٌ لِمَا كان مِن يوسف عليه السلام لا مَزِيدَ عليه، وبرهانٌ لا شيءَ أنورُ منه على أنّه بَريءٌ مما أضافَ إليه أهلُ الحشو مما فسَّروا به الهمَّ والبرهانَ.

فإن قلتَ: الضميرُ في ﴿ءَامُرُهُۥ﴾ راجعٌ إلى الموصول أم إلى يوسفَ عليه السلام؟

قلتُ: بل إلى الموصول، والمعنى: ما آمُرُ به، فحذف الجارُّ كما في قوله:

أمــــرتُــــك الــــخــــيــــرَ

ويجوز أن تُجعل ﴿مَا﴾ مصدريةً فيرجعُ إلى يوسفَ عليه السلام، ومعناه: ولئن لم يَفعلْ أمري إيَّاه؛ أي: مُوجَبَ أمري ومقتضاه.

قرئ ﴿وَلَيَكُونًا﴾ بالتشديد والتخفيف، والتخفيفُ أولى؛ لأن النون كُتبت في المصحف ألفًا على حُكم الوقف، وذلك لا يكون إلّا في الخَفِيفة.

عَــذلانــي عــلــى هــواه فــلــمّــا أبــصــرا حُــســن وجــهــه عــذرانــي[١]

قوله: (استفحل[٢] الخَطْب) أي: تفاقَم.

قوله: (لِما كان مِن يوسف)، يعني: مِن براءة يوسف وإنّما لم يبيّنه هنا؛ لأنّه دلَّ عليه قوله بعد ذلك: (أنّه بريء ممّا أضاف إليه)، و"كان" تامّة. وقوله: (لا مزيدَ) صفة (بيان).

قوله: (قلتُ: بل إلى الموصول) "بل" إضراب عن محذوف، والتقدير: لا يرجع إلى يوسف؛ بل إلى الموصول، وإنّما يرجع إلى الموصول؛ لأنّه لو عاد إلى يوسف بقيَ الموصول بلا عائد، أو نقول: يلزم حذف الجارّ[٣] والمجرور؛ لأنّ التقدير حينئذٍ (ما آمره به)، ويكون "به" محذوفًا.

قوله: (أمري إيّاه) فيكون المصدر مضافًا إلى الفاعل.

---

١ البيت لمخلّد الموصلي في المجموع اللفيف للطرابلسي، ص ٤٦٢؛ وهو بلا عزو في البديع في نقد الشعر لابن منقذ، ص ٢٤.

٢ ر: استعجل.

٣ ن: للجار.

﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٣﴾

وقرئ: ﴿السَّجْنُ﴾ بالفتح على المصدر.

وقال: ﴿يَدْعُونَنِي﴾ على إسناد الدعوة إليهنَّ جميعًا؛ لأنهنَّ تَنَصَّحْنَ له وزَيَّنَّ له مطاوَعَتَها، وقُلنَ له: "إيَّاك وإلقاءَ نفسِك في السِّجن والصَّغارِ"، فالتَجَأَ إلى ربِّه عند ذلك وقال: "ربِّ نزولُ السِّجن أحبُّ إليَّ من ركوب المعصيةِ".

فإن قلتَ: نزولُ السجن مَشَقَّةٌ على النفس شديدةٌ، وما دعَوْنَه إليه لذَّةٌ عظيمةٌ، فكيف كانت المَشَقَّةُ أحبُّ إليه من اللَّذة؟

قلتُ: كانت أحبَّ إليه وآثَرَ عنده نظرًا في حُسن الصبرِ على احتمالها لوجهِ الله، وفي قُبح المعصية، وفي عاقبةِ كلِّ واحدةٍ منهما، لا نظرًا في مشتهَى النفس ومَكْروهها.

﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ﴾ فزعٌ منه إلى ألطافِ الله وعصمته كعادةِ الأنبياء والصالحين فيما عَزَم عليه وَوَطَّن عليه نفسَه من الصبر، لا أن يَطلبَ منه الإجبارَ على التعفُّف والإلْجاءَ إليه.

قوله: (وقال) أي: يوسف. وقوله: (﴿يَدْعُونَنِي﴾) النون ضمير جماعة النساء، ووزنه "يفعلنَ". وقوله: (لأنهنّ تنصّحنَ) أي: تشبّهن له[1] بالنُّصحاء.

قوله تعالى:[2] (﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ﴾)... إلخ، عطف على جملة قوله: ﴿ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ﴾... إلخ، وإنّما عُطفت الجملة الفعليّة على الجملة الاسميّة؛ لأنّ المراد بالأوّل / الثبوت وبالثاني الحدوث؛ لأنّ أحبيّة[3] السجن ممّا يدعون كانت ثابتة [٢٢و] مستمرة، وأمّا الصرف فمطلوب حدوثه، فطلبه بالدعاء، وهذا قريب[4] ممّا ذكر[5] في قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ﴾ [الأعراف ١٩٣/٧]، وقوله تعالى: ﴿أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾ [الأنبياء ٥٥/٢١].

---

[1] ر – له.
[2] ن ر – تعالى.
[3] ن: أحبة.
[4] ن ر: أقرب.
[5] ن ر: ذكره.

﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾: أَمِلْ إليهن، والصَّبْوةُ: الميلُ إلى الهوى، ومنها: الصَّبَا؛ لأن النفوسَ تصبو إليها لطِيبِ نسيمِها ورَوْحها.

وقرئ: "أَصَبُّ إليهنَّ" من الصَّبَابة.

﴿مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾: من الذين لا يعملون بما يعلمون؛ لأن مَن لا جَدْوَى لعِلْمه فهو ومَن لا يعلمُ سواءٌ، أو: من السفهاء؛ لأن الحكيمَ لا يفعل القبيحَ.

وإنما ذكر الاستجابة ولم يتقدَّمِ الدعاءُ؛ لأن قوله: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي﴾ فيه معنى طلبِ الصَّرْف والدعاءِ باللُّطف.

﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾

﴿ٱلسَّمِيعُ﴾ لدعوات المُلْتجئين إليه ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بأحوالهم وما يُصلحهم.

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾﴾

﴿بَدَا لَهُم﴾ فاعلُه مضمَرٌ لدلالةِ ما يُفسِّره عليه وهو: ﴿لَيَسْجُنُنَّهُۥ﴾، والمعنى: بَدا لهم بَدَاءٌ؛ أي: ظهَر لهم رأيٌ ليَسجُنُنَّه، والضميرُ في ﴿لَهُم﴾ للعزيز وأهله.

قوله: (ومنها الصَّبا) أي: ريح الصَّبا.

قوله: (مِن الصَّبابة) «الصَّبابة:[١] رقَّة الشوق وحراراته. ورجل صبٌّ، أي: عاشق مشتاق. وقد صبِبت يا رجل بالكسر تَصَبّ».[٢]

قوله: (والدعاء باللطف) إشارة إلى ما ذَكَره مِن أنّه فزِعٌ[٣] منه إلى ألطاف الله تعالى.

قوله: (والمعنى: بدا لهم بَداءٌ) قال في الصحاح: «بدا له في هذا الأمر بداءٌ، ممدودًا، أي: نشأ له فيه رأي».[٤]

---

١ ن – الصَّبابة.

٢ ن: نصب. | الصحاح للجوهري، «صبب».

٣ ر: فرغ.

٤ الصحاح للجوهري، «بدا».

﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ وهي الشواهدُ على براءتهِ، وما كان ذلك إلا باستنزالِ المرأة لزوجها وفَتْلِها منه في الذِّرْوةِ والغارب، وكان مِطْواعَةً لها وجُمَيْلًا ذلولًا زِمامُه في يدها، حتّى أَنساه ذلك ما عايَنَ من الآيات، وعمل برأيها في سَجْنهِ وإلحاق الصَّغارِ به كما أَوْعدَتْه به، وذلك لمَّا أَيِسَتْ من طاعته لها، أو لطمَعِها في أن يُذلِّلَه السجنُ ويُسخِّرَه لها.

وفي قراءةِ الحسن: "لَتَسْجُنُنَّه" بالتاء على الخطاب، خاطبَ به بعضُهم العزيزَ ومَن يليه، ....

قوله: (﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾) هي الثلاث: قدّ القميص، وخَمْش الوجه، وشهادة الصبيّ.

قوله: (وفَتْلِها) الفتل في الذِّروة[١] والغارب[٢] مَثَل الغدر والخداع؛[٣] لأنّ رائض الصعبة[٤] إذا أراد رياضتها مَسَح سَنامها وذِروتها.[٥]

قوله: (وكان مطواعةً) "المطواعة" بناء مبالغة، والهاء على تأويل النفس والسلعة، كالهِلباجة للأحمق.[٦]

قوله: (وجُميلًا) تصغير جمل. وقوله: "جُميلًا" مناسب لقوله: (فَتْلها[٧] في الذِّروة[٨] والغارب).

قوله: (حتّى أنساه)[٩] غاية لـ"الاستنزال"[١٠] و"الفتل".[١١] وقوله: (وكان) إلى (يدها) جملة معترضة. وقوله: (ذلك) إشارة إلى الاستنزال والفتل، وهو فاعل "أنسى" و"ما" مفعوله.

---

[١] ن ر: الذرورة.

[٢] الغارب: ما بين السنام والعنق. الصحاح للجوهري، «غرب».

[٣] يعني قول العرب في المثل: «فَتَل في ذِروته». مجمع الأمثال للميداني، ٢/٦٩.

[٤] ن ر: الصبعة.

[٥] ن ر: ودورتها.

[٦] ر: الأحمق. انظر: الصحاح للجوهري، «هلبج».

[٧] ن ر: قبلها.

[٨] ن ر: الدرورة.

[٩] ر: أنشاه.

[١٠] ن ر: الاستنزال.

[١١] ر: والقتل.

أو العزيزَ وحده على وجه التعظيم.

﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾: إلى زمانٍ، كأنَّها اقترحَتْ أن يُسجَن زمانًا حتى تُبصِرَ ما يكون منه، وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه: "عتَّى حينٍ" وهي لغةُ هذيل.

وعن عمر رضي الله عنه: أنه سمع رجلًا يقرأ: "عتى حين" فقال: "مَن أقْرأك؟" فقال: "ابن مسعود"، فكتب إليه: "إن الله أنزلَ هذا القرآن فجَعله عربيًّا وأنزله بلغةِ قريش، فأَقْرئ الناسَ بلغةِ قريشٍ ولا تُقْرِئْهم بلغةِ هذيلٍ، والسلام".

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ وَقَالَ ٱلْـَٔاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٣٦﴾

"مع" يدلُّ على معنى الصُّحبة واستحداثِها، تقول: "خرجتُ مع الأميرِ" تُريد: مصاحبًا له، فيَجبُ أن يكون دخولهما السجنَ مصاحِبَيْن له.

﴿فَتَيَانِ﴾: عَبْدانِ للملك: خبَّازُه وشرابيُّه، رُقِيَ إليه أنهما يَسُمَّانه فأمَر بهما إلى السجن، فأُدخلا السجنَ ساعةَ أُدخل يوسفُ عليه السلام.

قوله:[1] (أو العزيزَ وحدَه) على وجه التعظيم، كقول القبط لفرعون: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [الأعراف ١١٠/٧]، في أحد القولين.

قوله: ("مع" يدلّ[2] على معنى الصحبة)... إلخ، في المعنى الذي ذكره بحث، فإنّه ينتقض بقوله تعالى: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ﴾ [النمل ٤٤/٢٧]، وقد صرَّح المصنِّف في بعض مواضع هذا الكتاب في معنى "مع" خلاف ما ذَكَره ههنا، ويمكن أن يكون المراد هنا أيضًا ما لا يُخالف ذلك.

قوله: (رُقّي[3] إليه) أي: بُلِّغ إليه مِن رَقيَ إليه الأمر، أي: بلغ. و"سمّه": سقاه السمّ. وسمّ الطعام: جعل فيه السمّ.

---

١ ر – قوله.

٢ ن: بدل.

٣ ن: رقى.

﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ﴾ يعني: في المنام، وهي حكايةُ حالٍ ماضيةٍ.

﴿أَعۡصِرُ خَمۡرٗا﴾ يعني: عنبًا؛ تسميةً للعنب بما يَؤُولُ إليه.

وقيل: الخمرُ بلغة عُمانَ اسمٌ للعنب، وفي قراءة ابن مسعود: "أَعْصرُ عنبًا".

﴿مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾: من الذين يُحسِنون عبارةَ الرؤيا؛ أي: يُجيدونها؛ رأَياه يَقُصُّ عليه بعضُ أهل السجن رؤياه فيُؤوِّلها له فقالا له ذلك.

أو: من العلماء؛ لأنهما سَمِعاه يَذكرُ للناسِ ما عَلِما به أنه عالم.

أو: من المحسنين إلى أهل السجن، فأحسِنْ إلينا بأَنْ تُفرِّجَ عنا الغمَّة بتأويلِ ما رأَيْنا إن كانت لك يدٌ في تأويل الرؤيا.

روي: أنه كان إذا مرضَ رجلٌ منهم قامَ عليه، وإذا أضاق أوسعَ له، وإذا احتاج جَمَع له.

قوله تعالى: (﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ﴾) يجوز الجمع بين ضميري الفاعل والمفعول في باب "رأيت".

قوله: (بلغة عمّان) عمّان بفتح العين وتشديد الميم بلد بالشام، وعُمَان بضمّ العين وتخفيف الميم بحر مُكران.

قوله: (مِن الذين يحسنون عبارةَ الرؤيا) يقال: فلان ما يُحسِن أن يُحسِن، أي: لا يعرف الإحسان.

قوله: (رأَياه) جملة مستأنفة. وقوله: (فقالا) عطف عليه.

قوله: (الغُمّة) الغُمّة: الكربة. ويقال: أمرٌ غُمّة، أي: مبهَم[1] مُلتبِس. وقوله: (إن كانت لك يد) أي: قدرة، يريد العلم بذلك، وهذا على التفسير الأخير للمحسنين.

قوله: (وإذا أضاق) يقال: أضاق الرجل، أي: ذَهَب ماله. وقوله: (جَمَع له) أي: جَمَع له المال ممّن في السجن.

---

[1] ن: منهم.

وعن قتادة: كان في السجن ناسٌ قد انقطع رجاؤهم وطال حزنُهم، فجعل يقول: "أَبْشِروا اصْبروا تُؤجرُوا إن لهذا لأجرًا"، فقالوا: "بارك الله عليك ما أحسنَ وجهك! وما أحسنَ خُلقك! لقد بُورك لنا في جوارك فمَن أنتَ يا فتى؟" قال: "أنا يوسفُ ابنُ صفيِّ الله يعقوبَ ابنِ ذبيح اللهِ إسحاق ابنِ خليل الله إبراهيمَ"، فقال له عاملُ السجن: "لو استطعتُ خلَّيتُ سبيلك، ولكنِّي أُحسِنُ جوارَك فكنْ في أيِّ بيوت السجن شئتَ".

وروي أن الفتيَيْن قالا له: "إنا لنُحِبُّك من حين رأيناك"، فقال: "أَنْشُدُكما بالله أن لا تُحبَّاني، فوالله ما أحبَّني أحدٌ قطُّ إلَّا دخل عليَّ من حبِّه بلاءٌ، لقد أحبَّتْني عمَّتي فدخل عليَّ من حبِّها بلاءٌ، ثم أَحبَّني أبي فدخل عليَّ من حبِّه بلاءٌ، ثم أحبَّتني زوجةُ صاحبي فدخل عليَّ من حبِّها بلاءٌ، فلا تُحبَّاني بارك الله فيكما".

قوله: (تؤجروا) بشريطة الإيمان، كقول إبراهيمَ لأبيه: ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ [الممتحنة ٤/٦٠]، وقوله: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ / رَبِّيٓ﴾ [مريم ٤٧/١٩]. [٢٢ظ]

قوله: (ولكنّي أُحسِن جوارك) مستدرَك مِن كلام محذوف تقديره: ولا أستطيع أن أُخلّيك فلا أخلّيك؛ ولكن أُحسِن جوارك.

قوله: (مِن حين رأيناك) يجوز في "حين" الفتح لإضافته إلى مبنيّ كقوله عليه السلام: «ما زالت أُكلة خيبر تعادّني، فهذا أوانَ قطعتْ أبهري».[1]

قوله: (عمّتي) أراد راعيل[2] واسمها زليخة. (فدخل عليّ) يريد[3] أنّه قرفَتْه حتّى اتّهم يوسف بالمِنطقة التي سرقته عمّته حين عقدَتْ[4] على وسطه، وقد يجيء بيانه في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ﴾ [يوسف ٧٧/١٢].

قوله: (بارك الله فيهما) قيل: "بارك الله فيك" دعاء بالخيبة، جاء سائل إلى باب رجل فسأل شيئًا، فخرج صبيّ فقال: "بارك الله فيك"، فقال: قبحًا لفمٍ[5] عُوِّد اللؤم.

---

[1] الحديث بلفظ قريب في سنن أبي داود، ٥٦٨/٦ (٤٥١٢).

[2] ن ر: واعيل.

[3] ر: يزيد.

[4] ن: قدمت.

[5] ن: للقوم.

وعن الشعبيّ: أنهما تحالَمَا له ليَمْتحِناه فقال الشرابيُّ: "إني أَراني في بستانٍ فإذا بأصْلِ حَبَلةٍ عليها ثلاثةُ عناقيدَ من عنبٍ، فقطفْتُها وعصرتُها في كأس الملك وسقيتُه"، وقال الخبَّاز: "إني أراني وفَوْقَ رأسي ثلاثُ سِلالٍ فيها أنواعُ الأطعمةِ وإذا سباعُ الطير تنهَسُ منها".

فإن قلتَ: إلامَ يَرجعُ الضمير في قوله: ﴿نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ﴾؟

قلتُ: إلى ما قصَّا عليه، والضميرُ يجري مجرَى اسم الإشارة في نحوه؛ كأنَّه قيل: "نبِّئنا بتأويل ذلك".

﴿قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٧﴾

لمَّا استعبَراه ووَصَفاه بالإحسان افتَرَص ذلك فوصَل به وَصْفَ نفسِه بما هو فوقَ عِلْم العلماء، وهو الإخبارُ بالغيب، وأنه يُنبِّئهما بما يُحمَل إليهما من الطعام في السجن قبل أن يأتِيَهما، ويَصفُه لهما ويقول: اليومَ يأتيكُما طعامٌ من صِفَته كيتَ وكيتَ، فيجدانِه كما أخبَرَهما، وجعل ذلك تخلُّصًا إلى أن يَذكر لهما التوحيدَ ويَعْرِضَ عليهما الإيمانَ ويُزيِّنَه لهما، ويُقبِّحَ إليْهما الشركَ بالله،

واعلم أنَّ هذه الحاشية لا وجهَ لها، وإنَّما قال السائل ما قال؛ لأنَّه فهم أنَّهم لا يعطونه شيئًا ولا يحسنون إليه؛ بل يريدون أن يصرفوه بهذا الكلام.

قوله: (فإذا بأصل حَبَلة) أي: فإذا أنا بأصل جَبَلة،[١] أي: ففاجات زمانًا[٢] أنا ملتبس فيه بأصل حبلة، والحَبَلة: الكرمة.

قوله: (لمَّا استعبراه) أي: طلبا منه التعبير، فإنَّ استفعل[٣] لطلب الفعل، وذلك الفعل يجوز أن يكون الثلاثي المجرَّد، ويجوز أن يكون مزيد الثلاثي، كقوله تعالى: ﴿وَإِنۡ أَرَدتُّمۡ أَن تَسۡتَرۡضِعُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ﴾ [البقرة ٢/٢٣٣]، أي: أن تطلبوا الإرضاع.

قوله: (افترص ذلك) أي: الاستعبار والوصف. وقوله: (فوصل به) أي: بوصفهم.

---

١ ن: حله.

٢ ن: زمانًا.

٣ ر: استغفل.

وهذه طريقةٌ على كلِّ ذي علمٍ أن يَسلُكها مع الجهَّال والفَسَقةِ إذا استفتاهُ واحدٌ منهـم: أن يقدِّم الهدايةَ والإرشادَ والموعظةَ والنَّصيحةَ أوَّلًا، ويَدعوَه إلى ما هو أولَى به وأوجبُ عليه مما استفتَى فيه، ثـم يُفتِيَه بعد ذلك.

وفيه: أن العالِمَ إذا جُهِلَتْ منزلتُه في العلم فوَصَف نفسَه بما هو بصدده وغرضُه أن يُقْتَبس منه ويُنتفَعَ به في الدِّين لـم يكن من باب التزكية.

﴿بِتَأْوِيلِهِۦ﴾: ببيانِ ماهِيّته وكيفيَّته؛ لأنّ ذلك يُشبهُ تفسيرَ المشكِلِ والإعرابَ عن معناه.

﴿ذَٰلِكُمَا﴾: إشارةٌ لهما إلى التأويل؛ أي: ذلك التأويلُ والإخبارُ بالمغيَّبات ﴿مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ وأوحَى به إليَّ، ولم أَقُلْه عن تكهُّنٍ وتنجُّم.

قوله: (أن يسلكها) مبتدأ خبره (على كلّ ذي علم)، أو التقدير ثبت ووجب على كلّ ذي علم سلوكها.

قوله: (إذا استفتاه) ظرف لقوله: "يسلكها"، أو للفعل المقدَّر وهو "ثبت" أو "وجب". وقوله: (أن يُقدِّم) خبر مبتدأ محذوف، أي: هي أن يُقدِم، أو بدل مِن قوله: (هذه)، أو مِن "أن يسلكها".

قوله: (وفيه) أي: في كلام يوسف، هذا بيان (أنّ العالِم).

قوله: (فوصف نفسَه) عطف على قوله: (جُهِلت). وقوله: (وغرضُه)... إلخ، حال مِن الضمير في "وصف". وقوله: (لم يكن) أي: لم يكن وصف نفسه. والصواب أن نقول هذه إشارة إلى مبهَم وأن يُقدَّم بيانه، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ [الحجر ٦٦/١٥].

قوله: (﴿بِتَأْوِيلِهِۦ﴾) أي: بتأويل الطعام. وقوله: (لأنّ) متعلِّق بمحذوف، أي: إنّما سُمِّي بيان ماهيّته وكيفيّته تأويلًا؛ لأنّ ذلك يُشبِه.[1] وتحقيقه أن نقول: الطعام قبل إتيانه أمر مبهَم، فإذا بيَّن أنّه كذا وكذا فقد فسَّر. وقوله: (والإعرابَ) أي: البيان والإيضاح.

---

[1] ر: نسبه.

﴿إِنِّي تَرَكْتُ﴾ يجوز أن يكون كلامًا مبتدأً، وأن يكون تعليلًا لِمَا قبله؛ أي: "علَّمَني ذلك وأوحَى إليَّ لأنِّي رفَضْتُ مِلَّةَ أولئك واتَّبعتُ ملَّة الأنبياء المذكورين، وهي الملَّةُ الحنيفيَّةُ".

وأراد بأولئك الذين لا يؤمنون: أهلَ مصر ومَن كان الفَتَيانِ على دينهم، وتكريرُ ﴿هم﴾ للدلالة على أنهم خصوصًا كافرون بالآخرةِ، وأنَّ غيرَهم كانوا قومًا مؤمنين بها، وهم الذين على ملَّة إبراهيم، ولتوكيدِ كفرهم بالجزاء تنبيهًا على ما هم عليه من الظلم والكبائر التي لا يرتكبُها إلَّا مَن هو كافرٌ بدار الجزاء.

ويجوز أن يكون فيه تعريضٌ بما مُنِيَ به من جهتهم حين أودَعوه السجنَ بعد ما رأوا الآيات الشاهدةَ على براءته، وأنّ ذلك مما لا يُقْدِم عليه إلَّا مَن هو شديدُ الكفر بالجزاء.

﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾﴾

ذَكَرَ آباءَهُ ليُريَهما أنه من بيت النبوَّة بعد أن عرَّفهما أنه نبيٌّ يوحَى إليه بما ذَكَر من إخبارِه بالغيوب ليُقوِّيَ رَغْبَتَهما في الاستماع إليه واتِّباعِ قوله.

﴿مَا كَانَ لَنَآ﴾: ما صحَّ لنا معشرَ الأنبياء ﴿أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ﴾ أيَّ شيءٍ كان مِن مَلَكٍ أو جنيٍّ أو إنسيٍّ فضلًا أن نُشرك به صنمًا لا يَسمعُ ولا يُبصِر.

قوله: (وتكرير ﴿هُمْ﴾) أي: كلمة ﴿هُمْ﴾.

قوله: (بالجزاء) كفرهم بالجزاء معنى كفرهم بالآخرة. وقوله: (تنبيهًا)، يعني: أكّد كفرهم بالجزاء للتنبيه.[1]

قوله: (بما مُني) أي: ابتُلِيَ.

قوله: (وأنّ ذلك) أي: وبأنّ[2] ذلك.

قوله: (معشر الأنبياء) نصب على الاختصاص والمدح.

---

[1] ن ر: التنبيه.

[2] ن: وبيان.

ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ﴾ التوحيدُ ﴿مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ﴾؛ أي: على الرسل وعلى المرسَل إليهم؛ لأنّهم نبَّهوهم عليه وأرْشدوهم إليه.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ المبعوثِ إليهم ﴿لَا يَشۡكُرُونَ﴾ فضلَ الله فيُشرِكون ولا يتنبَّهون.

وقيل: إنّ ذلك من فضل الله علينا؛ لأنه نصَبَ لنا الأدلّةَ التي ننظرُ فيها ونستدلُّ بها، وقد نَصبَ مثلَ تلك الأدلّةِ لسائر الناس من غير تفاوُتٍ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ لا ينظرون ولا يستدلُّون اتِّباعًا لأهوائهم فيبقَوْن كافرين غيرَ شاكرين.

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩﴾

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ﴾ يريد: يا صاحبيَّ في السجن، فأضافهما إلى السجن كما تقول: "يا سارقَ الليلةِ" فكما أن الليلةَ مسروقٌ فيها غيرُ مسروقةٍ فكذلك السجنُ مصحوبٌ فيه غيرُ مصحوبٍ، وإنما المصحوبُ غيرُه وهو يوسفُ عليه السلام، ونحوُه قولُك لصاحبيك: ....

قوله: (أي: على الرسل) فسَّر قوله: ﴿عَلَيۡنَا﴾ بقوله: "على الرسل"،[1] كما فسَّر قوله: / (﴿لَنَا﴾) بقوله: (معشرَ الأنبياء). [٢٣و]

قوله: (وعلى المرسَل إليهم) ليس في "المرسَل" ضمير.

قوله: (لأنّهم) متعلِّق بقوله: "على المرسَل إليهم" تعليل له، فإنّ كون ذلك فضلًا على الرسل ظاهر، وأمّا كونه فضلًا على المرسَل إليهم؛ فلأنّهم نبَّهوهم. وقوله: (وقيل: إنّ ذلك) أي: التوحيد.

قوله: (تلك الأدلّة) فتكون فضلًا عليهم أيضًا.

قوله: (كما تقول: يا سارقَ الليلة)،[2] أي: يا سارقَ الأشياء في الليلة.

---

[1] ن ر – فسّر قوله: ﴿عَلَيۡنَا﴾ بقوله: "على الرسل".

[2] إشارة إلى قول الشاعر:
يـا ســارقَ الـلـيـلـةِ أهـلَ الـدارِ
ومضى تخريجه وتعليق المصنِّف على ما وقع فيه مِن التوسُّع في استعمال الظرف في تفسير سورة الفاتحة، ١/٤.

"يا صاحبي الصِّدق" فتُضيفُهما إلى الصدق ولا تريد أنهما صحِبَا الصدقَ؛ ولكنْ كما تقول: "رجلا صدْقٍ" وسمَّيتَهما صاحبَيْن؛ لأنهما صَحِبَاك.

ويجوز أن يريد: يا ساكِنَي السجنِ؛ كقوله: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة ٣٩/٢] و﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف ٤٤/٧].

﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ﴾ يريد التفرُّقَ في العدد والتكاثُرَ، يقول: أأنْ تكون لكما أربابٌ شتَّى يَستَعْبِدُكما هذا ويستعبدُكما هذا ﴿خَيْرٌ﴾ لكما ﴿أَمِ﴾ أن يكون لكما ربٌّ واحدٌ قهَّارٌ لا يُغالَبُ ولا يُشارَكُ في الربوبيَّةِ؛ بل هو ﴿ٱلْقَهَّارُ﴾ الغالبُ، وهذا مَثَلٌ ضربَه لعبادةِ الله وحدَه ولعبادة الأصنام.

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ خطابٌ لهما ولمَن على دينهما من أهل مصر.

﴿إِلَّآ أَسْمَآءً﴾ يعني: أنَّكم سمَّيتُم ما لا يستحقُّ الإلهيَّة آلهةً ثم طفِقْتُم تعبدونها، فكأنكم لا تعبدون إلَّا أسماءً فارغةً لا مُسمَّيات تحتها.

ومعنى ﴿سَمَّيْتُمُوهَا﴾: سمَّيتُم بها، يقال: سمَّيتُه بزيدٍ وسمَّيتُه زيدًا.

قوله: (يا صاحبَي الصدق) والحاصل أنّك سمّيتهما صاحبين؛[١] لأنّهما صحباك وأضفتهما إلى الصدق، كما في (رجلُ صدق) و"فتيانُ صدق"،[٢] وكذا في الآية سمّاهما[٣] صاحبين؛ لأنّهما صحِباه، وأضافهما إلى السجن؛ لأنّ مصاحبتهم في السجن.

قوله: (لا مسمَّيات) نفي جنس هي، مبنيّ على ما يُنصب به، أي: على الكسر، وعند الأخفش مبنيّ على الفتح. وقوله: (سمَّيتم بها)، يعني: لا يُقدَّر لتسمِّيتهم[٤] مفعول آخر بغير الواسطة.

---

١ ن ر: صاحبان.
٢ ن – صدق.
٣ ن ر: سماها.
٤ د: لسمّيتهم؛ ن: لسمتهم.

﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا﴾؛ أي: بتسميتها ﴿مِن سُلۡطَٰنٍۚ﴾: من حُجَّةٍ ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ﴾ في أمر العبادة والدِّين ﴿إِلَّا لِلَّهِ﴾.

ثم بيَّن ما حَكَمَ به فقال: ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾: الثابتُ الذي دلَّت عليه البراهين.

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ٤١﴾

﴿أَمَّآ أَحَدُكُمَا﴾ يريد الشرابيَّ ﴿فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ﴾: سيِّدَه، وقرأ عِكْرِمةُ: "فيُسقَى رِيَّهُ" -أي: يُسقَى ما يَروَى به- على البناء للمفعول.

رُوِي أنه قال للأوَّل: ما رأيتَ من الكَرْمةِ وحُسنِها هو الملِكُ، وهو حُسنُ حالك عنده، وأمَّا القُضْبَانُ الثلاثةُ فإنها ثلاثةُ أيام تمضي في السجن ثم تخرجُ وتعود إلى ما كنتَ عليه، وقال للثاني: ما رأيتَ من السِّلال ثلاثةُ أيام ثم تُخرج فتُقتل.

﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾: قُطِع وتَمَّ ما ﴿تَسۡتَفۡتِيَانِ﴾ فيه من أمركما وشأنِكُما.

فإن قلتَ: ما استفتَيَا في أمرٍ واحدٍ؛ بل في أمرين مختلفين، فما وجهُ التوحيد؟

قلتُ: المراد بالأمر: ما اتُّهِما به من سَمِّ الملك وما سُجِنَا من أجله، فظنَّا أن ما رأياه في معنَى ما نزل بهما، فكأنَّهما كانا يستفتيانه في الأمر الذي نزل بهما:

قوله: (أي: يُسقى ما يَروى) رَوِي يَروى رَيًّا.

قوله: (رُوي أنّه قال للأوّل)... إلخ، الرُّؤيا على رِجلِ طائر، فإذا عُبِّرت[1] سقطَت، فلا تقصَّها إلّا على وادٍّ أو عالمٍ.

قوله: (وما سُجِنا مِن أجله) هو ما اتُّهما به، وكذا الأمر الذي نزل بهما. وقوله: (وظنّا) ليس عطفًا على (اتُّهما) و"سُجنا"؛ بل[2] هو متعلِّق بمجموع قوله: (المراد)... إلخ. وقوله: (في معنى ما نزل بهما) أي: في حقّه وشأنه.

---

[1] ن ر: أعبرت.

[2] ن: بلى.

أعاقبتُهُ نجاةٌ أم هلاكٌ؟ فقال لهما: ﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ﴾؛ أي: ما يَجرُّ إليه من العاقبة وهي هلاكُ أحدهما ونجاةُ الآخر.

وقيل: جحدا وقالا: ما رأينا شيئًا، على ما رُوي أنهما تحالَمَا له، فأخبرهما أن ذلك كائنٌ صدقتُما أو كذبتُما.

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ۝٤٢﴾

﴿ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ﴾ الظانُّ هو يوسف عليه السلام إن كان تأويلُه بطريقةِ الاجتهاد، وإن كان بطريق الوحي فالظانُّ هو الشرابيُّ، أو يكون الظنُّ بمعنى اليقين.

﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾: صِفْني عند الملِك بصفتي وقُصَّ عليه قِصَّتي، لعلَّه يَرحَمُني وينتاشُني من هذه الورطة.

﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾: فأنسى الشرابيَّ ﴿ذِكۡرَ رَبِّهِۦ﴾: أن يذكره لربِّه.

وقيل: فأنسى يوسفَ ذكرَ الله حين وكَلَ أمرَه إلى غيره.

قوله: (أي: ما يجرّ إليه)، يعني أنّ معنى قوله: ﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾: قضي[1] ما يجرُّ الأمر إليه، ثـمّ بيّن ما بقوله: (مِن العاقبة)،[2] فكأنّه قيل: قضي عاقبة الأمر الذي فيه تستفتيان فيه، فالضمير مِن "يجرّ" يعود إلى[3] ﴿ٱلۡأَمۡرُ﴾، ومِن "إليه" إلى "ما".

قوله: (أو يكون) فيه حذف، أي: الظانّ يوسف؛ ولكنّ الظنّ بمعنى اليقين.

قوله: (وينتاشني) أي: يُخلِّصني ويُصلحني مِن هذه الورطة. والتناوش:[4] التناول. والورطة: استُعيرت للبليّة الهائلة، وهي في الأصل الهوّة الغامضة. وقوله تعالى:[5] (﴿ذِكۡرَ رَبِّهِۦ﴾) اعلـم أنّ الإضافة في ﴿ذِكۡرَ رَبِّهِۦ﴾ على الوجه الأوّل مثلُها في ﴿صَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ﴾ على الوجه الأوّل وفي "سارق الليلةِ".

---

١ ن ر – ﴿ٱلۡأَمۡرُ﴾ قضي.
٢ ن ر: العافية.
٣ ن: على.
٤ ر: والتناومن.
٥ ن ر – تعالى.

﴿بِضۡعَ سِنِينَ﴾ البضعُ: ما بين الثلاث إلى التِّسع، وأكثرُ الأقاويل على أنه لبثَ فيه سبعَ سنين.

فإن قلتَ: كيف يقدر الشيطانُ على الإنساء؟

قلتُ: يوسوِسُ إلى العبد بما يشغَلُه عن الشيء من أسبابِ النسيان حتى يَذهبَ عنه ويَزِلَّ عن قلبه ذكرُه، وأمَّا الإنساءُ ابتداءً فلا يقدرُ عليه إلّا اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا﴾ [البقرة ٢/١٠٦].

فإن قلتَ: ما وجهُ إضافة الذِّكر إلى ربِّه إذا أريد به الملِكُ، وما هي بإضافةِ المصدر إلى الفاعل ولا إلى المفعول؟

قلتُ: قد لابَسَه في قولك: فأنساه الشيطان ذكرَه لربِّه، أو: عند ربه، فجازت إضافتُه إليه؛ لأن الإضافة تكون بأدنى ملابَسة، أو على تقدير: فأنساه الشيطان ذكرَ إخبارِ ربِّه، فحُذف المضاف الذي هو الإخبار.

فإن قلتَ: لِمَ أُنكِرَ على يوسفَ عليه السلام الاستعانةُ بغير الله في كشفِ ما كان فيه وقد قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ﴾ [المائدة ٥/٢]،

قوله تعالى:[١] (﴿أَوۡ نُنسِهَا﴾ [البقرة ٢/١٠٦]) أي: عن القلوب بأن يمحوَها عنها.

قوله: (**ولا إلى المفعول**)؛ لأنّ فاعله هو الشرابيّ، ومفعوله هو يوسف.

قوله: (**قلتُ: قد لابَسه**) أي: لابَس الذكرُ الربَّ.

قوله: (ذِكرَ إخبارِ ربّه) فعلى هذا يكون مضافًا إلى المفعول؛[٢] لكن بحذف المضاف وهو الإخبار.

قوله: (**فإن قلتَ: لِمَ[٣] أُنكِر**) هذا الإنكار إنّما[٤] يكون ظاهرًا إذا فسّر قوله تعالى: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ بقولنا: فأنسى[٥] يوسفَ ذِكرَ الله تعالى.

---

[١] ن ر – تعالى.

[٢] ن ر – لأنّ فاعله هو الشرابيّ ومفعوله هو يوسف. قوله: (قلتُ: قد لابَسه) أي: لابَس الذكرُ الربَّ. قوله: (ذِكرَ إخبارِ ربّه) فعلى هذا يكون مضافًا إلى المفعول.

[٣] ن ر – لم.

[٤] ر: إما.

[٥] ر: فالشي.

وقال حكايةً عن عيسى عليه السلام: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [آل عمران ٥٢/٣]، وفي الحديث: «اللهُ في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه المسلم، مَن فرَّجَ عن مؤمنٍ كُربةً من كُرَبِ الدنيا فرَّج الله عنه كُربةً من كُرَبِ الآخرة»[1].

وعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأخذه النومُ ليلةً من الليالي، وكان يطلب مَن يحرسُه، حتى جاء سعدٌ فسمعتُ غطِيطَه.

وهل ذلك إلّا مثلُ التداوي بالأدوية والتقوّي بالأشربة والأطعمة.

وإن كان ذلك الإنكارُ؛ لأنّ الملِك كان كافرًا فلا خلافَ في جواز أن يُستعان بالكفار في دفع الظلم والغَرَق والحَرَق ونحوِ ذلك من المضارّ؟

قلتُ: كما اصطفَى الله الأنبياء على خليقته فقد اصطفى لهم أحسنَ الأمور وأفضلَها وأَوْلاها، والأحسنُ والأولى بالنبيّ أنْ لا يَكِلَ أمرَهُ إذا ابتُلي ببلاءٍ إلّا إلى ربِّه، ولا يَعتضِدَ إلّا به، خصوصًا إذا كان المعتضَدُ به كافرًا؛ لئلا يَشمَتَ به الكفّارُ ويقولوا: لو كان هذا على الحقّ وكان له ربٌّ يُغيثُه لَمَا استغاثَ بنا.

وعن الحسن: أنه كان يبكي إذا قرأها ويقول: "نحن إذا نزل بنا أمرٌ فزِعْنا إلى الناس".

قوله: («غطيطَه»)[1] الغطيط صوت نخير النائم، يريد: لمّا جاء سعد أمِن النبيّ عليه السلام[2] ونام.

قوله: (وإن كان) جوابُ سؤال. وقوله: (ذلك) أي: إنكار استعانة يوسف بالمَلِك. وقوله: (لأنّ الملك كان كافرًا) خبر "كان".[3] نصّ أبو إسحاق الثعلبي أنّ المَلِك كان آمن بيوسف عليه السلام.[4] اعلم أنّ / المصنِّف روى أيضًا هذا [٢٣ظ] عن مجاهد؛[5] لكن ينبغي أن تعلم أنّ ذلك كان بعد هذه الحالة كما سيجيء.

---

[1] من حديث في صحيح البخاري، ٨٣/٩ (٧٢٣١)؛ وصحيح مسلم، ١٨٧٥/٤ (٢٤١٠).

[2] ن ر – عليه السلام.

[3] ن ر – خبر "كان".

[4] انظر: الكشف والبيان للثعلبي، ٥٨/١٥ (يوسف، ٥٦/١٢)

[5] سيأتي ذلك في تفسير الآية ٥٥ من هذه السورة.

لمَّا دنا فَرَجُ يوسفَ رأى ملكُ مصرَ الريَّانُ بن الوليد رُؤيَا عجيبةً هَالَتْهُ؛ رَأى سبع بقراتٍ سمانٍ خرَجْنَ من نهرٍ يابس، وسبعَ بقراتٍ عجافٍ، فابتلعتِ العجافُ السِّمانَ، ورأى سبعِ سنبلاتٍ خُضرٍ قد انْعَقدَ حَبُّها وسبعًا أُخَرَ يابساتٍ قد استحصدَتْ وأدركتْ فالْتَوَتِ اليابساتُ على الخُضر حتى غَلَبْنَ عليها، فاستَعْبَرها فلم يجدْ في قومه مَن يُحسِنُ عِبَارتَها.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٞ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ۝٤٣﴾

﴿سِمَانٖ﴾: جمعُ سَمينٍ وسمينةٍ، وكذلك: رجالٌ كرامٌ ونسوةٌ كرامٌ.

فإن قلتَ: هل مِن فرقٍ بين إيقاع ﴿سِمَانٖ﴾ صفةً للمميّز وهو ﴿بَقَرَٰتٖ﴾ دون المميَّز وهو ﴿سَبْعَ﴾ وأن يقال: سبعَ بقراتٍ سمانًا؟

قلتُ: إذا أوقَعْتَها صفةً لـ﴿بَقَرَٰتٖ﴾ فقد قَصَدْت إلى أن تميّز السبعَ بنوعٍ من البقرات -وهي السِّمانُ منهن- لا بجنسهنَّ، ولو وصفتَ بها السبعَ لقصَدْتَ إلى تمييز السبع بجنسِ البقرات لا بنوعٍ منها ثم رجعتَ فوصفتَ المميَّزَ بالجنس بالسِّمَن.

فإن قلتَ: هلَّا قيل: "سبعُ عجافٍ" على الإضافة؟

قوله: (هالته) هاله الشيء يهوله هولًا: أفزعه. ومكان مَهيل: مَخوف.[١]

قولـه: (قـد استحصدت) حـان أن تُحصَـد، كقولهـم: استجزّ النبت،[٢] أي: حـان أن يُجـزّ.

قولـه: (يُحسِـن عبارتهـا) أي: يعلـم. قـال عليّ رضـي الله عنـه:[٣] «قيمـة كلّ امـرئ مـا يُحسِـنه».[٤]

قوله: (**فإن قلتَ**:[٥] **هلّا قيل**: "سبعُ عجافٍ")[٦] وجهُ السؤال أنّه أضيفَ السبع

---

[١] ر: محون.

[٢] ر: البيت.

[٣] د – رضي الله عنه.

[٤] انظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ١٨/٢٣٠؛ والبصائر والذخائر للتوحيدي، ٧/١٤١.

[٥] ر: فعلت.

[٦] ر: عجان.

قلتُ: التمييز موضوعٌ لبيان الجنس، والعجافُ وصفٌ لا يقعُ البيانُ به وحده.

فإن قلتَ: فقد يقولون: ثلاثةُ فُرسانٍ وخمسةُ أصحابٍ.

قلتُ: الفارسُ والصاحبُ والراكب ونحوُها: صفاتٌ جرَتْ مَجرى الأسماء فأخذتْ حُكْمها وجاز فيها ما لم يَجُزْ في غيرها، ألَا تراكَ لا تقول: "عندي ثلاثةُ ضِخامٍ وأربعةُ غلاظٍ".

فإن قلتَ: ذاك مما يُشكِلُ، وما نحن بسبيله لا إشكالَ فيه، ألا ترى أنه لم يَقل: "وبقراتٌ سبعٌ عجافٌ"؛ لوقوع العلم بأن المراد البقراتُ؟

قلتُ: تركُ الأصل لا يجوز مع وقوع الاستغناء عمَّا ليس بأصلٍ، وقد وقع الاستغناءُ بقولك: ﴿سَبْعٌ عِجَافٌ﴾ عما تقترحُه من التمييز بالوصف.

في الأوّل إلى مميّزه، فلِمَ لم يُضف في الثاني أيضًا؟ فأجاب بأنّ البقرات تصلح للتمييز فأضيفَ إليها السبع، وأمّا العِجاف فلا تصلح للتمييز فلم يُضَف إليها؛ بل جُعلت صفة للسبع.

قوله: (قلتُ: التمييز موضوع لبيان[1] الجنس) أي: الحقيقة. وقوله: (لا يقع البيان به وحدَه)؛ لأنّ الوصف لا يدلُّ على الحقيقة، إنّما يدلّ على شيء ما متّصف بالوصف.

قوله: (ألا تراك لا تقول)... إلخ،[2] الضِّخام والغِلاظ باقيان على معنى الصفة لم يجريا مجرى الأسماء، فلا يصيران تمييزًا، فلا يُضاف إليهما.

قوله: (فإن قلتَ: ذاك) إشارة إلى قوله: (ثلاثةُ ضخام).

قوله: (قلتُ: تركُ الأصل) الأصل ألّا يقع الوصف تمييزًا للعدد، فلا يجوز تركُ هذا الأصل بأن يضاف إلى الوصف مع الاستغناء عن هذه الإضافة التي هي خلاف الأصل، فإنّه قد استُغنيَ عن إيقاع الوصف تمييزًا بأن[3] يُؤتى بالصفة بعد الموصوف ويقال: "سبعٌ عجافٌ" الأصل هو جمع الموصوف والصفة،

---

[1] ن ر: للبيان.
[2] ن + لأن.
[3] ر: ثان.

والعَجَفُ: الهُزال الذي ليس بعده.

والسبب في وقوع ﴿عِجَافٌ﴾ جمعًا لعجفاءَ وأفعلُ وفعلاءُ لا يُجمعان على فِعال: حَمْلُه على ﴿سِمَانٍ﴾؛ لأنه نقيضُه، ومِن دَأْبِهم حملُ النظير على النظيرِ والنقيضِ على النقيض.

فإن قلتَ: هل في الآية دليلٌ على أن السنبلات اليابسةَ كانت سبعًا كالخضر؟

قلتُ: الكلام مبنيٌّ على انصبابه إلى هذا العدد في البقرات السِّمان والعِجاف والسنابل الخضر، فوجَبَ أن يتناول معنى الأُخَرِ السبعَ، ويكون قوله: ﴿وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ﴾ بمعنى: وسبعًا أُخَرَ.

فإن قلتَ: هل يجوز أن يُعطف قولُه ﴿وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ﴾ على ﴿سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ﴾ فيكونَ مجرور المحلّ؟

قلتُ: يؤدِّي إلى تدافعٍ، وهو أن عطفَها على ﴿سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ﴾ يقتضي أن تدخل في حُكمها فتكونَ معها مميِّزًا للسبع المذكورة، ولفظ الأُخَر يقتضي أن تكون غيرَ السبع.

بيانه: أنك تقول: "عنده سبعةُ رجالٍ قيامٍ وقعودٍ" بالجرّ، فيصحُّ؛ لأنك ميَّزتَ السبعةَ برجال موصوفين بالقيام والقعود على أن بعضهم قيامٌ وبعضَهم قعود، فلو قلتَ: "عنده سبعةُ رجال قيامٍ وآخرين قعود" تدافعَ ففسد.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ﴾ كأنَّه أراد الأعيانَ من العلماء والحكماء.

والللام في قوله ﴿لِلرُّءْيَا﴾ إما أن تكون للبيان كقوله: ....

كقولك: "سبعٌ عجافٌ"، ولا يجوز تركه إلى قولك: "سبعُ عجافٍ"؛ لأنّ فيه تَرْك الأصل مع الاستغناء.

قوله: (والعَجَف: الهُزال الذي ليس بعده) أي: ليس هزالٌ بعده.

قوله: (على النقيض) كقولهم في مصدر "غار": "غئورًا" حملًا على نظيره وهو "دخل دخولًا"، وعلى نقيضه وهو "خَرَج خروجًا".

قوله: (كأنّه أراد) وإنّما قال ذلك؛ لأنّ الملأ أشراف القوم. وقوله: (للبيان)

﴿وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ [يوسف ٢٠/١٢]، وإمّا أنْ تدخلَ؛ لأن العامل إذا تقدَّم عليه معمولُه لم يكن في قوّته على العمل فيه مثلَه إذا تأخَّر عنه، فعُضِدَ بها كما يُعْضَدُ بها اسمُ الفاعل إذا قلتَ: "هو عابرٌ للرُّؤيا" لانحطاطه عن الفعل في القوّة.

ويجوز أن يكون ﴿لِلرُّءۡيَا﴾ خبرَ "كان"؛ كما تقول: كان فلانٌ لهذا الأمر، إذا كان مستقلًّا به متمكّنًا منه، و﴿تَعۡبُرُونَ﴾ خبرٌ آخرُ أو حالٌ، وأن يُضمَّنَ ﴿تَعۡبُرُونَ﴾ معنى فعلٍ يتعدّى باللام؛ كأنه قيل: إن كنتُم تَنتَدِبون لعبارة الرُّؤيا.

وحقيقةُ "عَبَرْتُ الرُّؤيا": ذكرتُ عاقبتَها وآخِرَ أمرها؛ كما تقول: "عَبَرْتُ النهرَ": إذا قطَعْتَه حتى تبلغَ آخرَ عَرْضِهِ وهو عُبْرُه، ونحوُه: "أوَّلْتُ الرُّؤيا": إذا ذكرتَ مَآلَها وهو مرجعُها.

كأنّه قيل: لأيّ شيء كان يكون تعبيرهم؟ فقيل: "للرؤيا"، كما قال: ﴿فِيهِ﴾ ليس مِن صلة ﴿ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ [يوسف ٢٠/١٢]، وإنّما هو بيان، كأنّه قيل: في أيِّ شيء زهدوا؟ فقال: زهدوا فيه.[١]

قوله: (إمّا[٢] أن تدخل) أي: اللام.

قوله: (فعُضِد بها) أي: باللام.

قوله: (كما تقول: كان فلان لهذا الأمر)[٣] إذا كان مستقلًّا به متمكّنًا منه، ومثلُه قول الشاعر في مدح النبيّ عليه السلام:[٤]

أنــت لـهـا أحـمـدُ مِــن بـيـن الـبَـشَـرْ[٥]

والضمير في "لها" للنبوّة.

قوله: (تنتدِبون) ندبتُه فانتدب، أي: دعوتُه فأجاب، ويُعدّى باللام.

قوله: (وهو عُبرُه) عُبر النهر وعِبْرُه:[٦] شطُّه[٧] وجانبه.

---

[١] ذكره الزمخشري في تفسير الآية ٢٠ من هذه السورة.
[٢] ن: وإما.
[٣] ر: الأم.
[٤] ن ر: صلّى الله عليه وسلّم.
[٥] ما وقفتُ عليه فيما بين يديّ من المظانّ.
[٦] ر: وغبره.
[٧] ن: شطره.

و"عَبَرْتُ الرُّؤيا" بالتخفيف هو الذي اعتمده الأَثْباتُ المحقِّقون، ورأيتُهم يُنكِرون عبَّرت -بالتشديد- والتعبيرَ والمعبِّرَ، وقد عثرتُ على بيت أنشده المبرِّد في كتاب الكامل لبعض الأعراب:

رأيــــتُ رؤيـــا ثــم عـبَّـرتـهـا   وكـــنـــتُ لـــلأحـــلام عَـبَّـــارا

﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ٤٤﴾

﴿أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖ﴾: تخاليطُها وأباطيلُها، وما يكون منها من حديث نفسٍ أو وسوسةِ شيطانٍ، وأصلُ الأضغاث: ....

قوله: (اعتمده الأثبات) يقال: فلان ثَبت مِن الإثبات، أي: حُجَّة مِن الحُجَج[1] إذا كان ثقةً. قال المطرّزي في المغرب: الثبوت والثبات كلاهما مصدر ثَبت، أي: دام. والثَّبت بفتحتين بمعنى الحُجّة اسم منه، ومنه. قوله: جاء الثَّبت أنّ رسول الله عليه السلام[2] لم يُحرِق رَحْل[3] رجل.[4] وقولهم: فلان ثَبت مِن الإثبات / مجاز[5] منه، كقولهم: فلان حُجّة إذا كان ثقة في روايته. [٢٤و]

قوله: (وقد عثرتُ) ردٌّ على المنكِرين.

قوله: (رأيتُ رؤيا) البيت،[6] الاستشهاد بالبيت[7] في قوله: (عبَّرتُها) بالتشديد لا في (عبّارا)، وإن كان بتشديد الباء؛ لأنّه مِن عَبَر الرؤيا بالتخفيف عِبارة.

قوله:[8] (تخاليطُها) التخليط في الأمر: الإفساد فيه.

قوله: (مِن حديث نفس) قال ابن سيرين: الرؤيا ثلاثة: حديث النفس، وتخويف الشيطان، وبُشرى مِن الله تعالى.[9]

---

١ ر: الحج.
٢ ن ر: صلّى الله عليه وسلّم.
٣ ن – رَحْل؛ ر: رجل.
٤ ر: رجِل.
٥ ر: فجاز.
٦ ما عرفت قائله. وهو بلا عزو في الكامل للمبرّد، ٢/٥٦٣؛ والإبانة للصحاري العوتبي، ٣/١٥٤.
٧ ن ر: في البيت.
٨ ن – قوله.
٩ ما وقفت عليه فيما بين يديّ من المظانّ.

ما جُمع من أخلاط النبات وحُزم، الواحدُ: ضِغْثٌ، فاستُعيرت لذلك، والإضافة بمعنى "مِن"؛ أي: أضغاثٌ من أحلام، والمعنى: هي أضغاثُ أحلامٍ.

فإن قلتَ: ما هو إلّا حُلُمٌ واحدٌ، فلمَ قالوا: ﴿أَضْغَٰثُ﴾ فجمَعوا؟

قلتُ: هو كما تقول: "فلانٌ يركب الخيل ويلبس عمائمَ الخزِّ" لمن لا يركبُ إلّا فرسًا واحدًا وما له إلّا عمامةٌ فَرْدةٌ، تزيُّدًا في الوصف، فهؤلاء أيضًا تزيَّدوا في وصف الحُلم بالبطلان فجعلوه أضغاثَ أحلام.

ويجوز أن يكون قد قصَّ عليهم مع هذه الرؤيا رُؤًى غيرَها.

﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾ إمَّا أن يريدوا بالأحلام المَنَاماتِ الباطلةَ خاصَّةً فيقولوا: ليس لها عندنا تأويلٌ فإن التَّأويل إنما هو للمنامات الصحيحة الصالحة، وإما أن يعترفوا بقصورِ علمهم وأنهم ليسوا في تأويل الأحلام بنحاريرَ.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾﴾

قرئ: ﴿وَٱدَّكَرَ﴾ بالدال وهو الفصيح، وعن الحسن: "واذَّكر" بالذال؛ والأصل:

قوله: (وحُزِم)[١] حزمتُ[٢] الشيء حزمًا:[٣] شددتُه، واحتزم وتحزَّم، أي: تلبَّب، وذلك إذا شدَّ وسطه بحبل. والحُزمة مِن الحطب وغيره. وقوله: (فاستُعيرت لذلك) فيه بحث؛ لأنّ شرط الاستعارة ألّا يكون المشبَّه مذكورًا ولا في حكم المذكور، والتقدير ههنا[٤] كما ذكر هي ﴿أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾ فلا يكون استعارة، فالوجه أن نقول: لم يُرد المصنِّف بقوله: "استُعيرت" الاستعارة بحسب اصطلاح أهل البيان؛ بل أراد الاستعارة بحسب اللغة. وفيه نظر؛ لأنّ معناها اللغويّ لا يستقيم هنا.

قوله: (رؤًى غيرَها) رؤًى كـ"عُلًا" في جمع العُلْيا.

قوله: (بنحارير) النحرير: العالم المِتقن.

---

[١] ن ر: جزم.
[٢] ن ر: جزمت.
[٣] ن ر: جزمًا.
[٤] ن: هاهنا.

تَذَكَّر؛ أي: تذكَّر الذي نجا من الفَتَيْيْن من القتل يوسفَ وما شاهدَ منه.

﴿بَعۡدَ أُمَّةٍ﴾: بعد مدَّةٍ طويلةٍ، وذلك أنه حين استفتَى الملكُ في رؤياه وأعضَلَ على الملأ تأويلُها، تَذكَّرَ الناجي يوسفَ وتأويلَه رؤياه ورؤيا صاحبه، وطلبَه إليه أن يذكُره عند الملك.

وقرأ الأشهبُ العُقَيليُّ: "بعد إِمَّةٍ" بكسر الهمزة، والإِمَّةُ: النعمةُ، قال عديٌّ:

ثـمّ بـعـد الـفـلاحِ والـمـلـك والإمـ ـمَـةِ وَارَتْـهـم هـنـاك الـقـبـورُ

أي: بعد ما أُنعم عليه بالنَّجاة.

وقرئ: "بعد أَمَهٍ": بعد نسيانٍ، يقال: أَمِهَ يأمَه أَمَهًا: إذا نسي، ومَن قرأ بسكون الميم فقد خُطِّئَ.

قوله: (مِن الفَتَيين) "مِن" للتبعيض.

قوله: (أي: تذكَّر) هذا بيان المعنى لا بيان أصل "ادّكر"،[1] فإنّ أصله "اذتكر"[2] قلبت التاء دالًا ثمّ أُدغم.

قوله: (بعد مدّة)، كقوله تعالى: ﴿وَلَئِنۡ أَخَّرۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٖ﴾ [هود ٨/١١]، أي: إلى برهة مِن الزمان.

قوله: (وطَلَبه إليه) أي: تذكَّر طلبه إليه.

قوله: (ثمّ بعد الفلاح) البيت،[3] الفلاح: البقاء، ومنه سُمّي السحور فلاحًا؛[4] لأنّ[5] به بقاء الصوم والفلاح: الفوز[6] بالمطلوب.

قوله: (ومَن قرأ بسكون الميم) أي: "أَمْهٍ".[7]

---

[1] ر: اذكر.

[2] ن ر: أتذكر.

[3] البيت لعدي بن زيد العبادي في ديوانه، ص ٨٩؛ وهو له في إصلاح المنطق لابن السكّيت، ص ٨٠؛ والشعر والشعراء لابن قتيبة، ٢٢٠/١؛ والزاهر لابن الأنباري، ١٥١/١.

[4] ن ر: فلاحان.

[5] ر – لأنّ.

[6] ن ر: والفوز.

[7] قراءة شاذّة، مرويّة عن مجاهد، ونقلها بعضهم عن أبي عبيدة. جامع البيان للطبري، ١٨٦/١٣ (يوسف، ٤٥/١٢)؛ المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٠٢٩.

﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ﴾؛ أي: أنا أخبرُكم به عمَّن عنده علمُه، وفي قراءة الحسن: "أنا آتيكُم بتأويله".

﴿فَأَرۡسِلُونِ﴾: فابعثوني إليه لأسأله، ومُرُوني باستعباره.

وعن ابن عباس: "لم يكن السجنُ في المدينة".

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ۝٤٦﴾

المعنى: فأرسلوه إلى يوسف، فأتاه فقال: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾: أيها البليغُ في الصدق، وإنما قال له ذلك؛ لأنه ذاقَ أحوالَه وتعرَّف صدقَه في تأويل رُؤياه ورؤيا صاحبِه حيث جاء كما أوَّل؛ ولذلك كلَّمَه كلامَ محترِزٍ فقال: ﴿لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾؛ لأنه ليس على يقينٍ من الرجوع فربّما اختُرِم دونه، ولا مِن علمهم فربَّما لم يعلموا.

ومعنى ﴿لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾: لعلهم يعلمون فضلَكَ ومكانك من العلم فيَطلُبوك ويُخلِّصوك من محنتك.

﴿قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ۝٤٧ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ۝٤٨ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ۝٤٩﴾

﴿تَزۡرَعُونَ﴾ خبرٌ في معنى الأمر؛ كقوله: ﴿تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ﴾

قوله: (المعنى) يريد أنّ في الكلام حذفًا. وقوله: (فقال ﴿يُوسُفُ﴾) أي: يا يوسف.

قوله: (ولذلك)، يعني: لمّا عُلم علمه وصدقه ورفعته تكلَّم عنده كلام محتاط محترز عن الجِزاف[1] والتخمين؛ لأنّ الكلام عند الأكابر يجب أن يكون باحتياط وتدبُّر في عاقبته. وقوله: (كلَّمه) أي: كلَّم الشرابيُّ يوسف. وقوله: (فربَّما اختُرم) أي: الشرابيُّ.[2]

---

[1] ن: الجواب.

[2] ن: الشارابي؛ ر + يوسف.

[الصف ٦١/١١]، وإنما يخرج الأمرُ في صورة الخبر للمبالغة في إيجابِ إيجادِ المأمورِ به فيُجعلُ كأنَّه يُوجد فهو يُخبِرُ عنه، والدليلُ على كونه في معنى الأمر قولُه: ﴿فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾.

﴿دَأَبًا﴾ بسكون الهمزة وتحريكِها، وهما مصدرا: دأَبَ في العمل، وهو حالٌ من المأمورين؛ أي: دائِبين؛ إمَّا على: تَدْأبون دأبًا، وإمَّا على إيقاع المصدر حالًا بمعنى: ذوي دأبٍ.

﴿فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾ لئلا يَتسوَّس.

و﴿يَأۡكُلۡنَ﴾ من الإسناد المجازيّ؛ جُعل أكلُ أهلهنَّ مسنَدًا إليهنَّ.

﴿تُحۡصِنُونَ﴾: تُحرِزون وتَخْبَؤون.

﴿يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾ من الغوث أو من الغيث، يقال: غِيثَتِ البلاد: إذا مُطرَتْ، ومنه قول الأعرابيَّة: "غِثْنا ما شئنا".

قوله: (﴿دَأَبًا﴾ بسكون الهمزة وتحريكها) كلاهما[1] مِن السبعة.[2] الأكثر[3] في "دأبًا" إسكان الهمزة، ولعلّ الفتح لغة، فيكون كـ"شَمْع وشَمَع" و"نَهْرٍ ونَهَر" و"قَصٍّ وقَصَص".[4] وقوله: (دَأَب) جدّ وتعِب.[5]

قوله: (لئلا يتسوَّس) تسوَّس الطعام: وقع فيه السوس. والسوس: دُود يقع في الصوف والطعام.

قوله: (و﴿يَأۡكُلۡنَ﴾[6] مِن الإسناد المجازيّ) أي: يأكل السبعُ الشِّداد.

قوله: (ومنه قول الأعرابيّة: غِثنا ما شئنا) قال غَيلان بن عقبة:[7] قاتل الله أَمَة بني فلان ما أفصحها! سألتها عن المطر ببلادهم، فقالت: غِثنا ما شئنا.[8]

---

[1] ر: كلامها.

[2] قرأ حفص بفتح الهمزة وقرأ سائر العشرة بسكونها. النشر لابن الجزري، ٢/٢٩٥.

[3] ن ر: الأكبر.

[4] ن ر: وقصص.

[5] ر: وقعت.

[6] ن: ويأكلن.

[7] د ن ر: عتبة. | وغيلان بن عقبة هو الشاعر الأموي المشهور بذي الرُّمّة.

[8] الخبر عن ذي الرُّمّة بلفظ قريب في إصلاح المنطق لابن السكّيت، ص ٢٥٥؛ والبيان والتبيين للجاحظ، ٢/٧١.

﴿يَعْصِرُونَ﴾ بالياء والتاء: يَعْصِرون العنبَ والزيتونَ والسِّمْسِم، وقيل: "يَحْلُبون الضروعَ".

وقرئ: "يُعْصَرون" على البناء للمفعول، مِن عَصَره: إذا أنجاه، وهو مطابقٌ للإغاثة.

ويجوز أن يكون المبنيُّ للفاعل بمعنى: يُنجُون؛ كأنه قيل: فيه يغاثُ الناسُ وفيه يُغيثون؛ أي: يُغيثُهم الله ويغيثُ بعضُهم بعضًا.

وقيل: "يُعْصَرون"؛ أي: يُمطَرون، من أعْصرتِ السحابةُ، وفيه وجهان:

إما أن يُضمَّنَ "أعصرَتْ" معنى: مَطَرتْ فيُعدَّى تعدِيَتَهُ.

وإما أن يقال: الأصل: أَعْصَرتْ عليهم، فحُذف الجارُّ وأُوصِلَ الفعل.

تَأوَّلَ البقراتِ السِّمانَ والسنبلاتِ الخضرَ بسنينَ مخاصيبَ، والعجافَ واليابساتِ بسنين مُجدِبةٍ، ثم بشَّرهم بعد الفراغ من تأويل الرؤيا بأن العامَ الثامن يجيءُ مباركًا خصيبًا كثيرَ الخير غزيرَ النِّعَم، وذلك من جهةِ الوحي.

قوله: (أي:[1] يُغيثهم الله)... إلخ. قوله: "يُغيثهم[2] الله" هو معنى قوله: ﴿فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾. وقوله: (ويُغيث بعضهم بعضًا) هو معنى ﴿يَعْصِرُونَ﴾ المبنيّ للفاعل.

قوله: (مِن[3] أعصَرَت السحابة) أعصَرَت السحابة، أي: شارفت أن تعصرها الرياح فتمطر، يعني أعصَرَت عليهم، أي: شارفت أن تعصرها الرياح عليهم.

قوله: (إمّا يُضمَّن "أعصَرَت") إذ / هو لازم. [٢٤ظ]

قوله: (فحُذف الجارّ) فيكون الأصل هنا تعصر السحابة عليهم، فلمّا حُذف الجارّ صار "تعصرهم"، فبُني للمفعول فقيل: ﴿يَعْصِرُونَ﴾.

قوله: (مباركًا خصيبًا) الخِصب: نقيض الجَدْب ومكان مُخصِب وخصيب.

---

١ ن: أن.

٢ ر: فعيثهم.

٣ ن ر: ما.

وعن قتادةَ: "زاده الله علمَ سنةٍ".

فإن قلتَ: معلومٌ أن السنين المجدِبةَ إذا انتهت كان انتهاؤها بالخِصب وإلا لم تُوصَفْ بالانتهاء، فلِمَ قلتَ: إن عِلْمَ ذلك من جهةِ الوحي؟

قلتُ: ذلك معلومٌ علمًا مطلقًا لا مفصَّلًا، وقوله: ﴿فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ تفصيلٌ لحال العامِ وذلك لا يُعلم إلَّا بالوحي.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّـٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ۝٥٠﴾

إنما تأنَّى وتَثبَّتَ في إجابة الملك وقدَّم سؤالَ النسوةِ ليُظهِرَ براءةَ ساحَته عمّا قُرِف به وسُجِن فيه؛ لئلا يتسلَّق به الحاسدون إلى تقبيحِ أمره عنده، ويجعلوه سُلَّمًا إلى حطِّ منزلته لدَيْه، ولئلا يقولوا: "ما خُلِّد في السجن سبعَ سنين إلَّا لأمرٍ عظيمٍ وجُرمٍ كبيرٍ حقَّ به أن يُسجن ويُعذَّب ويُستكفَّ شرُّه".

وفيه دليل على أن الاجتهادَ في نفي التُّهم واجبٌ وجوبَ اتِّقاء الوقوف في مواقفها، قال عليه الصلاة والسلام: «مَن كان منكم يؤمنُ بالله واليوم الآخر فلا يقفنَّ مواقِفَ التُّهم».

قوله: (علمَ سنة) يريد السنة الثامنة.

قوله: (عمّا قُرف به) يقال: «هو يقرف بكذا، أي: يُرمى به ويتَّهم[1] به، فهو مقروف».[2]

قوله: (لئلّا يتسلَّق[3] به الحاسدون) أي: لئلّا يطوِّلوا فيه ألسنتهم، قال الله تعالى: ﴿سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ [الأحزاب ١٩/٣٣]. ويجوز أن يكون مِن تسلَّق الجدار[4] إذا صعِده، ويُناسبه يجعلوه سُلَّمًا.

قوله: (ويستكفّ شرّه) أي: يبالغ في كفّ شرّه.

---

[1] ن: ويهم.
[2] الصحاح للجوهري، «قرف».
[3] د + يتسلّق.
[4] ر: الحداد.

ومنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمارّين به في معتكَفِه وعنده بعضُ نسائه: «هي فلانةُ»؛ اتِّقاءً للتُّهمَة.

وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «لقد عجِبتُ من يوسفَ وكَرَمِهِ وصبره والله يغفر له حين سُئل عن البقراتِ العجافِ والسِّمان، ولو كنتُ مكانه ما أخبرتُهم حتى أشترطَ أن يُخرجوني، ولقد عجِبتُ منه حين أتاه الرسول فقال: ارْجعْ إلى ربِّك، ولو كنت مكانه ولبثتُ في السجن ما لبثَ لأسرَعْتُ الإجابة وبادرتُهم البابَ، ولَمَا ابتغَيْتُ العذرَ، إن كان لحليمًا ذا أَناةٍ».

وإنما قال: "سَلِ الملِك عن شأن النسوة"، ولم يقل: "سَلْه أن يُفتِّشَ عن شأنهنَّ"؛ لأن السؤال مما يُهيِّج الإنسانَ ويحرِّكه للبحث عمَّا سئل عنه، فأراد أن يُورِدَ عليه السؤالَ ليَجِدَّ في التفتيش عن حقيقة القصَّة وفَصِّ الحديث حتى

قوله: («هي فلانة»)[1] أراد صفيّة بنت حييّ بن أخطب.

قوله: («والله يغفر له») في قوله عليه السلام: «والله يغفر له» إشارة إلى ترك العزيمة بالرخصة، وهي تقديم حقّ الله[2] بتبليغ التوحيد والرسالة على براءة نفسه. هذه الحاشية غير منقَّحة.

قوله: («إن كان لحليمًا ذا أناة»)[3] هي المخفَّفة مِن الثقيلة، والتقدير: "إنّه"، و"الأناة" على وزن "القَناة": الوقار. قيل: هو اسم مِن تأنّى في الأمر: ترفَّق وتنظَّر.

قوله: (وفصِّ[4] الحديث) فصُّ الأمر: حقيقته ومحزُّه:

رُبَّ امرئٍ تزدريه العيون ويأتيك بالأمر مِن فصِّهِ[5]

---

[1] الحديث بمعناه في صحيح البخاري، ٥٠/٣ (٢٠٣٨)؛ وصحيح مسلم، ١٧١٢/٤ (٢١٧٥).

[2] ر + تعالى.

[3] الحديث بلفظ قريب في جامع البيان للطبري، ٢٠٢/١٣ (يوسف، ٥٠/١٢).

[4] ن: وقص.

[5] البيت بهذا اللفظ لعبد الله بن جعفر في مجمع الأمثال للميداني، ٤١٨/٢؛ وهو برواية:

وآخر تحسبه أنوكًا ويأتيك بالأمر من فصّه

لطرفة بن العبد البكري في ديوانه، ص ١٦٥؛ وبلفظ «جاهلًا» مكان «أنوكًا» لعبد الله بن معاوية الجعفري في حماسة البحتري، ص ٢٨١؛ وعزي بهذه الرواية للزبير بن عبد المطّلب في التذكرة الحمدونيّة لابن حمدون، ٣٩٩/١؛ وهو بلا عزو في الصحاح للجوهري، «فصص»؛ وأساس البلاغة للزمخشري، «فصص».

يتبيَّن له بَراءتُه بيانًا مكشوفًا يتميَّز فيه الحقُّ من الباطل.

وقرئ: "النُّسوة" بضمِّ النون.

ومن كرمه وحُسْن أدبه: أن لم يذكر سيِّدتَه مع ما صنعَتْ به وتسبَّبَتْ فيه من السجن والعذاب، واقتصر على ذكر المقطِّعات أيديهن.

﴿إِنَّ رَبِّي﴾: إن الله تعالى ﴿بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ أراد أنه كيدٌ عظيمٌ لا يعلمه إلَّا الله لبُعد غوره، أو استشهدَ بعلم الله على أنهنَّ كِذْنَه وأنه بَريءٌ مما قُرِفَ به، أو أراد الوعيدَ لهن؛ أي: هو عليم بكيدهنَّ فيجازيهنَّ عليه.

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٥١﴾

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ﴾: ما شأنكنَّ ﴿إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ﴾ هل وجَدتُنَّ منه ميلًا إليكُنَّ؟

﴿قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾ تعجُّبًا من عفَّته وذهابه بنفسِه عن شيء من الرِّيبة، ومن نزاهته عنها.

﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾؛ أي: ثبتَ واستقرَّ.

وقرئ: "حُصحِصَ" على البناء للمفعول، وهو من حَصْحَصَ البعيرُ: إذا ألقى ثَفِنَاتِه للإناخة، قال:

وهو مستعار مِن فصّ الخاتم.

قوله: (وذهابه بنفسه) الباء للتعدية،[1] كما في قولك: ذهبتُ بزيد.

قوله: (وهو مِن حصحص البعير)...[2] إلخ، حصحص في المثال وفي البيت متعدٍّ.

قوله:[3] (فحصحص في صُمّ)، البيت.[4] قيل: (الصفا): موضع. و"صمَّم":

[1] ر: في التعدية.
[2] ن: للبعير.
[3] ر – قوله.
[4] البيت لحميد بن ثور الهلالي في ديوانه، ص ١٨١؛ وهو له في الصحاح للجوهري، «حصحص».

فخَضْخَضَ في صُمِّ الصَّفا ثَفِنَاته   ونَـاء بسَـلْمَى نَـوْءةً ثـم صَمَّما

ولا مزيد على شهادتهنَّ له بالبراءة والنزاهة، واعترافِهنَّ على أنفسهنَّ بأنه لم يتعلَّقْ بشيء مما قرَفْنَه به؛ لأنهنَّ خصومُه، وإذا اعترَفَ الخصمُ بأن صاحبَه على الحقِّ وهو على الباطل لم يبقَ لأحد مقالٌ، وقالت المجبِرةُ والحشوية: "نحن قد بقي لنا مقالٌ، ولا بدَّ لنا أن ندُقَّ في فَرْوَة مَن ثبتَتْ نزاهتُه".

﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ۝٥٢﴾

﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ﴾ من كلام يوسفَ عليه السلام؛ أي: ذلك التثبُّتُ والتشمُّرُ لظهور البراءة ليَعلم العزيزُ ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ﴾ بظهرِ الغَيْب في حُرمتهِ، ومحلُّ ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ الحالُ من الفاعلِ أو المفعول، على معنى: وأنا غائبٌ عنه خفيٌّ عن عينه، أو: هو غائبٌ عني خفيٌّ عن عيني، ويجوز أن يكون ظرفًا؛ أي: بمكانِ الغيب وهو الخفاءُ والاستتارُ وراءَ الأبواب السبعة المغلَّقة.

مضى في سيره، مِن قولهم: صمَّم السيف في الضريبة،[1] أي: ثبت فيه ولم ينبُ. و"ثَفِنات البعير": مَبارِكه، وهي خمس:[2] الكَلكَل والركبتان والرِّجلان. وناء بالحمل إذا نهض به مُثقَلًا. وناء به الحمل[3] إذا أثقله. يصف بعيرًا بأنّه برك، أي: استناخ حتّى ركِبت عليه سلمى، ثمّ نهض بها ومضى في سيره، وإنّما قيل: الركبتان والرِّجلان؛ لأنّ ركبة البعير في[4] يده،[5] بخلاف الإنسان فإنّ ركبته في رجله.

قوله: (وقالت المُجبِرة والحشويّة: نحن)... إلخ، أي: هنّ تركنَ المقال، ونحن قد بقي لنا مقال. وقوله: (في فَروة) فَروة الرجل: جلدته بشعرها.

قوله: (في حُرمته) أي: امرأته قال:

---

١ ن: الضربة.
٢ ر: خمسة.
٣ ن: الجمل.
٤ ن ر – في.
٥ ن ر: بيده.

﴿و﴾ ليَعْلَمَ ﴿أَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾: لا يُنفذه ولا يسدِّده، وكأنَّه تعريضٌ بامرأته في خيانتها أمانةَ زوجِها، وبه في خيانته أمانةَ الله حين ساعدها بعد ظهور الآيات على حبسه، ويجوز أن يكون تأكيدًا لأمانته، وأنه لو كان خائنًا لَمَا هدى الله كيدَهُ ولا سدَّده.

﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٥٣﴾

ثم أراد أن يتواضَع لله ويَهضِمَ نفسَه لئلا يكون لها مُزَكِيًا وبحالها في الأمانة مُعجَبًا ومُفتخرًا؛ كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا سيِّدُ ولد آدم ولا فخرَ»، وليبيِّن أنَّ ما فيه من الأمانة ليس به وحده وإنما هو بتوفيقِ الله ولطفه وعصمته، فقال:

﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ﴾ من الزَّلَل، وما أشهَدُ لها بالبراءة الكليَّة ولا أزكِّيها، ولا يخلو: إمَّا أن يريد: في هذه الحادثة؛ لِمَا ذكرنا من الهمِّ الذي هو ميلُ النفس عن طريق الشهوة البشريَّة لا عن طريق القصد والعزم، وإما أن يريد عمومَ الأحوال.

﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ أراد الجنسَ؛ أي: إن هذا الجنسَ يأمر بالسوء ويحمِلُ عليه بما فيه من الشهوات.

﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾: إلَّا البعضَ الذي رَحِمَهُ ربِّي بالعصمةِ كالملائكة عليهم السلام.

تهوى حياتي وأهوى موتها شفقًا والموتُ أكرم نـزّال على الحُرَمِ[1]

قوله: (وبه في[2] خيانته) الضمير في "به" للزوج.[3]

قوله: (معجَبًا) يقال: «قد أعجب فلان بنفسه فهو معجَب برأيه وبنفسه، والاسم العُجب بالضمّ».[4]

---

١ البيت لإسحاق بن خلف في الدرّ الفريد لابن أيدمر، ٤٥٨/٥؛ وهو بلا عزو في الصحاح للجوهري، «شفق»؛ وشرح الحماسة للمرزوقي، ٢٨٣/٢؛ والتذكرة الحمدونيّة لابن حمدون، ١٢١/٨. وذكرت أكثر المصادر السالفة أنّ البيت في ابنته لا في امرأته.

٢ ن ر - في.

٣ ن ر: الزوج.

٤ الصحاح للجوهري، «عجب».

ويجوز أن يكون ﴿مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾ في معنى الزَّمَانِ؛ أي: إلَّا وقتَ رحمةِ ربِّي، يعني: أنها أمَّارةٌ بالسوء في كلِّ وقتٍ وأوانٍ إلَّا وقتَ العصمة.

ويجوز أن يكون استثناءً منقطعًا؛ أي: ولكنَّ رحمةَ ربِّي هي التي تَصرف الإساءةَ؛ كقوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ۞ إِلَّا رَحْمَةً﴾ [يس ٣٦/٤٣-٤٤].

وقيل: معناه: ذلك ليعلَمَ اللهُ أنِّي لم أَخُنْه؛ لأن المعصيةَ خيانةٌ.

وقيل: هو من كلام امرأة العزيز؛ أي: ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي قلتُ ﴿لِيَعْلَمَ﴾ يوسفُ ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ﴾ ولم أكذِبْ عليه في حال الغيبة، وجئتُ بالصحيحِ والصدقِ فيما سُئلت عنه ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ﴾ مع ذلك من الخيانة فإني قد خُنْتُه حين قَرَفْتُه وقلتُ: ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ﴾ [يوسف ١٢/٢٥] وأودعْتُه السجنَ، تريد الاعتذارَ مما كان منها ﴿إِنَّ﴾ كلَّ نفسٍ ﴿لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾: إلّا نفسًا رحمها اللهُ بالعصمة كنفسِ يوسف عليه السلام ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ استغفرَتْ ربَّها واسترحمَتْه مما ارتكبتْ.

فإن قلتَ: كيف صحَّ أن يُجعل من كلام يوسفَ عليه السلام ولا دليلَ على ذلك؟

قلتُ: كفى بالمعنى دليلًا قائدًا إلى أن يُجعَل من كلامه، ونحوُه قوله: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ۞ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ﴾ ثم قال: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [الشعراء ٢٦/٣٤-٣٥] وهو من كلام فرعون يخاطبُهم ويستشيرُهم.

وعن ابن جريجٍ: هذا من تقديم القرآن وتأخيره، ذهَبَ إلى أن ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ﴾ متَّصلٌ بقوله: ﴿فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾.

قوله: (أي: ولكنّ رحمة ربي) فتكون "ما" مصدريّة.

قوله: (فإن قلتَ: كيف صحّ؟) وجه السؤال أنّه متصل بكلام زليخا فكيف؟

قوله: (ذهب) أي: ذهب ابن جُريج إلى أنّ قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ﴾ متّصل بقوله: ﴿فَسْـَٔلْهُ﴾.

ولقد لفَّقتِ المُبطِلةُ رواياتٍ مصنوعةً فزعموا أن يوسف عليه السلام حين قال: ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾ قال له جبريل عليه السلام: "ولا حين هممتَ بها؟" وقالت له امرأة العزيز: "ولا حين حلَلْتَ تكَّةَ سراويلكَ يا يوسف؟" وذلك لتهالُكهم على بَهْتِ الله ورسله.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾﴾

يقال: استَخْلَصَه واستَخَصَّه، إذا جعله خالصًا لنفسه وخاصًّا به.

﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ﴾ وشاهَدَ منه ما لم يحتسِبْ ﴿قَالَ﴾: أيُّها الصدِّيق ﴿إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ﴾: ذو مكانةٍ ومنزلةٍ ﴿أَمِينٌ﴾: مؤتَمَنٌ على كلِّ شيء.

روي: أنّ الرسول جاءه فقال: أَجِبِ الملك، ....

قوله: (قال له جَبرئيل عليه السلام)[1] قال في الوسيط: / «لمّا قال يوسف ذلك: ﴿لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾، قال له جَبرئيل عليه السلام:[2] ولا حين هممتَ بها يا يوسف، فقال يوسف: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾».[3] وقال أيضًا في الكواشي: «رويَ أنّ جَبرئيل[4] عليه السلام[5] قال له:[6] ولا حين هممتَ بها؟»[7] ويقول أضعف عباد الله[8] أحمد بن الحسن الجاربردي: هذا القدر ممّا لا بأس به، وإن ردّه المصنِّف، وأمّا ما رُوي عن امرأة العزيز فالله[9] أعلم بصحّته. [٢٥و]

قوله: (ما لم يحتسِب) أي: ما لم يظنّ أنّ يوسف أو أحدًا يقول مثل ذلك الكلام، أو يكون على الصفة التي شاهد منه مِن العفّة والأمانة.

قوله: (روي أنّ الرسول) أي: الذي أرسله ملك مصر إلى يوسف.

---

[1] ن ر – عليه السلام.
[2] ن ر – عليه السلام.
[3] الوسيط للواحدي، ٦١٧/٢ (يوسف، ٥٢/١٢).
[4] ر: جبريل.
[5] ن ر – عليه السلام.
[6] ن ر – قال له.
[7] ن ر – بها. | تفسير الكواشي، ٢٤٤و.
[8] ن ر + تعالى.
[9] ن: والله.

فخرج من السجن ودعا لأهله: "اللّٰهمّ اعطِفْ عليهم قلوبَ الأخيار، ولا تُعَمِّ عليهم الأَخبار"، فهم أعلمُ الناس بالأخبار في الواقعات، وكَتَب على باب السجن: "هذه منازلُ البَلوى، وقبورُ الأحياء، وشماتةُ الأعداء، وتجربةُ الأصدقاء"، ثم اغتسل وتنظَّفَ من دَرَن السجن، ولبس ثيابًا جُدُدًا.

فلمّا دخل على الملك قال: "اللّٰهمّ إني أسألك بخيرك من خيرِه، وأعوذُ بعزَّتك وقدرتك من شرِّه"، ثم سلَّم عليه ودعا له بالعبرانيَّة، فقال: "ما هذا اللسان؟" قال: "لسان آبائي"، وكان الملك يتكلَّم بسبعين لسانًا، فكلَّمه بها فأجابه بجميعها، فتعجَّبَ منه فقال: أيُّها الصِّدِّيق إنّي أُحِبُّ أن أسمعَ رؤيايَ منك، فقال: "رأيتَ بقراتٍ..."، فوصفَ لونَهنَّ وأحوالهن ومكانَ خروجهنَّ، ووصَفَ السنابلَ وما كان منها على الهيئة التي رآها الملك لا يَخْرِمُ منها حرفًا، وقال له: "مِن حقِّك أن تَجْمعَ الطعامَ في الأَهْراء فيأتيَك الخَلْقُ من النَّواحي ويمتارُون منك، ويجتمعَ لك من الكنوز ما لم يجتمِعْ لأحدٍ قَبْلَك".

قوله: (اللّٰهمّ اعطف) أي: قائلًا اللّٰهمّ، ويجوز أن يكون مفعول "دعا"؛ لأنّه في معنى القول.

قوله: (ولا تُعَمِّ) مِن عمَّيتُ معنى البيت تعمية، ومنه المُعمّى مِن الشعر. وقرئ: "فعُمِّيَتْ عَلَيْهِم" [القصص ٢٨/٦٦] بالتشديد.[١] وقوله: (عليهم) أي: على أهل السجن.

قوله: (ثيابًا جُددًا) ثوب جديد والجمع جُدد،[٢] مثل سرير وسُرر. وقوله: (فلمّا دخل) أي: يوسف.

قوله: (قال: لسان آبائي)[٣] قال لسان عمِّي إسماعيل.

قوله: (في الأهراء) واحدها هُرْيٌ وهو الأنبار.

قوله: (ويمتارون) أي: يشترون منك المِيرة: وهو الطعام.

---

[١] قراءة شاذّة، مرويّة عن سعيد بن جبير، وابن مسلم عن ابن عامر، وابن مِقسَم. المغني في القراءات للنَّوْزاوازي، ص ١٤٣٢.

[٢] ن ر: جديد.

[٣] ن: آباء نبي.

﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ۝٥٥﴾

﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِ﴾: وَلِّني خزائنَ أرضك ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾: أمينٌ أحفظُ ما تستَحْفِظُنِيهِ، عالمٌ بوجوه التصرُّف؛ وصفًا لنفسه بالأمانة والكفاية اللَّتين هما طَلِبةُ الملوك ممَّن يولُّونه، وإنما قال ذلك ليتوصَّل إلى إمضاء أحكام الله تعالى وإقامةِ الحقِّ وبسطِ العدلِ، والتمكُّنِ مما لأَجْله تُبعث الأنبياء إلى العباد، ولعِلْمه أن أحدًا غيرَه لا يقومُ مَقامه في ذلك، فطلبَ التوليَةَ ابتغاءَ وجه الله لا لحبِّ المُلْك والدنيا، وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «رَحِمَ اللهُ أخي يوسفَ لو لم يَقُلْ: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِ﴾ لاستعملَه من ساعته؛ ولكنَّه أخَّر ذلك سنةً».

فإن قلتَ: كيف جاز أن يتولَّى عمَلًا من يدِ كافرٍ ويكونَ تَبعًا له وتحت أمره وطاعته؟

قلتُ: روى مجاهدٌ أنه قد أسْلمَ.

وعن قتادة: هو دليلٌ على أنه يجوز أن يتولَّى الإنسانُ عملًا من يدِ سلطانٍ جائر، وقد كان السلفُ يتولَّون القضاءَ من جهة البُغاة ويَرَوْنه، وإذا عَلِم النبيُّ أو العالمُ أنَّه لا سبيل إلى الحكم بأمر الله ودفعِ الظلم إلَّا بتمكين الملكِ الكافر أو الفاسق، فله أن يستظهِر به.

وقيل: "كان الملك يَصْدُرُ عن رأيه، ولا يعترِض عليه في كلِّ ما رأى، فكان في حكم التابع له والمطيع".

قوله: (قلتُ: روى مجاهد) أجاب المصنِّف عن هذا السؤال بجوابات ثلاث.

قوله: (ويَرَونه) أي: يعتقدونه،[1] مِن الرأي وهو الاعتقاد.

قوله: (يصدر عن رأيه) أي: رأي يوسف. وقوله: (ولا يعترِض) أي: المَلِك. وقوله: (عليه) أي: يوسف. وقوله: (فكان)،[2] أي: المَلِك. وقوله: (له) أي: يوسف.

---

[1] ن: يعتقرونه.

[2] ن: مكان.

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: ومثلَ ذلك التمكينِ الظاهر ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: في أرض مصر، روي أنها كانت أربعين فرسخًا في أربعين.

﴿يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ﴾ قرئ بالنون والياء؛ أي: كلَّ مكانٍ أراد أن يتَّخذه منزلًا ومُتَبوَّأً له لم يُمنع منه؛ لاستيلائه على جميعها ودخوله تحت ملَكَتِهِ وسلطانه.

وروي: "أن الملك تَوَّجَهُ وختَمَهُ بخاتمِه وردَّاه بسَيفه، ووضَعَ له سريرًا من ذهب مُكلَّلًا بالدُّرِ والياقوتِ".

وروي: أنّه قال له: "أَمَّا السريرُ فأشدُّ بِهِ مُلْكَكَ، وأما الخاتمُ فأُدبِّرُ به أَمْرَك، وأما التاجُ فليس من لباسي ولا لباس آبائي"، فقال: "قد وضعتُه إجلالًا لك وإقرارًا بفضلك"، فجلس على السرير ودانَتْ له الملوك، وفوَّض المِلكُ إليه أمْرَه وعَزَل قطفيرَ، ثم ماتَ بعدُ فزوَّجه الملك امرأتَه، فلمَّا دخل عليها قال: "أليس هذا خيرًا ممَّا طلبتِ؟" فوجدها عذراء، فولدَتْ له ولدَيْن: إفْرائيمَ ومَيْشا.

قوله: (ومثلَ ذلك التمكين الظاهر) قوله: "الظاهر" أومى به إلى أنّه أتى باسم الإشارة ليُبيّن أن تمكينه كان ظاهرًا بيّنًا.

قوله: (أي: كلّ مكان) ذكر أوّلًا أنّه قُرئ: ﴿يَشَآءُ﴾[1] بالياء والنون،[2] ثمّ ذكر في تفسيره[3] ما يلائم القراءة بالياء.

قوله: (ورُوي أنّه) أي: يوسف عليه السلام.

قوله: (فأشدُّ)، يريد: أقوّي به مُلكك، وأنفِذ[4] أمرك.

قوله: (فزوَّجه) أي: يوسف. وقوله: (امرأته) أي: امرأة قطفير وهي زليخا.

---

[1] ر: ليثا.

[2] قرأ ابن كثير بالنون وقرأ باقي العشرة بالياء. النشر لابن الجزري، ٢/٢٩٥.

[3] ن: تفسير.

[4] ن ر: وأنفذه.

وأقام العدلَ بمصرَ، وأحبَّهُ الرجالُ والنساء، وأسلم على يده الملكُ وكثيرٌ من الناس، وباعَ من أهل مصرَ في سِنِي القحطِ الطعامَ بالدنانير والدراهم في السنة الأولى حتى لم يبقَ معهم شيءٌ منها، ثم بالحُليِّ والجواهر، ثم بالدوابِّ، ثمّ بالضِّياع والعَقار، ثم برقابهم حتى استرقَّهم جميعًا، فقالوا: "والله ما رأينا كاليومِ مَلِكًا أجَلَّ ولا أعظمَ منه!" فقال للملك: "كيف رأيتَ صُنعَ الله بي فيما خوَّلني، فما ترى؟" قال: الرأيُ رأيُك، قال: "فإني أُشهِدُ اللهَ وأُشهدُك أني أَعتَقْتُ أهل مصرَ

قوله: (ثمّ بالضِّياع) الضيعة: العقار، والجمع ضِياع بالكسر وضِيَع، وضاع الشيء يضيع ضَيعة وضَياعًا بالفتح.[١]

قوله: (ما رأينا كاليوم مَلِكًا) أي: ما رأينا مَلِكًا مثل مَلِك اليوم، أي: مثل المَلِك الذي رأيناه اليوم، فقدِّم "مثل" مع المضاف إليه فصار "مِثل مَلِك اليوم مَلِكًا"، فحُذف "المَلِك" فصار "مثلَ اليوم مَلِكًا" وُضع الكاف موضع المثل فصار "كاليوم مَلِكًا". وقوله: (أجلَّ) بدل مِن مَلِكًا[٢] بدل الاشتمال، أو صفة[٣] له، وهو[٤] أظهر، فكأنّه[٥] قيل: "ما رأينا[٦] مَلِكًا أجلَّ ولا أعظم مِن مَلِك اليوم". والظاهر أنه لا يستقيم المعنى على تقدير جعل "أجلّ" صفة؛ إذ يئول المعنى على تقدير الصفة "ما رأينا رجلًا مِثل رجل اليوم / أفضل مِن رجل اليوم"، [٢٥ظ] فتأمّل، واعلم أنّ جَعْله بدلًا متعيِّن.

قوله: (فيما خوَّلني) أي: أعطاني. و"ما" في "ما خوَّلني" يجوز أن تكون مصدريّة وأن تكون موصولة، أي: في الأشياء التي أعطانيها[٧] الله تعالى مِن أموال أهل مصر ورقابهم، يريد أن يعظُم في نظر المَلِك ما أعطاه الله تعالى، ثمّ قال للمَلِك: ما رأيك في هذه الأشياء التي أعطانيها[٨] الله تعالى، أَأُعتِق،[٩] أي:[١٠] أهلَ مصر،

---

[١] انظر: الصحاح للجوهري، «ضيع».
[٢] ن: ملك.
[٣] د ن ر: وصفه.
[٤] ر: فهو.
[٥] ر: وكأنه.
[٦] ن: رأيناه.
[٧] ن: أعطنها.
[٨] ن ر: أعطاني.
[٩] ن ر: أعتق.
[١٠] ن ر – أي.

عن آخرهم ورددْتُ عليهم أملاكَهم، وكان لا يبيعُ من أحدٍ من الممتارين أكثرَ من حِمْل بعيرٍ تقسيطًا بين الناس".

وأصابَ أرضَ كنعانَ وبلادَ الشام نحْوُ ما أصاب أرض مصرَ، فأرسلَ يعقوبُ عليه السلام بَنيهِ ليمتاروا واحتبَسَ عنده بُنيامين.

﴿بِرَحْمَتِنَا﴾: بعطائنا في الدنيا من المُلْك والغنى وغيرِهما من النِّعم ﴿مَن نَّشَآءُ﴾: مَن اقتَضَتِ الحكمةُ أن نشاءُ له ذلك ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أنْ نأجُرَهم في الدنيا ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ لهم.

قال سفيان بن عُيَيْنَةَ: "المؤمنُ يثابُ على حسناته في الدنيا والآخرة، والفاجرُ يُعجَّل له الخيرُ في الدنيا وما له في الآخرة من خلاقٍ"، وتلا هذه الآيةَ.

﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٥٨﴾

لم يَعرِفوه لطول العهد ومفارَقَتِه إيَّاهم في سنِّ الحداثة، ولاعتقادهم أنه قد هلك، ولذهابه عن أوهامهم لقلَّة فكرِهم فيه واهتمامِهم بشأنه، ولبُعد حاله التي بلَغها من المُلك والسلطان عن حاله التي فارَقوه عليها طريحًا في البئر مَشريًّا

وأحسن إليهم، أم أبقيهم على ملكي؟ فقال المَلِك: الرأي رأيك فاصنع ما تراه مصلحة. فقال يوسف: أعتقتُهم.

قوله: (وكان لا يبيع) أي:[1] قبل ذلك في أيّام القحط.

قوله: (تقسيطًا) قسَّط الشيء: جعله قِسطًا قِسطًا.

قوله تعالى:[2] (مِن خَلاق) أي: مِن نصيب، كأنّه خُلق له أو هو خليق[3] به.

قوله: (فارَقوه[4] عليها) أي: مستقرًّا على تلك الحال، وهي حال المذلّة والهَوان.[5] فقوله: "عليها" حال مِن الضمير المفعول، وكذا (طريحًا)، (مشريًّا) فهي مِن الأحوال المترادفة.

---

[1] ن – أي.
[2] ن ر – تعالى.
[3] ر: تخليق.
[4] ن ر: فارقق.
[5] ن: والوهان.

بدراهم معدودةٍ حتى لو تخيَّلَ لهم أنه هو لكذَّبوا أنفسهم وظنُونَهم؛ ولأن المُلك ممَّا يُبدِّل الزيَّ ويُلبس صاحبَه من التهيُّب والاستعظام ما يُنكِر له المعروفُ.

وقيل: "رأَوْه على زيِّ فرعون عليه ثيابُ الحرير جالسًا على سريرٍ في عُنقهِ طوقٌ من ذهبٍ وعلى رأسه تاجٌ، فما خطر ببالهم أنه هو".

وقيل: "ما رأوه إلَّا من بعيدٍ بينهم وبينه مسافةٌ وحُجَّابٌ، وما وقفوا إلَّا حيث يقف طُلَّابُ الحوائج، وإنّما عرَفهم؛ لأنّه فارقهم وهم رجالٌ، ورأى زِيَّهم قريبًا من زيِّهم إذ ذاك؛ ولأن همَّته كانت معقودةً بهم وبمعرفتهم فكان يتأمَّل ويتفطَّن".

وعن الحسن: "ما عرفهم حتّى تعرَّفوا له".

قوله: (الزِّيّ) الزِّيُّ: اللباس، وأصله "زِوْيٌ"، تقول منه: زيَّنْتُه والقياسُ "زوَّيته". وقوله: (مِن التهيُّب) يجوز أن يكون "مِن" بيانًا لـ"ما"، وقد قدِّم عليه، وأن يكون ابتدائيّة.

قوله: (على زِيِّ فرعون) يقال لملوك مصر: الفراعنة، ولملوك اليمن: التبابِعة، ولملوك الروم: القياصِرة، ولملوك الفرس الأكاسِرة، ولملوك الترك: الخَواقين. وقوله: (عليه ثيابٌ)... إلخ، بدل مِن قوله: "على زِيِّ فرعون" أو بيان له.

قوله: (وإنّما عَرَفهم لأنّه فارقهم)... إلخ، ذُكر ههنا لسبب معرفته إيّاهم أمورًا هي أضداد لِما جَعَله[1] قبل سببًا لعدم عِرفانهم له.

قوله: (حتّى تعرّفوا له)،[2] أي: ذكروا ليوسف مِن نسبهم ما عَرَفهم به، فالتعريف هنا بمعنى الاستعراف. قال في الصحاح: «تعرَّفت ما عند فلان، أي: تطلَّبت حتّى عرفت. ويقال: ائت فلانًا فاستعرف إليه حتّى يعرِفك».[3] واستعمل المصنِّف "تعرَّف" ههنا باللام، واستعمله بعد ذلك بـ"إلى"، عند قوله تعالى: ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ﴾ [يوسف ٦٩/١٢].

---

[1] ن: جعل.

[2] بلفظ قريب في تفسير ابن أبي حاتم، ٢١٦٣/٧ (يوسف، ٥٩/١٢)؛ والنكت والعيون للماوردي، ٥٤/٣ (يوسف، ٥٩/١٢).

[3] الصحاح للجوهري، «عرف».

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ۝٥٩﴾

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾؛ أي: أصلحهم بعُدَّتهم وهي عُدَّةُ السفر من الزاد وما يَحتاج إليه المسافرون، وأَوْقَرَ ركائِبَهم بما جاؤوا له من المِيرَة، وقرئ: "بجِهازهم" بكسر الجيم.

﴿قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾ لا بدَّ من مقدِّمةٍ سبقت له معهم حتى اجترَّ القولُ هذه المسألة، رُوي: أنّه لمّا رآهم وكلَّموه بالعبرانيَّة قال لهم: أخبروني مَن أنتم وما شأنكم؟ فإنّي أُنكركم، قالوا: نحن قومٌ من أهل الشام رُعاةٌ أصابَنا الجَهْدُ فجئنا نمتارُ، فقال: لعلَّكم جئتُم عيونًا تنظرون عَوْرةَ بلادي، قالوا: مَعَاذَ اللهِ! نحن إخوةٌ بنو أبٍ واحدٍ، وهو شيخٌ صدِّيقٌ نبيٌّ من الأنبياء اسمُه يعقوب، قال: كم أنتم؟ قالوا: كنَّا اثني عَشَرَ فهلك منا واحدٌ، قال: فكم أنتم هاهنا؟ قالوا: عشرةٌ، قال: فأين الأخُ الحادي عشرَ؟ قالوا: هو عند أبيه يتسلَّى به من الهالك، فقال: فمَن يَشهدُ لكم أنكم لستُم بعيونٍ وأن الذي تقولون حقٌّ؟ قالوا: إنَّا ببلادٍ لا يعرفُنا فيها أحدٌ

قوله: (ركائبهم) الركائب الحمولات. وقوله: (مِن المِيرة) بيان "ما". وقوله: (وقرئ: "بِجِهَازِهِمْ")[1] شاذّ.

قوله: (سبقَتْ له) أي: ليوسف.

قوله:[2] (هذه المسألة) أي: السؤال. وقوله: (رُوي أنّه) بيان "المقدِّمة".

قوله: (فإنّي أنكِركم) النكرة ضدُّ المعرفة، وقد نكِرت الرجل بالكسر نُكرًا ونكورًا وأنكرته واستنكرته، كلّه بمعنى. وقوله: (رُعاةٌ) أي: نحن أهل بَدْو.

قوله: (عَورةَ بلادي)[3] العَورة: الخَلَل، ويراد بها الخلل الذي يكون في الثغور بين المملكتين،[4] كما يكون في الثغور بين بلاد الكفر وأهل الإسلام.

---

[1] قراءة شاذّة، مرويّة عن أبي السمّال والجحدري ويحيى بن يعمر. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٠٣٤.

[2] ن ر – (سبقَتْ له) أي: ليوسف. قوله.

[3] ن ر: بادي.

[4] ر: المملكين.

فيَشهدَ لنا، قال: فدَعُوا بعضَكم عندي رَهِينَةً وائتوني بأخيكم من أبيكم وهو يحملُ رسالةً من أبيكم حتى أُصدِّقكم، فاقترعوا بينهم فأصابت القُرعةُ شمعون وكان أحسنَهم رأيًا في يوسف، فخلَّفوه عنده وكان قد أحسن إنزالَهم وضيافتَهم.

﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ۝٦٠﴾

﴿وَلَا تَقْرَبُونِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون داخلًا في حكم الجزاء مجزومًا عطفًا على محلِّ قوله: ﴿فَلَا كَيْلَ لَكُمْ﴾؛ كأنَّه قيل: "فإن لم تأتوني به تُحرَمُوا ولا تقربوا".

وأن يكون بمعنى النهي.

﴿قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ۝٦١﴾

﴿سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾: سنُخادعه عنه وسنجتهِدُ ونحتالُ حتى ننتزعَه من يده ﴿وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ﴾: وإنا لقادرون على ذلك لا نتَعَايَا بهِ، أو: وإنا لفاعلون ذلك لا محالةَ لا نُفرِّطُ فيه ولا نَتوانَى.

قوله[1] تعالى:[2] (﴿سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ﴾) قال في المغرب: راد[3] جاء وذهب. وراودني عن نفسي: خادعني عنها.[4] هذا القدر مذكور في المغرب. وأنا أقول: حقيقة "راوَد زيدٌ / عمرًا" جاء[5] زيد عمرًا وذهب إليه، فإذا عدَّيته بـ"عن" إلى مفعول [٢٦و] آخر وقلت: "راوَد زيد عمرًا[6] عن هذا الشيء" يصير المعنى: جاءه وذهب إليه مخادعًا له عن ذلك الشيء.

قوله: (لا نَتَعايا به) يقال: أعيا عليه الأمر يُعيِي، وتعيّا وتعايا، وفي مضارعهما يتعيّا ويتعايا، والصواب أنّ "لا[7] نتعاياه" بمعنى "لا نعيا". يقال: عَيِيَ بالأمر، أي: عجز عنه، فهو مِن "تفاعل" بمعنى فعل، نحو توانيت بمعنى وَنَيت.

---

[1] ن: وقوله.
[2] ن – تعالى.
[3] ر: زاد.
[4] ن: عن. | انظر: المغرب للمطرّزي، «رود».
[5] ر: خا.
[6] ر + خا زيد عمرًا.
[7] ن – لا.

﴿وَقَالَ لِفِتْيَـٰنِهِ ٱجْعَلُواْ بِضَـٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾﴾

﴿لفتيته﴾ وقرئ: ﴿لِفِتْيَـٰنِهِ﴾، وهما جمعُ فتًى؛ كإخوةٍ وإِخْوانٍ في أخٍ، وفِعلةٌ للقلَّة، وفِعلانٌ للكثرة. أي: لغلمانه الكيَّالين.

﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا﴾: لعلَّهم يعرفون حقَّ ردِّها وحقَّ التكرُّم بإعطاء البدَلَين ﴿إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ﴾ وفرَّغوا ظروفَهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: لعلَّ معرفتَهم بذلك تدعوهم إلى الرجوع إلينا، وكانت بضاعتُهم النِّعالَ والأدمَ.

وقيل: "تخوَّفَ أنْ لا يكون عند أبيه من المتاع ما يرجعون به".

وقيل: "لم يَرَ من الكرم أن يأخذ من أبيه وإخوتهِ ثمنًا".

قوله: (حقَّ ردِّها) أي: حقّ ردِّ يوسفَ البضاعةَ، فالردُّ مضاف إلى المفعول. وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ بدل مِن ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا﴾؛ لأنّ معرفتهم تقتضي رجوعهم، فالثاني ملتبس بالأوّل. أو نقول: الغرض مِن الوضع المعرفة، والغرض مِن المعرفة الرجوع، فلعلّ الأولى متعلّق بقوله: ﴿ٱجْعَلُواْ﴾ والثانية بقوله: ﴿يَعْرِفُونَهَا﴾، فعلى هذا لا يكون الثاني بدلًا مِن الأوّل، فتأمّل في الوجهين، فالثاني أحسن؛ بل هو متعيّن،[1] يدلُّ عليه قول المصنّف: "لعلّ معرفتهم تدعوهم إلى الرجوع".

قوله: (البدلَين) أي: البدل والمبدل منه، فهو مِن التغليب كـ"القمرين"، كما يقال: العِوضان. أو نقول: ليس مِن التغليب؛ لأنّ كلًّا منهما بدل مِن الآخر، فكلّ منهما بدل. وقوله: (لعلّ[2] معرفتهم بذلك) أي: بحقّ الردّ وحقّ التكرُّم.

قوله: (وقيل:[3] لم يَرَ مِن الكرم) هذه الوجوه مذكورة لتفسير قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾. فقوله: "وقيل: لم يَرَ" ليس ملائمًا في هذا البين؛ لأنّه لا يصلح تفسيرًا كقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

---

١ ر: متعلق.

٢ ن ر: ولعل.

٣ ن ر – (معرفتهم بذلك) أي: بحقِّ الردّ وحقِّ التكرُّم. قوله: (وقيل).

وقيل: "عَلِم أن ديانتَهم تحمِلُهم على ردِّ البضاعة لا يستحلُّون إمساكَها فيرجعون لأجلها".

وقيل: معنى ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: لَعلَّهم يردُّونها.

﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ﴾ يريدون قولَ يوسف: ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ﴾؛ لأنهم إذا أُنذروا بمنع الكيل فقد مُنع الكيل.

﴿نَكْتَلْ﴾: نرفَعِ المانع من الكيل ونكتلْ من الطعام ما نحتاجُ إليه، وقرئ: ﴿يكتَلْ﴾ بمعنى: يَكتَلْ أخونا فيَنضمَّ اكتيالُه إلى اكتيالنا، أو يكنْ سببًا للاكتيال فإن امتنَاعه بسببه.

﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ﴾ يريد أنكم قلتُم في يوسف: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [يوسف ١٢/١٢] كما تقولونه في أخيه ثم خِسْتُم بضمانكم، فما يُؤْمِنُني من مِثْلِ ذلك؟

قوله: (وقيل: معنى ﴿لَعَلَّهُمْ﴾) عطف على قوله: "لعلَّ معرفتهم"... إلخ، وحاصله أنّه جعل ﴿يَرْجِعُونَ﴾ لازمًا في التفسير الأوّل متعدّيًا في التفسير الثاني. وقوله: (لعلّهم يردّونها) فتكون مِن الرَّجْع لا مِن الرجوع.

قوله: (﴿نَكْتَلْ﴾: نرفعِ المانع مِن الكيل ونكتلْ) الكيل: فِعل يوسف وفتيانه، والاكتيال: فِعل إخوة يوسف، يوضحه قوله: ﴿فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى﴾، وقوله: ﴿نَكْتَلْ﴾.

قوله: (خِستُم) «خاس به يخيس ويخوس،[١] أي: غدر. يقال: خاس فلان بالعهد إذا نكث».[٢]

---

[١] ر: ويحوش.

[٢] الصحاح للجوهري، «خيس».

ثم قال: ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗا﴾ فتوكَّلَ على الله فيه ودفَعَه إليهم، و﴿حَٰفِظٗا﴾ تمييزٌ كقولك: "هو خيرُهم رجلًا" و: "للهِ دَرُّه فارسًا"، ويجوز أن يكون حالًا.

وقرئ: ﴿حفظًا﴾.

وقرأ الأعمش: "فالله خيرُ حافظٍ"، وقرأ أبو هريرة: "خيرُ الحافظين".

﴿وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ فأَرجو أن يُنعِمَ عليَّ بحفظه ولا يجمَعَ عليَّ مُصِيبتين.

وقرئ: "رِدَّتْ إلينا" بالكسر على أن كسرةَ الدالِ المدغَمةِ نُقلت إلى الراء؛ كما قيل: "قيل" و"بيع"، وحَكى قُطْربٌ: "ضِرْبَ زيدٌ" على نقل كسرة الراء فيمَن سكَّنها إلى الضاد.

﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا وَنَحۡفَظُ أَخَانَا وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ ٦٥﴾

﴿مَا نَبۡغِي﴾ للنفي؛ أي: ما نبغي في القول وما نتزيَّد فيما وصَفْنا لك ....

قوله: (و﴿حَٰفِظٗا﴾ تمييز) مِن نسبة ﴿خَيۡرٌ﴾ إلى الضمير. وتحقيق كونه تمييزًا أنّ المعنى أنّه الحافظ الخير مِن جميع الحفّاظ، فالغرض[١] الأصليّ هو إسناد الخير ههنا إليه تعالى مِن حيث كونه حافظًا، لا مِن حيث ذاته تعالى ولا مِن حيث صفة أخرى مِن صفاته تعالى، وذلك أنّ الكلام في الحفظ لا في شيء آخرَ، فتأمّل فيه وفي المثالين.

قوله: (ويجوز أن يكون حالًا) في كونه حالًا ضَعْف للزوم التقييد. ثمّ إنّ القراءات الثلاث تؤيِّد كونه تمييزًا.

قوله: (وحكى قطرب) أبو عليّ الفارسي.[٢]

قوله: (وما نتزيَّد) تزيَّد في الحديث: تكذَّب فيه، والمعنى[٣] زاد ولم يكن منه.

---

١ ن: والغرض.

٢ العبارة مُشكِلة ههنا، فقطرب يُكنى بأبي عليّ، لكن في إيراد لفظ "الفارسي" ههنا غرابة.

٣ ر: فالمعنى.

من إحسان الملك وإكرامه، وكانوا قالوا له: "إنَّا قدِمْنا على خيرِ رجلٍ، أنزلَنا وأكرمَنا كرامةً لو كان رجلًا من آل يعقوب عليه السلام ما أكرَمَنا كرامته".

أو: "ما نبتغي شيئًا وراء ما فُعل بنا من الإحسان".

أو على الاستفهام بمعنى: "أيَّ شيءٍ نطلبُ وراء هذا؟"

وفي قراءة ابن مسعود: "ما تبغي" بالتاء على مخاطبة يعقوبَ عليه السلام، معناه: أيَّ شيء تَطلبُ وراء هذا من الإحسان، أو من الشاهد على صِدْقنا؟

وقيل: معناه: ما نريدُ منك بضاعةً أخرى.

وقوله: ﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَا﴾ جملةٌ مستأنفةٌ موضحةٌ لقوله: ﴿مَا نَبۡغِي﴾ والجُمل بعدها معطوفةٌ عليها على معنى: إنَّ بضاعتَنا رُدَّت إلينا، فنستظهرُ بها ﴿وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا﴾ في رجوعنا إلى الملك ﴿وَنَحۡفَظُ أَخَانَا﴾ فما يُصيبه شيء مما تخافه ﴿وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖ﴾؛ أي: نزداد باستصحاب أخينا وسقَ بعيرٍ زائدًا على أوساق أَبَاعرنا، فأيَّ شيء نبتغي وراء هذه المباغي التي نَستصلِحُ بها أحوالَنا ونوَسِّعُ ذاتَ أيدينا.

وإنما قالوا: ﴿وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖ﴾ لِمَا ذكرنا أنه كان لا يَزيدُ للرجل على حملِ بعيرٍ للتقسيط.

قوله: (أو ما نبتغي) أي: ما نطلب، مِن قولهم: بغيتُ الشيء، أي: طلبته. وأمّا على الأوّل فهو مِن البغي بمعنى التعدّي.

قوله: (أو على الاستفهام) وقراءة ابن مسعود[1] تؤيِّد أنّ المعنى الاستفهام.

قوله: (فنستظهر)، يريد أنّ في الكلام حذفًا.

قوله: (وَسْقَ بعير) الوَسْق: / حِمل بعير. [٢٦ظ]

قوله: (ذاتَ أيدينا) مثل قوله: ذا إنائِكَ.[2]

قوله: (للتقسيط) أي: التقسيط بين الناس، يعني: لتصِل المِيرة إلى جميع الناس.

---

[1] قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود وأبي حَيْوَة. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٠٣٥.

[2] البيت لحُريث بن عَنّاب الطائيّ. ومضى بتخريجه وشرحه في سورة البقرة، ٢/١٩.

فإن قلتَ: هذا إذا فسَّرتَ البغيَ بالطلب، فأما إذا فسَّرته بالكذب والتزيُّد في القول كانت الجملة الأولى -وهي قوله: ﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَا﴾- بيانًا لصدقهم وانتفاءِ التزيُّد عن قِيلهم فما تصنعُ بالجُمَل البَوَاقي؟

قلتُ: أَعطِفُها على قوله: ﴿مَا نَبۡغِي﴾ على معنى: لا نبغي فيما نقول ﴿وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا﴾ ونفعل كيتَ وكيتَ.

ويجوز أن يكون كلامًا مبتدَأً؛ كقولك: وينبغي أن نَميرَ أهلنا؛ كما تقول: سعيتُ في حاجة فلانٍ واجتهدتُ في تحصيل غرضه، ويجب أن أَسْعَى وينبغي لي أن لا أُقصِّرَ.

ويجوز أن يراد: ما نبغي وما ننطقُ إلَّا بالصَّواب فيما نشيرُ به عليك من تجهيزنا مع أخينا، ثم قالوا له: "هذه بضاعتُنا نستظهِرُ بها ﴿وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا﴾ ونفعل ونصنع"، بيانًا؛ لأنهم لا يبغون في رأيهم وأنهم مُصيبون فيه، وهو وجهٌ حسنٌ واضحٌ.

﴿ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ﴾؛ أي: ذلك مكيلٌ قليلٌ لا يكفينا، يعنون: ما يُكال لهم، فأرادوا أن يزدادوا إليه ما يُكال لأخيهم.

أو يكون ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةً إلى ﴿كَيۡلَ بَعِيرٖ﴾؛ أي: ذلك الكيلُ شيءٌ قليلٌ يُجيبنا إليه الملك ولا يضايقُنا فيه، أو سهلٌ عليه متيسِّرٌ لا يتعاظَمُه.

قوله: (والتزيُّد في القول) تزيَّد في الحديث: تكذَّب، والمعنى زاد ولم يكن منه.

قوله: (قلتُ: أعطِفُها على قوله: ﴿مَا نَبۡغِي﴾) لا على قوله: ﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا﴾، فلا يلزم أن يكون بيانًا مثلها.

قوله: (ويجوز أن يكون كلامًا مبتدأ) أي: يكون كلامًا مستأنفًا، والواو للاستئناف لا للعطف.

قوله: (يعنون) أي: إشارة إلى ما يُكال لهم.

قوله: (أو سهل) عطف على (شيء قليل) ففي "سهل" ضمير مستتر يعود إلى قوله: (ذلك)، وكذا في (لا يتعاظمه)، وأمّا الضمير المجرور في (عليه)

ويجوز أن يكون من كلام يعقوبَ عليه السلام، وأنَّ حِمْلَ بعيرٍ واحدٍ شيءٌ يسيرٌ لا يُخاطَرُ بمثله بالولد؛ كقوله ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ﴾.

﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾﴾

﴿لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ﴾: مُنافٍ لحالي -وقد رأيتُ منكم ما رأيتُ- إرسالُهُ معكم.

﴿حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾: حتى تُعطوني ما أتوثَّقُ به من عند الله، أراد أن يحلفوا له بالله، وإنما جعل الحَلِف بالله مَوْثِقًا منه؛ ....

والمنصوب في "يتعاظمه" فيعود إلى المَلِك. وقوله: "لا يتعاظمه". يقال: «تعاظمه أمر كذا. وتقول: أصابنا مطر لا يتعاظمه شيء، أي: لا يعظم عنده شيء».[١]

قوله: (مُنافٍ لحالي) استفاده مِن قوله: ﴿لَنْ﴾ فإنّها لتأكيد النفي. وقوله: (قد رأيتُ) جملة معترضة لبيان المنافاة. وقوله: (﴿مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾) ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ صفة ﴿مَوْثِقًا﴾. قال في المغرب:

عهد وثيق، أي: مُحكَم. وقد وَثُق وَثاقةً. ووثَّقه وأَوْثقه: أحكمه. وشدَّه بالوَثاق:[٢] بالقيد، وكسر الواو لغة. والمَوثِق والمِيثاق: العهد. وواثقني بالله ليفعلنّ، أي: عاهدني،[٣] يعني: حلف. وإنّما سُمّي الحَلِف موثقًا؛ لأنّه ممّا يُوثَّق به العهد ويؤكّد. وقوله تعالى: ﴿لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ قال شيخ الإسلام خواهَر زاده: رُوي أنّ ابن عبّاس[٤] قال: كفَّلهم نفسه، ولم يُرد أنّه استحلفهم[٥] على ردّه إليه، ألا ترى أنّه قال: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ ولو أراد اليمين لقال: "بالله"،[٦] فلمّا قال: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ علمنا أنّه أراد الكفالة. قال شيخنا صاحب جمع التفاريق:[٧] قد قيل ذلك؛ ولكنّه بعيد، وإنّما المراد اليمين كما قاله عامّة المفسّرين، ويشهد له قوله تعالى: ﴿لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ﴾؛

---

١ الصحاح للجوهري، «عظم».

٢ ن ر: الوثاق.

٣ ن ر: عاهد في.

٤ ن ر + رضي الله عنه.

٥ ر: استخلفهم.

٦ ر: الله.

٧ ن: التقاليد. | كتاب جمع التفاريق في الفروع، للإمام زين المشايخ أبي الفضل محمّد بن أبي القاسم البقالي الخوارزمي (ت ٥٦٢هـ). كشف الظنون لحاجي خليفة، ٥٩٦/١.

لأن الحَلِف به ممّا تؤكّد به العهود وتُشدَّد، وقد أَذِن الله في ذلك فهو إذنٌ منه.

﴿لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ﴾ جوابُ اليمين؛ لأنّ المعنى: حتى تَحْلِفوا لتأتُنّني به ﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾: إلّا أن تُغلبوا فلم تُطيقوا الإتيان به، أو: إلّا أن تَهلِكوا.

فإن قلتَ: أَخْبِرْني عن حقيقة هذا الاستثناء ففيه إشكال؟

قلتُ: ﴿أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ مفعولٌ له، والكلامُ المثبت الذي هو قوله: ﴿لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ﴾ في تأويل النفي، معناه: لا تمتنِعون من الإتيان به إلّا للإحاطة بكم؛ أي: لا تمتنِعون منه لعلَّةٍ من العللِ إلّا لعلَّةٍ واحدة وهي أن يُحاط بكم، فهو استثناءٌ من أعمّ العامّ في المفعول له، والاستثناءُ من أعمّ العامّ لا يكون إلّا في النفي وحده، فلا بدَّ من تأويله بالنفي، ونظيرُه من الإثبات المتأوَّل بمعنى النفي قولُهم: "أقسمتُ بالله لمّا فعلتَ" و"إلّا فعلت" تريد: "ما أطلبُ منك إلّا الفعلَ".

لأنّه جواب اليمين، والمعنى: لن أرسله معكم حتّى تحلفوا لتأتُنّني به ولتَردُّنّه[١] إليّ إلّا أن يُحاط بكم إلّا أن تُغلبوا فلم تطيقوا الإتيان به، أو إلّا أنّ تهلِكوا. ويعضده قوله: ﴿ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾؛ لأنّه أراد به طلبَ الموثق وعطاءَه، وهو مِن باب القول، وإنّما قال: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾؛ لأنّه تعالى قد أذِن له في ذلك، فهو إذن منه.[٢]

وقوله: (ممّا تؤكّد[٣] به العهود) فهو إذن مَوثِق.

قوله: (لأنّ المعنى) أي:[٤] معنى ﴿تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾.

قوله: (فإن قلتَ: أخبرني) وجهُ الإشكال أنّه استثناء مفرَّغ في كلام موجَب.

قوله: (مِن أعمّ العامّ)، يعني أنّه استثناء مفرَّغ،[٥] والاستثناء المفرَّغ يقدَّر فيه المستثنى[٦] منه عامًّا.

قوله: (قولهم: "أقسمتُ بالله لمّا فعلتَ" و"إلّا فعلتَ") قال رحمه الله:[٧]

---

١ ن: لتردنه؛ ر – لتَردُنّه.
٢ انظر: المغرب للمطرّزي، «وثق».
٣ ن: توكيد.
٤ ن – أي.
٥ ن ر – في كلام موجب قوله: (مِن أعمّ العامّ)، يعني أنّه استثناء مفرَّغ.
٦ ن: المستسنى؛ ر: المستعني.
٧ ن ر: رضي الله عنه.

﴿عَلَىٰ مَا نَقُولُ﴾ من طلب الموثِق وإعطائه ﴿وَكِيلٌ﴾: رقيبٌ مطلعٌ.

﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ٦٧﴾

وإنما نهاهم أن يدخلوا من بابٍ واحد؛ ....

"أقسمتُ" هو إثبات في الظاهر وليس به؛ لأنّه في معنى النفي، وقَسَم في الظاهر وليس بقسم حقيقة؛ لأنّه في معنى الاستدعاء والطلب، وظاهر "لمّا" الوقت وليس بوقت؛ لأنّه في معنى الاستثناء، وما بعده فعل وليس بفعل؛ لأنّه في معنى الاسم. فالكلام كلّه إذن ليس على ظاهره؛ / بل مُئوّل؛ ولذلك أعضَل [٢٧و] على سيبويه حتّى قال: «سألتُ الخليل عن قول[١] العرب: أقسمت بالله لمّا فعلتَ».[٢] هكذا في الحواشي.

ويقول: أضعف عباد الله تعالى أحمد بن الحسن الجاربردي الذي ظهر لنا بالتأمُّل أنّ في الكلام حذفًا، و"لمّا"[٣] بمعنى "إلّا"، وتقديره[٤] "أقسمتُ عليك لتفعلنّ، ما أطلب منك إلّا فِعلكَ"،[٥] فإنّه لمّا قيل: "أقسمتُ عليك"[٦] عُلم أنّه يطلب شيئًا، فحُذف جوابه وهو "لتفعلنّ"، وكذا حُذف ما أطلب منك. وقوله: "لمّا"[٧] بمعنى "إلّا" ولا يقع بعده إلّا الاسم، فصار "فعلتَ"[٨] في معنى "فِعلكَ"، فاستقام اللفظ والمعنى على هذا مِن غير ارتكاب مخالفة الظاهر مِن وجوه كثيرة. والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله. وقوله: (مِن طلب المَوثِق) بيان ما نقول، فالذي كان مِن يعقوب[٩] طلبُ المَوثِق،[١٠] والذي كان مِن بنيه إعطاء المَوثِق، فلذا بيّنه كذلك.

---

١ ن: قوم.
٢ كتاب سيبويه، ٣/١٠٥، وفيه «أقسمت عليك» مكان «أقسمت بالله».
٣ ن: لا.
٤ ن ر – وتقديره.
٥ ر: فعلتك.
٦ ن ر: عليكم.
٧ ن ر – لما.
٨ ن ر: فعللت.
٩ ر – (المَوثِق) بيان ما نقول فالذي كان مِن يعقوب.
١٠ ن – بيان ما نقول فالذي كان مِن يعقوب طلب الموثق.

لأنهم كانوا ذوي بهاءٍ وشارةٍ حسنةٍ، وقد اشتَهَرهم أهلُ مصر بالقُربة عند الملك والتَّكْرمة الخاصَّة التي لم تكن لغيرهم، فكانوا مَظِنَّةً لطموح الأبصار إليهم من بين الوفود، وأن يشارَ إليهم بالأصابع، ويقال: "هؤلاء أضيافُ الملك، انظروا إليهم ما أحسنهم من فتيان! وما أحقَّهم بالإكرام!" لأمرٍ مّا أكرَمَهم الملك وقرَّبَهم وفضَّلهم على الوافدين عليه؛ فخاف لذلك أن يدخلوا كوكبةً واحدةً فيُعانُوا لجمالهم وجلالةِ أمرهم في الصدور، فيصيبَهم ما يسوؤهم؛ ولذلك لم يوصِهم بالتفرُّق في الكرَّةِ الأولى؛ لأنّهم كانوا مجهولين مغمورين بين الناس.

قوله: (وشارةٍ) الشارة: الهيئة.[1]

قوله: (وقد اشتهرهم أهل مصر) «الشُّهرة: وضوح الأمر. تقول منه: شهَرتُ الأمر أشهَره شَهرًا وشُهرةً واشتهر، أي: وضح، وكذلك شهَّرته تشهيرًا. ولفلان فضيلة[2] اشتهرها الناس»،[3] أي: علمها الناس بتلك[4] الفضيلة.

قوله: (لطموح الأبصار) طَمَح بصره إليه، أي: ارتفع.

قوله: (مِن بين الوفود) «وَفَد فلان على الأمير، أي: ورد رسولًا فهو وافد، والجمع وَفْد مثل صاحب وصَحْب».[5] قاله في الصحاح. وقال في المغرب: «الوفد: القوم يفِدون على المَلِك، أي: يأتون في أمر فتح أو تهنئة[6] أو نحو ذلك، وجمعه وفود».[7]

قوله: (فيُعانوا) أي: يصابوا بالعين يقال: «عِنتُ الرجل أصبتُه بالعين، فأنا عائن وهو مَعِين ومَعيون على النقص والتمام».[8] وقوله: (في الصدور) جمع الصدر ويريد القلوب. وقوله: (ولذلك) إشارة إلى "اشتهرهم" إلى قوله: (لغيرهم). وقوله: (لأنّهم) بدل مِن "لذلك".[9]

---

[1] ن: الهيبة.

[2] ن: فضله.

[3] الصحاح للجوهري، «شهر»، وفي مطبوعه «فاشتهر» مكان «واشتهر».

[4] ر: بذلك.

[5] الصحاح للجوهري، «وفد».

[6] ر: يهينه.

[7] المغرب للمطرّزي، «وفد».

[8] الصحاح للجوهري، «عين».

[9] ن ر – "اشتهرهم" إلى قوله: (لغيرهم). وقوله: (لأنّهم) بدل مِن "لذلك".

فإن قلتَ: وهل للإصابةِ بالعين وجهٌ تصحُّ عليه؟

قلتُ: يجوز أن يُحدث الله عز وجل عند النظرِ إلى الشيء والإعجابِ به نقصانًا فيه وخللًا من بعض الوجوه، ويكون ذلك ابتلاءً من الله وامتحانًا لعباده ليَتميَّز المحقِّقون من أهل الحشو، فيقول المحقِّق: "هذا فعلُ الله"، ويقول الحَشْويُّ: "هو أثرُ العين"؛ كما قال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية [المدثر ٣١/٧٤].

وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: أنه كان يُعَوِّذ الحسنَ والحسينَ رضي الله عنهما فيقول: «أعيذُكما بكلماتِ الله التامَّة من كلِّ شيطان وهامَّة ومن كلِّ عينٍ لامَّةٍ».

﴿وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ يعني: إن أراد اللهُ بكم سوءًا لم يَنفعْكم ولم يَدفَعْ عنكم ما أشرتُ به عليكم من التفرُّق، وهو مصيبُكم لا محالةَ ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ ثم قال:

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم﴾؛ أي: متفرِّقين ﴿مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم﴾ رأيُ يعقوبَ ودخولُهم متفرِّقين شيئًا قطُّ حيث أصابَهم ما ساءهم مع تفرُّقهم:

قوله: («مِن كلِّ عين لامّة»)[1] قالوا: "لامّة" بمعنى "مُلِمّة"، وإنّما أتى بها على "فاعلة" للمزاوجة. ويجوز أن تكون على ظاهرها بمعنى جامعة للشرّ على المعيون، مِن لمّه يلمُّه إذا جمعه. وقوله: (هامّة) أراد بالهامّة ذوات السموم، مِن همّ هميمًا إذا دبّ[2] كالعقارب.

قوله: (حيث أصابهم) في معنى التعليل.

---

[1] صحيح البخاري، ١٤٧/٤ (٣٣٧١)؛ سنن أبي داود، ١١٧/٧ (٤٧٣٧)؛ سنن الترمذي، ٤٦٤/٣ (٢٠٦٠).

[2] ن ر – (هامّة) أراد بالهامّة ذوات السموم مِن همّ هميمًا إذا دبّ.

من إضافةِ السَّرقة إليهم وافتضاحِهم بذلك، وأخذِ أخيهم بوجدان الصُّواع في رحلهِ، وتضاعُفِ المصيبة على أبيهم.

﴿إِلَّا حَاجَةً﴾ استثناءٌ منقطعٌ، على معنى: ولكنَّ حاجةً ﴿فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا﴾ وهي شفقتُه عليهم، وإظهارُها بما قاله لهم ووصَّاهم به.

قوله: (﴿إِلَّا حَاجَةً﴾ استثناء منقطع) تقريره أنّ الحاجة التي كانت في نفس يعقوب هو ألّا يدخلوا مِن باب واحد لشفقته[١] عليهم، فقضى تلك الحاجة، أي: أظهرها بقوله: ﴿لَا تَدْخُلُوا﴾. ولا يحسن أن يقال: "حاجتُه سلامتهم"؛ لأنّه لم يقضِ السلامة بقوله: ﴿لَا تَدْخُلُوا﴾، وإذا كان استثناء منقطعًا كان ﴿حَاجَةً﴾ منصوبة بـ﴿إِلَّا﴾؛ لأنّها بمعنى "لكنّ". و﴿قَضَىٰهَا﴾ يجوز أن يكون خبر "لكنّ"، وصفةً كقوله: ﴿فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ﴾، وعلى هذا يكون خبر "لكنّ" محذوفًا. قال ابن الحاجب في شرح المفصّل: «فأمّا المنقطع فالعامل فيه ﴿إِلَّا﴾؛ لأنّها تعمل عمل "لكنّ"، ولها [٢٧ظ] خبر / مقدَّر على حسب المعنى المراد، ومنهم مَن يقول: إنّه يُظهَر».[٢]

قوله: (وهي شفقتُه) فسّر المصنِّف الحاجة بالشفقة، وقال: "إظهار الشفقة بقوله لهم: ﴿ٱدْخُلُوا﴾". وقال الواحدي[٣] في الوسيط: «يعني أنّ ذلك الدخول مِن الأبواب المتفرِّقة قضى حاجةً[٤] في نفس يعقوب، وهي إرادته أن يكون دخولهم كذلك شفقة عليهم وخوفًا مِن العين».[٥] الحاجة التي كانت في نفس يعقوب هي سلامتهم وعدم إصابة العين بهم، والشفقة تقتضي ذلك، فأُطلق الحاجة وأريدَ الشفقة، والقرينة[٦] قوله:[٧] ﴿فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ﴾، فيكون كناية، فكأنّه قال: لكن مُشفِقة في نفس يعقوب[٨] قضاها. وقوله: (إظهارُها) مبتدأ خبره (بما قاله)، يعني أنّ إظهار الشفقة كان بقوله: ﴿لَا تَدْخُلُوا﴾ وهو تفسير قوله: ﴿قَضَىٰهَا﴾، يعني:

---

١ ر: شفقته.
٢ الإيضاح في شرح المفصَّل لابن الحاجب، ١/٣٢٦-٣٢٧.
٣ ر + رحمه الله.
٤ ن: حاجته.
٥ الوسيط للواحدي، ٢/٦٢٢ (يوسف، ١٢/٦٨).
٦ ر: والعربية.
٧ ر: في له.
٨ ن ر – فيكون كناية، فكأنّه قال: لكن مشفقة في نفس يعقوب.

﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ﴾ يعني قولَه: ﴿وَمَآ أُغْنِي عَنكُم﴾ وعِلْمَه بأن القَدرَ لا يُغني عنه الحذَرُ.

﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٦٩﴾

﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾: ضَمَّ إليه بُنيامين، وروي أنهم قالوا له: "هذا أخونا قد جئناك به"، فقال لهم: "أحسنتُم وأصبتُم وستجدون ذلك عندي"، فأنزلهم وأكرمهم ثم أضافَهم وأَجلس كلَّ اثنين منهم على مائدةٍ، فبقي بُنيامينُ وحدَه، فبكى وقال: "لو كان أخي يوسف حيًّا لأَجلسني معه"، فقال يوسف: "بقي أخوكم وحيدًا" فأجلَسه معه على مائدتِهِ وجَعَل يُواكِله، وقال: "أنتم عشرة فلينْزِل كلُّ اثنين منكم بيتًا وهذا لا ثانيَ له فيكون معي"، فبات يوسفُ يضمُّه إليه ويشمُّ رائحتَه حتى أصبح، وسأله عن ولده فقال: "لي عشرةُ بنين اشتقَقْتُ أسماءهم من اسم أخٍ لي هلك"، فقال له: "أتحِبُّ أن أكون أخاك بدلَ أخيك الهالكِ؟" قال: "مَن يجدْ أخًا مثلَكَ؟! ولكنْ لم يَلِدْك يعقوبُ عليه السلام ولا راحيلُ"، فبكى يوسفُ وقام إليه وعانَقه وقال له: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ﴾ يوسفُ ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾: فلا تَحزَنْ

لكنّ يعقوب أظهر الشفقة عليهم بهذا القول مع علمه بأنّ دخولهم متفرِّقين ما كان يغني، فالضمير في "قضى" يعود إلى ﴿يَعْقُوبَ﴾، وأمّا على ما في الوسيط فيعود إلى الدخول.

قوله: (يعني قوله) أي: المراد بـ﴿عِلْمٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَذُو عِلْمٍ﴾ هو قوله: ﴿وَمَآ أُغْنِي﴾، ولا شبهة في أنّ هذا ليس نفس العلم، وإنّما سمّاه علمًا؛ لأنّه صادر عن العلم، فكأنّه قال: يعني علمَه بأنّه ما كان يغني، وعلمَه بأنّ القدر لا يُغني عنه[1] الحذر. ويجوز أن يقال: معنى قول المصنِّف "يعني قوله": أنّه تعالى يعني بقوله: ﴿مَا عَلَّمْنَٰهُ﴾ قولَ يعقوب ﴿وَمَآ أُغْنِي عَنكُم﴾.

---

[1] ن ر: عن.

﴿بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ بنا فيما مضى، فإن الله قد أَحْسنَ إلينا وجَمَعنا على خيرٍ، ولا تُعلِمْهم بما أعلَمْتُك.

وعن ابن عبّاس: تعرَّفَ إليه.

وعن وَهْبٍ: إنما قال له: ﴿أَنَا۠ أَخُوكَ﴾ بدل أخيك المفقود ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ بما كنتَ تلقَى منهم من الحسد والأذى فقد أمِنْتَهم.

وروي أنّه قال له: "فأنا لا أفارقك"، قال: "قد علمتَ اغتمامَ والدي بي، فإذا حبَسْتُك ازداد غمُّه، ولا سبيل إلى ذلك إلّا أن أنسُبَك إلى ما لا يَجْمُلُ"، قال: "لا أُبالي فافعَلْ ما بَدَا لك"، قال: "فإنّي أَدُسُّ صاعي في رحلك ثم أنادي عليك بأنك سرَقْتَه ليتهيَّأ لي ردُّك بعد تسريحك معهم"، قال: "افعَلْ".

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾﴾

قوله: (وعن ابن عبّاس)... إلخ، قول ابن عبّاس يؤيّد الوجه المذكور، وهو أنّه قال: "أنا أخوك يوسف". وأمّا[1] المَرويّ عن وهب فقول آخر. وقوله: (تعرَّف إليه)[2] استعمل تعرَّف بـ"إلى" ههنا، وقد استعمله قبل ذلك باللام. والتعرُّف بمعنى الاستعراف يعني وجَّه إليه ما عرّفه به، مِن ذِكر نسبه والأحوال التي عَرَفه بها.

قوله: (وعن وهب)[3] فعلى قول وهب لم يتعرَّف إليه ولم يُصرِّح بأنّه أخوه.

قوله: (ورُوي أنّه قال) هذه الرواية[4] تستقيم على الوجه الأوّل، وهو أنّه تعرَّف إليه. وقوله: (قال: قد علمتَ) أي: قال يوسف.[5]

قوله: (أدسُّ) الدسُّ: الخفاء.

---

[1] ن: وما.

[2] القول بمعناه في البسيط للواحدي، ١٢/١٧٧ (يوسف، ١٢/٦٩).

[3] انظر: جامع البيان للطبري، ١٣/٢٤٢ (يوسف، ١٢/٦٩).

[4] ن ر – بأنّه أخوه قوله: (وروي أنّه قال) هذه الرواية.

[5] ر + في.

﴿ٱلسِّقَايَةَ﴾: مِشرَبةٌ يُسقَى بها وهي الصُّواع.

قيل: كان يُسقَى بها الملك ثم جُعلَتْ صاعًا يكال به.

وقيل: كانت الدَّوابُّ تُسقَى بها ويُكال بها.

وقيل: كانت إناءً مستَطيلًا يُشبهُ المَكُّوكَ.

وقيل: هي المكُّوكُ الفارسيُّ الذي يَلتقي طرفاه تشرَبُ به الأعاجِمُ.

وقيل: كانت من فضَّة مُمَوَّهةٍ بالذهب.

وقيل: كانت من ذهب.

وقيل: كانت مرصَّعةً بالجواهر.

﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾: ثم نادى منادٍ، يقال: آذَنَه: أعلمه، وأذَّن: أكثَرَ الإعلام، ومنه: المؤذِّن؛ لكثرة ذلك منه.

روي: أنهم ارتحلوا وأمهَلَهُم يوسفُ حتى انطلقوا، ثم أمَرَ بهم فأُدرِكوا وحُبِسوا ثم قيل لهم ذلك.

قوله: (مِشرَبة) المِشرَبة بالكسر: إناء يُشرَب فيه، وبالفتح الغُرْفة.

قوله: (المكُّوك) المكُّوك: مِكيال وهو ثلاث كَيلجات، والكَيلَجَة: مَنًا وسبعة أثمان مَنًا.[1]

قوله: (الذي يلتقي) أي: يكون منعطفًا.[2]

قوله: (وأذَّن: أكثر الإعلام) أذِن: علِم. وآذَن: أعلم. وأذَّن:[3] أكثر الإعلام. ويفهم منه أنّ "فعَّل" إذا كان للتكثير فقد يكون للتكثير في الثلاثي المجرَّد،[4] نحو "غلَّقتُ" وقد يكون للتكثير في الثلاثي المزيد نحو "أذَّن".

قوله: (ثمَ أمَر بهم) أي: بإدراكهم وحبسهم، فحُذف المضاف لدلالة ما بعده عليه، وهو قريب مِن قولهم: سمعتُ زيدًا يقول كذا، أي: سمعتُ قولَ زيد.

---

[1] ر: من.
[2] ن: منقطعًا.
[3] ن + وأذن.
[4] ن: المجد.

و"العيرُ": الإبلُ التي عليها الأَحمال؛ لأنها تَعِير؛ أي: تذهب وتَجيءُ.

وقيل: هي قافلةُ الحميرِ، ثم كثُرَ حتى قيل لكلِّ قافلة: عيرٌ؛ كأنها جمعُ عَيْر، وأصلها: فُعْلٌ؛ كسَقْفٍ وسُقُفٍ، فُعِل به ما فُعِل ببيضٍ وغيدٍ.

والمراد: أصحاب العير؛ كقوله: "يا خَيلَ الله ارْكَبِي".

وقرأ ابن مسعود: "وجَعَل السِّقاية" على حذف جواب "لمَّا"؛ كأنه قيل: "فلمَّا جَهَّزَهم بجهازهم وجَعَلَ السقاية في رحلِ أخيه أَمهَلَهم حتّى انطلقوا ثم أَذَّن مؤذِّن".

وقرأ أبو عبد الرحمن السُّلَميُّ: "تُفقِدون" من أَفْقَدْتُه: إذا وجدتَهُ فقيدًا.

وقرئ: "صُواعَ"، و: "صاعَ"، و: "صَوْعَ" و: "صُوعَ" بفتح الصاد وضمِّها، والعين معجمةٌ وغيرُ معجمة.

قوله: (وغِيد) الغيداء: الفتاة[١] الناعمة، والجمع الغِيد.

قوله: (كقوله: «يا خيل الله اركبي»)،[٢] أي: يا أصحاب خيل الله.

[٢٨و] قوله: / (وقرأ ابن مسعود: "وَجَعَلَ السِّقَايَةَ")،[٣] أي: بالواو. وقوله: (على حذف جواب "لمّا") وهو الوجه في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾ [الصافات ١٠٣/٣٧]، أي: فازا وحظِيا[٤] بما بغيا. وعند الكوفيين يجوز أن يجيء جواب "لمّا" بالواو.

قوله:[٥] (أمهلهم[٦] حتّى انطلقوا)، يعني أنّ الجواب المحذوف هو "أمهلهم حتّى انطلقوا"،[٧] وقوله: ﴿ثُمَّ أَذَّنَ﴾ عطف على ذلك الجواب المحذوف.

قوله: (وغيرُ معجمة) أي: في القراءتين الأخيرتين،[٨] أي: العين المعجمة في "صَوع" و"صُوع". هكذا في بعض الحواشي، وهو صحيح، ويدلُّ على تعلُّق

---

١ ر: القناة.

٢ شعب الإيمان للبيهقي، ١٥٨/١٣ (١٠١٠٦)؛ البيان والتبيين للجاحظ، ١٥/٢؛ مجمع الأمثال للميداني، ١٨٢/٢.

٣ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود. المغني في القراءات للنُّوزاوازي، ص ١٠٣٥.

٤ ر: وحيطا.

٥ ر: وقوله.

٦ ن: أهملهم.

٧ ن ر - يعني أنّ الجواب المحذوف هو "أمهلهم حتى انطلقوا".

٨ ن: الأخرين.

﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ﴾ يقوله المؤذِّن، يريد: وأنا بحملِ البعير كفيلٌ أُؤدِّيه إلى مَن جاء به، وأراد: وَسْقَ بعيرٍ من طعامٍ جُعْلًا لمن حصَّله.

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ٧٣﴾

﴿تَٱللَّهِ﴾ قسمٌ فيه معنى التعجُّبِ مما أُضيف إليهم، وإنما قالوا: ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتُم﴾ فاستشهَدوا بعِلْمِهم؛ لِمَا ثبتَ عندهم من دلائل دينهم وأمانتِهم في كَرَّتي مجيئهم، ومداخَلَتِهم للملك؛ ولأنهم دخلوا وأفْواهُ رواحِلِهم مكعومةٌ لئلا تتناول زرعًا أو طعَامًا لأحد من أهل السوق؛ ولأنهم رَدُّوا بضاعتَهم التي وجدوها في رحالهم.

﴿وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾: وما كنَّا نوصَف قطُّ بالسرقة، وهي منافيةٌ لحالنا.

المعجمة وغير المعجمة بالقراءتين[1] الأخيرتين[2] أنّ قوله: (بفتح الصاد وضمّها) مختصّ[3] بهما. واعلم أنّ ﴿صُوَاعَ﴾ مِن[4] القراءات السبعة، والبواقي مِن غيرها. قال في الكواشي: «قرئ: "صَاعَ"[5] و"صُوعَ"[6] و"وصَوْغَ"[7] بعين معجمة ومهملة في الألفاظ الثلاثة، فبالمعجمة مِن الصِّياغة،[8] وبالمهملة لغات في الصاع».[9]

قوله: (يقوله المؤذِّن) حكاية حال ماضية.

قوله: (مكعومة)[10] «الكِعام: شيء يُشدّ[11] على فمّ البعير. يقال: كَعَمت البعير[12] في هِياجه، أي: شددتُ فمه بالكِعام فهو مكعوم».[13]

---

[1] ن ر: بالقرائن.
[2] ن: الأخرين.
[3] ر: يختصّ.
[4] ن ر – من.
[5] قراءة شاذّة، مرويّة عن أبي هريرة رضي الله عنه. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٠٣٧.
[6] قراءة شاذّة، مرويّة عن عبّاد بن راشد عن الحسن، وعبيد الله بن عون. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٠٣٧.
[7] قراءة شاذّة، مرويّة عن أبي رجاء ومجاهد. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٠٣٦.
[8] ر: الضياعة.
[9] تفسير الكواشي، ٢٤٦و-ظ.
[10] ن: مكعمة.
[11] ن ر: يشده.
[12] ن: البعين.
[13] الصحاح للجوهري، «كعم».

﴿قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ ۝٧٤ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧٥﴾

﴿فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ﴾ الضميرُ في ﴿جَزَٰٓؤُهُۥٓ﴾ للصُّواع؛ أي: فما جزاءُ سرقته ﴿إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ﴾ في جحودكم وادِّعائكم البراءةَ منه.

﴿قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ﴾؛ أي: جزاءُ سرقته أخذُ مَن وُجِدَ في رَحْلِه، وكان حُكم السارق في آلِ يعقوبَ أن يُسترقَّ سنةً؛ فلذلك استُفْتُوا في جزائه.

وقولهم: ﴿فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ تقريرٌ للحكم؛ أي: فأخذُ السارق نفسِه هو جزاؤه لا غير؛ كقولك: "حَقُّ زيدٍ أن يُكسَى ويُطعَمَ ويُنعَم عليه فذلك حقُّه"، أو: "فهو حقُّه"؛ لتُقرِّرَ ما ذكَرْتَه من استحقاقه وتُلزِمَه.

ويجوز أن يكون ﴿جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ مبتداً والجملةُ الشرطيَّة كما هي خبرُه على إقامةِ الظاهر فيها مُقامَ المضمَرِ، ....

قوله: (أي: ما جزاء سرقته؟) بحذف المضاف. إنّما قدّر المضاف؛ لأنّ الجزاء[١] ما يكون في مقابلة الفعل الحسن أو السيّئ.

قوله: (أي: جزاءُ سرقته أخذُ مَن وُجد) فـ﴿مَن﴾ موصولة، و"هو" خبر ﴿جَزَٰٓؤُهُۥ﴾.

قوله: (فلذلك استُفتوا) أي: لأجل أنّ هذا الحكم كان ثابتًا في شريعة يعقوب استُفتي أخو يوسف في جزائه، ليجيبوا بالحكم الثابت عندهم، فيُلزِمهم الحجَّة.

قوله: (والجملة الشرطيّة كما هي خبره) فـ﴿مَن﴾ على هذا شرطيّة، وإذا جُعل الجملة كما هي خبرًا فالرابط هو الضمير أو ما[٢] يقوم مقامه. وتحقيق ذلك أن نقول: إذا وقع الجملة خبرًا لا يكون مفهوم الخبر عين[٣] مفهوم المبتدأ؛ بل يكفي في الربط بينهما الضمير، كما في قولك: "زيد أبوه قائم"، فإنّ مفهوم "أبوه قائم" ليس عين مفهوم زيد؛ بل المصحِّح للخبريّة هو الضمير الرابط، فتأمّل فيه يتّضح لك المعنى ههنا.

---

١ ن ر – الجزاء.
٢ ن – ما.
٣ ر: عن.

والأصل: جزاؤه مَن وُجد في رحله فهو هو، فوُضع الجزاءُ موضعَ "هو"؛ كما تقول لصاحبك: "مَن أخو زيد؟" فيقول لك: "أخوه مَن يقعد إلى جنبه فهو هو"، يرجعُ الضميرُ الأول إلى "مَن" والثاني إلى الأخ، ثمّ تقول: "فهو أخوه" مقيمًا للمُظهَرِ مُقام المضمَر.

ويحتمل أن يكون ﴿جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ خبرَ مبتدأ محذوفٍ؛ أي: المسؤول عنه جزاؤه، ثمّ أفتَوْا بقولهم: ﴿مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾؛ كما يقول مَن يُستَفْتَى في جزاءِ صيد المُحرِم: "جزاءُ صيد المحرِم" ثم يقول: ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ [المائدة ٥/٩٥].

﴿فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ قَبۡلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ۝٧٦﴾

﴿فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ﴾ قيل: قال لهم مَن وُكِّل بهم: لا بدَّ من تفتيش أوعيتكم،

قوله: (فهو هو) وإنّما قدّر كذلك؛ لأنّه لا بدّ في الجملة مِن ضمير يرجع إلى المبتدأ، وهو "هو" الأخير، وأمّا الأوّل فيرجع إلى ﴿مَن﴾.

قوله: (ثمّ تقول: فهو أخوه) بدل قوله: "فهو هو".

قوله: (ثمّ أفتَوا بقولهم) حكى[١] أوّلًا قول المستفتي:[٢] ﴿فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥ﴾، ثمّ أتبعه الجواب بقوله: ﴿مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾. في هذه الحاشية نظر. والأَولى أن يقال: ﴿جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ خبر مبتدأ محذوف، فكأنّه قال: المسئول عنه جزاءه، ثمّ أفتى بقوله: ﴿مَن وُجِدَ﴾... إلخ، وحاصله[٣] يئول إلى معنى قولك: سألتم عن جزأيه فنحن نجيب عن ذلك بأن نقول ﴿مَن وُجِدَ﴾... إلخ.

قوله:[٤] (مِن وُكِّل بهم) أي: مَن[٥] وكَّله يوسف بهم ليُسرّقهم ويُفتّش عن حالهم.

---

[١] ر: يبكي.
[٢] ن: المستغني.
[٣] ر: وحاصل.
[٤] ن: قول.
[٥] ر + وكل.

فانصرف بهم إلى يوسفَ عليه السلام فبدأ بتفتيشِ أوعِيَتِهم قبلَ وعاء بُنيامين لنَفْي التُّهمة، حتى بلغ وعاءه فقال: "ما أظنُّ هذا أَخَذ شيئًا"، فقالوا: "والله لا نتركُه حتى تنظُرَ في رحله فإنه أطيبُ لنَفْسك وأنفُسِنا"، فاستَخْرَجوه منه.

وقرأ الحسن: "وُعاء أخيه" بضمِّ الواو، وهي لغةٌ، وقرأ سعيد بن جبير: "إِعاءِ أخيه" بقلب الواو همزةً.

فإن قلتَ: لمَ ذكَّر ضميرَ الصُّواع مرَّاتٍ ثم أنَّثه؟

قلتُ: قالوا: رجع بالتأنيث على السِّقاية، أو أنَّث الصُّواع؛ لأنه يذكَّر ويؤنَّث، ولعلَّ يوسف كان يسمِّيه سِقايةً وعبيدُه صواعًا، فقد وقع فيما يتَّصل به من الكلام سقايةً وفيما يتَّصل بهم منه صواعًا.

﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا﴾؛ أي: مِثْلَ ذلك الكيدِ العظيم كِدْنا ﴿لِيُوسُفَ﴾ يعني: علَّمناه إيَّاه وأوحينا به إليه.

قوله: (فانصرف بهم) الباء للتعدية أو للمصاحبة.

قوله: (بتفتيش) فتشتُ الشيء فتشًا، وفتَّشته تفتيشًا، بمعنى.

[٢٨ظ] قوله: (لنفي[١] التُّهَمة)،[٢] / أي: لينفي[٣] المؤذِّن المفتِّش التُّهَمة[٤] عن نفسه، فلا يقول له أخوة يوسف: أنت وضعته في رَحْل بنيامين، وإلّا فكيف عرفتَ أنّه فيه؟

قوله: (ما أظنُّ هذا أخذ شيئًا) "هذا" مفعول أوّل، و"أخذ شيئًا" مفعول ثانٍ.[٥]

قوله: (بقلب الواو[٦] همزة) مثل "إِشاح" في "وِشاح".

قوله: (الكيد العظيم) دلّ على أنّ المراد العظيم[٧] ذِكر ذلك؛ لأنّه للإشارة[٨] إلى البعيد، فالمراد البُعد مرتبة.

قوله: (يعني: علَّمناه الكيد) فالمراد بالكيد ليوسف هو تعليمه بالكيد.

---

١ ن ر – لنفي.
٢ ن ر: البهمة.
٣ ر: لينبغي.
٤ ن: البهمة.
٥ ن: بان.
٦ ن ر: الباء.
٧ ن ر – دلّ على أنّ المراد العظيم.
٨ ن: الإشارة.

﴿مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ﴾ تفسيرٌ للكيد وبيانٌ له؛ لأنّه كان في دِين ملكِ مصرَ وما كان يَحكُم به في السارق: أن يغرَّم مثلَيْ ما أخذَ، لا أن يُلْزَمَ ويُستَعْبَدَ.

﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: ما كان يأخذه إلّا بمشيئة الله وإذنه فيه.

﴿نَرْفَعُ درجاتٍ مَنْ نَشاءُ﴾ في العلم كما رفعنا درجةَ يوسف فيه، وقرئ: ﴿يَرْفَعُ﴾ بالياء، و: ﴿دَرَجَٰتٍ﴾ بالتنوين.

﴿وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ﴾؛ أي: فوقَه أرفعُ درجةً منه في عِلمه، أو: وفوق العلماء كلِّهم عليمٌ هم دونه في العلم وهو الله عزَّ وعلا.

فإن قلتَ: ما أذِن الله فيه يجب أن يكون حَسَنًا، فمِن أيِّ وَجهٍ حَسُنَ هذا الكيدُ وما هو إلا بُهتانٌ وتسريقٌ لمن لم يَسرق ....

قوله تعالى:[١] (﴿فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ﴾) أي: في حكمه وقضائه. وقوله: (لأنّه) أي: لأنّ الأمر والشأن وقوله: (وما كان)، يعني الذي كان.

قوله: (لا أن يُلزم ويُستبعد)،[٢] أي: لا أن يُجعل لازمًا في رقبة السارق ويُستعبد السارق. فقوله: "يُلزَم ويُستعبَد" في حكم كلام واحد.

قوله: (فوقه أرفعُ درجة) في بعض الحواشي أنّ الضمير مِن قوله: "فوقه" عائد إلى يوسف. ولي فيه نظر؛ بل[٣] هو عائد إلى ﴿ذِي عِلۡمٍ﴾. وقوله:[٤] (أو فوق العلماء) الفرق بين الوجهين أنّ المراد بـ﴿كُلِّ ذِي عِلۡمٍ﴾ كلّ واحدٍ واحدٍ مِن العلماء على الوجه الأوّل، والكلّ مِن حيث هو[٥] كلّ على الوجه الثاني.

قوله: (فمِن أيِّ وجه حسُن هذا الكيد؟) إشارة إلى ما ذكر مِن أنّ معنى[٦] ﴿كِدۡنَا لِيُوسُفَ﴾: أوحينا به إليه.

قوله: (وتسريق)... إلخ، التسريق والتكذيب النسبة إلى السرقة والكذب، كالتفسيق[٧] النسبة إلى الفسق.

---

١ ن - تعالى.
٢ ن: واستعيد؛ ر: ويستعيد.
٣ ن ر - بل.
٤ ن: قوله.
٥ ن ر - هو.
٦ ر: بعض.
٧ ر: كالتفسق.

وتكذيبٌ لمن لم يكذبْ، وهو قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾ ﴿فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ﴾؟

قلتُ: هو في صورة البهتان وليس ببهتانٍ في الحقيقة؛ لأن قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾ توريةٌ عمَّا جرى مَجرى السرقة من فعلهم بيوسف عليه السلام.

وقيل: كان ذلك القولُ من المؤذِّن لا من يوسفَ عليه السلام، وقوله: ﴿إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ﴾ فَرْضٌ لانتفاء براءتهم، وفَرْضُ التكذيب لا يكون تكذيبًا، على أنه لو صُرِّح لهم بالتكذيب كما صُرِّح لهم بالتسريق لكان له وَجْهٌ؛ ....

قوله: (وقيل: كان[١] ذلك[٢] القول مِن المؤذِّن[٣] لا مِن يوسف)، يعني: فلا[٤] يكون ذلك القول بإذن الله تعالى؛ لأنّه ليس[٥] ممّا أوحى الله تعالى به إلى يوسف.

قوله: (توريةٌ)[٦] ورَّيت الخبر، أي: سترته وأظهرتُ[٧] غيره.

قوله: (لانتفاء[٨] براءتهم) أي: عن الكذب، ومعنى انتفاء براءتهم عن الكذب كونُهم كاذبين، ونفي براءتهم عن الكذب هو تكذيبهم، وفرضُ ذلك يكون فرضًا للتكذيب.

قوله: (وفرضُ التكذيب) صوابه الكذب؛ لأنّ قوله: ﴿إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ﴾ فرضٌ لكذبهم لا فرضٌ لتكذيبهم. واعلم أنّ هذه الحاشية فاسدة، وتخطئة ما في المتن خطأ، فإنّ قول القائل: "أنتم كاذبون" تكذيب للمخاطبين قطعًا. فقوله: ﴿إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ﴾ يكون فرضًا للتكذيب، وهذا جواب عن قوله: (هذا تكذيب لمَن لم[٩] يكذب)، فأجاب بأنّه ليس بتكذيب؛ بل هو فرض للتكذيب. وتحقيق[١٠] هذا أن نقول: قول القائل: "أنتم كاذبون" لا يلزم أن يكون كذبًا، وهو تكذيب قطعًا؛ لأنّه نسبة للمخاطب إلى الكذب، وإذا كان أنتم كاذبون تكذيبًا كان ﴿إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ﴾ فرضًا للتكذيب.

---

١ ن ر – كان.
٢ ن ر + من.
٣ ر – من المؤذن.
٤ ن: لا.
٥ ر: له عن.
٦ ر: يؤذيه.
٧ ن ر: وأظهر.
٨ ر: لابتغاء.
٩ ن ر: لا.
١٠ ن ر: وتحقق.

لأنهم كانوا كاذبين في قولهم: ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ [يوسف ١٧/١٢]، هذا وحكمُ هذا الكيدِ حكمُ الحِيَلِ الشرعيَّة التي يُتوصَّلُ بها إلى مصالحَ ومنافعَ دينيَّةٍ؛ كقوله لأيُّوبَ عليه السلام: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ [ص ٤٤/٣٨] ليَتخلَّص من جَلْدها ولا يَحْنَثَ، وكقولِ إبراهيم عليه السلام: "هي أختي" لتَسْلَمَ من يد الكافر، وما الشرائعُ كلُّها إلا مصالحُ وطُرقٌ إلى التخلُّص من الوقوع في المفاسد، وقد علَّم الله تعالى في هذه الحيلة التي لقَّنها يوسفَ عليه السلام مصالحَ عظيمةً فجعلها سُلَّمًا وذرِيعةً إليها، فكانت حسنةً جميلةً وانزاحَتْ عنها وجوهُ القبح لِمَا ذكرنا.

﴿قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًاۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ٧٧﴾

﴿أَخٌ لَّهُۥ﴾ أرادوا يوسفَ عليه السلام، رُوي أنهم لمَّا استخرجوا الصَّاعَ من رَحْل بنيامينَ نكَّسَ إخوتُه رؤوسَهم حياءً، وأقبلوا عليه وقالوا له: "ما الذي صَنعْتَ؟! فضَحْتَنا وسوَّدْتَ وجوهَنا، يا بني راحيلَ ما يزال لنا منكم بلاءٌ، متى أخذْتَ هذا الصاع؟" فقال: "بنو راحيلَ الذين لا يزال منكم عليهم البلاءُ؟! ذهبتُم بأخي فأهلَكْتُموه، ووضعَ هذا الصُّواعَ في رحلي الذي وضَع البضاعةَ في رحالكم".

قوله: (هذا وحكم هذا) أي: هذا كما ذكرنا أو مضى هذا، ثمّ قال: "وحكم هذا"، يعني: لو سلَّمنا أنّه بهتان وتكذيب[١] لمَن لم يكذب فمثله جائز، لاشتماله على المصلحة.

قوله: (ليتخلَّص مِن جَلْدها) اللام في "ليتخلَّص" متعلِّق بقوله: أي: ليتخلَّص أيُّوب مِن جلد امرأته مِن غير حِنْث، ففيه فائدتان.[٢] قوله تعالى: ﴿خُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ [ص ٤٤/٣٨] / الضِّغث: قبضة حشيش مختلطة الرَّطب باليابس. [٢٩و]

قوله: (وذريعةً إليها) أي: إلى تلك المصالح.

---

١ ن ر – وتكذيب.

٢ ن: فائدتا.

واختُلف فيما أضافوا إلى يوسف من السرقة:

فقيل: كان أخذ في صباه صنمًا لجدِّه أبي أمِّه فكسره وألقاه بين الجِيَف في الطريق.

وقيل: دخل كنيسةً فأخذ تمثالًا صغيرًا من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه.

وقيل: كان في المنزل عَناقٌ أو دَجَاجةٌ فأعطاها السائلَ.

وقيل: كانت لإبراهيم عليه السلام مِنطَقةٌ يتوارثها أكابرُ ولده فورثها إسحاقُ عليه السلام، ثم وقعَتْ إلى ابنته وكانت أكبرَ أولاده، فحضنَتْ يوسفَ عليه السلام -وهي عمَّتهُ- بعد وفاة أمِّه، وكانت لا تصبرُ عنه، فلمَّا شبَّ أراد يعقوبُ عليه السلام أن ينتزعَه منها، فعمدَتْ إلى المِنْطَقة فحزَمَتْها على يوسف عليه السلام تحت ثيابه، وقالت: "فَقَدْتُ مِنطقةَ إسحاقَ -عليه السلام- فانظروا مَن أخذها"، فوجَدوها محزومةً على يوسف عليه السلام، فقالت: "إنه لي سَلَمٌ أفعلُ به ما شئتُ"، فخلَّاه يعقوبُ عليه السلام عندها حتى ماتت.

﴿فَأَسَرَّهَا﴾ إضمارٌ على شريطة التفسير، تفسيره: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ وإنَّما أنَّثَ؛ لأن قوله: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ جملةٌ، أو كلمةٌ على تسميتهم الطائفةَ من الكلام كلمةً؛ ....

قوله: (يتوارثها أكابرُ ولده)؛ لأنَّه كان مِن شريعتهم أن يرِث الأكبر جميع التركة ولا يرِث الأصغر شيئًا.

قوله: (فحضنَتْ) مِن الحضانة: وهي القيام بأمر مَن لا يستقلُّ بنفسه.

قوله: (فحَزَمتها) حزمتُ الشيء حزمًا: شددته.

قوله: (سَلَمٌ) يقال: فلان سَلَم في أيدي بني فلان، أي: أسير عندهم.

قوله: (إضمار على شريطة التفسير) أي: إتيان بالضمير قبل الذِّكر على شريطة التفسير.[1]

---

[1] ن ر - أي: إتيان بالضمير قبل الذكر على شريطة التفسير.

كأنّه قيل: فأسرَّ الجملةَ أو الكلمة التي هي قوله: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ والمعنى: قال في نفسه: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾؛ لأنَّ قوله: ﴿قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ بدلٌ من "أسرَّها".

وفي قراءة ابن مسعود: "فأسرَّه" على التذكير، يريد القولَ أو الكلام.

ومعنى ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾: أنتم شرٌّ منزلةً في السَّرَق؛ لأنكم سارقون بالصِّحة لسَرقتِكم أخاكم من أبيكم.

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾: يعلمُ أنه لم يصحَّ لي ولا لأخي سرقةٌ، وليس الأمر كما تصفون.

قوله: (والمعنى: قال) وليس[1] المعنى أنّه[2] قال[3] ذلك ظاهرًا. وقوله: (لأنَّ قوله) متعلِّق بقوله: (كأنّه قيل).

قوله: (ومعنى ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾) فقوله: ﴿مَّكَانًا﴾ تمييز مِن نسبة الشرّ إلى الضمير المستتر فيه، فيعود إلى قولك: "مكانكم[4] شرٌّ مِن مكانه في السَّرقة"، والمراد بشَرارة مكانهم شرارتُهم فيكون كناية. والأصوب أن نقول: كما أشار إليه المصنِّف أنّ المراد بالمكان المنزلة، والمعنى: منزلتكم في السَّرِق شرّ مِن منزلته في السَّرِق؛ لأنّه لم[5] يسرق شيئًا؛ بل نسبته عمَّته إلى السرقة، أو سَرَق ما لا بأس بسرقته، وهو أخذ الطعام مِن البيت وإعطاؤه الفقيرَ،[6] أو فعل ما ليس بسرقة، وهو أخذ صنم أبي أمّه وإلقاؤه في الجِيَف. وأمّا أنتم فقد سرقتم أخاكم وهو مِن أقبح السرقات وأشرّها، فعلى هذا لا يكون كناية. وقوله: (في السَّرَق) قال في الصحاح: «سَرَق منه مالًا يسرق سَرَقًا بالتحريك، والاسم السَّرِق والسَّرِقة بكسر الراء فيهما».[7] وقوله: (بالصحة) أي: بالحقيقة.

قوله[8] تعالى: (﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾) يجوز أن تكون "ما" في ﴿مَا تَصِفُونَ﴾ موصولة، أي: بالذي تصفونه، والمراد بالذي تصفونه السرقة، والمعنى:

---

[1] ر: أليس.
[2] ر: أن.
[3] ن ر – قال.
[4] ن ر: مكانك.
[5] ر: لا.
[6] ر: الفقر.
[7] الصحاح للجوهري، «سرق».
[8] ن + قوله.

﴿قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٧٨﴾

استعطفوه بإذكارهم إيَّاه حقَّ أبيهم يعقوبَ عليه السلام، وأنَّه شيخٌ كبير السنِّ أو كبير القَدْر، وأنَّ بنيامين أحبُّ إليه منهم، وكانوا قد أخبروه بأن ولدًا له قد هلك وهو عليه ثَكْلانُ وأنه مستأنِسٌ بأخيه.

﴿فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ﴾: فخُذْه بدَله على وجهِ الاستِرْهان أو الاستِعْباد.

﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ إلينا، فأتمِمْ إحسانك، أو: من عادتك الإحسانُ فاجْرِ على عادتك ولا تغيِّرْها.

﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ۝٧٩﴾

﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ هو كلامٌ موجَّهٌ ظاهرُه: أنه وجب على قضيَّةِ فَتْواكم أخذُ مَن وُجد الصُّواعُ في رحله واستعبادُه، فلو أخَذْنا غيرَه كان ذلك ظلمًا في مذهبكم، فلمَ تطلبون ما عرفتُم أنه ظلمٌ؟

وباطنه: إن الله أَمَرني وأوحَى إليَّ بأخذِ بنيامين واحتباسِه لمصلحةٍ أو لمصالحَ جمَّةٍ عَلِمَها في ذلك، فلو أخذتُ غيرَ مَن أمرَني بأخذه كنتُ ظالمًا، وعاملًا على خلافِ الوحي.

ومعنى ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ﴾: نعوذُ بالله مَعاذًا مِن أن نأخذ، ....

والله أعلم بالسرقة التي تذكرونها، يريد أنّه ليس ههنا سرقة، وإنّما تصف ألسنتكم الكذب. ويجوز أن تكون ما مصدريّة، أي: الله أعلم بوصفكم بالسرقة، يريد أنّه تعالى عالم بما تقولون وسيجازيكم[1] على ذلك، وعلى هذا يكون وعيدًا بالعقاب مِن الله تعالى. وكلام المصنِّف يدلُّ على الوجه الأوّل.

قوله: (موجَّهٌ) أي: ذو[2] وجهين، أي: يحتمل معنيين.

---

[1] ر: وسبحان ربكم.

[2] ر: ذوا.

فأُضيف المصدر إلى المفعول به وحُذف "مِن"، و﴿إِذًا﴾ جوابٌ لهم وجزاءٌ؛ لأن المعنى: إنْ أخذنا بدَلَه ظَلَمْنا.

﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّاۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِىۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨٠﴾

﴿ٱسْتَيْـَٔسُواْ﴾: يئسوا، وزيادةُ السين والتاءِ في المبالغة نحوُ ما مرَّ في "استَعْصَم".

و"النجيُّ" على معنيين:

يكون بمعنى: المُناجي؛ كالعشير والسَّمير بمعنى: المُعاشر والمُسامِر، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ [مريم ٥٢/١٩].

وبمعنى المَصْدر الذي هو التَّناجي كما قيل: "النَّجوى" بمعناه، ومنه قيل: "قومٌ نجيٌّ" كما قيل: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ [الإسراء ٤٧/١٧] تنزيلًا للمصدر منزلةَ الأوصاف.

ويجوز أن يقال: "هم نجيٌّ" كما قيل: "هم صَدِيقٌ"؛ لأنه بزِنَة المصادر وجُمِعَ: "أنجيَةً"، قال:

إنّــي إذا مـا الـقـوم كـانـوا أَنْـجِـيَـهْ

قوله: (فأضيف المصدر) وهو ﴿مَعَاذَ﴾. وقوله: (وحُذف "مِن")؛ لأنّه[1] حذف الجارّ مع "أن" و"أنّ" قياس مستمر.

قوله: (وزيادة السين) مبتدأ خبره (نحوُ)، و(ما) موصولة، وهو عبارة عن الزيادة. وقوله: (في المبالغة) وجه التشبيه، أي: زيادة السين، والتاء في ﴿ٱسْتَيْـَٔسُواْ﴾ نحو الزيادة التي مرّت في "استعصم" في معنى المبالغة.

قوله: (والنجيّ) اعلم أنّ هذا إلى قوله:

(إنّــي إذا مـا الـقـومُ كـانـوا أنـجِـيَـهْ)[2]

---

[1] ن ر: لأن.

[2] ن ر: لجيه. | وسيأتي قريبًا تخريج هذا الرجز.

ومعنى ﴿خَلَصُواْ﴾: اعتَزَلوا وانفردوا عن الناس خالصينَ لا يخالطُهم سواهم.

لبيان لغة، لا لخصوص هذا الموضع؛ بل مطلقًا، ثمّ شرع[١] في تفسير هذه الآية بقوله: (ومعنى ﴿خَلَصُواْ﴾)... إلخ، فأشار إلى أنّه يجوز أن يكون هنا ﴿نَجِيًّا﴾ بمعنى المصدر، ويقدَّر مضاف، ويجوز[٢] أن يكون صفة بمعنى المناجي ويكون ذكرُه مفردًا لكونه صفةَ موصوف مفردِ اللفظ، نحو "فَوْج" مع أنّه قد ذُكر أوّلًا أنّه يجوز إفراده لكونه / على زِنَة المصدر، ثمّ أشار إلى تصحيح كون النجيّ هنا بمعنى المناجي مع أنّ المناجاة تكون مِن الطرفين بأنّ بعضهم كان يناجي بعضًا، ثمّ أشار إلى أنّ الأحسن أن يُجعل مصدرًا مِن غير تقدير مضاف، ولا يُجعل صفة بمعنى التناجي للمبالغة. [٢٩ظ]

قوله: (ومنه قيل: قوم نجيّ) أي: مِن استعمال النجيّ والنجوى بمعنى التناجي قيل: قوم نجيّ، أي: يجوز أن يستعمل نجيّ مكان الجمع. قال الأخفش: قد يكون "النجيّ" جماعة مثل "الصديق"، قال الله تعالى: ﴿خَلَصُواْ نَجِيًّا﴾[٣] جعلهم نجيًا،[٤] بمعنى التناجي وإنّما التناجي فِعلهم كما جَعَلهم نجوى، وإنّما النجوى فِعلهم، كما تقول: "قومٌ رضًى" وإنّما الرضى فِعلهم.[٥] وقوله: (ويجوز أن يقال) يريد أنّه إذا كان النجيّ مصدرًا فتوحيده ظاهر، ولم يذكره المصنِّف صريحًا لظهوره، فأشار إلى أنّه إذا كان بمعنى المناجي فيجوز توحيده أيضًا؛ لأنّه على زِنة المصدر، أو نقول: ذِكر توحيد المصدر في قوله: "قوم نجيّ" وإن كان المراد منه تنزيل المصدر منزلةَ[٦] الأوصاف. اعلم أنّ التحقيق في هذا الموضع أن يقال: "ويجوز" عطف على قوله: "ومنه قيل". والحاصل أنّه استدلّ على كونه مصدرًا بإفراده في "قوم نجيّ"، ثمّ قال: "ويجوز أن يقال هو صفة"، كما ذكرنا، وإنّما أفرد في "قومٌ" لكونه على زِنة المصدر، ثمّ حقَّق كونه صفة بجمعه على "أنجِيَة".

---

١ ن: شرح.

٢ ن: ونحو.

٣ ن ر – (قوم نجيّ) أي: مِن استعمال النجيّ والنجوى بمعنى التناجي قيل: قوم نجيّ، أي: يجوز أن يستعمل نجيٌّ مكان الجمع قال الأخفش: قد يكون النجيّ جماعة مثل الصديق قال الله تعالى: ﴿خَلَصُواْ نَجِيًّا﴾.

٤ انظر: معاني القرآن للأخفش، ٣٩٩/١.

٥ ن ر + (نجيّ) أي: مِن استعمال النجيّ والنجوى بمعنى التناجي قيل: قوم نجيّ، أي: يجوز أن يستعمل نجيٌّ مكان الجمع قال الأخفش: قد يكون النجيّ جماعة مثل الصديق قال الله تعالى: ﴿خَلَصُواْ نَجِيًّا﴾.

٦ ر: بمنزلة.

﴿نَجِيًّا﴾: ذوي نجوَى، أو: فوجًا نجيًّا؛ أي: مناجيًا؛ لمناجاةِ بعضِهم بعضًا، وأحسنُ منه: أنهم تمحَّضوا تَنَاجيًا؛ لاستجماعهم لذلك، وإفاضتِهم فيه بجِدٍّ واهتمامٍ كأنَّهم في أنفسهم صورةُ التناجي وحقيقتُه.

وكان تناجِيهم في تدبير أمرهم على أيِّ صفةٍ يذهبون؟ وماذا يقولون لأبيهم في شأن أخيهم؟ كقومٍ تَعايَوْا بما دهِمَهم من الخطب فاحتاجُوا إلى التشاوُر.

قوله: (وجُمع[١] أنجيةً) كـ"أندية"في جمع "نديّ".

قوله:

"إنّـــي إذا مـا الـقـوم كـانـوا أنـجِـيَـهْ"

بعده:

واضـطـرب الـقـومُ اضـطـرابَ الأرشِـيَـهْ
وشُـــدّ فـــوق بـعـضـهـم بـــالأروِيَـــة[٢]
هـنـاك أَوْصِـيـنـي ولا تُـوصـي بِـيَـهْ[٣]

الأرشِيَة: جمع الرِّشاء وهو الحبل. والرِّواء بالكسر والمدّ: حبلٌ يُشدُّ به المتاع. وقوله: "ومعنى ﴿خَلَصُواْ﴾"، فيه معنى الانفراد والصفاء.

قوله: (وأحسن منه)، يعني لا يقدّر المضاف وهو "ذوي"؛ بل يكون نجوى حالًا مِن غير تقدير مضاف، فكأنّهم عين النجوى، ولا يُجعل صفة؛ بل يجعل مصدرًا، أي: صاروا تناجيًا محضًا.

قوله: (وإفاضتهم) أفاض الناس في الحديث، أي: خاضوا فيه.

قوله: (كقوم تعايَوا) يقال: عيّا[٤] بأمره وعييَ[٥] إذا لم يهتدِ لوجهه. فقول المصنِّف: (تعايَوا) مِن "تفاعَل" بمعنى "فعل"، نحو "توانيت" بمعنى "ونيت".

قوله: (وكان تناجيهم) هذا ابتداء كلام.

---

[١] ن: وجميع.
[٢] ن: بالأدوية.
[٣] الرجز لسحيم بن وثيل اليربوعي في لسان العرب لابن منظور، «نجا»؛ وهو بلا عزو في النوادر لأبي زيد، ص ١٥٩؛ والصحاح للجوهري، «نجا»؛ والمقصور والممدود للقالي، ص ٤٤٠؛ وأمالي ابن الشجري، ٢/٢١١.
[٤] ن ر: عي.
[٥] ن: وعى.

﴿كَبِيرُهُمْ﴾ في السنّ وهو رُوبيلُ، وقيل: رئيسُهم وهو شمعونُ، وقيل: كبيرُهم في العقل والرأي وهو يهوذا.

﴿مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ﴾ فيه وجوه:

أن تكون ﴿مَا﴾ صلةً؛ أي: ومِن قبلِ هذا قصَّرتُم في شأن يوسف عليه السلام ولم تحفظوا عهد أبيكم.

وأن تكون مصدريَّةً على أن محلَّ المصدر الرفعُ على الابتداء وخبرُه الظرفُ وهو: ﴿مِن قَبلُ﴾، ومعناه: ووقع من قبلُ تفريطُكم في يوسفَ عليه السلام، أو النصبُ عطفًا على مفعول ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ﴾ وهو: ﴿أَنَّ أَبَاكُمْ﴾؛ كأنَّه قيل: ألم تعلَموا أَخْذَ أبيكم عليكم موثقًا وتفريطَكم من قبلُ في يوسف.

وأن تكون موصولةً بمعنى: ومِن قبلِ هذا ما فرَّطْتُموه -أي: قدَّمْتُموه- في حقِّ يوسف من الجناية العظيمة، ومحلُّه الرفعُ أو النصبُ على الوجهين.

قوله: (أو النصب عطفًا) وعلى هذا يكون ﴿مِن قَبْلُ﴾ حالًا مِن (تفريطكم).[1]

قوله: (أي: قدَّمتموه) وعلى هذا يكون التفريط بمعنى التقديم، وعلى الأوّل بمعنى التقصير.

قوله: (ومحلُّه الرفع)... إلخ، أي: الذي فرَّطتموه، أي: قدَّمتموه واقع قبل هذا، فهو مرفوع المحلّ مبتدأ خبره مقدَّم، أو التقدير ألم تعلموا الذي فرَّطتموه، أي: قدَّمتموه، فيكون منصوب المحلّ. قال المرزوقي في شرح قوله:

فأضحَتْ زهيرٌ في السنين التي مضتْ وما بعد[2] لا يُدعَون إلّا الأشائما[3]

ذكر بعضهم أنّ "ما" مِن قوله: "وما بعدُ" لا يجوز أن تكون إلّا صلة زائدة؛ لأنّ "بعد" لمّا جُعل غاية ودخله[4] النقصان / بحذف ما كان مضافًا إليه [٣٠و]

---

١ ن: تفريطهم.

٢ ن ر: بعده.

٣ ر: الأشاعا. | والبيت من حماسيّة لغلّاق بن مروان في شرح الحماسة للمرزوقي، ٤٥٧/١؛ وهو بلا عزو في التذييل والتكميل لأبي حيّان الأندلسي، ٨١/٤. وقال المرزوقي في شرح البيت: أنّث الفعل؛ لأنّ المراد بذِكر زهير القبيلة بأسرها. ومعنى يُدعَون: يُسمَّون. والأشائم: جمع أشأم.

٤ ر: ودخل.

﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ﴾: فلن أُفارقَ أرضَ مصر ﴿حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ﴾ في الانصراف إليه ﴿أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِي﴾ بالخروج منها، أو بالانتصاف ممن أخذ أخي، أو بخلاصِهِ من يده بسببٍ من الأسباب ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾؛ لأنه لا يَحكم أبدًا إلَّا بالعدل والحق.

﴿ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾﴾

وقرئ: "سُرِّق"؛ أي: نُسب إلى السرقة.

امتنع أن يكون مبنيًا على شيء وخبرًا عنه، وإذا امتنع مِن ذلك امتنع مِن أن يكون صلة لموصول؛ لأنَّ الذي يكون صلة مِن الظروف والجمل هو ما جاز أن يكون خبرًا لمبتدأ.[١] وليس الأمر على ما قاله ألا ترى أنّ قوله تعالى: ﴿وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ﴾ معناه: ومِن قبل الذي فرَّطتم، أي: قدَّمتم. ويجوز أن يراد "ومِن قبل تفريطكم"، فيكون "ما" مع الفعل في تقدير مصدر. وعلى الوجهين جميعًا "ما" في[٢] موضع رفع، ﴿وَمِن قَبْلُ﴾ خبره. وذكر الزجّاج في ﴿مَا﴾ مِن الآية ثلاثة أوجه، ما ذكرناه أحدها.[٣] وإذا كان الأمر على هذا فما ذكره هذا القائل غير صحيح؛ لأنّي أريتُكه، أعني "بعد" غاية وهو خبر، وكونه صلة تابع لكونه خبرًا فاعلمه.[٤]

هذا كلام[٥] المرزوقي.[٦]

قوله: (وبالانتصاف) يقال: انتصفت أنا منه.

قوله: (وقرئ: "سُرِّق")[٧] شاذّ.

---

١ ن ر: للمبتدأ.

٢ ن ر - في.

٣ انظر الوجوه الثلاثة في معاني القرآن وإعرابه للزجّاج، ٣/١٢٤-١٢٥.

٤ انظر: شرح الحماسة للمرزوقي، ١/٤٥٧-٤٥٨.

٥ ر: الكلام.

٦ ن: للمرزوقي.

٧ قراءة شاذّة، مرويّة عن أبي حَيْوَة، والنهشلي، وابن أبي سُريج، وابن بُكير، وابن ميسرة، كلُّهم عن الكسائي، وسعيد بن جُبير، وعكرمة عن ابن عباس. المغني في القراءات للنَّوْزاوازي، ص ١٠٤٠.

﴿وَمَا شَهِدْنَا﴾ عليه بالسرقة ﴿إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ من سرقته وتيقَّنّاه؛ لأن الصُّواع استُخرج من وعائه، ولا شيء أبينُ من هذا.

﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ﴾: وما عَلِمْنا أنه سيَسْرقُ حين أعطيناك الموثقَ، أو: ما علمنا أنك تُصاب به كما أُصِبْتَ بيوسف عليه السلام.

ومَن قرأ: "سُرِّق" فمعناه: وما شهدنا إلَّا بقَدْرِ ما عَلِمْنا من التسريق ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ﴾: للأمر الخفيّ ﴿حَٰفِظِينَ﴾ أسَرَقَ بالصِّحة أم دُسَّ الصاعُ في رحله ولم يشعُرْ؟

﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا﴾ هي مصرُ؛ أي: أرسِلْ إلى أهلها فسَلْهم عن كُنْهِ القصَّة.

﴿وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾: وأصحابَ العير، وكانوا قومًا من كنعانَ من جيران يعقوب، وقيل: من أهل صَنْعاء.

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾﴾

معناه: فرجعوا إلى أبيهم فقالوا له ما قال لهم أخوهم، فـ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ أرَدْتُموه، وإلَّا فما أدْرَى ذلك الرجلَ أن السارقَ يؤخَذُ بسرقته لولا فتواكُم وتعليمُكم.

قوله: (﴿إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ من سرقته) هذا التفسير على تقدير قراءة ﴿سَرَقَ﴾ بفتحتين والتخفيف.

قوله: (معناه: فرجعوا)... إلخ، يريد أنّ هنا حذفًا. وقوله تعالى:[١] ﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾، أي: زيَّنت وسهَّلت.[٢] وقوله: (وإلّا فما أدرى ذلك[٣] الرجل؟) أي: أيُّ شيء

---

١ ن ر – تعالى.
٢ ن + إلى آخره.
٣ ن: ذاك.

﴿بِهِمْ جَمِيعًا﴾: بيوسفَ وأخيه، ورُوبِيلَ أو غيره.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بحالي في الحزن والأسفِ ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ الذي لم يَبْتَلِني بذلك إلَّا لحكمةٍ ومصلحة.

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾﴾

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾: وأعرَضَ عنهم كراهةً لِمَا جاؤوا به.

أعلم ذلك الرجل؟ قال في الوسيط: «﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾ قال ابن الأنباري: يعني خروجهم[١] بأخيهم بنيامين إلى مصر رجاءَ منفعةٍ، فعاد مِن ذلك شرّ[٢] وضرر.[٣] وقال غيره: معنى قوله ههنا: ﴿سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾: خيَّلت لكم أنفسكم أنّه سرق وما سرق».[٤]

ويقول أضعف عباد الله[٥] أحمد بن الحسن الجاربردي: هذا الذي رواه عن غير ابن الأنباري خيرٌ ممّا[٦] ذكره في الكشّاف؛ لأنّه لا يصحُّ أن يقال: "مَنَعهم مِن الفتوى" على ما هو مذهبهم، ولا يصحُّ أن يُسمّى الإفتاء بالحقّ تسويل النفس. وخيرٌ أيضًا ممّا نُقل عن ابن الأنباري؛ لأنّ قوله: ﴿بَلْ﴾ لا يساعد عليه. اللّٰهمّ أن يقال: ﴿بَلْ﴾ هنا لترك الأوّل والأخذ فيما هو أهمّ، لا للإضراب الحقيقيّ، فيستقيم قول ابن الأنباري. أو يقال: مراد يعقوب عليه السلام: أنكم علمتم أنّهم سرَّقوه بالباطل، فكان يجوز لكم إخفاء حكم السارق لئلا يصلوا إلى غرضهم الفاسد معارضةً لهم بنقيض مقصودهم. فيستقيم ما ذَكَره صاحب الكشّاف أيضًا.

قوله: (ورُوبيل) إن كان المراد كبيرَهم في السنّ. وقوله: (أو غيرِه) وهو شمعون ويهوذا، كما ذُكر مِن الاختلاف.

---

١ ر: بخروجهم.
٢ ن: شي.
٣ ن ر: وضرب.
٤ الوسيط للواحدي، ٢/٦٢٦ (يوسف، ١٢/٨٣).
٥ ن ر + تعالى.
٦ ن ر: وما.

﴿يَٰٓأَسَفَىٰ﴾ أضاف الأسفَ -وهو أشدُّ الحزن والحسرةِ- إلى نفسه، والألفُ بدلٌ من ياء الإضافة، والتجانسُ بين لفظتي الأسف ويوسفَ مما يقعُ مطبوعًا غيرَ متعمَّلٍ فيَمْلُحُ ويبدُعُ، ونحوُه: ﴿ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِۚ أَرَضِيتُم﴾ [التوبة ٩/٣٨]، ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام ٦/٢٦]، ﴿فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ﴾ [يوسف ١٢/١٩]، ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ﴾ [الكهف ١٨/١٠٤]، ﴿مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ﴾ [النمل ٢٧/٢٢].

وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «لم تُعطَ أمَّةٌ من الأممِ "إنَّا لله وإنا إليه راجعون" عند المصيبة إلَّا أمَّةُ محمد»، ألا ترى إلى يعقوب حين أصابه ما أصابه لم يَسترجِعْ، وإنما قال: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ﴾.

فإن قلتَ: كيف تأسَّفَ على يوسف عليه السلام دون أخيه ودون الثالث، والرُّزء الأحدثُ أشدُّ على النفس وأظهرُ أثرًا؟

قلتُ: هو دليلٌ على تمادي أسفِه على يوسفَ، وأنه لم يقَعْ فائتٌ عنده موقعَه، وأن الرُّزء فيه مع تقادُم عهده كان غضًّا عنده طريًّا:

ولـم تُـنْسِـني أَوْفَـى الـمصيباتُ بعدَه

قوله: (متعمَّل) أي: مُتكلَّف.

قوله: (والرُّزء)،[١] أي: المصيبة.

قوله:

(ولـم تُنسني أوفـى الـمصيباتُ بعده)

تمامه:

ولكـنّ نَـكْءَ الـقَـرح[٢] بـالـقَـرح[٣] أوجـعُ[٤]

---

[١] ر: الرزء.

[٢] ر: الفرح.

[٣] ر: بالفرح.

[٤] البيت لمسعود بن عقبة أخي ذي الرُّمّة غيلان بن عقبة في الشعر والشعراء لابن قتيبة، ١/٥١٩، وقال فيه: وكان لذي الرُّمّة إخوة: هشام وأوفى ومسعود، فمات أوفى، ثمّ مات بعده ذو الرُّمّة، فقال مسعود:

تعزّيت عن أوفى بغيلان بعده
عزاءً وجفن العين ريّان مُترعُ

وذكر ابن قتيبة بعده البيت المستشهد به ههنا. وهو لمسعود أيضًا في حماسة البحتري، ص ٤٩٨؛ والدرّ الفريد لابن أيدمر، ٥/٣٤٦؛ والبيت لهشام بن عقبة أخي ذي الرُّمّة في الكامل للمبرّد، ١/٣٤٠؛ وهو لأخت ذي الرُّمّة في الحيوان للجاحظ، ٧/١٦٤.

ولأنّ الرُّزء في يوسفَ عليه السلام كان قاعدةَ مصيباته التي ترتَّبت عليها الرَّزايا في ولده، فكان الأسفُ عليه أسفًا على مَن لَحِقَ به.

﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾ إذا كثُر الاستعبارُ مَحقتِ العَبْرةُ سوادَ العين وقلبَتْه إلى بياضٍ كَدِرٍ، قيل: قد عمِيَ بصرُه، وقيل: كان يُدرك إدراكًا ضعيفًا.

قرئ: ﴿مِنَ ٱلْحُزْنِ﴾ و: "من الحَزَن".

الحُزْنُ كان سببَ البكاء الذي حدث منه البياضُ فكأنه حدث من الحزن، قيل: ما جفَّت عينا يعقوبَ عليه السلام من وقتِ فراق يوسفَ عليه السلام إلى حين لقائه ثمانين عامًا، وما على وجه الأرض أكرمُ على الله من يعقوبَ عليه السلام.

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه سأل جبريل عليه السلام: «ما بَلَغَ من وَجْدِ يعقوبَ على يوسف عليهما السلام؟ قال: وَجْدُ سبعين ثَكْلَى، قال: فما كان له من الأجر؟ قال: أجرُ مئةِ شهيدٍ، وما ساء ظنُّه بالله ساعةً قط».

و"أوفى" اسم غلام، وهو المفعول الثاني لـ"تُنسني". هذا البيت لهشام وقد كان فُجع بأخيه أوفى، ثمّ أتى عليه زمان مقاسِيًا، ثمّ أصيب بعده بأخ يقال له: غَيلان، فقال: إنّ الجزع بأوفى[١] لم يُزله ما بعده مِن المصيبات؛ ولكنّه زاد اشتدادًا، ثمّ شبَّهه بالجَرح إذا جلَب وبِس ثمّ نُكئ[٢] ثانيًا، أي: أُدمي[٣] وقُشِرت جُلبته، فإنّ إيجاعه كان أشدّ.

قوله: (ولأنّ الرزء) / عطف على قوله: (هو دليل) مِن حيث المعنى، كأنّه قال: لأنّه تمادى؛ ولأنّ الرزء، فلذا وقع جوابًا عن (كيف). [٣٠ظ]

قوله: (مَن لحِق به) أي: يوسف.

قوله: (الحُزن) كأنّه[٤] يعني أنّ الحزن لا يكون سبب البياض؛ لكنّه سبب البكاء الذي هو سبب البياض.

قوله: (ثمانين عامًا) بدل مِن قوله: (مِن وقت)... إلخ.

---

[١] ن ر: باق في.
[٢] ر: بكى.
[٣] ن: أدى.
[٤] ن: كان.

فإن قلتَ: كيف جاز لنبيّ الله أن يبلغ به الجزعُ ذلك المَبْلغَ؟

قلتُ: الإنسانُ مَجْبولٌ على أن لا يملكَ نفسَه عند الشدائد من الحزن؛ ولذلك حُمد صبرُه وأنْ يضبطَ نفسَه حتى لا يخرجَ إلى ما لا يَحْسُنُ، ولقد بكَى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده إبراهيمَ وقال: «القلبُ يَجْزَعُ، والعينُ تَدْمَع، ولا نقولُ ما يُسْخِطُ الربَّ، وإنَّا عليك يا إبراهيمُ لمحزونون»، وإنما الجزعُ المذمومُ ما يقع من الجهَلة من الصياح والنِّياحة ولطمِ الصُّدور والوجوه وتمزيقِ الثياب، وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه بكى على ولدِ بعضِ بناته وهو يجود بنَفْسه فقيل: "يا رسولَ الله تبكي وقد نهيتَنا عن البكاء؟" فقال: «ما نهيتُكم عن البكاء، وإنما نهيتُكم عن صوتين أحمقَين: صوتٍ عند الفرح، وصوتٍ عند التَّرَحِ».

وعن الحسن رحمه الله: أنه بكَى على ولدٍ أو غيره، فقيل له في ذلك، فقال: "ما رأيتُ اللهَ جعل الحزن عارًا على يعقوبَ عليه السلام".

قوله: (**فإن قلتَ: كيف جاز لنبيّ الله أن يبلغ به؟**) الباء في "به" للتعدية.

قوله: (**قلتُ: الإنسان مجبول**) هذا الجواب حسن؛ لكن بقي ههنا كلام وهو أن يقال: إنّ الإنسان يحزن لفراق الأحبّة، ويبكي لا مَحالةَ كما ذكرتم؛ لكنّ الحزن والبكاء ينقطع بعد مُضيّ أيّام على ذلك، فكيف بقيَ حزنه وبكاؤه ثمانين سنة؟ والجواب أن يقال: إنّ يعقوب عليه السلام قد عَلِم مِن رؤيا يوسف أنّه يبلغ المراتب الرفيعة والدرجات السنيّة في الدنيا، وعَلِم أنّ ذلك يكون بعد مُقاساته الشدائد، وعَلِم به أنّه حيٌّ فكان حُزنه وبكاؤه لتصوُّره وقوع يوسف في الشدائد والبلايا، فكان كلّما يتذكّر ذلك يتجدَّد حزنه وبكاؤه؛ فلذلك بقيَ في الحزن والبكاء تلك المدّة المديدة.

قوله: (**وهو يجود بنفسه**) جاد المريض بنفسه: أَخَذه سكرات الموت.

قوله: (**أحمقين**) نسبة الحمق إلى الصوت[1] مجاز.

قوله: (**عند الترح**) الترح: ضدُّ الفرح.

---

[1] ن: الصوب.

﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾: فهو مملوءٌ من الغيظ على أولاده ولا يُظْهِر ما يسوؤهم، فعيلٌ بمعنى مفعولٍ، بدليلِ قوله: ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم ٤٨/٦٨] من كَظَم السِّقاءَ: إذا شدَّه على مِلْئه، والكَظَمُ بفتح الظاء: مخرج النَّفَس، يقال: أَخَذَ بأَكْظَامِه.

﴿قَالُواْ تَاللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿تَفْتَؤُاْ﴾ أراد: "لا تَفْتَأُ" فحُذِف حرفُ النفي؛ لأنه لا يَلْتَبِس بالإثبات؛ لأنه لو كان إثباتًا لم يكن بدٌّ من اللام والنون، ونحوُه:

فقلتُ يمينَ الله أبرحُ قاعدًا

ومعنى «لا تفتأُ»: لا تزالُ.

وعن مجاهدٍ: لا تَفْتُرُ من حبِّه. كأنه جَعَل الفُتُوء والفُتُورَ أخوين، يقال: ما فتِئَ يفعلُ، قال أَوْسٌ:

قوله: (لم يكن بدّ مِن اللام)؛ لأنّه يتلقّى باللام وإنّ وحرف النفي، ولا يمكن "إنّ" ههنا[١] فتعيَّن اللام. وأمّا قوله: (والنون)؛ فذلك لأنّ النون لازم في القسم المثبت. وقوله: "والنون"، أي: المؤكِّدة.

قوله:

(فقلتُ يمينَ الله أبرحُ قاعدًا)[٢]

لو كان "أبرح" مثبتًا[٣] لم يكن فيه بدّ مِن اللام ونون التوكيد، أمّا اللام فلأن جواب القسم إذا كان مثبتًا[٤] لم يكن فيه بدّ مِن "إنّ"؛[٥] لأنّ الفعل لا يدخل فيه "إنّ"، وأمّا النون فلأنّه لازم في مثبَت القسَم. قال امرؤ القيس:

سموتُ إليها بعد ما نام أهلها ... سموَّ حَبابِ الماء حالًا إلى حالِ
"فقلتُ يمينَ الله أبرح قاعدًا" ... ولو قَطَعوا رأسي لديكِ وأوصالي[٦]

---

[١] ن ر: هنا.
[٢] ن ر: هنا.
[٣] ن ر: مبينًا.
[٤] ن ر: مبنيًا.
[٥] ن ر + واللام لا يمكن فيه إن.
[٦] في ديوان امرئ القيس، ص ٣١-٣٢؛ وثانيهما له في كتاب سيبويه، ٣/٥٠٤؛ والصحاح للجوهري، «يمن»؛ وأمالي ابن الشجري، ٢/١٤٠.

فما فَتِئَتْ خيلٌ تَثوبُ وتدَّعي ويَلْحَقُ منها لاحقٌ وتَقَطَّعُ

﴿حَرَضًا﴾: مُشْفِيًا على الهلاك مَرَضًا، وأَحْرَضَه المرضُ، ويستوي فيه الواحدُ والجمعُ والمذكَّر والمؤنَّث؛ لأنه مصدرٌ، والصفة: "حَرِضٌ" بكسر الراء، ونحوُهما: دَنَفٌ ودَنِفٌ، ....

قصَّة هذه الأبيات أنّ[1] امرء القيس ذهب إلى قيصر مَلِك الروم يستعينه بالجيش ليقاتل قومه بعد ما قتلوا أباه، فلمّا أتى قيصر أكرمه ووعده أن يعطيه جيشًا، فبينا هو كذلك دعته بنت قيصر إلى نفسها، فمضى إليها ليلًا وقال هذه الأبيات، فلمّا علم قيصر الحال امتنع عن معاونته بالجيش، وقال معتذرًا: جيشنا لا يعتاد بلاد العرب. فرجع امرؤ القيس، فبعث قيصر في إثره رجلًا بثوب مسموم، وقال إذا وصلت إليه أدخله الحمّام، فإذا خرج اكسه[2] الثوب، فلمّا لبِسه تقرَّح جلده ومات مِن ذلك. و«حَباب الماء: نُفّاخاته التي تعلوه».[3]

قوله: (فما فتئتْ) البيت،[4] الأصل في التثويب أنّ الرجل إذا استصرخ لوَّح بثوبه، / وكان ذلك كالدعاء والإنذار. والتداعي في الحرب: أن يدعو القوم [٣١و] بعضهم بعضًا. والادّعاء في الحرب: أن تقول: "يا لَفلان". يقول: ما زالت الخيل يستصرخ ويدعو بعضهم بعضًا مِن المنهزمين[5] والمنقطعين، ويلحق منها في الحرب اللاحقون والمنقطعون. قوله: (تثوب) أي: تكُرّ، مِن ثاب رجع بعد ذهابه. قوله: (وتدَّعي) أي: يدعو بعضهم بعضًا أو ينتسب. قوله: (تقطَّعُ) أي: تتفرَّق.

قوله: (مَرَضًا) أي: للمرض، فهو مفعول له.

قوله: (ونحوهما: دَنَف ودَنِف) الدَّنَف بالفتح: المرض المُلازم. ورجل دَنَف أيضًا وامرأة دَنَف وقوم دَنَف، يستوي[6] فيه المذكَّر والمؤنَّث والتثنية[7]

---

[1] ن ر – أن.

[2] ر: ألبسه.

[3] الصحاح للجوهري، «حبب».

[4] البيت لأوس بن حجر في ديوانه، ص ٥٨؛ وهو له في مجاز القرآن لأبي عبيدة، ١/٣١٦، ٢/٢٥؛ وبلا عزو في جامع البيان للطبري، ١٣/٢٩٩ (يوسف، ١٢/٨٥).

[5] ن: المهزمن.

[6] ر: يسوي.

[7] ن: والتنبيه.

وجاءت القراءةُ بهما جميعًا، وقرأ الحسن: "حُرُضًا" بضمتين، ونحوُه في الصفات: "رجلٌ جنُبٌ وغُربٌ".

﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦﴾

"البَثُّ": أصعبُ الهمّ، الذي لا يَصبر عليه صاحبُه فيَبثُّه إلى الناس؛ أي: ينشرُه، ومنه: باثَّهُ أمرَهُ وأبَثَّه إيَّاه.

ومعنى ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي﴾: إنّي لا أشكو إلى أحدٍ منكم ومن غيركم، إنما أشكو إلى ربِّي داعيًا له ومُلتجئًا إليه فخلُّوني وشكايتي، وهذا معنى تولِّيه عنهم؛ أي: فتولَّى عنهم إلى الله والشكايةِ إليه.

وقيل: دخل على يعقوبَ عليه السلام جارٌ له فقال: "يا يعقوبُ، قد تهَشَّمْتَ وفنِيتَ وما بلغتَ من السنِّ ما بلغ أبوك؟" فقال: "هَشَمني وأفناني ما ابْتَلاني اللهُ به من همِّ يوسف"، فأوحى الله إليه: "يا يعقوب أتشكوني إلى خَلْقي"، قال: "يا ربِّ، خطيئةٌ أخطأْتُها فاغفِرْ لي"، فغفر له فكان بعد ذلك إذا سئل قال: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

ورُوي: أنه أُوحي إلى يعقوب عليه السلام: ....

والجمع. فإن قلتَ: "رجل دنِف" بكسر النون، قلتَ: "امرأة دَنِفة"، أنَّثت وثنَّيت وجمعتَ.

قوله: (وغُرُب) الغربة: الاغتراب، تقول منه: تغرَّب واغترب بمعنى، فهو غريب وغُرُبٌ أيضًا بضمّ الغين والراء.

قوله:[1] (وقيل: دخل) إشارة إلى وجه آخر لمعنى[2] إنّما أشكو فعلى الوجه الأوَّل هو كلام مع أولاده وعلى الثاني يخاطب به مَن يسأله عن حاله.

---

[1] ن ر – (وغرُب) الغربة: الاغتراب، تقول منه تغرَّب واغترب بمعنى، فهو غريب وغُرُبٌ أيضًا بضمّ الغين والراء. قوله.

[2] ن ر: بمعنى.

إنّما وجدتُ عليكم لأنكم ذبحتُم شاةً فقامَ ببابكم مسكينٌ فلم تُطعموه، وإن أحبَّ خلقي إليَّ الأنبياءُ ثم المساكين، فاصنع طعامًا وادْعُ عليه المساكينَ.

وقيل: اشترى جاريةً مع ولدها فباع ولدها فبكَتْ حتى عَمِيَتْ.

﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾؛ أي: أعلمُ من صُنعه ورحمته وحُسنِ ظَنِّي به أنه يأتيني بالفرج من حيثُ لا أحتسِبُ، ورُوي أنه رأى ملكَ الموت في منامه فسأله: "هل قبضتَ روحَ يوسف؟" فقال: "لا والله، هو حيٌّ فاطلبْه".

وقرأ الحسن: "وحَزَني" بفتحتين، "وحُزُني" بضمتين: قتادةُ.

﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾

﴿فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾: فتعرَّفوا منهما وتطلَّبوا خبرَهما، وقرئ بالجيم كما قُرئ بهما في الحُجُرات، وهما تَفَعُّلٌ من الإحساس وهو المعرفةُ:

قوله:[1] (إنّما وجدتُ) مِن «وَجَد عليه في الغضب مَوْجِدة».[2]

قوله: (وحسنِ ظنّي) فإنّه إذا حسُن ظنّه بالله تعالى دلّ ذلك على أنه تعالى يُحسِن إليه. قال تعالى: «أنا عند ظنِّ عبدي بي».[3]

قوله: (ورُوي أنّه رأى) هذا عطف على قوله: (أي: أعلمُ مِن صُنعه)[4] فعلى[5] هذا الوجه عَلِم مِن إخبار مَلَك الموت.

قوله: (وقرئ)[6] شاذّ.

قوله: (في "الحجرات") قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات ١٢/٤٩].

---

١ ن ر + (وغرُب) الغربة: الاغتراب، تقول منه: تغرَّب واغترب بمعنى، فهو غريب وغُرُبٌ أيضًا بضمّ الغين والزاء. قوله.

٢ الصحاح للجوهري، «وجد».

٣ شعب الإيمان، ٤٣٩/١١ (٨٧٩٩).

٤ ن: صيغة.

٥ ر: تعالى.

٦ قراءة شاذّة، مرويّة عن الأشهب وإبراهيم النخَعي. المغني في القراءات للنَّوْزاوازي، ص ١٠٤٢.

﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ﴾ [آل عمران ٥٢/٣] ومن الجَسِّ وهو الطلب، ومنه قالوا لمشاعر الإنسان: "الحوَاسُّ والجوَاسُّ".

﴿مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ﴾: من فَرَجه وتنفيسه، وقرأ الحسن وقتادةُ: "من رُوح الله" بالضم؛ أي: من رحمته التي يُحيي بها العبادَ.

﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ٨٨﴾

﴿ٱلضُّرُّ﴾ الهُزال من الشدَّة والجوع.

﴿مُّزۡجَىٰةٖ﴾: مدفوعةٍ يدفعُها كلُّ تاجرٍ رغبةً عنها واحتقارًا لها، من أَزْجَيْتُه: إذا دفَعْتَه وطرَدْتَه، والريحُ تُزجي السَّحَابَ.

قيل: كانت من متاعِ الأعراب صوفًا وسَمْنًا، وقيل: الصنَوْبرَ وحبَّةَ الخضراء، وقيل: سَوِيقَ المُقْل والأقِط، وقيل: دراهمَ زيوفًا لا تؤخَذُ إلَّا بوضيعةٍ.

﴿فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ﴾ الذي هو حقُّنا ﴿وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآ﴾: وتفضَّلْ علينا بالمُسامحة والإغماضِ عن رداءة البضاعة، أو: زِدْنا على حقِّنا، ....

قوله: (وتنفيسه)[١] نفَّس عنه كُربة: فرَّجها.

قوله: (الصنوبر) الصنوبر:[٢] شجر، ويقال: ثمرة. وقوله: (وحبَّةَ الخضراء) يقال لحبّة الخضراء بالفارسيّة:[٣] نمشک. وقوله: (إلّا بوضيعة) يقال: وُضِع في تجارته وضيعة: خسِر[٤] ولم يربح. والوضيعة: في معنى الحطيطة والنقصان تسمية بالمصدر.[٥]

قوله: (لأنّ الصدقات) متعلِّق مِن حيث المعنى بالتفسيرين لـ﴿تَصَدَّقۡ﴾: وهما قوله: (تفضّلْ)، وقوله: (زِدْنا). فكأنّه[٦] قيل: فُسِّر بهذين الوجهين لأنّ...

---

[١] ن + قوله.

[٢] ر – الصنوبر.

[٣] ر: الفارسية.

[٤] ر: حسن.

[٥] من قوله: "وُضِع" إلى هنا بلفظ قريب في المغرب للمُطرِّزي، «وضع».

[٦] ن: فكناه.

فسمَّوا ما هو فَضْلٌ وزيادةٌ لا تَلزمُه صدقةً؛ لأنّ الصدقات محظورةٌ على الأنبياء عليهم السلام.

وقيل: كانت تَحِلُّ لغير نبيّنا صلى الله عليه وسلم، وسُئل ابن عُيينَة عن ذلك فقال: ألم تسمَعْ ﴿وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآ﴾. أراد أنها كانت حلالًا لهم.

والظاهرُ أنهم تَمَسْكَنُوا له وطلبوا إليه أن يتصدَّق عليهم، ومِن ثَمَّ رَقَّ لهم ومَلَكَتْه الرحمةُ عليهم، فلم يتمالَكْ أن عَرَّفَهم نفسَه، وقولُه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ﴾ شاهدٌ لذلك؛ لذكر الله وجزائه.

والصدقةُ: العطيَّةُ التي تُبتغَى بها المثوبَةُ من الله، ومنه قولُ الحسن لمن سمعه يقول: "اللّٰهم تصدَّقْ عليَّ": إنّ الله تعالى لا يتصدَّق، ....

ولا[1] يحسن أن يقال: هو متعلِّق بـ(سمَّوا)، فإنّ ذلك ليس علّةَ[2] التسمية.

قوله: (وسُئل ابن عُيينة عن ذلك)، يعني: عن حِلّ الصدقة لغير نبيّنا.

قوله: (تَمَسْكنوا) أي: أظهروا الذلّ والمَسْكَنة، فدلّ على أنّه كان يحلّ الصدقة لغير نبيّنا.

قوله: (فلم يتمالك) يقال: «فلان ما تمالك أن قال ذلك وما تماسك، أي: لم يستطع أن يحبس نفسه. ومنه قولهم: هذا الحائط لا يتمالك ولا يتماسك».[3] وأصل هذا التركيب يدلّ على قوّة في الشيء وصحّة.[4]

قوله: (شاهد لذلك) أي: على أنّ الصدقة كانت حلالًا لهم، لدلالة ذِكر الله وجزائه.[5]

[٣١ظ] قوله: (إنّ الله لا يتصدَّق)[6] يُشكِل[7] بقوله عليه السلام[8] / في بيان قصر الصلاة

---

١ ن ر: لا.
٢ ن: على؛ ر: عليه.
٣ المغرب للمُطرّزي، «ملك».
٤ ن: وصحته.
٥ ر: وحرامه.
٦ انظر: الكشف والبيان للثعلبي، ١٥/١٣٧ (يوسف، ١٢/٨٨).
٧ ر: لشكل.
٨ ن ر: صلّى الله عليه وسلّم.

وإنما يتصدَّق الذي يَبتغي الثواب، قل: "اللّٰهمَّ أعطني، أو تفضَّلْ عليَّ، أو ارْحمني".

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ۝٨٩﴾

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم﴾ أتاهم من جهة الدِّين وكان حليمًا موفَّقًا، فكلَّمهم مستفهِمًا عن معرفة وجه القبح الذي يجب أن يُراعِيَه التائبُ، فقال: هل علمتُم قُبحَ ﴿مَا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾ لا تعلمون؛ قُبحَه فلذلك أقدمْتُم عليه؟ يعني: هل علمتُم قبحَه فتبتُم إلى الله منه؛ لأن عِلم القُبح يدعو إلى الاستقباح، والاستقباحُ يجرُّ إلى التوبة، فكان كلامُه شفقةً عليهم وتنصُّحًا لهم في الدِّين لا معاتبةً وتثريبًا؛ إيثارًا لحقِّ الله على حقِّ نفسه في ذلك المقام الذي يتنفَّس فيه المكروبُ، ويَنْفُث المصدورُ، ....

في السفر مِن غير خوف: «صدقةٌ تصدَّق الله بها عليكم، فاقبلوا صدقتَه».[1]

قوله: (يجب أن يُراعيَه)، يعني أنّ شرط التوبة أن تكون توبة التائب عن الذنب[2] للنظر إلى قبح ذلك الذنب: إمّا شرعًا كما هو مذهب أهل السنّة والجماعة، أو عقلًا كما هو مذهب المعتزلة، فإنّه لو[3] لم يثبت لذلك؛ بل لكونه مضِرًّا له أو متلِفًا ماله، أو قادحًا في عرضه لا تصحّ توبته.

قوله: (فتبتم إلى الله منه) أي: علمتُم قبحه بعد فعلكم[4] ما فعلتم بيوسف، وهل تبتم[5] لعلمكم بقبحه؟ وقوله: ﴿إِذْ أَنتُمْ﴾ ظرف ﴿فَعَلْتُم﴾.

قوله: (إلى الاستقباح) أي: إلى أن يعدّه قبيحًا.

قوله:[6] (وتثريبًا) التثريب: التعيير[7] والاستقصاء في اللوم. وقوله: (إيثارًا) مفعول له، علّة[8] للتنصُّح[9] وترك المعاتبة.

---

[1] مسند أحمد، ٣٠٨/١ (١٧٤)؛ صحيح مسلم، ٤٧٨/١ (٦٨٦)؛ سنن الترمذي، ٩٣/٥ (٣٠٣٤).

[2] ن ر – عن الذنب.

[3] ن ر – لو.

[4] ر + بعد فعلكم.

[5] ر: تبتكم.

[6] ن ر – (إلى الاستقباح) أي: إلى أن يعدّه قبيحًا قوله.

[7] ن ر: التعبير.

[8] ن: على.

[9] ن ر: التنصح.

ويتشفَّى المَغِيظُ المُحْنَق، ويُدرك ثأرَه الموتور، فللّٰهِ أخلاقُ الأنبياء ما أَوْطَأَها وأسجحَها! ولله حصَى عقولهم ما أرزنَها وأرْجَحَها!

وقيل: لم يُرِدْ نفيَ العلم عنهم؛ لأنهم كانوا علماء؛ ولكنَّهم لمّا لم يفعلوا ما يقتضيه العِلمُ ولا يُقدِمُ عليه إلَّا جاهلٌ سمَّاهم جاهلين.

وقيل: معناه: إذ أنتم صبيانٌ في حدِّ السَّفهِ والطَّيْشِ قبل أن تبلغوا أوانَ الحِلم والرزانة.

روي أنّهم لمّا قالوا: ﴿مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ﴾ وتضرَّعوا إليه، ارْفضَّتْ عيناه ثم قال هذا القولَ.

وقيل: أدَّوْا إليه كتابَ يعقوب عليه السلام: «من يعقوبَ إسرائيلِ الله بنِ إسحاقَ ذبيحِ الله بن إبراهيم خليلِ الله إلى عزيز مصرَ، أما بعدُ: فإنَّا أهلُ بيتٍ

قوله: (المُحنَق)[1] يقال: أحنقه: أغضبه، فهو[2] مُحنَق.[3]

قوله: (ما أوطأها!)...[4] إلخ، الوطيء: الليّن. «والإسجاح: حُسن العفو. يقال: 'ملكتَ فأسجِحْ'.[5] ووجهٌ أسجَح بيِّن السَّجَح، أي: حَسَن معتدل».[6] والرزانة: الوقار والثبات. والحصاة:[7] واحدة[8] الحصا، ويُجمَع على حَصَيات.

قوله: (ولا يُقدِم عليه إلّا جاهل) هذا عطف على ما[9] تقدَّمه مِن حيث المعنى، فإنّ قوله: (لم يفعلوا ما يقتضيه العلم) في معنى "فعلوا ما يقتضيه الجهل"، فكأنّه[10] قال: فعلوا ما اقتضاه الجهل، ولا يُقدِم عليه إلّا جاهلٌ. ويجوز أن يكون جملة معترضة غير متعلِّق بها النفي المتقدِّم، فكأنّه قال: لا يُقدِم على ما فعلوه إلّا جاهل.

قوله: (مِن يعقوب) بيان لقوله: (كتاب يعقوبَ)؛ لأنّه في معنى المكتوب.

---

[1] ن: المنخنق.

[2] ر – فهو.

[3] ر: مخنق.

[4] ن ر: أطاها.

[5] من أمثال العرب. مجمع الأمثال للميداني، ٢/٢٨٣.

[6] الصحاح للجوهري، «سجح».

[7] ر: والحصات.

[8] ن ر: واحد.

[9] ن ر – ما.

[10] ن ر: فإنه.

موكَّلٌ بنا البلاءُ: أما جدِّي فشُدَّتْ يداه ورجلاه ورُمي به في النار ليُحرق، فنجَّاه الله وجُعلت النارُ عليه بردًا وسلامًا، وأما أبي فوُضع السكِّينُ على قفاه ليُقتل ففداه الله، وأمَّا أنا فكان لي ابنٌ وكان أحبَّ أولادي إليَّ فذهبَ به إخوتُه إلى البريَّة ثم أتَوْني بقميصه مُلطَّخًا بالدَّم وقالوا: قد أكله الذئبُ، فذهبت عيناي من بكائي عليه، ثم كان لي ابنٌ وكان أخاه من أمِّه وكنتُ أتسلَّى به، فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا: إنه قد سَرَق وإنك حَبَسْتَه لذلك، وإنَّا أهلُ بيت لا نَسْرق ولا نلدُ سارقًا، فإن رَدَدْتَه عليَّ وإلَّا دعوتُ عليك دعوةً تُدرِك السابعَ من ولدك والسَّلام».

فلما قرأ يوسفُ عليه السلام الكتابَ لم يتمالكْ وعِيلَ صبرُه فقال لهم ذلك.

وروي أنه لمَا قرأ الكتابَ بكى وكتب الجوابَ: اصبِرْ كما صبروا تظفرْ كما ظفِرُوا.

فإن قلتَ: ما فِعلُهم بأخيه؟

قلتُ: تعريضُهم إيَّاه للغمِّ والثُّكْل بإفراده عن أخيه لأبيه وأمِّه، وجفاؤهم به حتى كان لا يستطيعُ أن يكلِّم أحدًا منهم إلَّا كلامَ الذليل للعزيز، وإيذاؤهم له بأنواع الأذى.

قوله: (**فإن رددتَه عليّ**) جوابه محذوف، أي: فإن رددتَه فذاك المطلوب.

قوله: (**وإلّا**) أي: وإن لم تردّه.

قوله: (**وعِيلَ[١] صبرُه**)[٢] قال «أبو زيد: عِلتُ الضالّة أعِيل عَيْلًا وعيلانًا وأنا عائل إذا لم تدرِ أيّ جهة تبغيها.[٣] وقال الأحمر: عالني الشيء يَعيلني عَيْلًا ومَعيلًا إذا أعجزك».[٤] عالني الشيء يعولني، أي: غلبني وثقل عليّ.[٥] وعِيل صبره، أي: غُلب. واعلم أنّ قوله: "عِيل صبره"[٦] مِن قول أبي زيد.

قوله: (**قلتُ: تعريضهم**) التعريض للشيء: النصب له.[٧]

---

١ ن: وعير؛ ر: وعين.
٢ ر: بصيرة.
٣ ن ر: تبعها.
٤ الصحاح للجوهري، «عيل».
٥ ن – علي.
٦ ن – أي: غُلب. واعلم أنّ قوله: "عيل صبره".
٧ ن – له.

﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٩٠﴾

قرئ: ﴿أَءِنَّكَ﴾ على الاستفهام، و: ﴿إنك﴾ على الإيجاب.

وفي قراءة أبيّ: "أئنَّك أَوَ أنت يوسف" على معنى: "أئنَّك يوسفُ؟ أوَ أنت يوسف؟" فحُذف الأوَّل لدلالة الثاني عليه، وهذا كلامُ متعجِّبٍ مستغرِبٍ لِمَا يَسمع فهو يكرِّر الاستثبات.

فإن قلتَ: كيف عرفوه؟

قلتُ: رأَوا في رُوائهِ وشمائله حين كلَّمهم بذلك ما شَعَرُوا به أنّه هو، مع علمهم بأن ما خاطبهم به لا يَصْدُر مثلُه إلَّا عن حَنيفٍ مسلمٍ من سِنْخِ إبراهيم عليه السلام، لا عن بعض أعزَّاء مصرَ.

وقيل: تبسَّم عند ذلك فعرفوه بثناياه، وكانت كاللُّؤلُؤ المنظوم.

وقيل: ما عَرَفوه حتى رفع التاجَ عن رأسه، فنظروا إلى علامةٍ بقَرْنهِ كانت ليعقوبَ عليه السلام وسارَةَ مثلُها تُشبه الشَّامةَ البيضاء.

فإن قلتَ: قد سألوه عن نفسه فلمَ أجابهم عنها وعن أخيه على أنَّ أخاه كان معلومًا لهم؟

قوله: (في رُوائه) أي: منظره. يقال: "رجل له رُواء"[١] بالضمّ، أي: منظر.

قوله: (ما[٢] شعروا به أنّه) أي: أنّ[٣] يوسف.

قوله: (مِن سِنخ إبراهيم) السِّنخ: الأصل. وأسناخ الأسنان: أصولها.

قوله: (أعزّاء مصر) جمع العزيز، أي: ملوك مصر.

قوله: (إلى علامة بقَرْنه)[٤] القَرْن: جانب الرأس. ويقال: منه سُمّي[٥] ذو القرنين؛ لأنّه دعاهم إلى الله فضُرب على قرنيه.[٦]

---

[١] ن ر: وراء.
[٢] ن ر: وما.
[٣] ن ر – أن.
[٤] ر: تقرنه.
[٥] ن: شيء.
[٦] انظر: الصحاح للجوهري، «قرن».

قلتُ: لأنه كان في ذكر أخيه بيانٌ لِمَا سألوه عنه.

﴿مَن يَتَّقِ﴾: مَن يَخَفِ اللهَ وعقابَه ﴿وَيَصْبِرْ﴾ عن المعاصي وعلى الطاعات.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾؛ أي: لا يُضيع أجرهم، فوضع ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ موضع الضمير لاشتماله على المتَّقين والصابرين.

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ۝٩١﴾

﴿لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾؛ أي: فضَّلك علينا بالتقوى والصبرِ وسيرةِ المحسنين، وإنَّ شأننا وحالَنا أنَّا كنَّا خاطئين متعمِّدين للإثم لم نتَّقِ ولم نَصبِرْ، لا جَرَم أن الله أعزَّك بالمُلك وأذلَّنا بالتمَسْكُنِ بين يديك.

﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٩٢﴾

﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾: لا تأنيبَ عليكم ولا عَتْبَ، وأصلُ التثريب من الثَّرْبِ وهو الشَّحْمُ الذي هو غاشيةُ الكَرِش، ومعناه: إزالةُ الثَّرْب؛ كما أن التجليدَ والتقريعَ

قوله: (وإنَّ شأننا وحالنا) أفاد أنَّ واللام[١] هذا المعنى، وأشار إلى أنَّ ضمير الشأن محذوف بعد "أن". وفيه بحث، فإنّه غير لازم.

قوله: (لا تأنيبَ عليكم) أنَّبه تأنيبًا: عنَّفه ولامه.

[٣٢و] قوله: (والتقريع) «القَرَع بفتح الراء: بَثْر أبيضُ / يخرج بالفِصال،[٢] ودواؤه المِلح وجُباب ألبان الإبل، فإذا لم يجدوا مِلحًا نتفوا أوباره ونَضَحوا جلده بالماء، ثمّ جرُّوه على السَّبَخة. ومنه مثل 'هو أحرّ من القَرَع'،[٣] وربما قالوا: 'هو أحرّ من القَرْع'، بالتسكين، يعنون به قرع المِيسم وهو المكواة».[٤] والجُباب بالضمّ:[٥] شيء يعلو ألبان الإبل، كالزُّبد ولا زبدَ.

---

١ ر + على.

٢ ر: بالفضال.

٣ مجمع الأمثال للميداني، ٢٢٧/١؛ المستقصى للزمخشري، ٦٣/١.

٤ د - ومنه مثل "هو أحرّ من القَرَع"، وربما قالوا: "هو أحرّ من القَرْع"، بالتسكين، يعنون به قرع الميسم وهو المكواة. | الصحاح للجوهري، «قرع».

٥ ن ر: بالضمير.

إزالةُ الجلد والتقريع؛ لأنّه إذا ذهبَ كان ذلك غايةَ الهُزال والعَجَف الذي ليس بعده، فضُرِب مثلًا للتقريع الذي يمزّق الأعراض ويذهَبُ بماء الوجوه.

فإن قلتَ: بمَ تعلَّق ﴿ٱلْيَوْمَ﴾؟

قلتُ: بالتثريب، أو بالمقدَّر في ﴿عَلَيْكُمُ﴾ من معنى الاستقرار، أو بـ﴿يَغْفِرُ﴾، والمعنى: لا أُثرِّبكم اليومَ وهو اليومُ الذي هو مظنّةُ التثريب فما ظنُّكم بغيره من الأيّام، ثم ابتدأ فقال: ﴿يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ فدعا لهم بمغفرةٍ ما فَرَط منهم، يقال: "غفر الله لك" و"يغفر الله لك" على لفظِ الماضي والمضارع جميعًا، ومنه قولُ المُشَمِّتِ: "يهديكم الله ويُصلِحُ بالَكم".

قوله: (لأنّه إذا ذهب) متعلّق بمحذوف، أي: معنى التثريب بحسب اللغة إزالةُ الثَّرْب، ثمّ أُطلِق على معنى التأنيب؛ لأنّه إذا ذهب... إلخ. وقوله: (ذلك) أي: الذهاب. وقوله: (فضُرب) عطف على الجملة الشرطيّة. وهو قوله: "إذا ذهب". وقوله: (مثلًا)، يعني شبّه التأنيب والعتب[١] الذي يُمزّق الأعراض بالتثريب الذي يلزَم منه غاية الهُزال،[٢] ووجه الشبه لحوق الضَّرر[٣] والتغيُّر والتألُّم.

قوله: (مِن معنى الاستقرار) بيان لـ(المقدَّر).

قوله: (ومنه قولُ المُشمِّت) المُشمَّت[٤] بفتح الميم: وهو العاطس؛ لأنّه يُشمِّته مَن سمع عطاسه وقولَه: "الحمد لله". «وتشميت العاطس: أن تقول له: "يرحمك الله"، بالسين والشين جميعًا. قال ثعلب: الاختيار[٥] بالسين؛ لأنّه مأخوذ مِن السَّمت، وهو القصد والمَحجّة. وقال أبو عبيد: السين أعلى[٦] في كلامهم وأكثر».[٧] والشوامت: قوائم الدابّة وأعضاؤها، كأنّه يدعوه بردّ أعضائه إلى الحالة الأولى، أي: قبل العطاس.

---

[١] ن ر: والعيب.

[٢] ن ر: الهزل.

[٣] ن ر: الضرب.

[٤] ن – المُشمَّت.

[٥] ر + الاختيار.

[٦] ن: على.

[٧] الصحاح للجوهري، «سمت». وفيه «وتسميت» مكان «وتشميت».

أو ﴿ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ بشارةٌ بعاجلِ غُفرانِ الله لِمَا تجدَّدَ يومئذٍ من توبتهم وندمِهم على خطيئتهم.

وروي: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذَ بِعِضَادَتَيْ باب الكعبةِ يوم الفتح فقال لقريش: «ما تُرَوْنَني فاعلًا بكم؟» قالوا: نظنُّ خيرًا، أخٌ كريمٌ وابنُ أخٍ كريمٍ وقدْ قدَرْتَ، فقال: «أقول ما قال أخي يوسفُ عليه السلام: ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾».

وروي: أن أبا سفيان لمَّا جاء لِيُسْلِمَ قال له العباس: إذا أتيتَ الرسول فاتْلُ عليه: ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ﴾ ففعل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «غَفَرَ اللهُ لك ولِمَن عَلَّمِك».

ويُروى أنَّ إخوته لمَا عرَفوه أرْسلوا إليه: "إنك تدعونا إلى طعامك بكرةً وعشيًا ونحن نستَحْيي منك لِمَا فَرَط منَّا فيك"، فقال يوسف عليه السلام: "إنَّ أهل مصر وإنْ ملكتُ فيهم فإنهم ينظرون إليَّ بالعين الأولى، ويقولون: سبحان مَن بلَّغ عبدًا بِيعَ بعشرين درهمًا ما بَلَغ، ولقد شَرُفتُ الآن بكم

قوله: (بشارة[1] بعاجل) أي: قاله يوسف بشارةً لإخوته، واللام في (لِما) متعلِّق بـ"بشارة" أو بـ"عاجل".

قوله: (بعِضادتي باب الكعبة) «أعضاد كلّ شيء: ما يسدُّ حواليه مِن البناء وغيره، كأعضاد الحوض: وهي حجارة تُنصَب حول الحوض، وكذلك[2] عِضادتا الباب: وهما خشبتاه مِن جانبيه».[3]

قوله: (ما تُرَوْنني)،[4] أي: ما تظنّوني، مِن قولهم: يُرى، أي: يُظنّ.

قوله: (ورُوي أنّ أبا سفيان لمّا جاء)، يعني يومَ الفتح.

---

[1] ن: إشارة.

[2] ن: وذلك.

[3] الصحاح للجوهري، «عضد».

[4] الحديث بلفظ قريب في أخبار مكّة للأزرقي، ١١٣/٢؛ والأموال لابن زنجويه، ص ٢٩٣ (٤٥٦)؛ والسنن الكبرى للبيهقي، ٣٨٤/١٨ (١٨٣٢٣).

وعَظُمْتُ في العيون، حيث علم الناسُ أنكم إخوتي، وأنّي من حَفَدةِ إبراهيم صلى الله عليه وسلم".

﴿ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٩٣﴾

﴿ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي﴾ قيل: هو القميصُ المتوارَثُ الذي كان في تعويذِ يوسفَ عليه السلام، وكان من الجنَّة أمَرَه جبريلُ أن يُرسِله إليه فإن فيه ريحَ الجنَّة لا يقع على مبتلًى ولا سقيمٍ إلَّا عُوفي.

﴿يَأۡتِ بَصِيرٗا﴾: يَصِرْ بصيرًا؛ كقولك: جاء البناءُ محكَمًا بمعنى: صار، ويشهدُ له: ﴿فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗا﴾، أو: يأتِ إليَّ وهو بصيرٌ، وينصرُه قولُه: ﴿وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾؛ أي: يأتني أبي ويأتني آلُهُ جميعًا.

وقيل: يهوذا هو الحاملُ، قال: "أنا أحزَنْتُه بحمل القميص ملطوخًا بالدَّم إليه فأُفرِحُه كما أَحْزنتُه".

وقيل: حمَلَه وهو حافٍ حاسِرٌ من مصرَ إلى كنعان، وبينهما مسيرةُ ثمانين فَرسخًا.

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ۝٩٤﴾

﴿فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ﴾: خرجَتْ من عَرِيشِ مصرَ، يقال: فَصَل من البلد فصولًا: إذا انفصل منه وجاوز حيطانَه، وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما: "فلما انفصل العيرُ".

﴿قَالَ﴾ لولدِ ولدِه ومَن حَوْلَه من قومه: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ أوجدَه الله ريحَ القميص حين أقبل من مسيرةِ ثمانِ ليالٍ.

قوله: (مِن عريش مصر) العرش والعريش: ما يُستظلّ به.

قوله: (مِن مسيرة ثمان) أي: ثمان ليالٍ، وإنّما قال كذلك؛ لأنّ الحساب يكون بالليالي. والصواب أن يقدِّره "ثمانِ مراحل"؛ لِما سيجيء أنّ يعقوب عليه السلام[1] قال ليوسف: ما كتبتَ إليّ على ثمانِ مراحل.

---

[1] د ر – عليه السلام.

و"التفنيدُ": النسبةُ إلى الفَنَدِ وهو الخَرفُ وإنكارُ العقل من هَرَمٍ، يقال: "شيخٌ مفنَّدٌ"، ولا يقال: "عجوزٌ مفنَّدة"؛ لأنها لم تكن في شبيبتها ذاتَ رأيٍ فتُفنَّدَ في كِبَرها، والمعنى: لولا تفنيدُكم إياي لصدَّقتُموني.

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ۝٩٥﴾

﴿لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾: لفي ذهابِكَ عن الصَّواب قِدْمًا في إفراط محبَّتك ليوسفَ عليه السلام، ولَهَجِك بذكره ورجائك للقائه، وكان عندهم أنَّه قد مات.

﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٩٦﴾

﴿أَلْقَىٰهُ﴾: طرح البشيرُ القميصَ على وجهِ يعقوبَ عليه السلام، أو ألقاه يعقوبُ عليه السلام.

﴿فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا﴾: فرجع بصيرًا، يقال: ردَّه فارتدَّ، وارتدَّه: إذا ارْتَجَعه.

﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ﴾ يعني قولَه: ﴿إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ [يوسف ١٢/٩٤] أو قولَه: ﴿وَلَا تَا۟يْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ [يوسف ١٢/٨٧].

وقولُه: ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ﴾ كلامٌ مبتدأٌ لم يقع عليه القولُ، ولك أن تُوقِعَه عليه وتريدَ قولَه: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف ١٢/٨٦].

قوله: (والمعنى: لولا تفنيدكم إيّاي لصدّقتموني) حذف خبر المبتدأ أو جواب لولا، أي: لولا تفنيدكم إيّاي حاصل لصدّقتموني.

قوله: (ولَهَجِك) أي: الولوع[١] به.[٢]

قوله: (يعني قوله: ﴿إِنِّى﴾) فعلى هذا يكون مقول القولِ محذوفًا.

قوله: (ولك أن تُوقعه) وعلى هذا يكون مَقول القول[٣] مذكورًا. وقوله: (وتريدَ)،

---

١ ن: لولوع.

٢ ن ر – به.

٣ ن – محذوفًا. قوله: (ولك أن تُوقعه) وعلى هذا يكون مقول القول.

وروي: أنه سأل البشيرَ: "كيف يوسفُ عليه السلام؟" فقال: "هو مَلِكُ مصرَ"، قال: "ما أَصنَعُ بالمُلْك؟ على أيِّ دينٍ تركتَه؟" قال: "على دين الإسلام"، قال: "الآن تمَّت النِّعمةُ".

﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ۝٩٧ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٩٨﴾

﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ﴾ قيل: أخَّر الاستغفارَ إلى وقت السَّحَر.

وقيل: إلى ليلةِ الجمعة ليتعمَّد به وقتَ الإجابة.

وقيل: ليتعرَّف حالهم في صدق التوبة وإخلاصها.

وقيل: أرادَ الدَّوام على الاستغفار لهم، فقد رُوي أنه كان يَستغفِرُ لهم كلَّ ليلة جُمعةٍ في نَيِّفٍ وعشرين سنةً.

وقيل: قام إلى الصلاة في وقتِ السَّحَر، فلمَّا فرغَ رفع يديه وقال: اللّٰهمَّ اغفر لي جَزَعي على يوسف وقلَّةَ صَبري عنه، واغْفِرْ لولدي ما أتَوْا به إلى أخيهم، فأُوحي إليه: "إن الله قد غفر لك ولهم أجمعين".

ورُوي أنهم قالوا له وقد علَتْهم الكآبةُ: ما يُغْني عنَّا عَفوُكما إن لم يَعفُ عنَّا ربُّنا؟ فإنْ لم يوحَ إليك بالعَفوِ فلا قرَّتْ لنا عينٌ أبدًا، فاستقبل الشيخُ القبلةَ قائمًا يدعو، وقامَ يوسفُ عليه السلام خلفَه يؤمِّنُ، وقاموا خلفهما أذلَّةً خاشعين عشرين سنةً، ....

يعني: يكون هذا إشارة إلى قوله قبل ذلك: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف ١٢/٨٦]).

قوله: (الكآبة) «الكآبة: سوء الحال والانكسار مِن الحزن، وقد كَئِبَ الرجل يكأب كَأْبة وكآبةً،[١] مثل رَأْفة ورآفة».[٢]

---

١ ن – سوء الحال والانكسار مِن الحزن وقد كَئِبَ الرجل يكأب كَأْبة وكآبةً.

٢ الصحاح للجوهري، «كأب».

حتّى بُلِغَ جُهدُهم وظنُّوا أنها الهلكةُ نزل جبريلُ عليه السلام فقال: "إن الله قد أجَابَ دعوتَك في ولدك وعقَد مواثِيقَهم بعدك على النبوَّة".

وقد اختُلف في استنبائهم.

﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾

﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ قيل: وجَّهَ يوسفُ عليه السلام إلى أبيه جِهَازًا ومئتي راحلةٍ ليتجهَّزَ إليه بمَن معه، وخرج يوسف عليه السلام والملِكُ في أربعةِ آلافٍ من الجند والعُظماء وأهل مصرَ بأجمعهم، فتلقَّوْا يعقوبَ عليه السلام وهو يمشي يتوكَّأُ على يهوذا، فنظر إلى الخيل والناسِ فقال: "يا يهوذا، أهذا فرعونُ مصرَ؟" قال: "لا، هذا ولدُك"، فلمَّا لَقِيَه قال يعقوب عليه السلام: "السلامُ عليك يا مُذهِبَ الأحزان".

وقيل: إنَّ يوسف عليه السلام قال له لمّا الْتَقَيَا: "يا أبت، بكيتَ عليَّ حتى ذهب بصرُك، ألم تعلم أن القيامَة تجمعُنا؟" "فقال: بلى؛ ....

قوله: (حتّى بُلِغ جُهدهم) أي: نفِدت طاقتهم.

قوله: (في استنبائهم) استنبئ ونُبّئ: جُعل نبيًّا.

قوله: (جِهازًا) / الجِهاز: فاخر المتاع. [٣٢ظ]

قوله: (ليتجهَّز)،[١] أي: ليتهيّأ ويتوجَّه إليه.

قوله: (يتوكّأ) يقال: توكّأت على العصا، وأوكأت فلانًا إيكاءً. ويقال: اتكأ على الشيء فهو متكئ، والموضع مُتّكأ.

---

١ ن ر: لتجهز.

ولكنْ خشيتُ أن تُسلَبَ دِينَك فيحالَ بيني وبينك".

وقيل: إن يعقوبَ عليه السلام وولدَه دخلوا مصرَ وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامرأةٍ، وخرجوا منها مع موسَى عليه السلام ومُقاتِلتُهم ستُّ مئةِ ألفٍ وخمسُ مئةٍ وبضعةٌ وسبعون رجلًا سوى الذُّريَّة والهَرْمَى، وكانت الذُّريَّةُ ألفَ ألفٍ ومئتي ألفٍ.

﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ﴾: ضمَّهما إليه واعتنقهما، قال ابن أبي إسحاق: "كانت أمُّه تَحْيَا".

وقيل: هما أبوه وخالتُه، ماتت أمُّه فتزوَّجها، وجعَلَها أحدَ الأبوين؛ لأنَّ الرَّابَّة تُدعَى أمًّا: إمَّا لقيامها مقامَ الأمِّ؛ أو لأنَّ الخالة أمٌّ كما أنَّ العمَّ أبٌ، ومنه قولُه: ﴿وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ﴾ [البقرة ٢/١٣٣].

فإن قلتَ: ما معنى دخولهم عليه قبلَ دخولهم مصرَ؟

قلتُ: كأنه حين استقبلهم نزل لهم في مَضْرِبٍ أو بَيْتٍ ثَمَّ، فدخلوا عليه

قوله: (أن تُسلَب دينَك) "تُسلَب" مُسنَد إلى ضمير المخاطب، و"دينَك" بدل اشتمال.

قوله: (كانت أمّه تحيا)، يعني أنّها كانت في الحياة.

قوله: (لأنّ الرابّة)[١] الرابُّ: زوج الأمِّ، والرابّة: امرأة الأب.

قوله: (ومنه قوله: ﴿وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ﴾ [البقرة ٢/١٣٣]) الخطاب مع يعقوب، وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وأمّا إسماعيل فعمّه قال تعالى: ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة ٢/١٣٣].

قوله: (فإن قلتَ: ما معنى دخولهم عليه؟) أي: على يوسف.

قوله: (في مَضرِب) المَضرِب: الخيمة. قال المطرّزي في المغرب: «ضَرْب الخيمة، وهو المَضرِب للقبّة، بفتح الميم وكسر الراء. ومنه: كانت

---

[١] ر: الوابة.

وضمَّ إليه أبويه ثم قال لهم: ﴿ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ ولمَّا دخل مصر وجلس في مجلسِه مستويًا على سريره فاجتمعوا إليه أكرمَ أبويه فرفعهما على السرير ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ﴾ يعني: الإخوةَ الأحدَ عَشَرَ والأبوين ﴿سُجَّدًا﴾.

ويجوز أن يكون قد خرج في قبّةٍ من قِباب الملوك التي تُحمَل على البغال، فأمر أن يُرفع إليه أبواه فدخلا عليه القُبَّةَ، فآواهما إليه بالضمّ والاعتناق وقرَّبهما منه وقال بعد ذلك: ﴿ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ﴾.

فإن قلتَ: بمَ تعلَّقت المشيئةُ؟

قلتُ: بالدخول مكيَّفًا بالأمن؛ لأن القصد إلى اتِّصافهم بالأمن في دخولهم؛ فكأنه قيل لهم: إسْلَموا أو ائمَنوا في دخولكم إن شاء الله، ونظيرُه قولُك للغازي: "ارجِعْ سالمًا غانمًا إن شاء الله"، فلا تُعلَّقُ المشيئةُ بالرجوع مطلَقًا؛ ولكنْ مقيَّدًا بالسلامة والغنيمة مكيَّفًا بهما، والتقدير: ادخلوا مصرَ آمنين إن شاء الله دخلتُم آمنين، ثم حُذف الجزاء لدلالة الكلام عليه، ثم اعتُرض بالجملة الجزائية بين الحال وذي الحال.

مضارب رسول الله عليه السلام[1] في الحلّ ومصلّاه[2] في الحَرَم».[3] وقال أيضًا فيه: «البيت: اسم لمُسقَّف واحد، وأصله مِن بيت الشعر أو الصوف؛ سُمّي به لأنّه يُبات فيه».[4] وقال أيضًا: «القبّة: الخَرقاهة، وكذا كلّ بناء مدوّر، والجمع قِباب».[5] وقال في الصحاح: «القبّة بالضمّ مِن البناء. وبيت مُقبَّب: جُعل[6] فوقه قُبّة. والهوادج تُقبَّب».[7]

قوله: (والتقدير)، يعني أنّه متعلِّق بـ﴿ءَامِنِينَ﴾، فينبغي أن يقدَّر جزاء الشرط مِن جنسه.

قوله: (بالجملة الجزائيّة) أي: الشرطيّة.

---

[1] ن ر: صلّى الله عليه وسلّم.
[2] ر: ومصلاته.
[3] المغرب للمُطرِّزي، «ضرب». والحديث بلفظ قريب في مصنَّف عبد الرزاق، ٥/٢٧ (٨٨٧٠).
[4] المغرب للمُطرِّزي، «بيت».
[5] المغرب للمُطرِّزي، «قبب».
[6] ر: جمل.
[7] الصحاح للجوهري، «قبب».

ومن بِدَع التفاسير أنَّ قوله: ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ من باب التقديم والتأخير، وأن موضعَها ما بعد قوله: ﴿سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓ﴾ في كلام يعقوبَ عليه السلام، وما أَدْري ما أقولُ فيه وفي نظائره!

فإن قلتَ: كيف جاز لهم أن يسجدوا لغير الله؟

قوله: (وما أدري) يريد أنّ هذا التفسير البديع فاسد ظاهرُ الفساد، بحيث لا يحتاج فساده إلى بيان وتقرير، فلا يمكن بيان فساده بكلام؛ لأنّه بيِّن بنفسه، فبيانه[١] يُشبه تعريف المعرَّف وتحصيل الحاصل.

قوله: (فإن قلتَ: كيف جاز لهم أن يسجدوا لغير الله؟) اعلم أنّ السجود لغير الله تعالى حرام إذا كان على وجه العبادة كالذَّبح، وأمّا إذا كان على وجه الخضوع والتذلُّل فليس بحرام. وقول مَن قال: "إنّه لا يجوز" يمكن أن يُحمَل على الكراهة؛ لأنّ المكروه يصحُّ نفي الجواز والإباحة المطلقة عنه.[٢] يؤيِّد ما ذكرنا قول الإمام الرافعي في الشرح الكبير، فإنّه قال:

> اعلم أنّ الذبح للمعبود[٣] وباسمه نازل بمنزلة[٤] السجود له، وكلّ واحد منهما نوع مِن أنواع التعظيم والعبادة المخصوصة بالله تعالى، فمَن ذبح لغيره مِن حيوان أو جماد كالصنم على وجه التعظيم والعبادة لم تحلّ ذبيحته، وكان فعله كفرًا، كمَن سجد لغيره سجدةَ عبادةٍ، وكذا لو ذبح له ولغيره على هذا الوجه، وأمّا لو ذبح لغيره لا على هذا الوجه / بأن [٣٣و]
> ضحّى أو ذبح للكعبة تعظيمًا لها؛ لأنّها بيت الله، أو الرسول؛[٥] لأنّه رسول الله،[٦] فهذا لا يجوز أن يُمنع حِلّ الذبيحة. وإلى هذا المعنى يرجع قول القائل: "أهديت للحرم" أو "للكعبة"، ومِن هذا القبيل الذبح[٧] عند استقبال السلطان، فإنّه استبشار بقدومه نازل منزلة ذَبْح العقيقة لولادة المولود، ومثل هذا لا يُوجِب الكفر، وكذا السجود للغير[٨] تذلُّلًا وخضوعًا.[٩]

---

١ ر: صيانه.
٢ ن – عنه.
٣ ر: المعبود.
٤ ن: منزلة.
٥ ر: للرسول.
٦ ر + صلّى الله عليه وسلّم.
٧ ن: الذبيح.
٨ ر: الغير.
٩ انظر: الشرح الكبير للرافعي، ١٢/٨٥.

قلتُ: كانت السجدةُ عندهم جاريةً مجرى التحيَّة والتَّكْرِمة كالقيام والمصافحةِ وتقبيلِ اليد، ونحوِها مما جرتْ عليه عادةُ الناس من أفعالٍ شُهرَتْ في التعظيم والتوقير.

وقيل: ما كانت إلَّا انحناءً دون تغفيرِ الجِبَاه. وخُرورُهم سُجَّدًا يأباه.

وقيل: معناه: وخرُّوا لأَجْل يوسف عليه السلام سُجَّدًا لله شكرًا. وهذا أيضًا فيه نَبْوَةٌ.

يقال: أحسنَ إليه وبه، وكذلك أساء إليه وبه، قال:

أَسيئي بنا أو أَحْسِني لا ملومةٌ

﴿مِنَ ٱلۡبَدۡوِ﴾: من البادية؛ لأنهم كانوا أهلَ عَمَدٍ وأصحابَ مواشٍ يَتنقَّلون في المياه والمناجِع.

﴿نَّزَغَ﴾: أفسدَ بيننا وأغرَى، وأصلُه من نَخْسِ الرائضِ الدابةَ وحَمْلِه على الجَرْي، يقال: نزغَه ونسَغَه: إذا نَخَسه.

﴿لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُ﴾: لطيفُ التدبير لأجله، رفيقٌ حتى يجيءَ على وجه الحكمة والصواب.

قوله:[١] (وخُرورهم سُجّدًا يأباه) الضمير مِن قوله: "يأباه" يعود إلى القول الذي يدلّ عليه (قيل).

قوله: (أسيئي[٢] بنا)، البيت.

هنيئًا مريئًا غير داءٍ[٣] مُخامرٍ[٤] لعزّةَ مِن أعراضنا ما استحلّتِ[٥]

"أسيئي بنا" أو أحسني لا ملومةً لدينا ولا مقليّة إن تقلّتِ[٦]

قوله: (كانوا أهل عَمَد)... إلخ، العَمَد: جمع عمود البيت، والمراد الخِباء. والمناجع: مواضع النُّجعة بالضمّ: وهي طلب الكلأ في موضعه.

---

١ ن + قوله.

٢ ر: استثني.

٣ ن: أداء.

٤ ر: فجامن.

٥ ر: استجلب.

٦ البيتان لكُثيِّر عزّة. ومضى تخريجهما والكلام عليهما في تفسير سورة التوبة، ٩/٤٩.

وروي: أن يوسف عليه السلام أخذ بيد يعقوبَ عليه السلام فطافَ به في خزائنه، فأدخله خزائنَ الورِق والذهب وخزائنَ الحُلِيِّ وخزائنَ الثياب وخزائنَ السلاح وغيرَ ذلك، فلمَّا أدخله خِزانةَ القراطيس قال: "يا بني ما أعقَّك! عندك هذه القراطيسُ وما كتبتَ إليَّ على ثمانِ مراحل؟" قال: "أمرني جبريل"، قال: "أوما تَسألُه؟" قال: "أنت أبسَطُ إليه منِّي فسَلْه"، قال جبريل: "اللهُ أمَرَني بذلك لقولك: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾، قال: فهلا خِفْتَني".

وروي أن يعقوبَ عليه السلام أقام معَه أربعًا وعشرين سنةً ثم مات، وأوصى أنْ يدفِنَه بالشام إلى جنب أبيه إسحاقَ عليه السلام، فمضى بنفسه ودفَنَه ثمةَ ثم عاد إلى مصرَ وعاش بعد أبيه ثلاثًا وعشرين سنة، فلمَّا تَمَّ أمرُه وعَلِم أنه لا يدومُ له طلبَتْ نفسُه الملكَ الدائم الخالدَ فتاقَتْ نفسُه إليه فتمنَّى الموتَ -وقيل: ما تمنَّاه نبيٌّ قبله ولا بعده-، فتوفَّاه الله طيِّبًا طاهرًا، فتخاصَمَ أهلُ مِصْرَ وتشاحُّوا في دَفنه كلٌّ يُحبُّ أن يُدفن في محلَّتهم حتى هَمُّوا بالقتال، فرأَوْا من الرأي أن عَمِلوا له صندوقًا من مَرْمَرٍ وجعلوه فيه ودفنوه في النيل بمكانٍ يمرُّ عليه الماءُ ....

قوله: (خزائن الورِق) قال في الصحاح: «الورِق: الدراهم المضروبة، وكذلك الرِّقَة».[1]

قوله: (فتاقت نفسُه) تاقت نفسه إلى الشيء توقانًا: اشتاقت إليه.

قوله: (فتمنّى الموت) ويحتمل أن يقال: ما تمنّى الموت، وإنّما تمنّى الإسلام حال الموت، أي: بقاءه على الإسلام عند الموت، كما قال في ﴿ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾. وقد يجيء هذا الوجه عن قريب.

قوله: (مِن الرأي) "مِن" في "الرأي" للتبعيض، كأنّه قال: رأوا مِن جملة هذا الرأي، وهو أن علموا.[2]

قوله: (من مَرْمَر) المرمر: الرخام، وهو حجر أبيض رخو.

[1] الصحاح للجوهري، «ورق».

[2] ن ر: عملوا.

ثم يَصلُ إلى مصر ليكونوا كلُّهم فيه شَرَعًا واحدًا.

ووُلد له: إفْرائيمُ ومِيشَا، ووُلد لإفرائيم نونٌ، ولنون يوشعُ فتى موسى عليهما السلام.

ولقد توارثتِ الفراعنةُ من العماليق بعده مصرَ ولم يَزَلْ بنو إسرائيل تحتَ أيديهم على بقايا دِين يوسف عليه السلام وآبائه، إلى أن بَعث الله موسى صلى الله عليه وسلم.

﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١﴾

﴿مِن﴾ في ﴿مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾ و﴿مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ للتبعيض؛ لأنه لم يُؤتَ إلا بعضَ ملك الدنيا، أو بعضَ ملك مصر وبعض التأويل.

﴿أَنتَ وَلِيِّۦ﴾: أنت الذي تتولَّاني بالنِّعمة في الدارين وبوصلِ المُلك الفاني بالمُلك الباقي.

﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾ طلبٌ للوفاة على حال الإسلام، ولِأَنْ يُختمَ له بالخير والحُسنى؛ كما قال يعقوبُ عليه السلام لولده: ....

قوله: (شَرَعًا) يقال: الناس في هذا الأمر شَرَع: سواء، يُحرَّك أو[1] يُسكَّن، يستوي فيه الواحد والجمع والمؤنَّث.

قوله: (إلى أن بعث الله محمَّدًا عليه السلام)[2] وأظنُّ أنَّ الصواب أن يقال: إلى أن بعث الله موسى عليه السلام.

قوله: (أو بعض[3] مُلك مصر) يريد أنَّ المراد بالمُلك مُلك الدنيا أو ملك مصر، وكيف ما كان فـ"مِن" للتبعيض.

قوله: (كما قال يعقوب)[4] تشبيه المصنِّف هذه الآية بقول يعقوب إشارة

---

[1] ن ر: و.

[2] ن ر: صلّى الله عليه وسلّم.

[3] ن ر: بعيسى.

[4] ن: قوله؛ ر + توله.

﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة ٢/١٣٢]، ويجوز أن يكون تمنِّيًا للموت على ما قيل.

﴿وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ من آبائي، أو على العموم، وعن عمر بن عبد العزيز: أن ميمونَ بن مِهْران بات عنده فرآه كثيرَ البكاء والمسألة للموت، فقال له: "صَنَع اللهُ على يديك خيرًا كثيرًا: أحييتَ سُنَنًا وأمَتَّ بِدَعًا وفي حياتك خيرٌ وراحةٌ للمسلمين"، فقال: "أفلا أكون كالعبد الصالح لمَا أقرَّ الله عينَه وجمعَ له أمرَه قال: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾؟"

فإن قلتَ: علامَ انتَصب ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾؟

قلتُ: على أنه وصفٌ لقوله ﴿رَبِّ﴾ كقولك: أخا زيدٍ حسنَ الوجه، أو على النداء.

إلى[١] أنّ المعنى أنّه طلب مِن الله تعالى أن يثبّته على الإسلام إلى وقت الموت، ليكون على الإسلام وقت الموت.

قوله: (**على ما قيل**) فيه إشارة إلى أنّ المختار في معنى الآية أنّه ما تمنّى الموت، كما بيّنا في الحاشية.

قوله: (**عن[٢] عمر بن عبد العزيز**)... إلخ، هذه الحكاية تدلّ على أنّه تمنّى الموت.

قوله: (**كقولك**)... إلخ، يدلّ على أنّه جَعَل[٣] "حسنَ الوجه" صفةَ "أخا زيد"، وهو مُشكِل؛ لأنّ[٤] "حسنَ الوجه" نكرة؛ لأنّ الإضافة فيه لفظيّة، فهو بدل لا صفة. ويمكن أن يقال: مراده مِن هذا التشبيه أنّه مثله في أنّه ليس منادى مستقلًّا،[٥] فكما أنّ ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ تابع لِما قبله وليس منادى مستقلًّا، فكذا "حَسَن الوجه" تابع لِما قبله وليس منادى مستقلًّا، ولمّا اشتركا في هذا المعنى شبّهه به وإن اختلفا في أنّ أحدهما صفة والآخر بدل.

---

١ ن – إلى.
٢ ن: وعن.
٣ ر: جعله.
٤ ر: لا.
٥ ر: مستقبلًا.

﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ ١٠٢﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى ما سِيق من نبأ يوسف عليه السلام، والخطابُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومحلُّه الابتداء، وقوله: ﴿مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَ﴾ خبرانِ.

ويجوز أن يكون اسمًا موصولًا بمعنى "الذي" و﴿مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ﴾ صلتُه و﴿نُوحِيهِ﴾ الخبرُ.

والمعنى: إن هذا النبأ غيبٌ لم يحصل لك إلّا من جهةِ الوحي؛ لأنك لم تحضُرْ بني يعقوب عليه السلام حين أجمعوا أمرَهم وهو إلقاؤهم أخاهم في البئر؛ لقوله: ﴿وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ﴾ [يوسف ١٢/١٥] وهذا تَهكُّمٌ بقريشٍ وبمَن كذَّبه؛ لأنّه لم يَخْفَ على أحدٍ من المكذِّبين أنّه لم يكن من حَمَلة هذا الحديث وأشباهِهِ، ولا لَقِيَ فيها أحدًا ولا سَمِعَ منه، ولم يكن مِن عِلْم قومه، فإذا أخبَر به وقصَّه هذا القَصَصَ العجيبَ الذي أعجز حملَتَه ورُواتَه لم تقع شبهةٌ في أنه ليس منه، وأنه من جهة الوحي، فإذا أنكروه تُهُكِّمَ بهم، وقيل لهم: قد علمْتُم يا مكابِرون أنه لم يكن مشاهِدًا لمَن مضى من القرون الخالية، ونحوُه: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ إِذۡ قَضَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلۡأَمۡرَ﴾ [القصص ٢٨/٤٤].

قوله: (وبمَن[١] كذَّبه) أي: مِن غير قريش. وقوله: (لأنّه) ضمير الشأن.[٢]

/ وقوله: (أنّه لم يكن) أي: النبيّ عليه السلام.[٣] [٣٣ظ]

قوله: (ولا لقيَ فيها) أي: بسببها، كما جاء: «في النفس المؤمنة[٤] مئة مِن الإبل».[٥] والضمير للأشباه.[٦]

قوله: (هذا القصص) مصدر.

قوله: (في أنّه ليس منه) أي: في أنّ هذا الحديث ليس مِن النبيّ عليه السلام،[٧] أي: مِن قِبَله؛ بل هو مِن عند الله.

---

١ ر: ومن.

٢ ن ر: البيان.

٣ ن ر: صلّى الله عليه وسلّم.

٤ ر: الموجبة.

٥ السنّة للمروزي، ١/٦٦ (٢٣٦)؛ الأحاديث الطوال للطبراني، ١/١٣٥ (٥٧).

٦ ن – للأشباه؛ ر: للأشياء.

٧ ن ر: صلّى الله عليه وسلّم.

﴿وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ﴾ بيوسف عليه السلام ويبغون له الغوائل.

﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣﴾

﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ﴾ يريد العمومَ؛ كقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف ١٨٧/٧].

وعن ابن عبّاس رضي الله عنه: أراد أهل مكّة؛ أي: وما هم بمؤمنين.

﴿وَلَوۡ حَرَصۡتَ﴾ وتهالَكْتَ على إيمانهم؛ لتصميمهم على الكفر وعِنادِهم.

﴿وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٤﴾

﴿وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ﴾ على ما تُحدِّثهم به وتذكِّرهم أن يُنيلوك مَنفعةً وجَدْوى كما يُعطَى حملةُ الأحاديث والأخبار.

﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ﴾: إلّا عِظَةٌ من الله ﴿لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ عامّةً، وحَثٌّ على طلب النجاة على لسان رسولٍ من رسُله.

﴿وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ١٠٥﴾

﴿مِّنۡ ءَايَةٖ﴾: من علامةٍ ودلالةٍ على الخالق وعلى صفاته وتوحيده ﴿يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا﴾ ويشاهِدونها وهم مُعْرِضون عنها لا يَعْتَبِرون بها.

قوله: (وعن ابن عبّاس) هذا عطف على قوله: (يريد).

قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ﴾ قال في الوسيط: «وكم[1] مِن آية في السماوات والأرض تدلُّهم على توحيد الله، مِن أمر السماء، وأنّها بغير عمد، وفيها أعظم البرهان على أنّ لها خالقًا، وكذلك فيما نشاهد في الأرض مِن جبالها ونباتها وبحارها، يمرُّون عليها يتجاوزونها[2] غير مفكِّرين ولا معتبرين بها».[3] هذا هو المذكور في الوسيط، وبه يُعلم حُسن عطف ﴿ٱلۡأَرۡضِ﴾ على ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾.

---

[1] ر: وكأين.

[2] ر: يتجاوزون.

[3] الوسيط للواحدي، ٦٣٧/٢ (يوسف، ١٠٥/١٢).

وقرئ: "والأرضُ" بالرفع على الابتداء و﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ خبره.

وقرأ السديّ: "والأرضَ" بالنصب على: ويطؤون الأرضَ يمرُّون عليها.

وفي مصحف عبد الله: "والأرضُ يمشون عليها" برفع "الأرضُ".

والمرادُ: ما يرَوْن من آثار الأمم الهالكة وغيرِ ذلك من العِبَر.

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ١٠٦﴾

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم﴾ في إقراره بالله وبأنه خلقَه وخلقَ السماوات والأرضَ إلّا وهو مشركٌ بعبادته الوثنَ.

وعن الحسن: هم أهل الكتاب معهم شركٌ وإيمانٌ.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هم الذين يُشبِّهون اللهَ بخلقه.

﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ١٠٧﴾

﴿غَٰشِيَةٌ﴾: نِقمةٌ تَغْشاهم، وقيل: ما يغمرُهم من العذاب ويُجلِّلهم، وقيل: الصواعقُ.

قوله: (والمراد) أي: على قراءة عبد الله رضي الله عنه.[1]

قوله: (في إقراره)،[2] في بعض النُّسخ: "في إقراراهم"، و"بأنّه خلقهم" و"هم مشركون".

قوله: (بعبادته) أي: بسبب عبادته.

قوله: (وعن الحسن) عطف مِن حيث المعنى على قوله: (في إقراره)...[3] إلخ، فعلى الأوّل المراد بهم المشركون.

قوله: (ويجلّلهم) «جلَّل الشيء تجليلًا، أي: عَمَّ. والمُجلِّل: السحاب التي تُجلِّل الأرض بالمطر، أي: تعمّ. وتجليل الفرس: أن تُلبِسه الجُلّ».[4]

---

[1] د – رضي الله عنه. | وهي قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود وعكرمة. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٠٤٥.

[2] ن: إفراده.

[3] ر – في بعض النُّسخ: "في إقراراهم"، و"بأنّه خلقهم" و"هم مشركون". قوله: (بعبادته) أي: بسبب عبادته. قوله: (وعن الحسن) عطف مِن حيث المعنى على قوله: (في إقراره).

[4] الصحاح للجوهري، «جلل».

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾

﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾: هذه السبيلُ التي هي الدعوةُ إلى الإيمان والتوحيد سبيلي، والسبيلُ والطريق يذكَّران ويؤنَّثان، ثم فسَّر سبيلَه بقوله: ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾؛ أي: أدعو إلى دينه مع حُجةٍ واضحةٍ غيرِ عمياء.

و﴿أَنَا۠﴾ تأكيدٌ للمستتر في ﴿أَدْعُوٓا۟﴾، ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ عطفٌ عليه، يريد: أدعو إليها أنا ويدعو إليها مَن اتَّبعني.

ويجوز أن يكون ﴿أَنَا۠﴾ مبتدأً و﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ خبرًا مقدمًا و﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ عطفًا على ﴿أَنَا۠﴾، إخبارًا مبتدأً بأنه ومَن اتَّبعه على حُجَّةٍ وبرهانٍ لا على هَوًى.

ويجوز أن يكون ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ حالًا من ﴿أَدْعُوٓا۟﴾ عاملةً الرفعَ في ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾.

﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾: وأُنَزِّهه من الشركاء.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿إِلَّا رِجَالًا﴾ لا ملائكةً؛ لأنهم كانوا يقولون: ﴿لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ [فصلت ٤١/١٤].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: يريد: ليست فيهم امرأةٌ، وقيل في سَجَاحِ المتنبِّئةِ:

قوله: (و﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ خبرًا) وعلى الوجه الأوّل كان حالًا.

قوله: (على ﴿أَنَا۠﴾ إخبارًا) أي: يكون هذا إخبارًا مستأنفًا.

قوله:[1] (وقيل[2] في سَجاح[3] المتنبِّئة:

---

[1] ر + قوله.

[2] ن ر: فتأمل.

[3] ن ر: شجاع.

ولــم تَـــزَلْ أنـبـيـاءُ الله ذُكــرانــا

وقرئ: ﴿نُوحِىٓ إِلَيۡهِم﴾ بالنون.

﴿مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ﴾؛ لأنهـم أعلـمُ وأحلـمُ، وأهـلُ البـوادي فيهـم الجهـلُ والجفاءُ والقَسْوة.

﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾: ولدارُ الساعة أو الحالِ الآخرة ﴿خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ﴾: للَّذين خافُوا الله فلم يُشركوا به ولـم يَعصُوه.

وقرئ ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ بالتاء والياء.

ولـــم تـــزل[1] أنبيـــاء الله ذُكرانـــا)[2]

أوّله:

أضـحـتْ[3] نـبـيَّـتُـنـا[4] أنـثـى نـطـوف بـهـا

وفي رواية:

أضـحـتْ[5] نبيَّتنـا[6] هـذي مؤنَّثة — وأصـبـحـتْ،[7] البـيـت

وبعده:

فـلـعـنـةُ الله والأقـــوام كـلِّـهـم — على سَجاح ومَـن بالكِذب أغرانا

أعنـي مسـيلمةَ[8] الكـذّاب لا سُـقيت — أصـــداؤه مــاءَ غـيـث أيـنـمـا كـانـا[9]

الصدى: العطش. سجاح: اسم امرأة مِن يربوع تنبأت، سجاح بنت المنذر تنبأت في أيّام مسيلَمة، وأتته لتختبره، فآمنت به، وسلَّمت نفسها له.

---

[1] ن: ترك.

[2] ن ر – ذُكرانا. | البيت لقيس بن عاصم في ثمار القلوب للثعالبي، ص ٣١٥؛ وربيع الأبرار للزمخشري، ٢/٢٥٤؛ ولشاعر بني تميم في التذكرة الحمدونيّة لابن حمدون، ٧/٣٥١.

[3] ر: أصبحت.

[4] ن ر: بيبتنا.

[5] ر: أصبحت.

[6] ن ر: بيبتنا.

[7] ن: وأضحت.

[8] ن: مسلة.

[9] البيتان لقيس بن عاصم في ثمار القلوب للثعالبي، ص ٣١٥.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١١٠﴾

﴿حَتَّىٰٓ﴾ متعلِّقةٌ بمحذوفٍ دلَّ عليه الكلام؛ كأنه قيل: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا﴾ فتراخى نصرُهم حتى إذا استيأسوا عن النصر ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ﴾؛ أي: كذَبَتْهم أنفسُهم حين حدَّثتهم بأنهم يُنصرون، أو رجاؤهم كقولهم: "رجاءٌ صادقٌ" و"رجاءٌ كاذبٌ"، والمعنى: أن مدَّة التكذيب والعداوة من الكفَّار وانتظارِ النصر من الله وتأمِيلِه قد تطاولَتْ عليهم وتمادَتْ حتى استشعَروا القنوطَ وتوهَّموا أنْ لا نصرَ لهم في الدنيا، فجاءهم نصرُنا فجأةً من غيرِ احتسابٍ.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: فظنُّوا حين ضَعفُوا وغُلبوا أنهم قد أُخلِفوا ما وعدهم الله من النصر، وقال: كانوا بشرًا، وتلا قوله: ﴿وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة ٢/٢١٤].

فإن صحَّ هذا عن ابن عباس فقد أراد بالظنِّ: ما يخطرُ بالبال ويَهْجِسُ في القلب من شِبْهِ الوسوسة وحديثِ النفس على ما عليه البشريةُ، وأمَّا الظنُّ

قوله: (فتراخى نصرُهم)،[١] أي: تباعد.

قوله: (﴿قَدۡ كُذِّبُواْ﴾) سبعة.[٢]

قوله: (وقال:[٣] كانوا بشرًا) أي:[٤] وقال ابن عبّاس لتقرير هذا التفسير: إنّ الأنبياء وإن كانوا رسولًا فلا شكّ أنّهم بشر، فلا يبعد أن يخطر ذلك ببالهم مِن حيث البشريّة، فإنّ البشر لا ينسلخ بالكليّة عن البشريّة.

قوله: (فإن صحّ هذا) إنّما قال: "فإن صحّ"؛ لأنّ الرواية الصحيحة عنه خلاف ذلك. قال الواحدي في **الوسيط**: قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾

---

[١] ر: بصرهم.
[٢] قرأ بها نافع وابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ويعقوب. النشر لابن الجزري، ٢/٢٩٦.
[٣] ن ر: وقالوا.
[٤] ن ر – أي.

الذي هو تَرَجُّحُ أحدِ الجائزين على الآخر فغيرُ جائزٍ على رجل من المسلمين، فما بالُ رسُل الله الذين هم أعرفُ الناس بربِّهم، وأنه متعالٍ عن خُلفِ الميعاد منزَّهٌ عن كلِّ قبيح.

وقيل: وظنَّ المُرسلُ إليهم أن الرُّسل قد كُذِبوا؛ أي: أُخلِفُوا.

أو: وظنَّ المُرسَل إليهم أنهم كُذِبوا من جهةِ الرسل؛ أي: كذَبَتْهم الرسلُ في أنهم يُنصَرون عليهم ولم يَصْدُقوهم فيه.

وقرئ: ﴿كُذِّبوا﴾ بالتشديد على: وظنَّ الرسلُ أنهم قد كذَّبَتهُم قومُهم فيما وعدوهم من العذاب والنصرة عليهم.

وقرأ مجاهد: "كَذَبوا" بالتخفيف على البناء للفاعل، على: وظَنَّ الرسل أنهم قد كَذَبوا فيما حَدَّثوا به قومَهم من النُّصرة: إمَّا على تأويل ابن عباس

قال ابن عبّاس:[١] يريد مِن قومهم أن يُؤمنوا وظنُّوا أنّهم قد كُذِّبوا أيقنوا أنّ قومهم قد كذَّبوهم.[٢] وهذا قول عطاء وقتادة والحسن.

قوله: "فإن صحّ" يعني أنّ الفاعل المحذوف في الوجهين لـ﴿كُذِبُواْ﴾ المجهول: إمّا النفس، أو الرجاء، وهو ظاهر الصحّة. وأمّا على هذا الوجه فيكون ذلك الفاعل هو الله تعالى، وهو مُشكِل؛ لأنّه يلزم منه نسبة إخلاف الوعد إليه تعالى،[٣] ومثله لا يصدر عن ابن عبّاس في انتساب ذلك الظنّ إلى / الأنبياء. [٣٤و]

ثمّ قال: إلّا أن يراد حديث النفس، وأمّا قراءة ابن عبّاس[٤] هذه للاستشهاد على تفسيره فلأنّ[٥] قول الأنبياء ﴿مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة ٢/٢١٤] بطريق الاستبطاء يدلّ على أنّه كان يرِد في خاطرهم أنّ النصر كأنّه لا يكاد يقع.

قوله: (وقرأ مجاهد: "كَذَبُوا")[٦] شاذّ.[٧]

---

١ ن ر + رضي الله عنه.

٢ ر – أيقنوا أنّ قومهم قد كذّبوهم.

٣ ر: فقال.

٤ ن ر + رضي الله عنه.

٥ ر: ولأن.

٦ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن عبّاس ومجاهد والضحّاك. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٠٤٦.

٧ ن – أنّ النصر كأنّه لا يكاد يقع. قوله: (وقرأ مجاهد: "كَذَبوا") شاذّ.

رضي الله عنهما، وإمَّا على أن قومهم إذا لم يَرَوا لموعدهم أثرًا قالوا لهم: إنكم قد كذَبْتُمونا، فيكونون كاذبين عند قومهم.

أو: وظنَّ المرسَلُ إليهم أن الرُّسل قد كذَبوا.

ولو قرئ بهذا مشدَّدًا لكان معناه: وظنَّ الرسل أن قومَهم كذَّبوهم في موعدهم.

قرئ: ﴿فننجي﴾ بالتخفيف والتشديد من أنجاه ونجَّاه، و: ﴿فَنُجِّيَ﴾ على لفظ الماضي المبنيّ للمفعول.

وقرأ ابن مُحيصن: "فنجا".

والمراد بـ﴿مَن نَّشَآءُ﴾: المؤمنون؛ لأنهم الذين يَستأهلون أن يشاءَ نجاتَهم، وقد بيَّن ذلك بقوله: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾

الضمير في ﴿قَصَصِهِمْ﴾ للرسل، وتنصرُه قراءةُ مَن قرأ: "في قِصَصِهم" بكسر القاف.

وقيل: هو راجعٌ إلى يوسف عليه السلام وإخوته.

فإن قلتَ: فإلامَ يرجع الضمير في ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾ فيمَن قرأ بالكسر؟

قلتُ: إلى القرآن؛ أي: ما كان القرآن حديثًا يُفترَى.

قوله: (الضمير في ﴿قَصَصِهِمْ﴾) قصّ عليه الخبر قَصَصًا بالفتح، والاسم أيضًا القَصَص بالفتح تسمية بالمصدر، والقِصَص بالكسر جمع قصّة. وقوله: (وتنصره). واعلم أنّه إذا قرئ بكسر القاف يتعيَّن أن يكون الضمير للرسل لا ليوسف وإخوته؛ لأنّ القِصَص بالكسر جمع قصّة، وليس ليوسف وإخوته إلّا قصّة واحدة، ولمّا تعيَّن أن يكون الضمير في هذه[1] القراءة بالفتح للرسل

[1] ن - هذه.

﴿وَلَٰكِن﴾ كان ﴿تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾؛ أي: قبله من الكتب السماويّة ﴿وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ يُحتاج إليه في الدِّين؛ لأنه القانون الذي تستنِدُ إليه السنَّةُ والإجماعُ والقياسُ بعد أدلَّة العقل، وانتصابُ ما نُصِبَ بعد "لكنْ" للعطف على خبر ﴿كَانَ﴾.

وقرئ ذلك بالرفع على: ولكنْ هو تصديقُ الذي بين يديه.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «علِّموا أرقاءَكم سورة يوسفَ، فإنه أيُّما مُسلمٍ تلاها وعلَّمها أهلَه وما ملكَتْ يمينُه هَوَّن الله عليه سكراتِ الموت، وأعطاه القوَّة أن لا يَحسُدَ مسلمًا».

تمسَّك بها على أنّ الضمير في القراءة بالفتح للرسل أيضًا توافقًا بين القراءتين في مرجع الضمير.

قوله: (يُحتاج) صفة ﴿شَيۡءٖ﴾.

قوله: (ما نُصب) أي: ﴿تَصۡدِيقَ﴾.

قوله:[1] (ألّا يحسُد مسلمًا)،[2] أي: على ألّا أو لئلّا يحسد.

---

١ ن ر – (يُحتاج) صفة ﴿شَيۡءٖ﴾. قوله: (ما نُصب) أي: ﴿تَصۡدِيقَ﴾.

٢ الحديث في الكشف والبيان للثعلبي، ٤٨٠/١٤ (يوسف، ١١١/١٢)؛ والوسيط للواحدي، ٥٩٩/٢ (يوسف، ١١١/١٢). وهو جزء من حديث أُبيّ بن كعب في فضائل السور. انظر: الموضوعات لابن الجوزي، ٢٤٠/١.

Türkiye Diyanet Vakfı Yayınları
Yayın No. 1434
İSAM Yayınları 267
Klasik Eserler Dizisi 62

TETİMMETÜ'L-KEŞŞÂF (HÂŞİYETÜ'L-ÇÂRPERDÎ ale'l-KEŞŞÂF)
Fahreddin el-Çârperdî

Cilt 5

Tahkik
Ziyâüddin el-Kaliş, Muhammed İmâd el-Nabulsî

Tetimmetü'l-Keşşâf (Hâşiyetü'l-Çârperdî ale'l-Keşşâf)
TDV İslam Araştırmaları Merkezi (İSAM)
Tahkik/Tenkitli Neşir Birimi ilmî kontrolünde hazırlanmıştır.

İcadiye-Bağlarbaşı Cad. 38 Üsküdar/İstanbul
Tel. 0216. 474 08 50
www.isam.org.tr yayin@isam.org.tr

Editör Okan Kadir Yılmaz
İlmî kontrol Mehmet Taha Boyalık, Abdurrahman Rıdvan Haraş
İnceleme kısmı son okuma Sait Kayacı (Arapça), Mustafa Demiray (Türkçe)
Tashih (Arapça) Abdulnasır Hakimi (İmla, İndeks ve Bibliyografya), Nour Alhila (İmla)
Ali Haydar Ulusoy (İmla ve İndeks), Azat Sarsanbaev (İmla)
(Türkçe) İsa Kayaalp (İmla), İsmail Özbilgin (Bibliyografya)
Tasarım Ali Haydar Ulusoy, İbrahim Dervişmüezzin (Uygulama),
Hasan Hüseyin Can (Kapak), Ramzi Haj Mustafa (Kapak Hattı)

Bu eser
TDV İslam Araştırmaları Merkezi'nin (İSAM)
İkinci Klasik Dönem Projesi
kapsamında yayımlanmıştır.

Bu kitap
İSAM Yönetim Kurulu'nun
27/12/2024 tarihli ve 2024/11 sayılı kararıyla basılmıştır.

Birinci Basım: İstanbul, Aralık 2024 m. / 1446 h.
ISBN 978-625-428-633-9 (Tk.)
978-625-428-638-4 (5. Cilt)

Basım Yayın ve Dağıtım
TDV Yayın Matbaacılık ve Tic. İşl.
Ostim OSB Mahallesi, 1256 Cadde, No. 11
Yenimahalle/Ankara
Tel. 0312. 354 91 31 Faks. 0312. 354 91 32
bilgi@tdv.com.tr
Sertifika No. 48058

Fahreddin el-Çârperdî
Tetimmetü'l-Keşşâf (Hâşiyetü'l-Çârperdî ale'l-Keşşâf) [(تتمة الكشاف (حاشية الجاربردي على الكشاف]
/ Fahreddin el-Çârperdî ; tahkik Ziyâüddin el-Kaliş, Muhammed İmâd el-Nabulsî. İstanbul ;
Ankara : İslam Araştırmaları Merkezi (İSAM) ; Türkiye Diyanet Vakfı, 2024.
5. c. (704 s.) ; 24 cm. – (Türkiye Diyanet Vakfı Yayınları ; 1434. İSAM Yayınları ; 267. Klasik Eserler Dizisi ; 62)

Dizin ve kaynakça var.
ISBN 978-625-428-633-9 (Tk.) 978-625-428-638-4 (5. Cilt)

ISAM
TÜRKİYE DİYANET VAKFI
İSLAM ARAŞTIRMALARI MERKEZİ
مركز البحوث الإسلامية

Tetimmetü'l-Keşşâf

(Hâşiyetü'l-Çârperdî ale'l-Keşşâf)

Fahreddin el-Çârperdî
(ö. 746 h. / 1346 m.)

Tahkik
Ziyâüddin el-Kaliş
Muhammed İmâd el-Nabulsî

Proje Yürütme
Mehmet Taha Boyalık

Beşinci Cilt

TÜRKİYE DİYANET VAKFI YAYINLARI